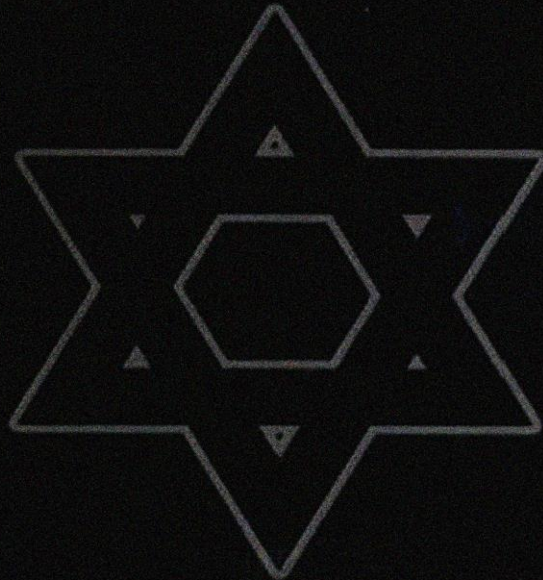


فكتور مارسدن

بروتوكولات

حكما صهيون

النص الكامل مترجم باللغة العربية



علي مولا

**بـرتـو کـولـات**  
**حکماء صهیون**

**PROTOCOLS**  
**OF THE LEARNED ELDERS**  
**OF ZION**

كتاب : بروتوكولات حكماء صهيون

تأليف : فكتور ماسدون

رقم ايداع : ٢٠٠٣ / ١٠٠٢٩

الترقيم الدولي : ٩٧٧- ٥٨٣٢-٣٥-٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

العربية

للنشر والتوزيع

١٩ شارع ٢٦ يوليو - وسط البلد - القاهرة

ت ٥٧٤٥٦٧٩ - م: ٠١٢٢٨٧٧٩٢١

## حقيقة بروتوكولات حكماء صهيون

الموضوع هو معرفة ما إذا كان بوسع المرء أن يتحدث عن العنصرية اليهودية من غير أن يتهم بأنه عنصري أو معاد للسامية.

ثمة صداقة تقليدية بين المسيحيين والمسلمين مستندة إلى القرآن:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾  
(القرآن - سورة المائدة، الآية ٨٢).

فباسم هذه الصداقة أود تقديم دعوى للمكتبة الإسلامية التي أقام عليها اللوبي اليهودي «ليكرا» دعوى قضائية لبيعها «بروتوكولات حكماء صهيون».

لقد درست، في الواقع، البروتوكولات، وكتبا أخرى تعالج الموضوع ذاته، وتوصلت إلى قناعة مفادها أن هذه البروتوكولات حقيقية، وأن الخطة السرية، لإيجاد حكومة يهودية عالمية ورد وصفها في هذه البروتوكولات، خطة موجودة فعلا.

يجب أن نعلم، قبل كل شيء، أن «بروتوكولات حكماء صهيون» سبق أن كانت موضوع العديد من الدعاوى أمام المحاكم.

في ٢٦ حزيران ١٩٢٢، تقدمت الرابطة الإسرائيلية - السويسرية بشكوى تطلب فيها أن تصنف كراسة «البروتوكولات الصهيونية» عملا أدبيا هداما وأن يحظر نشرها.

بناء على طلب محامى المتهمين، عُيِّنَ المقدم المتقاعد أولريش فليشهور، مدير «الدائرة العالمية» في مدينة ارفورت، خبيرا في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٤.

في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٥، قدَّم أولريش فليشهور تقرير أهل الخبرة<sup>(١)</sup>، وبرهن على أن اليهود وشهودهم لم يكن لديهم أية حجة دامغة على تزوير البرتوكولات، وأن الظروف كلها تشهد لصالح صحة هذه الوثائق وحقيقتها.

بعد صدور الحكم في المحكمة الابتدائية، الذي أصدره القاضى ميير في ١٤ أيار ١٩٢٥، عرضت القضية في ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٧ على محكمة الجنح التابعة لمحكمة الاستئناف في مدينة برن. وصدر الحكم في الأول من تشرين الثاني ١٩٢٧. وذلك بإلغاء حكم المحكمة

(١) «تقرير أهل الخبرة لقضية برن»، أولريش فليشهور، مطبوعات يو. بودونغ، ارفورت، ألمانيا، ١٩٢٥.



الابتدائية وتبرئة المتهمين. ولم يكن بوسع الكراسية أن توصف بأنها كتابة هدامة، لأنها لم تكن لها أية سمة لا أخلاقية، ولم تكن تحرض إطلاقاً على الجريمة. ويوصفها كتابة سياسية، فيجب أن تتمتع بحرية الصحافة.

لقد اعترف بعض اليهود، من ناحية ثانية، بصحة البروتوكولات وحقيقتها، ولا سيما الكاتب النمساوي آرثور تريبيتش، في مؤلفه الأساسي «الروح الألمانية واليهودية» (فيينا - ١٩٢١)، الذي أعلن فيه ما يلي: «لا يمكن أن يراود المرء أدنى شك في صحة كتاب «حكماة صهيون». ومن عرف مثلي، أن يستشعر الأفكار المطروحة في هذه الوثائق السرية، المتعلقة بما في حياتنا كلها الاقتصادية والسياسية والروحية من غايات ونيات، يمكنه أن يؤكد بثقة أنها تعنى جيداً تصريحات حقيقية. تحمل أثر الروح المطاطة لدى اليهود الذين يتطلعون إلى فرض هيمنتهم على العالم. إنها صحيحة وحقيقية لدرجة أنه قد لا يمكن أبداً لأي عقل أرى أن يدرك، بحال من الأحوال، أساليب الصراع هذه، وهذه المخططات، وهذه المكائد، وهذا التضليل». (الصفحة ٧٤).

على جميع من يعرفون كيف يفكرون، قراءة هذا الكتاب ودراسته ونشره ما وسعهم ذلك... لأننا في الوقت الحاضر، نمسك بين أيدينا ما لا يمكن أن ينتزعه منا أي مكر أو تكذيب أو أي كذب غبي أو أي شخص وقع سفيه: إنها الخطة المرسومة بوضوح، والمعدة منذ قرون بالروح نفسها، إنها الخطة الرامية إلى القضاء على كل حياة حرة لدى الشعوب، وذلك بهدف فرض الهيمنة الصهيونية العالمية، فوق خرائب أنظمة دول الشعوب والعروق الأخرى كافة:». (الصفحة ٢٨٦).

نجد اعترافاً مماثلاً جاء على لسان يهودي آخر هو ماركوس إيلي رافاج إذ يقول:  
«أنتم (أيها المسيحيون) لم تدركوا بعد عمق إجرامنا كله. فنحن دخلنا ونحن هدامون ونحن متمردون. لقد استولينا على عالمكم ومثالياتكم ومصيركم... لقد دسناها جميعاً تحت أقدامنا. لقد كنا السبب الأول (١)، ليس للحرب العالمية الثانية فحسب، بل لجميع حروبكم (تقريباً)، وليس للثورة الروسية فحسب، بل لجميع الثورات العظمى في تاريخكم. لقد أدخلنا الفتنة والفوضى إلى حياتكم الخاصة والعامة. ولا نزال نقوم بهذا إلى اليوم. ولا يمكن لأحد أن يقول لنا كم من الزمن سنستمر في التصرف على هذه الشاكلة».

(يهود وكاثوليك، الصفحة ٦٠، غراسيته، ١٩٢٩). رواية يان مونكومبيل، «المسؤولون الحقيقيون عن الحرب العالمية الثانية»، ١٩٨٢، الصفحة ٢٧٤.

(١) الاعتراف ذاته في البروتوكولات: «لقد سبق لنا عدة مرات، أن أرغمنا حكومات الفوييم على شن الحرب، بوساطة الرأي العام المزعوم». (الاجتماع الرابع).

في مجلة «عالم يودي» تاريخ ٩ شباط ١٨٨٣، يجد المرء هذا الاعتراف الآخر:  
 «إن المثل الأعلى العظيم لليهودية هو أن تخترق التعاليم اليهودية العالم قاطبة، وأن  
 تزول جمع العروق والديانات المتفرقة في إخوة شاملة للأمم - وهي يهودية أكثر اتساعاً-  
 (رواية بيير فيريون، «النظام الجديد للعالم»، الصفحة ١٠٥٥، مطبوعات تكني، ١٩٧٤).  
 «إن اليهود... ماضون في طريقهم للقيام تدريجياً بصهر الأفكار والأنظمة غير اليهودية  
 ضمن قوالب يهودية.» (عالم يودي، ٩ شباط، ١٨٨٣).

ظهر مقال في ٢٠ أيلول ١٩٥٧ في «بناي بريث ميسنجر» الصادرة في لوس أنجلوس،  
 يبرز عقلية مشابهة تماماً لعقلية مؤلف البرتوكولات (كاتب المقال شيوما بيوف لندن). يقول  
 المقال: «أقنعتني سنوات من دراسة الكتابات الصوفية الباطنية للقبلانية<sup>(١)</sup> والتلمود  
 والمدراش<sup>(٢)</sup> بأن خلاص البشر المنتظر منذ وقت طويل من قبل إسرائيل سيبدأ في العام  
 ١٩٦٨، وبعد عشر سنوات من الصراع، والحروب التي لم ير العالم بعد مثلها أبداً. إن هذه  
 المرحلة من العصر المسيحي معروفة من قبل من يعرفون باطن التوراة بزمان درب المسيح أو آلام  
 المسيح المنذرة.

«إنى أستند في ما استخلصته على الحسابات الرياضية للرسل القدامى والقبلانيين،  
 ولا سيما على أبحاث الشهير دوم إسحاق ابريانل (أو ابرافائل، ١٤٣٧ - ١٥٠٨)، الذي كرس  
 ثلاثة من كتبه الثلاثة عشر للمسألة المتعلقة بخلاص إسرائيل...»

«يشير سفر الإشراق بوضوح إلى العام ٥٧٢٨ من التقويم العبري، أي العام الميلادي  
 ١٩٦٧ - ١٩٦٨ كفترة للبداية الحقيقية للخلاص النهائي لإسرائيل. غير أننا سنرى بادئ ذي  
 بدء اثني عشر عاماً من الاضطرابات الضخمة في العالم قاطبة. وستتأثر الأنظمة السياسية  
 والاقتصادية الحالية. وروسيا، قوة الشر هذه، وهي ماجوج الذي ورد ذكره في نبوة حزقيال،  
 الأصحاح ٣٨ - ٣٩، ستبرز لبعض الوقت كالقوة العسكرية القاهرة، التي ستتشتر على الأرض  
 وتستعبد الشعوب التي تحب التوراة.

«سيمهد هذا كله الطريق أمام المسيح الحقيقي ابن داود، الذي سينفذ كموسى، إرادة الخالق...  
 «بعد هزيمة أعدائه في إسرائيل، سترضى شعوب الأرض كافة بهذا الزعيم اليهودي،  
 كما ستقبل أيضاً الدين الموسوي...»

اختصاراً لحسابات المسيح إذا الواردة في سفر الإشراق، فإن «النهاية» ستحل في العام  
 ٢٧٢ قبل نهاية الألف السادس، أي في العام ٥٧٢٨ (عبري) أو ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ميلادي، قبل

(١) القبلانية: تفسير اليهود للتوراة على نحو صوفي ورمزي حسب تقاليد الأقدمين (المترجم).

(٢) المدارش: التفسير اليهودي التقليدي للتوراة (المترجم).

الساعة، ١١،٢٠ مساءً بنحو دقيقتين. وبهذا يكون ليل النفى الطويل قد دام ١٩٠٠ سنة تماماً، لأن المعبد الثاني دُمّر في العام ٢٨٢٨.

(ترجم هذا وأعيد نشره من قبل «الوحدة الوطنية» في كانون الأول ١٩٥٧، مونتريال) (١).  
الجدير بالملاحظة أن كاتب هذا المقال يتوقع أن روسيا، المماثلة تماماً للملك مأجوج، الإصحاح ٣٨ و ٣٩ من نبوة حزقيال «سوف تستعبد الشعوب التي تحب التوراة» في حين أن يهوه يعلن للتبى حزقيال (متحدثاً عن مأجوج):

«بعد سنين طويلة، سيأتي نحو البلاد التي نجا أهلها من القتل واجتمعوا، بين حشد من الشعوب، على جبال إسرائيل المدمّرة منذ زمن بعيد. وسكنوا جميعاً في أمان، منذ أن انفصلوا عن الشعوب الأخرى.» (الإصحاح ٢٨، ٨).

«في ذلك اليوم، سينطلق مأجوج، عندها شعبى إسرائيل سيسكن في أنا.» (الإصحاح، ٢٨، ١٤).  
«سيهب مأجوج ضد إسرائيل شعبى.» (الإصحاح ١٨، ١٦).

سنعثر في منشورات «إسرائيل البريطانية»، على هذه الفكرة المتعلقة بتدمير الأقوام الكاثوليكية من قبل الاتحاد السوفيتي.

أما برنار لازار فيقول في كتابه «مناهضة السامية» ما يلي: «من غير القانون، ومن غير إسرائيل لممارسته، قد لا يكون العالم، وقد يدخله الله في العدم، ولن يعرف العالم السعادة إلا عندما يخضع للإمبراطورية الشاملة لهذا القانون.» (الصفحة ٣٠٧).

في العام ١٩٢٦، كان جان إيزوليه، وهو بروفيسور ماسونى فى كوليج دو فرانس، قد ألف كتاباً عنوانه: «باريس، عاصمة الديانات» أو «المهمة الاجتماعية لإسرائيل»، طبعة آلبان ميشيل. (كان جان إيزوليه أستاذاً للفلسفة الاجتماعية). وهاكم المحاور الأساسية فى هذا الكتاب: «فكرة توحيد الأرض بالتدريج، فكرة ماضية فى طريقها.» (الصفحة ٨٤).

«الدين جوهر السياسة بعينه، أو إن أردنا العنصر الثانى فيها، أو الثالث أو الرابع أو الخامس. ومن غير الحكومة الدينية والروحية، لن يمكن إيجاد حكومة سياسية واجتماعية. وإن لم يكن هناك امتثال داخلى للقانون «الشرعى». (الصفحتان ١١٨ - ١١٩). (اسمحو لى ونحن ماضون أن ألفت الأنظار إلى ما قد يثيره أستاذ فى الكوليج دو فرانس من صيحات وصراخ، إذا ما وجّه هذا الاقتراح إلى الكاثوليك بعدم إمكان قيام حكومة سياسية من غير حكومة دينية وروحية!).

ويتابع إيزوليه قائلاً: «هناك ديانة أخيرة أو ديانة أولى. وليس لهذه الديانة أى منطقة أو

(١) رواية بيير فيريسون (حكومة عالمية قريباً)، الصفحتان ٢٣٧ - ٢٣٨، طبعة تيكونى، ١٩٦٨.

أقليم، وهي حاضرة في كل مكان. إنها ديانة دولية ومشاركة بين القارات، وباختصار، إنها ديانة شاملة. إنها موسوية إسرائيلية.» (الصفحة ٥٠).

«إذا كانت إسرائيل تطمح إلى إنشاء إمبرطورية للعالم، فهذا من حقها تماما.» (الصفحة ٧٢).  
«العلمانية والدولية هما وجهها اليهودية.» (الصفحة ٥٦). أى أنهما الوسيلتان لانتزاع هوية الأمم بغير تهويدها!

يعلن الكاتب بعد ذلك: «يجب التمكن من دنيوة<sup>(١)</sup> كناستنا في الغرب أو الشرق على نحو سليم ومقدس. ومن هنا ينشأ توليف الديانات، في الديانة العالمية، التي ستترسى أسس الوحدة الروحانية، وبالتالي الوحدة السياسية للجنس البشري. وإن العرق الذي يتمكن من اختراق الصفوف أكثر نحو الأمام، من خلال سرية قوانين الخلق، ويتغلغل حتى قلب الكون، فله ولديانته، ستؤول السيطرة الروحية (والعالمية) على البشرية.» (الصفحة ١٨٤).

يرينا إيزوليه، أخيرا، أن إقامة نظام عالمي جديد تحت قيادة إسرائيل تسير في طريق وحيد الاتجاه ولا يمكن عكسها. وقد كتب أنه لقطع خط الرجعة يجب الإبادة أو الإبعاد أو الطرد أو التكييف. (الصفحتان ٢٤٠ - ٢٤١).

ويخلص قائلا: «إنهم ليسوا بالتحديد من الحالمين العاطفيين، إنهم شرسون كالمفامرين الإسبان، ولم يعد الأمر مجرد غزو أمريكا، بل غزو الكرة الأرضية برمتها.» (الصفحة ٢٥٥).  
يمكن القول، طبعا، أن هذا الكتاب من صنيع شخص مجنون، وأهم، ولكن هذا الأمر أصبح خطيرا، وذلك أن آلة الحرب هذه قد حصلت على موافقة سيلفان ليفي، رئيس «التحالف الإسرائيلي العالمي» بموجب رسالة أعيد نشرها في بداية الكتاب.  
يكتب س. ليفي بخاصة: أن المسائل المطروحة في هذا المؤلف «هي أصل اهتماماتي الحيوية». لنتأمل بادئ ذي بدء خطة السيطرة العالمية المعروضة في البروتوكولات، وبعد ذلك نقارن بين مختلف الكتب التي تعالج هذا الموضوع، ونرصد، أخيرا، الحدث السياسي، لنرى ما إذا كنا سنجد تطبيقا لهذه الخطة.

### ١ - خطة السيطرة اليهودية العالمية المعروضة في البروتوكولات

بوسع المرء بادئ ذي بدء إبداء ملاحظة بشأن الشكل: إذا كانت البروتوكولات باطلة وغير صحيحة، فبدلا من اعتماد المحاضر الرسمية لعرض الاجتماعات، وهذا شكل صعب وغير موافق، إذ يكثر فيه التكرار، ولا يحتوي أية خطة محددة تماما، كان بوسع الكاتب اختيار طريقة كتابة تقرير عن هذه الاجتماعات<sup>(٢)</sup>.

(١) جعل الشئ الكنسى دنيويا (الترجم).

(٢) هناك من ناحية ثانية جملة تتم عن هذا: «أمامنا خطة.» (الاجتماع الأول).

الواقع، أن الأمر لم يكن على هذه الشاكلة. فما هو أمامنا ليس خطة، بل طروحات صيغت من أجل خطة، وكانت صياغتها سطحية بدرجة كافية.

ويبدو أن المقصود مذكرة قدمت إلى المؤتمر الصهيوني المنعقد في بال في العام ١٨٩٧. لما كان الصهاينة يعدون العدة لإحياء دولة إسرائيل، فربما كان المقصود من طرح هذه البروتوكولات، دعوة الصهاينة إلى أن لا تغيب عن أنظارهم خطة أكثر اتساعا وأكثر صعوبة: وهي خطة السيطرة اليهودية العالمية.

هذا كما يبدو لي، التفسير الوحيد المقبول لوجود هذا النص الرديء جدا، سواء من ناحية الشكل أم المضمون.

ويمكن اختصاره بعبارة موسيس هس، الرجل الذي اعتنق اشتراكية كارل ماركس وأنجلز، وكان مؤسس الحزب الاشتراكي - الديمقراطي الألماني، والذي له قبر في إسرائيل. واليكم هذه الجملة: «إن الصراعات العرقية لها الأولوية، وصراع الطبقات لا يأتي إلا في الرتبة الثانية». موسيس هس، روما والقدس، المكتبة الفلسفية، نيويورك

لم يكن موسيس هس يخفى، من ناحية ثانية، أن هدفه كان «تسديد الطعنة القاضية للدين في القرون الوسطى». (القس ويتشارد وورمبران، «كارل ماركس وإبليس»، الصفحة ٧٠، رسالة المطبوعات، ١٩٧٦).

هذه الخطة، من ناحية ثانية، ذات سذاجة نموذجية: إذ تتوقع البروتوكولات، أن الأمم المسحوقة بين تجاوزات الليبرالية والجماعية، والناسية للمذهب الاجتماعي للكنيسة، الذي ينادى بالتعاون والوفاق بين أرباب العمل والعمال، (الانسجام الاجتماعي الذي نجمت عنه، من ناحية ثانية «المعجزة الألمانية» منذ نحو ٣٠ عاما)، هذه الشعوب التعيسة سترتمى إذا في أحضان حكومة يهودية عالمية كما تستسلم لمنقذها؛ يجب على المرء أن يكون يهوديا طبعا ليتخيل مثل هذا الضلال والمروق، حيث يدافع عندئذ عن مصالح اليهود كالماسوني إيزوليه؛ في حين أن العالم يرى اليهود وهم يدمرون الشعوب الأخرى، بإبادتها إبادة جماعية، ولا سيما الإبادة المخادعة، التي تأخذ أشكال الإجهاض ومنع الحمل والتعقيم كما سنرى في الجزء الثالث، المخصص لبحث تحقيق خطة السلطة اليهودية الخفية حاليا.

١ - إليكم بعض المقتطفات من البروتوكولات المتعلقة بالتخطيط لاستسلام الأمم لليهود: «إن حرية العمل، التي أرسخناها في أذهان الفويم(١)، توهن القوى عندما تصطدم بحرية الآخرين، وينجم عن هذا إخفاق وخيبة أمل وهزات أخلاقية.

«سينفدنا هذا كله، في النهاية، في إرهاب الفويم لدرجة نرغمها فيها على أن تقدم لنا السيادة الدولية». (الاجتماع العاشر).

(١) اسم يطلقه اليهود على الشعوب غير اليهودية ولا سيما المسيحيين (المترجم).



«الشعوب اليائسة بسبب الفوضى والإفلاس الأخلاقي لدى حكوماتها مهما كانت، ستصرخ: «اعزلوهم جميعا، وامنعونا زعيما واحدا، يصبح ملكا على الكون، ويكون من دم صهيون، يعرف كيف يوحدنا ويزيل أسباب فوضانا.» (الاجتماع العاشر).

يجب تعكير صفو العلاقات بين الشعوب بلا انقطاع، وبين الشعوب وسلطاتها الحكومية. (وهذا ما يفعله حاليا في فرنسا اللوى اليهودى مراب،، واللوانى ليكرا، واللوى العنصرى سوس، التى تسعى إلى إثارة المهاجرين ضد الفرنسيين، بغية التوصل إلى ركاب من الدسائس لتحقيق انقلابهم. وهذه اللويات، من ناحية ثانية، لم تتطرق أبدا إلى الحديث عن الوضع الحزين للشعب الفلسطينى فى إسرائيل، ومصير الفلسطينيين الذى يرثى له فى لبنان، حيث انتهى بهم المطاف إلى الموت جوعا محاصرين بالميليشيات). وهكذا سينهك العالم من جراء الخلافات والعداوات المتبادلة، والصراعات والمنافسات، وحتى الموت من أجل قضية، ومن جراء إبادة الشعب المعروفة بحملها وتصبرها (كالروس والهنود وغيرهم)، والمجاعة والتفكيح بالأمراض الوبائية، التى لم يعرف البلمس المضاد لها إلا علماؤنا، ومن جراء المأسى، بهدف سد المنافذ جميعا أمام الشعوب غير اليهودية، فتستسلم لهيمنتنا المالية، وهيمنة احتكاراتنا، ويجب ألا ندع لها فرصة، وإلا فإن نتيجة عملنا السابق قد تجعلنا نرتقب ما لا نشتهى.» (الاجتماع التاسع).

«سيضع ملك سلالة داود على رأسه التاج الذى تقدمه له أوربا.» (الاجتماع الرابع عشر).

«ستصبح الشعوب منهكة للغاية من جراء تبدلات النظام، التى ندفع إليها الشعوب غير اليهودية، لتقوم بتقويض جهازها الحكومى، لدرجة أنها ستفضل قبول كل ما سنفرضه عليها وهذا خير لها من المخاطرة والوقوع ثانية فى الآلام والشقاء، ولا سيما أننا سنركز فى انتقاداتنا السياسية، على أخطاء حكومات الفوييم، التى عذبت البشرية خلال قرون...» (الاجتماع السابع عشر).

«وسنمضى بهذه الشعوب من خيبة أمل إلى أخرى، لكى تتخلى أخيرا عن كل شئ، لصالح الملك الطاغية المستبد الذى نعدّه للعالم.» (الاجتماع السابع عشر).

غير أنه من المسلم به أعلاه، أن «مؤسسات الفوييم كانت تعمل قديما ضمن نظام قاس متشدد ولكنه عادل، وهو الذى استبدلناه بفوضى ليبرالية غبية ومستبدة.» (الاجتماع الثالث). لا يبدو على واضع هذه الخطة أنهم فكروا فى أن الأمم إذا عادت إلى الملكية، فستفضل، لا شك، أن تختار ملكا عليها أحد المنحدرين من إحدى سلالاتها القديمة، التى حكمت بلادها، خيرا من أحد اليهود، وستفضل أيضا العودة إلى المسيحية، وهى ترى ما أوصلتها إليه الأخطاء الليبرالية والاشتراكية، وكذلك العلمانية؛

يدون الكاتب بسداجته، في الواقع ، ما يلي:

«لم يبق إلا بضع سنوات تفصلنا عن تقويض الدين المسيحي، أكثر خصومنا رهبة بسبب نظرياته المتعلقة بما وراء الطبيعة والحياة المستقبلية.» (الاجتماع السابع).

«لقد سبق أن تعهدنا أن نُفقد رجال الدين سمعتهم ومكانتهم لدى الفوييم، وأن ندك بهذا رسالتهم التي ربما شكلت عقبة في طريقنا. ونفوذ القساوسة على الشعوب ماض في التناقص دائما.» (الاجتماع السابع).

«لم نعد إلا على بضع خطوات من هدفنا، وهذا رسم لجميع الطرق التي سرناها، ورسم للمسافة القصيرة التي بقي علينا أن نجتازها لكي تكتمل دائرة الثعبان الرمزي، رمز شعبنا. وعندما ستفلق هذه الدائرة نهائيا، فإن دول أوروبا كلها ستجد نفسها محاصرة بما يشبه المخالب القوية.» (الاجتماع السابع عشر).

«قليل من الوقت أيضا، والفوضى والخراب سيزعزعان جميع المؤسسات القائمة.» (الاجتماع الثاني عشر).

ولكن مهما بلغت هذه الخطة من فظاظة ، فمن الثابت أنها تتحقق وأن:

٢ - الأمم تتخبط بين الأفضاخ المتعارضة لليبرالية والماركسية، اللتين أطلقهما اليهود كليهما: فأما الماركسية، فلا حاجة إلى التذكير بأسماء موسى هس، وكارل ماركس، وانجلز، وفوير باخ. وأما ما يتعلق بالليبرالية فقد أخذت أكثر أشكالها دقة من قبل داهيد ريكاردو، وهو يهودي يرتفالي ، أطلق اسمه على قانون اقتصادي مزعوم، وبموجب هذا القانون ، وعندما تتسف الهيئات التي تحمي العمال، يمكن للمقاوم أن يحصل من العامل على أقصى قدر ممكن من العمل مقابل أقل أجر، متبعا تماما للأجير قدرته على العمل؛

نعثر في البروتوكولات على العقلية ذاتها:

«سنقدم أنفسنا كمحررين للعمال، بأن نعرض عليهم الانضمام إلى صفوف حشودنا من الاشتراكيين، والفوضويين المتمردين على السلطة والشيوعيين، الذين نساندهم دوما باسم مبدئنا المزعوم في التضامن الأخوي. والأرستقراطية التي كانت تستفيد، رأسا، من عمل العامل، كانت لها مصلحة في استخدام العامل المغدَى جيدا والمتمتع بصحة جيدة، والقوى النشط.

«بينما نحن، على العكس، لنا مصلحة تامة في رؤية عاملنا جائعا ضعيفا، لأن الحرمان يخضعه لإرادتنا، ولأنه في ضعفه، لن يجد قوة ولا طاقة لمقاومتنا.».

«إن المجاعة تمنح رأس المال حقوقا أكثر قدرة تجاه العامل، لم تمنحها أبدا سلطة السيد للأرستقراطية. ومن خلال البؤس وما يثيره من أحقاد حسودة، ندس بدهاء ونحرك طبقات العمال ونستخدم أيديهم لسحق من يضايقونا» (الاجتماع السابع والعشرون)<sup>(١)</sup>.

«لقد كبلنا الشعوب ذات الأشغال العنيفة ببؤس أشد مما كانت تعانيه قديما بسبب الرق والعبودية اللذين أمكنها تجاوزهما، بينما لم تتمكن من التحرر من البؤس.» (الاجتماع السابع والعشرون).

«نحن نهدم بمهارة وعمق موارد الإنتاج ذاتها، وذلك بتعميد العمال على عادة تعاطى المشروبات الروحية» (الاجتماع السادس والعشرون).

لما كان هذان الوحشان المتافسان، الليبرالية والماركسية، من ابتكار اليهود، فيمكن لواقع البروتوكولات أن يؤكد:

«كان علم الاقتصاد السياسى من ابتكار حكمائنا» (الصفحة ٧١، الاجتماع العاشر)

لم يعد العمال، بالطبع، فى وضع مرهق بعد ليبرالية القرن التاسع عشر، ولهذا كد اللوى الصهيونى لتكوين بروليتاريا أخرى، من خلال العمال المهاجرين، بغية وضع طبقة من العمال تحت يدنا؛

وهى الواقع، «أن تهك الدولة من جراء اضطراباتها الداخلية أو أن تدفع بها الحروب الأهلية إلى تسلط الأعداء الخارجين، فإنها فى هذه الحالة أو تلك، تُعدّ ضائعة نهائيا، وتحت سيطرتنا» (الاجتماع الأول).

لنر بادئ ذى بدء قيام الليبرالية:

«شعارنا الذى نادينا به: «حرية، مساواة إخوة»، قاد إلى صفوفنا من أربعة أركان الأرض، بفضل عملائنا العميان، أفواجا كاملة تحمل راياتنا بحماسة. ومع ذلك فإن هذه الكلمات كانت كالديدان القارضة التى تلتهم ازدهار الفويم، مخربة السلام والسكينة والتضامن فى الامتثال للقوانين، مقوضة جميع أسس دول هؤلاء الفويم. وهذا بالضبط ما يساهم فى تحقيق النجاح الباهر لنهجنا فى الاستيلاء، سلميا، على العالم. وعندها نستطيع التمكن من إلغاء المزايا والامتيازات، وهى أصل الأرستقراطية ذاته لدى الفويم، هذه الأرستقراطية التى كانت للشعوب والأوطان السور الطبيعي الذى يقف فى وجه تحركاتنا» ( الاجتماع الأول).

«أتاح المفهوم المطلق للحرية إقناع الجماهير الشعبية بأن حكومتها ليست سوى وكيل

(١) هناك مقطع مماثل يقول: «عندما يصبح من الضرورى لنا اللجوء إلى القيام بقلب نظام الحكم نهائيا، فإن الطبقات الدنيا من الفوين ستسير ضد منافسينا على السلطة: الذين هم مثقفو الفويم.» (الصفحة ٦١، الاجتماع السادس).

مالك البلد، الذي هو الشعب، وبأنه يمكن تغيير هذا الوكيل كما تغير القفازات البالية. وخيارات الشعوب هي التي وضعت بين أيدينا إمكانات العزل هذه عمليا، (الاجتماع الأول).  
«نحن كالقائد العام، نصول ونجول على رأس جميع حشودنا من المتحررين، (الاجتماع الثالث).

«ولقد نمينا الأنانية والجشع لدى العملاء المكلفين إعادة نشر النظام، بتقدمنا للفوييم طُعم الليبرالية وطُعم الإخلال بالواجب»، (الاجتماع السابع).  
«عندما أفسدنا الجهاز الحكومي بالليبرالية، هذا لاسم القاتل، تغير مجموع الحياة السياسية للدول كافة، (الاجتماع الحادى عشر).

لم يعد للبرالية، في الواقع، من مثل أعلى تقدمه، ولا قيم تحتفظ بها، لم يبق لها سوى شعار واحد، كما يقول غيزو: اغتوا، الأمر الذي أسفر عن شبيبة خاب أملها وخاب ظنها، ومن غير مثل أعلى. وفي الدولة ذاتها، يلاحظ أن القضايا الاقتصادية هي التي تشغل المسرح السياسي كله. (ليس هناك سوى اللجوء إلى المشادات إبان الانتخابات البرلمانية الأخيرة، في فرنسا).  
لقد أقتننا الفوييم بأن الليبرالية ستقودهم إلى سلطان العقل، (الاجتماع السابع والعشرون).

«بقدر ما نرسخ في أذهان الفوييم أفكار الليبرالية، يترامى للشعوب، أن السلطة تقدم، باسم الحرية، امتيازات وتمنح اتفاقات. وتستتج الفوييم أنها تشكل قوة، يمكن الاعتماد عليها، وظنا منها أن حقوقها تساوى حقوق قادتها، فإنها تنقض على السلطة؛ غير أنها مثل سائر العميان، ستصطلمم آتئذ بمقبات لا تعد ولا تحصى.. ولدى وقوعها بين أيدينا ستضع مصيرها عند أقدام عملائنا»، (الاجتماع السابع عشر).

«نحن الذين زرعنا الشقاق بين الأحزاب، لأنه لتوجيه الصراع بين الأحزاب يلزم شئ من المال، ونحن الذين نملك المال كله» (الاجتماع الثالث).

«ربما بوسعنا أن نخشى قيام تحالف للقوة، يتمتع ببعد نظر متفاوت، بين حكومات الفوييم والقوة العمياء للشعب، غير أننا. أقمنا بين هاتين القوتين جدارا صلبا من عدم الثقة المتبادل، (الاجتماع الثالث)» (١).

(١) سيختل قريبا ميزان الدساتير الحديثة، لأننا أثناء صياغتها حرفنا آلهتها، بشكل تغفل فيه كفتنا هذا الميزان باستمرار فيميل إلى هذا الطرف أو ذلك... وفي نظر الشعب، يأفل نجم الملوك خلف ممثليهم... ولما كان لدى الملوك شعور بالخوف من الشعب، فإنهم لا يستلمون التفلل بين صفوفه للتاهم معه، كما كان في الماضى، للاعتماد عليه في حمايتهم من مفتصبى السلطة. إن سلطة الملوك البعيدة النظر وسلطة الشعب العمياء، إذا ما قمنا بتقريبهما عن بعضهما بعضا، فقدنا كل أممية وأصبحتا بذلك عاجزتين وممزولتين كالأعمى الذى فقد عصاه، (الصفحة ١٢٩، الاجتماع السابع والعشرون).

«لقد أحدثنا الاضطراب والخلافات والعداء والحقد» (الصفحة ٥٦، الاجتماع الرابع).  
 «قد تكون الحرية مسألة وراسخة، إذا ما قامت على مبادئ الإيمان بالله، والاخوة الإنسانية... والشعب المحكوم يمثل هذا الإيمان، قد يسير بسلام وتواضع تحت وصاية الكنائس الخورية، الخاضعة للقواعد الإلهية.. لهذا علينا أن نقوض دعائم الإيمان، ونتزع من نفس الفويم كل فكرة عن الله والروح واستبدالها بقوانين رياضية، وبالشهوات والمكاسب المادية». (الاجتماع السادس).

«بدعوة الفويم إلى الليبرالية، فتحن نبقى شعبنا في طاعة شديدة، لأنه حيثما توجد الطاعة، يوجد النظام، وحيثما يوجد النظام، يوجد السلام والرفاه». (الاجتماع الخامس عشر).

«سيناقش فلاسفتنا ومنتقدون جميع الثغرات في معتقدات الفويم، لكن الفويم لن يتمكنوا من القيام بالمثل تجاه ديانتنا، لأنه لا أحد يعرف أسرارها، ما عدا العالمين منا بالتلمود وحاخاماتنا، وأولئك لن يخونوا أبداً، لأن فيهم تكمن جميع قوة سلطاتنا على رعيتنا» (الاجتماع السابع عشر).

«إذا ما رفعت بعض الحكومات صوتها ضدنا، فهذا ليس سوى أمر شكلي محض لتحريضنا، لأن نزعتهم المعادية للسامية، ضرورية لنا للسيطرة على إخوتنا الأدنى منا» (الاجتماع الثالث).

إزاء هذا، يرى المرء أن هذه الخطة لا تهدف إلى استعباد الأمم كافة فحسب، بل إن اليهود سبق أن كانوا أيضاً عبيداً لحاخاماتهم العارفين بالتلمود!  
 «بعض الطوباويين.. ما زالوا يقدمون النفع لنا، لأنهم يوجهون النفوس نحو نظريات خيالية، ويحولونها عن الواقع، ولقد نجحنا في إفقاد الرؤوس صوابها جميعاً، من خلال فكرة التقدم.. ولا توجد سوى حقيقة واحدة، وهي كحقيقة، لا يمكنها أن تتقدم.. ويستخدم التقدم في حجب الحقيقة، لكي لا يتمكن أحد من معرفتها، ما عدانا... نحن حراس الحقيقة بشأن سر العلاقات البشرية وخيرها ومنفعتها، هذه الحقيقة التي تحتفظ بها وراء الحجب حتى لحظة انتصارنا النهائي» (الاجتماع الثامن عشر).

ربما كان سيدنا عيسى - المسيح قد أعلم بهذا الخصوص ما يلي:

«الويل لكم، يا علماء الشريعة! استوليتم على مفتاح المعرفة، فلا أنتم دخلتم، ولا تركتم الداخلين يدخلون!» (إنجيل القديس لوقا، الأصحاح ١١، ٥٢).

«تتضاءل هيبة السلطة عندما تعرض المؤامرات التي تحاك ضدها أمام أعين العامة. وإن كشف المكائد المتكرر قد يحمل على الاعتماد بأن السلطة ترتكب الأخطاء، أو أنها ضميعة،



ويمكن لهذا كله أن يثير السخط والاستياء.. وقد حططنا من هيبة ملوك الفويم بمؤامرات متكررة تستهدف حياتهم حاكما عملاؤنا، وهم خرفان عمياء، كان من السهل دفعهم، من خلال بعض الجمل الليبرالية الرنانة، لارتكاب هذه الجرائم السياسية، (الصفحة ١١١، الاجتماع العشرون).  
«لقد حاولنا نشر فكرة ضرورة فرض العقوبات الرادعة غير العادية بحق العصاة والمتمردين، وفي الوقت نفسه، أشدنا بشهادة مزعومة لشهيد الخلاص العام، ومثل هذه الإشادة ضاعفت عدد هؤلاء الليبراليين - الشهداء، شهداء الحق، الذي هو الحقيقة المزعومة، وقد جر هذا وراء آلاف الخراف من الفويم إلى صفوف أرقائنا الطائعين» (الاجتماع العشرون).

لنر الآن الفك الآخر من الكماشة: الشيوعية + الاشتراكية:

«لقد أعدنا إلى الفويم موضوعها المفضل، وهو الحلم باستبدال النزعة الفردية البشرية بالوحدة الرمزية الجماعية» (الاجتماع الخامس عشر).

«عندما سنحكم، فإن الحق الذي يمكن لكل شخص أن يشتريه أو يبيعه لن يمنح للفويم. وللتمكن من هذا، فإن أفضل وسيلة هي تجريد الأرستقراطية من ملكية أراضيها؛ ويمكن بعد ذلك فعل الشيء ذاته تجاه الفلاحين. والطريقة الأكثر فعالية... هي رفع الضرائب والرسوم العقارية، وتبشير آخر، إخضاع الأرض للديون» (الاجتماع السادس والعشرون).

يذكرنا هذا بمقطع من سفر الرؤيا:

«وأن يجعل جميع الناس، صفارا وكبارا، أغنياء أو فقراء، أحرارا أو عبيدا، على أن يضعوا سمة على يدهم اليمنى أو جبهتهم، فلا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع إلا إذا كان عليه سمة باسم الوحش أو بعدد اسمه.

«وهنا لا بد من الحكمة: من كان ذكيا فليحسب عدد اسم الوحش. هو عدد اسم إنسان، وعدده ستمئة وستة وستون» (سفر الرؤيا، الأصحاح ١٣، ١٦ - ١٨).

يروى تيودور هرتزل أنه خلال رحلته الأولى إلى إنكلترا في العام ١٨٩٥، التقى مع ضابط يهودي، يدعى غولد سميد، الذي قال له إن أفضل وسيلة لنزع ملكية الأرستقراطية الإنجليزية والحد من تأثيرها في الشعب، كان إتمام كاهل الأرض بضرائب باهظة. وقد وافق هرتزل على هذه الفكرة. («بروتوكولات كبير زعماء صهيون»، لمؤلفه مارسدن، الصفة ٦، «التاريخ اليهودي»، ١٤ تموز ١٩٢٢).

أوصلت انتخابات العام ١٩٠٦ الليبراليين إلى السلطة، وبعد فترة قصيرة أقرت ضريبة عقارية باهظة، لدرجة أن الكثيرين من النبلاء لم يعد أمامهم سوى بيع أملاكهم أو الزواج من يهوديات ثريات.

«ولكى لا ترى الغوييم خفايا الأمور قبل الوقت المحدد، سنخفيها بحجة رغبتنا فى خدمة الطبقات العاملة والمبادئ الاقتصادية العظيمة التى أعلنت عنها نظريات الاقتصادية، (الاجتماع السادس والعشرون).

«سنقدم أنفسنا على أننا محررو الطبقات العاملة بأن نعرض عليها الانضمام إلى صفوف حشودنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين، - الذين نساندهم دوما باسم مبدأ التضامن الأخوى المزعوم، (الاجتماع السابع والعشرون).

٢ - العنصرية المتمثلة فى البروتوكولات تطابق تماما العنصرية المثارة فى التلمود والقبلائية.

«أعضاء مجلس الشيوخ أنفسهم والهيئة الإدارية العليا يتبعون، بغياء، نصائحنا وإرشاداتنا. وأسوق لكم هنا دليلا جديدا على فقر المخ البهيمى لدى الغوييم، هذا المخ العاجز عن التحليل والملاحظة» (الاجتماع الثامن).

«روح الغوييم بهيمية محضة، فهى ترى ولكن لا تتوقع أبدا، واختراعاتها ذات طابع مادى حصرا. وينجم عن هذا كله أن الطبيعة ذاتها قد اختارتنا منذ الأزل لقيادة الغوييم وحكم العالم» (المصدر نفسه، الاجتماع الثامن).

«نعود إلى موضوع الغوييم المفضل، وهو الحلم باستبدال الفردية البشرية بالوحدة الرمزية للجماعة... وحقيقة أننا استعلمنا الوصول بالغوييم إلى مثل هذا العمى تبرهن إلى أى مدى يتدنى تطورها العقلى بالمقارنة بنا، ومخها فى مستوى مخ الحيوانات، وهذا هو الدليل على اصطفائنا وذلك ما يعطينا ضمانة النجاح، (الاجتماع الخامس عشر).

تبدو بعض المقاطع الأخرى متناقضة نوعا ما، مع المقاطع التالية:

«لكى لا يكون لدى الغوييم وقت للتفكير والملاحظة، يجب توجيهها إلى الجشع للريح، بوساطة الصناعة والتجارة» (الاجتماع السادس).

ليست الأمم هذه المرة هى التى لها عقل حيوانى، بل هم اليهود الذين يسمون لمنعها من التفكير!

«عندما يصبح ضروريا إحداث انقلاب عسكرى نهائى، فإن الطبقات الدنيا من الغوييم ستزحف ضد منافسنا على السلطة: وهم من متقى الغوييم» (الاجتماع السادس).

كيف يمكنهم أن يكونوا منافسين، إن كان لهم عقل حيوانى؟

«أما الغوييم الأذكياء ، فسنتجح فى اقتلاعهم من تربتهم» (الاجتماع السادس والعشرون).

مازلت أنتظروا

«سنمنع الأشخاص ذوى القيمة من أن يلمع نجمهم» (الاجتماع الثانى).  
«يظل المجال الأدبى مغلقا على عدد محدد من المواهب الكبيرة، التى إن لم تخضع لأوامرنا،  
فلن نتمكن من اختراقه» (الاجتماع الثالث عشر).

كان المؤرخ فلافيوس جوزيف بعيدا عن إبراز مثل هذا الاحتقار تجاه الأمم، حينما كتب  
مايلى:

«سيبدي المرء إعجابه بفضيلة الرومان، الذين لم يكونوا يعلمون خدمهم المعتادة فحسب، بل  
أيضا فن الحرب. وإذا تأملنا نظامهم القتالى، ندرك جيدا أن قيادتهم للعالم كله لم تمنح لهم  
مصادفة، بل من خلال حكمتهم وجدهم. وفى الواقع، كانوا فى أثناء السلم، كما لو أنهم ولدوا  
مع أسلحتهم، فهم لا يفترقون عنها أبدا، وكان الجنود، من غير أن ينتظروا الفرصة، يتديرون  
فى الأيام كافة، كما فى زمن الحرب. لهذا كانوا يشمرون بالحرية فى أثناء القتال، ولم يكن  
الخوف يستولى عليهم، ولا التعب يثقل كاهلهم، ولا الفوضى تحطم نظامهم. ونجم عن هذا  
نصر محقق دوما على أعدائهم. ولايجانب الحقيقة ربما كان يسمى تدريباتهم والعابهم  
معارك مواجهة مخططة من غير سفك دماء» (الاستيلاء على القدس، الصفحتان ١٩٢ -  
١٩٣، طبعة دو روشيه، ١٩٦٤).

الحاخام حنانيا، حاخام أكبر قال: «صلوا من أجل رفاهية الإمبراطورية: لأنهم إن لم يكونوا  
يخشون منها لربما افترسنا بمضنا ومضنا ونحن أحياء» (ببركيه آبيت، نصوص حاخامية  
جوزيف يونسيفن، قيمة النسخة ١٩ دولاراً، المعهد التوراتى الحبرى، روما، ١٩٥٥).  
يشرح إسرائيل شاهاك أنه، بالنسبة للعلم الروحانى اليهودى، الذى أصبح عصريا أيضا فى  
بعض المناطق، فإن غير اليهود «يُعتون كأنهم عناصر إبليس تماما، والمدد القليل ممن ليسوا  
أبالسة؛ أى الذين يهتدون إلى اليهودية، فهم فى الواقع «أرواح يهودية» تاهت عندما اغتصب  
إبليس السيدة القديسة أو شيخينه» (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مجلة خمسين،  
العدد ٨، ١٩٨١، الصفحة ٢٩، إيتاكابرس، ١٢ شارع ساوثورك، لندن س إى آ).

«مقاطع التلمود الموجهة ضد المسيحية أو ضد غير اليهود اختفت أو عدلت. وعبارات  
«غوييم»، «غير اليهود»، «أجانب»، استبدلت بعبارات مثل «وثنيين»، أو حتى «كمانى» أو «سامرى».  
بعد احتلال البريطانيين للهند، ادعى بعض الحاخامات بأن العبارات المحقرة ولا سيما  
الشائنة، لم تكن تستخدم إلا ضد الهندوس. وأحيانا، أهل البلد الأصليون فى أستراليا، كانوا  
يضاهون إلى هذه اللائحة من كباش الفداء.

«عقب قيام دولة إسرائيل، وعندما شعر الحاخامات بالأمان، عادت إلى الطيمات الجديدة كافة، جميع العبارات والمقاطع المهينة الجارحة من غير تردد. وهكذا ندرُس حالها للأطفال اليهود بعض النصوص من أمثال النص الذي يأمر كل يهودى مار بالقرب من إحدى المقابر أن يبارك هذه المقبرة إن كانت يهودية ويلعن أمهات الموتى إن لم تكن المقبرة يهودية» (المصدر نفسه، الصفحتان ٢٥ - ٢٦).

يتساءل ميمونيد (١) فى نهاية مؤلفه «دليل التائهين» عن فروع البشرية التى يمكنها أن تبلغ القيمة الدينية العليا، وهى عبادة الله الحقيقية. ومن بين غير القادرين على الدنو من هذه الدرجة، هناك كما يقول: «بعض الأتراك (أى المغول)، والبدو الرحل فى الشمال والزنوج، والبدو الرحل فى الجنوب، ومن يشابهونهم فى بلادنا. فطبيعتهم كطبيعة الحيوانات الخرساء، وأنا أرى أنهم ليسوا فى مستوى الكائنات البشرية، غير أنه فوق مستوى الحمار، لأن لهم صورة وشبهها بالإنسان أكثر من الحمار» (الكتاب الثالث، الفصل ٥١، الصفحة ٣٧).

باختصار «إن فناء يملكه أحد «الفوييم» مثل ماوى دابة»، هذا ما كتب فى التلمود (معاودة أروبيم، جوزيف بونسيغن).

«سأثيرهم بوساطة أمة غبية» (تشية الاشتراع، الأصحاح ٢٢، ٢١، رواية القديس بطرس، رسالة إلى روما، الأصحاح ١٠، ١٩). ومع ذلك فإن النصوص الواردة فى التلمود والقبلانية بعيدة عن روح التوراة:

«لن يكون لديكم سوى قانون واحد، للأجانب كما للمواطن» (سفر المدد، الأصحاح ٩، ١٤).

«سنشرون العدل بين المرء وأخيه أو الأجنبى المقيم عنده.. ولن تحابوا أحدا فى أحكامكم» (تشية الاشتراع، الأصحاح ١، ١٦ - ١٧).

«أقام يهوه العدل بحق اليتيم والأرملة، وهو يحب الأجنبى، الذى يعطيه الغذاء والكساء.. ولا يحابى أحدا» (تشية الاشتراع، الأصحاح ١٠، ١٧ - ١٨).

المقصود: تماما هم الأجانب، وليس الوثنيين المتهودين، لأنه مكتوب ما يلى:

«لن تزعم الأجنبى ولن تضطهده، لأنكم أنتم كنتم أجنبى فى بلد مصر» (سفر الخروج، الأصحاح ٢٢، ٢٠). والحال أن الإسرائيليين كانوا أجنبى ولم يكونوا وثنيين متهودين فى مصر، ولا سيما أنهم لم يمتقوا ديانة المصريين.

فلنتابع ما نورده من التوراة.

«لأنك نوبت العديد من الأمم،

(١) موسى ميمونيد: طهيب وعالم باللاهوت وفيلسوف يهودى (١١٣٥ - ١٢٠٤). وقد حاول التعريب بين اليهودية وفكر أرسطو (الترجم).

فإن كل ما بقى من شعوب سينهيك،  
لأنك سفكت الدم البشرى، واغتصبت البلد،  
والمدينة وكل من يسكنها» (حقوق، الإصحاح ٨، ٢).

«إنه عار بيتك الذى صممت عليه:  
بتغلبك على العديد من الشعوب.

عملت ضد نفسك» (حقوق، الإصحاح ١٠، ٢).  
«ويل لمن بينى مدينة فى الدم.

ويؤسس حاضرة على الظلم.» (حقوق، الإصحاح ١٢، ٢).  
كان ملاخى (١) يأخذ على الكهنة ما يلى:

«لقد جعلتم عددا كبيرا منهم يتعشرون بوساطة الإرشاد، ولم تصونوا سبلى، غير أنكم  
حاييتم بعض الأشخاص فى إرشادكم» (ملاخى، الإصحاح ٢، ٨ - ٩).  
حتى إن المرء يجد فى التوراة بعض الآيات لصالح الفلسطينيين:  
«الفلسطينى هو أيضا سيكون الفضلة لربنا، وسيكون كأمة فى يهودا» (زكرياء،  
الإصحاح ٧، ٩).

«فى القبيلة، حيث يسكن، هناك ستمطون للأجنى ميرائه» (حزقيال الإصحاح ٤٧، ٢٣).  
 نجد كذلك فى التوراة آيات تنتقد التلمود مباشرة:  
«هذا الشعب قريب منى بالقول ويسبحنى بشفاهه، لكن قلبه بعيد عنى وخشيته ليست  
سوى درس تلقنه، وصية بشرية» (أشعيا، الإصحاح ٢٩، ١٣).  
«إن جميع ما أمركم به، ستحفظونه وتمارسونه، من غير أن تضيفوا إليه أو تحذفوا منه،  
(تشية الاشتراع، الإصحاح ١٣، ١).

«لن تضيفوا شيئا إلى ما أمرتكم به ولن تحذفوا منه شيئا، ولتكنكم ستحفظون وصايا  
يهوه أبيكم كما أمرتكم بذلك» (تشية الاشتراع، الإصحاح ٤، ٢، آخر نصوص موسى).

حسب المبدأ التلمودى الذى يقول: «اليهودى الذى يقتل وثليا يذهب فقط بذنب ضد  
الشريعة السماوية ولا يستحق العقاب أمام المحكمة» (إسرائيل شاهاك، مجلة خمسين، العدد  
٩ - ١٩٨١، «الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود»، الصفحة ٢٦)، وتعلن البروتوكولات ما يلى:

(١) أحد أنبياء إسرائيل، ظهر فى النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد. مهد للإصلاح الدينى  
الذى قام به نعمها (المترجم).



«أعدُّ حكماؤنا خطط استعباد الفويم وأعطونا هذا المبدأ الأساسي وهو ألا نقف أمام الوسائل، وبأمرتنا بأن لا نقيم وزنا لعدد الضحايا الذين نضحى بهم لتحقيق قضيتنا النافعة الجادة. ونحن لم نحسب عدد الفويم الذين كانوا يسقطون على درينا، (الصفحة ٩٥، الاجتماع الخامس عشر).

«الغاية تبرر الوسيلة، وقد كلفنا هذا، التضحية بالكثير من أهلنا، وكل من هذه الضحايا يساوى أمام الله الآلاف من الفويم» (الصفحة ٦٩، الاجتماع التاسع).

ليست هذه أبدا تعاليم التوراة، حيث أمر يهوه الإسرائيليون بأن يندروا له كل ولد بكر، لأنه أمات الأولاد البكر للمصريين. (سفر الخروج، الإصحاح ١٣، ١٥).

وفيما بعد، كان الأولاد البكر للإسرائيليين يستبدلون باللأويين:

«يقول الرب لموسى: إننى احتفظ لنفسى باللأويين من بين الإسرائيليين، بدلا من كل ولد بكر لأم من الإسرائيليين. وسيكون اللأويون لى. ويوم ضربت الأولاد البكر جميعا فى مصر، احتفظت لنفسى بكل ولد بكر لإسرائيل» (سفر العدد، الإصحاح ٣، ١١ - ١٢).

أما بخصوص الأولاد البكر الـ ٢٧٢ للإسرائيليين الذين كانوا يتجاوزون عدد اللأويين، فقد تم شراؤهم من جديد مقابل ٥ شاقلات للرأس (سفر العدد، الإصحاح ٣، ٤٤ - ٤٧).

لا أعتقد بأن اليهود كانوا يتوقعون أن يُففر لهم بخصوص جميع الأجنب المقتولين، وجميع الأطفال الذين أجهضوا أو أبيدوا بوسائل منع الحمل، والتعقيم... إلخ، فليُنظر يهوه وليحكم!

تُدرس العنصرية التلمودية فى مدارس «تلمود التوراة» (ومن المهم من ناحية ثانية وضع كلمة التلمود قبل التوراة). وفى صحيفة «لوموند» الفرنسية عدد ٦/٥ كانون الثانى ١٩٨٦، يروى هنرى تانك قصة القرار المستسلم المنقاد لشخص يدعى «بول»، وهو كاثوليكي مقتنع (٩) ومناضل (٩)، يقبل ألا يربى ابنه تربية دينية كاثوليكية رومانية، وقد صرح بما يلي:

«ابننا ناثانيل سيذهب إلى مدرسة «تلمود التوراة». وسيحترم والده، مع أن والده مع

«الفويم».

إنه اعتراف طويل!

من الأسهل، بلا شك، الحديث عن العنصرية اليهودية فى إسرائيل، ولا سيما أن قانونا مناهضا للعنصرية قد أقر منذ عهد قريب، وهو يعاقب كل شكل من أشكال اضطهاد الأشخاص بسبب لونهم أو تبعيتهم لعرق ما أو أصلهم. والاستشهادات التى وردت فى بعض الكتب المقدسة والدينية (الحاوية على عبارات يمكن أن تعد عنصرية) لا تخضع لهذا الوصف إلا لإثبات أن هذه الكتب مستخدمة لأغراض عنصرية، (صحيفة لوموند، ٧ آب ١٩٨٦).

أما التفوق الفكرى لليهودى، إن كان هناك تفوق، فإن هذا لم يمنعه من الوقوع فى الزيف والضلال، على الصعيد الدينى، حسب نبوة أشعيا:

«أثقل قلب هذا الشعب، أجعله ضعيف السمع، دبق له عيونه، مخافة أن تبصر عيونه، وأن تسمع آذانه، وأن يدرك قوّاده، وأن يهتدى وأن يشفى» (أشعيا، الإصحاح ٦، ١٠، نقلًا عن سيدنا يسوع المسيح فى إنجيل القديس يوحنا، الإصحاح ١٢، ٤٠).

إن اليهود، فى الواقع، لم يعترفوا، إجمالاً، بميسى المسيح كمخلص، على الرغم من نبوة دانيال (١)، التى تبشر بمجئ المخلص فى ٧٠ «أسبوعاً من السنوات» (سفر دانيال، الإصحاح ٩، ٢٤):

«خصص لشعبك ومدينتك المقدسة ٧٠ أسبوعاً، لوضع حد للانتهاك، ولوضع الأختام على الخطايا، للتكفير على الظلم، وإشاعة العدالة الأزلية، وللختم على الرؤية والنبوءة، لمسح قدس الأقداس بالزيت المقدس».

«منذ اللحظة التى خرج فيها هذا الكلام:

«أن يُرَجَّع وأن يجدد بناء القدس» (دانيال، الإصحاح ٩، ٢٥).

تقوه بهذا الكلام الملك ارتحششتا، فى العام السابع من حكمه. (سفر عزرا، الإصحاح ٧، ٧ - ١٣)؛ أى فى العام ٤٥٨ قبل الميلاد.

٧٠ «أسبوعاً» = ٤٩٠ سنة حسب اللاويين، الإصحاح ٢٥، ٨ - ١٠: «ستعد سبعة أسابيع من السنوات، سبع مرات سبع سنوات، أى فترة سبعة أسابيع من السنوات، تسعة وأربعين عاماً. العام السابع من حكم ارتحششتا يوافق العام ٤٥٨ قبل الميلاد، وإن ٤٥٨ ق. م + ٤٩٠ = ٢٢ بعد الميلاد، أى قريباً من تاريخ صلب سيدنا المسيح.

أخيراً، هناك إثبات آخر لصحة البروتوكولات:

٤ - وجود الماسونية

هذه الجماعة السرية، التى أسسها اليهود، كما أوضح ذلك الماسونى القديم، كوبان - البانشلى، فى مؤلفه «السلطة الخفية فى فرنسا»، ولا سيما فى مؤلفه «المكيدة اليهودية ضد العالم المسيحى»، ما من هدف لها إلا خدمة مخططات الهيمنة الدولية للسلطة اليهودية الخفية. والسمة اليهودية لطقوسها معروفة، ومجلة «الحقيقة الإسرائيلية»، كانت تعترف بأنها من صنع يهودى. (الصفحة ٧٤، المجلد ٥، العام ١٨٦١):

«هذه الروح (روح الماسونية)، هى روح اليهودية فى أكثر معتقداتها جوهرية، إنها أفكارها

(١) هى بالأحرى، وهذا مؤكد أكثر، نبوة الحاخام ابرائيل.

ولفتها، وتوشك أن يكون لها تنظيمها.

«هذه العلاقات (بين الماسونية واليهودية) أكثر حميمية مما يمكن الاعتقاد»<sup>(١)</sup>.

كتب المؤرخ الأمريكي ماكس ديمونت ، أو أعلن تحت رعاية «مؤسسة التراث اليهودي»، ما يلي:

«إن حكومة يهودية توجد في الحالة الخفية... وهي الحكومة الماركسية لدولة إسرائيل الرأسمالية إلا مقدمة جبل جليدي»<sup>(٢)</sup>.

إن وجود هذه الحكومة اليهودية الخفية أخبر عنه آنفا كويان - البانشلي في مؤلفه «المكيدة اليهودية ضد العالم المسيحي».

فإذا قبلنا بتأكيدات ماكس ديمونت - وليس هناك أى داع للتشكيك فيها - يمكننا أن ندرك أن هذه الحكومة الخفية اليهودية كان لها برنامج، وأن هذا البرنامج قد عرض في البروتوكولات ، التي تشرح خططها المشؤومة لماذا أرادت هذه المحموعة أن تظل سرية.

أخيرا، لا يخلو من فائدة لقضيتنا أن نسجل أن اللوى اليهودى ليكرا شعر أنه هو المقصود في تصريح الصحفى أندريه فيغورا، المنشور في «الرأى المستقل للجنوب الغربى» بتاريخ ٣ تشرين الأول ١٩٨٦: «المستقعات في الطرف الراهن، هي جميع الزمر الصغيرة من العصابات الأجنبية التي تكثر في باريس. إنها تجمعات تعمل على تمهيد الطريق أمام التخريب، تحت غطاء مناهضة المنصرية».

طالب اللوى اليهودى ليكرا ب ٥٠٠٠٠٠ فرنك كتعويضات..

كان حكم محكمة الجنح في تولوز مغايرا، تبعا لحجج السيد سان - جوست والسيد ميرل، اللذين أصرا على أنه لا شئ يسمح بالتأكيد على أن المقال ينطبق على الليكرا! وقد عفت المحكمة عن أندريه فيغورا وبرأته، ورفضت ادعاءات الليكرا، مفرمة هذا اللوى بدفع ٣٠٠٠ فرنك كتعويضات، ودفع أجور الدعوى.

(١) نقلا عن يان مونكومبل «ثالوث المالبة وأسرارها»، ١٩٨٠، الصفحة ٢٧، المبقرية الجديدة.

(٢) رسالة إعلامية لبيير فيلمارست من المركز الأوروبى للإعلام رقم ٥ - ٢١ نيسان ١٩٨٧، الصفحة ٨ في الخاتمة.

## ١ - ما معنى بروتوكولات حكماء صهيون؟

### ما معنى «بروتوكولات حكماء صهيون»؟

هذه الكلمات الثلاث، ليس لها حتى اليوم مفهوم واضح في أذهان العرب، وعمرها في العالم منذ انكشافها ٤٧ سنة، إذ كان ظهورها في الانكليزية لأول مرة مترجمة عن الروسية، بعيد الحرب العالمية الأولى. وحتى الذين يحيطون بمعناها ومقاصدها الجهنمية، من ساسة العرب، في جميع العالم العربي والمهاجر في مختلف القارات هم قلة ضئيلة، وأما الصحف العربية عامة، فبتفاوت مقدار وقوفها الصحيح على البروتوكولات، وقليل من كتاب الصحف ومحريها من حذق دراسة هذه المقررات اليهودية السرية، وأحاط بها، وتابع انسيابها من مصادر «التلمود» الذي مضى عليه حتى اليوم نحو ١٨ قرناً منذ الابتداء بوضعه، ونحو ١٤ قرناً منذ تكامله في بغداد في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد. وأما الرأي العام العربي، الخاص والعام، فليس أحسن حالاً من جمهرة الصحف العربية. هذا، وقد جاء في كتاب «الاستيلاء على العالم بحكومة عالمية - او بروتوكولات حكماء صهيون» في الطبعة الانكليزية الحادية والثمانين ١٩٥٨ ان ما بيع من مجموع الطبعات باللغة الانكليزية بلغ أكثر من مليون نسخة. ومنذ ١٩٤٨ ونحن نردد أخبار ما اقترفه اليهود في فلسطين من فظائع وحشية دموية؛ كذبحة دير ياسين، وطبريا، وناصر الدين، وحبية، وغزة، ومخالين وغيرها مما يتكرر ارتكابه، ويختلف نطاقه، لكنه يمثل روحاً واحدة من الهمجية الخلقية، وقلما عينا إلا بالظاهر السطحي، لنكشف الغطاء ما أمكن عن السر الرهيب، الكامن في النفسية اليهودية الصهيونية، والباعث على ذلك. فإذا شئنا أن نقف على هذا السر الموروث، فلنقرأ «بروتوكولات حكماء صهيون»، فنعدنا الخبر اليقين.

الصهيونية قفاز خارجي لليهودية العالمية.

الصهيونية والماسونية اليهودية العالمية، سواء.

اليهودية العالمية حركة سرية نبتت من التلمود الرهيب الذي كان بأصله بضع مجلدات، فصار منذ ٨ قرون ١٢ مجلداً، ثم هو اليوم في الانكليزية ٢٦ مجلداً من القطع الوسط.

التلمود مستودع شرور اليهود، ويدأوا يضعونه بعد جمع أسفار التوراة بنحو قرنين.

التوراة شئ أقل بابه منذ ٢٢ قرناً، بعد جمع الأسفار وتداولها والرجوع من بابل. وأما التلمود فهو الذي علا على التوراة بأساطيره الغربية وهي التلمود البذور الشريرة كلها. والعرب لم يعرفوا بعد شيئاً من هذا كله، إلا نتفاً منتاشة انتياشا، ماعدا الذين اختصوا بدراسات علمية، وهم نقر قليل.

من التلمود الرهيب استمد واضعو البروتوكولات فى العقد الأخير من القرن الماضى، روح سفك الدماء بأساليب بربرية، تطبيقا لدستور البروتوكولات.  
فانظر كيف تسرى هذه الخيوط، وهى سرية.  
إذا أحطت «بالبروتوكولات» الموضوعه بين يديك الآن، أحطت بمقدار كبير من الوقوف على الموروث من التلمود فى أخلاق اليهود الصهيونيين إنما من هنا، لا فى أى موضع آخر، على العرى أن يتدئ بذهن جديد فى معرفة أخلاق التلمود واليهود.

\* \* \*

البروتوكولات هى المخطط الذى وضعه، رجال المال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية، ثم الإسلام، وبعد هذا التخريب الذى قرر أصحاب البرتوكولات أن يتم فى خلال مئة سنة، أى قبل ١٩٩٧، يمتدق اليهود الصهيونيين أنهم سيمستولون على العالم ويقيمون ملكات يهوديا داوديا، له من الحيلة والوسيلة ما يمكنهم وهم أقلية ضئيلة، من حكم العالم بأسره حكما أوتوقراطيا، ولا يجاور الدين اليهودى التلمودى دين آخر. لا مسيحية ولا إسلام.  
وتسف الحضارة القائمة نسفا تاما.

وكيفية الوصول إلى هذا ، كله يفصل تفصيلا فى البروتوكولات.

لم يسبق بعد أن دماغا بشريا شريرا، تخيل مثل هذا الخيال الجهنمى الشيطانى. لا دماغ فرد ولا دماغ جماعة.

«إسرائيل» المصطنعة فى الأرض المحتلة، فلسطين، هى قفاز اليهودية المالية.

\* \* \*

هذه الكلمات الثلاث - «بروتوكولات حكماء صهيون» - تُولف فى مجموع ألفاظها شيئا أجنبى الزى وأنصفه، حروفها من حروف الهجاء، ولكن مؤداها غامض. فهى فى العالم العرى اشبه بسائح غريب بيننا، اذا تكلم سمعنا منه رطانة مختلطة، وإذا نظرنا إلى لباسه رأيناه يختلف عن لباسنا دع عنك سحنته المتميزة بخصائص وهوارق. إذا، «بروتوكولات حكماء صهيون» تحتاج إلى إيضاح.

أما لفظة «بروتوكولات» فمديدة المعانى، كمسودة الاتفاق أو المعاهدة أو الوثيقة بالمعنى الرسمى عند الحكومات، موقعة من الرفقاء أصحاب الشأن وهى أيضا فى «الرسميات» تعنى قواعد السلوك، وأعراف الأصول الدبلوماسية ومصطلحاتها؛ والصيغ الرسمية للوثائق الدبلوماسية، ومضابط الصيغ التى تبني عليها الوثائق. ونحن العرب جعلنا نقول منذ أكثر من ٢٠ سنة «بروتوكول الاسكندرية» ، مثلا ، أو «ميثاق الاسكندرية» الذى قامت عليه جامعة الدول العربية.



وأما المعنى المقصود بها هنا في عبارة «بروتوكولات حكماء صهيون» ، فهو الصيغة التي دونت بها مقررات العصبة المروفة «بالحكام» ولذلك يصح أن نقول أيضا «مقررات» ، بدلا من بروتوكولات، ولا يختلف المعنى، لكن غلبت لفظة البروتوكولات في جميع اللغات الأجنبية التي بحثت مسائل اليهود، فأصبحت المتابعة أولى.

ولفظة «حكام» هنا، ما هي إلا بمعنى الشيوخ أصحاب القيادة من الناحية الدينية اليهودية، وتشمل ما هو أوسع من المعنى الديني المجرد، لاختلاط الأمور بين ظاهر وخفى، ومكشوف ومستور، وتشمل في معناها اليوم عند اليهود، أصحاب النفوذ في السياسة والاقتصاد والصناعة، والأحزاب الخفية، والحركات الهدامة، وخلق الملوك ونسف العهود، والكيد، والقتل، والاختيال، والمؤامرة وهي منحدره عن كلمة «الحاخام، أو «الري» أو «الرياني»<sup>(١)</sup>. لكن في «بروتوكولات حكماء صهيون»، معناها عصابة كبراء اليهود السرية، التي تجدد كيائها الخفى في أثناء الثورة الفرنسية، ووالت سيرها في منتصف القرن الماضي في أيام كارل ماركس، ونشطت نشاطا خاصا في روسيا القيصرية في الربع الأخير من القرن قبل الماضي، ثم عقدت مؤتمرها الصهيوني العالمي الأول في العقد الأخير من القرن المذكور برياسة

(١) وردت في القرآن الكريم لفظة «رييون» (سورة ال عمران ١٤٦)، «وريانيين» (سورة آل عمران ٧٩) و«الريانيون» في سورة المائدة ٤٧ و ٦٦. قال الإمام الزمخشري في «الكشاف» في تفسير «ريانيين»: «الرياني» منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، كما يقال رقباني ولحياني ، وهو الشديد التمسك بدين الله، وعن الحسن: ريانيين أي علماء وفقهاء . وقيل علماء معلمين.

هذا ما قاله الزمخشري على خير ما كان يعلم من هذا في أيامه. أما الكتاب اليهود أصحاب الشأن فيقولون: - كلمة «راب»، بمعنى معلم أو أستاذ أو عالم، كانت تستعمل لملء التلمود المراقبين، «راب حزقيال» ، مثلا. وكلمة «ريي». بالإضافة إلى ضمير المتكلم مع حذف الألف للتخفيف، تستعمل لملء التلمود في فلسطين ، «ريي عزرا»، مثلا.

وأما كلمة «رياني» فهي أعلى من راب ورابي، ولا يختص بها إلا شوامخ العلماء، مثلا غملايل الأول، وسيمون بن غملايل، ويوحنا بن زكاي (القرن ١ و ٢ في فلسطين).

ويوحنا هذا كبير اليهود المشهور وقت كان الرومان يحاصرون القدس يريدون القضاء على الثوار اليهود المتصممين بداخل المدينة وامتد القتال من ٧٠ - ٦٧ ق.م وبين زكاي هو زعيم «الفريسيين» الذين ناصبوا السيد المسيح العدا هم والفرقة الأخرى «الصدوقيون» وأخبارهم مبسطة في الإنجيل. قال القائد الروماني لبن زكاي أثناء الحصار: «رجالهم يقاتلون كالأفاعى في جحورها، فملينا أن نستخرجهم من كل حجر لثق أعناقهم». وقد صدق القائد الروماني فمباسبان واستل تلك الأفاعى من جحورها وهدم القدس وشتت اليهود. والشتات الحقيقي هو هذا لاشتات نبوخذ نصر البابلي في القرن السادس ق م وفي سيدة بن زكاي (٧٥ ب) (ذكر للمرب ولكنه ذكر المقت والكرامية . فذكر أنهم كانوا يقيمون في عكا ولهم هناك الخيول والماشية. ثم ذكروا مرة أخرى بأن يهوديين احتكما إلى أعرابي فقضى بينهما للذي كان الحق في جهته دون معطية وسر الذي كان القضاء في مصلحته، لأن اليهود من عاداتهم وتقاليدهم ألا يروا القضاء العادل إلا نادرا وهم مردوا على قتل الأنبياء حتى في الهيكل المقدس عندهم.

الدكتور تيودر هرتزل في بازل (سويسرا) ١٨٩٧، وفي هذا المؤتمر السرى وضعت البروتوكولات، بل كانت معدة من قبل، ومن قبل احد كبرائهم الذي يعتقد الباحثون الغربيون انه «اشر غنزيرغ» من يهود أودسا، المشهور في عالم الكتابة اليهودية باسمه القلمى وهو «احدهما عام» أى «أحد أفراد الشعب»، وجاء فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى وأقام ومات فيها سنة ١٩٢٧ بعد عمل استمر نحو ٦٠ سنة في سبيل الصهيونية. فهذه المقررات كانت أعدت لتبحث في المؤتمر وتقر وتبرم ، بعد تلاوتها في المؤتمر في بضع جلسات، كما يؤخذ من نصها، دهم البوليس السرى القيصرى، المؤتمر اليهودى في بازل، دهمة الصاعقة يريد أن يغمم أوراقهم، فكانت أوراق هذه المقررات من جملة ما استولت عليه أيدي المداهمين. وسيأتى تفصيل هذا في موضعه من هذه الصفحات.

و«صهيون» بالأصل اسم تلة أو رابية في «أورشليم» أو بيت المقدس زمن اليبوسيين «أبناء عمومة العرب» ، سكانها القدماء من الكنعانيين الذين بقيت منهم بقية في بيت المقدس إلى القرن الخامس او الرابع ق م ، والكنعانيون هم أهل فلسطين بمعظمها قبل بنى إسرائيل بقرون عديدة، ولما عاد اليهود من سبى بابل في القرن الخامس ق م وجدوا بقايا اليبوسيين على حالهم في المدينة والأرياض. فلفظة «صهيون» كما ترى كنعانية لا عبرية.

وعلى هذه التلة، ابنتى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادى عشر ق. م وصارت كلمة صهيون مع الزمن معناها الحكومة اليهودية الدينية. و«عشاق صهيون» أو «أحباء صهيون»، منظمة علنية خفية رهيبه، أنشئت في روسيا بعد منتصف القرن قبل الماضى، وانتشرت في داخل روسيا وهامت بالحركات السرية لهدم القيصرية، كما انتشر لها فروع عديدة في الخارج، وهذه المنظمة عنيت بفلسطين قبل هرتزل بعدة عقود، وانتهى إليها معظم يهود روسيا البارزين. فوالد ويزمن، وكيش، وبين غوريون، وبننتوش، وسوكولوف صاحب كتاب «تاريخ الصهيونية» وغيرهم، كانوا جميعا أعضاء عاملين في المنظمة المذكورة. وهذه المنظمة العنيفة هي أول من أخذ يرسل جماعات اليهود إلى فلسطين في الربع الأخير من القرن الماضى . واغتيال الأرهاييون القيصر إسكندر الثانى في ١٢ آذار (مارس) ١٨٨١ وكان هؤلاء من اليهود ويقول موسى سميلانسكى، المعروف لعرب فلسطين جيدا، إن حكومة القيصر اعترفت بمنظمة «عشاق صهيون» سنة ١٨٨٠ - ٩١ وسميلانسكى هذا جاء فلسطين في ذلك الوقت وهو شاب في السادسة عشرة، منتم إلى «عشاق صهيون» (كتاب «نفيل باربير» ص ١١٥).

## ٢ - النكبات الأربع وأسباب غفلة العرب عنها

وضعت الحرب العالمية أوزارها في خريف ١٩١٨ فبوغت العرب بأربع نكبات كلها من صنع بريطانيا وأميركا وفرنسا واليهود الصهيونيين:

١ - ظهور وعد بلفور أواخر ١٩١٧.

٢ - ظهور معاهدة سايكس - بيكو السرية المعقودة بين بريطانيا وفرنسا ١٩١٦ لاقتسام الأقطار العربية بعد الحرب (سوريا ولبنان والأردن والعراق وفلسطين).

٣ - الاحتلال الأجنبي - الفرنسي البريطاني - تحت قناع الانتداب (مصر كانت محتلة منذ ١٨٨٢ والسودان منذ ١٨٩٨ وتونس منذ ١٨٨١ والجزائر منذ ١٨٣٠ والمغرب منذ ١٩١٢). وكانت ليبيا جزءا من المملكة العثمانية فنزلت عليها إيطاليا ١٩١٢ فاحتلت سواحلها وكانت حتى حينئذ تعرف بطرابلس الغرب أو طرابلس وبرقة).

٤ - ظهور بروتوكولات حكماء صهيون سنة ١٩١٦ في بلاد الانكليز قبيل الثورة البلشفية ١٩١٧ غير أن العرب لم يقفوا عليها، ولم يتسن لهم ذلك الا في منتصف القرن الماضي وإلى حد قليل، وعلى نطاق محدود.

\* \* \*

أسباب غفلة العرب عن التنبه للبروتوكولات منذ ظهرت في بريطانيا ١٩١٩:

١ - عناية اليهودية العالمية بالأثر شيئا من حديث البرتوكولات يتسرب إلى الشرق، وذلك بالحيلولة دون أن ينتقل شئ من الكتب أو منشورات الصحف البريطانية إلى فلسطين خاصة. ولم يسمع بذكر البروتوكولات في الدولة العثمانية حتى ١٩١٤.

٢ - كانت بعض الصحف البريطانية قد شرعت في الخوض في هذا الموضوع «كالمورنغ بوسط»، فإذا بها بعد قليل تسكت عن أي متابعة أو مزيد. وكان ونستون تشرشل نفسه، قبل أن مال إلى اليهودية العالمية وانتقل إلى معسكرها، قد نشر في مجلة «اللترايد صنداى هيرالد» في ١٩٢٠/٢/٨ مقالا يستفزع به مؤامرة اليهود الملاحدة، كما وصفهم، لنسف الحضارة الأوربية، وأشار إلى أن الحركة عالمية، رهيبية، لكنه سكت بعد قليل كما سكت «المورنغ بوسط». ولم يبق في بلاد الانكليز الا جمعية بريطانية واحدة صامدة في وجه اليهودية العالمية إلى اليوم. وسنأتى على ذكر هذه الجمعية في هذه الصفحات وحوادث البطش اليهودى السرى والعلنى، بكل جريدة أو مجلة أو كاتب أو معلق أو جمعية، ممن تصدى لموضوع البروتوكولات، حوادث مشهورة أكثر من أن تحصى. فإين للعرب وقتئذ، وكل قطر في عراق مع

الانكليز أو الفرنسيين، أن يتبهاوا مثل هذه «الكماليات» في القضية العربية. وحوادث بطش اليهود لم تكن مجرد إرهاب صوري، وقطع الإعلانات عن الصحف وتخريبات تجارية اقتصادية من وراء ستار، بل تمدت ذلك كله، إلى إحراق المطابع والقتل والاختيالات بطرق عجيبة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا. أما في روسيا فالقتل هو جزء من توجد بحيازته نسخة ما من البروتوكولات بأية لغة.

٢ - هذه القفلة من جهة العرب، كانت عامة مطبقة، حتى إن الوفود العربية المختلفة التي توجهت من مصر وفلسطين والعراق وسوريا ولبنان إلى لندن وباريس في مدة ما بين الحربين، ثم بعد الحرب الثانية إلى ١٩٤٨ لم تسمع شيئاً حرياً بالذكر من أمر البروتوكولات.

٤ - كانت حكومة فلسطين، وللصهيونية فيها النفوذ الكاسح، الواسع، يقظة كل اليقظة دائماً كي لا يسمع شئ بهذا الموضوع. وإنما في إيراد هذا الإجمال لا ينبغي أن نحث القارئ العربي في العالم الآسيوي والإفريقي والمهجري كله، على مطالعة هذه البروتوكولات، وقد أصبحت الآن بين يديه منقولة نقلاً صحيحاً من الانكليزية، بقدر ما نود استرعاء انتباهه إلى ناحية أخرى، وهي أن قيام اليهودية العالمية وأجهزتها على المتعرض للموضوع بالنقمة والاختيالات إلا الدليل الطبيعي المحسوس على صحة هذه الأوراق من حيث إنها من صنع عباقرتهم الجهنميين وسيأتي تفصيل هذا في موضعه.

### ٣ - ظهور البروتوكولات

ولدينا ثلاث حوادث تتعلق بالموضوع وهى حرية بأن توضع بين يدي القارئ: -  
 الأولى: وقعت فى فلسطين فى ربيع ١٩١٨ والحرب قائمة. وكان الجيش البريطانى بقيادة الجنرال اللنبي قد احتل القدس فى السنة السابقة ولكنه لم يتمكن من التقدم شمالا بعد ذلك إلا قليلا. وكان باقى فلسطين والأردن ، فضلا عن سوريا ولبنان، بيد الترك والألمان. وكان قد مضى على صدور وعد بلفور بضعة أشهر. وكان ويزمن قد قدم فلسطين على رأس وفد يهودى صهيونى.. ومعه ماجور اورمبسى غور (بعدهئذ وزير مستعمرات وصار لورد هارلخ) ضابط ارتباط بين الوفد والسلطة البريطانية العسكرية وغاية هذا الوفد الصهيونى، المسلح بكتب توصية من رئيس الوزارة، لويد جورج، أن يطلع على الحالة فى فلسطين تمهيدا لتطبيق السياسة اليهودية المنبثقة عن الوعد. وكان هذا الوفد شديد الحماسة لمهمته، لا يصدق متى يضع قدره على النار. فاصطدمت هذه الحماسة وحالة الحرب القائمة، وهنا المارك والدم والقتال والكر والفر والهجوم والانسحاب، وهناك فى لندن من جهة الصهيونيين ولويد جورج ، المؤامرات والختل والخديعة. فأين مهمة الجيش البريطانى عسكريا وقتئذ، من مهمة وفد صهيونى قادم لتطبيق «وعد سياسى» كتب فى قصاصة ورق وهو عبارات مبهمه يتضارب بعضها مع بعض . فامتعض اللنبي من قدوم هذا الوفد عليه، لكن لم يكن بد من إنزاله فى مخيمه العام أو «مقر القيادة» فى «بئر سالم» قرب «الرملة» بين يافا والقدس، فى سهل من أجمل سهول بلاد العرب. جاء ويزمن يريد الشروع فى تطبيق سياسة التهويد، ومعظم فلسطين لا يزال بيد الترك والألمان كما ترى.

غير أن اللنبي وإن امتعض من مجئ هذا الوفد وحلوله ضيفا عليه بتوصية من لويد جورج، لم يسهه أن يزيد على التجهم شيئا فى وجه ويزمن، سوى تضمين الأجوبة منه إلى ويزمن فى مجرى تبادل الأحاديث، بعض الإبر الحادة. وكان من أعوان اللنبي وقتئذ فى مقر القيادة ، الجنرال ديدز، فكان ويزمن ينام فى مخيم ديدز، ويقول ويزمن فى مذكراته إنه كان مرتاحا فى مقامه فى هذا المخيم، لأن ديدز كان يعطف على اليهود ويقدر قدر وعد بلفور. وهذا من ويزمن نصف الوصف لديدز، والنصف الآخر، أن ديدز هذا هو من الشيعة البريطانية البروتستانتية التى يمتد أهلها برجوع اليهود إلى فلسطين تحقيقا لما يسمى بنبؤات التوراة. فالصلة بين ديدز ويزمن روحية عميقة. جرت هذه الواقعة التى نحن بصددنا الآن، فى ربيع ١٩١٨ كما قلنا، وديدز أحد أعوان اللنبي والحرب قائمة، أما ما كانه ديدز بعد ذلك،

وما تقلد من عمل، فإنه بقي في الجيش إلى سنة ١٩٢٠ ولما جاء هريبرت صموئيل اليهودي الصهيوني، أول مندوب سام على فلسطين وياشر عمله في أول يوليو ١٩٢٠ وانطوى بساط الحكومة العسكرية، وأنشئت إدارة مدنية يتولاها صموئيل هذا، انتقل ديدز من الجيش إلى أن يكون السكرتير المدني الذي يلى المندوب السامى في ممارسة السلطة والمسؤولية في الحكم، أى أنه هو ثانى رجل في الحكومة. وقد اختاره صموئيل لهذا العمل، كما اختار رونالد ستورس حاكما مدنيا على القدس، وستورس هذا هو أستاذ لورانس في مصر قبل أن يذهب لورانس إلى الحجاز أواخر ١٩١٦. وبقي ديدز سنتين في فلسطين يشغل هذا المنصب، ثم أثر العودة الى بلده ليعمل هناك في مشروع عزيز عليه يتعلق بالخدمات الاجتماعية. وكان ديدز يتقن التركية إتقاناً حسناً إذ هو كان أحد رجال بعثة عسكرية بريطانية إلى تركيا قبل الحرب العالمية الأولى لتتظيم قوة الدرك العثمانى، فتعلم التركية ووقف على كثير من مجارى السياسة العثمانية وقتئذ<sup>(١)</sup>.

إذن، ديدز صديق الصهيونية عن عقيدة دينية. فلما كان ويزمن جالسا عنده ذات صباح، ولا ثالث في المخيم، وانطلق الحديث بينهما، وويزمن واثق أن محدثه صديق الصهيونية، فاذا بديدز يخرج من الدرج جملة أوراق ويناولها ويزمن ويرجو منه أن يقرأ هذه الأوراق، فلما تناولها ويزمن وهو لا يعلم ما فيها، وهى مطبوعة بالمستسخ، امتقع لون وجهه منذ وقع نظره عليها وانكمش وأبدى رغبته في أن يعفى من قراءتها، فعاد ديدز يطلب منه برفق الصديق المخلص أن يطيل أناته ويطلع على هذه الأوراق، فلم يسع الحال ويزمن حينئذ، إلا أن أبقاها بيده هنيهة متظاهرا بأنه قرأها وفرغ من مطالعتها، ثم توجه إلى ديدز بهذا السؤال: من أين وصلت إليكم هذه الاوراق؟ ولم يخف عنه ديدز شيئا من الحقيقة، فقال له: هذه الاوراق موجودة هنا في حقائب الضباط وبعض الجنود، ولما كانت قواتنا العسكرية تقاتل إلى جانب الجيش الروسى القيصرى في القفقاس، كان الأمير نقولا يقوم بتوزيع هذه الكراريس على الضباط الإنجليز، ولما انهارت جبهة القفقاس وانتقلت قواتنا إلى فلسطين، جاءت هذه الكراريس في الحقائب والجيوب فصعق ويزمن وقال له ديدز إن لهذه الاوراق شأنا خطيرا يعرقل عملكم في فلسطين.

(١) مؤلف هذا الكتاب، وقد هبط فلسطين من دمشق في ايلول ١٩٢٠ يعرف ديدز معرفة شخصية تامة عن كذب وكان يخبرنى عنه الصحافى الغربى (اللبنانى الاصل) الاستاذ ابراهيم النجار المشهور، وكان النجار يومئذ يصدر اول جريدة عربية في القدس وهى «لسان العرب»، وله صلة وثيقة بديدز إذ كان يبغى النجار ان يمثل دورا صحافيا بين العرب والانكليز واليهود ففشل بعد تجربة نحو ثلاث سنوات، ثم انتقل الى دمشق، وسكنت الريح بينه وبين الانتداب الفرنسى ثم الى بيروت. فاصدر جريدة وتولى إحدى الوظائف وتوفى بعد .١٩٥٠

وما هي تلك الكراريس؟ هي «بروتوكولات حكماء صهيون» باللغة الانكليزية. ومن اعدها؟ يرجح أن الحكومة القيصريية هي التي اعدتها. وماذا جرى بعدئذ من أمر هذه الكراريس في الجيش البريطاني في فلسطين؟ لا ندرى شيئا. هذا سنة ١٩١٨.

الثانية: وقعت حوالي ١٩٣٠ في فلسطين، وقد انقضى أكثر من عقد على المضي بسياسة تطبيق الوعد والتهويد. وكانت في سنة ١٩٢٩ وقعت ثورة عنيفة في فلسطين بدأت في القدس أولا، ثم انتقلت إلى الخليل وصفد وبيسان وغير منطقة. سبب هذه الثورة عدوان اليهود على «مربط البراق» بجوار المسجد الأقصى المبارك فسميت هذه الثورة في تاريخ ثورات عرب فلسطين في عهد الانتداب «بثورة البراق». وقتئذ انعقد المؤتمر الصهيوني في سويسرا وكانت مقرراته مهيجة لليهود في فلسطين، فظنوا أن تجربة العنف قد تجديهم، فجزبوا ذلك فكانت الثورة التي استمرت سبعة أيام بلياليها<sup>(١)</sup>، وفي السنة التالية ذهب وفد عربي فلسطيني إلى لندن، وبقي اليهود يعملون على الهياج في الداخل والخارج، وهم لا يلقون من حكومة فلسطين وسيدتها حكومة لندن، الا كل تلبية ومسايرة، وفي اثر هذه الثورة بدأ العرب مقاطعة اليهود مقاطعة اقتصادية شاملة في مختلف أنحاء البلاد. وغدا الاحتكاك بين الفريقين قابلا للالتهاب في أي وقت. وإلى غاية ١٩٢٩ لم يكن دخل فلسطين من المهاجرين اليهود أكثر من نحو مئة ألف نفس.

وكانت تقيم في يافا ثم في حيفا منذ ١٨٩٥ سيدة بريطانية منتمية إلى إحدى جمعيات التبشير، أو منظمة القديس يوحنا في القدس، وهذه السيدة هي فرانس نيوتن التي عرفت بشديد صداقتها للعرب بعد أن نجم قرن اليهود في فلسطين. والسيدة نيوتن لها مكانة علمية في بلدها، فهي عضو في الجمعية الملكية الجغرافية بلندن، والجمعية الجغرافية الاميركية. وطبعا تعلمت العربية، وطافت فلسطين طواها واسما من أجل الدراسة الدينية التاريخية، وكانت في كل مدة تزور بلادها ثم ترجع الى فلسطين، وتوطنت حيفا أخيرا وابتنت دارا فيها، وكانت لا تتردد في المآزق الحرجة أن تسمع اصداقها في لندن صوتها احتجاجا على الظلم النازل بالعرب، وهي كما يستفاد من مذكراتها من أعلم الناس بخفايا امتياز البحر الميت، الامتياز الذي ناله اليهود سنة ١٩٢٩ ومن أملاح هذا البحر الميت الحى تستخرج إسرائيل اليوم

(١) وظلت بقايا منها أسبوعا آخر، فكانت خسائر اليهود في جميع أنحاء فلسطين ١٢٣ قتيلا و ٢٢٩ جريعا، وخسائر العرب ١١٦ قتيلا و ٢٩٣ جريعا وإنما بلغت خسائر العرب هذا الرقم لأن الجند البريطاني في هذه الثورة سنة ١٩٢٩ صنع ما صنعه ١٩٤٨ من تحيزه السافر لليهود، فمعظم خسائر العرب كان برصاص الجند الانكليزي وكان هذا من جملة العار الذى جلت رؤوس الانكليز في فلسطين مدى ٣٠ سنة، بل إلى الأبد.

كنت وقتئذ أعمل في «المجلس الإسلامى الأعلى» ومركزه القدس، وكان البراق لا يبعد من مكاتب المجلس عبر قليل وشهدنا مجرى الحوادث عن كثب ورأينا الكثير من الاعيب اليهود والانكليز معا. وفي دفاترى جمعت ما استطلعت جمعه من راهن الأخبار والمعاني والمشاهدة.

مقادير كبيرة من الأورانيوم عدا البوتاس وغيره، والعرب غافلون عن هذا أو متناومون، لكن ممبرتهم هنا ليست كمبرزتهم في عدم وفوفهم على «بروتوكولات حكماء صهيون» سنة ١٩٤٨ طبعت السيدة نيوتن مذكراتها بعنوان «خمسون سنة في فلسطين» ووشحت غلافه بالعلم العربي الملون، وضمنت كتابها هذا كثيرا من المعلومات الخطيرة، مما لا يوجد عند غيرها من أصحاب المذكرات السياسية من الانكليز الذين أقاموا في فلسطين في الزمن الحديث.

فكان من الطبيعي أن يقف لها اليهود بالمرصاد، يأخذونها تارة بالمحاسنة، وطورا بالمشاشنة، وهي لا تلتين ولا تتصاع الا الى جهة الحق، وجهة الحق كلها اهرب كالفرق بين معتد محض، ومظلوم محض. لكنهم مع هذا جعلوا أحد قاداتهم السياسيين، وهو موشه مرغو ليس كلفرسكي، ورئيس حزب «بريتشالوم»<sup>(١)</sup> الذي يدعى التقرب من العرب، يكون على صداقة ظاهرة معها، وهي تعلم ماذا عنده وما وراءه.

وسنة ١٩٢٩ اشتدت نكاية اليهود لها في فلسطين وفي لندن. والسبب في هذا ان السيدة نيوتن بذلت أقصى جهدها في مساعدة صديقتها الدكتورة «آنى هومر» الخبيرة بالعلوم الكيمائية، ان تتال الامتياز لاستثمار املاح البحر الميت، العجيب الغريب في الثروة المعدنية ومعظمها يدخل في الصناعات الحربية<sup>(٢)</sup>. وكثرت مساعي الدكتورة هومر في هذا السبيل لدى الحكومتين البريطانية في لندن، والفلسطينية في القدس، ومن ورائها متمولون انكليز هم شركاؤها في المشروع. وكادت الدكتورة هومر ان تتال الامتياز، لأنها قدمت احسن شروط، وقبلت هي من الحكومة البريطانية كل الشروط. لكن في اللحظة الاخيرة، صارت حكومة لندن تتلمص من موقفها إزاء الدكتورة هومر، وتفلق الأبواب في وجهها، وبالتالي رفعت حكومة لندن البرقع عن محياها، واذا بها تعطى الامتياز الى الفريق اليهودي الصهيوني وكان ذلك بطريقة خفت فيها كرامة حكومة لندن. فجن جنون الدكتورة هومر. والقصة طويلة مليئة بالعبر، لكننا لم نأخذ منها هنا الا ما هو ضروري لمساق كلامنا المتعلق بصلته ببروتوكولات حكماء صهيون.

واسهبت السيدة نيوتن في التفصيل في مذكراتها وهي تبسط جملة الحقائق. ومما قالته، وهو لا يشرف الحكومة البريطانية، ان النقطة المهمة في القضية كلها، ليس اعطاء الامتياز الى اليهود الصهيونيين، بل بالطريقة غير المستقيمة التي اتبعتها حكومة لندن وحكومة فلسطين، وهذه بنية تلك وظلها.

(١) كان أبرز شخصية صهيونية في فلسطين أيام الانتداب يحاول التقرب من العرب تحت قناع هذا الحزب، وكان يعمل في شراء الارض وهو من أبرز يهود روسيا في أواخر القرن الماضي، وهو خريج جامعة مونيخ في الزراعة وخاصة البرتقال.

(٢) قالت السيدة نيوتن (ص ٢١٢) ان الدكتورة هومر قدرت مادة البوتاس، دون غيرها من المواد، بأن في الامكان التام امداء الاسواق العالمية بمليين طن كل سنة. من هذه المادة لمدة النى سنة وهي تقدر ثروة مجموع الاملاح بمئات الملايين من الاسترليني.



نعم، نزلت باليهود سنة ١٩٢٩ ضربة ثورة البراق، التي أشرنا إليها، واولئك قتلهم وجرحاهم، وهؤلاء قتلانا وجرحانا، لكنهم هم كانوا يعملون في الوقت نفسه، العمل المتواصل العنيف لنيل الامتياز فنالوه<sup>(١)</sup>.

فبين السيدة نيوتن واليهود الصهيونيين شد حبال من زمن طويل، كما علمنا، غير انه لما جاءت مسألتنا امتياز البحر الميت سنة ١٩٢٩ امست (الصداقة) بين الفريقين لدا حادا. وهذا ما حصل مما له صلة بالبروتوكولات:

يظهر ان السيدة نيوتن من شدة حنقها على حكومة لندن وحكومة فلسطين، بعد الفشل في نيل الامتياز، رأت ان ترفع طرف اللحاف قليلا ليرى بعض العرب ما تحته مخبأ من (البروتوكولات) في بعض فصولها والرواية الواقعية مدهشة.

فقد دعت الى بيتها عددا من اصدقائها اهل القرى، وبعد ان احسنت استقبالهم جعلت تطلهم، لقمة لقمة، على البروتوكولات وما تحتويه. وهذه الدعوة خاصة، والمنزل منزلها، وهي صاحبة الشأن فيه. ولعلها كانت تعتقد ان تسريب المعلومات عن البروتوكولات الى العرب بهذه الطريقة خير من اتباع اية طريقة اخرى. فاهل القرى هم ينقلون البضاعة بعدئذ الى سائر الجهات، فيعمى الامر على الحكومة، وهؤلاء الاصدقاء لن يبوحوا بسر، فيطلع العرب على ما خفى عليهم حتى ذلك التاريخ ٢٢ سنة.

وهذا ما وقع: فبينما السيدة نيوتن في مجلسها في بيتها، تحدث هولاء الاصدقاء بأمر يقف منه شعر الرأس يسمونه في حياتهم لأول مرة، والكتاب بيدها، فاذا رجل يدخل بغير استئذان ودون ان يقرع جرس الباب، وهو يهودى ملئ الجسم، جميل اللحية، الصديق كلفرسكي! فبفتت السيدة نيوتن. اما هو فاعتذر اسخف اعتذار لمخالفته قواعد السلوك في دخول المنزل. قال: انه يفتش عن اصدقاء له ظنهم انهم هنا. ثم انسحب، وهي من حنقها لم تأبه به دخولا ولا خروجا. ثم بعد قليل ارفض المجلس وتفرق الزوار. واصبحت السيدة حذرة.

وفي ثانی يوم، طلبت السيدة الى القدس، مركز الحكومة، لمواجهة السكرتير العام

(١) في سنة ١٩٤٢ والحرب على اشدها، خطب احد اعضاء الوكالة اليهودية في مؤتمر صحفى في تل ابيب، وما قاله: «في فلسطين اليوم (١٨٠٠) صناعة دائرة الدوايب، والمال الموظف في هذه الصناعات ١٤ مليون جنيه ينتج كل سنة من السلع ما قيمته مثل هذا المبلغ؛ والصناعات في مدى خمس سنوات مقبلة، بحيث تصبح فلسطين اقوى مركز صناعى في الشرق الاوسط؛ وقسم كبير من رأس المال القومى موظف في مشروع البحر الميت وشركة الكهرباء الفلسطينية وانما بوسعنا تنمية عدة مشروعات اخرى كبيرة اذا استعملنا ان نضع في فلسطين المواد الآلية اللازمة لمشروع البحر الميت!!! وان كلا من تركيا ومصر ترمى صناعاتها الكبيرة؛ فاذا شامت فلسطين منافستها فعليها ان تزيد من عنايتها بالصناعات؛ وانما بهذه الصناعات؛ نستطيع اعداد الاسباب لقبول المزيد من المهاجرين لا بمئات الالوف بل بالملايين». وهذا الكلام سنة ١٩٤٢ فليتأمل العرب سنة ١٩٦٦. اى وقت تأليف هذا الكتاب.

للحكومة، فحضرت، وهناك سمعت من المزل والتائب ما الله اعلم به. فعادت من القدس الى حيفا خائفة تترهب.

وقبل ذهابها الى القدس، كان الصديق كلفرسكى، قد اتصل بالكولونيل كيش رئيس المكتب التنفيذي للوكالة اليهودية هي الحكومة الصهيونية داخل حكومة فلسطين ويسط له ما رأى من امر السيدة نيوتن، وهي متلبسة بالجريمة فى بيتها، تحدث رهطاً من اهل القرى العرب، عن البروتوكولات<sup>(١)</sup>.

لكن الكولونيل كيش<sup>(٢)</sup> ذكر فى يومياته صفوة ما قام به كلفرسكى من الزيارة المفاجئة،

(١) وهنا ملاحظة فان السيدة نيوتن لم تذكر عن هذا الحادث شيئاً فى مذكراتها. ولا ندرى السبب، اهو الخوف ام الحكمة ام شئ آخر. ومعلوماتنا عن هذه الواقعة، من مصدرين: الأول ما سمعناه من عدة اصديقاء عرب هم اصديقاء نيوتن فى الوقت نفسه، والآخر ما ذكره الكولونيل كيش فى مذكراته Palcsine Diary .  
(٢) هو فى انمربية «قيس» وقد ورد هذا الاسم فى التوراة بمض الورود، وكان شاول وهو اول من جعل ملكا ممسوحا على اسرائيل، اسم ابيه قيس.

هو يهودى انكليزى، وكان ابوه من المنتمين الى منظمة «عشاق صهيون» ومن رجال هذه المنظمة من كانوا من حياة اليهود العالمية الاسرية التى هى منبع البروتوكولات. فنشأ فى بيت غذاؤه فيه التمود والصهيونية. وفى خلال الحرب العالمية الاولى قضى مدة ليست بالقليلة فى العراق وهو وقتئذ احد المهندسين الملكيين، فخرج ، ويمد شفائه نقل إلى مكتب الاستعلامات البريطانية. ولما وضعت الحرب اوزارها، ندب ليكول فى باريز فى الظاهر خبيراً عسكرياً لدى الرئيس ويلسون، وانما الصهيونيون هم الذين ندبوه وهؤلاء تسيرهم تعليمات اليهودية العالمية. وكان حول ويلسون ثلاثة يهود صهيونيين: القاضى برنديزى الاميركى المشهور وآخر تحت فتاح مترجم اسمه «منتو» ، وكيش هذا، وكان ويزمن قد اجتمع به فى جبل طارق فى خلال الحرب العالمية وكيش هناك فى مهمة تجسس. وفى سنة ١٩٢٢ اختاره ويزمن ليكون رئيس المكتب التنفيذي فى القدس فبقى فيه الى ١٩٣١ ثم استقال وسكن جبل الكرمل ونشر مذكراته التى عنوانها «يوميات فلسطين»، وفيما ذكر اشياء كثيرة عن العرب دلت على سخافة وسطحية مدهشة. والفرق بين مذكراته ومذكرات ويزمن ان كيش كقوس فزح، محلى المدى اعنى الهوى، ومذكرات ويزمن للخديعة العالمية على مستوى أعلى. وكنا نعرف كيش عن كُتب معرفة لا يأس بها. ولما كان مولانا شوكت على الزعيم الهندي فى القدس يحضر المؤتمر الاسلامى (١٩٣١ - ٣٢) وقعت مقابلة بينه وبين الكولونيل كيش فى «كلية روضة المعارف الوطنية» المجاورة لمكاتب المجلس الاسلامى الاعلى، وطلب منى مولانا شوكت على ورئيس المجلس الاسلامى الاعلى ان احضر هذه المقابلة ممثلاً للمجلس فحضرتها، فعرفت هذا اليهودى الصهيونى وروغانه. وكان موضوع البحث بين اكبر زعيم مسلم هندي وبين كيش احد قادة الصهيونيين فى فلسطين ومستقبلها وبعد ان خرج كيش من اللجنة التنفيذية بقى فى فلسطين حتى كانت الحرب الثانية ، وكان بهم الصهيونيين أن ينتدبوا نظراً مختاراً منهم للخدمة فى الجيش البريطانى فى البلاد العربية، لكن الغاية الخفية هى التجسس ومعرفة احوال البلاد ابتغاء الاستفادة من هذا فى يوم آت، وكيش احد هؤلاء، كما كان شأنه فى العراق فى الحرب الاولى كذلك كان شأنه فى شمال افريقيا فى الحرب الثانية، وكان فى تونس فى فرقة المهندسين الملكية، فقتل هناك فى نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ولما كان فى باريز ملحقاً بالرئيس ويلسون تحت اسم خبير عسكري ، كان عمله الحقيقى المساهمة فى صياغة ماهدات الصلح من جهة ويلسون. فانظر وتأمل!!

كما ذكر خطورة الجناية التي كانت تجنيها السيدة نيوتن مما يسبب سفح الدماء في فلسطين على رايه، فذهب الى السكرتير العام للحكومة محتجا مطالبا بالاخذ على يد السيدة. وما عدا التأنيب الذي سمعته السيدة، فقد صدرت وقتها التعليمات السرية الى دوائر الامن العام في فلسطين، ولا سيما شمالي البلاد حيث تقع حيفا، بأن عليهم أن ينتبهوا الى ما عسى ان يسمع من شائعات في القرى العربية تتعلق باليهود، حتى اذا التقطت آذانهم على يد الجواسيس والعيون اى شائعة من هذا النوع فعليهم باطلاع القدس على ذلك فوراً، درءاً لوقوع ما يخل بالامن!

ومعلوماتنا التي اتينا بها هنا تتعلق بهذا الحادث مأخوذة من دفاترنا الخاصة، ومن عدة مصادر انكليزية اهمها مذكرات كيش نفسه ومذكرات ويزمن، ومعلومات اصدقائي العرب النقات.

الثالثة: وقعت في سويسرا منذ نحو ٢٢ سنة من تأليف هذا الكتاب وهى من جنس آخر:

في سنة ١٩٢٢ بعد ظهور هتلر وتفكيكه هيكل اليهود في المانيا، كما عرف العالم، طريق الصهيونيين في سويسرا، وكانت الجبهة الوطنية السويسرية هى المقاومة للصهيونيين وفاضحة البروتوكولات. فلجأ الصهيونيين الى القضاء، لكن بعد ان نجحوا بوسائلهم المعلومة في اكتساب القاضى المنفرد الى جبهتهم. وهم بهذا اصحاب خبرة وحذق.

سجلت الدعوى في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٢٢ وكان المدعون يمثلهم اتحاد الطوائف

اليهودية في سويسرا، بشخص مندوب الطائفة اليهودية في مدينة برن. واختار اليهود خمسة

---

= وذكر كيش في «يومياته» من حوادث ايلول (سبتمبر) ١٩٢٩ وقت ثورة البراق ما يلى تنقله بالبحرف: علمت اليوم بالحادث التالي وهو يدل على نشاط الدعاية المعادية فقد دخل الدكتور أدر من أساتذة الجامعة العبرية، غرفة صاحب البيت الذى يسكنه، وصاحبه مسيحي عريى، فرأى بيده نسخة من بروتوكولات صهيون، ولما ابدى الدكتور استغرابه قال صاحب البيت ان هذا الكتاب انما وصل اليه من صديق له، واضاف انه علم ان هذا الكتاب يوزع على الجيش.

قلت: اكتفى كيش بهذا القدر من تدوين هذا الحادث السخيف من يومياته وكما قلنا سابقا إن هذه اليوميات محشوة بالسطحيات والاكاذيب المتعلقة بموضوعها بالمرب. ولا يفوت القارئ، وقد مر به حادث السيدة نيوتن، ان يلاحظ كيف يتفق ان يدخل كلفرسكى بيت السيدة بلا استئذان في حيفا، واما في حادث الدكتور أدر في القدس فلا بد من ذكر اشيء تدل على ما في يوميات كيش من زور : اذا كان صاحب البيت يعلم خطورة الكتاب الذى كان بيده ولا بد له ان يعلم هذا، وجاء جاره الدكتور أدر يزوره، واستأذن هذا في الدخول، فلا بد حينئذ ان يطوى صاحب البيت الكتاب الذى بيده قبل ان يدخل عليه الزائر. وإذا كان الجار أدر دخل بلا استئذان، وهذا ما نرجحه ، هالدخول من أجل التجسس، كما فعل كلفرسكى تماما. ولا نعتقد ان قول صاحب البيت انه علم ان هذا الكتاب يوزع على الجيش، صحيح. بل نعتقد ان هذا من اضافات كيش للتهويل، اذ لو كان صحيحا لذكر في يومياته انه اكتشف شيئا عظيما في نظره. واذا صح ان الكتاب كان يوزع على الجيش فالذى يصنع هذا هو الجيش نفسه على غرار ما قال ديدز لويزمن في بئر سالم ١٩١٨ ونعلم وكنا في القدس مدة الانتداب كلها، ان بعض رجال اليهود كانوا يتمددون السكنى في اطراف الاحياء العربية لا فى وسطها وداخلها، من اجل التجسس وكان الدكتور أدر من ابرع اليهود والطفهم واكيسهم فى هذا الامر.

اعضاء من الجبهة الوطنية السويسرية هم الذين توجهت اليهم الشكوى بأنهم نشروا ما يسمى بروتوكولات حكماء صهيون وقالوا فى الشكوى ان هذه البروتوكولات تلمن على اليهود وتقذح فيهم. وطلبوا الحكم على الخمسة المدعى عليهم ، ومنع تداول الكراس ومصادرة نسخته التى فى المكتبات.

وكان يعرف اليهود انهم فى نهاية الشوط، لن يريحوا الدعوى، لكنهم عمدوا الى هذه الطريقة: فاستمالوا القاضى سلفا، وان يكن هذا سماعه غربيا يقع فى سويسرا، واستعدوا أن يستفيدوا من هذا الحكم بأن يذيعوا فى العالم عند صدوره ان المحكمة السويسرية قضت بأن البروتوكولات مزورة، ويملاً اليهود الدنيا بهذه الدعاية. وكانت هذه الدعوى هى الاولى والاخيرة اقامها اليهود، فى سويسرة ولم يقيموا دعوى مثلها فى اى بلاد اخرى بينما الموت حتما هو جزء من توجد بحيازته نسخة من البروتوكولات فى روسيا وجنوب افريقيا حتى هذه الساعة.

وأخذ القاضى يتصرف من الابتداء تصرفه الشاذ. فسمع ١٦ شاهدا زورا مصطنعا قدمهم المدعون، منهم سيدة معروفة بقبح السيرة، وقد سبق ان حكم عليها بجرم التزوير وهذه جاءت شهادتها متناقضة محشوة بالأكاذيب. ومما قالته ان البروتوكولات وضعت بعد الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٥ بينما من الثابت المعلوم الذى لا ينكر، ان البروتوكولات أخذت تظهر فى روسيا قبل هذا الوقت بأربع سنين أو اكثر.

وبعد أن سمع القاضى الشهود المأجورين الستة عشر، لم يسمع من شهود الدفاع إلا اثنين فقط.

ومن شذوذه انه سمح للمدعين بتعيين كاتب اختزال على حسابهم قام بممل كاتب الضبط لوقائع الدعوى بينما الواجب أن يقوم بهذا كاتب المحكمة الموظف.

وبعد تمطى الدعوى سنتين تقريبا، صدر قرار هذا القاضى بأن البروتوكولات مزورة وكان صدور هذا القرار فى ٢٥/٥/٤. أما الصحف اليهودية فقد نشرت هذا القرار قبل ان ينطق به القاضى من على المنصة بعدة أيام.

فاستأنف المدعى عليهم الحكم، وهنا لم يستطع الصهيونيون التلاعب كما استطاعوه أمام القاضى المنفرد.

وفى نوفمبر ١٩٢٧ أبطلت محكمة الجزاء العليا القرار جملة وتفصيلا، فباء الصهيونيون بالفشل الذريع والخزى العظيم.

## ٤ - الفضائح الثلاث الكبرى في العقد الأخير من القرن قبل الماضي

لم يكن العالم بدنيته السماويين المسيحية والإسلام، ولا العالم السياسي في جميع القارات، يعلم شيئاً عن أوراق سرية رهيبة اسمها «بروتوكولات حكماء صهيون» قبل ١٩١٧، إلا في روسيا القيصرية التي انتهى أمرها على يد اليهود في تلك السنة؛ وحتى في روسيا نفسها، فقد كان وقوف الناس على هذا وقوفا ضيق النطاق، محصورا برجال الحكومة وبعض رجال الدين وأفراد من الناس. والمدة التي كان فيها يعرف عن البروتوكولات في روسيا معرفة محدودة، هي الواقعة بين ١٩٠١ - ١٩١٧. والصحف الروسية التي كتبت وقتها حول البروتوكولات قد انعدم كل اثر لكتابتها.

ونبتدئ لا بأصل المنبع للبروتوكولات، بل من يوم انكشافها للعالم، وهذا الانكشاف ينبى ان يمد أعظم ارث انكشافي بدأ في العقد الأخير من القرن قبل الماضي، ثم انتقل الى القرن الماضي، ولن يكون لقصته انتهاء ما دام في العالم بشر يقال لهم يهود «قباليون»، «تلموديون»، «ماسون»، «صهيونيون»، والمادة كلها واحدة.

وشاءت الأقدار أن يشهد العالم في العقد الأخير من القرن قبل الماضي ثلاث فضائح عالمية كبرى، تعاصرت في الحضارة والتفريخ والامتداد، والثلاث هذه لليهود فيها حصة الأشد وبعضها كله لليهود، وهذه الفضائح هي:

فضيحة مشروع قناة بناما (١٨٩٢).

فضيحة الخائن اليهودي الكابتن درايفوس الفرنسي (١٨٩٤).

فضيحة «بروتوكولات حكماء صهيون» (١٨٩٧).

الأولى لليهود فيها يد خفية والثانية بطلها اليهودي الخائن الأكبر درايفوس. والثالثة كلها

يهودية بل تمثل اكسير الخبث النامي على عروقه التلمودية مدة ألفي سنة.

## ٥ - السيد فيكتور مارسدن الصحافي البريطاني أول من عثر عليها سنة ١٩١٧

السيد فيكتور ا. مارسدن، مراسل جريدة «المورننغ بوسط» البريطانية، كان يقيم في روسيا ممثلا لجريدته، فأقام في روسيا خلال الحرب العالمية الاولى، واتقن الروسية وتزوج سيدة روسية. لما وقعت الثورة البلشفية ١٩١٧ كان نشيطا نشاطا فوق الحد في موافاة الجريدة بأنباء الانقلاب والثورة، وأعمال الثورة ومجرى ثقلها.. لكن لم يطل به الأمر وهو على هذا النشاط، حتى قبض عليه وطرح في السجن، في عهد «كيرنسكى». وبقي مارسدن في سجن «بيتروبول» سنتين. فلما أخلى سبيله وسمح له بمبارحة روسيا الى بلده، كان المرض قد علق ببذنه، ووهنت قواه. لكنه، وهو المراسل الخبير، استطاع ان يخفى في امتعته كتابا في الروسية مؤلفه العالم الارثوذكسى التقى البروفسور «سرجى نيلوس». نيلوس عالم بحاثه، وهو من رجال الكنيسة، غيور على الارثوذكسية وروسيا معا.

مارسدن، لما تحسنت حالته الصحية في لندن، عكف على ترجمة الكتاب الذى نقله سرا من روسيا، فاذا بهذا الكتاب هو الذى ما اصطلح على تسميته فيما بعد «بيروتوكولات حكماء صهيون». وتعب مارسدن في ترجمته وعانى كثيرا لأن العبارات العبرية باصلها محبوكة حباكا وثيقا، وهى كحجارة السيفساء في احتشاد بعضها الى بعض. ومما زاد في صعوية الترجمة، دقة المقاصد وجهنمية الغايات والأهداف. وتخبرنا التفاصيل التى تمحصت الى اليوم وتبلورت، ان مارسدن قام بهذه الترجمة في مكتبة المتحف البريطانى في لندن، ملتزما الصمت والسكون، حتى تم له ترجمة البروتوكولات، وهى ٢٤ فصلا، واقعة في نحو ٨٥ صفحة انكليزية من القطع المتوسط والحرف الصغير، ماعدا المقدمة والفهرس.

هذا سنة ١٩١٩ والعالم خارج من معمصان الحرب الاولى، ومؤتمر الصلح في باريس محوطا بالخبراء والتراجمة والامناء اليهود من قبل حكماء صهيون، ينعقد لا لعقد صلح شريف يكفل السلم في العالم الى آمد بعيد بل للتحكم الانتقامى بالمغلوب، وبالامم الضعيفة في العالم العربى والعالم الاسلامى وافريقيا، والوصول الى هذه الغايات وهى:

١ - تمكيد المانيا واستنزاف قواها.

٢ - الاتفاق على تجزئة الامبراطورية العثمانية عامة وتوزيع ارثها.

٣ - الاتفاق المهم على اقتسام الاقطار العربية خاصة، المنفكة عن الامبراطورية

العثمانية.

- ٤ - استتلال فلسطين من الاحبولة كلها وتهيتها لتكون الوطن القومى اليهودى.  
فى هذا الوقت نفسه كانت البلاد العربية على هذه الاوضاع ١٩١٩ :-
  - ١ - مصر منغمسة فى ثورتها الوطنية العارمة، تحت لواء سعد زغلول، تريد حريتها واستقلالها، وكانت مفروضة عليها الحماية البريطانية منذ ١٩١٤ .
  - ٢ - العراق، شأنه كشأن مصر فى الثورة على الانكليز يريد حريته.
  - ٣ - سوريا والاردن، وكانا وقتئذ بلدا واحدا، بين فكي الكماشة، فرنسا وبريطانيا.
  - ٤ - لبنان تحت الاحتلال الفرنسى.
  - ٥ - فلسطين، تحت الاحتلال البريطانى. وكان وعد بلفور قد اخذ طريقه الى غاياته بالحرب البريطانية.
  - ٦ - الجزيرة العربية، تتمخض تمخضا شديدا لعراك انتهى آخر ١٩٢٤ باستيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز ثم على عسير حتى تم للبيت السعودى بعد عدة سنين ان يجعل معظم الجزيرة منضوية الى ملكه.
  - ٧ - اليمن، فى حكم الامام حميد الدين، منكمشا، مقمطا وهو يخشى بريطانيا وايطاليا.
  - ٨ - السودان، تحت الاحتلال او الحكم الثنائى المصرى - البريطانى منذ ١٨٩٨ .
  - ٩ - ليبيا، وقد شرعت تعرف بهذا الاسم الجديد بدلا من طرابلس وبرقة، وقد انفصلت عن الامبراطورية العثمانية نتيجة الحرب الاولى.
  - ١٠ - اما تونس والجزائر والمغرب، كل هذا كان يدور فى أفلاكه المحلية مع فرنسا، والصلة قليلة جدا بين هؤلاء الشقيقات والمشرق.
  - ١١ - وكانت اطراف الجزيرة تهيمن عليها بريطانيا، وكانت الكويت فى الطريق الى ان تقبل على الوجود الحديث بالبترو، لكن بعد عدة عقود.
- ومثلها البحرين وقطر وسائر امارات الخليج العربى. وعلى الجملة كان العالم العربى مفكك الاوصال لكنه يتمخض تمخضا شديدا عن ثورات دامية بعد قليل.

## ٦ - وضع البلاد العربية ١٩١٩ وعصبة الأمم

في هذا الوقت نفسه، كانت «عصبة الأمم» قد أنشئت لتسيطر على الارث العالمي الجديد، ونقطة بيكاره الاقطار العربية، وانشاء الوطن القومي اليهودي في «فلسطين». وتسيطر بريطانيا وفرنسا على «العصبة»، لكن اليد الخفية هي الصهيونية، ومن ورائها اليهودية العالمية.

لم يخف على اليهودية العالمية ان العالم العربي الجديد قد اقتسمه الدولتان «المنتدبتان» واحتلتاه وضيقتا عليه مسالك الحياة، وقد يبقى العالم العربي وقتاً طويلاً وهو يتحرك، ويستيقظ، ويتمطى، ويتحفز، ويغالب المستعمر المحتل، والتخلف الموروث من اليهود القديمة داخل حدوده، قبل ان يستطيع ان يثبت قدرته على الوجود الحديث، وقبل ان تعرف في النصف الاول من هذا القرن «الامة العربية» بالمعنى الصحيح. فكان مخطط اليهودية العالمية ان يبطش وعد بلفور بفلسطين ويعقم حياة العرب فيها، في خلال فترة الاستيقاظ والتمطى. فلا يتكامل ذلك او يشتد عصبه، إلا والوطن القومي قد بلغ من القوة ما يكفيه ليمشى بعد ذلك وحده.

وكان هناك خطر من العرب على الوطن القومي بعيد الحرب الاولى، وكان هذا الخطر شاغلا بال اليهود الى حد بعيد. ذلك الخطر هو ان تقوم للعرب دولة في سوريا قاعدتها دمشق. ووجه الخطورة في هذا الخطر من وجهة نظر اليهود، لا كون الحكومة العربية الهاشمية التي أنشئت في دمشق في خريف ١٩١٨ هي حصيلة الثورة العربية التي باشرها الحسين بن علي في سنة ١٩١٦ وانتهت بعد سنتين ونصف، من جهة سوريا، بانشاء الحكومة العربية التي كان على رأسها فيصل بن الحسين. كلا. فسياسة الحسين بن علي وسياسة ابنائه تدور في الفلك البريطاني. وانما رأى اليهود احتمال الخطر أن يستوسق الامر للعرب العقلاء المسؤولين عن تجديد كيان الامة العربية، في دمشق. فاذا قامت دولة عربية في دمشق في سنة ١٩٢٠ فكيف ينال الوطن القومي في فلسطين قرار العين. فلما وصل غورو الى دمشق طرقت اليهودية العالمية وأمنت جانب العرب، وبهذا انفضام لآمال العرب التي كانوا يعلقونها على الثورة وثمراتها. ولليهود رقصتان كبيرتان، الاولى يوم دخل غورو دمشق ١٩٢٠ والثانية ليلة التقسيم ١٩٤٧.

الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة، تلقى من لويد جورج، ومن ويزمن نص ما اتفق عليه من عبارات وعد بلفور، فوافق على ذلك وباركه، قبل ان يصدر الوعد رسمياً في ٢ نوفمبر ١٩١٧. اما هرسا وايطاليا، فهما وافصا عليه بعد اصداره، وكان المتفق عليه سابقاً بين



الحلفاء ان تكون فلسطين دولية، فلما انتهى التفاوض على وعد بلفور، فوضت لندن الى ويزمن وسوكولوف في امر استجلاب فرنسا واطالها الى الموافقة. وقد كان ذلك.

وكان للدكتور ويلسون ، مع موافقته على وعد بلفور، مخطط سلمى واسع، فأراد إبطال المعاهدات السرية، وإطلاق الحق للشعوب الضميمة في اختيار المصير، وان تكون «الانتدابات» مجرد إرشاد ونصيحة الى مدة موقوتة، ونزع السلاح، وتقوية «عصبة الأمم»، وهي بالأصل فكرته، لتكون الفيصل في المنازعات والمعضلات. فلما لم يوافق الشعب الأميركي سنة ١٩٢٠ على أن تتفمس اميركا في شؤون اوريا، قضى على مخططه ولم يمد الى اوريا، وانتهت رئاسته ١٩٢١ وتوفى ١٩٢٤. وبقيت المصبة حية تسمى، لكنها هي عصبة:

١ - بريطانيا وفرنسا.

٢ - واليهودية المالية من وراء ستار.

لا يظن القارئ ان هذا الكلام كله هو من الاستطراد الذي يخرج بنا عن الصدد. كلا. فان رقبة الكلام «بروتوكولات حكماء صهيون» ، ووعد بلفور هو «ورقة المرور». وهذا كله عند اليهود قضية واحدة: العمل نحو الغاية.

## ٧ - «الأربعة الكبار» في مؤتمر الصلح ١٩١٩ في نطاق يهودي

عند ذكر قصة السيدة البريطانية، فرانس نيوتن، والكولونيل اليهودي كيش، وكلفرسكي، ذكرنا مجمل سيرة كيش هذا، وأنه كان في باريز من أدوات اليهودية العالمية، وساهم في صياغة معاهدات الصلح، مع ان صفته الظاهرة هي «خبير عسكري» ملحق بوفد الرئيس ويلسون الاميركي، وكيش بريطاني، افليس عند ويلسون من الأمر كان مثل كيش حتى يأتي به من غير ابناء أمته؟ نعم، عنده مئات لا عشرات، لكن الذي اتى بكيش لا ويلسون، بل برانديزي القاضى اليهودى الاميركي، واليهودية العالمية. ولما قدم ويزمن مذكرة مسهبة سنة ١٩١٩ الى مؤتمر الصلح يطلب حدود فلسطين ان تكون واصلة في لبنان الى قرب صور مع جبل الشيخ، وان تكون واصلة في سوريا الى قرب درعا ومن هناك على محاذاة سكة حديد الحجاز الى العقبة، كان كيش هذا من الماملين على ترويج المطالب بكل وسيلة مستطاعة. اليهودية العالمية في العمل لمخططها لسانها البروتوكولات، فعلمنا اذا شئنا تصحيح معلوماتنا او التوسع فيها، قدر الامكان.

\* \* \*

اليك مثالا مهما، يريك «لوحة» واحدة من لوحات أدوات اليهودية العالمية في باريز سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ والعالم العربي وقتئذ في جراحاته ومخاضه.

«الأربعة الكبار»، لفظ شاع في تلك الفضون، وبه يراد رؤوس عصبة الامم الذين بيدهم المقادة والأعنة. وهؤلاء هم ويلسون (اميركا) ولويد جورج (بريطانيا) وكليمنصو (فرنسا) واورلندو (ايطاليا). فانسحب ويلسون، وايطاليا رتبها في القضية ثانوية، فبقى من ينطبق عليه القول: «حاميا حرامياها»، واليهودية العالمية. وكان مع لويد جورج سكرتير يهودى اسمه ساسون. ولندع هذا على الرف لأن لويد جورج هو مع بلفور معطى الوعد للملون، وكان لكليمنصو سكرتير اسمه مندل روتشيلد، ثم اقتصره على مندل. ونأتى الى الرئيس ويلسون لتعلم من كان حوله ممن هم لباب العقيدة اليهودية الصهيونية.

الدكتور ويلسون في باريز كان حوله ثلاثة يهود:

١ - القاضى الاميركي برنديزي المشهور، وهو الابرة المغنطيسية في دماغ ويلسون. ويزمن يشبهه «بابراهام لنكولن». وكان برنديزي زار فلسطين ١٩١٩ واطلع على البلاد

واحوالها، واسلوبه فى العمل الاسلوب الاميركى، بينما اسلوب ويزمن اسلوب اليهودى الروسى.

٢ - مترجم يهودى لم يعرف إلا باسم «منتو» وما كان يحب ان يعرف بأكثر من هذا، كأنه بلا أب ولا أم.

٢ - كيش «او قيس» الذى مر بك خبره.

وهؤلاء جميعا، يرمون عن قوس واحدة، بسهام مختلفة، الى هدف واحد.

هذه لوحة من أثر «البروتوكولات» وسيأتى المزيد من هذا.

فلما ظهرت البروتوكولات سنة ١٩١٩ كانت المرحلة التى يجتازها اليهود بمخططهم دقيقة للغاية. واذ قد استوفينا بايجاز وصف أوضاع المرب فى تلك الفترة، فلنعد الى قصة المستر مارسدن الذى ترجم البروتوكولات لأول مرة.

## ٨ - رواية أخرى لظهور البروتوكولات وفضل العالم نيلوس

وقفنا بمارسدن عند فراغه من ترجمة البروتوكولات في مكتبة المتحف البريطاني ونمضى فنقول ان بعضهم يعتبر هذه الرواية هي الواقعة المرجحة تمثل كيفية خروج البروتوكولات من الظلمة الى النور، بعد عمل نيلوس.

غير ان هناك رواية اخرى ذات وزن، وهي ان السيد مارسدن قبل ان يتوجه الى روسيا منتدبا من المورننغ بوسط سنة ١٩١٧ كما سبق له الذهاب الى روسيا من قبل، والآن وقعت الثورة البلشفية ، لفت نظره الى ان في المتحف البريطاني كتابا يبحث في مخطط يهودي بلشفي، ونصح بالاطلاع عليه قبل ان يبرح لندن توسيعا لمعلوماته وتزودا بها، وروسيا اصبحت في خضم من دم. فاطلع عليه وعلم اي كتاب هو، لكن ترجمه بعد عودته من روسيا. هذا الكتاب هو نسخة بالروسية من البروتوكولات، مطبوعة في روسيا ١٩٠٥ ودخلت مكتبة المتحف البريطاني سنة ١٩٠٦. هذه الرواية الثانية لكيفية وصول مارسدن الى النسخة الروسية لا تغير من الجوهر شيئا وانما اوردناها زيادة في بسط المعلومات لا اكثر. وتبقى الحقيقة الموجزة هي هذه.

١ - الفضل لسرجي نيلوس في ترجمتها من العبرية الى الفرنسية اول هذا القرن.

٢ - والفضل لمارسدن في ترجمتها الى الانكليزية بعد ذلك.

والترجمة الانكليزية التي لدينا لمارسدن، ظاهرة الدقة ونقاوة التحرير وهي الوحيدة المعتمدة، ويجوز ان لحقها شئ لطيف في متوالي الطبعات بعد ١٩٢٠ من تبديل لفظة بلفظة او عبارة بعبارة، ابتغاء المزيد من الجلاء.

وعاود المرض لمارسدن بعد سنتين، فمات عليلا من اثر ما ناله من الشدة وهو في سجن بيتريول، وزاد في امر علة ما انكتب عليه من عمل وهو يترجم البروتوكولات. فعمله هنا وهو خدمة للانسانية، يفوق في نظرنا ما عمله في كل حياته في سبل اخرى، ونتمنى ان العالم العربي كلما استيقظ وتبته الى هذه المكيدة اليهودية الكبرى، تذكر فضل هذين البطلين: نيلوس الروسي، ومارسدن البريطاني.

ولنوجز خبر نيلوس ليكون ذكره لدى القارئ مقرونا بذكر مارسدن فهو ينتمي الى رجال الدين في روسيا، ووصف بخوف الله وحبه البحث العلمي وغيرته على الارثوذكسية والمسيحية. وسنة ١٩١٧ كان قد اعد طبعة جديدة من كتابه هذا، فوقعت الثورة، وجاء عهد

كيرنمكي، فصدرت الاوامر المشددة بمصادرة الكتاب وإحراقه، وذلك قبل ان يوزع على المكاتب ثم بعد قليل اعتقل الرجل وسجن، وعذب، ثم نفى الى فلاديمير، وقضى نحبه هناك فى منفاه فى ١٢/١/١٩٢٩ بعد مارسدن بعدة سنين ولا نعلم اى شئ من حياته، قبل النفى ولا بعده غير هذا. ولكننا نعلم انه ذهب بين ايدى اليهود ضحية ما ترجم من البروتوكولات.

هذا ما جمعه الباحث البريطانيون من معلومات تبين وصول أوراق البرتوكولات الى

نيلوس:

ذكر نيلوس فى مقدمة كتابه الذى نشره فى روسيا، وفى هذا الكتاب فصل عنوانه «بروتوكولات حكماء صهيون» ان صديقا له، لم يذكر اسمه، دفع اليه قبل نحو ٤ سنوات اوراقا يعتقد ذلك الصديق انها ترجمة صحيحة لوثائق أصلية سرقتها سيدة من زعيم ماسونى كبير فى نهاية اجتماع ماسونى عقد فى فرنسا، (وهى فرنسا عش المؤامرات الماسونية). نرى هنا ان صديقا من أصدقاء نيلوس فى روسيا دفع اليه الأوراق، ودون ان نسأل هل تلك الاوراق مسروقة بحسب هذه الرواية، او انها وصلت بطريقة اخرى الى نيلوس بواسطة ذلك الصديق، فما هى اللغة المكتوبة بها الأوراق؟ اذا كانت عبرية، فيلزم ان نيلوس كان يعرف العبرية، واذا لم تكن بالعبرية، أفكانت بالروسية؟ فاذا صح هذا فليس لنيلوس إذا إلا فضل الدراسة والتعليق. واذا كانت وصلت اليه لا بالعبرية ولا بالروسية، فيلزم ان تكون بلغة اخرى كالفرنسية مثلا. وفى رواية اخرى ان أليكس نيقولايفتش، من رجالات روسيا البارزين، هو الذى كلف نيلوس بالنظر فى الاوراق او ترجمتها بعد ان اطلمه عليها ودفعها اليه. والكتب الانكليزية التى تبحث فى البروتوكولات وسيأتى ذكرها عما قريب، لم تعلمنا من هو السيد الروسى ذو المقام المرموق. ولعل انغلاق الابواب لم يمكن من معرفة هذا او ان الدراسة الكافية لم تتوفر للموضوع بعد ١٩١٧.

\* \* \*

## ٩ - الرواية الثانية التي اعتمدها «سكوت»

هناك رواية ثانية، اعتمدها الكاتب لفتنت ج. ك. سكوت في كتابه «الحكومة الخفية» الصادرة طبعته الثالثة سنة ١٩٦٠ (الطبعة الاولى سنة ١٩٥٤) وهي على ما ذكره سكوت ومع ما جمعناه من مصادر انكليزية اخرى، كما يلي:

بعد ذبوع محاكمة الضابط درايفوس الخائن اليهودى الفرنسى فى باريس ١٨٩٤ وانقلاب هرتزل من يهودى اندماجى، او من لا صهيونى، الى صهيونى ازدادت حركة «عشاق صهيون» فى روسيا نشاطا سياسيا خفيا، وكان الحكم على درايفوس بالتجريم والخيانة والسجن والنفى الى جزيرة نائية والتجريد من الشرف العسكرى، محركا لليهودية العالمية. وكان هرتزل مهتما بوضع كتابه «الدولة اليهودية» الذى نشره بالالمانية ١٨٩٦. وكان اليهود قد ضاعفوا جهودهم الخفية لدى القيصرية الروسية بعد مقتل القيصر اسكندر الثانى (١٨٥٥ - ١٨٩٤) اشد التدابير ضد اليهود فجعلوا يهاجرون الى الأمريكتين ومن هنا اخذت منظمة «عشاق صهيون» تهتم بأمر الهجرة الى فلسطين. ولما جاء القيصر نقولا الثانى (١٨٩٤ - ١٩١٧) وكان هو آخر القياصرة، وقتله اليهود فى قصته المشهورة سنة ١٩١٧، كان هذا القيصر ضعيف الارادة فاخذت النعمة تشتد عليه فى روسيا حتى كانت الثورة والحرب مع اليابان فى العقد الاول من هذا القرن. ولعل اليهود أطمعهم ضعف القيصر نقولا، فعمزوا على توسيع مخططهم. لكن كانت حكومة القيصر يقظة حذرة، بمقدار ما كانت بطاشة فتاكة بغير هوادة.

ومن مخطط هرتزل سنة ١٨٩٧ ان يعقد المؤتمر اليهودى العالمى فى بازل (سويسرا) فانعقد وكان هذا المؤتمر يستر عمله بجلسات سرية.

وطبعا درت حكومة القيصر بما يبيت لها اليهود فصممت من ناحيتها على ان تبطش اذا امكن، فماذا فعلت؟

انها اختارت عصابة مكينة من مهرة الجواسيس الروس المجريين، وانفذتهم الى «بازل» متكرين. واتقنوا الخطة كل الاتقان، وبينما المؤتمر منعقد فى جلسة سرية، اقتحمت عصابة الجواسيس الروس القاعة اقتحامه الضواري وهبوا على المؤتمرين كالصاعقة، وهؤلاء كما يقال، من المصادر اليهودية، بين ٢٥٠ - ٣٠٠ ممثل، وكلهم رجال الاقتصاد والمال واساطين الفكرة اليهودية فذعروا ورواوا أنفسهم فى لحظات ان قد احاطت بهم اسوأ هلكة، فطلبوا السلامة والنجاة بنفوسهم واوراقهم، وانذعروا كالارانب، وفى لحظات ايضا جالت عصابة المقتحمين جولة خاطفة فجمعت ما استطاعت جمعه من الاوراق المنشورة على المناضد، وخرجت وتوارت عن الانظار، دون ان تلتحق اى اذى «باشخاص» المؤتمرين. وانتهى كل هذا قبل

ان يصل احد من رجال الشرطة الى محل الحادث.

ثم انتهت هذه الاوراق الى بطرسبرج، وهناك نخلت ومحصت، فعثروا على الاوراق التي تحتوى «البروتوكولات». هذه الرواية الثانية. ويرجح اكثر البحاث ان هذه الرواية هي الصحيحة. واذا كانت هي الصحيحة فتكون الاوراق انتهت الى الحكومة الروسية بالعبرية، الا اذا كان واضع البروتوكولات قد وضعها بلغة غير العبرية، كالفرنسية مثلا، ولما كان اليهود حريصين على مصطلحاتهم العبرية، منذ استعمل واضع البروتوكولات كلمات عبرية، فقد حافظت عليها الترجمة الروسية، واقتضت اثرها الترجمة الانكليزية، ونحن هنا كذلك، وهما لفظة «جويم» او «جويم» وهذه عند اليهود يعبرون بها عن غير اليهود ولكنها الى التحقير اقرب، اذ ورد فى البروتوكولات الفاظ «الحيوانات» و«الماشية» بمعنى «الفرم»، والمفنيون بهذا خاصة اهل اوريا. واللفظة الاخرى العبرية هي «اغنتير» او «اجنتير» ومعناها يتعلق بالسياسة. ومهما يكن من امر يتعلق بكيفية وصول الايدي الروسية الى هذه الاوراق، قد انتهت الى نيلوس كما تقدم.

ويؤخذ من عبارة نيلوس التى قالها سنة ١٩٠١ من ان الاوراق دفعها اليه صديق له منذ اربع سنين سابقة، ان تلك السنة هي التى انعقد فيها المؤتمر ١٨٩٧ ويكون نيلوس قد صرف فى دراستها وترجمتها الى الروسية اربع سنين.

وقال سكوت صاحب «الحكومة الخفية»، ان مداهمة العصبة الروسية القيصرية كان فى اليوم الثانى او الثالث لانعقاد المؤتمر، حسب تقديره، غير اننا نحن نعتقد من التدقيق الذى قمنا به ان المداهمة، اذا صحت، كانت بعد اليوم الرابع او الخامس، لوجود قرائن فى نصوص البروتوكولات تدل على عدة ايام مضت قبل المداهمة اكثر من يومين أو ثلاثة.

\* \* \*

## ١٠ - المتهم بوضع البروتوكولات اشر غنزيغ المشهور باسمه القلمى «احداها عام»

هل واضع البروتوكولات فرد ام جماعة؟ ومن هو اذا كان فردا؟ ان ما اجمع عليه البحاث الفرييون ان هذه البروتوكولات اعدھا قبل انعقاد المؤتمر احدا كبراء اليهود، اذ نفسها نفس واحد، لتقرأ فى المؤتمر وتقرأ لا لتتشر، بل لتكون بمثابة دستور يستتير به العاملون من اليهودية العالمية. ولا يراد توزيعه حتى على خاصة اليهود.

ويعد ان ترجمت البروتوكولات الى الانكليزية، وجعل الكتاب يخوضون فى امرها، اتجهت التهمة الى اكبر مفكر عندهم، هو اشر غنزيغ من اودسا، وهذا الرجل هو بمثابة استاذ روحى لويژمن، وويژمن يعترف باستاذية غنزيغ عليه. اعترافا كله مباهاة وافتخار واكبار.

وها هى القرائن التى يلاحظها المدقق اشارت الى اشر غنزيغ؟ ولا بد ان تكون هذه القرائن قائمة واضحة، والقرائن، ولا سيما المقنعة المعقولة، تقوم مقام البيئات المحسوسة فى مثل هذه الحال. ويبدو ان التهمة توجهت الى اشر غنزيغ بعد اجتياز مرحلتين فى التدقيق عند الكتاب الاوربيين، وهما:

اولا: نخل ادمغة كبراء اليهود فى الربع الاخير من القرن الماضى، وحصر من يتعلق بهم الاحتمال ان يكونوا هم الواضعين للبروتوكولات، بأقل عدد ممكن.

ثانيا: دراسة هؤلاء فى كتبهم المنشورة، ودراسة اتجاهاتهم ومذاهبهم الفكرية السياسية، ونوع نشاطهم، ومستواهم فى كل ذلك، وتأثيرهم فى توجيه التيارات اليهودية، والفرق بين كل واحد من هؤلاء وآخر.

ولما وقع يهود روسيا فى الضنك، بعد ان اغتيل القيصر اسكندر الثانى سنة ١٨٨١، وتوجهت التهمة الى جمعياتهم الارهابية السرية، وهى جمعيات على نحو ما رأى عرب فلسطين منها فى فلسطين منذ ١٩٢٠ ولا سيما منذ ١٩٤٢ فصاعدا، اتسع تفكير كبراء اليهود فى الوصول الى غايتهم، وازداد نشاطهم الارهابى الخفى، فالذين عنوا بنخل ادمغة اليهودية ليستجلوا من هو الاقرب منها الى التهمة، ولا ريب انهم فعلوا ذلك على ضوء روح البرتوكولات، وشمولها، وغايتها، فظهر من هذا الربط بين روح البروتوكولات وبين من عساه ان يكون هو الواضع، ان الذى ينطبق عليه ذلك اكثر ما يمكن بالقرائن هو اكبر مفكر عندهم، اشر غنزيغ.



## ١١- من هو «احدها عام»؟ أستاذ ويزمن الروحي

ومن هو هذا الرجل الخطير في مخططة وغايتها؟

- ١ - انه برز اول ما برز في البيئة اليهودية كاتباً ناقدا عميق الفكرة، واختار اسما قلميا احدها عام وبهذا الاسم عرف في كل حياته فيما بعد.
- ٢ - وغنزيرغ يهمة امر الاسس، والغايات، وصحة الاساليب، ولا تهمة الجزئيات.
- ٣ - لم يكن متفقاً مع هرتزل في اساليب العمل نحو الغاية. حضر المؤتمر الصهيوني المالي الاول ١٨٩٧ لكنه كان صاحب رأى مستقل غير منسجم مع رأى هرتزل.
- ٤ - يقول اشرف غنزيرغ ان بعث اليهود في هذا العصر، يجب ان يستند الى بعث الروح اليهودية العنيفة، كالروح التي نمت في التيه على يد موسى ويشوع، وانما بهؤلاء الذين كانوا الجيل الثاني بعد الخروج من مصر، استطاع يشوع دخول فلسطين من جهة اريحا بعد عبور الاردن من جهة الشرق، ولولا ما تشبع به بنو اسرائيل من روح الاقتحام والفتك، لما استطاعوا دخول فلسطين من شرق ولا من غرب، وربما بقوا في التيه وأكلتهم الصحراء وفنوا.
- ٥ - فمئذ انه يجب خلق روح الاقتحام اولا، وهذا يعقبه العمل للوصول الى ارض يجتمع فيها اليهود. اما هرتزل فمخططه الارض اولا، ولو في شرق افريقيا، ثم التدرج الى فلسطين، ثم عاد هرتزل فوضع فلسطين نصب عينيه توا.
- ٦ - ومع ان هرتزل مضى بعد مؤتمر ١٨٩٧ بمخططه حتى مات ١٩٠٤ فقد بقى اشرف غنزيرغ يعمل على طريقته من خلق روح الاقتحام وهذا معناه الدم والسيوف والتدمير والهيئات السرية وما الى ذلك ووضع الرجل كتابين من اجل تحقيق غاياته، وانشأ منظمة بنى موسى لتخريج عدد من الشبان اليهود كل سنة، يحملون روحه وعقائده. ويزمن انتهى الى ان يكون احد تلاميذه.
- ٧ - وليبان الفرق بينه وبين هرتزل، فان هرتزل بعد وضعه كتابه الدولة اليهودية وعقده المؤتمر ١٨٩٧ صار بينى خطته على نقطتين: الهجرة الواسعة النطاق، وامتلاك ارض يكون اليهود فيها احرارا. فلذلك، هو لم يعارض اول الامر في ان تكون هذه الأرض في الارجننتين او شرق افريقيا، لكنه عاد فتمسك بفلسطين، لما هب في وجهه يهود روسيا يطلبون فلسطين لا غيرها، فكان له إما ان يدعن واما ان يستقبل فاذعن، وفي اثناء المؤتمر افتريت منه سيدة

يهودية، وقالت له وهو نازل من على المنبر: يا خائن! ويرجح ان هذه السيدة كانت مدفوعة من الفئة التي كان يقودها ويؤمن الشاب في المؤتمر. اما ويؤمن فأخذ من الاثنين: الروح الاقتحامية من احدها عام والهجرة الواسعة وامتلاك الارض من هرتزل. واول من زرع هذه العقائد في فلسطين بعد الحرب الاولى جابوتسكى استاذ مناحيم بيغن وشترن وسائر العاملين في صناعة الإرهاب والدم والتدمير.

٨ - والارهاب الذي قام به اليهود في فلسطين في خلال الحرب الثانية من ١٩٤٢ فصاعدا وظهور عصابة المنظمة القومية العسكرية (ارغون زفاى ليومى) يرأسها الارهابى مناحيم بيغن السفاك المشهور، ثم من هذه العصابة اشتقت وظهرت عصابة فرعية يرأسها السفاح شترن كل هذا ينطبق كل الانطباق على مخطط احدها عام. ثم كانت مذابح ١٩٤٨ الوحشية قام بها هؤلاء المناكيد، فكانت تحمل الروح نفسها. وكذلك جميع المذابح الاخرى، بعد مذبحه دير ياسين ، وطبريا، وناصر الدين ، (١٩٤٨) جاءت مذابح وادى عرية (١٩٥٠) ومذبحه شرفات (١٩٥١) ومذابح عيد الميلاء في منطقة بيت لحم (١٩٥٢) ومذبحه قبية (١٩٥٢) ومحاولة تدمير مخالين (١٩٥٤) ومذبحه الاطفال في وادى فوكين ودير ايوب (١٩٥٤) والهجوم البربرى على غزة (١٩٥٤)، والهجوم المركز على خان يونس (١٩٥٥) ثم تكرر الهجوم على غزة ١٩٥٦ ثم المذبحة الرهيبة في كفر قاسم آخر ١٩٥٦ ليلة الهجوم الثلاثى على سينا، ثم عدوان اليهود على قرية التوافيق (١٩٦٠) ثم على قرية النقيب (١٩٦٢) ثم تكرار العدوان على قرى «المثلث» ثم على الاردن وسوريا، كل هذا يحمل روحا واحدة وعقيدة احدها عام.

٩ - وهناك نقطة في غاية الخطورة، وهي ان الوكالة اليهودية ايام الانتداب الى ١٩٤٨ ثم اسرائيل بعد ذلك، وكلتاهما واحد، كانتا دائما وراء حوادث تخطيط الارهاب وتنفيذه، ووسع هذا المجازر كسفا عن هذا، مذبحه كفر قاسم. فهذه الروح سارية في المنظمات الصهيونية، ولما انقلبت تلك المنظمات الى اسرائيل او اندمجت فيها، صارت عقائد الوحشية تسلك التي غاياتها مؤيدة في ذلك من المنظمة الكبرى او ما يسمى اسرائيل.

\* \* \*

نبت ونشأ احدعام - وهو يعرف بهذا الاسم كما قلنا، معرفة استغرقت اسمه الحقيقي اشرف غنزيغ - في مدينة اودسا (على البحر الاسود في اقليم اوكرانيا، واودسا دائما موئل اليهود في العنف والارهاب منذ قرون).

ولد سنة ١٨٥٦ فهو اكبر من هرتزل بربع سنين، ومات في تل ابيب سنة ١٩٢٧ فعاش بعد موت هرتزل (١٩٠٤) ٢٣ سنة. ولما جعل يشتمل في الحركة اليهودية كان شائعا وقتها مذهب الانسماج - ان يندمج يهود كل بلاد بأهل تلك البلاد التي يقيمون فيها. مجتمعا ولفة

وثقافة واتجاهها، ولا تبقى العبرية الا لغة الصلاة - فتبذ هذا الاتجاه وصار يحمل عليه حملات شعواء. أما هرتزل فقد كان في اول امره اندماجيا لكنه تحول عن هذا بعد محاكمة دريفوس الخائن اليهودي، الى الصهيونية السياسية المكشوفة.

وسيطر احدها عام بمقالاته العميقة الروح والدعوة ، على التيار الروسي فازداد قوة اجتذاب للشباب. وعلا شأنه اكثر فأكثر بعد موت هرتزل (١٩٠٤). وحل في التأثير والاستمالة محل عشاق صهيون التي سبقت الاشارة اليها في عدة مواضع.

وكان يعاصر احدها عام من اهل الفكر على هذا الطراز، يهودى آخر ومن اودسا ايضا، وكان له اثر في التوجيه، هو الدكتور ليون بنسكر. فهذا الفكر اليهودى كان متأثرا بالاصلاحات التي منحها القيصر اسكندر الثانى (١٨٥٥ - ١٨٨١) فقام بنسكر باعتراف الثقافة الروسية واحلالها محل اللغة اليديش في شرق اوروپيا وجنوبها (اليديش خليط اكثره من كلام عبرى والمانى، وكلمة يديش هذه مثل جويش في الانكليزية) فتحل الروسية محل هذه اليديش ومحل العبرية ايضا. وهذا الاتجاه من بنسكر في قبول الاندماج كان مجاله في المانيا، اذ هناك تبقى العبرية مع الاندماج لغة الصلوات والطقوس الدينية. لكن بعد مقتل القيصر ١٨٨١، واليهود هم المتهمون باغتياله، وبعد ان راحت الحكومة القيصرية تبطش باليهود، تراجع بنسكر عن مخططه ودعوته الى التمسك بعربى يهوديته تماما، كما فعل مثله من بعد ٢٢ سنة هرتزل اثر محاكمة دريفوس.

فوضع بنسكر كتابا سنة ١٨٨٢ سماه «التحرر الذاتى» دعا فيه اليهود الى ان يوقفوا وعيهم في افاق نفوسهم ووجدانهم، قبل ان يطلبوا انشاء وطن مادى، ورفض ان تكون فلسطين هي الرقعة المختارة، اذ شرطه في اختيار الارض ان لا تكون مشغولة بسكان يقطنونها، ولا نزاع عليها، وهى مآمن، والوصول اليها سهل ميسور بغير عنف. ودعا الى عقد مؤتمر عام يبحث هذا المبدأ. فكان لكتابه صدى بعيد، لكن لم يؤد الى خطوات عملية. ثم صار بنسكر على جانب المسرح وبقى احدها عام في طريقه وعلى منهاجه<sup>(١)</sup>. ولم يعقد المؤتمر، وكان مخطط بنسكر نحو المؤتمر الذى اقترحه ان تتبثق من المؤتمر مؤسسة كبيرة تعنى بجمع الاموال وتبحث عن الارض المناسبة، حتى اذا تم هذا، كفلت المشروع جهات دولية. وهذا تعبير غامض تفسيره.

(١) من الفائدة ان نذكر هنا اتماما للصورة، ظهور يهودى آخر اوقف حياته على احياء العبرية في هذا الوقت، هو اليعازر بن يهودا. انفق حياته في روسيا ثم انتقل الى فلسطين وسكن في حى عربى. وعكف على الاستمانة بالعبرية في ما هو بسبيله فكان عمله هذا، من الناحية الثقافية، بمثابة جواب ينقض حركة الاندماج الثقافى، وانتهى به الامر الى ان وضع معجما عبريا حمل اصوله وجذوره للكلمات من العبرية القديمة، ومن العربية الخالدة. وحتم على اهل بيته الا يتكلموا الا العبرية، وعاش في القدس بعد الحرب الاولى سنين، وفى الحى اليهودى في القدس اليوم شارع اسمه «شارع بن يهودا». وفى حوادث النصف قبل ٤٨/٥/١٥ نسف لوار المرب معظم هذا الشارع ودمروه.

ويتفق بنسكر وهرتزل على هذه النقطة وهي ان تكون الارض فى كنف دولى من الكفالة والضمان. وتشبع احدها عام بروج التلمود والى الآن لم نطلع بعد فى جميع ما كتب لنا ان نقوم به من دراسات يهودية، على ان يهوديا برز فى الحركة اليهودية إلا ان يكون تلموديا من قمة رأسه الى اخمص قدميه. والتلمود، كما قلنا فى وصفه، منبع روح التدمير كلها. والبيت اليهودى الذى فيه التلمود يمثلُ بتقاليد التلمود ونزعاته. وهنا التوراة لا شأن لها يقارب شأن التلمود. وعندما يطالع القارئ العربى بروتوكولات حكماء صهيون وهى هنا بين يديه، يتأكد هذا ويدرك لماذا استعمل واضع البروتوكولات كلمة حيوانات او ماشية للتعبير عن غير اليهود.

وكان لأحدها عام صفة تجارية. فقد كان وكيلا لشركة وسولزكى اليهودية، وهى اكبر شركة للشاي فى اودسا ولها فروع فى الخارج، فلما نمت فروع الشركة فى الخارج، ندب احدها عام ليتولى ادارة اعمالها فى لندن. ولم يعلم هل هذه التجارة كانت عملا حقيقيا له، ام انها كانت فناعا استتر به واتخذ منه وقاء لعملة الخفى؟ ولما جاء احدها عام الى لندن، كانت الصلة بينه وبين ويزمن قد مضى عليها وقت طويل، فقد بدأت الصلة بينهما لما كان ويزمن يتعلم فى المانيا، وابتداء انتقال ويزمن من بنسك الروسية الى المانيا كان سنة ١٨٩٤ أى لما كانت هرتزل يحضر محاكمات الخائن درايفوس فى باريز. ولما جاء ويزمن يحدثنا فى مذكراته عن استاذة الروحى لم يذكره فى المانيا إلا ايجازا، وانما شرع يتوسع فى الكلام عليه لما استأنف لقاؤه له فى لندن ١٩٠٥ - ٦ والفرق فى السن بينهما طبعاً كبير، ٢١ سنة.

## ١٢ - دفاع ويزمن عنه

ولما وضع ويزمن مذكراته سنة ١٩٤٨ كان عليه ان يفي استاذة حقه لا من حيث ما لاحدها عام من فضل عليه، فضل الاستاذ على تلميذه، بل من حيث الدفاع عن احدها عام انه ليس هو واضع بروتوكولات حكماء صهيون، اذ لا يليق بالتلميذ ان يجعل كتاب مذكراته خاليا من هذا، والا قال الناس ان خلو المذكرات من نفي التهمة الكبيرة عن المتهم، من شأنه ان يكون سكوتا بمعنى الاثبات، ولا حيلة اخرى. وكان قد مضى على وفاة احدها عام في تل ابيب ٢١ سنة، لما وضع ويزمن مذكراته.

وهذا ما وصف به ويزمن استاذة مما نوجزه ايجازا في مواضع، ونأتى به كاملا في مواضع: -

١ - لطيف الخلق، ناعم، يميل الى الانزواء، متواضع، يكره حب الظهور، ومن هنا اختار اسمه القلمى احدها عام - أحد افراد الشعب.

٢ - مفكر عميق الفكر، لا يعنى بالجزئيات في القضايا والمسائل، وانما يهيمه القواعد والمبادئ والاتجاهات.

٣ - ميله للنقد يرمى الى البناء، والاصلاح في الحركة الصهيونية. نقد اتجاهات عشاق صهيون، كما نقد هرتزل، ونقد عرض بريطانيا المتعلق بيوغندا. عبارته موجزة، ولفته وصفت بانها طراز اول، واسلوبه أسر. منذ أخذ يكتب وينشر، تلقاه القراء بالاقبال عليه ووعى ما يقول.

٤ - يقول ويزمن: «ثم اكتشفت معادن اليهودية في منشستر وتوطدت صلاتي بالصهيونية البريطانية سنتى ١٩٠٥ و ١٩٠٦ لكن انفتاح الأفاق امامى كان على يد احدها عام، وكان هو قد جاء لندن واتخذ مقامه فيها، وكنت ازوره متحملا نفقات الانتقال الثقيلة، واقضى عنده نهاية الاسبوع، وهو يسكن في بيت متواضع في هامب ستيد.

٥ - ثم قال ويزمن: «عرفته منذ سنين خلت أولا باسمه وشهرته الفكرية والكتابية، لما كنت طالبا في برلين، ثم بعد برلين كنت القاه على فترات، وهو عامل من العوامل الفعالة في صياغة حياته، وصار الآن (في لندن) صديقى، وهو اكبر منى بعشرين سنة.»

«فاكتشفت شخصيته عن كُتب، شخصيته التي تركت أثرا واسعا في الجيل الحديث من ابناء الصهيونية... وكنت أنظر اليه فيلسوفا لا رجلا كسائر الرجال يعمل في حلبة المعترك.. حضر المؤتمرات الاولى، ثم عزف عن حضور ما تلاها من مؤتمرات أخرى... واذا كان بعضهم قد غالى كثيرا من مؤازرة هرتزل والاطناب فيه بغير حساب، وبحماسة مفرطة، فأحدها عام كان متزنا معتدلا، وفي أول اجتماع في بازل، جلس جلسة الشاكل الناحب، فقال ان القيم

الصحيحة المعنوية للحركة هي: الكرامة اليهودية، والحرية الذاتية اليهودية، والتحرر الذاتي اليهودي، كل هذا لا ينال بالمظاهرات العامة وشقاشق الألسنة، وانما بالانضباط النفسى اليهودى، والارادة اليهودية، وهو كما انتقد عشاق صهيون وادارة روتشيلد للمستعمرات فى فلسطين، كذلك انتقد المؤتمر الاول، للاعتقاد بفراغ برنامجه، اذ لا طائل تحته كما كان يعتقد».

٦ - ويقول ويزمن: «ومر على الحركة دور كانت فيه تحت الظلال المزدوج: هرتزل واحدا عام، فكانت هناك صهيونية هرتزلية تمتاز بعظمة نظرتها السياسية البعيدة المدى، بين خطين متوازيين، الى غاية قصية، لكن هرتزل كان يميل الى اهمال الصهيونية العملية، بالارجاء والتأجيل ارتقابا لفرصة مقبلة يأتى بها الزمن. وهناك صهيونية احدها عام، منصبة على تنمية الروحية الخلقية فى مشروع العودة الى فلسطين. وهاتان النظرتان لم تأتلفا معا، الا بعد سنين». ثم يعقب ويزمن على هذا بقوله: «وصرفت معظم جهودى فى سبيل تحقيق الوفاق بين الرجلين. أما مظهر الحال بينهما فغاية الاحترام المتبادل. احدها عام ليس له قضية شخصية، متجرد، غير متحيز فى نقده، ويهتدى بعقل وهاج، نزه. وجذوره عميقة. وكان يهود روسيا الصهيونيون يتقبلون نقده خير قبول مع الاخلاص له.. ومع انه فى الاصل يعتبر مفكرا، فيلسوفا، غير ان طاقته فى التطبيق العملى، ومباشرة الامور، عظيمة جدا... وكان دقيقا فى كل شئ، فى عاداته وآداب سلوكه، وقيامه بأعماله، وانى اذكر انه تأخر مرة عن موعد دقيقتين، فلما دخل اخذ يزجى مزيد الاعتذار».

٧ - الى هنا انتهى ويزمن من وصف استاذه من النواحي التى ذكرها. ثم اتى الى النقطة السوداء المتعلقة بالبروتوكولات، فقال: -

«ولا اعلم لماذا اختار دعاة اللاسامية هذا الشخص، والمفكر المنتزه، ليرموه بأنه زعيم تلك المؤامرة الفامضة؛ والمسرحية المحزنة التى عرفت باسم حكماء صهيون، فكان دعاة اللاسامية كلما ارادوا لصق التهمة بأحد ما، اختاروا واثاروا الى اشرفغزيرغ، كأنه هو الذى وراء هذه المؤامرة اليهودية الشريرة للتمسك على العالم. وهل السبب فى هذا كون البروتوكولات قد ظهرت اول ما ظهرت فى مكان ما جنوبى اودسا، حيث كان احدها عام سكرتير لجنة اودسا لفلسطين، وهذه الهيئة قديمة كانت فى ايام عشاق صهيون. ومهما يكن السبب، فلا يمكن ان يكون هناك تناقض اشد مما فى قضية تهمة هذه: بين الحابك الرئيسى لشبكة المؤامرة على المدينة القريبة، والمقروض فى هذا الحابك ان يكون هو رئيس حكماء صهيون، وبين رجل رصين العقل كبيره، محشو بالأراء والمقائد الفلسفية، ولم يسبق له قط ان تدخل فى شؤون غير اليهود. لكن ما عودنا دعاة اللاسامية ان ترى منهم شيئا معقولا، فدأبهم اثبات الاعمال المستهجنة». هذا ما قاله ويزمن فى مذكراته ينفى ان استاذه احدها عام هو واضع البروتوكولات، وقد نقلناه بما نستطيع من دقة ولنا تعليق عليه. راجع مذكرات ويزمن Trial and Error. ص ١٠٤ - ١٤١.

## ١٣ - اعتراف ويزمن بأن البروتوكولات هي: «المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم»

بالإضافة الى ما قلناه في موضع قريب ان ويزمن لا بد له من الدفاع عن استاذة خير دفاع يستطيع، لم يخف عليه، وقد فرغ من وضع مذكراته ١٩٤٨، ان العالم الذي اطلع على البروتوكولات بات مقتنعا بصحة ما فيها، من حيث ان المخطط الذي اشتملت عليه هو مخطط اليهودية العالمية، لا ريب في ذلك. فلم يجازف بأن يتخذ جانب الإنكار، فيستهزئ، لكنه اختار اهلون الشرين عليه، فاعترف بأن المؤامرة هي المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم. ونعتها بالشريرة واعترف ويزمن هذا قضى على كل جدل حول هذه النقطة المهمة، ولن يقوم بعد اليوم جدل آخر من هذا النوع.

\* \* \*

والعالم عامة، والعرب خاصة، لا يهمهم أن يكون غنزيرغ استاذة، هو نفسه واضع البروتوكولات، ام اى يهودى آخر من وزنه وطرازه. حتى لا يهم العالم ولا العرب، ان تجتمع قوى شر مثل هذه ونستقيها من ينابيع التلمود، وتتهيا بها للقيام بأرهاب مشروع يتخيله عقل شيطاني: ان يسيطر اليهود على العالم قاطبة بعد محو المسيحية والقضاء على البابوية وترك القارئ يطلع بنفسه على العبارات الواردة في البروتوكول السابع عشر، مما نرى بنقله بحروفه، والقضاء على الإسلام، عن طريق استيول، وقياموا ملكا داوديا في اوروى وفلسطين، اذ ليس بوسع اليهودية العالمية ان تصل الى هذا، والعالم الانساني اليوم بادياته السماوية وغير السماوية، اكثر من ثلاثة آلاف مليون، ولهم الآلة والحضارة والعلم والعقل والتاريخ كله، والسلطان على الكرة الارضية، واليهود حفنة صغيرة في هذا الخضم دعهم في غيهم يعمهون. فاليهودية العالمية قدرت في البروتوكولات ان يتم مخطؤها في بحر مئة سنة من ١٨٩٧، والانقلابات البشرية من اول هذا القرن (٢٠) فصاعدا، مهما يكن لليهودية العالمية من يد خفية لعينة في مشكلات العالم من حروب وازمات، فقاظلة هذه الانقلابات ستمتص اليهودية العالمية وتمقمها شيئا فشيئا، لا اليهودية العالمية ستمتص تيار القاظلة البشرية باثى عشر - الى اربعة عشر مليوننا من اليهود.

\* \* \*

وما بهم العالم هو هذا:

١ - لماذا لم يعلن احدها عام ويزمن ومن في صغفهما استكراهما لمحتوى البروتوكولات؟

٢ - لماذا لم يقولوا: اتنا براء من هذا؟

٣ - واضع البروتوكولات دماغ يهودى مبير لا يخفى على ويزمن، فلماذا لم يشأ ويزمن الكشف عن هذا الدماغ والاشارة اليه باليد والاصبع؟ ومن يصدق ان ويزمن لا يعرف من هو صاحب ذلك الدماغ الجبار «اليهودية من ابرع ما خلق الله فى سرقة الاسرار من الملوك والرؤساء والاحزاب والجمعيات والقصور والمعاهد» فويزمن يعرف اسم واضع هذه المؤامرة الشريرة بنعته هذا لها، والواضع استاذه، وهم كلهم شركاء فيها. أفيترف؟ كلا.

٤ - ان ويزمن فى دفاعه عن استاذه المتهم، وقف عند حد قوله ان البروتوكولات هى المؤامرة اليهودية الشريرة، لكن ألم يخطر بباله سنة ١٩٤٨ وهو يكتب مذكراته ان العالم سيسأل: واى فريق من اليهود هم الواضعون لهذه البرتوكولات؟ فان مؤامرة كهذه يراد بها نسف البابوية والمسيحية والاسلام، لا تتصدى لها عقول اقل وزنا من العقل الوهاج. هذه البرتوكولات فيها عنصر من اينشتين فى هذا العصر، وعنصر آخر من باروخ سبينوزا بالامس، وآخر من موسى بن ميمون منذ قرون، وعناصر من بيت روتشيلد. فهى عصارة عقل يهودى كائنا من يكون، لكن الذى جمعها وصاغها فى قالب البرتوكولات هو حسب نقاد اوروبا: اشتر غنزيرغ او احدها عام.



## ما هي آثار «أحدها عام، الأخرى؟ هي «التجمع والافتحام، و«نادى بنى موسى»

نعود الى تمام خبره من جهة ما له من آثار قلمية وكتب، وعمل تنظيمي:

١ - له مقالاته المشهورة في النقد والتوجيه، كان يطلع عليها اليهود بشغف زائد في جميع أنحاء العالم. وكان قراؤه يرتقبون وصول البريد اليهم ليقرأوا ما يكتب أحدها عام. وتأثير هذه المقالات في خلق روح الدم الجديد، تأثير واسع، ظهر أثره في فلسطين في الحركات السرية كلها منذ اعلان وعد بلفور، فالحاجناه (الدفاع القومي) وحزب جابوتسكي ومناحيم بيغن وشترن، كل هذا جرى ويجري على مبادئ الاقتحام البريري والقوة العسكرية اليوم في اسرائيل كلها ملحقة بهذه المقائد.

٢ - لأحدها عام كتابان مهمان وضعهما بالعبرية، الاول عنوانه موسى والآخر عنوانه على مفترق الطرق. والاول ترجم الى الفرنسية، والآخر لم يترجم الى لغة اخرى بعد، على ما نعلم، والمرب لم يعرفوا شيئاً بعد عن هذين الكتابين<sup>(١)</sup>. هذان الكتابان خطيران إلى الغاية، إذ هما يختلفان في الروح اختلافاً واسعاً عن جميع الكتب الاخرى التي ألفها امثال موسى هس، وموسى مندلسون، وينسكر وكتاب عشاق صهيون، وهرتزل، وزنكويل، وسوكولوف، وبنويش، والدكتور الحاخام غاستر. ولعل هذا الاختلاف، يكاد ينحصر على الجملة في نقطة واحدة، وهي، انصباب أحدها عام على فكرة التجمع والافتحام.

٣ - الى جانب كتبه ومقالاته، عنى أحدها عام يناحية عملية بالفة حد الخطورة، فأنشأ مع فريق من صحبه ناديا يهوديا او جمعية يهودية تحت اسم بنى موسى واراد بهذه الحركة ان

(١) علمنا (١٩٦٥) ان العلامة الدكتور حسن ظاظا الاستاذ في جامعة بيروت العربية نقل الى العربية كتاب «على مفترق الطرق» لكن لم يطبع هذا الكتاب بعد. فمسي يرى هذا الكتاب. والكتاب الآخر (موسى)، عما قريب على يد الدكتور ظاظا الاختصاصي في الآداب العبرية وتاريخ اليهود وسبق له ان اقام في القدس والجامعة العبرية، هناك مدة خلال الحرب الثانية، فهو في ما يبيحث حجة ولغة.

هذا ما علقناه السنة الماضية ١٩٦٥، ونقول اليوم اوآخر ١٩٦٦ وكتابنا هذا في طريقه الى المطبعة انه يسرنا ويسر القارئ العربي ان يعلم ان الدكتور ظاظا قد اخرج في السنة الحالية كتاب «حول تاريخ الانبياء عند بنى اسرائيل»، مترجما من العبرية ترجمة نقية واضحة، والكتاب هذا هو لأحد كبراء اليهود وعلمائهم من سيجال الاختصاصي بدراسة التوراة والمقائد اليهودية. ومن هذا الكتاب يستطيع القارئ العربي ان يطلع لأول مرة بأسلوب علمي سهل على شأن النبوة عند اليهود. فهذه خدمة كبيرة من الدكتور ظاظا وعساه يتمكن قريبا من نقل الكتابين اللذين ذكرناهما «لأحدها عام».

يخرج الشباب اليهود على الروح الجديدة: التجمع والافتحام. ويؤخذ من جملة كتابات متفرقة ان هذا النادي سرى الى جانب مظهره الخارجى. وكانت السلطة القيصرية فى روسيا شديدة الحذر منه. ولم يشأ ويزمن فى مذكراته ان يأتى على ذكر هذا النادي إلا بعبارة جد مقتضية، وانما قال ان اشرفنزيرغ انشأ جمعية سماها بنى موسى وهى لتفريج الشباب ليتولوا قيادة الحركة الصهيونية الروسية، وما كان اشرفنزيرغ يقبل أكثر من مئة شاب فى الدورة الواحدة. وكان يماونه فى هذا العمل اصداؤه المختارون. ولم يزد ويزمن على هذا.

هذا، ويؤخذ من اقوال ويزمن فى مذكراته، وهو يذكر زميله مناحيم مندل او اوسشكين، الزعيم الروسى والذى كان مرشحا ليكون هو، لا ويزمن، زعيم الحركة الصهيونية، ان اوسشكين هذا كان فى تمرسه بانشاء الخلايا السرية، مثل احدها عام بممله فى نادى بنى موسى. ويقول ويزمن ان اوسشكين كان الزعيم العملى للصهيونية الروسية، كما كان احدها عام الزعيم الروحى. ومن قبل كان اوسشكين منتميا الى منظمة عشاق صهيون وهو مثال نموذجى لروح هذه المنظمة، ولكنه انتمى فى الوقت نفسه الى نادى بنى موسى. ومن المهم ملاحظة ما فى مذكرات ويزمن وهو فى معارض الكلام يتناول هذا أو ذاك من زملائه، انه اذا ذكر واحدا من هؤلاء، قال انه كان خريج نادى بنى موسى - التجمع والافتحام. ويطلع القارئ على ترجمة وافية لاوسشكين فى كتابنا هذا.

## ١٤ - هرتزل وتعاليم «التجمع والافتحام»

هرتزل لكرومر ١٩٠٢:

«أفضل أن آخذ فلسطين بالفتح وإراقة الدماء»

إذا كان هناك فرق في الاساليب العملية والنظرية بين هرتزل واحدها عام، فلا فرق بينهما في الغاية الكبرى. وسمعنا الآن من ويزمن يصف رأيه فيهما، وهو من احدها عام كالتلميذ من استاذة، وهو نفسه، ويزمن، استطاع بوسع الحيلة والتصوير ان يخبر قراءه بأساليب ضمنية، ان يعد هرتزل اليهودى الالمانى الاندماجى فى اول امره، انتقلت مقاود الحركة الى ايدي اليهود الروس الاشكناز (الشطر المقابل للسافرديم وهؤلاء هم يهود المشرق والذين خرجوا من اسبانيا) الذين قاموا بالعبء كله بعد ذلك. ومع ثنائه على هرتزل الشاء الذى تقتضيه الحال، لم يمنعه ذلك من القول فى موطن آخر ان هرتزل انقلب بعد موته الى ان يكون بمثابة اطار لصورة الحركة، لا اكثر. ويزمن هو الذى ذكر فى كتابه ان امرأة يهودية تصدت لهرتزل وهو نازل من على المنبر ابان المؤتمر الذى عقد سنة ١٩٠٢ فى لندن لبحث عرض بريطانيا المتعلق بيوغندا، وقالت له يا خائن! . واحدها عام استاذة، يقول ويزمن، كتب مقالا مقيما مقعدا فى تلك الفضون، حمل فيه على الذين يميلون الى قبول العرض، اذ فى ذلك تخل عن فلسطين. وكان فى اثناء المؤتمر عدد ضخم من المندوبين اليهود الروس. فهؤلاء لما رأوا هرتزل يحاول بنعومة اساليبه، ان يجعل المؤتمر يقبل دراسة العرض ولو ابتداء بايفاد لجنة خبراء الى يوغندا، خرجوا من قاعة المؤتمر الى المشى الخارجى وانطرحوا ارضا وجعلوا يبيكون. فاتخذ احدها عام عنوان مقاله ايها الباكون محرضا على التمسك بالرفض ويعد هذا المقال من انفس ما كتب احدها عام فى بابيه، كما يقول كتاب اليهود.

وعلى كل حال، يلتقى هرتزل واحدها عام فى فكرة التجمع والافتحام التقاء واضحا. فقد ذكر كريستوفر سايكس، ابن مارك سايكس المشهور، فى كتابه دراسة ماثرتين المطبوع ١٩٥٢ واقعة لولاه، كما نعتقد، لما خرج خبرها الى النور. فان كريستوفر هذا كاتب معحص، احب ان يسجل تسجيلا واقعيا علميا ما لأبيه من يد وجهه فى سبيل الصهيونية بعد ان اعتقها فى لندن اوآخر سنة ١٩١٦ او قبل هذا التاريخ على يدالدكتور موسى غاستر الحاخام، الرىي الاكبر للطائفة السفرديم فى لندن، وأصل غاستر هذا من رومانيا وكان يقيم فى بخارست. فلما طفى على الحكومة الرومانية بتطرفه اليهودى اخرجته الحكومة من البلاد فجاء لندن وتوطنها، ولما كان هو عضوا فى جمعية المستشرقين كما كان مارك سايكس ايضا،

فهنا كان لقاءهما الاول قبل ١٩١٤ ولما كان مارك سايكس يمثل دوره فى بوتقة السياسة البريطانية العربية من يوم دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا فى خريف ١٩١٤، كان فى بواطنه ومنازعه قد اصبح عاشقا الصهيونية. ولما كان يقوم بدوره هذا، كان يعتقد انه هو باسم حكومته طيما، فى سبيل غاية سيفسح لها التاريخ كثيرا من صفحاته<sup>(١)</sup>.

وربما من غاستر تشرب سايكس عقائد الصهيونية كلها.

وفى سنة ١٩٠١ وهرتزل يتقلب بين عبد الحميد السلطان الخليفة العثمانى، وملوك اوربوا ورؤسائها وأمرائها. انمقد المؤتمر الصهيونى الخامس برئاسة هرتزل، فوجد هرتزل ان فى طريقه عراقيل، وكانت مفاوضاته الخفية مع الحكومة البريطانية قد بدأت وهى حول قضيته اليهودية.

فحاول لورد لندسون وزير الخارجية البريطانى ١٩٠٢ ان يكون هو بطل الوصول الى ايجاد حل مرض لهرتزل. وكان هرتزل قد ألف فى لندن شركة مالية كبرى منذ ١٨٩٨، ووضع عينه على قبرص، فأشار اليه لندسون بأن هذا لا يكون . غير ان انسداد الامل من جهة قبرص ، فتح بابا جديدا فى وادى العريش فى مصر، ومصر وقتئذ عليها لورد كرومر المستعمر الخبير. وقيل وقتئذ ان الاستعمار اليهودى لوادى العريش امر ممكن ، اذا تيسر جر المياه الى هذه المنطقة من النيل. فوافق لندسون على اساس الفكرة، وصارت تجرى الامور حول هذا المحور بين الثلاثة: وزارة الخارجية، وهرتزل، وكرومر. واوفدت لجنة خبراء الى العريش لدراسة الحال عن كئيب. ثم بعد ذلك جاء هرتزل مصر ليباحث كرومر. يقول كريستوفر انه استطاع بأبحاثه ان يلتقط شيئا من العلم بما دار بين كرومر وهرتزل من حديث، لا ريب فيه، وهما الى مائدة المشاء فى دار المعتمد البريطانى فى القاهرة . وهنا بيت القصيد . ويظهر ان الداهية كرومر احب ان يعطى اذنه الى هرتزل ليقول هذا كل ما فى جمبته وقلبه، حتى قال هرتزل: «بوسمك ان تتأكد ان بوسمى ان أغنم فلسطين بالفتح وارقة الدماء، ولو انى اخذت بما تميل اليه نفسى، لأثرت هذه الطريقة على أى طريقة غيرها». قال كريستوفر عند هذا الكلام: أما كرومر فتأثر واطرق وانكمش. والاوراق التى دققها كريستوفر من ارتث ابيه تؤيد هذا. وبعد تبادل الحديث حتى النهاية بين لندسون وكرومر، انتهى الامر الى الفشل. وبعد هذا جاء جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات، اثر رحلة قام بها الى افريقيا الشرقية، ودعا هرتزل

(١) اشار كريستوفر فى هذا الموطن ان محاولات الحكومة البريطانية الأخذة بنصرة اليهود الى ما يشتهون، وقعت ثلاث مرات، الاولى، على يد اوليفر كروميل، الحاكم الدكتاتور فى القرن السابع عشر. والثانية على يد بالمرستون رئيس الوزراء فى القرن التاسع عشر. والثالثة هى هذه الآن. قلنا اما كروميل فهينتمى الى شيعة البيوريتان البروتستانت، وبالمرستون كذلك من هذه الشيعة الموالية لليهود. والمرة الثالثة ليست من صنع رجل واحد بل من صنع بريطانيا اشترك فيها لويد جورج ويلفور وتشرشل وغيرهم لكن غلب اسم بلفور لانه كان وزير الخارجية.

اليه وتلطف معه ثم عرض عليه يوغندا. ولا نتاول من الكلام المتعلق بقبرص والعريش اكثر من هذا، اذ الغرض ان نبين ان هرتزل هو مثل احدها عام فى عقيدة التجمع والاقتماع. وحزب جابوتسكى فى فلسطين، كان يجاهر بهذه العقيدة ولا يهمنه من الامر شئ منذ سنة ١٩٢٠ وبدأ اليهود من تلك السنة يؤلفون سرا منظمة عسكرية سموها الهاجاناه (الدفاع) واتوا بالسلاح الوافر وخبأوه فى مكانه. ومن يدقق اليوم فى مناهجهم الذى مشوا عليه منذ صدور وعد بلفور، والحرب قائمة فى سوريا والعراق وفلسطين، يدرك بجلاء ان المخطط المبني على عقيدة التجمع والاقتماع هو المخطط الوحيد الذى اعتمد اليهود عليه، وما كان من جنس العمل السياسى الظاهر والاخذ والعطاء والجدل ومناقشات الوفود وما الى ذلك إلا تمثيلا مسرحيا لا اكثر. وبعد هذا يسهل على اى قارئ عربى ان يستجلى ما وراء البرتوكولات بغير ابهام ولا غموض.

\*\*\*

## ١٥ - جابوتنسکی أول من حاول تطبيق «التجمع والاقترام» سنة ١٩٢٠ وصف السيدة فرانس نيوتن لفرانز جابوتنسکی

وقف القارئ على ما سبق من الكلام المتعلق بالسيدة فرانس نيوتن صاحبة كتاب خمسون سنة في فلسطين وقصة محاولتها اطلاق بعض اصداقائها من العرب على مضامين البروتوكولات في حيفا .

ورأينا ان من الفائدة الآن ان ننقل إلى القارئ بعض صفحات من كتابها هذا . وهذه الصفحات تبين ما بدأ به اليهود من غطرسة فظيمة من يوم جاءهم ويزمن على رأس وفد صهيوني من لندن، ليتفاهم مع القائد اللبني حول الشروع في تطبيق سياسة التهويد، وكان مجئ ويزمن الى فلسطين في ربيع ١٩١٨ . وذكرت السيدة نيوتن خبر اول اصطدام دموي بين العرب واليهود في القدس في موسم عيد الفصح سنة ١٩٢٠ ، او في موسم اعياد ما يعرف في فلسطين بالنبى موسى(١) وان جابوتنسکی هذا تلميذ آخر من تلاميذ عقيدة التجمع والاقترام، هو الذى اقتدح نار الفتنة، والحكومة وقتئذ عسكرية، واستعمل جابوتنسکی السلاح الذى اخرجته من مكمته، ثم ما جرى له من محاكمة عسكرية وكيف كان يتصرف في المحكمة وهو مجرم . وتحتوى مجموعة هذه الصفحات التى ننقلها من كتاب السيدة نيوتن على لوحة لا بأس بها في التعبير عن كل ذلك . وما نترجمه هو من الفصل الثامن عشر وعنوانه الادارة العسكرية، قالت:

(١) موسم النبى موسى في فلسطين من المفيد تلخيص امره: بعد الحرب الصليبية بقى هناك خطر يجب الاستعداد لدرته واثاقه، وهو ظهور الاجانب من البحر غفلة ومهاجمتهم البلاد وعبثهم فيها . وكانت فلسطين الهدف ولا سيما القدس . فرأت الدولة زمن صلاح الدين او زمن المماليك ان ينشأ نظام ظاهره وحقيقته خطة عسكرية للدفاع عن البلاد . فانشأ مزار للنبى موسى في القور قرب اريحا والبحر الميت على بعد نحو ٢٦ كم من القدس ورتب له موسم عظيم كل سنة بحيث تجتمع الالوية في القدس من جبل القدس وجبل الخليل وجبل نابلس على ثلاثة ايام وهى تتوارد هازجة راقصة كانها في عرض عسكري . ثم تهبط هذه الوفود الى مزار النبى موسى فتمكث اياما ثم تمود الى القدس وتشرق والقصد ان تظل روح النخوة في النفوس . وهذا اعظم موسم قومي ديني له صبغة عسكرية بهذا المعنى الذى ذكرناه والدولة العثمانية اعتمدت به وحافظت على رسومه . وهناك على هذا الفرار مواسم اخرى على سواحل فلسطين انشئت من اجل هذه الغاية تمتد من سفد شمالا الى غزة جنوبا في اماكن متعددة وموسم النبى رويين في يافا يمتد الى اسابيع ويخرج الناس فيه بامتعتهم وزادهم كانهم في عيد وكذلك في غزة . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذه المواسم ذات الصبغة الدينية في ظاهرها انما تقع على الحساب الفري لا الهجرى والسبب واضح هو استراتيجى .

«ان وصول الوفد الصهيوني الى فلسطين، مخولا من الحكومة البريطانية ان يحصل على جميع التسهيلات من الحكومة العسكرية فى تنقله فى البلاد، وجولاته ودراسة الاحوال، وطلب التقارير، حول مشروع الوطن القومى وانشاء الصلات الودية مع العرب<sup>(١)</sup> وغيرهم من الالهالى، كل هذا وقع فى وقت اثار مخاوف العرب وفتح عيونهم على الحقيقة البادية الراهنة. فبرزت هذه الطليعة اليهودية فى الميدان وحدها، دون ان يكون هناك فريق آخر من العرب يقابلها للدفاع عن وجهة النظر العربية. ولا شك ان التحمس الذى ظهرت به الطليعة الصهيونية للقضية الصهيونية المباحثة، كان تجاهلا لشعور العرب، من حيث كان ينبغى حسن التصرف بدقة، ولباقة، وهذا من الضرورة بمكان. ومحاولات الدكتور ويزمن لتدارك هذا جاءت بعد فوات الوقت فلم تثمر شيئا. ومعظم المطالب التى نادى بها اليهود قوبلت بالصد والنبذ. فهم الحوا بأن يشتركوا فورا فى الادارة العسكرية، وان تؤلف لجان للأراضى من الخبراء اليهود لدراسة أحوال البلاد ومصادر ثروتها الطبيعية وهم يؤلفون هذه اللجان لا غيرهم. وتمسكوا بأن ليهود يافا الحق بموجب نصوص وعد بلفور ان يستقلوا بانشاء مستودعات جمركية تكون لهم دون سواهم، وان بنك انجو - بالسنتين، هو شركة يهودية، يقدم القروض اللازمة الى المزارعين اليهود، وطلبوا ان يكون لهم حق اختيار الأفراد ليعملوا فى سلك البوليس، وهم يوفون ما ينقص موازنة الحكومة من مال لهذا. وطلبوا - وهذا باشروه فعلا قبل الطلب - ان ينشئوا قوة دفاع يهودية الهاجناه ولهم الأمر فى التدريب وكل ما يتعلق بهذه القوة وطلبوا ان يعترف بالعبرية لغة رسمية. طلبوا كل هذا فى فترة الحكم العسكرى المؤقت من حيث ان الواجب على الحكم العسكرى ان يحافظ على الاوضاع الراهنة فى البلاد المحتلة حتى يبيت فى مصيرها نهائيا بعد الحرب.

«وفى هذا الوقت، اوائل الاحتلال، كانت لليهود محاكم دينية مستقلة لأحوالهم الشخصية موروثه منذ عهد بعيد يوم كانت القضايا تفصل بالتحكيم. وآثرت المؤسسة الطبية الصهيونية الأميركية ان تمضى بعملها الطبى مستقلة عن ادارة الحكومة. وكان من الواضح ان اليهود انشأوا دائرة استخبارات تجسس فائقة التنظيم والاستعداد وهى من الدقة بحيث قلما يفوتها شئ من اسرار الحكومة، كما هو واقع الآن - اى سنة ١٩٢٧ - ولما وقعت اضطرابات ١٩٢٠ اتخذ الصهيونيون من الحكومة موقفا ناهما معاديا علنا كل هذا والانتداب لم يزل قيد البحث لم يقرر بعد.

«فكانت النتيجة المحزنة من هذا الوضع، ان بعض الموظفين المدنيين فى حكومة فلسطين، وجدوا انفسهم مكرهين على أن يأخذوا بعين الاعتبار وجهة نظر العرب من باب

(١) انظر الى هذا النوع من الكذب والنفاق الذى يدعيه ويزمن.

العدالة اذ لا يمثل هذه الوجهة أحد منهم ذو وزن سياسى فى الحكومة ولم يكن هناك شخص آخر يعرب عن الناحية العربية، بينما الوفد الصهيونى يطوف البلاد كما يشاء، وأعطيت له التسهيلات كلها من استعمال التلغرافات، ودوائر البرق، وزود برخص الدخول والخروج وحرية التنقل، وحق طلب المعلومات من الدوائر الرسمية وى مرجع أو جهة ، وحق عقد الاجتماعات، بينما العرب مكومة افواههم، يرون بلادهم تلوح فى وجوهها سكاكين الجزارين الصهيونيين الذين ظهروا فجأة متمرين، وطائفهم المقيمة فى فلسطين (نحو ٥٠ ألفا) كانت لم تزل الى يوم احتلال القدس -١٩١٧/١٢/٩ - طائفة الذل، تقيم فى ظل الغري، متمسكة، تود ان تبقى فى كنف العرب.

«فاعتبر العرب انفسهم انهم ما لقوا إلا الخيانة والغدر من الانكليز وقبل قليل كانت الطائرات البريطانية، والحرب قائمة فى فلسطين، تحوم وتلقى المناشير من الجو على العرب اهل البلاد، تستثيرهم الى نصره الجيش البريطانى ونيل الاستقلال العربى، وقوات الثورة العربية بقيادة الامير فيصل فى ارجاء العقبة فشمالا، قلبى مئات وانقلوا الى جيش الثورة العربية، وكثير من الضباط والجنود العرب فى الجيش العثمانى تركوا خدماتهم العسكرية وفروا إلى جيش الثورة. واذا بالبعثة الصهيونية هذه تهبط البلاد والحرب قائمة، ويفغر الصهيونيون افواههم النهمة الجائعة لابتلاع البلاد على نحو ما دونه تقرير اللجنة الملكية. واعتبر اليهود سنة ١٩٢٠ الادارة العسكرية غير موالية للصهيونيين، وربما لمجموع اليهود ايضا. فالمخاوف العربية تشتد فى حيز، تقابلها المطامع اليهودية المتزايدة فى حيز، فلا غرو ان بلغت كل جهة حد التطرف فوقعت الفجوة وكانت عميقة ادت مع الزمن الى ان صارت معضلة سياسية لا يرأب لها صدع.

«غير ان الاضطرابات التى وقعت على عيد الفصح ١٩٢٠ مستمدة زخمها من العداة المنصرى بين الفريقين فى القدس، وكان يمكن ان تعتبر نذيرا ببركان قابل لهياج وقذف الحمم فى أى وقت».

انتهى كلام السيدة نيوتن فى هذه المرحلة. وسنعود اليها بعد قليل.



## ١٦ - الحاكم العسكري الجنرال بولز ١٩١٩ ومشروعه الخيالي لتحويل فلسطين الى بلاد « اللبن والعسل »

لما عين الفيلىد مارشال اللبى مندوبا ساميا على مصر فى اواخر اكتوبر ١٩١٩ مع بقائه على القيادة العسكرية العامة فى فلسطين وسوريا ولبنان، اراد ان يترضى الصهيونيين، وكان هؤلاء على جارى عادتهم، لا يعترفون بالسلطة العسكرية، الا اذا كانت نازلة فى الصفير والكبير من المسائل على ما يشتهون، وكان الحاكم العسكري على فلسطين وقتها الجنرال موني Money، فنقله اللبى الى مكان آخر، واتاهم بحاكم عسكري جديد هو الجنرال بولز Bols. ومن يا ترى اكبر، ابيلاطس النبطى ايام السيد المسيح، ام اللبى فى زمن وعد بلفور؟ وكما صنع بيلاطس كذلك قلده اللبى.

واحب بولز ان يساير الصهيونية، تنفيذًا لتعليمات حكومته، ومرجعها الآن اللبى فى مصر، ولويد جورج فى لندن.

وهل كانت مسابرتة مكرا وخديمة، ام خطة وسياسة؟ لا ندري. وهذه رسالة منه فى ٢١ ديسمبر ١٩١٩ الى سيده الجنرال اللبى، بعد انتقاله الى مصر بأقل من شهرين. هذه الرسالة لم تكن نعلم بها ونحن فى فلسطين ايام الانتداب كلها، ولم نطلع عليها لأول مرة إلا فى مذكرات ويزمن المطبوعة ١٩٤٨. وعلى ما يقول ويزمن ويفهم من كلامه، ان الجنرال بولز هذا الذى كتب هذه الرسالة الى اللبى فى ٢١/١٢/١٩١٩ بعد نحو اربعة اشهر من ذلك التاريخ وقمت المذبحة الاولى فى القدس - بتعبير ويزمن - تحت سمع الحكومة العسكرية وبصرها. وكان ويزمن بايراده هذه الرسالة، اراد ان يشير الى ان الحكومة العسكرية لم تكن نازلة على منهجهم، فيجب ان تذهب وتأتى مكانها حكومة مدنية على رأسها صهيونى محض مثل هيرت سموثيل، الذى كانت مهمته كمهمة عزرا النبى قبل ٢٤ قرنا، بعد الرجوع من السبى البابلى:

### سيدي الجنرال

انى مرسل هذا مع الدكتور ويزمن، وهو اقام هنا نحو شهرين وقام بأعمال طيبة تتعلق بقضايا وشؤون مختلفة، بأسلوبه الهادئ، غير المتحيز (١) وانى ارى ان النشاط المعادى للصهيونية قد خفت حدته، والفضل فى هذا يعود الى الاشياء التى قام بها ويزمن، وانى كحاكم عسكري لم يمض على فى منصبى هذا اكثر من شهر من الوقت، اعتقد انه لن يكن هناك صعوبات كبيرة فى ادخال عدد كبير من اليهود الى البلاد، شرط ان يتم هذا دون ان يرافقه ضوضاء او ضجيج. نعم يوجد هنا نفر من المحرضين على مناهضة اليهود،

وستستمر دعوتهم الى سوريا الكبرى (١) دون توقف.

«والبلاد بحاجة الى التنمية العمرانية بسرعة، وفي هذا نيل رضى الأهالى وعندما يقرر الانتداب، ينبغي الحصول على قرض كبير يساهم الاهالى فيه الى حد ما، واريد ان يكون عندى سير هيريت صموئيل للمشاورة معه فى هذا الامر.

«فاذا حصلنا على قرض كبير، فى حدود عشرة ملايين او عشرين مليوناً، فانى واثق انى استطيع تحسين وضع البلاد تحسيناً يكون فيه دخل للخزانه، واما السكان، وعددهم اليوم ٦٠٠,٠٠٠ فسيزيدون الى مليونين ونصف المليون. وهذا له متسع كاف. فوادى البشريمة ينبغي ان يسكنه مليون نفس بدلا من الألف نفس المبعثرين فيه اليوم.

لذلك رجائى

١- ان يعود الى ويزمن بأسرع وقت ممكن.

٢- ان ترسلوا الى السر هيريت صموئيل للزيارة.

٣- ان تمدونى بموظف مالى عالى الطراز.

٤- ان تفكروا فى مسألة القرض.

فاذا تم هذا، فبوسمى ان أعد انى احوال البلاد الى البلاد التى تفيض لبنا وعسلا حقا فى مدى ١٠ سنوات، وستكفون مؤونة الصعاب المقاومة للصهيونية.

المخلص

ل. ج. بولز

L. J. Bols

\* \* \*

ولا يذكر ويزمن، وقد حمل هذه الرسالة فى جيبه الى اللبى، ماذا كان من امرها بمدئذ قط. يستطيع القارئ ان يدهش من هذه الرسالة، وهى تبدو لنا اليوم ١٩٦٦ جمعة اضاحيك. واول سؤال بعد ايمان النظر، من منهما كان يضحك على الآخر؟ لكن لا، فلا الحاكم المسكرى فى موقف مزح، ولا رسول حكّماء صهيون جاء لىسمع هزما. اذا، فالموقف جد فى الفريقين. ويبقى السر محجوبا عنا تفصيله. والاسلوب، كما يرى القارئ، اسلوب عسكري، فيه عقلية الصبيان، وتطوحات دون كيشوطية. من هو لعمري الفارس المجنون، ومن هو خادمه الامين العاقل سانشو بانزا؟ الجزء الوحيد الذى تحقق من هذه الرسالة، هو مجئ صموئيل، لكن مجيئه لم يكن بطلب بولز، بل بطلب من حكّماء صهيون.

(١) كانت فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى ممثلة فى المؤتمر السوري العربى الذى عقد فى دمشق وقرر مما قرر رفض الصهيونية وانشاء دولة عربية حديثة تتضم اليها فلسطين كسائر الاقاليم الشامية وكان يمبر عن فلسطين بسورية الجنوبية.

## ١٧ - الدماء الأولى في القدس ١٩٢٠

### يوم النبي موسى

الدماء الأولى، أو انفجار البركان كما تصفها السيدة نيوتن<sup>(١)</sup>. في الدماء الأولى، كما نروى حقيقتها هنا، نصبح وجها لوجه امام اول «لوحة» من لوحات ويزمن في التحريف والتمويه، وتطبيق قاعدة التجمع والاقترام. في مهرجان موسم النبي موسى ١٩٢٠، في الربيع، يقع الفصح المجيد او في الفصح المجيد يقع مهرجان النبي موسى، لم ينس القارئ بعد ما قلناه حول هذا الامر في صفحات قريبة. المسرح: الحكومة العسكرية تصول وتجول ببقايا الجيش البريطاني، من هندي واسترالي ونيوزلندي، لم تزل تعج بها القدس. الفطرسة الصهيونية ملأت البلاد. العرب ينادون بسوريا الكبرى للانتقاد متطلعين الى دمشق. التواطؤ بين بريطانيا وفرنسا على تنفيذ معاهدة سايكس - بيكو قد تم امره. ومؤتمر سان ريمو قريب الانعقاد ليقسم الاسلاب ويوزع الانتدابات. لا راديو ولا اذاعة ولا ترانسستور بعد. السيادة لم تزل جديدة. الهتافات في المواسم العربية: لا حماية ولا وصاية!

\* \* \*

نحب ان ننقل ما قالته السيدة نيوتن، وهي وقتئذ في فلسطين ترى كل شئ عن كثب، في اسباب الدماء الأولى أو انفجار البركان، وهذا من الفصل نفسه الذي نقلنا منه سابقا، وجعل اليهود عملهم هذه التجربة الأولى في تطبيق قاعدة التجمع والاقترام، وبطل التجربة الخاسرة جابوتسكي، قالت:

«ان اضطرابات الفصح كانت ويا للأسف اول نوبة أخذ البركان ينفث فيها حممه. ووقعت الاضطرابات في هذا الوقت لأن المدينة المقدسة، اعتادت منذ القديم ان تكتظ بالألوف من الحجاج المسيحيين يفدون عليها للتبرك، وكثيرون من اولئك الحجاج من روسيا يأتون متحملين المشقة تحت حماية حكومتهم. ولكي تهاض تركيا المسلمة هذه الكفة، وهذا الدفق المسيحي، فقد أخذت تشجع زيارة الاحتفاء بالنبي موسى، واضعة هذا الثقل في الكفة الأخرى<sup>(١)</sup>. فیتقاطر الى القدس الوف من المسلمين من جميع انحاء البلاد في الوقت نفسه،

(١) لا تغيب على السيدة نيوتن اذا لم تعرف حقيقة السبب في اصل موسم النبي موسى الا هذا، فهو في نظرنا قشور. ولو انها اطلمت على تاريخ فلسطين مليا لدولتي بني ايوب والمماليك لوجدت ان السبب هو ما ذكرناه سابقا في موضعه.

ويكون المهرجان في ساحة الحرم الشريف ثم يؤذنون المواكب، تخفق فوقها الالوية، وتتضنى السيوف وتفرد البنادق في الفضاء، وتلتهب النفوس بالاهازيج والاناشيد. ثم تتحدر الصفوف الى مزار النبي موسى وهناك مسجد باسمه قرب البحر الميت.

«ودون ان يكون لى اقل رغبة فى التقليل من خطورة الاضطرابات، وهى مأساة فظيعة ، وقعت فى غضون تلك الايام، اود ان اضع بين يدى القارئى ما اعلمه من اصل السبب فى ذلك.

«لا يخفى ان العاطفة الدينية تكون شديدة الاستيقاظ فى موسم النبى موسى طول ايام هذا المهرجان، والآن زاد السبب علة: الجو المحموم الذى يصود فلسطين، فوجدت روح القومية العربية متفصسا لها فى هذه الاحتشادات الصاخبة. ان هذه المواكب ، وان بدت للعين الاوروبية انها تمثل الجمهور العام غير انها كانت تسير مع اختلاط بعضها ببعض سيرا منظما، ونطاق الشرطة من حواليتها، وطريقها باب الخليل. وكان الجماهير من الناس من على جانبي الطريق المكشوفة يتخرجون كمادتهم، وطبعما كان فى هذه الجماهير يهود، وسمع احد هؤلاء اليهود يتفوه بكلام بذئ تحقيرا للمشهد، وهناك شهود قالوا انهم راوه على الاثر ييصق فى وجه الاعلام الدينية. فلما كان منه هذا، على مرأى وسمع من العرب، تناولته الايدى طرفة عين وذهبت به بغير هوادة. فكانت هذه هى الشرارة الاولى، وانتصر لليهودى اخوانه فوقعت الواقعة، خالطها الفريقان.. وانتقلت الصيحة الى داخل المدينة (باب الخليل حيث وقع الحادث من خارج السور) وكان الصدام هناك مريرا على العرب واليهود. واستدعيت الجنود لتوازر الشرطة فى اخماد النار، وقد اتخذت الواقعة شكلا عاما واسعا. واغلقت بوابات المدينة كى لا تداهم من الخارج فيبقى من فيها على السلامة. ونصب الخفراء والحراس على المداخل والمخارج وصار لا يسمح لأحد بالانتقال الا اذا كان بيده رخصة خطية. وبعد ثلاثة ايام او اربعة، سكنت الحال، وعاد الهدوء، وبحسب الارقام الرسمية كانت الخسائر سبعة من اليهود قتلى و٢٠٠ جرحى ، ومن العرب خمسة قتلى و ٢٥٥ جرحى . اجل، ان الواقعة مأساة، لكن بفضل ما ابدته الحكومة من حزم فقد اعيد الامن الى نصابه. وهذه هى الحقائق الواقعية لا ريب فيها، وبالوسع تأييدها بشهادات شهود عيان من موظفين بريطانيين فى الحكومة كانوا فى القدس فى ذلك الوقت، ومن بعضهم فهمت هذا مباشرة لما زرت القدس بعد بضعة ايام.

«ولابد من ان اضيف الى هذا عبارات تتعلق بالنتيجة المنطقية لهذه الاضطرابات وما جرت اليه من حوادث اخرى فى المستقبل . فقد حضرت حياة قضائية من مصر لتحقق فى الحوادث. غير ان تقرير هذه الهيئة لم يذع على الأهالى . وبحسب القوانين العسكرية المرعية، ألقت محكمة عسكرية خاصة لموقوفين من عرب ويهود. ومحاكمة شخص من هؤلاء قام وقعد لها العالم اليهودى، وهو جابوتسكى، الذى كان متوليا امر الهاجناه فى انشائها وتدريبها التدريب العسكرى فى الخفاء ولأسباب يجهلها الرأى العام . فالسلطة العسكرية لم

تتخذ اى اجراء لحل هذه المنظمة، وهى غير قانونية ووجودها تحد للحكومة، اذ لا يسمح للاهالى المدنيين باقتناء السلاح (وانا كان عندى بندقية المانية معلقة فى بيتى وهى هدية تذكارية فجاءت الشرطة واخذتها). واما كيف استطاعت منظمة الهاجاناه غير القانونية ان تاتى بالسلاح، ومن أين ، فذلك لم يعرف وبقى سرا عاما، غير ان العرب توصلوا فى التقصى الى ان اليهود استوردوا السلاح تحت ستار انه بضاعة تخص الصليب الاحمر. وتأكد العرب من هذا، فزادهم نقمة على الحكومة لان المياه مشت من تحت اقدامها وهى لا تدرى وليس من المهم ان ما قاله العرب صحيح او غير صحيح، غير ان المهم هو وجود منظمة الهاجاناه بهذه الاسلحة يستعملونها فجأة فى هذه الاضطرابات، وهذا ما احق العرب وهم عزل من السلاح الا العصى والمدى.

«وفى اثناء محاكمة جابوتسكى، وقع شئ استرعى انتباه اللجنة الملكية فنذكرته فى تقريرها (١٩٣٧) اذ قالت : وكان لهم اى لليهود دائرة استخبارات بالغة الحد من السرقة. وهذه اشارة الى جابوتسكى فانه ابرز فى اثناء محاكمته من قبيل البينة اوراقا رسمية فى الشيفرة على غاية الخطورة مسروقة من صندوق الحكومة، الصندوق الذى من الواجب على رئيس الاركان ان يكون حافظا مفتاحه معلقا فى عنقه. وكان جابوتسكى امام الحكمة العسكرية مستخفا مستهزئا. وكان يجابه القضاة بوقاحة انه لا يهمه اى حكم يحكمونه به اذ هذا الحكم سينقض لا محالة. فحكمت عليه المحكمة بالسجن ١٥ سنة مع الاشغال الشاقة. وبعد مدة قليلة خفضت مدة السجن الى سنتين، وبعد مدة قليلة اخرى، صح ما قاله جابوتسكى، فغفى عنه(١).»

ثم قالت السيدة نيوتن فى النهاية:

«ولا يسعنى ان اختتم هذه القصة المحزنة التى وقعت فى الفصح، دون ان استرعى الانتباه الى حقيقة لا سبيل الى انكارها، وهى ان هذه الاضطرابات لم تكن مدبرة قط من جهة العرب. هذه هى الحقيقة، وهى طبعا عكس ما اشاعه اليهود. فقد كانت الاضطرابات محض ارتجالية، او انفجارا آتيا، ناشئا عن شدة كراهية العرب لسياسة الوطن القومى، اذ باتوا يرون خطره عليهم وعلى ذرايعهم يزداد يوما عن يوم. وكان كل احد يعلم ان البركان صارت تسمع له زمزمة منذرة بالقذف. وربما كان لبركان تطول حاله وهو هامد لولا الشئ المستفز الذى حدث فى باب الخليل.»

انتهى كلام السيدة نيوتن.

(١) يقول ويزمن فى مذكراته ان جابوتسكى لم يقبل العفو لانه وضع على مستوى المتهمين العرب. والذى عفا عنه هربرت صموئيل اليهودى اول مندوب. سام. وهذه من ويزمن انتفاخة رخيصة، فقد بذل ويزمن نفسه غاية الجهد للحصول على العفو. والمندوب السامى صهيونى محض .

لما جئت فلسطين من دمشق في سبتمبر ١٩٢٠ كان قد مضى على سيل اول دماء او انفجار أو بركان نحو خمسة اشهر، وكان مقامى فى القدس. وما ذكرته السيدة نيوتن هو الواقع بعينه حرفا حرفا، ولا غبار على ما قالته الا ما يتعلق بأصل السبب فى انشاء موسم النبى موسى فى فلسطين وقد غاب عنها ذلك من الوجة التاريخية، وقد نهنا على ذلك فى موضعه.

وبقى الحديث بين الناس عن يوم النبى موسى (١٩٢٠/٤/٤) مدة طويلة فى فلسطين والخارج. وتركت الدماء الاولى اثرا عميقا فى النفوس. وتلفتت البلاد العربية الى هذه بذهول، لكن العين بصيرة واليد قصيرة كما يقولون، وكانت دمشق وقتها بدأ مقلها يغلى على النار، اذ كان غورو يستعد للعمل العسكري. واخبرنى اصدقائى فى القدس، وأحدهم من اخوانى العرب المسيحيين، وكان يشاهد الموكب فى باب الخليل عن كثب، التفاصيل كلها(١)،

وهى تماما كما قالت السيدة نيوتن. وليس المهم عند العربى الذى يتصدى للكتابة عن ايام العرب فى فلسطين قبل ٤٦ سنة من اليوم أى اليوم الذى كتب فيه هذا الكتاب، ان يقول انه لولا مجئ اليهود الصهيونيين الى الموكب، ظاهرهم التفرج وقصدهم التحرش، لما وقع شئ! ان مثل هذا القول مضى زمنه فاليهود تراهم فى هذا الدور فى اول المراحل، سنة ١٩٢٠، وعمدتهم السلاح اتوا به رغم انف الحكومة، ومن يدري فقد يكون ذلك بشئ من علمها، ويقودهم تلميذ احدها عام، وهو الكابتن جابوتسكى الذى يعد ممثلا لفكرة التجمع والاقترام والعرب الفلسطينيون وقتئذ لم يزالوا فى اول فجرهم، وقت لا تميز الخيط الابيض من الخيط الاسود الا بعد تحديق النظر. ولما كنا معنيين كما يلاحظ القارئ العربى، بالكشف عن مناهج يروتوكولات حكماء صهيون، وكيف تطبق لبنة لبنة، درجة درجة، وتسير خطوة هنا وخطوة هناك، وكانت لهذه البروتوكولات آثار مستترة فى فلسطين، وكان جابوتسكى هو البارز فى هذا، فقد رأينا ان نستوفى خبر جابوتسكى بعد قليل لنقدمه الى القارئ نموذجاً من بضاعة الصهيونى الذى تسيره روح البروتوكولات الجهنمية وروح التلمود.

\* \* \*

(١) واخبرنى هذا الصديق زيادة على ما اجملت مس نيوتن: انه هو، وهو واقف يرى مرور الموكب، ويشاهد ما حدث، ابصر جنديا هنديا فارح القامة، تناول يهوديا بخيرية لها سرعة البرق فاضمحل اليهودى وذهب شطرين او أكثر وانما صنع الجندي الهندي هذا من نفسه فى ابان الضوضاء لأنه هو رأى بعينه وسمع يأذنه البصق والشتم من اليهود

## ١٨ - ويزمن في مذكراته يشوه رواية الواقع

ولكى نتم خبر يوم النبي موسى نقول:

هذه هي وقائمه، وقد اطلع عليها القارئ.

والحقيقة المحسوسة، ان اليهود الصهيونيين تعمدوا الاحتكاك بالعرب، ليظهروا غطرسة مسلحة، وهم والقون ان الحكومة العسكرية أعجز من أن تأخذ على يدهم. فماذا قال ويزمن في مذكراته وهو يعتمد التحريف القبيح؟ قال ما هذه خلاصته:

١ - انه اجتمع بالحاكم المسكرى واللنبي في القدس، وكان هربرت صموئيل في فلسطين وقتئذ زائرا دارسا من قبل الصهيونيين<sup>(١)</sup> وقتبأ ويزمن بوقوع مذابح وطالب باتخاذ وسائل الاحتياط عسكريا، فقال له بولز: لا تخف! المدينة تعج بالجند فاذهب الى حيفا، واصرف يوم العيد مع والدتك الشيخة المجوز!

٢ - ان العرب تعمدوا الفتنة لأن مؤتمر سان ريمو قريب الانعقاد ليبحث مصير الأقطار التي انفصلت عن تركيا وتوزيع الانتدابات، فالفتنة تلفت النظر الى العرب والخفض من شأن وعد بلفور.

٣ - ان السلطة العسكرية كانت تعلم ماذا سيقع او هي حرضت عليه من وراء ستار!

٤ - والتحريف الفظيع الذي التزمه ويزمن في مذكراته وهو يسرد ما يريد، انه تجاهل تماما الحوادث في باب الخليل، ومن باب الخليل انتقلت الى داخل المدينة، وذهب رأسا الى القول بالعدوان داخل المدينة، فقال ان العرب عند خروجهم من المسجد الأقصى صاروا يقتلون من رأوا من اليهود. وحرادث داخل المدينة فرغ من حوادث باب الخليل، كما رأينا سببها اليهودى بالشتم والبصق.

٥ - ولم يذكر ويزمن السلاح الناري الذي استعمله اليهود علنا لأول مرة، والعرب ليس في أيديهم شئ على الإطلاق، سوى بعض العصى والمدى.

٦ - وقال ان جابوتسكى حكمت عليه المحكمة بالجسن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة،

الحكم الوحشى، ثم عفا عنه هربرت صموئيل لما جاء في أول يوليو ١٩٢٠ أول مندوب سام،

(١) ينبغي ألا يقع ي ذهن القارئ العربي شئ من الإبهام، إذ يرى هربرت صموئيل الآن في فلسطين زائرا، والآن فصل الربيع ١٩٢٠، ثم يراه في أول تموز (يوليو) قادما مندوبا ساميا. فان «حكام صهيون» لما كانوا مهيبين هربرت صموئيل ليكون أول مندوب سام مذ نقل اللنبي الى القاهرة كما تقدم، فقد ترتب ان يجئ صموئيل لدراسة الاحوال عن كتب في أثناء الحكم المسكرى فجاه وقام بمهمته.

فرفض جابوتسكى هذا العفو لأنه وضع على مستوى واحد وصعيد واحد مع العرب. ولم يذكر ويزمن ما أبرز جابوتسكى الى المحكمة من وثائق شيفرة خطيرة يتباهى بأنها مسروقة من صندوق شيفرة رئيس أركان حرب الجيش البريطاني.

٧ - ثم توجه ويزمن الى أوروبا، وفي طريقه الى سان ريمو في شمال إيطاليا، عرج على اللبى في مصر وطلب منه أن ترحل الحكومة العسكرية عن فلسطين بأقرب وقت ممكن!

. \* \* \*



## ١٩ - بعد مئة يوم يطلب الجنرال بولز إلغاء المنظمة اليهودية

لم ننس الرسالة العجيبة التي كتبها الجنرال بولز في ٢١ / ١٢ / ١٩١٩ الى الجنرال النبي في مصر، وسلمها الى ويزمن، وفيها انه يتعهد بأنه في عشر سنوات يستطيع ان يحول فلسطين الى بلاد لبنا وعسلا اذا اسعف بقرض ١٠ - ٢٠ مليونا عند تقرير الانتداب، وأنجد بهربرت صموئيل وينتج عن ذلك في جنة عدن:

- ١ - ان تخف مناهضة العرب للصهيونية مع بقائهم مطالبين بالانضمام الى سوريا الكبرى.
- ٢ - والآن يفتح الباب للهجرة دون ضوابط.
- ٣ - ويصبح عدد السكان مليونين ونصف المليون بدلا من الست مئة ألف اليوم (١٩٢٠).
- ٤ - ووادى الأردن سيسكنه مليون بدلا من الألف المبعثرين فيه.

ثم مضى على هذه الرسالة مئة يوم وثلاثة ايام، وفي ٤/٥/٢٠ اي اليوم الذي وقعت فيه في القدس حوادث النبي موسى وقد وقف عليها القارئ، نرى الجنرال بولز نفسه، بعد ان رأى تصرف ويزمن واللجنة الصهيونية والهيئات اليهودية ازاء وازاء السلطة العسكرية، هو كتصرفهم في مصر زمن الفراعنة، وتصرفهم مع ملوك الكلدان، والبابليين، وملوك سوريا الاراميين وملوك سوريا السلوقيين بعد الاسكندر، وملوك البطالسة في مصر وملوك الرومان، والرسول العريى محمد بن عبد الله في الجزيرة، كتب الى النبي هذه الرسالة الواضحة الجبين، نقلها من الاصل الانكليزي وقد نشرت قبل اليوم في عدة مواضع<sup>(١)</sup>:

### سيدي الجنرال،

لا استطيع ان اقرر على اي فريق من فريقى السكان تقع المسؤولية حتى ولا استطيع تعيين افراد منهم، ما دامت القضية - قضية فلسطين - لم يبت فيها بعد، ولكنى استطيع ان اثبت بكل توكيد انه لما وضعت الامور على المحك<sup>(٢)</sup>، راحت اللجنة الصهيونية تتمرد على

(١) هذه المراسلة الرسمية من بولز الى النبي لم تشر رسميا يوما ما، بل بقى امرها مستورا زمنا طويلا، و«حكام صهيون، الذين استطاعوا ان يسرقوا «الشيفرة» من الصندوق الذي مفتاحه في عنق رئيس اركان حرب الجيش البريطانى بفلسطين، استطاعوا ايضا ويستطيعون ان يحولوا دون نشرها. وعلى مقدار ما نعلم، لعل صديقنا وديع البستاني رحمه الله هو اول من اخرجها من الظلمة الى النور. فنشرتها مصادر انكليزية وعربية عديدة. فنشرت في كتاب «فلسطين العربية» لميسى السفري ١٩٢٧ وفي كتاب «الانتداب في فلسطين» (بالانكليزية) للبستاني نفسه. وما يطلع عليه القارئ هنا، هو ترجمتنا من الاصل الانكليزي.

(٢) اي قد تم له المرور بتجاربه مع اليهود، كأنه كان من قبل هذه التجارب وهذا المحك يجهل اليهود الصهيونيين ومن هم في حقيقة عنصرهم وجبلتهم. وقد تم له وضع الامور على المحك في بضعة اشهر!

سلطة الحكومة، واتخذت من بداية الامر موقفا كله منابذة، ونقد جارح وسفاهة. وباستثناء قلة ضئيلة من رجالها فكلهم يرفضون التصديق بحسن نيتنا البريطانية وأخذنا بالعدالة والسوية. فهم لا يرتضون هذه العدالة من المحتل العسكري، بل يريدون ان تكون الحكومة العسكرية ملية لرغائبهم في كل قضية يكون فيها احد الفريقين يهوديا. فهم صعب المراس جدا. وفي القدس، وهنا هم الاكثرية، لا يرضيهم بل يريدون ان يمارسوا السلطة بأنفسهم. واما في اماكن اخرى حيث هم اقلية، فيستصرخون السلطة طالبين حمايتها. ولا حاجة الى الاسهاب في شرح الصعاب التي لا بد للحكومة ان تلاقها في المستقبل (قلت: واين ذهبت التعهدات ان تصبح فلسطين بعد ١٠ سنوات بلد اللبن والعسل؟) وانا اليوم اذا احتجت الى التعامل مع ممثل الطائفة اليهودية، هيهدنى بقوة الرماح، ويرفض ما تقرضه الانظمة الرسمية المقررة، الجارية الاحكام.

«فيتضح مما تقدم ان سلطتى الخاصة (كحاكم عسكري) وسلطة اى دائرة من دوائر الحكومة، هما عرضة للتزى عليهما من قبل اللجنة الصهيونية. وانى متأكد انه من المتعذر استمرار هذا الوضع دون ان يسبب ضررا ويوقع الامن العام في معضلات تعم البلاد، فتجر الحكومة الى مآزق حرجة.

«ولا يجدينا نفعا في هذه الحال ان نقول للسكان المسلمين والمسيحيين اننا في السير بدارتنا الحكومية انما نحن محافظون على العهد الذى اعلناه لهم لما دخلنا القدس، بينما شواهد الحال تكذبنا في ذلك، فمن جعل العبرية لغة رسمية، الى انشاء جهاز قضائى يهودى، الى امتلاء جهاز الحكومة بالموظفين اليهود الذى ولاؤهم للجنة الصهيونية، الى منح اعضاء اللجنة الصهيونية امتيازات خاصة في اسفارهم وتقلاتهم. كل هذا وأمثاله، يراه منا السكان غير اليهود خروجا على العهد المقطوع لهم، ومحاباة وتمييزا وايثارا، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان اللجنة الصهيونية تتهمنى وتتهم موظفى الحكومة بأننا معادون للصهيونية. فهذه حالة لا تطاق. ومن الانصاف لى للموظفين الذين في اداراتى ان تزول هذه الحالة. ولا بد من القول ان هذه الحكومة التي في عهدتى قد نفذت باخلاص رغبات حكومة جلالته، ونجحت، لانها سارت وفق قوانين الادارة الاحتلالية العسكرية بدقة. غير ان هذا لا يرضى الصهيونيين الذين يزدادون غطرسة في محاولتهم حمل الحكومة العسكرية المؤقتة على ان تمنحهم التفضيل على سواهم قبل ان يقرر الانتداب. وانه لمن المستحيل ان تستطيع ان ترضى قوما ينادون بألسنتهم نريد وطننا قوميا، بينما هم في خططهم العملية لا يطمعون في ما هو اقل من الدولة اليهودية بكل معانيها السياسية.

فذلك ومن اجل مصلحة الامن العام، ومصلحة الصهيونيين انفسهم، التمس إلغاء اللجنة الصهيونية.

المخلص ل. ج. جولز

لا ريب ان القارئ يستفرقه الاستغراب، وهو يقرأ هذه الرسالة ، كما حصل له مثل هذا لما كان يقرأ الرسالة التي ارسلها الجنرال بولز الى النبي ووضعها ويزمن في جيبه، قبل بضعة اشهر.

ونود استرعاء نظر القارئ الى العبارة التي وردت في هذه الرسالة الآن، وتحتها خط رفيع، فهذا الخط منا لندل عين القارئ عليها الآن بسهولة. فيقول بولز، الحاكم العسكري البريطاني في فلسطين، نائب القائد العام، والنبي القائد العام نائب الملك والامبراطور، انه اذا احتاج الى التعامل مع الطائفة اليهودية، فيهدده ذلك الممثل بسطوة الرعاع.

حسن ثم حسن، لكن كيف يتصور ذلك بعين العقل او الخيال؟

كل ذلك ممكن، واكثر منه، ما دام وراء ممثل الطائفة اليهودية في فلسطين ١٩٢٠ قوة حكما صهيون وهي الآن في اول الطريق.

قال نفييل بارير صاحب كتاب Nisi Domiuus في التعليق على هذه الرسالة ان الجنرال بولز لما كتبها اثر حوادث يوم النبي موسى ١٩٢٠ وارسلها الى القائد العام للنبي في مصر، لم يكن يدري المحور الذي كان يدور حوله لويد جورج ولورد بلفور من اجل اليهود، فقد كان يجهل ذلك جهلا تاما.

وقالت السيدة نيوتن ان الجنرال بولز لما رفع هذا التقرير الى الجنرال النبي لم يكن يخفى عليه ان ساسة لندن سيعرضون عنه، لذلك قدم في الوقت نفسه اقتراحا آخر يلطف من اقتراحه حل اللجنة الصهيونية ويفضى الى نتيجة عملية، وهو ان تحل اللجنة ثم يؤلف مجلس يهودى استشارى يكون على صلة بالحكومة وتحت جناحها، فتمشى الامور الى ان يقرر الانتداب. ونقول: ولا هذا التلطيف يجدى شيئا، اذ هنا اليهودية العالمية!

\* \* \*

## ٢٠- اليهود يندرون الجنرال بولز إنذاراً مدته ساعتان والوثائق الأربعة

في ٩ / ٤ / ١٩٢٠ وحوادث يوم النبي موسى أخذت تهدأ بقوة الجيش لكن النار لم تزل تحت الرماد، قررت اللجنة الصهيونية التي رئيسها بالوكالة وقتئذ مناخيم مندل أورسيسشكين، وهو روسي من اودسا، زميل ويزمن منذ ١٨٩٨ كما قرر المجلس الطائفي اليهودي في فلسطين بالاشتراك مع اللجنة، أن يضربا الجنرال بولز ضربةً جارحةً لكرامته، وكرامته من كرامة رئيسه الذي في القاهرة، فكتب رسالة وقعة إلى الجنرال تنطوي على إنذار وتهديد ووعيد، منها هذه الفقرة التي عرفت وقتئذ ثم بعد مدة نشرت في الصحف:

«... وقد رأينا من الواجب المحتم علينا أن نبلغك أن السكان اليهود من كبيرهم إلى صغيرهم قد قرروا أنهم في ساعتين اثنتين فقط إذا لم تضمن لهم سلامتهم ضمناً تاماً، وتكفل حمايتهم كغالة كاملة، فإنهم يرون أنفسهم تتسلط عليهم أيدي سواهم، فيقوموا قومة رجل واحد يدافعون عن أنفسهم وعن اخوانهم الذين يساء اليهم ويقتلون امام عيونهم وعلى الحاكم العسكري المسؤولية»<sup>(١)</sup> أ هـ.

ووقع هذا الإنذار أوسيشكين الذي تكلمنا عنه هنا بايجاز وسنتناوله في موضع آخر بما فيه الكفاية، وداود يلين، وهذا من اليهود المحليين وزعمائهم من قبل الحرب العامة. فأراد اليهود جميعاً أن يتحرشوا بالحاكم العسكري نفسه كما تحرشوا بالمغرب من قبل أيام. والغاية بعيدة قريبة على طرف الثمام، إذ في أول يوليو ١٩٢٠ حصل ما يلي:

١ - وصل من لندن السير هربرت صموئيل إلى يافا مندوباً سامياً، فتلقاه اليهود بالهتاف (أهلاً بأمير إسرائيل الأول) لكنه وجد البلاد وهي عربية متجهمة في وجهه، فاليهود وإن كان أكبر عدد منهم يوجد في القدس، غير أنهم لا يزيدون على ستة بالمئة من مجموع سكان البلاد. فنقل من يافا إلى القدس بحراسة عسكرية فائقة. ولما كتب هو مذكرته ١٩٤٥ ذكر هذا وقال إنه لم يكن خائفاً من العرب!

(١) هذا الإنذار كان سنة ١٩٢٠ كما ترى، والحكومة عسكرية، وجعلت بريطانيا تهود البلاد ٣٠ سنة (من ١٩١٨ - ١٩٤٨) حتى سلمت أخيراً إلى «حكماة صهيون»، ١٩٤٨ وكانت إسرائيل. وكانت بريطانيا اشبه بمن يرضع الذئب، فمنذ ١٩٤٢ فصاعداً نظم اليهود قوات الارهاب الفتاك المسلح. بتدريب ضباط بريطانيين وأسلحة مستودعات الجيش، سرراً وعلناً، ولما قوى الذئب صارت المصائب اليهودية تقتص الضباط الانكليز وتجدهم وتلقهم على جنود الشجر.

٢ - وصعد إلى دار الحكومة في جبل الطور ليتسلم مسؤولية الحكومة من الحاكم العسكري الجنرال بولز وهو كان ضيفاً عليه قبل بضعة أشهر.

٣ - وهناك حدث ما فيه عبرة عن طريق النكتة التي لم يسبق لها مثيل. ولما كانت القصة تتعلق بالجنرال بولز، وبهربرت صموئيل نفسه، وهذا الأخير أصدر مذكراته سنة ١٩٤٥ وأورد الحكاية، فنقل من مذكراته ص ١٥٤ ما ذكره عبارة عبارة قال:

«لما وصلت إلى دار الحكومة في جبل الطور، وكانت قبيل مقر الحكومة العسكرية، واعتباراً من هذا اليوم امست دار الحكومة المدنية، استقبلني مضيفي جنرال بولز الذي كنت ضيفاً عليه من قبل، وهو متهئ للترحيب بي وتسليمي مقاليد الحكومة. وكان فيه طبع المرح والنكتة، مما سبب حادثة فكاهية نشرتها الصحف فيما بعد، لكن لم يكن نشرها في الصحف بغاية الدقة، فاحسبت ايرادها هنا. فلما انتهى دور التسليم وقبل أن يخرج الجنرال بولز من المكتب قال لي: والآن أريد منك أن توقع لي وصلاً بالاستلام. فسألته: «وصلاً باستلام ماذا؟ قال: فلسطين فقلت لا أستطيع ذلك ولعلك لا تعنى هذا من قبيل الجبد. فأجاب: أعنى هذا بكل تأكيد. وهذا هو الوصل مهياً ومطبوع. وناولني قصاصة ورق صغيرة هذا ما فيها: -

«استلمت من الماجور - جنرال سير لويس ج. بولز - K. C. B. فلسطيناً واحدة بالتمام والكمال» وبعد هذا، التاريخ وفسحة للتوقيع. فعدت أتردد، فأصر، فوقع، وأضفت عبارة: «ما عدا السهو والغلط»، جرباً على عادة لغة الوصولات التجارية. وأخذ بولز هذا الوصل ولما عاد إلى لندن وضعه في إطار. وقيل لي إن هذا الرسم كان على منضدته في محل عمله. ومن هنا تسرب خبره إلى الصحف، انتهى كلام صموئيل.

فيحسن بالقارئ أن يتذكر هذه الأوراق، وليعتبر:

١ - رسالة بولز إلى اللبى يتعهد باللبن والعسل.

٢ - رسالة بولز إلى اللبى يطلب الغاء اللجنة الصهيونية.

٣ - رسالة التهديد من اوسيشكين وداود يلين إلى بولز.

٤ - الوصل الذي وقع هريبرت صموئيل في أول يوليو ١٩٢٠.

\*\*\*

هريبرت صموئيل، هكذا عرف اسمه خمس سنوات ونصف في فلسطين.

هو من: حزب الأحرار وأول يهودى وصل إلى حقيبة وزارية بعد دزرائيلى اليهودى الذى كان فى الربع الأخير من القرن قبل الماضى. صموئيل هو أول من قدم عريضة إلى الحكومة البريطانية إثر دخول تركيا الحرب ١٩١٤ إلى جانب المانيا، يطلب اقطاع اليهود سنجق القدس فى حالة هزيمة تركيا واقتسام أملاكها، وكان تقديم هذه العريضة آخر سنة ١٩١٤ فلم تقبل

بصيفتها الأولى، فعدلها فقبلت. وجاء فلسطين مرتين دارساً قبل أن يعين مندوباً سامياً، وهو أول مندوب سام خَلَفَ الحكومة العسكرية كما تقدم في صفحة سابقة. وخطب سنة ١٩٢٢ خطبة سياسية فأنكر أنه صهيوني. مع أن صديقه تشرشل وزير المستعمرات وصفه بأنه صهيوني قح وهو في خطبته هذه راح يبدى ختلاً وتضليلاً وجَمَل يفسر الصهيونية تفسيراً كله خداع ومراوغة. وهو مَرِن، طويل الأناة. تعلم العبرية وقليلاً من العربية. وهو الذي أنشأ جميع الأوضاع لسياسة التهويد. كان يلقبه اليهود بأمير إسرائيل الأول أو عزرا الثاني لا ريب أنه يعد من رؤوس الصهيونية العالمية العنيفة. ولما دعى بلفور سنة ١٩٢٥ ليحضر حفلة تهنئين الجامعة العبرية على جبل الطور، هاجت البلاد نقمة عليه فذهب إليه مدير الأمن العام البريطاني واقترح عليه الغاء دعوة بلفور فرد الاقتراح وقال: «حان للعرب أن يفهموا أن اليهود أصبحوا سادة في بلادهم، أحراراً في وطنهم». وأوردت السيدة نيوتن في كتابها هذه العبارة بعينها.

جاء بلفور، وحضر الحفلة وخطب، وكرر الإعراب عن أمانيه نحو الوطن القومي. وأراد هو وأراد هربرت صموئيل أن يزورا الحرم الشريف في القدس، فأقفلت أبواب الحرم في وجهيهما وأضربت البلاد كلها وساد القلق والخوف. ولما ذهب بلفور إلى دمشق في طريق عودته إلى لندن، نُصِبَ له كمين فلم تتجح الخطة. وهبت دمشق في وجهه بالمظاهرات العنيفة فاضطرت السلطة الفرنسية إلى حمايته ونقله إلى بيروت فالباخرة نقلاً مخفوراً بالجنود.

أما هربرت صموئيل فأطلقت عليه النار مرة في شمال فلسطين فنجا، وثاني المرتين في بيسان لا بقصد قتله بل للحفاوة به. وبيسان كلها وقتئذٍ عرب محض وعصبة حمية. وكانت زيارته للبلدة لأول مرة. وكان الحاكم الوطني هناك ربحي مراد من القدس فقص على خبرها بتفصيل قيده في دهاترى. لكن الحادث مرعب. فلما أحاطت الفرسان بموكب صموئيل وجعلوا يطلقون النار من بنادقهم في الفضاء، والمثير سد الجو، وعلت الصيحات، تهاوى صموئيل في مقعده، وانحل وامتقع لون وجهه وصاح بالحاكم ربحي مراد بالانكليزية: «حياتي في خطر، انقذني بحرمة العرب»، فأنقذه بأن استعان بكل قوة حتى أدخله سراى الحكومة في بيسان وضرب نطاق الحراسة من حولها؛ وفي الصباح رتب أمر خروجه وبراحه ترتيباً محكماً. ولما وصل صموئيل القدس وبعد قليل عزّل الحاكم. ثم أطلقت عليه النار للمرة الثالثة في غزة يوم زارها تشرشل ١٩٢١ فنجا. مات منذ نحو ٢ وقت تأليف هذا الكتاب سنين عن عمر جاوز التسعين. ابنه ادوين صموئيل في إسرائيل اليوم. ولهربرت صموئيل عدة كتب فكرية فلسفية ما عدا مذكراته. وله في أثناء ولايته حوادث وأخبار فريدة تدل على كثير من مخطط حكماء صهيون. ولو تقدمت يقظة الأمة العربية عشرين سنة، لما جاء هربرت صموئيل ولا بلفور إلى فلسطين ونمرف له نوادر وأموراً كثيرة في أثناء تقلده العمل، وهذا لا محل له هنا.

## ٢١- جابوتنسكى ينبوع الإرهاب اليهودى

٢

لما كان غرضنا الأول من هذا الكتاب بقسميه البروتوكولات وتطبيقها فى فلسطين، أن نضع بين أيدى القراء العرب فى العالم كله نماذج من تطبيق عقيدة التجمع والاقترام التى يعد أحدها عام واضع منهجها وفيلسوف فكرتها، وقد مر الكلام على أحدها عام فى موضعه، فإننا نوجز هنا بداية تطبيق المخطط فى فلسطين؛ بإيراد المزيد من خبر جابوتنسكى، وذلك للأسباب التالية:

١ - هو مع رفقته من أول المنادين، منذ مؤتمر هرتزل الأول ١٨٩٨ فى بازل، بأن المملكة اليهودية يجب أن تؤلف من فلسطين كلها ومن شرق الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية)، ثم من النيل إلى الفرات.

٢ - هو من المنادين أيضاً بأن الوصول إلى هذا، يجب أن يتم بالتجمع والاقترام أى بالقوة المسلحة.

٣ - انفصل عن ويزمن والمنظمة الصهيونية سنة ١٩٢٢ وأعلن مخططه بإنشاء حزب سياسى جديد اسمه بالانجليزية Revisionist<sup>(١)</sup> واقترح أن يتفق مع المنظمة على اصطناع انشقاق فى الحركة الصهيونية العالمية. ومدار هذا الانشقاق أن يمثل ويزمن دور كافور، وجابوتنسكى دور غاريبالدى، ولا بأس أن يقال فى تمثيل هذه الصورة إلى أبعد حد ممكن. وهكذا وقع كما يعرف عرب فلسطين الذين عاصروا الحوادث.

٤ - اسمه فى فلسطين معروف لكل العرب. أما الجيل العربى الصاعد منذ سنة ١٩٤٨، فلا يعلم عنه إلا قليلاً أو بالأحرى لا يعلم شيئاً إلا اسماً يهودياً صهيونياً دموياً.

٥ - هو أول يهودى صهيونى هرب الأسلحة إلى فلسطين، ويعلم بعض رجال الحكومة،

(١) هذا الاسم لا يدل على حقيقة المخطط وغايته، بل هو للتضليل، وكما يستفاد من مذكرات ويزمن، ومن الوقائع التى كانت تشاهد فى فلسطين من حيث تلاعب اليهود وأساليب مكرهم. فالمراد أن يكون جهاز السياسة اليهودية بفلسطين قائماً على محورين: الأول الفلو والتطوح من النيل إلى الفرات، وهذا هو جناح جابوتنسكى، والآخر تطبيق مراحل التهويد فى فلسطين عملياً، وهذا هو جناح ويزمن. وكلاهما واحد. ومراد جابوتنسكى بهذا الاسم هو لتقيح صلك الانتداب لتقيحاً يجعل الوطن القومى يشمل بالنص الصريح شرق الأردن كما يشمل فلسطين. واعتادت الصحف العربية أن تسمى هذا الحزب «الحزب الاصلاحى»، وما هذا إلا جملًا فى الترجمة وقصر نظر.

واستعمل هذه الأسلحة علناً في حوادث يوم النبی موسى في إبريل ١٩٢٠ فلم يكن بدّ من محاكمته، وفي المحاكمة كان يهزأ بالقضاة العسكريين الانجليز ويقول لهم: أصدروا على أي حكم تشاؤون فهذا الحكم سيلقى حتماً وفعلاً وقع ذلك كما رأى القارئ. هذا إلى تباهيه في المحاكمة بأن في يده وثائق بينات مسروقة من صندوق الشيفرة السري الذي ينبغي أن يكون مفتاحه معلقاً دائماً في عنق رئيس أركان حرب الجيش البريطاني، كما تقول مس نيوتن، وقد مرّ ذكرها.

٦ - حكمت عليه المحكمة العسكرية سنة ١٩٢٠ بالسجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة ثم بإخراجه من البلاد بعد السجن، فلم يلبث بعد قليل أن عفى عنه وعاد يسرح ويمرح حراً. عفا عنه هربرت صموئيل أول مندوب سام مدني، وسموئيل في نظر اليهود عزرا الثاني أو أمير إسرائيل الأول بعد السبي البابلي. فرفض جابوتسكي العفو من ابن جلدته، لأنه في هذا العفو وضع على مستوى واحد مع العرب الذين عفى عنهم أيضاً في الوقت نفسه. غطرسة يهودية! تارة ثعلب وطوراً أرنبا!

٧ - جميع المنظمات الارهابية السرية في فلسطين هو منظمتها الأول.

٨ - مات في أغسطس ١٩٤٠.

٩ - جميع ما اقترفه اليهود من مذابح في فلسطين، ولاسيما في ١٩٤٨ وما بعدها يمدّ تطبيقاً لمخطط التجمع والافتحام، وجابوتسكي هو أول مجرب لتطبيق قاعدة التجمع والافتحام.

واننا نورد الآن صفة ترجمته على قدر ما استطعنا جمعه من أجزاء وخيوط ونقاط، لتكون من كل ذلك صورة للرجل الذي كان أول منفذ مع رفيقه يوسف ترمبلدور، لمخطط التجمع والافتحام في فلسطين. وبينما هذا الفصل من هذا الكتاب يجري طبعه في النصف الثاني من شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٦ وردت الأنباء من مقر هيئة الأمم أن عصابة صهيونية مؤلفة من ٣٠ شاباً اقتحمت مقر البعثة السورية في نيويورك وارتكبت جريمة محاولة الاستيلاء على موجودات المكتب بالقوة، ومثل هذا الحادث الوحشي الأول من نوعه إنما يقع لأول مرة في هيئة الأمم وهذه المصيبة هي من منظمة جابوتسكي وترمبلدور.

ومصادرنا في إيجاز قصته هنا: معلوماتنا مباشرة ونحن في فلسطين أيام الانتداب كلها. مذكرات ويزمن. كتاب نفيل بارير الانجليزى. كتاب السيدة نيوتن. كتاب مشرقيات لرونالد ستورس استاذ لورانس وحاكم القدس من ١٩٢٠ - ١٩٢٦. مذكرات الكولونيل كيش. تقرير اللجنة الملكية البريطانية ١٩٣٦ - ٣٧. كتاب هرويتز. وأسماء هذه المصادر والمراجع مبينة في آخر هذا الكتاب بعناوينها الانجليزية وتاريخ طبعها.



## ٢٢ - صفوة سيرته وسيرة يوسف ترمبلدور

هو فلادمير جابوتسكى من يهود اودسا التي منها أحدها عام الواقعة على البحر الأسود (إقليم أوكرانيا) وأودسا هذه أكبر أوكار التلمود، واشتهرت في القرون الأخيرة بما خرج منها من مفامرين عملوا في الحركات السرية الارهابية انتقاماً من القيصريّة الروسية. وحياة اليهود في أودسا وسائر أوكرانيا في العهد القيصري كناية عن تسديد ضربات وتلقى ضربات. واليهود هنا منذ القرن التاسع الميلادي أو قبل ذلك. وهم خليط مختلف، وأحد هذه العناصر، الخَزْر<sup>(١)</sup>. اودسا خرج منها في عصر الصهيونية، أحدها عام واوسشكين زميل ويزمن. والمفكر أو الفيلسوف الصهيوني الدكتور بنسكر صاحب كتاب التحرر الذاتي أو حرر نفسك، وحاييم نعمان بياليك، شاعر الصهيونية والنافخ في بوق النهضة اليهودية وامتاز بوصف المذابح التي حلت بقومه ولاسيما في أودسا وأوكرانيا، إلى آخرين في عدد كبير، وكلهم دورهم طليعي، وهؤلاء الذين ذكرناهم هنا من أودسا، جاءوا فلسطين وأقاموا فيها، باستثناء بنسكر. وأودسا كانت محشورة بأوكار عشاق صهيون من زمن طويل.

ولد جابوتسكى سنة ١٨٨٠، وهذا قبل أن يظهر هرتزل بالصهيونية السياسية بأربع عشرة سنة. ويزمن أكبر منه بست سنين وهو أكبر من بن غوريون بست سنين. نشأ صحافياً كما نشأ هرتزل، وأتقن عدة لغات، اتخذ توقيع القلمى التالي وهذا رمز إلى معنى لم نعثر على مدلوله. خطيب يهوى السياسة لكنه غير مهيا لها بطبعه ومزاجه، وهذا باعتراف ويزمن، واعتراف هيروتز صاحب كتاب الكفاح في سبيل فلسطين.

في دراستنا له، فضلاً عن معرفتنا بأمره عن كذب في فلسطين، لم نقف على المفصل من أخبار نشأته، وإنما هو على كل حال تلمودي وارتضع روح الصهيونية من البروتوكولات، وهذه من التلمود. ولما كانت الرائحة الأولى التي اشتهمت دالّة على من توجهت إليه تهمة النقاد أنه موضع البروتوكولات، فدلّت على أحدها عام ابن بلده، راح جابوتسكى يتظاهر بالبفضة له ويعلن هذا بأى سبيل. ولماذا التظاهر بهذه الكراهة ولم يعرف لها من سبب معقول؟ فقد تكون مصطنعة اصطناع الانقسام بين جابوتسكى نفسه ويزمن على نحو ما سيتضح الآن في مساق الكلام، وقد يكون الخوف.

لكننا نستطيع أن نتابع جابوتسكى من بداية الحرب العالمية الأولى، وهو وقتئذٍ في الرابعة والثلاثين. ومن هذا الوقت فصاعداً يبتدئ بروزه العنيف في الصهيونية، وهو لا يطير

(١) عنصر الخزر في اليهود؛ في هذا الفصل الحقيقة الموجزة.

في تفكيره إلا على أجنحة التجمع والاقترام، مخطط أحدها عام فيلسوف الفكرة، ولهذا نرجح أن تظاهرة بالمقت لأحدها عام ما كان في الواقع إلا تصنعاً وتضليلاً. سنة ١٩١٤ وقبلها، كان كثير التنقل بين إيطاليا وبريطانيا وفرنسا ومصر وبلدان أخرى. ولما وقعت الحرب الأولى كان في الإسكندرية. ويقول ويزمن أن غوركى، والشيخ الفيلسوف ليوتولوستوى.

ومن الإسكندرية كان جابوتنسكى يرأسل الجريدة الروسية -RUSSKIYA VYE- DOMOSTI ثم يقول ويزمن: «أما تنقلاته في المرحلة الأولى من الحرب فغامضة علينا». أصبح هذا؟ لكننا نعلم من ويزمن أن جابوتنسكى لما كان في مصر أول الحرب وضع هناك مع رفيقه يوسف ترمبلدور<sup>(١)</sup> فكرة إنشاء فرقة عسكرية يهودية تقاتل مع الحلفاء، وهذا ما نفذ بعدئذ بإنشاء ما سمي بتعبير ويزمن بفرقة البغالة الصهيونية واستخدمت في غاليبولى وكانت شؤماً على الحلفاء والانجليز خاصة بالكسرة التي كسروها وأمر هذه الكسرة مشهور في تاريخ الحرب الأولى.

بعد مدة انتقل جابوتنسكى إلى لندن، وهناك شرع يعمل على تنفيذ فكرة تجنيد فيلق يهودى للغاية التي ذكرناها، فلم يقف بجانبه أحد سوى ويزمن وزعيم صهيونى آخر هو يوسف كوين Cowen<sup>(٢)</sup>، وزوجة ويزمن. ولكى تتسجم الأمور بالبحث المفصل، فقد دعاه ويزمن ليقوم في بيته، وهنا توطدت العلاقة بينهما وصار كل منهما يشرب من ماء أخيه، غير أن ويزمن كان الوعاء الأكبر في الفكر واتساع الحيلة ولما شرع في تأليف الكتيبة اليهودية انضم روتبيرغ إلى ويزمن وجابوتنسكى، فقام هؤلاء الثلاثة بالمعبه كله.

يقول ويزمن: «دنا في بداية العمل، وفي أحد الأحاديث التي لا أنساها، فُتِحَتْ عيني عليه فقلت له: أنت يا جابوتنسكى تتولى الدعاية للحركة الصهيونية خطابة وكتابة. فأنت موهوب في هذا الباب. فتطلع إلى وكادت عيناه تدمعان وقال: يا دكتور ويزمن، إن العمل الوحيد الذى أنا مهياً له هو العمل السياسى، وأراك تدفعنى إلى غيره، يقول ويزمن: فدهشت، إذ العمل السياسى ليس هو بأهل له، ولا يحسن الأخذ والعطاء مع الإنجليز، فهو يتحلى بروح العناد، وليس له أناة طويلة، ويصعب عليه وزن الأمور الواقعية وقت الشدائد. تراه من فرط تحمسه أبداً متفائلاً، واسع الاقيسة الفضفاضة، فياض الأمل. وهو لم يغير من صفاته هذه

(١) صفوة ترجمته ترد بعد جابوتنسكى.

(٢) «كوين» هذا، كان وقتها رئيس الاتحاد الصهيونى البريطانى، واشترك مع ويزمن في الشوط كله حتى صدور وعد بلفور أواخر ١٩١٧. ولما جاء ويزمن إلى فلسطين على رأس وفد صهيونى أوائل ١٩١٨ ليمهد مع اللبى والسلطة العسكرية لسياسة التهويد، كان هذا الوفد مؤلف من زعماء يهود بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. أما الذين كانوا يمثلون الصهيونية البريطانية في هذا الوفد فهم ويزمن ويوسف كوين والدكتور داود آذر. وهذا قد مر ذكره.

شيئاً، رغم ما لاقى من فشل في أثناء مساعيه لتأليف الكتيبة اليهودية». ثم يقول ويزمن: «ثم أفلح في النهاية وأنشأ الكتيبة وجاء إلى فلسطين ١٩١٨ لما كنت فيها. فَرُقِي إلى رتبة كابتن. وفي نهاية تلك السنة وأنا على وشك المفارقة، جعلناه الضابط السياسي في المنظمة الصهيونية، ولكني في سرى لم أكن مرتاحاً إلى تعيينه، وإنما قلل من هواجسى أن فوق يده يد الدكتور أدز. وحسبتُ أن الجمع بين هذين الاثنين أمر لا بأس به». انتهى كلام ويزمن.

\*\*\*

لا نرى الدكتور ويزمن هنا في الكلام على جابوتسكى، إلا متناقضاً مع نفسه، والأمر ظاهر، فهو بعد أن يعترف بعدم أهلية جابوتسكى لتعاطى الأمور السياسية، ونصحه له في لندن بأن يتوجه إلى هن الدعاية، نراه في فلسطين يختار جابوتسكى لأدق عمل يتعلق بالصهيونية في أول نبتتها، والحكومة عسكرية، والحرب قائمة، واليهود وقتئذ في فلسطين لا يزالون في عهد الذل الطبيعي، أقلية ضئيلة لا تزيد على ٦ بالمئة من مجموع السكان. والضابط السياسي في المنظمة الصهيونية معناه شد الحبال وارتخاؤها مع السلطة العسكرية. وقال ويزمن أنه تدارك الحال بأن وضعَ الدكتور أدز فوق جابوتسكى، وليس هذا في ممارسة الصلاحيات، بل بمثابة مستشار ينقذ جابوتسكى عندما يتورط.

والتناقض الذي وقع فيه ويزمن - وفي مذكراته كثير مثل هذا - له سبب. فإن ويزمن، وهو تلميذ أحدها عام، فضل أن يكون الضابط السياسي الأول في المنظمة الصهيونية سنة ١٩١٨ يهودياً صهيونياً يحمل عقيدة التجمع والاقتحام، وهذه العقيدة في جابوتسكى أفيد في المظهر من تعقل يوسف كوين. فأثر ويزمن أن يكون جابوتسكى الفائق، وكوين الراق. ونرى بعد قليل أن ويزمن هو نفسه الذي ضرسَ بالحصرم.

لدينا الآن نقطة مهمة للغاية تكشف عن ناحية أخرى عن تكتيك حكماء صهيون. فقد قال ويزمن أن الذين وقفوا إلى جانب جابوتسكى في فكرة إنشاء الكتيبة اليهودية هو نفسه أي ويزمن، وزوجته، ويوسف كوين، وعند التقدم في المشروع انضم إليهم روتبرغ، وهذا من أركان الصهيونية. يقول ويزمن إن المنظمة الصهيونية قامت في وجه الفكرة وعارضت جابوتسكى، واليهود غير الصهيونيين صاحوا بالمعارضة الباتة، وتطيروا من الفكرة. فكان التثبيط من كل جهة. وكان للحركة الصهيونية مكتب مركزي واسع في المانيا، فانتقل هذا المكتب إلى كوينهاغن أول الحرب، وأعلن باسم الحركة الصهيونية أن اليهود في العالم على الحياد. فهذا المكتب، الذي يسميه ويزمن مكتب الحياد، بلغ المراجع الصهيونية في لندن، طبعاً بوسائل سهلة عند الصهيونيين، معارضته لفكرة إنشاء الكتيبة اليهودية. ويقول ويزمن إن بعض المنتقدين قالوا له: «بينما أنت تسعى لتوحيد العالم اليهودي في حركتك الصهيونية، فإننا نراك تعمل على قسمته». وكل هذا من ضروب الختل والمراوغة، فالتخطيط الصهيوني محايدون في الحرب.

رات الصهيونية عند وقوع الحرب أن تتهاى للمساومة، مساومة الحلفاء فى لندن، ومساومة الدول المركزية، كما كان يقال لها فى الحرب الأولى، المانيا والنمسا، وهذا فى برلين. فانشأت مكتباً لها فى كوينهاغن، وقالت هذا هو مكتب الحركة الصهيونية للحياد. وأبقت هيئة صهيونية فى برلين، وصار بوسع مكتب الحياد أن يمتص من لندن وبرلين معاً، ويوازن ويقارن. وجعل الصهيونيون فى بريطانيا يساومون الانجليز على فلسطين ثانى يوم دخلت فيه تركيا الحرب إلى جانب المانيا فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ وكان هربرت صموثيل أول من بأشر هذا، وهو وقتئذ وزير فى الدولة بتقديمه عريضة إلى رئيس الوزراء يطلب، وقد دخلت تركيا الحزب إلى جانب المانيا، أن تقطع بريطانيا فلسطين - وعبر عن هذا بقوله سنجد القدس - إلى اليهود فى نهاية الحرب، وقد مر هذا كله فباسم من يحق لهربرت صموثيل وقتئذ أن يطلب هذا وهو وزير فى الدولة وولأوه لدولته؟ باسم القوة المساومة، الصهيونية المستترة. ولا نطيل الشرح هنا فيما يتعلق بمجارى الأمور فى لندن، فقد نجحت مساومات لندن ونال الصهيونيون وعد بلفور لا فى نهاية الحرب، بل فى ١٩١٧ والحرب فى فلسطين لم تزل قائمة. وإنما يهمننا أن نلفت النظر الآن إلى مساومة الصهيونيين فى برلين واستبول، لنعلم لا السبب فى تناقض ويزمن وكفى، بل أيضاً كيف كانت تعمل عصابة حكماء صهيون لا من عهد هرتزل وأحدها عام، وعشاق صهيون، بل منذ وقت نابليون، لما غزا مصر محاولاً الاستيلاء على أرض الشرق وقطع طريق الهند على الانجليز.

\*\*\*

ذكرنا فى أول هذا الفصل أن من عناصر اليهود الخزر. ومن المفيد إيجاز الحقيقة اليهودية العرقية من جهة Race فالعنصرية اليهودية القديمة لا يقرها علم الأجناس اليوم. فاليهود الذين خرجوا من فلسطين سيبياً وطردوا واختلطوا بالأمم فقدوا شيئاً فشيئاً العنصرية القديمة. واعتق اليهودية فى الأزمنة القديمة والمتوسطة كثير من الأقسام، فأمسى هؤلاء يهوداً ولكنهم بالدم آريون لا ساميون كالخزر مثلاً. فأمسى اليهود جماعات دينية اجتماعية. وبسبب ضعف الدعاية العربية بقيت هذه الأساطير من أن اليهود ساميون سارية، إلا علم الأجناس البشرية هتفاها.

وخير بحث موجز يجلو هذه الحقيقة، وضعه الدكتور محمد عوض العلامة المشهور فى الإنجليزية فى كتيب قدمه إلى اللجنة الانجلو - امريكية سنة ١٩٤٧. وهو:

The Zionist Question, In Its Scientific Setting.

## ٢٣- حياذ الصهيونية المصطنع للمساومة بين بريطانيا وألمانيا وتركيا ١٩١٤

جعل مكتب برلين بمد وقوع الحرب، يفزل مع الألمان وزعماء الاتحاد والترقى الأتراك القابضين على زمام الأمور، غزلاً في مصلحة الصهيونية والمانيا وتركيا. وكان زعماء الصهيونية قد استطاعوا أن يقطعوا مسافة واسعة في الوصول إلى فلسطين عن طريق استتبول العثمانية، في مدة الست سنين التي انقضت من يوم إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ إلى صيف ١٩١٤ وهي السنة التي وقعت فيها الحرب. وسبب نجاح السياسة الصهيونية في المملكة العثمانية هو تمكنهم من استمالة عدد من كبار الساسة الأتراك المسلمين الذين يرجعون بأصولهم الدموية إلى اليهود الذين خرجوا من إسبانيا آخر القرن الخامس عشر وعرفوا باسم الدونمة، فخيوط الدعاة الصهيونيين جعلت تمتد إلى عصب الدولة، لا منذ سنة الانقلاب فصاعداً بل من وقت قام هرتزل في العقد الأخير من القرن قبل الماضي وقبل ذلك. ولولا تبه النواب العرب في البرلمان العثماني واشتداد صياحتهم، لقفز الصهيونيون قفزات أطول مما استطاعوا نيله<sup>(١)</sup>. التفاصيل لهذه المرحلة المتعلقة بالصهيونيين في الدولة العثمانية طويلة لا محل لها هنا. يكفي أن نقول إن الغلو في الحركة الطورانية أو العصبية الجنسية الطورانية كان بالتالي جاراً للترك الطورانيين للوقوف في النهاية بين مخليين: مخلب المانيا الناهدة لاستعمار معظم المملكة العثمانية عن طريق مشروع سكة حديد برلين - بغداد، وللوصول إلى اليمن عن طريق مشروع سكة حديد الحجاز الذي بدئ في إنشائه ١٩٠٨، ومخلب الصهيونيين الطامعين في فلسطين. ففشلت المانيا في الوصول إلى الشرق عن طريق استتبول، وفشل الأتراك الطورانيون في إنشاء إمبراطورية طورانية ينضوى إليها العنصر التركي من بلغاريا في جنوب أوروبا إلى أقصى التركستان شرقاً في آسيا الوسطى - وريح الصهيونيون.

(١) اشتهر في هذه الصيحات ثلاثة من العرب: روى الخالدي وهو نائب القدس في البرلمان العثماني، ومن كبار علماء العرب، وشكري العسلي نائب دمشق. وأحد الشهداء الذين علقهم على الأعواد السفاح أحمد جمال القائد التركي الطوراني، ونجيب نصار، وهو صحافي من لبنان يقيم في حيفا وأوقف جريدته الأسبوعية التي أنشأها بعد إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ واسمها «الكرمل» على إيقاظ العرب والكشف عن حقائق الصهيونية. وله كتاب «الصهيونية - ملخص تاريخها وغايتها وامتدادها حتى سنة ١٩٠٥» نشره سنة ١٩١١ وتصيل هذا كله مما يتعلق بصيحات العرب في البرلمان العثماني سبق لنا أن نشرناه فصلاً في جريدة «الأنوار» اليومية البيروتية سنة ١٩٦١.

## ٢٤ - الصهيونيون ودعاة الطورانية من الترك

سنة ١٩١٢ كان الصهيونيون قد بلغوا من النفوذ إلى بواطن الدولة العثمانية وملتقى شرايينها، مبلغاً مخيفاً، وأما أساليبهم في ذلك فتقرأ وصفها في البروتوكولات، وهذه لم تكن قد اشتهرت بعد إلا في روسيا القيصرية. آخر انقلاب عثماني هو الذي وقع في تلك السنة ١٩١٣، ولا انقلاب بعده إلا دخول تركيا في الحرب إلى جانب ألمانيا ثم انهيارها أواخر ١٩١٨ وانسلاخ البلدان العربية عنها. وبقي أمر الدولة العثمانية بيد العصبة الطورانية إلى أيام عقد الهدنة، ثم تفرقوا في الآفاق. وفي وزارة الانقلاب ١٩١٢، نال الصهيونيون تحت قناع الوطنية التركية ثلاث حقائب وزارية هي: الأشغال العامة، والتجارة والزراعة، والبوسطة والتلغراف (بالفاض تلك الأيام) ومع هؤلاء جاويد ناظر المالية، وهو من الدونمة، وهذه الثلاث حقائب هي من أصل ثلاث عشرة حقيبة، وهذا شيء لم يصل إلى مثله اليهود في بلد ما منذ شنتهم الرومان سنة ٧٠ ب. م. بل كان نفوذهم البادى الخفى في السياسة التركية الطورانية منذ انقلاب ١٩٠٨، هو الحلقة الأخيرة في الوصول إلى فلسطين، عن طريق التوسع الضخم العظيم في محاولة شراء الأراضي الفسيحة التي كانت لعبد الحميد وتعد من أملاكه الخاصة وهي المعروفة بالجفتلك، وأستطاع اليهود أن يجعلوا الحكومة تسن القوانين والأنظمة، مما يمكنهم من الشراء تحت أسماء شركات تحمل أسماء غريبة غير عثمانية، وهي بحكم تلك القوانين أشخاص معنوية وهذا لم يكن مباحاً من قبل قطعاً. فوَقعت الحرب بعد سنة، ثم في ١٩١٧ نال اليهود وعد بلفور. أما مسألة الوزارات الثلاث التي نالها اليهود بانقلاب ١٩١٣ ونفوذهم في الدولة، فسنزيدها ايضاحاً في الفصل التالي.

## ٢٥- استنحال النفوذ اليهودي في الدولة

العثمانية من ١٩٠٨ - ١٩١٤

سنة ١٩١٢، للصهيونيين ٤ حقائب وزارية وللعرب لا شيء

وهذا شئ من التفصيل للنفوذ الصهيوني في الدولة العثمانية كما تجلى ذلك في آخر انقلاب عثماني وقع سنة ١٩١٢ وقد مر الكلام على هذا، فقال اليهود أربع حقائب وزارية (من هذا حقيقة جاويد وزير المالية وهو مسلم بالظاهر لكنه من الدونمة) وهنا نود بيان هذا من جملة نواح.

قلنا إن اليهود نالوا ثلاث حقائب:

وزارة النافمة - (الأشغال العامة).

وزارة التجارة والزراعة.

وزارة البوستة والتفراف.

وعند الأتراك الناظر هو الوزير، والصدر الأعظم هو رئيس الوزراء.

أما ناظر النافمة فهو بساريا أفندي، عضو مجلس الأعيان وهو بأصله فلاحى بفداني (من رومانيا) وكان رئيس تحرير جريدة جون تورك ومراقباً على ما يكتب فيها من قبل الجمعية الصهيونية، وهذه الجريدة صهيونية عرقاً ودماً. وقد انسلخ اقليم الفلاخ والبغداد عن الدولة منذ وقت طويل وبقي بساريا أفندي الوند الذهبى في استنبول للمضى بمهامه الصهيونية، وحصل على مقعد في مجلس الأعيان. وأما ناظر التجارة والزراعة فهو نسيم مازلياح نائب أزمير في البرلمان العثماني سابقاً، وهو دائماً مفوض الجمعية الصهيونية، وأما ناظر البوستة والتفراف (بهذا اللفظ في تلك الأيام) فهو اوسقان أفندي وهو وإن لم يكن يهودياً كرفيقيه غير أنه تهوّد قلباً وقالباً وجيباً، شديد الغلو في الصهيونية، فتهوده فظيع ذهنياً وذهباً. وقبل الوصول إلى هذه الحقيقة بخمس سنين كان كاتباً في الديون العمومية، فإذا به يرسل فجأة إلى الروملى مفتشاً مالياً، ثم بقدره خفية يصير الآن وزيراً.

وكان جاويد ناظر المالية، وهو المشهوره بالبراعة في علم المال، مسلماً، لكنه دونى المرق والأرومة، وهو يسلك مع الثلاثة، فيصبح لليهود أربع حقائب من أصل ١٢ حقيقة. واليهود في المملكة العثمانية قلة ضئيلة وعندما تمد الاقلييات في المملكة فهم آخر من يذكر.

أما العرب، وهم نصف المملكة في عدد السكان، وبلدانهم في المساحة أكبر من الاناضول

اضعافاً مضاعفة. دون أن يدخل في هذا ما هو اليوم العربية السعودية وإمارات الخليج والجنوب العربي، فلم يكن لهم من مقاعد في البرلمان إلا أقل من نصف ما يستحقون، وفي وزارة الانقلاب سنة ١٩١٢ هذه لم يكن هناك وزير عربي قط، اللهم إلا سليمان البستاني كانت له حقيبة فاستقال ١٩١٤ لما دخلت تركيا الحرب إلى جانب المانيا، وكانت استقالته بمثابة احتجاج على سياسة الاتراك الطورانيين، وإلى أن انتهت الحرب أو إلى انتهاء المملكة لم يكن في الدولة وزير عربي، وهي مدة أربع سنوات ونصف السنة.

وهناك غريبة، فإن أوسقان اقتدى الذي رأيناه الآن وزير البوسطة والتفراف، وكان قبل بضع سنين كاتباً في الديون العمومية، ظل السعد الصهيوني ينتقل به ويعلو، حتى إذا جاءت سنوات ما بعد الحرب وقامت الانتدابات وما تحتها من حكومات، وللمراق انتدابه وحكومته، رأيناه في حكومة العراق خبيراً مالياً يعمل بمقد. فانظر إلى حيل اليهود كيف تلمب وتتكبر، في من أتى بأوسقان اقتدى إلى بغداد عاصمة الرشيد، وفيما وراءه وفوقه وإلى جانبه من سحر وتماويز. إنه ديماس حكماء صهيون والانجليز!

وكان رئيس الوزراء العثماني ١٩١٢ البرنس سميد حليم باشا من اسرة بيت محمد على الاباني، وكان يمتاز بضعف الشخصية، لا حول له ولا طول، وامره طرداً وعكساً بيد العصبة التركية الطورانية، التي هي بدورها بيد برلين من ناحية، وبيد الصهيونيين من ناحية أخرى. وكانت الحكومة العثمانية عندئذ قد استدان قرضاً مالياً من فرنسا مقداره ٢٥ مليون جنيه ذهباً. وعندما يطلع القاريء العربي على البروتوكولات ومنها البروتوكول المشرون، يدرك كيف تعقد القروض بواسطة اليهود ومن اليهود، وكيف تتفق انفاقاً يؤول بالمستقرضين إلى الانقراض. وهذه الخيوط كلها من نسيج حكماء صهيون. توسعنا في هذا الاستطراد إذ الغاية من ذلك شرح ما ينبغي الاحاطة به من مخطط البروتوكولات. ووصلنا في مساق متن الكلام إلى أدق نقطة: كيف تلاعب الصهيونيون تلاعبهم الذي قرينهم في أول الحرب من لندن وابعدهم عن برلين. ولعل في هذا الموطن يكون من المفيد أن نبدي هذه الملاحظة التالية على قدر ما ورد في أحد الكتب المترجمة حديثاً إلى العربية من قول غير دقيق ولا صحيح يتعلق بالماسونية واليهودية المالوية ورجال تركيا الفتاة.

هذا الكتاب هو تركيا الفتاة لمؤلفه الدكتور ارنت أ. رمزور الاميركي E. E. Ramsaur. Jr. وناقله إلى العربية الدكتور صالح أحمد العلي. وضعه المؤلف سنة ١٩٤٧ ونشرته بالعربية مؤسسة فرنكلين في بيروت سنة ١٩٦٠ وهو كتاب على الجملة حصيلة بحث واسع مفصل، نال به صاحبه رتبة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برنستون. غير أن هذا الكتاب لا يخلو من هفوات واسعة الفجوات، وإليك مثلاً من ذلك.



فقد قال المؤلف في ص ١٢٧ في الماسونية الدولية أو اليهودية العالمية ما نقله بمبارته:  
 «وعلى أى حال، فإن أعضاء تركيا الفتاة المؤمنين بقوميتهم سواء كانوا في داخل  
 الامبراطورية العثمانية أو خارجها، لم يكن من طبيعتهم الرضوخ لقيادة أية منظمة دولية. نعم  
 إن الماسونية لقيت في تركيا رواجاً لبعض الوقت على أثر ثورة ١٩٠٨ غير أن أى دارس جدى  
 للشؤون التركية لا يستطيع اتهام حكومة تركية الفتاة بالسماح للماسونية الدولية أو اليهودية  
 العالمية بإملاء سياستها في الحقبة التي مرت بين سنة ١٩٠٨ إلى إعلان الحرب.»

هذا هو رأى المؤلف، أو استنتاجه، أو ميله، ونجيب على هذا كله بالوجيز مما يلي:

١ - لا يستطيع هذا المؤلف أو أى مؤلف غيره، أن يتناول الحكم في مسألة النفوذ  
 الماسونى أو نفوذ اليهودية العالمية، في المملكة العثمانية، قبل أن يجيب على هذا السؤال: أهو  
 قد اطلع على البروتوكولات أم لا. فإذا كان قد اطلع عليها، أفيأخذ بها أم لا؟ فإذا كان قد اطلع  
 عليها وهو يأخذ بها، فلا مجال لرأيه الذى ذكره بحال. وإذا كان قد اطلع عليها وهو لا يأخذ  
 بها فهو يصادم الواقع والمنطق. ويكابرو. أو أن هذا الأمر لم يحط به علمه وهذا غير معقول.

٢ - تركز اليهودية العالمية على الماسونية. والماسونية اثنتان: الماسونية اليهودية  
 وماسونية الفوييم أى غير اليهود، وهذه آلة بيد تلك.

٣ - صرحت البروتوكولات في أكثر من بروتوكول بما هي الماسونية بنوعيتها تفصيلاً  
 مشبعاً لا يدع مجالاً للرد. وأخص ما ورد هذا في البروتوكولات الأولى والثالث والخامس  
 والتاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والخامس عشر. وهذا البروتوكول الأخير تناول  
 ماسونية الفوييم أى غير اليهود. وماسونية اليهود الدونمة في المملكة العثمانية تتطبق عليهم  
 الصفتان: الماسونية العالمية بصفتهم في الحقيقة يهوداً، والماسونية الفوييمية بصفتهم مسلمين أتراكاً.  
 ولا دخل في هذا للأتراك المسلمين المحض، الأحرار، الذين هم أعداء اليهودية العالمية والماسونية.  
 ٤ - نحيل المؤلف على كتاب.

World Conquest Through World Government'

Protocols of the Learned Elders of Zion

by:

Victor E. Marsden

وهذا الكتاب يحصل عليه من:

Britins Publishing Society,

Beamish House

74 Brincedale Rd.

London W. 11

- ٥ - هل اطلع المؤلف على ما سمي في سوريا ولبنان قبل الحرب المالية الأولى بمشروع الأصفر - نجيب الأصفر - وهل اطلع المؤلف على حقيقة من باع طرابلس الغرب وكيف جرى ذلك؟
- ٦ - هل اطلع المؤلف على حقائق تتعلق بمحاولات اليهود للوصول إلى فلسطين بين ١٩٠٨ و ١٩١٤ على نحو ما أوجزناه في هذه الصفحات؟
- ويبقى هناك مجال للاستغراب الشديد، هل المؤلف في رايه هذا جاهل أم متجاهل؟.

\*\*\*

لما وقعت الحرب سنة ١٩١٤ كان اليهود في فلسطين تحميمهم الأيدي الخفية في بيوت مركز الولاية، أو في استيول العاصمة. لكن أخذت عين الدولة العثمانية تحمر عليهم لأن برلين كانت تراقب نشاط الصهيونية في بلاد الإنجليز منذ عهد هرتزل، وخشيت أن تعلق بريطانيا بفلسطين عن طريق الصهيونية. وكان الإمبراطور غليوم سنة ١٨٩٨ قد فشل في استجلاب عبد الحميد إلى ما يرضى هرتزل، والقصة في غاية الأهمية لا يتسع لها المجال هنا إلا للباها المقتضب:

كان بهاء الدين بك، المسؤول عن الشؤون اليهودية في وزارة الداخلية في استيول، وقد اختير لمراقبة النشاط الصهيوني في فلسطين عن كئب، فعُين قائمقام ليافا. ولما دُرَس الأمور قدّم إلى استيول تقريراً خطيراً جاء فيه تعداد لبعض ما يصنعه اليهود قبيل الحرب في فلسطين وصفوة ذلك: -

محاولتهم أن يكونوا مستقلين بشؤونهم وأوضاعهم عن سكان البلاد. احتفاظهم بجنسياتهم الأجنبية بعد إقامتهم في البلاد. يفضون منازعاتهم بالتحكيم فيما بينهم على يد هيئات خاصة. أقامتهم رموز دولتهم ولاسيما العلم الأزرق والأبيض. يروجون طوابع كطوابع البريد تعود إلى الصندوق القومي الخاص بهم. مطاردتهم للعامل العربي. إقبالهم على شراء الأرض. استخفافهم لهيبة السلطة التركية واللغة التركية في مدارسهم التي تحشو أذهان الطلاب بالعقائد الصهيونية وبت الكراهية للحكومة. جعلهم كل مستعمرة من مستعمراتهم مستقلة بشؤونها عن الحكومة وخدماتها<sup>(١)</sup>. هذا إلى مضيهم السرى بالتدريب العسكري تحت ستار أندية الرياضة ومنظماتها الواسعة واستعمالهم اللغة العبرية.

\*\*\*

(١) نقله «نقيل بابر» عن كتاب مهم في بابة عنوانه «وعد بلفور وكيف ولد» لمؤلفه م. ن. جليبر وهو بالعبرية (ظهر في القدس ١٩٢٩) ص ١٢٩ وهذا الكتاب قد لا يدانيه كتاب آخر في بابة لما يشتمل عليه من معلومات تتعلق بيوطن الصهيونية.

فقامت الحكومة العثمانية نزولاً على رغبة برلين، ورعاية لمصلحتها وما هي الحرب قد أحاطت بأوروبا، قنّفت من نفت من الصهيونيين إلى مطارح مختلفة في المملكة، وتمكن عدد كبير منهم من الهروب والالتجاء إلى مصر، ومصر أصبحت تحت الحماية التي أعلنتها عليها بريطانيا أثر خلع الخديوي عباس حلمي الثاني، ولما كان جابوتسكي في مصر يفكر في تأليف الكتبية اليهودية لقتال مع الحلفاء، كان على ما يظهر يعتمد على عدد كبير من هؤلاء اللاجئيين إلى مصر. ورغم الشدة التي صارت الحكومة التركية تظهرها نحو الصهيونيين، فإن ممثلهم في استنبول ريتشارد لختيم لم يأل جهداً في البيان للحكومة التركية بياناً ملحاً ينصح بمحاسن اتخاذ سياسة مؤتلفة مع الصهيونية. كما كان الممثل الصهيوني في برلين يتقرب من حكومة برلين برأى مثل هذا، لكن المفريات مختلفة. وهذا شأن اليهود في التقرب من كل دولة يأملون منها الخير لهم في صدد فلسطين، منذ عهد نابليون. والآن جاءت هذه المفريات كمفريات هرتزل على الجملة من حيث الفوائد التي تقدمها الصهيونية إلى تركيا، وإنما زادت هذه المرة شيئاً، وإن لم يكن جديداً، فهو شديد الاغراء، وقد قامت في البلاد العربية منذ ١٩٠٨ حركة تطلب الاصلاح الواسع. فبين لختيم للترك أن القومية الصهيونية في فلسطين تكون رادعاً للحركة العربية ومناهضة لها.

\*\*\*

أما برلين فقد بين لها الممثل الصهيوني هناك أن الصهيونية تكفل لها نشر الثقافة الألمانية والتجارة الألمانية في هذا الشرق. وأن الصهيونية ستكون قوة حديثة في شرقي البحر المتوسط، فإذا حصل الاتفاق مع المانيا، فالصهيونية تكون ركيزة لألمانيا في مشروعاتها المقبلة. واحتوى كتاب جلبر المذكور على مقتبس من رسالة بعث بها لختيم من استنبول إلى زميله في برلين، يصف له ما بذله من جهد لدى السفارة الألمانية في استنبول، ومما جاء في هذه الرسالة:

«لم أترك وسيلة مقنعة إلا استعملتها - نشر اللغة الألمانية والتجارة الألمانية، وما في عروضنا هذه من انسجام نحو الأتراك، وأن نكون بالمرصاد للعرب، وما لنا من نفوذ مالي وصحفي في العالم، وما سيكون من يهود أمريكا من مؤازرة لألمانيا شاكرين لها الفضل هذا، وما هناك من فائدة لألمانيا بانشاء هذه القاعدة الثقافية الصهيونية ومانيا صائرة إلى أن تكون الدولة الكبرى في الشرق الأدنى. وإنى أكتب إليك هذا مفصلاً لكي تجعل مقالتك للألمان هناك مؤتلفة مع مقالتي للأتراك هنا».

يقول نفيل باربر بعد هذا في كتابه (ص ٥٥): «وهذا كله إذا أجمل في عبارة كان كناية عن «أن فلسطين بهجرة يهودية تتحول إلى قاعدة سياسية تجارية، أو جبل طارق تركيا ومانيا، على حدود المحيط الانجلو - عربي».

«ولكى يبلغ الاغراء مداً، فقد عرض الممثل الصهيونى عربون صداقة مع الأتراك، وهو تأليف فرقة يهودية من يهود بولونيا لتقاتل مع الجيش العثمانى فى الدفاع عن فلسطين، بحيث لا يقل عدد رجال هذه الفرقة عن عشرة آلاف مقاتل، مقابل شرط واحد، وهو أن يسمح لليهود باستعمار فلسطين بعد الحرب، فلم يلتفت إلى هذا الاغراء، وكانت لندن فى الوقت نفسه أوفر نجاحاً من برلين فى التفاهم مع الصهيونيين». هذا كله يبينه جليبر فى الصفحات ١٦٢ و ١٧٥ و ١٧٩ من كتابه المذكور. ا هـ

\*\*\*

قبل أن نعود إلى جابوتنسكى، وهذه الاستطرادات كلها روافد تصب فى واديه، نرى أن تتم القصة من ناحية برلين واستيبول والمرب وفلسطين. وفى سنة ١٩٢٦ - ٢٧ رجعت اللجنة الملكية من فلسطين منهيّة عملها وهو التحقيق الجذرى الواسع فى أسباب ثورة ١٩٢٦ وهى أكبر ثورة عربية<sup>(١)</sup> داخل فلسطين فى أثناء الانتداب، تقدم أمامها رجلان للشهادة، أحدهما

(١) أسبابها ونتائجها: لسنا هنا فى صدد تاريخ النضال العربى فى فلسطين فى أثناء الانتداب لكننا نوجز لباب هذه الثورة فى سطور:

- ١ - كان اليهود فى السنوات الأربع السابقة قد أخذوا يتدفقون على فلسطين بأعداد ضخمة من المانيا خاصة وأواسط أوربا وشرقها، ولاسيما من المانيا بعد قيام هتلر والحكم النازى.
- ٢ - كان اليهود فى السنوات السابقة ولاسيما فى السنة السابقة ١٩٢٥ قد هربوا إلى فلسطين بمقادير عظيمة من الأسلحة، وحكومة فلسطين تتفاضى عنهم.
- ٣ - كان سنتئذ قد مضى ١٦ سنة على المضى بسياسة التهويد وكلا الفريقين الانجليز واليهود على ازدياد فى هذا. وفى سنة واحدة بعد قيام هتلر، تدفق على فلسطين من اليهود أكثر من مجموع جميع السنين السابقة.
- ٤ - مضى المنظمات اليهودية بالتدريب العسكري، وهذا كله استمداد «للتجمع والاقترام»، واستمقتل اليهود على شراء الأراضى بأثمان مفرية لم يسبق لها مثيل.
- ٥ - بدأت الثورة باضراب عربى فلسطينى شامل طبق المدن والقرى، واستمر ستة أشهر ابتداء من نيسان. واعتقلت الحكومة لا أقل من عشرة آلاف عربى حشرتهم فى مختلف المعتقلات والسجون وأنشأت المحاكم العسكرية إلى جانب المدنية وملأت السجون بالمرب.
- ٦ - قامت الحكومة بحجة التفتيش عن الأسلحة، فهدمت مئات المنازل والبيوت ولاسيما فى يافا فتسفت حياً عربياً بأسره، وأحرقت قرى عديدة، والقت المتفجرات من الطائرات، ومكنت اليهود فى أثناء ذلك من إنشاء مرفأ تل أبيب ليقضى على مرفأ يافا المجاور، ولجأ المرب إلى «محكمة العدل العليا»، يشكون الحكومة فيما كانت تصنع من هدم ونسف وتدمير فى يافا بحجة كاذبة هى التجميل والممران. فأصدرت المحكمة قراراً يجرم الحكومة بمبارات فاضحة. وما أن صدر هذا القرار حتى طلب المندوب السامى من قاضى القضاة، وهو رئيس المحكمة أن يستقيل. وسنت قانوناً خاصاً لصرف تقاعده وإعادةه إلى بلده، واشتهر هذا فى العالم. =

لويد جورج، الذي كان رئيس الوزارة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور ١٩١٧، والآخر هو جابوتسكي (١).

أما لويد جورج فمما قال أن الدول المركزية (النمسا والمانيا وحلفائهما) كانت في الوقت نفسه (وقت مساومات اليهود على فلسطين) تعلم ما للميول اليهودية من قيمة ووزن في ترجيح كفة الحرب. ولما أعطى الوعد كانت الحكومة الألمانية تبذل أقصى جهد لتستميل الحركة الصهيونية إلى جانبها، ويميد صدور الوعد سارعت هي وحليفاتها تركيا في عرض وعد مقابل ينافس وعدنا. وخلصنا ما عرضته المانيا، إنشاء شركة بامتياز لمصالح اليهود الألمان الصهيونيين. وتتمتع هذه الشركة بشكل محدود من الحكم الذاتي، مع حق المهاجرة اليهودية إلى فلسطين. وفي نهاية ١٩١٧ علم أن الترك كانوا مستعدين أن يقبلوا هذا المشروع على هذه الأسس. لكن، قبل أن يصل هذا الأمر إلى نهاية بآتة في استبول، كانت فلسطين صارت في قبضة الجنرال (٢) اللبني.

وقال لويد جورج في شهادته هذه أيضاً: «وأعطانا زعماء الصهيونية عهداً باتاً إذا أعطتهم دول الحلفاء تسهيلات لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فهم يبذلون جهدهم من ناحيتهم لجعل الميول اليهودية والمؤازرة اليهودية في جميع المالم تساند قضية الحلفاء. وقد

= ٧. لأول مرة في تاريخ نضال فلسطين تدخل ملوك العرب وأمراؤهم (بإيماز من الحكومة البريطانية) تدخلاً يُسمى ما قبيل الحسين بن علي من هوغارت، وأواخر الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ من تفسير مفضل خادع لوعد بلفور، وكان قد مضى على ذلك ١٨ سنة لما جاء تدخل ملوك العرب وأمرائهم وغايته الدعوة لحل الاضراب وإعادة الثقة ببريطانيا!

٨. جاءت لجنة التحقيق الملكية هذه ومكثت في البلاد شهرين، ولما وضعت تقريرها ضمنته فكرة تقسيم فلسطين فتم هذا بعد عشر سنوات.

(١) لما سألته اللجنة عن رأيه في التقسيم (لاحظ أن هذا ١٩٣٦).

أجاب، كيف نرضى بأن تعطونا «كنوتنا» من فلسطين وهي كلها لنا، وإذا قلنا لكم نعم إننا نرضى فما نحن إلا كذابون!

(٢) ومما هو جدير بالإشارة إليه: أن لويد جورج عرف بكثير من المتناقضات في الأقوال التي قالها والأشياء التي سجلها في مذكراته، مما يتعلق بفلسطين واليهود ووعد بلفور. ولنلاحظ هنا قوله أمام اللجنة الملكية من أن فلسطين كانت قد أمست بيد اللبني أواخر ١٩١٧ قبل أن يتم عرض الأتراك في الأستانة، والواقع أن اللبني بعد احتلاله القدس في ٩ / ١٢ / ١٩١٧ بقى إلى خريف ١٩١٨ وهو لا يتقدم شمالاً، وجنوده على خط بين نهر الأردن وشمال القدس بقليل إلى الساحل، ولم يستأنف اللبني هجومه بعد ذلك شمالاً إلا في سبتمبر ١٩١٨، ولما قرر وعد بلفور نهائياً ولم يملن بعد، كان معظم فلسطين بيد الترك والألمان، فإذا كان لا يجوز في القوانين الدولية التصرف ببلاد محتلة إلا بعد إنهاء الحرب وعقد الصلح، فكيف يجوز بيع جلد الدب قبل صيده! إنما يجوز إذا كان وراء الأكمة حكما صهيون.

وفوا بما وعدوا<sup>(١)</sup>.

ويعد أن صدر وعد بلفور، انتهى عمل مكتب الحياد الصهيوني في كوينهاغن. وفعلاً، شرع اليهود يفنون للحلفاء ما وعدوا به وذلك بتسديد أول الضربات القاطمة لألمانيا! وكانت ألمانيا قد أكلتها الحرب الضروس بسنواتها الأربع، فحاولت أن تعقد قرصاً داخلياً لتستطيع متابعة الحرب، وإذا بمشروع القرض يعنى بالفشل والجمود، وكان عجز ألمانيا عن إنجاح مشروع القرض، من أكبر الأسباب التي أفضت بها إلى الهزيمة. وكان اليهود بأساليبهم الجهنمية هم المخربون للمشروع بخلق المراقيل في طريقه.

ولما أدركت برلين أن الصهيونية ارتبطوا مع لندن، وانتهى الأمر، دفعت أصدقائها من رجال الاتحاد والترقي أصحاب المقادة في الدولة العثمانية وعلى رأسهم طلعت رئيس الوزراء، إلى أن يقوموا بعمل شئ آخر لعله ينقض ما صنعه لندن، ويشل الإنجليز في فلسطين وسوريا، وذلك عن طريق عقد صلح منفرد بين العرب والترك، فينال العرب في أقطارهم الآسيوية (لا ذكر هنا لطرابلس وبيركة) حكماً ذاتياً تاماً، تكفله ألمانيا. ولم تذكر برلين للأتراك شيئاً عن وعد بلفور الجديد، أو عن المفاوضات المتعلقة به قبل حين، إما لأنها لم تكن هي واقفة على ذلك، وإما لأنها لم تشأ أن تطلع استتبول على ذلك فاكتفت بفكرة عقد صلح منفرد بين العرب والترك. فقام القائد العثماني، أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح بتنفيذ هذه المحاولة في أواخر ١٩١٧، بأن أنفذ رسالة سرية إلى فيصل بن الحسين، وفيصل في العقبة، وخاطبه بماطفة إسلامية حارة، وكشف له عن معاهدة سايكس - بيكو الحديثة الظهور في بتروغراد. وكان الإنجليز وقتها على أبواب القدس لم يدخلوها بعد. فأنفذ فيصل الرسالة إلى أبيه في مكة وطلب منه التعليمات. أجاب الحسين فيصلاً بأن يرفض العرض. ثم إن الحسين بعث هذه الرسالة وما يتبعها إلى المعتمد البريطاني في مصر، وهذا قدمها إلى حكومته في لندن.

\*\*\*

والحجة التي اعتمد عليها الأتراك الآن في استمالة الحسين هي ظهور المواطاة بين الحلفاء على تقسيم البلاد العربية وهو بما يعرف بمعاهدة سايكس - بيكو المعقودة سرياً بين بريطانيا وفرنسا وروسيا (ودخلت إيطاليا في المشروع بعد قليل)، فلما وقع الانقلاب البلشفي في روسيا خريف ١٩١٧ أخرج البلاشفة جميع الأوراق السرية المتعلقة بمصالح روسيا القيصرية، وأعلنوا أن العهد الثوري الجديد ينبذ كل ما يتعلق بمشروعات الاستعمار، ومن جملة تلك الأوراق معاهدة سايكس - بيكو هذه. ويقطع النظر إلى ما كان عند الألمان والترك

(١) أما الثورة العربية، وقد اعترف النبي بفضلها في أنها كانت الجناح الشرقي للزحف على سوريا، حتى حلب، وأما عهد بريطانيا للحسين بن علي أو «مكاتبات الحسين كماهون» بأن تقال بلاد العرب استقلالها، وأما دماء العرب على ما وصفت السيدة نيوتن في الحرب العالمية الأولى فهذا كله تجازى عليه بريطانيا أن تستخدم سلاحها ٢٠ سنة لإقامة دولة «حكماء صهيون» في فلسطين.

من حسن نية في عرض الصلح على فيصل وأبيه، مقابل الحكم الذاتي في البلاد العربية الآسيوية، فظهور هذه المعاهدة السرية الرهيبة، المتممة منذ أواسط السنة السابقة، وتنتظر أن يحين وقت تنفيذها، كان ينبغي أن تكون سبباً كافياً في إعادة النظر في سير الثورة بجرأة حازمة. نقول هذا سنة ١٩٦٦ وقد انقضى نصف قرن على خطوات ذلك المصير، ويبدو لنا العجب لماذا لم يفعل الحسين وأبناؤه ذلك. والجواب واقمى محض لا يحتاج إلى بيان طويل: الثورة العربية كانت عند معظم القائمين بها قومية في الصدور والآمال، والدماء، لكنها كانت تتغذى من الإنجليز من يوم قامت في الحجاز في يونيو ١٩١٦ إلى أن احتل فيصل حلب في خريف ١٩١٨. وبين ١٩١٧ و ١٩٥٢ مدة ٣٥ سنة!!

\*\*\*

ويرلين التي رمت بهذه المحاولة، جاءت متأخرة جداً. فقد كانت بوسعها أن تأخذ على يد السفاح وهو يفتك بأحرار العرب ويصعدهم إلى الحبال في دمشق وبيروت سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦. فلم تفعل شيئاً، وهي لو فعلت وتداركت جنون السفاح وهو نفسه يلبس الآن جلد الحمل فوق جلد الذئب، ويتباكى على الإسلام، ويعرض الحكم الذاتي وهو قبل قليل كان يزيل رؤوس العرب الذين كان ذنبهم أن طلبوا شيئاً أقل من الحكم الذاتي وهو الاصلاح الضروري، وأن تكون العربية لفة البلاد الرسمية في التعليم، لربما تغير المصير.

وبين إنفاذ السفاح الرسالة إلى الحسين، وانتظار جوابها، وانفاذ الحسين تلك الرسالة عينها إلى المعتمد البريطاني بمصر وانتظار جوابه، وهذا اتجه إلى لندن، كانت قد انقضت سنة ١٩١٧ ودخلت ١٩١٨، وفي شباط كانت لندن فرغت من حياكة جواب ينقله إلى الحسين (بعد وصوله إلى المعتمد في مصر) وكيل القنصل البريطاني في جدة. وقال الجواب: ألا يلتقت الحسين إلى تلك الأوراق فهي قديمة قبل التعاهد معه على الثورة ولا حكم لها الآن، واتهم الجواب، السفاح ومن وراءه، بسوء النية ومحاولة الافساد بين الحلفاء. وأكد الجواب للحسين أن بريطانيا باقية على عهد الوفاء له وللعرب. فنام الحسين نوماً عميقاً.

هذه الضربة الأولى. والثانية بعد بضعة أشهر، والنبى يستمد للزحف على فلسطين الشمالية وسوريا، استطارت الأخبار من لندن بعد ٢ نوفمبر تصف وعد بلفور وماهيته. وحاولت القيادة البريطانية الا تدع هذه الأنباء تشيع في مصر أو القسم المحتل من فلسطين. ولم تكن وقتئذ اذاعات في العالم. لكن أنباء خطيرة من هذا النوع لا يمكن حجبها على كل حال، فوصلت إلى فيصل والحسين فقلق الحسين: أمس معاهدة تقسيم البلاد التي يثور من أجلها، واليوم اقتطاع فلسطين المقدسة، واعطاؤها إلى اليهود.

هنا قررت لندن دقة الموقف لا بالنسبة إلى الحسين وحده، بل بالنسبة إلى العرب

أجمعين، ولما وصل النبا إلى مصر سارع يهود الإسكندرية إلى إقامة مظاهرة ابتهاج، وكانت هذه أول مظاهرة يهودية تحية لوعد بلفور، ومن اليهود الذين لا يقيمون في فلسطين. فلم تر لندن أن الجواب في رسالة برفقية عن طريق وكيل القنصل في جدة يكفي، كما فعلت في الجواب حول معاهدة سايكس - بيكو. فاختارت البروفسور هوغارت<sup>(١)</sup> العالم الأثرى المشهور والثقة في تاريخ العرب، وكان في مصر رئيس المكتب العربي الذي يدير الشؤون العربية خارج مصر، ومنها ثورة الحسين.

قابل هوغارت الحسين مرتين في جدة في أوائل ١٩١٨ وبلغه رسالة شفوية، لا خطية، (والشفوية هنا لا حكم لها) أن المراد بوعده بلفور السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين واستيطان البلاد، على مقدار ما تسمح به حالتها السياسية والاقتصادية. هذا ما انتهى إلينا من الكلام الذي أجاب به هوغارت، وواضح أن وعد بلفور فيه قيد احترازي مآله صيانة حقوق العرب الدينية والمدنية، وهنا يستعمل هوغارت الحالة السياسية والاقتصادية. فتقبل الحسين هذا. ويظهر أن هوغارت لم يستعمل كلمة صهيوني وصهيونية: وعلى كل حال، نام الحسين نوماً عميقاً مرة ثانية. وأكمل العرب تقديم المساعدة إلى اللبني. واستسلمت تركيا في ٢٠ أكتوبر ١٩١٨ وفي ١٢ نوفمبر دخل الأسطول البريطاني الدردنيل. وفي ٩ نوفمبر قام الجنرال هندنبيرغ بتبليغ الإمبراطور غليوم أنه ما عاد يضمن ولاء الجيش، ونصحه بالخروج، فانتقل الإمبراطور إلى هوندا ووقعت الهدنة مع ألمانيا وانتهى الأمر.

\*\*\*

أما خدعة هوغارت للحسين هذه المرة في تصويره له بلسان الحكومة البريطانية معنى السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين واستيطانها، على مقدار ما تسمح به حالة البلاد السياسية، فلا تقل في المكر والختل عن الخدعة السابقة قبل بضعة أشهر، لما فسرت الحكومة البريطانية للحسين مسألة معاهدة سايكس - بيكو، فأنكرتها وقالت إنها شئ من عبث العدو ومكايده، وهنا نرى الخدعة تتضمن هذه العناصر:

- ١ - كان وعد بلفور قد أعلن قبل أربعة أشهر بنصه الرسمي، فلماذا لم ينقله هوغارت بذلك النص الصحيح؟
- ٢ - صور هوغارت للحسين أن هذه القضية المتعلقة باليهود ما هي إلا عطف إنساني، فتكون فلسطين ملجأ لهم! لقوم مضطهدين!
- ٣ - لم يذكر هوغارت للحسين أن الوعد قائم على أساس أن تجعل البلاد تحت أوضاع

(١) هو D. G. Hogarth استاذ لورانس في علم الآثار. وله كتاب Arabia يشتمل على صفوة تاريخ الجزيرة مما لم يسبق له نظير في بابيه.



سياسية أو اقتصادية تؤدي إلى إنشاء الوطن القومي، بل صور له أن استيطان اليهود فلسطين يكون على قدر ما تسمح به حالة البلاد السياسية والاقتصادية!

٤ - ولمنا هنا في هذا الموضوع لنناقش موقف الحسين بن علي مما سمعه من هوغارت، وهوغارت لم يبلغه ما بلفه إلا شفويًا، لا خطياً. لكننا نقول إن ما أدركه الحسين بعد أربع أو خمس سنين من الحقيقة كان ينبغى له أن يدركه سنة ١٩١٧ و ١٩١٨. ولنفرض أن هوغارت بلغ الحسين هذا خطياً، أفيجدي ذلك شيئاً في سياسة الحسين إزاء بريطانيا، وبريطانيا خدعته بمهود صريحة الكلام ثم أنكرتها ومن ينكر الأصل والأساس ينكر الفرع كذلك. ونقول بهذه المناسبة، والإيراد المفصل ليس هنا، أن المكاتبات الرسمية التي دارت بين الحسين ومكماهون (١٩١٥ - ١٦)، وقد بقى الحسين سنين عديدة ينوه بها ويستند عليها، على الراجح أنها قد سرقت منه لكن من السارق؟ ومتى؟ والأدلة على هذا لم تشر بعد لكنها مقنعة لكل ذي عقل والذي عاهد، سرق.

## ٢٦ - جابوتنسكى ١٩٢٠ - ١٩٤٠

٣

تركنا جابوتنسكى فى القدس سنة ١٩١٨ وقد اختاره ويزمن ليكون شاعراً أدق منصب صهيونى، وهو الضابط السياسى فى المنظمة الصهيونية، وهذه أول خطوة من خطى تنفيذ سياسة وعد بلفور. وقلنا إن ويزمن قد أثر جابوتنسكى على غيره، لأن جابوتنسكى فى نظره أجراً من يحمل ويطبق منهج التجمع والافتحام، مع أن ويزمن ذكر بصراحة أن جابوتنسكى لا يصلح للسياسة. وقال ويزمن زيادة على هذا إنهما لما كانا يسكنان معاً فى لندن، فى بيته، «كانا يسبحان سياحة واسعة فى نسج الأحلام». وقال ويزمن أيضاً: «جابوتنسكى يحسن الكلام والحديث، وثاب القلب، كريم اليد، وأبداً مستعد أن يساعد من وقع فى ضيق». ومن صفاته فوق كل هذا أنه على طبع يستفرقه، وهو حب البطولة المسرحية والفروسية الشاذة... وعلى العكس من هذه الطباع، أجدها عام». وقال: «إثنان من الصهيونيين الروس كان عديمى الإيمان الصهيونى بانتصار بريطانيا، ويقبى على هذا حتى اللحظة الأخيرة: تشلنوف وأوسشكين ويستتى منهم جابوتنسكى وهنحاس روتبرغ». ولكن ويزمن قد اختار جابوتنسكى غير ناظر إلى قلة مرونته فى تعامله الشؤون السياسية مع الانجليز، لغرض أبعد وهو تطبيق روح التجمع والافتحام وأما اللعب السياسى الراقص فيجد الدكتور أير:

وما مضى على تسلم جابوتنسكى صلاحيات عمله إلا أيام قليلة، ويزمن على أهبة العودة إلى لندن، حتى دما الجنرال كلاتين الدكتور ويزمن وقال له بلطف: «إنه يحسن بجابوتنسكى المجاور مكتبه لمكتبى فى مقر القيادة، أن يختار وقتاً معيناً كل يوم لمراجعتى، بدلاً من أن يفاجئنى على غير موعد». يقول ويزمن أنه لما خرج من مكتب كلايتن شعر بالقلق. ولما كان ويزمن فى باريز بعد قليل اجتمع هناك بالجنرال اللبى، فلفت اللبى نظره إلى الوضع القلق فى القدس، ونصحه بأن يكون فى القدس، ووجد ويزمن نصيحة الجنرال فى محلها.

ولما وقعت حوادث يوم النبى موسى سنة ١٩٢٠ فإذا بجابوتنسكى يخرج السلاح الحربى المخبأ، ويتسلل إلى المدينة داخل السور، حيث توجد جماعة من اليهود يسكن معظمهم فى بيوت مستأجرة يملكها العرب المسلمون، وهذا من قبل الحرب العامة بوقت طويل، يريد الدفاع عن أولئك اليهود. فلم يكثرث جابوتنسكى للعرب، ولا همه الجيش البريطانى، فهو من أودسا، وأودسا مدينة الدماء، واشتهر الشاعر بياليك مما اشتهر به بوصفه للدماء وقصيدته خبثينى تعد من انفس شعره كما يقول نقاد الأدب وأحب جابوتنسكى أن يسجل أول بطولة مسرحية

في القدس، فاعتقل وأصبح قيد المحاكمة، وراح ويزمن يعرض على اصبعيه. وكان جابوتسكي لما تصل إلى الحى الذى يسكنه اليهود داخل المدينة، مشتتلاً بروح الأخذ بالشار، ليوسف ترمبلدور الذى صرع في مستعمرة تل حى قرب الحدود السورية، ما كان قد مضى على مصرعه أكثر من بضعة أسابيع.

ولما حوكم جابوتسكي، علم القارئ من أمر تصرفه المسرحى فى المحكمة، ما لا حاجة لنا إلى تكراره.

\*\*\*

سنة ١٩٢٢ اشتد تملل العرب ازاء تدفق اليهود على البلاد. فأصدر تشرشل وزير المستعمرات كتاباً أبيض، حاول فيه أن يفسر معنى وعد بلفور والوطن القومى، تفسيراً يجمع فيه بين رضى الفريقين ففشل من ناحية العرب وازداد رضى اليهود عنه. وتشرشل أتى بتفسيرات فاق بها على ما فى وعد بلفور وصك الانتداب، وذلك بأنه قال أن مقدار الهجرة يكون بحسب طاقة البلاد اقتصادياً للاستيعاب، وبهذا نسخ ما هو أقل شراً من هذا للعرب فى المادة السادسة من صك الانتداب. وقرر أن هجرة اليهودى إلى فلسطين «حق لا منة» وقال إن فلسطين لن تكون خالصة لفريق. وأنكر أن فلسطين مشمولة بمهد بريطانيا إلى الحسين وكان تشرشل بالكتاب الأبيض ١٩٢٢ قد هندس الأحجار الأساسية للوطن القومى. فرفض العرب قبوله ومضوا يطالبون بحقوقهم.

ولما أجمعت المنظمة الصهيونية على قبول الكتاب الأبيض الذى رفضه العرب، وقبلها فى مصلحة الوطن القومى، كان جابوتسكى عضواً فى المنظمة ووقع قرار قبول الكتاب الأبيض مع الباقين، لكنه تمسكاً مع مخططه، انسحب أو ادعى الانسحاب من المنظمة، جرياً على خطة «كاهور وغاربيالدى»، وأنشأ حزباً سماه Revisionist<sup>(١)</sup> ومعنى هذا فى برنامجها إعادة تنقيح صك الانتداب، بحيث يشمل نصه شرق الأردن لتدخل فى حيز المخطط الجغرافى المراد للدولة اليهودية، أى ضفتى الأردن، ثم بعد ذلك التوسع من النيل إلى الفرات.

وإتماماً لتمثيل الرواية، راح يعلن معارضته لسياسة ويزمن، أى المنظمة الصهيونية، ويشره بأمانيه إلى الدولة اليهودية، والآن صار له حزب سياسى، وصحف ومنظمة عمال تزيده. وأحياناً يهزأ بويزمن ويقول: «حوت من خشب للتخويف» ويقول ويزمن: «يظن جابوتسكى إنى إذا تدحرجت أنا علا هو وارتفع»، وكل هذا من الفريقين تمثيل متفق عليه وهما فى اللباب واحد.

(١) من باب الخطأ، جعلت صحف فلسطين العربية تترجم اسم هذا الحزب «بالحزب الاصلاحى»، وهذا تسيير قاصر بل «ضلل»، فإن القصد هو التوسع الجغرافى لا إصلاح عادى. وقد مرت الملاحظة على هذا

ومن سنة ١٩٢٥ فصاعداً صار معدوداً من زعماء الصهيونية في العالم.  
وفي هذه السنة قاوم دخول غير الصهيونيين إلى المنظمة أو الوكالة اليهودية بحجة أن  
غير الصهيونيين لا فائدة منهم.  
وسنة ١٩٢٩ جعل بعض جماعته ينسحبون من الوكالة اليهودية أما هو فبقى مع  
الآخرين. ولما وقعت ثورة البراق في هذه السنة أخرج من فلسطين.  
وسنة ١٩٣١ طلب من المؤتمر الصهيوني أفراد مخطط الدولة اليهودية من على جانبي  
الأردن<sup>(١)</sup> وأن تبني سياسة المؤتمر على هذا علناً<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) كانت شرق الأردن داخلة في صك الانتداب. فرأت بريطانيا رعاية منها كما ادعت لاتفاقها مع الحسين  
ابن علي. أن تخرجها من تطبيق الوطن القومي بحكم المادة ٢٥ من صك الانتداب، وعقد المؤتمر الصهيوني  
الثاني والمشرون سنة ١٩٢١ فسنل ويزمن عن شرق الأردن فقال: لقد نشر الآن صك الانتداب ولا سبيل لنا  
إلى تغييره إلا من ناحية واحدة. فإن شرق الأردن، وكانت خارج منطوق الانتداب في النص الأول، هي الآن  
مشمولة به، وكان ويزمن يوجه الجواب إلى السائل أو المعارض «هرمان ليم»، فاطرد بجيبه: وأما مسألة  
الحدود الشرقية فقد أدركنا بعضها كما ترى. وندرك ما بقي منها يوم تصبح Cisjordania (فلسطين أو  
غرب الأردن) غاصة باليهود، وحينئذ تشق الطريق إلى Transjordanيا شرق الأردن.

(راجع نفييل بارير صفحة: ١٠)

(٢) ذكر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية وهو ويلفور الركن الأول في اصدار «وعد بلفور»، في مذكراته  
(المجلد ٢ ص ٤٥٥) أن الحدود التي طالب بها الوفد الصهيوني في مؤتمر الصلح في مذكرته المؤرخة ٢ فبراير  
١٩١٩ تشمل فلسطين غرب الأردن وشرقه، وجنوب لبنان وهذا هو نص المطلب:

«تكون حدود فلسطين ثابتة اجمالاً للخطوط المبينة هنا كما يلي:

«أما شمالاً فيبتدئ الخط من نقطة على البحر المتوسط، على مقربة من جنوبي صيدا، ثم يسير على  
سفوح التلال أو الجبال اللبنانية حتى جسر الفرعون، ثم باتجاه البيرة فاصلاً بين حوض وادي التيم، ومن  
هناك جنوباً فاصلاً بين السفوح الشرقية والغربية لجبل حرمون (الشيخ) حتى غرب «بيت جن»، ثم شرقاً  
محاذياً القسم الشمالي من نهر الفنية حتى يصل إلى الخط الحجازي فيكاد يتصل به من الجهة الغربية.

«وأما شرقاً، فيسير خط الحدود على مقربة من الخط الحجازي حتى ينتهي في العقبة وأما جنوباً،  
فيتشقق على خط الحدود مع الحكومة المصرية.

«وأما غرباً، فالبحر المتوسط.»

وجاء في مذكرات الشيخ محمد الجسر وقد نشرت تباعاً في جريدة «الجريدة» سنة ١٩٥٤ وهذا الذي  
نقله نشر في عدد ١٠ / ٢ / ١٩٥٤:

«الجمعة ٤ تموز ١٩٢٤. دخلت مجلس النظار، وهذه أول مرة انعقد فيها المجلس تحت رئاسة الجنرال  
فنديرخ، فاجتمعنا ودخلنا عليه الساعة الحادية عشرة.

وسنة ١٩٣٣ اغتيل (ارلوزوروف) رئيس المنظمة الصهيونية في ضاحية تل أبيب ليلاً وضوء القمر يملأ الدنيا، وكان يتمشى ومعه زوجته. وإذا بالقتلة هم من أتباع جابوتسكى، فحكمت عليهم المحكمة المركزية، وفي الاستئناف استطاعوا أن يخرجوا أحراراً. والأسباب التي أبديت للمحكمة جعلت الرأي العام في فلسطين يدهش دهشاً عظيماً حتى بعض اليهود إذ النفوذ الخفي الصهيوني يخرج القتلة من المحاكم من بين أيدي القضاة!

وسنة ١٩٣٥ انسحب جابوتسكى من المنظمة وأنشأ «المنظمة الصهيونية الجديدة»<sup>(١)</sup> وراح يصطنع الحملة تلو الحملة على الوكالة اليهودية قائلاً أنها لا تمثل يهود العالم، وأكبر كتلة على مذهبه كانت تتجاوب معه هي كتلة بولونيا.

ثم توسع في دعواته فقال إن فلسطين يجب أن تتفتح أبوابها لجميع يهود الشتات حتى يجتمع شملهم في فلسطين وهم من ثمانية ملايين إلى ١٨ مليوناً. ودعا إلى الاعتماد على الشباب اليهودي وسماه جيل الحرب (القائم على التجمع والاقترام) وقال إنما ينتظم في صفوف هؤلاء من سنهم من ٢٣ - ٢٥ سنة.

وأما مجموع أتباعه في فلسطين فليس عددهم كبيراً ولكن منهم المفتالون والقتلة والسفاحون والعصابات.

وسنة ١٩٣٨ اعترفت المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية بحزب المنظمة الصهيونية الجديدة أو حزب الدولة اليهودية، والوكالة يعترف بها صك الانتداب في مادته الرابعة فكان حكومة فلسطين وحكومة لندن قد اعترفتا بهذا الحزب أيضاً الذي اسمه رسمياً حزب الدولة اليهودية وكان قد مضى سنتان على صدور تقرير اللجنة الملكية المعروفة بلجنة بيل، وفي هذا

= الأريعاء ١٦ تموز ١٩٢٤ - اشتغلت هي الدائرة كثيراً لأن الأوراق كانت مكدسة ولم يصادقنى شئ مهم هذا اليوم سوى أن السير روزور رئيس الفرقة السياسية، أعلمنى موافقة الحاكم على وضع قانون يمنع اليهود من التملك في لواء الجنوب، أى يمنع الصهيونيين من التملك ويظهر أنهم شعروا أخيراً بهجوم اليهود على التملك في لبنان لأغراض سياسية. وقد كتبت نبيتهم إلى هذا الأمر منذ سنة وقلت لهم إن الحكومة العثمانية منمت تملك اليهود في لواء الجنوب خشية من أغراضهم السياسية فلم يلتفتوا إلى هذا القول حينئذ بل أن المستشار المالى قد رد على ردا مطولاً مستكراً حرمان الانسان من التملك، إذ لكل حق الابتياح والاستيلاء على ما يشاء بأمواله. وهكذا رجموا إلى قولى الآن من أن وجود الصهيونيين سيكون يوماً ما شوكة في جانب العرب تستغلها دول الغرب.

وذكر ويزمن في مذكراته تصحيحات وافية لأحاديث جرت بينه وبين الفرنسيين حول استعمار الأرض في الجزيرة. سنأتى على مجملها في الفصل ٢٩ من هذا الكتاب.

(١) وشاع اسم هذا الحزب بين اليهود «حزب الدولة اليهودية» أى أنه ارتقع بمطامحه من الحزب المطالب بعودة تركيب اللجنة الصهيونية التمييزية المثلثة لئلا تفرقت الصهيونية، إلى حزب سافر يخالب بدولة يهودية علناً.

التقرير اقتراح التقسيم، فبين مناداة حزب الدولة اليهودية بهذا العنوان، والوصول إليه، عشر سنين كان ثلثاها سنوات مليئة بالإرهاب المصطنع بين الوكالة وحكومة فلسطين.  
وسنة ١٩٤٠ انتهى أمر جابوتسكى فعاش ستين سنة إذ ولد سنة ١٨٨٠ وكذلك رفيقه يوسف ترمبلدور ولد سنة ١٨٨٠ وانتهى سنة ١٩٢٠ كما تقدم. جابوتسكى هو أبو مناحيم بيغن وإبراهيم شترن، في صناعة الإرهاب، وبيغن وشترن هما رأس المصائب كلها.  
والمذابح العربية في فلسطين كلها صناعة هؤلاء وعلى رأسهم جابوتسكى ممثل خلق التجمع والافتحام.

غير أن جابوتسكى كانت له صورة رائقة في نظر رونالد ستورس (حاكم القدس من ١٩٢٠ - ١٩٢٦) تدور بين الجد والسخرية. وستورس كاتب يعلو في مستواه الكتابي على لورانس أو يمشى الاثنان في قرن واحد. ولا أدري السبب الذي جعل لجابوتسكى تلك الصورة في عيني ستورس المدلس النقيس، وقد عرفناه في القدس معرفة تامة طول تلك المدة، وما كان منه من غرائب ونوادر. فقد أتى ستورس على جابوتسكى من جهة انضباطه العسكري، وقال إن جابوتسكى في صناعة خلق الاضطرابات نابغة، أدواته الفوضى والثورة وقلب الأشياء رأساً على عقب، فلو أتيح له من الفرصة ما يريد لاستطاع أن يفمر فلسطين وسوريا بالقلق المقيم المقعد. وقال ستورس أيضاً: إن تطرف جابوتسكى وغلوه، خدما القضية الصهيونية خدمة كبيرة حتى صارت الصهيونية السياسية الرسمية تبدى اعتدالاً واقمياً بالنسبة إلى مخططه. هذا قول ستورس الإنجليزي، أما التعبير الصحيح فإن التخطيط والتنفيذ كانا بيد حكماء صهيون، وكانت الحراب البريطانية في فلسطين تعمل وفق المخطط اليهودي.  
ولا ينسى القارئ السبب الذي من أجله اخترنا استيفاء خير جابوتسكى إلى هذا الحد، إذ هو مثال بارز في فلسطين للخلق المنبعث عن منهج التجمع والافتحام - البروتوكولات.

## ٢٧ - يوسف ترمبلدور

هو رفيق جابوتسكى، فليراجع ما قلناه فى جابوتسكى.

وهو أحد اليهود المغامرين الذين سقطوا قتلى فى فلسطين سنة ١٩٢٠ وكان مقتله على يد العرب قرب الحدود الشمالية، وناح اليهود عليه مناحة عظيمة، وأقاموا له الذكرى، ووضعوا عهداً أنهم لياخذون بثأره.

وورد ذكره ونحن نتكلم على جابوتسكى، وإن هذا الأخير المغامر لما دخل المدينة القديمة (القدس - داخل السور) فى حوادث النبى موسى التى أجملنا خبرها، دخل متسللاً ومعه السلاح والعدة، ليحمى حسب دعواه اليهود المقيمين فى الحى اليهودى، وقصده الحقيقى أن يصطاد بالرصاص من يقع له من العرب، أخذاً بالثأر لزميله يوسف ترمبلدور، وهذا لم يكن قد مضى على مصرعه إلا أسابيع قليلة. وقلنا إننا سنورد صفوة قصة ترمبلدور بعد الفراغ من الفصل السابق.

\*\*\*

هو من أبناء القفقاس وولد سنة ١٨٨٠ وامتحن الكتابة والصحافة، مثل سائر زملائه الذين أتينا على أخبارهم، وهو تلمودى، وكأسه من التلمود دهاق. والصهيونى التلمودى هو المتهى بكل قواه ليكون شارباً من تعاليم أحدها عام خمرة التجمع والافتحام وهذا من صلـ البروتوكولات.

تطوع فى الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) ففقد ذراعه اليسرى. ويقول كيش فى مذكراته أن ترمبلدور هو أول يهودى فى الجيش الروسى بلغ رتبة ضابط ونال أوسمة. وليس للقارئ العرى أن يفتر بهذا، فاليهودى الذى ينشأ على عقيدة التجمع والافتحام، لا يتطوع فى أى جيش، ولاسيما الروسى القيصرى، إلا لغاية فى نفسه تتعلق بالصهيونية من إحدى نواحيها، والغاية هنا، مع تظاهره بالوطنية الروسية، أن يختبر أموراً عسكرية يهيم اليهود أمرها، وهم للانقضاض على الحكم القيصرى بالمرصاد، بل كانوا سراً من العاملين على إيقاد نار الحرب بين روسيا واليابان.

بعد أن انصرف ترمبلدور من الخدمة فى الجيش الروسى سنة ١٩٠٥ انقلب صهيونياً وضاح الجبين، مفامراً، وكأنه وجابوتسكى فلقنا حبة واحدة. فانظر، بين ليلة وضحاها كيف انقلب من ضابط وطنى فى الجيش الروسى، ولاؤه على الأقل بلسانه للقيصر، إلى صهيونى ولاؤه للتجمع والافتحام والبروتوكولات.

وليس لدينا علم بالمرحلة التي تقع بين ١٩٠٥ - ١٩١٢ من مراحل حياته. ويلاحظ الدارس لهذا النمط من رجال الصهيونية، أن على الغالب لكل واحد منهم مرحلة غموض، يتوارى فيها وقد يكون هذا الأمر ما.

ثم جاء ترمبلدور فلسطين سنة ١٩١٢ بعد بن غوريون بست سنين، واشتغل في ظاهر الحال عاملاً زراعياً، في مستعمرة داجانيا، تماماً كما كان يشتغل بن غوريون، ووراء هذا العمل الانقلاب على تدريب شباب الطلائع يجعلونه تحت ستار الرياضة البدنية. وكل هذا في فلسطين حتى ١٩١٤، تغطية على عيون السلطة العثمانية.

والسنوات التي انقضت لترمبلدور في فلسطين حتى ١٩١٤ قليلة كما ترى، غير أن النشاط الصهيوني بمختلف مناحيه كان قوياً مليئاً بل مستقلاً، وكانت تنمية الروح العسكرية أهم ما يعنون به، وطبيعي أن يدخل في هذا التنشئة السرية على اعتناق عقيدة التجمع والاقترام وفي هذا المجال كان يعمل ترمبلدور مستفيداً من خبرته في الجيش الروسي. ولما فتقت ربح الحرب ١٩١٤ جعل معظم رجال الصهيونية يفرون من فلسطين سراً إلى الخارج، وزادهم هلعاً أن مفاوضات الوصول إلى فلسطين عن طريق المانيا قد نسختها مفاوضاتهم مع لندن، والآن استحكمت قبضة برلين على الأستانة والطغمة التركية الطورانية فما بقي منهم في فلسطين إلا من تعين عليه القيام بالجاسوسية لمصلحة الإنجليز، ويؤكد الخبراء والنقاد أن كان للورنس صلات وثيقة مع جهاز التجسس اليهودي في فلسطين في خلال الحرب، وقصص هذا التجسس انتشرت في العالم بعد الحرب ومن بطولاتها أكثر من فتاة يهودية، وقد وضع بعضهم الكتب الضخمة في تمجيد هؤلاء البطلات.

وفر يوسف ترمبلدور إلى مصر ليعمل في جهاز التجسس هناك، ومصر وقتئذ في قبضة الإنجليز، والتقى ورفيقه جابوتسكي في الإسكندرية واتفقا على العمل معاً، وهما يمدان أنفسهما رأس فكرة، وحاديى قافلة، وهما أول من وضع فكرة التطوع في فرقة يهودية إلى جانب بريطانيا، وحسابهما أن تركيا ستخرج من الحرب بالهزيمة القاضية عليها، فتقسم أملاكها غير التركية، فتغدو فلسطين لهم على موعد لقاء بعد طول انتظار. ورأيا أن تسمى الفرقة بالفرقة اليهودية لا الصهيونية ليسهل على كل يهودي غير صهيوني الانضمام إليها، وألفت هذه الفرقة، واتخذت شعار الحلفاء والقصد بريطانيا يوجه الحصر عملياً. وعملت هذه الفرقة التي سميت بفرقة البغالة، في ساحة غاليبولي سنة ١٩١٥ - ١٦ ومن تسميتها بفرقة البغالة تعلم ضالة شأنها.

ثم عدنا لا ندرى تقصيلاً لأيام ترمبلدور حتى نراه قد عاد إلى فلسطين سنة ١٩١٩ وقد أسهت الحرب، فاحد هو وجابوتسكي يعملان معاً بمقيدته واحده، وادس وعد بنمور، نكن لايرال ممطاً.



وفي شهر آذار (مارس) ١٩٢٠ أحب حملة عقيدة التجمع والاقترحام ممارسة هذه العقيدة بالفعل وتجربتها على سبيل النموذج والمثال الصغير في حوادث مع العرب، وركبتهم الفطرسية والشكاسة على ما وصفهم به الجنرال بولز البريطاني، وقد تقدم هذا في الكلام على موسم النبي موسى، ولم يكن سكان المستعمرات اليهودية في شمال فلسطين إلا كسائر بني بذرته في الخلق الثعلبي الأرنبى. فقاموا بحركات تحرش وعدوان. ومن تلك المستعمرات جلعادى وتل حى، فادبهما العرب. وخف إلى هناك ترمبلدور ومعه جماعة رفاقه مصطحبين معهم بعض الفتيات المسترجلات المسلحات<sup>(١)</sup>. فصرع ترمبلدور مصرعاً فظيماً لتوه وساعته، فاشتدت عليه مناوحات اليهود، ونحتوا من اسمه أو عقيدته أو تمايمه كلمة بيتار اتخذوها شعاراً ووسموا بها قسماً أنهم آخذون بثأره من عرب وعريبات. وهنا انتهى يوسف ترمبلدور، وقبره في تل حى جعلوه مزاراً يقدون إليه كل سنة. ولما تسلل جابوتسكى إلى داخل القدس في حوادث النبي موسى ١٩٢٠ كان يشتد حماسه أنه لابد آخذ بثأر زميله الذى انطوى قبل أسابيع، فانهزم جابوتسكى كما رأينا.

وبعد الوقوف على هذا كله، يوقن القارئ العربى، أن اليهود في جميع ما اقترفوه من مذابح في فلسطين ولاسيما في ١٩٤٨ وبعدها حتى اليوم، وفي دير ياسين خاصة ١٩٤٨ وفي كفر قاسم سنة ١٩٦٦ كانت وحشيتهم في بقر بطون النساء والتمثيل بالأجساد والتفتن في ذلك، ذلك كله من تمايم التجمع والاقترحام.

(١) مما استعلمنا الوقوف عليه من تفصيل، أن ترمبلدور لما توجه إلى شمال فلسطين ملبياً مفيثاً، اصطحب معه بضمة شباب من أتباعه وفتاتين، والفتاة اليهودية في تمايم التجمع والاقترحام يجب عليها القتال كما يجب على الرجل، فإذا قُتلت فيحسب قتلها كقتل الرجل.

## ٢٨ - مخطط التوسع الصهيوني من المتوسط إلى الفرات

أوردنا في حاشية إحدى الصفحات من هذا الجزء، ونحن نتابع الكلام على جابوتسكى، أقوال ويزمن في المؤتمر الصهيوني الثاني عشر ١٩٢١ المتعلق بشرق الأردن والوطن القومي، وجوابه لسائله في المؤتمر أن غرب الأردن عندما يكتظ باليهود فحينئذٍ يسهل على اليهود شق الطريق إلى شرق الأردن، وأوردنا أيضاً ما ذكره الشيخ محمد الجسر في مذكراته (١٩٢٤) من تشبيهه الفرنسيين إلى خطر الصهيونيين على اللواء الجنوبي من لبنان فلم ينتبهوا لأمر ما، ثم انتبهوا بعد سنة، وسبب انتباههم أمر ما.

ونود الآن أن نستوفى الكلام على هذه النقطة الحيوية استيفاءً أوسع، بأن نورد جملة ما ذكره ويزمن في مذكراته من أقوال، ليكون القارئ البصير على بينة كافية من كل هذا - وكله تطبيقاً لمخطط التجمع والافتحام.

وكانت نقطة البيكار عند الصهيونيين في مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩٢٠ أن يخزوا مطلبين كبيرين بعد أن أخرج فيصل بن الحسين من سوريا، وهما:

١ - الحصول على حدود الوطن القومي وفق ما طلبوه في مذكرتهم المقدمة إلى مؤتمر الصلح في ٢ فبراير ١٩١٩ وكان فيصل بن الحسين قد أعد مذكرته إلى مؤتمر الصلح بتاريخ ٢٩ يناير ١٩١٩ تكلم في المؤتمر في ٦ فبراير مدافعاً عن وجهة نظره العربية<sup>(١)</sup>.

٢ - فإذا لم يحصلوا على تلك الحدود، فعلى الأقل يحصلون على الليطاني وعلى وادي اليرموك الأسفل<sup>(٢)</sup>.

(١) المؤلم ونحن نكتب هذا سنة ١٩٦٦، أن فيصلاً في ذهابه إلى مؤتمر الصلح رئيساً على الوفد الذي كان يرأسه «الوفد الحجازي»، نائباً عن أبيه ملك الحجاز وهو في الوقت نفسه رأس الحكومة العربية في دمشق، لم يبين قضيته وهي المطالبة باستقلال البلاد العربية، على ما كان ينبغي له أن يبينها عليه من نضال العرب مضافاً إلى ذلك الاتفاقات الرسمية الخطية التي عقدت بين أبيه وممثل بريطانيا في مصر السير هنري مكماهون. فإن فيصلاً، عملاً بتعليمات أبيه، لم يمرج على تلك الاتفاقات قط. وكان حوله كل الوقت لورانس. وهذا من الغرائب! وأما الوثائق الرسمية التي كانت بيد الحسين إلى آخر الحرب، وعليها مستنده، وهي ما يسمى «بمراسلات الحسين - مكماهون»، فيمتقد أنها كانت مفقودة من الحسين، وهو لم يملن هذا في ذلك الوقت ولا في أي وقت آخر إلى آخر حياته ١٩٢١ وهذه المسألة إذا كان لها من قيمة اليوم فقيمتها تاريخية علمية لا أكثر. راجع ما قلناه حول هذه النقطة فيما سبق.

(٢) «الكفاح في سبيل فلسطين»، عنوان كتاب ضخم وضعه ج. هرويتز J. Herewutz. سنة ١٩٥٠ وهو =

قام ويزمن في تلك الفضون برحلة استطلاعية إلى شمالي فلسطين وجنوبي لبنان فقال  
يصف اعتلاج ذكرياته وهو ينظر إلى الأرض التي يطمع في أن تكون له:

«فقمنا بتطواف واسع ننتقل من مكان إلى آخر، واجتازنا الحدود السورية إلى لبنان  
وتوقفنا في عدة مواضع ونحن نرى المستعمرات النائية على الحدود. وكان كل تلة من التلال  
وصخرة من الصخور، برزت تستطقني في هذه اللحظات، وتوحى إليّ في كل ثنية من ثنايا  
الطريق، ما علينا إنفاقه في هذه الأرض من عمل وجهد وتخطيط، ومال قبل أن تصبح صالحة  
ليستوطنها العدد الكبير من اليهود<sup>(١)</sup> (ص ٢١٢ من مذكرات ويزمن)

= يهودي أمريكي عُنِيَ بدراسة أحوال العرب واليهود دراسة مفصلة ولاسيما منذ ١٩٢٦ فصاعداً، إذ في نظره  
أخذت قضية فلسطين تتطور تطوراً مصيرياً منذ تلك السنة التي بدأ فيها العرب يناضلون على صعيد امتد  
إلى البلاد العربية. وعُنِيَ هذا المؤلف أيضاً بالفروع والأجزاء في المسائل كما عني بالأصول والجذور. وغايتنا  
من إيراد ما يتعلق بالحدود وما إليها من كتابه إلى القارئ العربي، أن تقدم نموذجاً من الذهنية اليهودية من  
هذه الناحية. وهذا أمر له خطره اليوم وغداً. يقول المناطقة في تحديداتهم: الحكم على الشئ فرع من تصوره.  
عالم المؤلف في القسم الأول من كتابه ما كان من أمر الحدود. على غرار ما ذكر ويزمن، وهذا ما قاله هرويتز:

«وهناك غموض آخر يتعلق بحدود فلسطين. ففي مؤتمر الصلح في باريس طلبت المنظمة اليهودية أن تكون  
السفوح المطلّة على الليطاني والمنحدرات الغربية من جبل حرمون (الشيخ) والقسم السفلي من وادي اليرموك،  
كل هذا داخلاً في الحدود الشمالية لفلسطين. لكن بسبب تصلب الفرنسيين ذهب معظم هذا إلى دول المشرق،  
وطلب الصهيونيون أيضاً أن تكون الحدود الشرقية واصلّة إلى الخط الحجازي الذي يمتد من درعا إلى معان،  
إذ في هذه الأنحاء رقعة واسعة من الأرض الخصبة شرقي نهر الأردن. وهذه الأنحاء كانت تحت يد الحكومة  
العربية المؤقتة في دمشق برئاسة الأمير فيصل ثالث أبناء شريف مكة. وبعد أن أخرج الفرنسيون فيصلاً من  
دمشق بالقوة في يوليو ١٩٢٠ الحق الإنجليز القسم الجنوبي من تلك الأراضي بفلسطين التي تمتد حدودها  
الآن من المتوسط إلى العراق. وبعد خمسة أشهر من ذلك التاريخ كان صك الانتداب في صيغته الأولى قد  
انجز ويراد تطبيق نصوصه على هذه الأراضي كلها.

وحوالي شهر أغسطس ١٩٢١ أضيفت مادة جديدة إلى الصيغة الثانية من صك الانتداب تخول الدولة  
المنتدبة أن توجّل أو تمسك عن تطبيق ما جاء في الصيغة الأولى (من البحر المتوسط حتى العراق) فيما يتعلق  
بالوطن القومي اليهودي من جهة أراضي شرق الأردن. وفي غضون المدة التي انقضت بين الصيغتين، كان  
الأمير (الملك) عبد الله، أخو فيصل وهو أكبر منه، قد وُضع في عمان وَضْعاً مؤقتاً على رأس حكومة شرق  
الأردن وفي شهر يونيو ١٩٢٢ أعلنت وزارة المستعمرات أن قرارها المتعلق بهذا الأمر وهو استثناء شرق الأردن  
من مجال الوطن القومي. مع بقاء تلك البلاد تابعة لانتداب فلسطين. كان وفق الوعد الذي وعده السير هنري  
مكماهون للحسين سنة ١٩١٥. فوافق الصهيونيون على هذا موافقة رسمية، ومع ذلك اعتبروا فصل الأردن ما  
هو إلا تديير مؤقت، ثم حاول اليهود بعد ذلك مراراً علاج مسألة الاستيطان في الأردن». انتهى كلام هرويتز.

والآن بوسع القارئ أن يضم هذا الجواب إلى الذي أجاب به ويزمن سائله في المؤتمر الصهيوني الثاني  
عشر، وقد مر ذكره.

(١) في أوائل أيام المندوب السامي الأول هريبرت صموئيل، المنعوت عند اليهود بمزرا الثاني وأمير إسرائيل  
الأول (بعد السبي) ذهب هذا الرجل لزيارة مقام النبي شمويل (صموئيل) الذي على رأس أعلى جبل شمالي =

## ٢٩ - موقف فرنسا من الوطن القومي دى جوهنيل يعرض على ويزمن استعمار وادى الفرات

قال ويزمن فى الفصل الرابع والثلاثين من مذكراته: -

«كان من الواجبات المهمة الملقاة على كاهل الرئيس (يعنى نفسه) أن يحتفظ بالصلوات الحسنة مع الحكومات العديدة فى عصبة الأمم. وأول هذه الدول فرنسا. وفرنسا، ما عدا كونها الجار الملاصق لبريطانيا، هى المنتدبة على سوريا. ثم هناك إيطاليا. لذلك كان معظم وقتى فى باريس وروما.

فى باريس اجتمعت بجميع رؤساء الوزارات من بونكاريه إلى رينو، ليون بلوم<sup>(١)</sup> الذى سجلنا له مساعدات وافية. لما كان سوكلوف<sup>(٢)</sup> يتولى مفاوضات فى القارة، كان بلوم يطلع بصورة غير رسمية على الأشياء الجارية، ثم ازداد نشاطه فيما بعد بواسطة أحد زعماء المنظمة الصهيونية الفرنسية. مسيو ارستيد بريان كان يعطف علينا، لكنه بقى على غموض من نحونا وكان يقول: فلسطين ستصير بلاداً مدهشة. وكان يطرب للبرتقال الذى نهديه كل سنة على عيد الميلاد، مما لم يأكل مثله فى حياته، وكان رجلاً طيب القلب، وعنده نزعات الأحرار،

= القدس، ولم تكن الزيارة لهذا المقام مسموحاً بها لليهود. غير أن المجلس الإسلامى الأعلى جامل المندوب السامى فى طلبه الزيارة. فلما اقترب هيربرت صموئيل من المقام وقف مطرقاً وقد استفرقته الذكريات ولما أفاق قال: «ومن يدري فقد يكون هذا الراقد هنا هو جدى، لا وبين شمويل القديم وشمويل الجديد ٣٦ قرناً. ولما كانت القوات اليهودية تقاتل الجيش المصرى فى سيناء بعد ١٩٤٨ بقليل، نشرت إحدى المجلات الإنجليزية الأسبوعية أن ضابطاً يهودياً وقف يحرض من معه على القتال فخطب فيهم ومما قاله: «هؤلاء هم أعداؤكم الذين استعبدوكم منذ ٣٦ قرناً، فأنظروا فى هذه الروح اليهودية!»

(١) ليون بلوم يهودى متشع بالاشتراكية. تريك البروتوكولات أن اليهودى لا يمكن أن تملو على عقيدته اليهودية عقيدة أخرى أبداً. ومن لا يصدق هذا إلا من كان من الغفلة، عربياً كان هذا المغفل أم غير عربى. وإذا كان اليهودى «تلمودياً» فويل منه فى باريس كما فى تل أبيب.

(٢) سوكلوف يمين ويزمن وعضده فى الحركة اليهودية. هو مؤرخ الصهيونية وكتابه «تاريخ الصهيونية من ١٦٠٠ - ١٩١٨» فى بضع مجلدات، أجمع تواريخ الصهيونية للوثائق التى يعتبرها اليهود مادة تاريخهم. وأخباره مستفيضة وهو عاصر الحوادث كلها وكان معروفاً بكتابهاته فى البيئات اليهودية فى روسيا وخارج روسيا قبل أن يظهر هرتزل فى المقدم الأخير من القرن الماضى وكان رئيس الوفد الصهيونى إلى مؤتمر الصلح ١٩١٩. وهو الذى نال من فرنسا وإيطاليا الموافقة على وعد بلفور وهو الذى عمل فى نقض الترتيب الأول ١٩١٥ أن تكون فلسطين دولية فلما حصل اليهود على الموعد محوا الدولية كلها. وسوكلوف قابل قداسة البابا كذلك بعد أخذ وعد بلفور. وله صفة ترجمة فى كتابنا هذا.

ولفتت نظره النهضة اليهودية، وأما عطفه العملى علينا فلم يتعد قشور البرتقال الذى كان بين يديه، وهو لم يستطع أن يعلم مدى قوة حركتنا فى الداخل، ومعظم الفرنسيين الذين فى الكاى دورساي كانوا قليلي الاكتراث، إما لأنهم يبطنون روح المناهضة لنا، وإما أحياناً من الحسد، إذ كانوا بهذه النظرة يتطلعون إلى عملنا فى فلسطين. وسبق لى أن قلت إن فرنسا اعتبرت فلسطين كما اعتبرها العرب الجزء الجنوبي من القطر، ولما وضعت فلسطين تحت انتداب بريطانيا اشمازوا. وهم يعدون أنفسهم دائماً وجه أوروبا فى شرقى المتوسط، وحماة المسيحيين فى هذه الأرجاء. اللغة الإنجليزية كانت فى فلسطين غير معروفة تقريباً، حتى بعد مجئ النبي، وكثيراً ما ينسى هذا الأمر فى بريطانيا من أننا نحن سبب وجودها بوعدها بلفور. وصارت فرنسا تنظر إلى نهضتها بعين كاثوليكية، وعدت هذا كله فى فلسطين افتثاتاً على تقايلدها.

«وأما أكثر الفرنسيين استرعاءً للنظر فهو مسيو دى جوفنيل على ما اعتقد، فقد كان ند فيلد مارشال بلومر<sup>(١)</sup> فى فلسطين وكان محرر الماتان سابقاً فى باريز والماتان إحدى كبريات الصحف الواسعة النفوذ، وكان خصماً للفكرة الصهيونية ولكل ما يمت إليها بسبب، وعجزنا عن أن نحصل على سطر واحد فى جريدته لوجهة نظرنا. ولما اجتمعت به لم يكن بطيئاً فى الإعراب عن أفكاره هذه. وهذا ما حصل فى بيروت: فقد قدمنى إليه بعض الأصدقاء الفرنسيين. فأراد استغلال المناسبة ليجعل نفسه فى حل من أمره معنا. وأما أنا فقد أفسحت له المجال حتى يفرغ ما فى جعبته ثم قلت: لا يمكنكم أن تتكلموا عن الصهيونية وفلسطين، إذا لم تدرسوا الأولى وإذا لم تزوروا الثانية وهى على الحدود فلو فعلتم ذلك لتغيرت أفكاركم.

«فوافق. وزار فلسطين يومين ضيفاً على المندوب السامى فاجتمعت به ثانية. المقارنة بينه وبين بلومر شديدة البروز فى التناقض. دى جوفنيل فرنسى شجاع، أنيق المظهر. وبلومر أرسطقراطى إنجليزى، جدى على طراز عهد فكتوريا. فطاف جوفنيل البلاد، ثم اجتمعت به

(١) الفيلد مارشال بلومر هو ثانى مندوب سام على فلسطين، وقبله هريرت صموئيل الذى انتهت مدته ١٩٢٥ وبلومر مكث ٢ سنوات وهو عسكري فعلاً وقولاً، مظهرًا ومنظرًا. من قرنه إلى قدمه. جاء وثورة سوريا بقيادة سلطان الأطرش فى جبل العرب على فرنسا تطلق أول هديرها. كانت بريطانيا تود فى قلبها أن تدق أعناق الفرنسيين والسفاليين فى سوريا المجاورة لفلسطين، لكنها كانت حريصة فى الوقت نفسه على ألا تقلق راحتها ولا راحة اليهود فى فلسطين. ونفذ بلومر سياسة حكومته حرفاً وحرفاً، وأما فى سياسة التهويد فقد اكتسب عطف اليهود وولاهم، إذا وصلنا مدته بمدة هريرت صموئيل، تكون فلسطين، بعد ثورة النبي موسى ١٩٢٠ واضطرابات محدودة بعيد ذلك، قد اجتازت نحو ٩ سنوات هادئة. اليهود يعملون تحميمهم الحراب البريطانية، والعرب فى دور الاختمار، حتى كانت ١٩٢٩ و«ثورة البراق». وصادف فى سنوات بلومر أن أصيبت الهجرة اليهودية بأزمة مالية قاصمة، فلم يدخل البلاد أكثر من ١٧ ألفاً وكان العائدون أكثر من نصف هذا العدد وكثر عند المتطلبين عن العمل عند اليهود حتى بلغ عددهم باعتراف ويمن نحو ٨ آلاف عامل واشتدت المنازعات بين العمال وأصحاب العمل وكذلك الإضراب والاعتداء حتى هدأت الحال ١٩٢٨.

ثالثة، فإذا به متغير الرأي، فذكرنى أمره بما حصل مثله من جهة مستر فيلكس واريورغ<sup>(١)</sup>.  
 «جوفنيل بعد أن غير ما غير من أفكاره، لم يكتف بأن سحب انتقاداته السابقة، بل أنب  
 الصهيونيين على أنهم لم يأتوا ويصنعوا شيئاً فى سوريا على غرار ما يصنعون فى فلسطين.  
 «فدهشت لاقتراحه وأجبتة بأن لدينا مجالاً واسعاً فى فلسطين حيث نعمل هناك تحت  
 شروط الانتداب، دون حاجة المجرى إلى سوريا حيث لا مكان لنا فيها. ثم إن العرب يحسبوننا  
 طارئين عليهم، أو إننا بداية موجة توسع تشمل الشرق الأوسط كله، لكن جوفنيل أصر فقال إن  
 اليهود هم الوحيدون الذين يستطيعون إعمار سوريا.

«ثم قال: طبعاً، لا أريدكم أن تعملوا جنوبى سوريا (هكذا) إذ لا تكادون تصلون إلى صور  
 وصيدا حتى تطلبوا تعديل الحدود. لكن لدى مشروعاً كبيراً وهو إعمار وادى الفرات. نعم، إنه  
 بعيد مئات الأميال من فلسطين ثم أبرز خارطة فوراً وأخذ يرينى كيف أن الفرات يمر بمناطق  
 صحراوية واسعة قليلة السكان من البدو.

«ثم قال بحماسة: إن آلاف الأميال المربعة يمكن أن تروى هنا فتقلب موطناً لشعب  
 كثيف. ثم مضى يتوسع فى هذه المناحي حتى قال: إن الطيارين الفرنسيين الذين جابوا جو  
 حوض الفرات، وقع نظرهم على آثار القنوات القديمة التى كانت تتساب فيها المياه إلى تدمر،  
 حيث كانت فى تدمر حضارة ناضرة ثم قال: وما صنع فى الزمن القديم يمكن صنعه فى الزمن  
 الحديث. ثم استرسل يتكلم ببلافة الفرنسيين يشرح هذه الطاقة العمرانية. وعلى كل كلامه  
 هذا أجبت جواباً واحداً: أنت تعلم يا سعادة المفوض أن عندنا قضية مياهنا فى فلسطين،  
 وعلينا أن نكتفى ونقنع بمياه الأردن. وهذه المشروعات التى تصفها لى، مدهشة، لكننا لا  
 نستطيع الاستجابة لإغرائها.

«ثم تحول إلى أن يقنعنى فتاعة تاريخية فقال: يا دكتور ويزمن، هذا الذى أقوله لك وارد  
 فى سفر نحemia: أن تدمر بناها اليهود<sup>(٢)</sup>.

«ثم أثار هذا الموضوع ثانية لما اجتمعت به مرة أخرى فى باريز، وحاول اقتناع ليون بلوم

---

(١) فيلكس واريورغ من أعمدة اليهود فى الولايات المتحدة. بدأ ويزمن صلته به من سنة ١٩٢٢ فى أمريكا،  
 وكان واريورغ حتى ذلك الوقت ناقداً للأمور فى فلسطين نقداً لا دعماً ولا يتبرع بشئ، ومازال به ويزمن يقتل منه  
 فى الذروة والغارب حتى ابتلمه. وقد وصفه ويزمن فقال شئ من «الأمير الصالح»، لكنه يفتح أذنيه لكل نايبة  
 وهامسة ويصدق من حوله. ودعاه لزيارة فلسطين هو وزوجته فزارها، وظل واريورغ بعد ذلك يدور فى فلك  
 ويزمن. وصار عضداً بالمال للجامعة العبرية فى القدس، ثم كان من أكبر المساهمين فى شركة استثمار البحر  
 الميت منذ ١٩٢٩ فصاعداً، وهنا، كل الصيد فى جوف الفرات.

(٢) هذه من الأساطير ولو دُكرت فى «المهد اعمديم».

بصحة آرائه، لكن كل هذا لم يكن له عندنا أقل وزن من الناحية العملية. انتهى كلام ويزمن. ثم انتقل ويزمن بلا تراخ إلى الكلام في مضمار آخر، وبلا فاصل في الحديث فقال: «وحدث غريب بقى في بالي بصدد زيارتي لفونسا ومحاولاتي استمالة الرأي العام إلى ههنا. وقع هذا سنة ١٩٢٢ لما قام هتلر بحملته وأخذت الجموع تتوجه إلى فلسطين. تلقيت برقية من الأنسة لويز ويس (Weiss) الصحافية الفرنسية المشهورة، الواسعة الصلة بالمقامات السياسية، تدعوني إلى إلقاء محاضرة عن الصهيونية وفلسطين في السوربون، وأكدت لي أن المحاضرة ستكون تحت رعاية شخصية عالية، وسيحضرها أناس كثيرون. فترددت لسبب واحد: وجدت أنه من المستحيل عليّ إلا أن أتاول الحالة في ألمانيا، وربما غلب عليّ عامل العاطفة، ووقتها كان منا في منافي هتلر رهائن عديدة. فأكون قد أجمرت إذ سببت لهم زيادة عذاب. ومن ناحية أخرى وجدت أن هذه المناسبة توليني فرصة سانحة فريدة لأطلع الرأي العام على الحقيقة، فوازنت بين نعم ولا، واستصحت أصدقائي، وبالتالي قبلت.

«أما الحضور فقد كانوا من السراوة على ما وصفت الأنسة ويس، والرئيس هو مسيو مارتن وزير مالية سابق. وقيل لي أن من الحضور، كما أتى لاحظت ذلك، بعض شخصيات من السفارة البريطانية، وأصدقاء من الكاي دور ساي وممثلين من بيت روتشلد، وابن الكابتن درايفوس<sup>(١)</sup>، ورئيس الحاخامين الفرنسيين وغيرهم.

«حاولت أن أتكلم بهدوء عن الحالة في ألمانيا، والمسؤولية التي رست على العالم المتمدن نحو ضحايا السياسة الألمانية، وتكلمت عن الملجأ الذي وُجد في فلسطين، وقد كان هذا أكثر من ملجأ إذ بالنسبة إلى الصغار فكانهم جاءوا إلى وطنهم، واختلط أبناء يهود ألمانيا بأبناء يهود فلسطين حتى صعب التمييز. ثم تناولت فلسطين فقلت إنها على صغرها ففيها قابلية الاتساع بإمكاناتها على قدر ما تقضى به الحاجة.

والحضور، أحسنوا الإصغاء إلي، وكان هذا واضحاً. ولما انتهيت دهشت إذ سمعت الرئيس يقول إن عليّ أن أعيد إلقاء هذه المحاضرة في هذا المكان نفسه في اليوم التالي، إذ هناك فريق من الناس لا شك يودون سماعها ثانية، وينبغي إعطاء الفرصة إلى من لم يتسع لهم المكان في الليلة الأولى بسبب الازدحام. وقال الرئيس إنه متأكد أن مسيو عاريو يسره أن يكون مترئساً الاجتماع. فما وسعني إلا القبول. فألقيت المحاضرة للمرة الثانية، والجمهور أشد ازدحاماً، لكن الرئيس لم يكن هريو، إذ تخلف عن الحضور فكانت الحفلة بلا رئيس فاقتتحت

(١) درايسوف، هو صاحب الفضيحة الكبرى في فرنسا، خان دولته ببيع أسرار عسكرية إلى ألمانيا وحكم عليه بالسجن ثم النفي. تقدمت قصته عند الكلام على هرتزل إذ كانت محاكمة درايفوس في باريس سبب انقلاب ذهني نفسي فكري في هرتزل فانتقل من كونه يهودياً اندماجياً إلى يهودي صهيوني حتى أنشأ الحركة الصهيونية السياسية.

الاجتماع الأنسة ويس؛ وبينما أنا فى وسط المحاضرة وصل هريو بفتة، ودون أن ييدى أى انتباه لى إذ لما دخل توقفت عن الكلام، ولعله لم يقع نظره على، وصعد المنبر وأخذ يلقي محاضرة بصوت جهورى لمدة عشرين دقيقة دون توقف، متناولاً مسائل لا علاقة لها بالصهيونية وفلسطين واليهود؛ وإنما راح يتباهى بأمجاد فرنسا وتآلقها الحضارى لكنه لم يذهب إلى أكثر من هذا على الصعيد الجمل. وانتهى كما بدأ فجأة. ودهش الحضور من هذا الفصل الروائى المضحك؛ ثم صعدت الأنسة ويس المنبر وطلبت منى بهدوء استئناف محاضرتى؛ ولم أجمع بهريو بعد هذا، وإنى واثق أنه لم يكن يعلم شيئاً عن طبيعة الاجتماع.

\*\*\*



## ٣٠- ويزمن يعرض فلسطين قاعدة حرية ١٩٣٨

فى سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ وغيوم الحرب العالمية الثانية أخذت تبدو فى الأفق، وبريطانيا انغمست فى دراسة المواقع الاستراتيجية فى الشرق الأوسط، تغير منها ما تغير وتبدل ما تبدل، وتبتعد من هنا وتقترب من هناك، لإقامة أسس الدفاع على خير وضع، أرسل ويزمن إلى سيرجون شكبره Shakburgh الوزير البريطانى الرسالة التالية:

«اسمحوا لى أن أقول كلمة موجزة تتعلق بالمسألة الاستراتيجية ولهذا المسألة اليوم شأنها فى مساق المحادثات الجارية ولها الصدارة. ويكون من الفرور من رجل عادى مثلى، أن يبدى أى رأى فى القيم الاستراتيجية النسبية بين حيفا وقبرص، غير أن هناك بعض الحقائق المحسوسة التى لا يصعب على كيماوى بسيط مثلى أن يفهمها. فإن خطوط أنابيب البترول، والمطارات، وجبل الكرمل، كل هذا لا يمكن نقله إلى قبرص، ولا سكك الحديد الواصلة إلى مصر، ولا المواصلات مع قناة السويس، ولا الممر الكوريدور إلى بغداد. هذا ولا مزيد». انتهى.

(مذكرات ويزمن ص ٤٨٧).

## ٣١ - أوسيشكين

مناحيم مندل أوسيشكين، اليهودى الروسى المقارن لويزمن فى القافلة الصهيونية، ولد ١٨٦٢ ومات ١٩٤١ فى فلسطين، وهو من البس العاملين فى الصهيونية لجلد الذئب. معاصر لهرتزل، وهذا يكبره بثلاث سنين فى المولد، وعمل مع هرتزل، وتمسك بمخططه، وقال خائن للصهيونية مَنْ يرضى عن فلسطين بديلاً. يعرفه ويؤمن من أيام الشباب، وأوسيشكين أكبر منه بإحدى عشرة سنة. بعد الحرب جاء فلسطين وكان رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية نحو سنتين، ثم انتخب رئيساً «للكيرين كايمة» وهذه المؤسسة هى الموكل إليها شراء الأرض، كما أن «كيرين هايسود» هى المولجة فى جمع المال. وأما «البىكا» فهى المختصة بمستعمرات بيت روتشيلد. وهذه الأسماء يعرفها عرب فلسطين معرفة تامة. وأوسيشكين جزء دائم من المؤتمرات الصهيونية التى تعقد كل سنتين مرة. وليله إلى الأتراك كان يقال له حتى بين بنى قومه «مناحيم باشا». وأما رونالد ستورس حاكم القدس البريطانى من ١٩١٨ - ١٩٢٦ فقال أما عندنا فنقول له «القيصر مناخيم».

قال فيه ويؤمن فى مذكراته: «أوسيشكين قام فى روسيا بعبء الصهيونية العملية، كما قام أحدها عام بالرسالة الفكرية الروحية. شخصيته نافذة. بليغ الكلام، واضح الآراء، منطقى البرهان، عملى الطرائق والأساليب. له قدرة عجيبة على مباشرة الأمور وطاقة كبيرة على التنفيذ واجتياز انظروف الحرجة، ومن جملة تلك الظروف أن العمل للحركة الصهيونية فى روسيا كان ممنوعاً. فأنشأ خلية عاملة سرية فى كل مركز مهم فى المنطقة، يجتذب إليه من يتوسم فيهم حسن الاستجابة ويبث فيهم القوة والأمل. وكان مثلاً نموذجياً من روح عشاق صهيون، وكان من المعاوين لأحدها عام فى التدريب الذى يضطلع به نادى بنى موسى، ومع وقوفه على المآخذ التى أخذت على هرتزل فى حركته، فقد بقى أوسيشكين على هذا الولاء حتى برز هرتزل بمشروع يوغندا، عندئذ خلع أوسيشكين رابطة الولاء علناً، وشن ثورة حامحة على القيادة.

ثم قال ويؤمن: «كان أوسيشكين رجلاً بعيد الهمة، عنيداً لا يتراجع، صريح المذاق حتى يجرح، وفيه عرق من الأوتوقراطية، ولهذا كان لا يطبق نزوات الشباب. وكان لنا ندوتان فى الغرب للفكرة الصهيونية، واحدة فى برلين يرهاها موتزكين، والأخرى فى جنيف أرهاها أنا، فكان يصف أوسيشكين هاتين الندوتين بأنهما للجم جمعة ولا طحن منهما. وهو بالفطرة محافظ، وقد اختلف مع هرتزل حول موضوع المناورات الدبلوماسية المحمة العالية، مؤثراً

عليها المساومة والمعاكسة مع الأتراك توأ. وهو فى هياته يعطى صورة مزيج من باشا تركى ووال روسى. وكل أخطائه يحورها بذله وتضحيته فى سبيل الصهيونية. ما كان يهमे شئ آخر فى العالم إلا الصهيونية... ضخم الرأس مدوره، حتى يكاد يستطيع أن ينطح به الجدار... وحياته تجرى وفق التقاليد اليهودية. وكان فى أموره الدنيوية ميسوراً، وهذا ما زاد فى طاقته على التضحية. وكان بيته بيت العائلة اليهودية القديمة الجذور. وكان يحب الفكاهة. فإذا ما كانت زوجته حاملاً، قرع الطاولة بجدٍ وعُنف وقال لها: صبى!! إياك غير صبى!! لكنه من هذه الناحية لم ينل إلا نصف ما أراد، فقد ولدت زوجته صبياً وبنثاً لا غير.

«وسرت معه سيراً حسناً، محترماً لمساوئه احتراماً لا يقل عن احترامى لفضائله. وكانت أنايته متسلطة، تجعل الناس يعتقدون أن تلييته واجبة».

ومضى ويزمن فى الكلام فقال: «وأول ما أخذت صلتى به تشدد عُراها، كان فى الحرب العالمية الأولى لما جاء هو إلى بريطانيا. وكان يجتاز مآزق. فلما أكره على الخروج لجأ إلى استنبول، ثم راح يحور ويدور حتى وصل لندن فى سنة ١٩١٨، ولما شبت الثورة فى روسيا استطاع أن يخرج معه بعض ماله. ولما وصل لندن، كان وعد بلفور قد صدر وجاء يحمل اعتقاداً أن تأليف حكومة يهودية فى فلسطين على وشك أن يتم. وكان فى جيبه قائمة بأسماء الوزراء وهيئة هذه الحكومة. ولما بينت له أننا لانزال بعيدين من هذا كثيراً أخذته الامتعاض الشديد.

«وعلى غزارة مداركه واتساع طاقته العملية، فقد كانت تشوبه أحياناً موجات من السذاجة غير المؤتلفة مع أمره. ولما حلت به الخيبة إذ رأى أننا لا نستطيع حتى الآن تأليف حكومة يهودية فى فلسطين، زاد على ذلك استغرابه أن الحلفاء لم يريحوا الحرب بعد. وكانت قناعته من قبل أن المانيا ظافرة، ذاهباً إلى هذا من شدة اكباره للعقل الألمانى والعظائم الألمانية، والمانيا فى نظره ذخيرة الحضارة الغربية. ولما جاء لندن لم يكن بعد قد طاف خارج حدود بلاده شيئاً. وهو فى الأيام السابقة، قبل الحرب الأولى، والثورة الروسية، كان يعيش فى أودسا، ومن أودسا كان يدير الحركة كلها فى تلك الأنحاء. وهو من خلال البحر الأسود كان يتطلع إلى فلسطين وهى وقتئذٍ تحت البربرية التركية، وهو كان يعتقد أنه إذا أتى إليها فسيأتيها على مرتبة الأوروبى ومستوى الغربى، لكن لما أخذت بريطانيا فلسطين، وجد نفسه أنه هو الذى وُضع على المستوى البربرى. ولما حل بلندن استغرب أساليبها وعاداتها. وكان إذا ما خاض فى حديث المستقبل والأفق المقبل، قال بكل براءة «اسمع ثم اسمع! أنت تبقى فى أوروبا لأمرنا هنا، وأنا أتولى أمورنا فى فلسطين». وكنت أجد حرجاً من هذا غير أنى كنت أتجاوز عن تطوحاته، فهى مفتخرة لشدة انكبابه على القضية». إلى هنا انتهى كلام ويزمن، وقد أثرنا نقل هذا القدر منه لننتقل إلى ناحية أخرى فى إبراد صورة اوسيشكين.

بعد موت هرتزل ١٩٠٤ انقسم الصهيونيون قسمين، لا من جهة ما يتعلق بالقبول أو عدم القبول للعرض الذي عرضته بريطانيا عليهم، وهو أن يستعمروا يوغندا في شرق أفريقيا، فهذا الأمر كان مفروغاً منه في آخر مؤتمر عقد زمن هرتزل سنة ١٩٠٢ لبحث الموضوع، فقام الصهيونيون الروس، وعلى رأسهم ويزمن وأوسيشكين وسوكولوف (ستأتى ترجمته بعد أوسيشكين) وغيرهم ومن ورائهم أحدها عام، ورفضوا المشروع جملة وتفصيلاً، وأخرجوا موقف هرتزل كثيراً، ولم ينس القارئ أن في أثناء المؤتمر، وقد ساد الهرج واشتدت الضوضاء، تقدمت سيدة من هرتزل وهو نازل من على المنبر وقالت له يا خائن! وهذا ما رواه ويزمن بنفسه. ولما اشتدت البأساء بهرتزل من جراء هذا، كاد ينهار فيستقيل من الحركة، لولا أن استقالته، على ما قال هو في مذكراته، كانت ستؤدي إلى انشقاق أوسع وأدهى. لكنه ماشى الفريق الذي رفض يوغندا وتعلق بفلسطين قطعاً، وهو ما كان ليقول غير هذا قبل عرض يوغندا، وإنما اعتبر قبول الفكرة باستعمار يوغندا مرحلة تمهيدية للوصول إلى فلسطين، شيئاً فشيئاً، بحيث تبقى البلاد هناك لليهود حتى ولو استطاعوا الحلول بفلسطين فيما بعد. فهو أبعد مرمى، وأشْرَه. وهو منذ أخذ يتصل بعبد الحميد السلطان العثماني منذ ١٨٩٧ ويفرقه بالمفريات الفاتية، جعل انصبابه المحكم على فلسطين. وكان يقول لهم في المؤتمر، قضية قبولنا يوغندا قضية مبيت ليلة على الطريق، وكتب في مذكراته حول هذه النقطة يقول:

«إنى واثق أن الانشقاق الكاسح أخذ يدب في الحركة، وهذا الانشقاق يخترقنى شخصياً اختراقاً تاماً. وإنى، وإن كنت من قبل مجرد طالب دولة يهودية في أي رقعة كانت، غير أنى اليوم، وقد وقع ما وقع، لن أرفع إلا راية صهيون، وأعد نفسى من عشاق صهيون. وفلسطين هي البلد الوحيد الذى يستطيع شعبنا أن يجد فيه الراحة والأمان. وعندنا الآن مئات وآلاف من أبنائنا يحتاجون المساعدة والإنقاذ. ولكى أذفع المحذور فليس لدفعه سوى وسيلة واحدة: أن أستقيل» وكان هرتزل من قبل هذا الوقت يشكو من ضعف في قلبه، وبعد تسعة أشهر من أرفضاض المؤتمر مات في ٣ يونيو ١٩٠٤ وقال فريق من شيعته أن ما عجل عليه، الصدمة العنيفة التى لقيها في المؤتمر<sup>(١)</sup>.

هذا هو الموقف الراهن وقت فَصَدَّتْ الحركة الصهيونية زعيمها الأول، ولم يستقل هرتزل وقتها إذ كان موته نهاية الرواية من جهته لكن بعد موته تغلب الفريق الصهيونى الروسى على

(١) على كل، إن الذين كانوا يقولون بدولة يهودية في أي مكان، تميزوا بعد موت هرتزل بزعامة إسرائيل زنكويل، الكاتب اليهودى الإنجليزي المشهور، وهم فئة قليلة، وجعلوا يوالون البحث عن أرض غير يوغندا، ويقال أنهم هم الذين حاولوا استعمار طرابلس وبرقة (ليبيا اليوم) ففشلوا. ويقوا على خطتهم حتى كانت سنة ١٩١٧ وجاء وعد بلفور. وانقسام هذه الفئة بهذا الحيز ليس انقساماً وإنما الانقسام المصنوع هو الذى نتكلم عنه في مساق الكلام هنا. وليلاحظ القارئ هذا.

مقود الحركة، ومسك بجميع اعنتها، ونقض أساليب هرتزل نقضاً، بهدوء ومكر واتقان حيلة. فإن أساليب هرتزل كانت هي التي أشار إليها ويزمن على لسان أويسيشكين، المناورات الدبلوماسية الفخمة العالية، يتردد بها بقامته الفارعة، وبذلته السوداء، ولحيته التي يزين بها طلعتة، على الملوك والأمراء والرؤساء في العالم، على أعلى مستوى في الأبهة والازدهاء، نعم كان نشاطه مغلماً بالسرية والكتمان، غير أن تخفية هذا النشاط عن أعين الناس ما كان إلا في مصلحته وفق ما يريد ويؤثر.

وجاءت أساليب جديدة بعد موت هرتزل، يمكننا إيجازها في هذا الإطار:

أولاً: أن يكون للحركة صورتان: خارجية، متلونة، لا تصطبغ إلا بالصبغة التي تماشى الحوادث العالمية، ولا تقف مواقف مثيرة للشك والارتياب. وصورة داخلية هي المعول عليها وليس عنها محيد وفي سبيلها يجب تذليل جميع الصعاب، للوصول إلى فلسطين.

ثانياً: فالصورة الداخلية هي المبنية على فلسفة أحدها عام أو التجمع والافتحام، وهرتزل نفسه لم يكن إلا من هذه الفلسفة<sup>(١)</sup>، والفرق بينه وبين من أتى بعده من زعماء الحركة في روسيا، أنه هو كان يقول بالمراحل هذا من جهة، ويقول إن التسلح بموافقة دولية على المشروع ضروري الحصول عليه ليتخذ منه مجن لوقاية الحركة، هذا من جهة أخرى. فجاء الأسلوب الجديد الآن، وجعل تطبيق فكرة التجمع والافتحام مبنية على العمل في فلسطين بالتسلل المحكم تحت ستار العاطفة الدينية، وشراء الأرض، وتكثير سواد اليهود، وتدريب شبابهم عسكرياً تحت ستار النشاط المدرسي الرياضي. أي ليس تطبيق الفكرة موقوفاً على فرمان سلطاني من عبد الحميد، كما كان يبتغى هرتزل، أو من رجال تركيا الفتاة الذين تسلموا الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور ١٩٠٨، أو موافقة دولية كما طلب هرتزل.

ثالثاً: وعلى هذا، بقيت الصور الخارجية تعمل لخدمة الصور الداخلية، وهنا نقطتان مهمتان، وهما: أولاً، أن يستفاد من حركة طلب الحرية والاصلاح والحكم الدستوري في المملكة العثمانية بالاندساس في صفوف الحركة واستغلالها من أجل الوصول في النهاية إلى فلسطين. وهذا يقتضى أن يكون العمل في استتبول على رأس النبع. فجعل عشرات من العملاء الصهيونيين، يقيمون في عاصمة المملكة العثمانية تحت أغطية مختلفة فإن بن غوريون، مثلاً، هو أحد هؤلاء. فقد جاء استتبول ودرس الحقوق في جامعاتها سنة ١٩٠٦ انتقل إلى فلسطين. والنقطة الثانية، هي أن زعماء الحركة الروس، أيقنوا أن المانيا لن تكون مؤازرة لهم وعلى رأسها الإمبراطور غليوم، الطامح أن ينشئ مستعمرة لا نظير لها في قلب

(١) لا تنسى أن هرتزل لما كان يفاوض لورد كرومر في مصر حول وادي العريش أو سيناء قال له، إنه هو نفسه: لو جرى هوى نفسه، لمال إلى اخذ فلسطين بالفتح وإراقة الدماء، وقد مر هذا فراجع.

المملكة العثمانية، بواسطة مشروع سكة حديد «برلين - بغداد»، إذ امتياز هذا المشروع الضخم يخول الشركة الألمانية أن تستثمر لمصلحتها مساحة من الأرض من على جانبي الخط عرضها عشرون كيلو متراً، فالوساطة التي قام بها الإمبراطور غليوم لدى عبد الحميد سنة ١٨٩٨ لم تؤد إلى الفشل وكفى، بل رأى غليوم أن صديقه عبد الحميد يخاف من اليهود أن يبطشوا به غداة تصبح لهم السيطرة على فلسطين، فإذا ألح عليه اهتز مشروع سكة حديد برلين - بغداد. فصمم زعماء الحركة الصهيونية على الاعتماد على بريطانيا، إذ لا رجاء لهم في برلين.

لكن لا بد من لعبة، والصورة الخارجية يراد بها، كما قلنا، أن تكون خادمة للصورة الداخلية، والآن يراد تطبيق فكرة التجمع والاقتحام فكيف ينبغي أن تكون الحيلة؟ اصطنع قادة الحركة انشقاقاً بينهم فيقول فريق بالتسلسل إلى فلسطين توأ، والتسلسل مظهر خارجي ليفطى المقاصد، وبالتسلسل تمتلك الأرض خطوة خطوة. والنشاط الصهيوني الذي استمر إلى ١٩١٤ كان على هذه الصورة، أي هو مراحل التجمع والاقتحام تحت ستار التسلسل. ويقول فريق آخر بوجود الاتفاق مع الدولة العثمانية. وهذا الفريق وإن بدا في ظاهره أنه لا يختلف عن هرتزل، غير أنه هنا يراد به التمويه، والخداع.

وعرف الفريق الأول باتباع السياسة العملية وعرف الفريق الآخر باتباع النظرية السياسية وبقي هذا إلى سنة ١٩١٤<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يكون المخطط الصهيوني قد انحصر بعد موت هرتزل بالتسلسل وهو بقوة عنيقة، بالمال، والعمل في الأرض، وإنشاء المستعمرات، وتكثير سواد اليهود الشباب المدربين، وبالتوغل في داخل الأجهزة للدولة العثمانية. ولذلك لا نستغرب أن في سنة ١٩١٢ استطاع اليهود أن يحصلوا على أربع حقائب وزارية من أصل ١٢ حقيبة، ومجموع اليهود في الدولة العثمانية لا يؤلفون إلا أقلية ضئيلة، والعرب وهم أكثر من نصف المملكة بعدد السكان، وأضعاف الأناضول بالأراضي والمساحة، لم يكن لهم شئ، وقد تقدم ذكر هذا.

ونعطي الآن مثالين صريحين على عمل الصورة الخارجية وعمل الصورة الداخلية. أما الخارجية، ويراد بها التمويه، فقد عقد المؤتمر الصهيوني سنة ١٩١١ في بازل، وكان النواب العرب في البرلمان العثماني يعلون الصيحات احتجاجاً على النشاط الصهيوني في فلسطين وخطره، وكانت الحركة العربية قد اشتدت وزادت من قوتها، بعد هزيمة الدولة في طرابلس وبرقة بعد قليل، وفي البلقان ومكدونيا، وكان المطلوب الآن عند القادة الصهيونيين أن يتظاهروا علناً بما يخفف من نقمة العرب. فقال رئيس المؤتمر الصهيوني في أغسطس ١٩١١:

(١) هذا هو الانقسام الذي تظاهر به قادة الصهيونية بعد موت هرتزل، أما زكوي الساعي وراء اختيار قطعة أرض تاسبه، في الأرجنتين، أو ليبيا، أو انكولا في غرب أفريقيا فلا يدخل في هذا كله.

«إن الذين يجراون على اتهامنا بأننا في صدد إنشاء مملكة يهودية لا يفعلون هذا إلا من جهل وغباوة أو من حقد وضحينة. وهم يخلطون بين الصهيونية والنزعات اليهودية الدينية المتعلقة بفلسطين خطأً مؤذياً. فإن محبتنا لفلسطين، وهي محبة لا حد لها، نابعة لا ريب من العقيدة الدينية، لكن لم يخطر لنا في بال يوماً ما، نحن الصهيونيين العمليين المعصرين، أن نستغل النزعات الدينية لخدمة حركتنا، ولا أن نقترف هذا العمل السيئ بالتلاعب بالشعور الديني الذي يحمله ملايين عديدة منا. فإننا بكل وضوح قد بينا رغباتنا وأعرينا عن آمالنا في برنامجنا. فغاية الصهيونية هي إيجاد وطن آمن للشعب اليهودي في فلسطين، على أن يعترف بهذا الوطن فيحميه القانون. ولا نريد دولة يهودية، بل نريد وطناً في أرض آبائنا الأولين، حيث نستطيع أن نعيش حياة يهودية بمأمن من الاضطهاد». فصفق المؤتمر. بالموافقة. وهذا الوصف للوطن الروحي هو تقريباً ما طلبه هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧ والحيلة هنا هي استخدام هذا الغموض في التحديد للوطن اليهودي. وبقي القادة الصهيونيون يصرحون بمثل هذا بكل مناسبة. ومثل هذا هو ما قاله هوغارت للحسين أوائل ١٩١٨.

والمثال الثاني هو أوسيشكين. ولا تستغربين التناقض الهائل بينه وبين رئيس المؤتمر الصهيوني سنة ١٩١١، والمعمعان الصهيوني في إبانه، والعالم كله وقتئذ يسير بخطى واسعة إلى الأمام، والمانيا مشمرة على ساعديها لمزاحمة بريطانيا في ما وراء البحار، والمملكة العثمانية تهتز وتتلوى. فقد وضع أوسيشكين بعد سنتين وثلاثة أشهر، في نوفمبر ١٩١٣، وقد حلت النكبات بتركيا وصار حديث اقتسامها نهائياً شاغلاً بال الدول الكبرى الطامعة (بريطانيا ومانيا وروسيا والنمسا وفرنسا وإيطاليا) كتاباً صغيراً، سماه البروغرام الصهيوني السياسي ولم يقصد بهذا الكتاب توزيعه على العالم، بل على حملة عقيدة التجمع والاقترام، واحدها عام سنتئذ في السابعة والخمسين، ونادى بنى موسى مُجد في التخريج، وعلمنا أن أوسيشكين يساعد أحدها عام في هذه الحركة، مع توليه النشاط الصهيوني الخفي لا في أودسا وأوكرانيا بل في معظم جنوبي روسيا.

وفي هذا الكتيب بسط أوسيشكين ما هي الصهيونية على عقيدته، مكشوف الجبين، غير مستتر، ولماذا يستتر هنا وهو يكتب لحملة الفكرة. غير أن جريدة فلسطين<sup>(١)</sup> العربية في يافا استطاعت أن تحصل على نسخة من هذا الكتاب ونقلته إلى العربية، ونشرته فلسطين من

(١) كان عيسى العيسى صاحب «فلسطين» في يافا ونجيب نصار صاحب «الكرمل» في حيفا، من أشد المناضلين العرب في مكافحة الصهيونية والكشف عن مخططاتها وإيقاظ العرب ليفتحوا عيونهم على الخطر الزاحف على فلسطين ثم على ما هو أبعد من فلسطين، عن طريق فلسطين. وكان الملامة روجي الخالدي النائب في البرلمان العثماني أبعد النواب العرب صوتاً في التحذير والتسبه. كان هذا قبل الحرب العالمية الأولى. وقد المعنا إلى هذه الناحية في سابقة.

كتاب أوسيشكين وما استطننا الاطلاع عليه هو خمسة الفصول الأولى منه نشرتها مجلة المنار الإسلامي في القاهرة في عددها المؤرخ في أغسطس ١٩١٤، منقولة من جريدة فلسطين. ونكتفي هنا بإيراد عبارات وبعض فقرات من أهوال أوسيشكين مأخوذة من مواضع مختلفة:-

١ - «إن المساعي التي بذلها الشعب الإسرائيلي للخلاص من منفاه... قد تحولت منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون إلى حالة الحركة والعمل، وذلك لإعادة حياته السياسية الحرة (في بلاد أجداده، الفصل الأول).

٢ - «أما حالة البلاد أو الأرض التي تريد الأمة أن تستقل بها استقلالاً سياسياً، فيجب أن تكون ملكاً لها بالفضل، من الوجهتين الاقتصادية والعقلية، أعنى أن تكون جميع هوى تلك الأرض الحيوية في يد شعبها، وإن كانت الأرض نفسها تحت سيادة غيره سيادة اسمية، وأن يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، وإلا كانت غير صالحة للاستقلال، (الفصل الأول).

قلت: المراد بالسيادة الاسمية هنا، سيادة عرب فلسطين أهل البلاد.

٣ - «لنتصور الآن أن الظروف الخارجية كانت موافقة لرغباتنا، ونريد أن نجد تاريخنا وحياتنا الاستقلالية في فلسطين، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتنا هذه، ولم يكن هناك مانع خارجي في سبيلنا، ولكن شعبنا كان من جهته قليل الثقة بقواه الخاصة، وقليل الاعتماد لبلوغ الغاية التي نرعى إليها، فلا جمعيات منظمة لديه، ولا أموال عامة تساعده على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها، فماذا تكون النتيجة؟ فالفرصة التي سنحت، تقوت، وربما لا تعود في عدة قرون. ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عندما طردوا من إسبانيا في أيام الدوق يوسف أمير نكسوس فلم يستخدموها<sup>(١)</sup>». (الفصل الثاني).

(١) هذا المسمى هنا الدوق جوزيف نكسوس، ونكسوس إحدى جزر بحر إيجه، إنما يذكر بهذا الاسم واللقب في بعض كتب التاريخ الأوروبي العام. ومن عادة اليهود أن يغيروا أسماءهم ويحرفوها لكي يخفوا ما يريدون من أمورهم وحقائقهم، تبعاً للأحوال والبيئات في كل بلد يسعون فيه إلى غاياتهم، وغاياتهم مستترة ترتدى في الظاهر فتناً، يحجب الميون عن رؤيتها على حقيقتها. وهذا الأمر من تغيير الأسماء أو على الأقل التعريف كثير في تاريخهم من وقت سبي بابل.

وهذا اليهودي الكبير الذي يذكره أوسيشكين أن على يديه لاحت الفرصة لليهود ليعودوا إلى فلسطين بعد طردهم وخرجهم «من إسبانيا»، ويورد اسمه «الدوق جوزيف نكسوس»، فلم تغتتم الفرصة ولم تتحقق، أمره غريب. «الدوق» لقب من القاب الشرف عند الإنجليز منزلته بعد منزلة أمراء البيت المالكة، وفي الممالك الأوروبية الأخرى يكون من رتبة الأمراء أيضاً، ونكسوس اسم إحدى الجزر في بحر إيجه.

وفي كتب اليهود في المربية هو: الرئيس يوسف نامسى. أو الرئيس يوسف نامسى دوق نكسوس، =



٤ - «إن سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية في الخمس والعشرين سنة الأخيرة، يرجع معظمه إلى النقص في العمل. فجمعية عشاق صهيون لم تهتم في غير الأرض، ولم تفكر في إعداد الشعب وإنماء مداركه العقلية، ولا في إنشاء رؤوس أموال عمومية، ولم تعرف أن تحول هذه الحركة إلى حركة رسمية سياسية... بل اكتفت بأن تظهر مظهر المحسن بإنشاء بضع مستعمرات تعيش من مال الإحسان. لذلك انتهت المدة الأولى من تاريخ الصهيونية بأزمة سنة ١٨٩١» (من الفصل الثالث).

قلت: بوسع القارئ أن يلاحظ ما هو مراد أوسيشكين من هذا. فمراده أن مجرد إنشاء مستعمرات على الإحسان، كمستعمرات بيت روتشيلد في فلسطين زمن عشاق صهيون، ومستعمرات الثرى اليهودى النمساوى البارون هرش في الأرجنتين، لا يفضى إلى إنشاء قوة سياسية. وإنشاء القوة السياسية تقتضى تطبيق عقيدة أحدها عام: التجمع والافتحام.

٥ - «إن جميع الصهيونيين الحقيقيين أصحاب الوجدان ومفكرى الأمة، رأوا في بروغرام مؤتمر بازل الأول ادغام البروغرامات السابقة بأخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلصه رغبات الأمة، ولاسيما في تصريحه جليا على مسمع من العالم أجمع بأننا نناضل لإنشاء حكومة يهودية في فلسطين ولا بد لنا لكي نصل إلى هذه الغاية من أربعة أمور.

١ - امتلاك فلسطين اقتصادياً وأديباً.

= كما في كتاب «رحلة بنيامين» لمزرا الحداد اليهودى من بغداد (طبع سنة ١٩٤٥). «وموسوعة تاريخ العالم، لوليم لنجر تذكره باسم «دون يوسف ناسى». و «دون» هذه في الإسبانية اليوم مثل Mr. أو Sir في الإنجليزية أو M. مسيو في الفرنسية، ولا بد أن يكون ليوسف هذا اسم ولقب في تاريخ الدولة العثمانية للقرن السادس عشر إذ الدور الذى اشتهر به هو الذى مثله في البلاط العثمانى، لكن لا اطلاع لنا على التركية.

وأصل هذا الاسم هو «يوسف مَنَدَه»، واسم منده كان يعرف في الأندلس وإسبانيا لغير اليهود، ويوسف واسرته خرجوا من إسبانيا وقت الطرد وتقلبوا في بلاد أوروبية عديدة، من بلاط إلى بلاط، حتى استقروا في البلاط العثمانى في قصة فريدة الوقائع والوجوه.

وكلمة «ناسى» هي عند اليهود وفي تاريخهم، لقب رفيع، ليس عندهم ما هو أرفع منه، يلقب به كبارؤهم في الجامع أو علم الشريعة الموسوية أو الوجهة الواسعة. وكان أحد رئيسى مجلس السنهَدَرين الأعلى يلقب «بالناسى».

ويظهر بعد خروج يوسف وقومه من إسبانيا، وهم من رؤوس اليهود، أخذوا بتغيير اسمائهم حتى أنها لتبدو وبالفاظها الحالية كأنها أوربية إنجليزية، كما ترى، وما هي في الحقيقة كذلك.

والدور الذى مثله يوسف منده في البلاط العثمانى في القرن السادس عشر، بين السلطانين سليم وسليمان، في محاولته نقل اليهود المطرودين من إسبانيا والبرتغال إلى أنحاء طبرية وصفد دور عجيب، شأن ما يصنعه «حكماء صهيون» لقومهم في كل عصر. ولذلك وضعنا له ترجمة وافية البتتها في الجزء الثانى من هذا الكتاب، وإنما رأينا من المفيد الاتيان بهذه الخلاصة الرجيزة هنا لمنين للقارئ من هو «الدوق حوزيف نكسوس»، على ما ذكره أوسيشكين في كلامه هنا.

٢ - تنظيم قوى الشعب اليهودى وإنشاء رؤوس أموال عامة له.

٢ - إنماء الشعور القومى اليهودى فى الشعب وأذكاؤه.

٤ - السعى بكل طرق السياسة لجعل جميع الظروف الخارجية موافقة لنا (من الفصل

الثالث) قلت: هذا ما يقوله أوسيشكين إلى حَمَلَة العقيدة العدوانية من قومه. أما هذه المقررات الأريمة التى ذكرها هو هنا، فقد نشرت على العالم سنة ١٨٩٧ بهذه الصورة حرفاً حرفاً، والناشر هو المؤتمر نفسه: -

«إن غرض الصهيونية هو إنشاء وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يحميه القانون.

ويعتمد المؤتمر أن هذه الغاية تدرك بالوسائل التالية:

١ - استعمار فلسطين على يد العامل اليهودى زراعياً وصناعياً وعلى أساليب مناسبة.

٢ - تنظيم الشعب اليهودى كله وربطه بواسطة منظمات مناسبة محلية ودولية، وفق

قوانين كل بلاد.

٢ - تقوية الوعى القومى اليهودى وتميئته.

٤ - اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة الحكومة حيث يبدو هذا ضرورياً

لتحقيق الغاية الصهيونية.»

وبالمقابلة بين ما كتبه أو سيشكين وما نشره المؤتمر، يتضح مقدار التلاعب بصياغة

الكلام، مع تقارب المعانى بعضها من بعض.

٥ - «إن النقطة الأساسية فى بروغرام مؤتمر بازل هى إنشاء وطن سياسى حر مستقل

للشعب الإسرائيلى فى فلسطين، ويفهم من هذا بوضوح أن الغاية الوحيدة من الحركة

الصهيونية هى إنشاء دولة سياسية حرة مستقلة لليهود فى فلسطين، لا إيجاد ملجأ أو مركز

روحى لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم أذكر غيرها، لأن كل سعى يرمى إلى بلاد غير فلسطين

ليس هو من الصهيونية بشئ، وأحرّ بالقائمين به أن لا يستظلوا بالعلم الصهيونى لنشر

فكرتهم. ولذلك أصبح من واجب المؤتمر السابع أن يهدم ما وضعه أولئك المنافقون المتظاهرون

بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الأول كلمة واحدة لها معنى كبير وهى كلمة فقط أى

فلسطين فقط ويحتاط بمادة أخرى يضيفها إلى القوانين الأساسية الصهيونية، تضمن

لمجموعها عدم التقيح والتغيير فيها.» (الفصل الخامس)

\*\*\*

لما نشر العلامة السيد محمد رشيد رضا هذا فى مجلته المنار سنة ١٩١٤ والحرب

العامة كانت قد فتقت رياحها فى أوروبا، علق على هذه الفصول بقوله وهو بغاية السداد:

«لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيونى إلا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم، عبرة وبيانا، لمقاصد هؤلاء الصهيونيين وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها، إن الصهيونيين إذا تم لهم ما يريدون، فإنهم لا يبقون فى أرض الميعاد التى يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلماً ولا نصرانياً. وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط، بل هى فى عرقهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد إلى سوريا حتى النهر الكبير أى نهر الفرات. فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الإسرائيليين». ثم أورد السيد رشيد رضا نصوصاً من التوراة. ثم انتهى إلى قوله: «فماذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفرقهم وجهل السواد الأعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوة مزاحمتهم؟» ثم مضى صاحب المنار فى زيادة التنبه بعبارات مؤلفة موقظة. قلت: إن ما قلناه السيد رشيد من هذا الكلام سنة ١٩١٤ هو بعينه الكلام الذى يصح أن يوجه، ولا يصح غيره، إلى الأمة العربية فى آسيا وأفريقيا سنة ١٩٦٦.

\*\*\*

وسنة ١٩١٤ لما نشر أوسيشكين غاياته هذه، بهذه الصراحة المناقضة لتصريحاتهم العلنية المتعلقة بسياساتهم الخارجية، وقد مر إيجاز هذا، لم تكن البروتوكولات قد اكتشفت بعد، ولا ظهرت فلسفة أحدها عام المبنية على التجمع والاقترام.

\*\*\*

## ٣٢ - سوكلوف

وفى ناحوم سوكلوف أيضاً نجد مثلاً واضحاً، كما وجدنا فيمن تقدم الكلام عليهم من رؤوس الصهيونية، على العمل المزدوج الوجه: تطبيق التجمع والاقترام فعلاً ومتابعة، والتظاهر بأن الصهيونيين لا يريدون دولة سياسية فى فلسطين والذي يرمون إليه إنما يبتغونه وطناً روحياً ثقافياً يكونون فيه آمنين.

فقد مر بنا ما قاله رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى سنة ١٩١١ من توكيده للعالم أن الصهيونيين ليس من برنامجهم إنشاء دولة سياسية، وأفرغ هذا القول بصيغة تلفت النظر: «إن الذين يجراون على إتهامنا بأننا فى صدد إنشاء مملكة يهودية، لا يفعلون هذا إلا من الجهل والغباوة، أو من الحقد والضغينة».

وقال سوكلوف فى سنة ١٩١٩ بعد صدور الوعد بسنتين تقريباً معيداً التوكيد: «الدولة اليهودية لم تكن فى يوم ما داخله فى برنامجنا الصهيونى. وغاية الشعب اليهودى» - (كما جاء بعدئذ فى قرار المؤتمر الصهيونى سنة ١٩٢١) - «أن يعيش مع الشعب العربى على الوثام والاحترام المتبادل، والتعاون فى سبيل إنعاش البلاد وإيصالها إلى الازدهار<sup>(١)</sup>».

سوكلوف، وهو من متقدمى الحركة الصهيونية، وأحد النفر الذين قاموا بعبئها منذ العقود الأخيرة من القرن الماضى، يمشى مع هرتزل واحدا عام وويزمن وأوسيشكين وروتمبرغ وجابوتسكى وأضرابهم أصحاب المقادة. هو من وارسو قاعدة بولونيا التى استولت عليها روسيا منذ ١٨١٥ أثر الحروب النابليونية. وقبض لبولونيا أن تكون أكبر عرش زاخر باليهودية والصهيونية وأما ويزمن فهو من مدينة موتول من أعمال إقليم منسك، للشرق بالشمال من وارسو، وإقليم منسك كان من روسيا الغربية المسماة بروسيا البيضاء. سوكلوف صحافى صهيونى منذ أواخر القرن قبل الماضى، وكان يُعدُّ أول صحافى حديث لم تعرف اليهودية الصهيونية صحافياً آخر أعلى كعباً منه. وكانت مجلته هازفيراً تماثل المجلات الأوروبية مستوى وفناً، كما يقول ويزمن. وهو واضع كتاب تاريخ الصهيونية أواخر الحرب الأولى وكتب مقدمته ويزمن. وسنة ١٩١٤ انتقل سوكلوف إلى لندن، وانضم إلى زملائه هناك، وكان من أكبرهم مكانة عند الصهيونيين، وأعلمهم فى سبيل وعد بلفور، ويقول كريستوفر سايكس بن مارك سايكس إن سوكلوف لو كان فى لندن من أول الشوط لكان هو أولى من ويزمن بأن يكون زعيم الحركة، إذ كان هناك الثان على هذا المستوى لهما أن يناقسا ويزمن على تولى الزعامة، سوكلوف والدكتور غاستر زعيم اليهود السفارديم فى بريطانيا<sup>(٢)</sup>.

(١) نفييل بارير، كتابه Nisi Dominus ص ٢٠٤ طبعة ١٩٤٦.

(٢) أى لو كان سوكلوف يقيم فى لندن إقامة مضامية لمدة ويزمن، ويزمن فى لندن منذ ١٩٠٥.

ولما كانت المفاوضات تجري في لندن حول مصير الصهيونية، كان سوكلوف هو العضو الوحيد الموجود في لندن من أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية، ويزمن لم يكن وقتئذ إلا عضواً في اللجنة العاملة التابعة للمنظمة، غير أن ويزمن، لما ركب السرج، عرف كيف يحافظ عليه، إذ هو ابرعهم في الأخذ والعطاء مع الإنجليز وأوسع زعماء الصهيونية حيلة، وأضبطهم مزاجاً، وأكثرهم استعداداً لهذا من وجوه جمه.

ولما صدر وعد بلفور وتم أمره بين بريطانيا والصهيونيين، كُتِم أمره نحو سنة أو أكثر، حتى أعلن بكتاب بلفور إلى روتشلد في ٢ نوفمبر ١٩١٧. وكان وُضِع فلسطين قبل وعد بلفور وحسب الاتفاقات السرية بين الحلفاء، أن تكون دولية، ولم يُعَيَّن لها وضع مفصل بعد، فتعین على الصهيونيين أن يتغلبوا على صمويتين: أن يخرجوا فلسطين من مخطط الدولية إلى وضع لم يقرر شكله، وإنما اقترح الصهيونيون وآثروا أن يكون ذلك من نوع الكومونولث. والصعوبة الثانية أن توافق فرنسا وإيطاليا على ذلك من الناحيتين، الإخراج من الدولية والموافقة على أن ينشأ وطن قومي لليهود، وهذه أهم قضية عند الصهيونيين، بعد الحصول على الوعد. فتدبوا سوكلوف للقيام بهذه المهمة. فجاء باريز ثم روما واستطاع بمساعدة مارك سايكس أن ينال مراده. ثم لما جاء مؤتمر الصلح في باريز أوائل ١٩١٩ كان سوكلوف أحد الصهيونيين الخمسة الذين يتألف منهم الوفد الصهيوني وهؤلاء حضروا أمام المؤتمر الذي كان مؤلفاً ممن كان يعبر عنهم بالمشرة الكبار يمثلون أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا<sup>(١)</sup>، وقدم الوفد الصهيوني مذكرته التي يطلب فيها إنشاء وطن قومي في فلسطين بحدود واسعة، وهي التي ذكرها لويد جورج في مذكراته ومنه عرفت لا من غيره. وكان هذا الوفد مؤلفاً من خمسة وهم:

يزمن، وسوكلوف، وأوسيشكين. ويهوديان فرنسيان اندره سبير Andre Spire وسيلفان ليفي (لاوي) وهذا الأخير برز معارضاً الفكرة من وجهة فرنسية وسنذكر هذا قريباً.

وكان هؤلاء الخمسة مع أشخاص آخرين من كبارهم، وعلى رأس الجميع هربرت صموئيل، قد اشتركوا في إعداد المذكرة الصهيونية الخطيرة. واقتسم أعضاء الوفد مناحي الكلام، فأخذ كل واحد منهم منحي، فكان سوكلوف مختصاً بالصلة بين اليهود وفلسطين تاريخياً، وجعلوا هذا الحيز فاتحة الكلام في خطبهم، لدى مؤتمر الصلح، لتظهر منه صورة لقضيتهم بادية لوحة واحدة في إطار واحد. وتكلموا بثلاث لغات: الفرنسية والإنجليزية والعبرية. نعم، كانت العبرية لسان أحد خطبائهم: أوسيشكين.

لا يخفى علينا أن مساق الكلام هنا يدور على سوكلوف، كما دار في الصفحات

(١) كانوا هكذا: لنستنج وهويت (أمريكا). لويد جورج ولفور (بريطانيا). كليمنصو وآخر هو بيشون أونارديو (فرنسا) بارون سونينو وآخر (إيطاليا) مع آخرين لتمام المشرة.

السابقة، على أوسيشكين، غير أننا نجد هنا الموضوع المناسب لذكر ما يتعلق بمذكرة فيصل بن الحسين إلى المؤتمر، وقد أتينا على ذكرها مرة سابقة. وما نود تناوله الآن أن فيصلاً، ويحتاطه لورانس، هيئاً كلاهما المذكرة المختصة بقضية العرب، بل كان لورانس له الرأي والقول في تحديد نقاطها ونطاقها، وتعيين ما هو محلل وما هو محرم ذكره.

ولنذهب إلى نقطة البيكار توأ: فإن المذكرة لم يستد فيصل فيها على ما بيد والده من عهد رسمية من الحكومة البريطانية، فضلاً عن استناده على الثورة والدماء، وحق الحياة الاستقلالية للعرب. وما السبب في هذا؟ إن تعليمات الحسين لفیصل كانت تحول دون ذلك. والحسين الآن هو ملك الحجاز المعترف به دولياً. لما أنفذ الحسين ابنه فيصل على رأس وفد عربي إلى مؤتمر الصلح كان اسم الوفد الحجازي إلى مؤتمر الصلح، وفيصل وقتئذ أمير سوريا، ومرجعه اللبني، القائد المام للحملة المصرية - هكذا كان اسم الجيش الذي عمل في فلسطين وسوريا إلى نهاية ١٩١٨ في قتال الترك والألمان حتى جلا العثمانيون عن جميع البلدان العربية.

ومعنى ما رآه الحسين، ونفذه فيصل، وحول فيصل لورانس، فإن قضية العرب لم توضع على صعيد دولي كما هي مهياة لذلك. وسبب هذا أن الحسين - وهذا عند الناس معرفته مستفيضة - رأى، ورأيه لا يناقش ولا يقبل الحسين أن يناقش به - أن يمضى الشوط حاصراً اعتماداً على بريطانيا وواضعاً فيها كل ثقتة. فكان يمتد الحسين أن بريطانيا دولة عظيمة ترعى الشرف وتحفظ العهد فالخفة والضائلة، وطى اليهود، كان كل هذا في مذكرة فيصل، وأحكام الزور والتزييف للتاريخ والدعاوى الباطلة، كل هذا كان في الوفد اليهودي. فالحق سكت وصمت، ونطق الباطل. فتأمر على قضية العرب لدى مؤتمر الصلح عنصران:

الأول: أصابع اليهودية العالمية الخفية.

الثاني: لورانس من حول فيصل، وهذان العنصران في الخارج.

وأما العنصر الثالث: فهو عقلية الحسين بن علي، وطريقة تقييمه لشرف بريطانيا الوهمي، وقلة خبرته بالسياسة الدولية، ثم اضطرار فيصل وقتئذ ليكون طوع أبيه مراعيّاً تعليماته. وهذا العنصر الثالث في الداخل. وهذا من عجائب الزمن في الدروس للأمة العربية.

أما الوفد اليهودي فتقدم إلى المؤتمر بباطل دعواه المتعلقة بفلسطين ووراء اليهودية العالمية، الظاهر والخفي.

فانظروا قام حول الدكتور ويلسون، ولويد جورج، ويلفور، النفر المختار من العملاء الصهيونيين، والظاهر من هؤلاء النفر وقتئذ هم الذين عرف أنهم تولوا فيما بينهم إعداد

المذكرة اليهودية تحت هيمنة هريرت صموئيل الذي جاء أول مندوب سام على فلسطين سنة ١٩٢٠ بعد انطواء بساط الحكومة العسكرية. فإن اللغة العبرية كانت لسان أحد المتكلمين اليهود، واللغة العبرية وقتها ليست لغة يفهما أحد من الناس إلا بعض حاخامى اليهود وعلماء اللغات السامية، ولا تسمع إلا فى كنيس اليهود فى بعض الصلوات، وليس لها صحف، ولا كتب، ولا معجم، وعلى الجملة كانت رميمياً ورطانةً غريبة عن الأذان والأسماع، وقصد الوفد اليهودى من جل أحد خطبائهم يتكلم العبرية التى لا يفهما أحد فى المؤتمر حتى ولا اليهود أنفسهم، أن يخلق هيبة لها فيعرف العالم ويسمع بأن هناك لغة عبرية تكلم بها خطيب يهودى فى مؤتمر الصلح، وهذا كله وهى لم تخلق بعد حتى فى فلسطين ما عدا استعمالها بين فريق من اليهود فى البيوت. ولغة اليهود الاشكناز هى «اليديش، الخليط».

شئ آخر: يقول ويزمن: «إننا أجمعنا على طلب الوطن القومى لا استناداً على ماذا؟ على وعد بلفور الباطل واقعياً ودولياً؟ على دعوى أن اليهود كانوا فى فلسطين منذ ألفى سنة؟ كل هذا كلام فارغ المعنى يتسلح به الوفد اليهودى. فوعد بلفور قصاصة ورق بالقياس إلى عهد بريطانيا إلى الحسين وهذه العهد بقيت تدور المفاوضات حولها أكثر من سنة حتى انتهت إلى ما انتهت إليه. ومذكرة فيصل تسكت عن هذا مسرحية يجللها الخجل من جميع جوانبها، وفائدتها الوحيدة إنها تعطى العبرة لمن يريد أن يعتبر من العرب فى هذا الجيل والأجيال القادمة، للأمم طفولة، ونشأة، وترعرع، وشباب، والرجولة بعد هذه الأدوار».

\*\*\*

نعود إلى سوكلوف ويزمن: إن العضو الخامس اليهودى الفرنسى كان سيلفان ليفى Sylvan Levy، فهذا لما خَرَجَ الوفد اليهودى من قاعة مؤتمر الصلح حوالى الخامسة بعد الظهر قال له سوكلوف: إنك قد خنتنا شر خيانة<sup>(١)</sup> ولماذا قال له هذا؟ لأن ليفى هذا لم يعتقد بالصهيونية أنها حركة صحيحة، فوضعها فى خطبته على صعيد واقعى علمى، وحللها، ثم انتهى إلى ما يفيد إبطالها، مصرحاً فى خطبته بأنه يزن الحركة من وجهة النظر الفرنسية. وما هى نقاطه؟.

نقاطه نعلمها من ويزمن. ويزمن أوردنا فى مذكراته مضطراً لا مختاراً، فلو لم يذكرها، فهى عند غيره من الكتاب الأوروبيين والأميركان الذين كتبوا عن مؤتمر الصلح الوثائق والرفائق. فإذا خَلَّتْ مذكراته من هذه النقطة أوقع نفسه فى إنكار ما لا سبيل له إلى إنكاره. والعرب لم يعنوا بعد بدراسة الصهيونية دراسة وافية، ولم تبلغ الأفاق الفكرية العربية هذه

(١) الصهيونيون يستعملون «الخيابة» فى مواضع بيبيكولوجية خاصة، ألم يدفعوا بامراة فى المؤتمر سنة ١٩٠٣ برياسة مرتزل لتقول له «يا خائن!» وقد مر ذكر هذا؟

التفاصيل المليئة بالعبرة، إلا نتقاً متساقطة في مفارض شتى.

قال ويزمن إن ليفى لما بدأ خطبته، بدأ بداية حسنة حتى علا وسيح وحلق. هذا هو القسم الأول. أما القسم الثاني فانخفض فيه إلى القعر. وكان عند ليفى ثلاث نقاط، جعلها كل صيده في جوف الفرا.

الأولى، هي الإطراء، والمدح. فقد أجمل أوليات الصهيونية وإنشاء المستعمرات في فلسطين تعيش على الصدقات من الخارج، وارتاح إلى جهود اليهود لإحياء العبرية، وامتدح بصورة خاصة عمل عشاق صهيون وبيت روتشيلد، وعمل الأليانس الثقافي. والنقطة الثانية أنه أثنى على الجهود الصهيونية من حيث هي - كما يقول ويزمن - من الناحية المعنوية الأدبية. وإنما قال المعنوية الأدبية، ليستثنى السياسة كما سيجئ في النقطة الثالثة، وأتم ليفى الكلام على النقطة الثانية بتسليمه أن جماهير اليهود تتجه إلى فلسطين روحياً.

#### النقطة الثالثة،

١ - فلسطين بلد صغير، ضيق الرقعة.

٢ - يسكنها ٦٠٠ ألف عربي.

٣ - ينتظر أن يكون مستوى المعيشة عند انيهود أرقى منه عند العرب، ويحكم الطبيعة سيفزو اليهود العرب بالوسائل الاقتصادية غزواً ملامشياً تدريجياً حتى بالتالي يحل اليهود محل العرب.

٤ - اليهود الذين سيذهبون إلى فلسطين سيكونون بكثرتهم من يهود روسيا وهؤلاء هم مادة متفجرة Explosive.

٥ - إنشاء الوطن القومي في فلسطين يسبب سابقة خطيرة، وهي ازدواجية الولاء والحقوق اليهودية في الخارج، وهذا مهم في نظر فرنسا في شرقي البحر المتوسط.

ولا نعلم المزيد مما قاله ليفى، غير هذا. وهو بصفته اليهودية قد جمع بين عقله ودينه وعاطفته في آرائه هذه. والقارئ العربي اليوم، المؤمن بالتاريخ المرير والأمة العربية إيماناً صحيحاً، يستطيع أن يكمل أقسام النقطة الثالثة، بعد أن يذكر أن الحراب البريطانية حكمت فلسطين ٢٠ سنة حكماً محولاً للبلاد التي ما يشتهي البرنامج الصهيوني، وللإهودية العالمية، وحكماء صهيون، ثم كانت أيام ١٥ / ٥ / ٤٨ المخجلة للعرب المعاصرين لها، ثم نحن اليوم في سنة ١٩٦٦ وعرب فلسطين كاد ينقضى ويُطوى الجيل الذي تحمّل المباحض تعمل في لحمه وعروقه، ونشأ جيل عربي جديد خارج فلسطين مشتمت في المخيمات، لكنه بدأ يستيقظ على تاريخه وأمته بعد ظهور منظمة التحرير الفلسطينية مدعومة من جامعة الدول العربية في مؤتمر القمة. أما آراء ليفى من حيث هي فلا غبار عليها.



وتكملة ما قال ليفي الفرنسي سنة ١٩١٩:

- ١ - نهاية الصهيونية، مهما امتدت التجربة المريرة، مغلقة بأزمى ضروب الدعايات المضللة، هي إلى البوار المحتم، والجفاف، حتى الاختناق.
- ٢ - ذلك لأن الأمة العربية بيدها أن توصل الصهيونية إلى تلك النهاية.
- ٣ - حركة الأمة العربية في النمو والتقوى، تؤيدها النواميس الطبيعية في آسيا وأفريقيا، ويوجه النواميس الطبيعية لا يستطيع أحد أن يقف حاجزاً معارضاً، إلا إذا كان هذا الحاجز المعارض أقوى من تلك النواميس وهذا محال...
- ٤ - هذه النواميس الطبيعية التي تدفع بالأمة العربية إلى النمو، هي نفسها تتكرر على الصهيونية مجال البقاء والحياة إذا لم تكن صحيحة الأساس، فتبيس وتجف، وتقتلع وتجرف.
- ٥ - حركة الزمن تماشى حركة التنمى والتقوى في الأمة العربية، في جميع أجهزتها العضوية، والرصيد البات الذي تنتقل به من كل معضلة تعترض سيرها في مرحلة، إلى مرحلة أخرى، أوفر وأعظم بكثير من الألم الذي تحدثه تلك المعضلة.
- ٦ - القوة النفسية في الجيل العربي الجديد، محتوم عليها أن تقابل عنصر التجمع والافتحام من الناحية الصهيونية، مقابلة يكون فيها فصل الخطاب.
- ٧ - لا يستطيع أحد أن يعين مقياساً لبلوغ النتائج، والمقاييس التي لدينا اليوم، مهما اسعفتنا في التقدير، فإننا نظل بها على عجز في تعيين الميقات، غير أن هناك شيئاً عظيم الخطر، وهو أن نؤمن أننا كلما أتقنا بعقولنا فهم عمل النواميس الطبيعية، وساعدنا أنفسنا في إدراك المحجة.

\*\*\*

وهذه شذرات تكمل قصة سوكلوف على العربي أن يطلع عليها:

- ١ - قال هيربرت صموئيل: سوكلوف كان في لندن يمين ويزمن. كلاهما لسان الصهيونية. ومر بنا قريباً أن سوكلوف لو كان في لندن الوقت الذي كانه ويزمن لكان هو أولى بالزعامة الصهيونية من ويزمن. وبقيا معاً حتى النهاية.
- ٢ - أعظم خدمة من سوكلوف للصهيونية بعد عمله السياسي، وضعه تاريخها آخر الحرب الأولى.
- ٣ - أول الحرب وحتى لسنة أو أكثر لوقوعها، كان يخشى سوكلوف أن تتصدر المانيا فاقتعه ويزمن أنهما مع الحصان الفائز في الحلبة.
- ٤ - الوفد الصهيوني إلى مؤتمر الصلح، جفله المتكلم الأول.

٥ - بعد أن ارفضت جلسة مؤتمر الصلح وخرج الناس، سأل الممثل الأمريكي لنسنغ، ويزمن: إنك قد طلبت وطناً قومياً يهودياً في فلسطين، فماذا تعنى بالوطن القومي؟ فأجاب ويزمن: «إنى أعنى خلق إدارة تابعة من أحوال البلاد الطبيعية - ودائماً مع المحافظة على مصالح غير اليهود - حتى مع اطراد الهجرة تصبح فلسطين يهودية كما هي إنجلترا إنجليزية، ثم سأله ويزمن: أهذا واضح؟ فقال لنسنغ: بالتأكيد.

أرايت تلاعباً أكثر من جهة ويزمن، وكلمة أشد غرابة من «بالتأكيد» يقولها لنسنغ؟ ثم قال ويزمن بوسعنا أن نعمل في فلسطين ما عمله الفرنسيون في تونس، وسنغمز فلسطين بالمال اليهودى، والإدارة اليهودية والمزم اليهودى والحماسة اليهودية.

٦ - قال ويزمن: كان الإنجليز يحترمون سوكلوف لعلمه ومكانته، ولكنه هو لم يكن منسجماً معهم دائماً.

٧ - لما كان ويزمن لم يزل طالباً يدرس في برلين كان سوكلوف في تألقه الصحافى الصهيونى في وارسو. ويقول كريستوفر سايكس أن سوكلوف كان وجه الثقافة اليهودية منذ العقود الأخيرة من القرن الماضى.

٨ - ويزمن هو الذى أدخل بلفور في الصهيونية. ومارك سايكس أدخله الحاخام الدكتور غاستر. وسوكلوف أدخل جورج بيكو ممثل فرنسا، ولويد جورج لم يدخله أحد وإنما أعطى وجارى، حتى يستخلص فلسطين من فرنسا، ولم يكن للعرب وزن يذكر في نظره.

٩ - لسوكلوف استعداد كبير لتعلم اللغات خاصة، والاستبحار في العلوم. وتمتد مجلته هازافيرا لسان النهضة الثقافية العبرية.

١٠ - «كان بيته في وارسو، كما يقول ويزمن، أشبه بمحطة قطار حديدي، غاصاً بالرائح والغادى في أى وقت. غير أن بيته فوضى في ترتيب أثاثه وماعونه. والزوار عنده، وإن لم يكن هو في البيت، أو كان مستغرقاً في مشاغل أخرى. ثم يطل فجأة بقميص النوم وبعد الظهر يخرج يومياً إلى مقهى يجلس فيه الساعات الطوال ومعه أوراقه، وقد يبقى حتى منتصف الليل، فيأوى إلى البيت وقد أعد مواد العدد. كان عنده لا أقل من ١٢ مقالاً مهيباً ما يكفى لعدة أيام. طاقته الكتابية غزيرة، وموضوعاته متنوعة، وأساليبه تختلف تبعاً للموضوع. النقد الأدبى - المسرحيات. الأبحاث السياسية والفلسفية. الرواية المتسلسلة - وكانت زوجته معاوناً له في كل هذا، وهو كان لا يبالي بالأمر الإدارى والمالية في أعماله الصحافية، فكانت زوجته تقوم بكل هذا على خير وجه، بالإضافة إلى تدبير شؤون البيت، وكان له شطحات نسيان وذهول، فمرة تواعدنا معه على اللقاء عنده في المنزل لنبحث مشروع إنشاء الجامعة العبرية، فجننا ونحن على أحر من الجمر، فاستقبلنا ورحب بنا وأتحفنا بقداء لا نظير له، لكنه لم يذكر لنا

ولا كلمة تتعلق بما جئنا من أجله».

١١ - «كان لاتساع ذهنه وصدره، لا يرى بأساً أن يجمع بين طرفي الحبل، يرضى هذا ويرضى ذلك، ونحن وقتئذ شباب ننكر عليه هذا. فكانت مجلته هازفيرا للصهيونية على مطلق مدارها، وكانت ازرائيليتا الأخرى للاندماجين وكان يقول لا تخرب الدنيا إذا استمعت إلى وجهه نظر الفريق الآخر. فكان من طبعه التوفيق ما أمكن التوفيق». ويقول كريستوفر إن سوكولوف في المفاوضات كان يستقى من السكينة التي في داخل نفسه، طويل الأناة في الجدل، وتظهر حرارة إيمانه عندما تمس مبادئه القطعية التي يحملها. ونقول: إن القارئ سيمر بعد قليل بالحوار الذي وقع بين قداسة البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف سنة ١٩١٧ ويدرك بواطن اليهودية الكامنة في صدره.

١٢ - كان يتبرم بالشباب لأنهم وثابون قفازون في رأيه، وهو يؤثر الروية ولا يستحسن الطفرة، وأحياناً يقول إنهم مجانيين.

١٢ - وأما قوته النفسية على ضبط مشاعره - هذا كله يقوله ويزمن - فحدث عنها ولا حرج. يقول ويزمن أيضاً أنه من المصادفة كان عنده في مكتب هازافيرا لما أخذت البرقيات تفاجئه بمذبحة اليهود في ميشيناف سنة ١٩٠٢ وهي تنقل الأنباء المقيمة المعقدة، فبقى هادئاً، ولم يكن هذوؤه ناشئاً عن قلة شعور بل لشدة ما يعلم من أمر هذه النكبات في حياته.

### ٣٣ - فنحاس روتنبرغ

يهودى روسى، ثورى، عنيف الإرادة. كان فى روسيا يظهر ويختفى من قطر إلى قطر ويولد إلى بلد، دون أن تكشفه الميون. القتل والهدم والقتل والنسف والإبادة مشتقى صناعته، لما كان فى روسيا يعمل مع اسكندر كيرنسكى ١٩١٧ فى الانقلاب الروسى. تلمودى من طراز فريد، وروح التلمود، مستولية عليه. فى أول أمره ما كان يعرف من العبرية شيئاً. القسم الأول من حياته إلى نهاية الحرب الأولى، غامض، إلا ما عرفناه من أمره عن طريق ستورس. بعد الحرب الأولى وخرج من روسيا استقر فى فلسطين ودأب فى العمل ومن ورائه الصهيونية، لانشاء المشروع الكهربائى الكبير المعروف فى فلسطين إلى ١٩٤٨ باسم مشروع روتنبرغ، ففرغ هذا المشروع الحيوى باسمه الشخصى أكثر مما عرف باسم الشركة وهى شركة الكهرباء الفلسطينية، وبلغ رأس مالها ثلاثة ملايين جنيه فلسطينى، كما يقول هربرت صموئيل، وقد صار صموئيل بعد سنة ١٩٣٦ رئيس مجلس إدارتها فى لندن، خلفاً للرئيس السابق اليهودى لورد ريدنج الذى كان من قبل حاكم الهند ونائب الملك. وهكذا كان هربرت صموئيل اليهودى المندوب السامى البريطانى على فلسطين، بل كان أول مندوب ابتداء من ١٩٢٠، جاء وفى جيبه رسالة ملكية إلى أهل فلسطين من الملك جورج الخامس بأن فلسطين ستعم بالخير والصلاح، فى ظل العلم البريطانى، وكان هربرت صموئيل فى الواقع قد اختاره اليهود اختياراً، ليكون فى نظر الحكومة البريطانية من الناحية الرسمية مندوباً سامياً ونائب ملك فى فلسطين، ومن الناحية اليهودية الصهيونية أمير إسرائيل الأول وعزرا الثانى بعد السبى البابلى، حكماء صهيون لهم وجهان، الظاهر والخفى، فهم حكام، سياسة، أرباب مؤامرات، رؤساء شركات، وغير ذلك.

القسم الثانى من حياة روتنبرغ قضاء فى فلسطين حتى مماته سنة ١٩٤١. ولم تقع على تاريخ مولده، لكن الرجل على كل حال من أتراب رجال القافلة الصهيونية الأولى، الذين نشأوا فى الربع الأخير من القرن قبل الماضى وجمعتهم للرابطة الصهيونية بعد ظهور هرتزل ثم الحصول على وعد بلفور. وما عدا هرتزل نفسه، وهو يهودى نمساوى الموطن، فكل هؤلاء الذين تناولنا نواحى من أخبارهم هم من يهود روسيا المعروفين بالأشكناز، أى يهود أواسط أوروبا وشرقيها وبعض جنوبيها، ويقابل هؤلاء الفريق اليهودى الشرقى والإسباني الأصل المعروف بالسفرديم.

ويهمنا أن نقف على خصائص حياة روتنبرغ باعتباره من أركان الصهيونية العاملة،

وسيشمل ذلك مراحل حياته كلها على الجملة. فهو من تلامذة أحدها عام وحملة عقيدة التجمع والاقترام. ونقطة واحدة نحب أن نخترنها في ذهن القارئ، وهي أن روتبرغ بعد أن استقر في فلسطين بعد الحرب، عجز عن مباشرة العمل الثوري في فلسطين على الطريقة التي كان يألّفها في روسيا، وارتضى بما تيسر من عمل من وراء ستار، حتى إذا استفرقه العمل في المشروع الكهربائي، انقطع إليه وألقى فيه كل ثقله. هذا هو ظاهره المعلوم بعد ١٩٢٢ وبقي القسم الخفى منه رهن الاكتشاف والدراسة.

\*\*\*

هذه صفته: محبوبك الخلق والخلق معاً. ممتلئ البنية: رأسه بين كتفيه أصلب من الفرانيت، كما يقول فيه رونالد ستورس حاكم القدس إلى ١٩٢٦ وصاحب كتاب المذكرات المعروفة بالمشرفيات. وستورس هذا، يعد كاتباً نفيساً، وهو متعمق جداً في الأدب الإنجليزي الكلاسيكي حتى جذوره الإغريقية واللاتينية، وهو أستاذ لورانس أو من أساتذته في مصر، وستورس جاء مصر سنة ١٩٠٥ وبقي فيها بقاءً مطرداً حتى الحرب الأولى، ثم كان من رجال الدائرة البريطانية التي نظمت أمور الثورة مع الحسين بن علي في الحجاز، وبعد احتلال فلسطين جامها وكان ضابطاً في الجيش، وكان حاكم القدس العسكري إلى ١٩٢٠ ثم تحول إلى حاكم القدس (مدنياً) وبقي إلى سنة ١٩٢٦ ثم نقل إلى قبرص حاكماً عليها.

وكان ستورس حاكم القدس، يمثل بأساليبه وطرقه طرازاً فريداً من الحكام الإنجليز في فلسطين الذين نشأوا على مذهب كرومر وغورست وكتشنر في مصر، وخلط ستورس في خبرته الشخصية بين الجد واللعب، والحكمة والحيلة، وسداد البرهان وفارغ الإيهام، فتراه في جلسة واحدة مع زائريه يعلو وينخفض، يحمى ويبرد، يعشق المظهر واللقب، يتقلب بين العرب واليهود في الظاهر وهو آلة من آلات التهويد في الواقع، وكان على الجملة وعلى كل حال من أبرز شخصيات الإنجليز في فلسطين حتى ١٩٢٦، وقد عرفناه معرفة تامة في جميع أطواره. وإنما استطردهنا إلى ستورس في هذا المجمل من الكلام، ونحن لسنا بصدد ترجمته في هذا الموضوع لتعلم القارئ أن يتابع ستورس في معلوماته عن خفايا اليهود عميقة غزيرة. فإذا قلنا الآن أن ستورس هو صاحب هذا القول أو الرواية، فكأننا عزونا ذلك إلى أحفل حاكم بريطاني بأخبار الصهيونية ورجالها.

ونذكر الآن صفات روتبرغ عن طريق ستورس.

وستورس يضع جابوتسكي وروتبرغ في قرن واحد، من حيث الوزن، والتطوح الذي عرفه فيهما، مع فرق كبير وهو أن روتبرغ بعد أن شرع يبنى مشروع الكهرباء اقتصر عليه، في الظاهر على الأقل، بينما بقي جابوتسكي يفتن ويرقص.

روتبيرغ كان لباسه اللون الأسود دائماً. إذا تكلم جرجر صوته بانخفاض حتى كأنه يهمس همساً. لصوته جرس يحمل رشاشاً من نقمة المتوعد، وهذا يتفجر من مكتون نفسه. منطبق الأمنان فإذا تكلم فكان كلماته تفر من بين شفثيه فرار الأسير من معتقله في أول الاحتلال وزمن الحكومة العسكرية (١٩١٧ - ١٩٢٠) وبداية تفطرس اليهود وتمرهم، حاول روتبيرغ وجابوتسكى معاً استعمال السلاح، واستملاء فعلاً إلى حد ما، والحاكم على القدس هو ستورس الذى يفيض علينا بهذه الأخبار. وبعد مشاورة كبار المسؤولين الإنجليز، قررت السلطة العسكرية أخذ السلاح منهما. وانظر. فبدلاً من أن يقبض عليهما فوراً، ويصادر السلاح ويحالا إلى المحاكمة، توجه ستورس إليهما بالطف وارق ما عرف من أمر في صيغة الرجاء أو رجاء في صيغة الأمر، فبلفهما: إما تسليم السلاح وإما أن يقبض عليكما! هما يهوديان! فسلما السلاح. ويمدئذ مشت صحبة ختل ومراوغة بين ستورس وروتبيرغ إلى آخر الشوط. قلنا إن ستورس يرى جابوتسكى وروتبيرغ كفتى ميزان، أما ويزمن فيرى روتبيرغ درجة وسطى بين جابوتسكى واحداها عام أو غنزيرغ.

ويؤخذ من كلام ويزمن أن روتبيرغ قديم العهد في صناعة الثورات، إذ اشترك في الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى حد لم يعرفه ويزمن والمدة التى انقضت من ١٩٠٥ إلى بداية الحرب العامة ١٩١٤ لا نعلم فيها من أمر روتبيرغ شيئاً. وبعد هذه السنوات التسع نرى روتبيرغ في لندن، ونسمع القصة من ويزمن فيقول أن روتبيرغ لما أتى لندن سنة ١٩١٤ لم يستطع ويزمن أن يعرفه من هو في أول لقاء. كان ويزمن يقيم في منشستر، وفي ليلة مظلمة، مظفأة أنوارها، ولا خدم في البيت إذ انصرفوا على موافقتهم، فُرع جرس الباب، ولما فُتَح ويزمن الباب فإذا بشيخ أمامه، شبه ملثم، مطوى بعضه على بعض، أخذ يتكلم بالروسية بصوت ضعيف، فلم يعرف ويزمن من هو هذا الرجل، ولم يتذكر ويزمن أن صورة هذا الرجل وقعت عينه عليها من قبل. فلما دخل الضيف البيت، دفع إلى ويزمن كتاب وصاة قرأه ويزمن فوجده أنه من مارسيل كاشان، الاشتراكى الفرنسى، فاطمان ويزمن لكنه بقى على حذر كما يقول، إذ كان ويزمن في اتجاهه السياسى مناهضاً لروسيا وقتئذ.

وأخذ روتبيرغ يفرغ من جمعته: الحال في روسيا، اليهود في روسيا، الجيش اليهودى الذى يقترح روتبيرغ إنشاءه، وأمثال هذه الموضوعات الشهية. يقول ويزمن أما حميته فأعجبنى، ومراميه ومطامحه كذلك. وفيه عبقرية، لكن آرائه المتعلقة بفلسطين سطحية من قلة الدراسة ونقطة خاصة لاحظها ويزمن: إن روتبيرغ يؤمن بأن بريطانيا وحلفاءها إلى النصر، وهو على نقيض ما كان يراه أوسيشكين. يقول ويزمن: وبينما نحن في الحديث فإذا به يقول إن وقته قد ضاق عليه، إذ لا بد له أن يكون في البيت في ساعة هذه الظلمة الحالكة

ليتسنى له المشاركة في الاحتفاء بعيد الفطير اليهودى. ففجبت منه - يقول ويزمن - وهو رجل لا يعرف إلا نفمة الثورة، بيالى هذه المبالاة بعيد الفطير. وتواعدا على اللقاء القريب في بيت أحدها عام، وذهب ويزمن على الموعد، لكنه ذهب مبكراً ليستطلع رأى أستاذه في الرجل، ويدرك ما يستطيع من كنه حقيقته. عند أحدها عام الخبر اليقين. فهو ملتقى الخيوط كلها من ظاهرة وخافية، من القاصى والدانى. لا يحدثنا ويزمن عما جرى عند أحدها عام من حديث حول النقاط العميقة. لكنه يقول إنه لما ازدادت ثقة بروتبيرغ، ومطامحه، جعل يتعاون معه، وهنا كان العمل كله منصباً على تأليف الكتيبة اليهودية، وهذا العمل يشترك فيه كل من ويزمن المقيم في لندن، وجابوتنسكى القادم من الإسكندرية، وروتبيرغ القادم من روسيا، والجامع لهم أحدها عام. ويقول ويزمن أن روتبيرغ مع عمله المجيد البارح في إنشاء الكتيبة، بقى في نظره أنه مع عبقريته يعجز عن الوصول إلى باطن البواطن وخافى الخوافى في المسائل البعيدة الغور. قلت: وهذا معناه أن روتبيرغ في نظر ويزمن لا يصل إلى الدقائق التي يريدها ويزمن.

\*\*\*

وكان ينتظر أن يظل روتبيرغ عاملاً في الناحية التي كان بسبيلها كما يقول ويزمن، فإذا به يختفى، ونقول أختفى دون علم أحدها عام ويزمن؟ وكان أحرى بويزمن أن يقول إن روتبيرغ فارقنا بعد حين على خطة، وإلى أين؟ إلى روسيا، حيث جعل يعمل مع كيرنسكى، وليس هذا وكفى. بل سمع عنه أنه كان حاكم بتروغراد سنة ١٩١٧ لمدة ما. ولما استوثق الأمر للبلاشفيك عاد روتبيرغ فاخفى وذاب، حتى نراه يظهر في أودسا يبذل جهده في مساعدة اليهود في الفرار والهرب. ثم عاد إلى لندن، ولا يعلم أنه عاد بعد هذه النوبة إلى روسيا.

هنا شيثان نسمع أحدهما من ويزمن إذ يقول: أن كيرنسكى لو بقى عهد ماشياً دون أن يطفى عليه البلاشفة، لما عاد روتبيرغ إلى الحياة اليهودية بحال. والآخر نسمعه من ستورس بعبارته التي تحمل في كثير من المواطن مسحة السخرية تنقط من أسلوبه الأدبى التعبيرى، والكلام هنا لستورس: يقول روتبيرغ في أحاديثه معى أنه ليس سياسى، ولا يعرف السياسة، وأنه لا يعرف من الدنيا شيئاً إلا العمل والإنشاء والبناء والعمارة هيه! هيه! روتبيرغ لا يعرف السياسة! وهو كان مع كيرنسكى قبل عهد السوفيات، ولما لاحت الفرصة لكيرنسكى فوراً أن يطيح بالرؤوس المناوئة. ولو فعل كيرنسكى هذا لساد روسيا شئ آخر، ربما غير الفوضى. ولنا أن نأخذ من عبارة ستورس هذه، المعنى الطبيعى في المخطط اليهودى وهو أن غاية روتبيرغ من الذهاب إلى روسيا والعمل مع كيرنسكى التهيؤ للعمل مع كيرنسكى للمصلحة اليهودية بحال استيلاء كيرنسكى على الموقف نهائياً استيلاء وطيداً ليس له منافس. كما أن الصهيونيين

كانوا في الوقت نفسه منبئين في البلاشفة بصيغة أخرى. حتى إذا غلب أحد الفريقين كانوا مع الفالب، ولا يصعب على اليهود الذين مع الفريق المغلوب أن يدبروا أمرهم، هذا إذا لم يكونوا هم سبب الهزيمة فتلتقى فصول الرواية في النهاية على مرادهم. أفيذهب روتبيرغ إلى روسيا القائمة القاعدة سنة ١٩١٧ من لندن، دون أن يكون ذلك على تدبير خطة مشتركة بينه وبين أحدهما عام وويزمن؟

ولعل ستورس يقصد بمبارته تلك أن يسود روسيا مخطط حكماء صهيون! وستورس لم يأخذ معلوماته هذه العميقة من ويزمن، بل على الراجح أنه أخذها من يناييمه التي وسائل أعلامها تدخل بين الكحل واليمين. ثم يقول ستورس: لو شاء روتبيرغ أن يستجلب إليه اليهود في فلسطين يوم محنة، لانضوا إليه دون غيره، ولاسيما العمال الذين كانوا مرتاحين إلى حسن معاملته لهم.

\*\*\*

ذكرنا في موضع سابق شيئاً حول المشروعين اليهوديين الكبيرين في فلسطين لسنة ١٩٤٨ وهما مشروع استثمار الاملاح الكيماوية المختلفة في البحر الميت ويسمى هذا المشروع عادة بمشروع البوتاش وهذه تسمية مضللة لتخفي وراءها الاملاح المهمة التي تدخل في الصناعات الحربية، ومشروع توليد الكهرباء في شمال فلسطين قرب طبرية. وفي حوادث ١٩٤٨ كان ينبغي للقوات العربية أن تدمر مشروع توليد الكهرباء إذ كله شرايين الحياة الصناعية والزراعية في فلسطين المحتلة، فهذا لم يقع، وما وقع هو عكس هذا، فبقى المشروع سليماً وفي مأمن. وكان من المصلحة فيما يتعلق بمشروع الاملاح في البحر الميت أن يستولى العرب على المشروع بجميع أجهزته الآلية والفنية، إذ هو واقع في منطقة عربية منيعة، ويكون بوسع العرب استثمار الاملاح، وهذا لم يقع بل كانت الخطة المدبرة الشريرة أن يُخرب المشروع فخرّب، فخسر العرب من ذلك خسارة كبيرة حتى اليوم، وهذه الخسارة ماضية ما بقي العرب على بُعد من الاستثمار الفعلي لأهم كنز من كنوز المعادن يقع في أراضيهم.

\*\*\*

ونود هنا أن نضيف إلى ما قلناه هناك، أشياء مهمة نأخذها من السيدة نيوتن. فهي تقول إن الصهيونيين لما شرعوا في بث الدعاية لهذا المشروع في بريطانيا، علقوا الصور الكبيرة في الأماكن العامة بلندن، بحيث يظهر في تلك الصور الجذابة المنظر، نهر الأردن من يناييمه عند بانياس والليطاني وغيرهما إلى البحر الميت، أنه في حوزة اليهود خالصاً كله لهم. وكان مخططهم الاستيلاء على يناييم الأردن كلها، لكن لما عُدلت الحدود بين فلسطين ولبنان، وسوريا، رأى اليهود أن يناييم قد أهلت من أيديهم.



واراد اليهود أن يظهروا جبروت نفوذهم عن طريق أخذ الامتياز دون علم العرب البتة، فآخذوا الامتياز لسبعين سنة (١٩٩٢) قابلاً للتجديد دون تغيير الشروط، والشروط لم يسبق لها مثيل في اتساع الصلاحية للاستملاك إنشاء السدود وشق القنوات والطرق والمابر وإقامة المحطات ونصب الأعمدة والأسلاك كما يشاؤون، ومعظم هذا بل كله في أرض العرب وأملاكهم وهذه هي الناحية الصناعية الاقتصادية. وهناك ناحية دينية تتعلق بالمسيحية، فطبريا ونهر الأردن من لأماكن المقدسة المسيحية، ويوسع الشركة صاحبة الامتياز، أن تستعمل كل هذا استعمالاً تمتهن به القدسية الدينية التي لها مكانتها في النصرانية منذ ألفى سنة.

لم ينته الكلام المؤلم على هذا الأمر بعد. ومن شروط الامتياز الطاغى، وهناك موقف العرب منه موقفاً اعتراضياً سلبياً، أنه لا يجوز توليد الكهرباء العامة في فلسطين إلى جانب هذا، إلا ما يريد صاحب بيت أن يضع لنفسه من جهاز توليد خاص لبيته، دون أن يستطيع أن يمد السلك إلى بيت أخيه وجاره ولو كانا متلاصقين.

وصمدت عدة مدن عربية على المقاطعة للمشروع، حتى سنة ١٩٤٨ ك نابلس والخليل وأما مدينة القدس نفسها فإنها مستثناة من امتياز روتبيرغ إذ كان امتياز إنشاء الكهرباء فيها قد ناله غير عربى وغير يهودى من الحكومة العثمانية سابقاً، ولم يستطع الصهيونيون تعطيله أو ابطاله، فسوى أمره تسوية أبقث القدس خارج نطاق امتياز روتبيرغ حتى ١٩٤٨، والشركة التي تولت بالتالى استثمار كهرباء القدس، إنجليزية.

وبعد أن اعتزل لورد ريدنغ العمل في الهند، حاكماً عاماً ونائباً عن الملك، وريدنغ من صميم اليهودية، صار هذا اللورد الذى كان حاكماً على شبه القارة الهندية بمئات ملايينها من السكان، رئيس مجلس الإدارة في شركة روتبيرغ في لندن إلى سنة ١٩٣٦. فلما مات، خلفه في هذه الرياسة هربرت صموئيل وبقي صموئيل يرعى هذه الشركة سنين طويلة. وأوائل سنة ١٩٤٨ والجو غداً مشحوناً بنذر الويل والخراب قبل «١٥ / ٥»، علم في فلسطين أن هربرت صموئيل جاء من لندن بمهمة اتخاذ التدابير لتجنيد مشروع الكهرباء عوامل التخريب، إذا وقع النزاع المسلح بين العرب واليهود، وقد كان له ذلك. وقد مضى الكلام على هذا.

ووجه الخطورة في أننا نرى عظماء اليهود المقدمين في صعيد اليهودية العالمية، يتأبون على الرياسة في هذه الشركة، هو ما يختزنه البحر الميت من المواد الكيماوية التي تدخل في الصناعات الحربية المختلفة، هذه صفحة من صفحات العمل الذى تظهر لنا منه ناحية، وتختفى منه النواحي الأخرى. فاليهودية العالمية وراء كل هذا، والبحر الميت معظمه الآن بيد العرب، ولا أملح منه البتة للعرب!

## ۳۴- بین البابویة ورؤوس الصهیونیة فی ثلاث مقابلات مهمة

قداسة البابا بیوس العاشر، قابله هرتزل ۱۹۰۲

قداسة البابا بندیکت الخامس عشر، قابله سوکولوف ۱۹۱۷

قداسة البابا بندیکت الخامس عشر، قابله ویزمن ۱۹۲۱

هذه ثلاث مقابلات خطيرة تكشف لنا عن كثير مما تبطن الصهيونية وتخفيه، وإذا أُحرِجَت بالسؤال، كما جرى بين البابا بیوس العاشر وهرتزل، لاذت بالروغان والإبهام. أما المقاتلتان الأوليان، فننقلهما من كتاب مریستوفر سايكس، وأما مقابلة ویزمن فننقلها من مذكراته.

وكلمة موجزة حول كتاب کریستوفر سايكس، وأبوه هو مارك سايكس، الذي عرفه العرب منذ الحرب العالمية الأولى واشتهر اسمه عن طريق المعاهدة المشؤومة المعروفة بمعاهدة سايكس - بيكو، ففي هذه المعاهدة التي جزأت الأقطار العربية التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية، وعقدت سنة ۱۹۱۵، كان سايكس يمثل الحكومة البريطانية، وجورج بيكو، يمثل الحكومة الفرنسية. وسنة ۱۹۵۲ وضع کریستوفر كتاباً ينطوي على دراستين لرجلين عنوانه Two Studien in Virtue.

وهاتان الدراستان في المناقب، إحداهما تتناول ريتشارد سيبثورب Richard Sibthorp أحد رجال الكنيسة في القرن الماضي، وشغلت دراسته من الكتاب نحو ثلث صفحاته، وتتناول الدراسة الأخرى، مارك سايكس، والد کریستوفر، في جهوده نحو الصهيونية، إذ هو كان قد اعتنق الصهيونية سنة ۱۹۱۵ اعتناقاً لم يدر به العرب، وكانت مساعيه من أقوى العوامل في حصول اليهود على وعد بلفور. وترك مارك سايكس وثائق وأوراقاً مختلفة مما يعد كله مصدراً مهماً في أخبار النشاط الصهيوني في لندن بعد ۱۹۱۴ حتى نهاية الحرب. وهذه الدراسة شغلت من الكتاب القسم الأكبر منه. وكثير مما ذكره کریستوفر في كتابه من أخبار أبيه، إنما هو الأخبار المدونة في الأوراق التي تركها أبوه. وكانت لأبيه آراء وملاحظات قيدها بوقتها. وإنما ألعنا إلى هذا هنا، لنقول إن ما انتهى إلينا من أخبار المقاتلتين الأوليين، بين البابا بیوس العاشر وهرتزل سنة ۱۵۹۲ وبين البابا بندیکت الخامس عشر وسوكولوف ۱۹۱۷، قد استقاه المؤلف من تلك الأوراق.

## بين البابا بيوس العاشر وهرتزل ١٩٠٣

قال كريستوفر (ص ١٥٦) إن آخر مقابلات هرتزل للملك أوروبا، مقابله لقداسة بيوس العاشر، وكانت هذه حرية بأن تسترعى الانتباه، وهذا قلما حصل، ثم يمضى المؤلف بوصف المقابلة مما نقله فقرة فقرة:

«المقابلة لم تكن منسجمة. فبعد تبادل عبارات المجاملات المعتادة، بدأ هرتزل الكلام فأخذ يصف مخططه الذى يرمى إلى أن تُمنَح الأماكن المقدسة وضماً خاصاً فوق العادة، وهذا الوضع يؤلف ناحية من مخطط صهيونى أوسع وأشمل، يراد به التخفيف من بلاء اليهود، قال هرتزل هذا دون أن يعرج بشئ على المصالح الدينية (أى المسيحية) فاستمع البابا إليه ببرود ثم أجابه: «هناك احتمالان اثنان: فإما أن اليهود يحتفظون بمعتقدهم القديم، ويظلون ينتظرون مجئ المسيح، الذى نعتقد نحن أنه قد جاء. وفى هذه الحالة يكون اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح، فلا يكون بوسعنا أن نمد إليهم يد المساعدة، وإما أنهم يريدون الذهاب إلى فلسطين، ولا دين لهم على الإطلاق، وهذا ادعى لنا لتكون أقل عطفاً عليهم. إن الدين اليهودى هو أساس ديننا، غير أن اليهودية قد حلت محلها المسيحية، ولهذا السبب لا يمكننا اليوم أن نعطي اليهود من المساعدة أكثر مما أعطيناهم من قبل<sup>(١)</sup>. ولما كان ينتظر أن يكون اليهود أول المستجيبين لدعوة يسوع المسيح فإنهم لم يفعلوا هذا حتى اليوم.

«فجهد هرتزل ما استطاع أن يرد على قداسة البابا، مستمناً بقوة بداهته، وهو الآن أخذه الامتعاض فأجاب بتأثر: لم تكن النكبة ولم يكن الاضطهاد يوماً، خير وسيلة لاقناع شعبنا، على ما اعتقد.»

(١) علق المؤلف كريستوفر على هذا بقوله إن المساعدة المعنية هى التى كانت فى زمن كاليكتوس الثانى، وغريغورى التاسع، وإينوسنت الرابع، وغوريفورى العاشر، ومارتن الرابع، وبولس الثالث، مما يتعلق «بسرقه الدم والخطف والقتل، لاستعمال دم الضحية فى الطقوس الدينية اليهودية.

قلت: إن قضية «سرقه الدم» هذه لم يبرأ منها اليهود فى الماضى والحاضر وحوادثها الثابتة بالتحقيق القانونى فى كل بلاد وقت فيها، عديدة. وأهم حادثة فى سوريا اشتهر أمرها، هى خطف الأب توما الراهب الكبوش فى دمشق، آخر أيام إبراهيم باشا ابن محمد على (١٨٤٠) وثبتت الجريمة على نحو عشرة من يهود دمشق، ولما صدرت الأحكام عليهم بالإعدام قامت قيامة اليهودية العالمية لتوسط لدى محمد على فى مصر حتى عفا عن الحكوميين. وتجد فى قضية «البادرى» أو الأب توما، المحسن، المداوى للفقراء مجاناً أغرب الخفايا اليهودية المتعلقة بسرقه الدم. وقد وردت صور أوراق التحقيق فى كتاب «الأصول العربية لتاريخ سوريا». وكان «مونتفيورى» الذى له ترجمة وافية فى هذا الكتاب، هو رسول اليهودية العالمية إلى محمد على يحمل فى جيبه من الملكة فكتوريا وصاة الكتب، ومن صناديق «حكماء صهيون» الذهب، ثم لا عجب!

«فاستثارت هذه العبارة من قداسة البابا حميته الحارة ليفند ما قاله هرتزل فأجابه: «إن سيدنا يسوع المسيح أتى ولا قوة مادية له. وكان فقيراً، وكان رسالة سلام. ولم يَضْطْهد أحداً وإنما هو نفسه اضْطْهد المضْطْهدون، وتخلّى عنه الناس حتى بعض تلاميذه. وما أخذ سلطانه يقوى إلا بعد انقضاء حياته على الأرض. بمد ذلك لا قبله. والكنيسة لم يتوطد سلطانها إلا بعد تأسيسها بثلاث مئة سنة. وفي خلال هذا الوقت كله كان الباب مفتوحاً لليهود أن يؤمنوا بلاهوت السيد المسيح لكنهم لم يؤمنوا ولا يؤمنون اليوم».

«ومع أن هرتزل كان يمقت الكتلكة أكثر من سائر بنى قومه اليهود في أيامه، فلم يكن له بد أن يتأثر بمبارات البابا وهي مجلوة بجلال البساطة والبراءة، كما دون هذا في مذكراته.

«وبعد امتداد الحديث فترة أخرى، حاول هرتزل لآخر مرة أن يحول مجرى الحديث من الدين إلى ناحية أخرى، مفيضاً بين يدي قداسة البابا في شرح ما يلقي اليهود من ضنك اجتماعى سياسى، حتى انتهى. ولدينا هنا الدليل الكافى على أن بيوس العاشر، وهو يعيش في جو إيطالى نقى، كما كان يعيش سلفه من قبل، كان قليل الاطلاع على ما بلغته اللاسامية من العنف في أواسط أوروبا وفرنسا وروسيا، وهو سبق له أن كان اسقفاً في منتوا Mentua تسع سنوات.... فرفض أن يخوض في تفاصيل مآسى اليهود في هذا العصر، وهرتزل على ما يبدو، وهذا ما يدعو للعجب، لم يحاول أن يقدم إلى البابا معلومات أوسع. ثم عاد البابا فكرر آراءه، وقال إن الكنيسة تصلى من أجل اليهود، وفي مثل هذا اليوم الذى نحن فيه (٢٥ يناير) أننا نحى ذكرى رجل كان غير مؤمن، فأشرق عليه النور وهو في طريقه إلى دمشق، فأمن بدين الحق بطريقة مدهشة. وغاية ما بوسعى أن أقوله لك أنكم أنتم اليهود إذا استطلعتم الاستيطان في فلسطين، فجل ما تقدر على مساعدتكم به هو الكنائس والقس لتعميدكم».

«ثم انتهت المقابلة بنكتة مرفهة. فدخل كونت لباى الذى على يديه رتبت المقابلة، ولعله استاء إذ رأى أنه هو كان السبب في تقديم رجل غير مسيحي إلى خليفة مار بطرس، وفي محاولته أن يلف الجو، فقال للبابا: أن هرتزل سبق له الشاء على السيد المسيح كثيراً وعلى شمائله. فأنصت هرتزل يستوعب ما يسمع، ثم كان بعدئذ مفتبطاً إذ يسمع البابا يجيب لباى مقاطعاً: كلا، كلا، فإنى على العكس، مرتاح إلى لقاء السنيور كومنداتور. ولما حان وقت الانصراف ركع لباى وقبل خاتم البابا. ومثل هذا لم يفعل هرتزل لما دخل، ومع أنه هو غير مسيحي، ولا يكون بتصرفه الذى كان منه خارجاً عن الرسم المتبع، فقد اعتقد أن قسوة البابا كان سببها أنه لم يقبل يده. ونحن نؤمن أن استنتاج هرتزل لا يتفق وكل ما نعلمه من دماثة الخلق في بيوس العاشر. غير أن هرتزل عجب مما رأى من مظهر الفبطة على وجه البابا، لما فعله لباى ولم يفعله هو. ودون هرتزل الخاتمة بقوله: أما أنا فصافحته مصافحة مع الانحاء».

انتهى كلام كريستوفر المؤلف.

## بين البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف ١٩١٧

لما قام هرتزل بمقابلة البابا سنة ١٩٠٣ على ما رأينا، كانت بريطانيا سنتخذ قد عرضت على هرتزل اقليماً واسعاً طيب الهواء والأرض في يوغندا، شرق أفريقيا، لينشئ اليهود لهم هناك وطناً قومياً، فلم يقبل يهود روسيا بذلك. وأصروا على فلسطين. ويعتبر قادة الحركة الصهيونية أن العشر سنوات التي انقضت من وقت موت هرتزل إلى أول الحرب العالمية الأولى، أشبه بالركود في اطراد النشاط. ومن الصعب تصديق قولهم هذا، فالنشاط الصهيوني السرى داخل المملكة العثمانية أواخر سنى عبد الحميد، وداخل جمعية تركيا الفتاة السرية، كان قوياً لكنه كان خفياً. وكذلك في فلسطين، إذ بدا نشاطهم على نطاق واسع في شراء الأراضي، وفي خلال هذه المدة كان فريق من قاداتهم في فلسطين يعملون في تدريب الشباب تحت أقمعة مختلفة ومن هؤلاء المدربين بن غوريون نفسه وقد جاء فلسطين ١٩٠٦. وقد مر بنا استشراف خطرهم في أنحاء الدولة العثمانية سنة ١٩١٣ لما نال اليهود ٤ حقائب وزارية نتيجة آخر انقلاب في الدولة ثم وقعت الحرب العامة سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٧ نالوا وعد بلفور.

«في هذه السنة ١٩١٧ جرت مقابلة سوكولوف للبابا بنديكت الخامس عشر، وقد كانت انتهت مفاوضات وعد بلفور إلى ما يريد اليهود، ولكن هذا لم يعلن بعد. والبابا الآن بنديكت الخامس عشر، وكان مارك سايكس قد سبق سوكولوف إلى روما، ورتب له أمر المقابلة بواسطة السفارة البريطانية، ومضى سايكس من هناك إلى القاهرة في مهمة سياسية عربية: حتى جاء سوكولوف روما بعد ثلاثة أسابيع (في ١٠ / ٥ / ١٩١٧) وتمت المقابلة. غير أن سايكس لم يكتف بترتيب أمر المقابلة، بل اتصل برجل كبير في الفاتيكان مقرب جداً من البابا ومسموع الكلمة عنده، هو المونسنيور باشيلي (بعدئذ البابا بيوس الثاني عشر) وكيل وزير الخارجية، فحادثه سايكس وبسط له العُقد المحيطة بقضية القدس من الحركة العربية، والأماكن المقدسة الإسلامية، والصهيونية، والمصالح الدينية المتضاربة بين اللاتين والارثوذكس، وهذا بالإضافة إلى مطامع الدول. ومع أن وكيل الوزير لم يُفخّص في الحديث كثيراً، غير أنه أبدى ملاحظته وهي أن وضع الأماكن المقدسة تحت رعاية بريطانية شئ لا يتنافى وسياسة الفاتيكان. وقال سايكس إنه لمح من كلام وكيل الوزير أن ذكر فرنسا في مجرى الحديث كأنه شئ لم يَسْتطِبه. وقال سايكس أيضاً إن الفرصة اتسعت له فمهد الطريق أمام الفكرة الصهيونية وبين لوكيل الوزير غاياتها، وقال له إن سوكولوف قادم إلى روما وهو يعطى المزيد وكل تفصيل. وقال سايكس أيضاً إن الفاتيكان لا ينتظر أن يكون متحمساً للفكرة الصهيونية، ولكن وكيل الوزير يسره أن يلقي سوكولوف على كل حال.

«وصل سوكلوف وقابل البابا على يد مونسينيور باشيلي. وكانت النتيجة كأن أثر المقابلة السابقة بين بيوس العاشر وهرتزل قد امحى، حتى بالتالى سأل البابا زائره: أترانى قد أدركت مقاصد الصهيونية إدراكاً وافياً؟ وما أعجب دورة الفلك - استمر كلام البابا - وعودة التاريخ إلى أن يعطى العبرة! فمنذ ١٩ قرناً قامت روما بتدمير بيت المقدس، والآن، أنتم تريدون إعادة بنائها، تجعلون طريقكم على روما!»

«فأجاب سوكلوف جواباً ضمنه الإشارة إلى مصير الإمبراطورية الرومانية وقابل بين ذلك ومصير اليهود الذين اتصل كياناتهم واطرد إلى اليوم وقال: فريق اضمحل واندثر، وفريق بقى حياً يطالب بأرض جدوده!»

«فقال البابا بحماسة: نعم، نعم، تلك هى ارادة الله. ثم سأل البابا هرتزل أن يبين له مقاصد الصهيونية بشئ من التفاصيل فأجاب سوكلوف: مخططنا مزدوج. فهو يرمى أولاً إلى إيجاد مركز روحى ثقافى لليهود فى فلسطين، وثانياً إلى إنشاء وطن قومى لليهود المضطهدين، ومرادنا أن نشيد فى هذه البلاد مركزاً عظيماً حيث يستطيع اليهود أن ينموا ثقافتهم بحرية، وأن يعلموا أولادهم المثل اليهودية وينشئوهم على الروح اليهودية، وأن يبذلوا غاية جهدهم فى أن يجعلوا وطنهم القومى مظهر المدنية اليهودية وآدابها.

«فبدا البابا عميق الوعى فقال: فكرة عظيمة! ثم أراد أن يعلم هل هذا المخطط قد اتخذ لغاية وقاية اليهود من الاضطهاد، فأجاب سوكلوف بأسلوب خطابى عاطفى الروح، على ما اتفق له من مؤاتاة البديهة، فأشار إلى حق اليهود «فى مكان تحت الشمس فى أرض آباءنا» ثم قال: «واننا نتطلع إلى أحياء اليهودية التاريخية، وتجديد الوطن روحياً ومادياً، تجديدات تمثل فيه مميزات القومية وتقاليد توراتنا فى انقى صورها. اننا نطالب بحق الحرية، الحرية التى لا تتكر على أى شعب».

فسأل البابا: «أهناك مجال من الأرض كاف فى فلسطين يتسع لمخططكم هذا؟»

فقال كريستوفر: «وفى الجواب على هذا السؤال الذى ما برح يطرح إلى ما بعد هذا التاريخ بثلاثين سنة، وعليه المدار فى المستقبل، قال سوكلوف بحذقٍ مَنْ يريد المراوغة: هناك إمكان الوصول إلى غرضنا، لكن علينا أن نمهد الطريق». ثم انتقل الحديث إلى عدد المستعمرات اليهودية فى فلسطين فى ذلك الوقت، وهو عدد قليل والسكان ١٢ ألفاً، وإلى الصعوبة المنتظر أن تكون من جراء الانتقال بالبلاد على يد الإنجليز من مستواها الحالى إلى مستوى حضارى يحل محل الحكم التركى. فأجاب البابا مقاطعاً: «إن بريطانيا الكبرى هى أكبر دولة استعمارية فى العالم ولا خبرة بعد خبرتها.

ثم انتقل الحديث إلى بحث المقاصد الصهيونية إزاء الأماكن المقدسة، لكن قبل هذا سأل

البابا سؤالاً يتعلق بأساس المشروع، وقد تجددت ملامح وجهه: اتوون أن يقيم في فلسطين عدد كبير من اليهود؟

وهنا، مرة ثانية، لاذ سوكولوف بالروغان مفرغاً جوابه في قالب مطاط براق، فقال: سنأتي بخير من عندنا، وبالذين أشدهم وقوعاً في الضيق، ثم انتقل بمجرى الكلام إلى حيز الأعمال الزراعية الكبيرة، وما صنع الرواد، ثم عطف من هناك على حالة اليهود في شرق أوروبا. قال كريستوفر: وآخر كلمات البابا في هذه المقابلة، جواباً على طلب سوكولوف المساعدة المعنوية، وهذا طالما رده الصهيونيون فيما بعد: نعم أعتقد أننا سنكون جيراناً جيّرة حسنة». وأحب كريستوفر أن يورد جواب البابا بلفظه الإيطالي، وهو هكذا:

«Si, Si, io credo che noi saremo buoni vicini»

وقال في الحاشية إن محتوى هذا الحديث بين البابا وسوكولوف اقتبس من تقرير وضعه ابن سوكولوف، مستر فلوريان سوكولوف، مستنداً فيه على الأوراق التي خلفها أبوه، ونشر هذا في مجلة صهيون في عدد يناير ١٩٥٠

\*\*\*

### بين البابا بنديكت الخامس عشر ويزمن ١٩٢١

إن التفصيل الذي ذكره ويزمن في كتابه لهذه المقابلة، ليس له مساق واضح، وإنك تشعر وأنت تقرّاه بأن الرجل يتوكأ على كثير من الترهيع المصحوب بروح الارتماض. ودوره سنة ١٩٢١، والوطن القومي شرع فيه، غير دور هرتزل ١٩٠٣ ودور سوكولوف ١٩١٧ بين يدي البابا. فهو لا يعطى القارئ كل ما في جمعبته حول الموضوع، فتراه بين أن يسوق نقطة وإن يجلوها، وأن يمستر منها ما ينبغي أن يكون متصلاً بها، طالماً نازلاً في كلامه، ولا يخفى علينا أن ويزمن لم يضع مذكراته للمغرب، بل لكل قارئ يعرف الإنجليزية فقصدته تمثيل قضية، وحكاية يهودية غامضة، وسرد قصة جذورها في الظلام. هذه الصفحة هي في اعتقادنا الصيغة الغالبة على كتابه التجريية والخطأ وقد صدر سنة ١٩٤٩ في طبعته الإنجليزية الأولى.

وهذه هي الأشياء المتقطعة التي نستطيع أن نجتمعها من أقوال ويزمن نعم منها انطباعاته عن مقابلة البابا سنة ١٩٢١:

١ - قال إن في سنة ١٩٢١ - ٢٢ أحتاج إلى كثرة السفر إلى أوروبا والتقل في عواصمها، والانتداب لم يتقرر بعد. وكانت هناك مسألة الفاتيكان وموقفه من اليهود أو الصهيونية بسبب الأماكن المقدسة، فأحب أن يقابل البابا ويحاول كشف القطاء، لأن بطريرك اللاتين في

القدس، مونسنيور بارلمسينا كان شديد العداء للصهيونية ولا يذكر ويزمن اسم قداسة البابا بيوس الحادى عشر فى غضون كلامه، ولمله من شدة الشعور المرتعض فى نفسه تفاقل عن التصريح باسم البابا.

٢ - قال: أن السنيور شانزير كان وزير الخارجية الإيطالية، وهو من تريستا، ويحتمل أن يكون من أصل يهودى. فوقع بينه وبين ويزمن حديث شائك حول الأماكن المقدسة، وألح عليه الوزير بأن يبذل جهده لحل المسألة حلاً قريباً يرضى الفاتيكان. فتصل ويزمن من المسؤولية لأن مرجع الأمور ليس هو بل حكومة فلسطين.

٢ - ثم تلقى دعوة ليزور الكاردينال غسبارى وزير الخارجية، فزاره فوجده محشواً حشواً بالأخبار المنقولة إليه من مونسنتور بارلمسينا، المخاصم للصهيونية، وذكر أنه ألقى محاضرة فى الكلية الرومانية، وعلقت على المحاضرة جريدة أوسرفاتور رومانو الناطقة بلسان الفاتيكان، وفى ثانى يوم اطلع فيها على خبر القائه المحاضرة ومما جاء فى هذا الخبر أن الدكتور ويزمن «بين فى محاضرتة أن المنظمة الصهيونية فى فلسطين لديها من الأراضي للاستثمار ما يكفيها عشر سنوات للمستقبل فهى لا تحتاج إلى أن تنتزع الأرض من العرب». فلما جاء لمقابلة الوزير فى صباح اليوم التالى بادره الوزير بقوله: كانت محاضرتك أمس حسنة يا دكتور ويزمن! فقال ويزمن: أتمنى محاضرتى فى الكلية الرومانية أم فى أوسرفاتور رومانو؟ وبعد المقدمات دخلا فى الحديث حول الأماكن المقدسة. وهنا جعل ويزمن كلامه ضرباً من المراوغة، ولما راح يصف للوزير ما تقوم به المنظمة الصهيونية من أعمال باهرة فى الزراعة وتجفيف المستنقعات والتشجير، والخدمات الطبية والتعليم، أجاب الوزير أن كل هذا حسن لا يخشى منه، وإنما ما يخشى منه هو الجامعة العبرية، على جبل الزيتون، وهنا أورد ويزمن أصل العبارة بالفرنسية.

«C'est votre universite que je crains»

ولا يعلق ويزمن على هذا بشئ.

٤ - ثم يذكر مَنْ قابل من رجال الدولة الإيطالية. ثم يصف حالة يهود إيطاليا وقال إنهم أقرب إلى الاندماج منهم إلى الصهيونية. لكن أخذوا بعد قليل يدخلون فى العقائد الصهيونية. انتهى ما لخصناه من مذكرات ويزمن التجرية والخطأ.

\*\*\*

ونتمم خبر الدكتور ويزمن، بخبر أخيه الذى هو أصغر منه سناً وكان يعمل فى دائرة الزراعة فى حكومة فلسطين، وعمله هنا ليس خدمة الحكومة ولا البلاد جملة، بل غايته كانت، كما هى أساليب المنظمة الصهيونية، أن يكون واقفاً على مخطط الحكومة زراعياً مما يتعلق بالعرب، فضعفها منها ما نستطيع بطرق غريبة الأساليب. ولا يتردد أى قارئ فى أن يصدق



هذا. فإذا تردد فترده سيزول عندما يقرأ البروتوكولات. تقول السيدة نيوتن، إنها كانت يوماً في بيتها وعندما ضيف عربي من أصدقائها مدعو للغداء وبينما هي والضيف وغير مدعويين على المائدة، جاءت الخادمة تملن دخول زائر، وكان هذا الزائر الطارئ وقت تناول الغداء، على غير موعد، وليس هذا الوقت وقت الزيارة، هو ويزمن الزراعي وكان يقيم في حيفا. وبهذا الأسلوب جاء مرة كلفرسكي لغرض التجسس فيما يتعلق بحادثة إطلاع السيدة نيوتن فريقاً من العرب على محتوى البروتوكولات وقد مضت الإشارة إلى هذا، وبعد الانتقال إلى الصالون وفي أثناء تناول القهوة، جرى حديث شائك بين ويزمن ونيوتن والضيوف، تناول طفيان الصهيونية في فلسطين، وهذا سنة ١٩٢٥، وستتذ افتتح اليهود الجامعة العبرية على جبل الزيتون، وهي الجامعة التي كان يخشاها وزير خارجية الفاتيكان، وذلك قبل افتتاح الجامعة بأربع سنين. فسألت السيدة نيوتن ويزمن الزراعي: قل لي، هل أنتم إذا بلغتكم مرادكم في فلسطين تريون أن تحولوا الهيكل (أى الحرم القدسي الشريف أولى القبليتين وثالث الحرمين) إلى ما كان عليه قبلاً، من طقوس يهودية متمزمتة، وعادات ورسوم وطرق؟ (وفي سؤالها هذا رمز إلى ما كان عليه الهيكل زمن السيد المسيح من الامتهان فلما دخله السيد طرد منه باعة الحمام والسيارة والمشتغلين بحقائر الأمور، وقلب الموائد والمقاعد وقال لليهود الذين وجدهم على هذه الصفة في الهيكل، بيتي مكتوب بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مفارة لصوص!).

فأجاب ويزمن الزراعي: كلا، فإننا قد وضعنا أسس بناء الجامعة العبرية على جبل الزيتون المطل على الهيكل، وفي هذه الأسس وضعنا ١٢ حجراً، بعدد أسباط بني إسرائيل، بحضور الجنرال النبي (الذي لما دخل القدس فاتحاً ١٩١٧ قال كثيرون في أوروبا: اليرم انتهت الحروب الصليبية! ثم قامت دولة الفاتح فحولت فلسطين إلى أصحاب المفارة بالأس!).

ويذكر الدكتور ويزمن في مذكراته أنه وإخوته وأفراد أسرته احتفوا بعيد ميلاد والدتهم في حيفا، وأشاعوا حولها جواً عائلياً بهيجاً، فإذا بها بدلاً من البشر والانطلاقة تبدو بوجه كتيب حزين، فسألها الدكتور ويزمن السبب في ما هي عليه من كآبة بادية على وجهها فقالت بعد أن تأوهت: لأنى يا حاييم لا أرى كل اليهود قد عادوا إلى فلسطين بعدنا قلنا: لن يعودوا!!

\*\*\*

ولابد للقارئ العربي أن يكون قد أخذ الدهش من جواب قداسة البابا لسوكولوف «أعتقد أننا سنكون جيراناً جيرة حسنة، وهذا الجواب كان سنة ١٩١٧، ولما أقيمت إسرائيل وتحكمت بالأقلية العربية الباقية في الأرض المحتلة، ونحن اليوم في سنة ١٩٦٦ علم العالم أى اضطهاد ينزله اليهود بالعرب مسلمين ومسيحيين، إلى هدم المساجد والكنائس مما وقائمه معروفة في العالم.. وغاية حكماء إسرائيل إلا يدعو مجالاً لدين غير دينهم فيما يسمى إسرائيل.

**نصوص بروتوكولات  
حكفاء صهيون**



## البروتوكول الأول

الحق للقوة . الحرية ، مجرد فكرة . الليبرالية . الذهب . الإيمان . الحكومة الذاتية . رأس المال وسلطته المطلقة . العدو الداخلي . الدهماء . الفوضى . التضاد بين السياسة والأخلاق . حق القوى . السلطة اليهودية الماسونية لا تُغلب . الغاية تبرر الوسيلة . الدهماء كالرجل الأعمى . الأبجدية السياسية . الانشقاق للحزبي . أفضل أنواع الحكم : السلطة المطلقة . المسكرات . التمسك بالقديم . الفساد . المبادئ والقواعد للحكومة اليهودية الماسونية . الارهاب . الحرية والعدالة والاخاء . مبادئ حكم السلالات الوراثية . نفس الامتيازات التي للطبقة الارستقراطية من الفوييم . الارستقراطية الجديدة (اليهودية) . الحالات النفسانية . المعنى المجرد لكلمة حرية . . السلطة الخفية التي تقصى ممثلى الشعب .

اننا نتناول كل فكرة على حدة، ونمحصها تمحيصا: بالمقارنة والاستنتاج، حتى تتبين لنا ماهيتها بذاتها، ونرى ما يلابسها ويحيط بها من حقائق. وأما أسلوب الكلام فتجرى عليه سهلا خاليا من زخرف الصناعة.

وما على أن أبدا بشرحه الآن، هو منهجنا في العمل، فأشرح ذلك من ناحيتين: وجهة نظرنا، ووجهة نظر الفوييم.

وأول ما يجب أن يلاحظ أن الناس على طبيعتين: الذين غرائزهم سقيمة، والذين غرائزهم سليمة، والأولون أكثر عدداً. ولهذه العلة، فخير النتائج التي يراد تحقيقها من التسلط على الفوييم بطريق الحكومة، إنما يكون بالعنف والإرهاب، لا بالمجادلات النظرية المجردة، إذ كل امرئ مشتته الوصول إلى امتلاك زمام السلطة، وكل فرد يريد لو أصبح دكتاتورا. وقليلون الذين لا يشتهون تضحية مصالح الجمهور من أجل منافعهم الخاصة.

ولعمري ما هي الروادع التي تكف الحيوانات المفترسة عن الوثوب، وهذه العجاووات ما هي إلا الفوييم؟ وما هو الأمر الذي قام فيهم حتى اليوم لضبط أحوالهم؟

أما بدايتهم، بداية تكوين المجتمع، فإنهم كانوا مأخوذين بالقهر من القوة الفاشمة العمياء ولهذه القوة كانوا خائعين، أما بعد ذلك، فسيطر عليهم القانون الموضوع، وهو القوة الفاشمة نفسها، ولكنه جاء بزى مختلف في المظهر لا غير. وأستنتج من هذا أنه بموجب ناموس الطبيعة، الحق للقوة.

الحرية السياسية إنما هي فكرة مجردة، ولا واقع حقيقي لها. ولهذه الفكرة، وهي الطمطم في الشُرك، على الواحد منا أن يعلم كيف يجب أن يطبقها، حيث تدعو الضرورة، لاستفواء الجماعات والجماهير إلى حزبه ابتغاء أن يقوم هذا الحزب فيسحق الحزب المناوئ له وهو الحزب الذي بيده الحكومة والسلطة.

وهذا العمل إنما يصبح أهون وأيسر، إذا الخصم المراد البطش به قد اخذته عَدَوَى فكرة الحرية المسماة باسم ليبرالية، وهذا الحزب مستعد من أجل ادراك هذه الفكرة المجردة، أن ينزل عن بعض سلطته. وهنا، جزماً، يكون مطلع انتصار فكرتنا. وتحصل حينئذ حلال اخرى: فما للحكومة من زمام، يكون قد استرخى واخذ بالانحلال فوراً، وهذا من عمل قانون الحياة، فتتمسك اليد الجديدة على الزمام وتجمع بعضه إلى بعض وتقيمه، لأن القوة العمياء في الأمة لا تقوى على البقاء يوماً واحداً دون أن يكون لها موئل يهيمن عليها بالضبط والإرشاد، ثم تمضى الحكومة الجديدة بالأمر، وجل ما تفعله إنها تحل محل الحكومة السابقة التي نهكتها فكرة الليبرالية حتى أودت بها.

هذا الطور كان فيما مضى. أما اليوم فالقوة التي نسخت قوة الحكام من انصار الليبرالية هي الذهب. ولكل زمان ايمان يصح بصحته. وفكرة الحرية مستحيلة التحقيق على الناس، فإنه ليس فيهم من يعرف كيف يستعملها بحكمة واناة. وانظروا في هذا، فإنكم إذا سلمتم شعباً الحكم الذاتي لوقت ما، فإنه لا يلبث أن تغشاه الفوضى، وتختل أموره، ومن هذه اللحظة فصاعداً يشتد التناحر بين الجماعات والجماهير حتى تقع المعارك بين الطبقات، وفي وسط هذا الاضطراب تحترق الحكومات، فإذا بها كومة رماد.

وهذه الحكومة مصيرها الاضمحلال، سواء عليها أذقت هي نفسها بالانتفاضات الأكلة بعضها بعض من داخل، أم جرّها هذا بالتالي إلى الوقوع في براثن عدو من خارج، فعلى الحاليتين تعتبر أنها أصيبت في مقاتلتها، ففدت أعجز من أن تقوى على النهوض لتقيل نفسها من عثرتها. فإذا بها في قبضة يدنا. وحينئذ تأتي سلطة رأس المال، وتكون جاهزة، فتمد هذه السلطة بطرف حبل خفي إلى تلك الحكومة الجديدة لتعلق به، طوعاً أم كرهاً، لحاجتها الماسة إليه، فإن تفعل هوت إلى القمر.

فإذا قال قائل من هواة الليبرالية إن هذا النهج المتقدم صورته، يتنافى وشرع الاخلاق، سألتناه: إذا كان لكل دولة عدوان، وجاز للدولة في مكافحة العدو الخارجي أن تستعمل كل وسيلة وطريقة وحيلة، دون أن يُعد عليها هذا أو ذاك أنه شيء لا تقره الأخلاق، كأن تعمى على العدو خطط الهجوم والدفاع، حتى لا يدرى منها شيئاً، وكأخذه بالمباغته ليلاً، أو بالانتفاض عليه بعدد ضخم من الجند لا قبل له به، أفلا يكون من باب أولى في مكافحة العدو الداخلي

الذى هو شرٌّ من ذلك، وهو العدو المخرب لكيان المجتمع ومصالح الجمهور، أن تستعمل هذه الوسائل للقضاء عليه؟ وكيف يبقى مساغ للقول أن هذا الأمر إذا جاز هناك فلا يجوز هنا؟ والحق الذى لا ريب فيه أن تلك الوسائل إذا كانت سائفة مطلقة هناك، ومباحة فلا تكون هنا منهيًا عنها فلا يؤخذ بها.

ولعمري كيف يكون ممكناً لدى أى حكيم بصير، أن يأمل فى إدراك الفلاح والفوز، فى قيادة الجماهير إلى حيث يريد، إذا كانت عدته ما هى إلا الاعتماد على مجرد منطق الرأى والارشاد، والجدل والمقال، حينها تعترضه مقاومة، أو رماه الخصم بعورة حتى ولو كانت من الترهات، واصفت الجماهير إلى هذا، والجماهير لا تذهب فى تحليل الأمور إلى ما هو ابعد من الظاهر السطحى؟

\* \* \*

فالرجال الذين تحسبهم من الأحاد وفى الطليعة، إذا ما سَبَّحُوا فى غمرة الجماهير المؤلفة من الدهماء، فحينئذ لا يستولى على هؤلاء الرجال وجماهيرهم إلا سائق الأهواء، والمعتقدات الرخيصة، وما خفَّ وَفَشَّ من العادات والتقاليد والنظريات العاطفية، فيقعون فى مهوى التلاحن الحزبى، الأمر الذى يمنع اتفاقهم على أى قرار، حتى ولو كان هذا القرار واضح المصلحة ولا خَفَاءَ فى ذلك ولا مطعن. ثم إن كل قرار يضعه الجمهور العايب، يتوقف مصيره حينئذ إمَّا على فرصة مؤاتية تمضى به إلى غايته، وإمَّا على كثرة كاثرة تؤيده، ولكن الكثرة لجهلها أسرار السياسة وبواطنها، فالقرار الذى يخرج من بين يديها لا يكون إلا سخرية ومهزلة، وإنما فى هذا القرار تكمن بذرة الفساد، فتفسد الحكومة بالنتيجة، فتدركها الفوضى ولا مناص.

\* \* \*

فالساسة مدارها غير مدار الاخلاق، ولا شئ مشترك بينهما، والحاكم الذى يخضع لمنهج الأخلاق لا يكون سائسًا حاذقًا، فيبقى ما يبقى على عرشه مهزورًا متداعيًا، وأما الحاكم اللبيب الذى يريد أن يبسط حكمه فيجعله وطيدًا، يجب عليه أن يكون ذا خصلتين: الدهاء النافذ، والمكر الخادع. وأما تلك الصفات التى يقال إنها من السمائل القومية العالية، كالصراحة فى اخلاص، والأمانة فى شرف، فهذا كله يعدّ فى باب السياسة من النقائص لا الفضائل، ويسرع بالحكام إلى أن يتدحرجوا من على عروشهم ولا منقذ لهم، ويكون هذا أكيد لهم وأنكى، وأفضل فى تفكيكهم وتهديمهم من الذى يأتيهم من قِبَلِ أكبر عدو يترئص بهم. وتلك الصفات منابتها ممالك القويم وحكوماتهم، فهى منهم وهم بها أولى. وحذار أن نقبل مثل هذا نحن.

حقنا منبعه القوة. وكلمة حق، وجدانية معنوية مجردة، وليس على صحتها دليل. ومفادها لا شئ أكثر من هذا: اعطنى ما أريد فابرهن بذلك على أنى أقوى منك.

فأين يبتدئ الحق واين ينتهى؟

فإنى أجد فى كل دولة استولى الفساد على إدارتها، ولا هيبة بقيت لقوانينها ولا سطوة، ولا مقامات مرعية لحكامها، وانطلق الناس إلى مطالب الحقوق، فكل ساعة ينادون بمطلب جديد ويسقطون مطلبًا، فاختلفت دعاويهم وتضاربت، وصار لكل حزب من الافتتان والهوى، حقٌ باسم الليبرالية - أنى أجد هنا فى مثل هذا الموطن أن أهاجم باسم الحق، وهو حق القوة فاذرو فى الهواء جميع هياكل الأنظمة والأجهزة الجوفاء، وأتى بشئ جديد يحل محل الذاهب، واجمل نفسى حاكمًا سيدًا على هؤلاء الذين تركوا لنا الحقوق التى كانوا يبنون عليها حكمهم، وأما مصيرهم هم فالإستسلام إلى ما كانوا يحملون من عقائد الليبرالية.

وتتميز قوتنا فى مثل هذه الحالة الرجراجة، عن كل قوة أخرى، بمميزات امنع وأثبت، وأهوى على رد العادية، لأنها تبقى وراء الستار، متخفية، حتى يحين وقتها، وقد نضجت واكتملت عنتها، فتضرب ضربيتها وهى عزيزة، ولا حيلة لأحد فى النيل منها أو الوقوف فى وجهها. ومن هذا الشر المؤقت الذى نُكِّره على إيقاعه، يخرج الخير، هو خير الحكم الجديد الذى لا تهزّه ريح، فيردّ الأمور المنحرفة من جهاز الحياة الوطنية إلى نصابها ويجعلها فى الطريق القويم. وكل هذا كانت الليبرالية قد مزقته. فالنتائج تبرز الأسباب والوسائل. فعلىنا فى وضع منهجنا أن نراعى ما هو أفيد وضرورى أكثر مما نراعى ما هو اصلح وأخلاقى.

\* \* \*

وأماننا الآن مخطط، وفى هذا المخطط رُسِمَت الطريق التى يجب علينا أن نسلكها نحو غايتنا، وليس لنا أن نحيد عن هذا قد شعرة، إلا إذا فعلنا ذلك مجازفة ومخاطرة، فنخسر نتائج عملنا لعدة قرون، فيذهب كله سدى.

ولكى نُوفِّقَ إلى بناء الأمور على ما نريد من الصحة والكمال فى أفعالنا، لا بدّ لنا أن نأخذ بعين الاعتبار ما يكون عليه جمهور الدهماء من طباع خسة ونذالة، وتراخ، وقلة استقرار، وفراره من حالة إلى حالة، وفقده القدرة على اكتناء أمور حياته، وافتقاره إلى نظرة الجد وصحة العزم، فهو متعام عن رؤية وجه مصالحه. ويجب أن يكون واضحًا أن قوة الدهماء عمياء، تخدّرت منها حاسة الشعور، ولا تجرى فى الفهم والاستيعاب على نطاق معقول، وهى أبدأ رهن أى مستفزّ يستفزّها من أى ناحية. وأعمى لا يقود أعمى إلا إلى هاوية، وفى النهاية يخرج افراد من الدهماء ومن سواد الشعب، لا يمدو طورهم أن يكونوا ممن لا خبرة لهم ولا سابق تجربة، وقد يكون لهم من النبوغ مظهر براق، ولكن لقصورهم عن النفاذ إلى بواطن المسائل السياسية المحجبة فإنهم لا يلبثون، إذا استطاعوا أولاً بلوغ الزعامة وقيادة الدهماء، أن يهوا، فتهوى معهم الأمة، فينتقض الحبل كله.

وإنما هناك رجل مجرّب، رُبى منذ الصغر على فهم الحكم المستقل وتَمَرُّس به، بوسعه

أن يمي ويزن جيداً الكلمات التي تتركب منها أبجدية السياسة.

والشعب الذي يُترك وشأنه ليستسلم إلى أمثال هؤلاء الذين يظهرون على المسارح فجأة من صفوفه، يجنى على نفسه إذ تقته منازعات الأحزاب، المنازعات التي يزيد من شدة أوارها حب الوصول إلى السلطات، والازدهاء بالمظاهر والألقاب والرياسات، وكل هذا في فوضى شاملة. أفستطيع الدهماء، بهدوء وسكينة، وبلا تحاسد وتباغض، أن تتعاطى مهمات المصلحة العامة، وتديرها على الحكمة، دون أن تخلط بين هذا ومصالح خاصة؟ أنتستطيع أن تدافع عن نفسك في وجه عدوّ خارجي؟ لا لعمري! لأن المسألة التي تتخطفها الأيدي تتمزق بعدد الأيدي التي تتخطفها، مألها أن تشوه، وتقعد الانسجام بين أجزائها، فنتعقد، وتبهم، وتستمصى على أن تقبل التنفيذ.

\* \* \*

ولا يتم وضع المخطط وضماً كاملاً محكماً إلى آخر مداه، إلا على يد حاكم مستبد قاهر، يقوم على ذلك حتى النهاية، ثم يوزعه أجزاء على جهاز الدولة، فيتعلق كل جزء بآلته الخاصة به من جهة التنفيذ، ونستتج من هذا بالضرورة أن الوضع الذي ينبغى أن تكون عليه الدولة مع اللياقة والكفاية، هو الوضع الذي يجتمع كله في يد رجل مسؤول. وبلا سلطة مطلقة، لا حياة للحضارة، والحضارة لا تقوم على الدهماء، بل على يد مَنْ يقود الدهماء، كأئناً من يكون ذلك الرجل القائد. والدهماء قوة همجية، وهذه القوة تتجلى في كل مناسبة وأقمة. وفي اللحظة التي تتسلم فيها الدهماء الحرية، وتجدُ نفسها قادرة على التصرف كما تشاء، تقع الفوضى فوراً وهذا الضرب من الاختباط أسوأ ضروب التردى الإنسانى الأعمى.

\* \* \*

انظروا إلى الحيوانات المدمنة على المسكر، تدور برعوس مدوّخة، ترى من حقها المزيد منه فتتاله إذا نالت الحرية. فهذا لا يليق بنا، ولا نسلك نحن هذه الدروب. فشموب الغويم قد رنحتها الخمرة، وشبابهم قد استولت عليهم البلادة من نتيجة ذلك، فأخملتهم وأصقتهم بالبقاء على القديم الموروث الذي عرفوه ونشأوا عليه، وقد ازدادوا اغراء بأوضاعهم هذه، على يد المهيأين من جهتنا خاصة للدفع بهم في هذا الاتجاه كالمعلمين المنتدبين للتعليم الخاص، والخدم، والمربيات والحاضنات في بيوت الأغنياء، والكتبه والموظفين في الأعمال المكتبية وسواهم، وكالنساء منا في المقاصف وأماكن اللذات التي يرتادها الغويم. وفي عداد هذا الطراز الأخير، اذكر ما يسمى عادة «بمجتمع السيدات»، أو «المجتمع النسائي» حيث المعاشرة مباحة للفساد وللترف. وشعارنا ضد هذا: العنف، وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشئ المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لا ريب فيه. وإنما بالعنف وحده يتم لنا الغلب في الأمور السياسية، ولا سيما إذا كانت أدوات العنف مخيفة، من المواهب الذهنية مما هو ضروري



لرجال السياسة. فالمنف يجب أن يتخذ قاعدة وكذلك المكر والخداع، وما قلناه مما ينبغي أن يكون شعاراً، كل هذا فائدته العملية أن يتخذ قاعدة في الحكومات التي يراد أن تتخلى عن تيجانها تحت أقدام الممثل الجديد لمهد جديد. وهذا الشر هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغاية المقصودة من الخير. ولذلك لا ينبغي لنا أن نتردد في استعمال الرشوة والخديعة والخيانة، متى لاح لنا أن بهذا تحقق الغاية. وفي السياسة يجب على الواحد المسؤول أن يعرف كيف تقتص الفرص فوراً، إذا كان من نتيجة ذلك الاستسلام إلى السلطة الجديدة.

ودولتنا الماضية قُدماً في طريقها، طريق الفتح السلمي، من حقها أن تبدل أهوال الفتن والحروب بما هو أخف وأهون، وأخفى عن العيون، وهو إصدار أحكام بالموت، ضرورة، من وراء الستار، فيبقى الرعب قائماً، وقد تبدلت صورته، فيؤدى ذلك إلى الخضوع الأعمى للبتنى.

قل هي الشراسة. ومتى ما كانت في محلها ولا تتراجع إلى الرفق، غدت عامل القوة الأكبر في الدولة. وإن تعلقنا بهذا المنهج، ولا يراد به المكسب والمفتم فحسب، بل نريده أيضاً من أجل الواجب انتحاء بالقافلة نحو النصر، ونعود فنقرر أنه هو المنف، وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشئ المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لا ريب فيه.

في الزمن الماضي، كنا نحن أول من نادى في جماهير الشعب بكلمات الحرية والعدالة والمساواة، وهي كلمات لم تزل تردد إلى اليوم، ويردها من هم بالبيفاوات أشبه، ينقضون على طعم الشرك من كل جو وسماء، فأفسدوا على العالم رفاهيته كما أفسدوا على الفرد حرية الحقيقية، وكانت من قبل في حرز من عبث الدهماء.

والذين يرجى أن يكونوا حكماء عقلاء من الفويم، وأهل فكر وروية، لم يستطيعوا أن يفهموا شيئاً من معاني هذه الألفاظ التي ينادون بها، الفارغة الجوفاء؛ ولا أن يلاحظوا ما بين بعضها بعضاً من تناقض وتضارب، ولا أن يتبينوا أن ليس في أصل الطبيعة مساواة، ولا يمكن أن تكون هناك حرية، إذ الطبيعة هي نفسها قد صنعت الفروق في الأذهان والأخلاق والكفايات، وجعلت هذه الفروق ثابتة كثبات الخضوع لها في سننها ونواميسها. وعجز أولئك أيضاً عن أن يدركوا أن الدهماء قوة عمياء، وأن النخبة الجديدة المختارة منهم لتولى المسؤولية، هي خلوة من التجربة. وهي بالقياس إلى ما تتطلبه السياسة، عمياء كالدهماء، حتى ولا فرق. واللودعى وإن كان مجنوناً فبوسعه أن يصل إلى الحكم، بينما غير اللودعى، ولو كان عبقرياً، فلا يدرك كنه السياسة. وهذه الأشياء كلها لم يفقه الفويم من بواطنها وأسرارها شيئاً، ومع هذا، فقد كانت عهدود الحكم، وحكم السلالات في الماضي عند الفويم، ترسو على هذه الأغاليط، فكان الأب ينقل إلى ابنه معرفة أصول السياسة بطريقة لا يشارك فيها أحد إلا أفراد السلالة، ولا أحد منهم يفتح هذا الباب للرعية. ومع اطراد الزمن صار معنى احتكار هذا الأمر في السلالات يعمره الإبهام والكمود، حتى تلاشى واضمحل. وهذا بالنتيجة ساعد في إنجاح قضيتنا.

وفى جميع جنبات الدنيا، كان من شأن كلمات حرية - عدالة - مساواة أن اجتذبت إلى صفوفنا على يد دعائنا وعمالئنا المسخرين، مَنْ لا يحصيه عدٌّ من الذين رفعوا رايأتنا بالهتاف. وكانت هذه الكلمات، دائماً هي السوس الذى ينخر فى رفاهية الغويم، ويقطع الأمن والراحة من ربوعهم، ويذهب بالهدوء، ويسلبهم روح التضامن، وينسف بالتالى جميع الأسس التى تقوم عليها دول الغويم. وهذا ساعدنا أيضاً فى احراز النصر، على ما ترون من البيان بعد قليل: فمما أعطانا المكنة التى توصلنا بها إلى الورقة الرابعة، هو سحق الامتيازات، أو بتعبير آخر، نسف ارستقراطية الغويم نفساً كلياً تاماً، وقد كان أهل هذه الطبقة هم الوفاء الوحيد للدفاع فى وجهنا من وراء الشعوب والبلدان. وعلى انقاض ارستقراطية الغويم وارث محتدها القديم، بنينا ارستقراطية من طبقتنا المتهدبة الراقية، تتوجها ارستقراطية المال. وجعلنا أوصاف ارستقراطيتنا مستمدة من نبعتين: المال، وهذا أمره يقع على عاتقنا، والمعرفة، وهذه تستقى من حكمائنا الشيوخ، وهذا منهم هو القوة الدافعة.

والظفر الذى بلفناه، قد جاء ايسر واهون، لأننا فى تعاملنا مع الناس الذين احتجنا اليهم، كنا دائماً نضرب على أذن الأوتار حساسية فى ذهن الإنسان، ومن جملة ذلك الدفع نقداً، واستغلال النهمه نحو المال، والشره إلى الحاجات المادية للإفساد، وكل واحدة من هذه النقائص الإنسانية، إذا عملت وحدها، كانت كافية لتشل نشاط الفرد كله، وتجعل قوة ارادته مطاوعةً ملبيةً، مستجيبةً للذى اشترى منه العمل.

وكان من شأن المعنى المجرد لكلمة «الحرية» أن عضدنا فى اقتناع الدهماء فى جميع البلدان أن حكوماتهم ما هى إلا حارس الشعب والشعب هو صاحب القضية، فالحارس يمكن تغييره وتبديله، كقفاز قديم نبذ وجئ بجديد.

وإنما هى هذه المكنة، مكنة تبديل ممثلى الشعب، ما جعل الممثلين طوع امرنا، وأعطانا سلطة تسخيرهم.

## البروتوكول الثاني

الحروب الاقتصادية - أسس التفوق اليهودي - الحكومات الصورية والمستشارون  
السريون - نجاح التعاليم المدمرة - المرونة في السياسة - الدور الذي تمثله الصحف - ثمن  
الذهب وقيمة الضحايا اليهودية.

إن غرضنا الذي نسعى إليه، يحتم أن تنتهي الحروب بلا تغيير حدود ولا توسع اقليمي،  
وينبغي تطبيق هذا ما أمكن. فإذا جرى الأمر على هذا قدر المستطاع، تحولت الحرب إلى  
صعيد اقتصادي وهنا لا مفرّ أن تدرك الأمم من خلال ما تقدم من مساعدات، ما لنا من قوة  
التغليب، تغليب فريق على آخر، ومن التفوق، ونفوذ اليد العيلية الخفية. وهذا الوضع من شأنه  
أن يجعل الفريقين تحت رحمة عملائنا الدوليين الذين يملكون ملايين العيون اليقظة التي لا  
تنام، ولم مجالاً مطلق يعملون فيه بلا قيد. وحينئذ تقوى حقوقنا الدولية المامة على محق  
الحقوق القومية الخاصة، في نطاق المعنى المألوف لكلمة حق، فيتسنى لنا أن نحكم الشعوب  
بهذه الحقوق تماماً كما تحكم الدول رعاياهم بالقانون المدني داخل حدودها.

\* \* \*

والأشخاص الذين نخترهم من صفوف الشعب اختياراً دقيقاً ضامناً لنا أن يكونوا  
كاملی الاستعداد للخدمة الطائفة، لن يكونوا من طراز الرجال الذين سبق لهم التمرس بفنون  
الحكم والحكومة، حتى يسهل اقتناصهم ووقوع الحكم في قبضة يدنا، فنتخذ منهم مخالب  
صيد، ويتولاهم منا أشخاص أهل علم مكين وعبقرية، يكونون لهم مستشارين من وراء ستار،  
واختصاصيين وخبراء، وهؤلاء الرجال المختارون منا، يكونون قد نُشئوا منذ الصغر تنشئةً  
خاصة، وأهلوا لتصريف شؤون العالم تاهيلاً كاملاً، ويكونون، كما تعلمون، قد مضى عليهم  
زمن، وهم يرتضعون معلوماتهم التي يحتاجون إليها، من مناهجنا السياسية ودرس التاريخ،  
ومن ملاحظة سير الحوادث وهي تقع على توالى الوقت. أما الفويم فقد بُعدت الشقة بينهم  
وبين إن يكونوا قادرين على الاهتداء إلى الحكمة، بالملاحظة التاريخية غير المتحيزة، إذ جُلُّ ما  
تبلغ استنارتهم به هو الطرق النظرية على نمط رتيب، دون أن يتعمقوا في تسليط العين  
الفاحصة النافذة على مدار النتائج للحوادث. فليس بنا من حاجة، والحالة هذه، أن نقيم لهم  
أى وزن - فلندعهم في حالهم وما يشتهون ويحبون، حتى تأتي ساعة اقتناصهم، أو يظلوا  
يعيشون على الآمال تتقل بهم من مشروع خيالي إلى آخر، ويتباهون بذكريات ما سبق لهم

التمتع به من لُبانات. وليبق هذا كله دورهم الرئيسي الذي يمثلون. وقد نجحنا في إقناعهم بأن ما لديهم من معلومات نظرية، إنما هو من حُرِّ محصول العلم. وما دام غرضنا هو هذا، فدأبنا بواسطة صحفنا أن ترسخ فيهم الاعتقاد بصحة ما يحملون من نظريات وآراء. أما أهل الفكر منهم، فينتفخون ازدهاءً بما لهم من حظِّ المعرفة، وتراهم، وهم غُفْلٌ عن الاستماع بوضع التجربة على محك المنطق، يندفعون إلى وضع نظرياتهم موضع العمل، ولكن ما هو في نظرهم علم ومعرفة، إن هو في الواقع إلا ما عُنِيَ عملاؤنا الاختصاصيون بتصنيفه لهم بحذق ومهارة، وهى هذا كله لتتور أذهانهم به على الاتجاه الذى نريد.

إياكم أن تمتدوا ولو للحظة واحدة، إن ما أقول هو من الكلام القليل الجدوى: فما عليكم إلا أن تتفكروا في ما صنفتنا لإنجاح النظريات الدرونية والماركسية والنيتشية. أما نحن اليهود، فما علينا إلا أن نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من أثرٍ خطير في التبليس على إفهام الغوييم في هذا المجال.

ولا بد لنا في منهجنا هذا، إن نأخذ بعين الاعتبار، ما عند الأمم من طراز فكر، وخلق، ونزعة، واتجاه. وإنما نفعل هذا لكي نحترز به من الانزلاق في معالجاتنا السياسية والتوجيه الإدارى، فلا نعثر ولا نكبو. وإن انتصار منهجنا، الموزعة اجزاؤه على مختلف المناحي توزيعاً يصيب كل ناحية بما يؤاتيا منه، حسب امزجة الشعوب التى تقع في طريقنا - أن انتصارنا المتوخى، قد يفشل ويحبط دون إدراك الغاية، إذا كان تطبيقنا للمنهج ليس مبنياً على الأحكام المستمدة من صفوة دروسنا الماضية، نطبقها على ضوء الحاضر.

\* \* \*

ولا يخفى أن في أيدي دول اليوم آلة عظيمة تستخدم في خلق الحركات الفكرية، والتيارات الذهنية، ألا وهى الصحف. والمتعين عمله على الصحف التى في قبضتنا، أن تدأب تصبح مطالبة بالحاجات التى يفترض أنها ضرورية وحيوية للشعب، وأن تبسط شكاوى الشعب، وأن تثير النقمة وتخلق أسبابها، إذ فى هذه الصحف يتجسد انتصار حزية الرأى والفكر. غير أن دولة الغوييم لم تعرف بعد كيف تستغل هذه الآلة، فاستولينا عليها نحن، وبواسطة الصحف لنا القوة التى تحرك وتؤثر، وبقينا وراء الستار. فمرحى للصحف، وكفنا ملئ بالذهب، مع العلم أن هذا الذهب قد جمعناه مقابل بحار من الدماء والعرق المتصبب. نعم، قد حصدنا ما زرعنا، ولا عبرة إن جلت وعظمت التضحيات من شعبنا. فكل ضحية منا أنها لتضاهى عند الله ألفاً من ضحايا الغوييم.

## البروتوكول الثالث

الأهمى الرمزية ومفزاها - الاختلال فى الموازين الدستورية - الإرهاب فى القصور - وسائل القوة والمطمح - المجالس النيابية والثرثارون، من خطباء وكتّاب - سوء استعمال السلطة - المبودية الاقتصادية - أسطورة حقوق الشعب - نظام الاحتكار والأورستقراطية - جيش اليهودية الماسونية - تناقص الفويم - المجاعات وحقوق رأس المال - الدهماء وترويج الملك السيد على العالم كله - القاعدة الأساسية للتعليم فى المدارس الأهلية - الماسونية فى المستقبل - السر العلمى فى حقيقة هيكل المجتمع وتركيبه - الأزمة الاقتصادية العالمية - ضمان الأمان لشعبنا - السلطة المطلقة فى الماسونية وقيام الملكة التى يسودها العقل - لا فائدة ولا مرشد - الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى - الملك المتسلط المستبد من نسل صهيون - الأسباب التى تولى الماسونية المناعة فلا تقهر. الدور الذى يمثله عملاء الماسونية السريون - الحرية.

بوسعى اليوم أن أعلمكم أن هدفنا قد تدانى واقترب، فلم يَبْقَ بيننا وبين الوصول إليه إلا بضعة خطوات، فى مسافة قصيرة. وينظرة إلى الوراء، ندرك أن الطريق الطويلة التى اجتزناها كادت تنتهى، ثم تقفل الأفعى الرمزية دورتها، وهذه الأفعى هى رمز شعبنا فى قيامه بهذه المراحل. وعندما تفلق هذه الحلقة، تسمى الدول الأوروبية جميعاً محصورةً ضمن دائرتها، والأفعى قد تكورت من حولها كالكلابة.

\* \* \*

وإننا سنرى موازين الدساتير لأيامنا هذه عما قريب تتهار، إذ نحن أقمناها ونصبنها، وجعلناها على شئ من الخلل فى تركيبها عمداً، بحيث تبقى دائمة الحركة على مدارها، بين أن تشيل تارة وترجع طوراً، لتذوب وتتلأشى مادتها فى النهاية، كما يذوب بالتالى مدارها كله. وأما الفويم، فهم تحت الاعتقاد الموهوم أنهم أحكموا وأحصفوا إقامة هذه الموازين، وراحوا يعلقون عليها الأهمية، ومنتظرون حسن انتظام سيرها، لعلمهم يدركون يوماً ما يأملون. غير أن مدارات الموازين - الملوك الذين هم على المروش - هم فى شغل عن ذلك لأنهم غدوا محوطين بأمر ممثلى الشعب ونوابه، وجعل هؤلاء يرقصون للملوك على كل لحن يلد لهم، وتوزعت السلطة فوضى، ينتاشها كل فريق قدر استطاعته، والسلطة التى بيد هؤلاء الممثلين إنما وصلت اليهم عن طريق الإرهاب الذى بالتالى وصل زفيره إلى داخل القصور. وتقطعت الحبال التى ينبغى أن تكون الصلة بين الملك والشعب، فلا شئ بعد ذلك يصل بينهما. فبقى الملك على عرشه خائفاً يترقب، يتوقع مدهامة البفتات من الطامعين فى السلطة. ونحن قد أنشأنا برزخاً يفصل بين السلطة العليا للدولة، وسلطة الشعب العمياء، فصار كل فريق فى حيز، وفقد معناه

وصار أمرهما كالأعمى قد حيل بينه وبين عصاه.

ولكى نحرّض طلاب الوصول إلى السلطة على أن يثبوا إلى ما يشزهون إليه. ويسيثوا استعماله، فقد حركنا جميع قوى المعارضة فى مختلف جبهاتها، ليقوم هذا فى وجه ذلك، ونفخنا فى كل من هم الروح التى تهزّه، فانطلقوا بنزعاتهم الليبرالية نحو طلب الاستقلال، وإيقاعاً للإخلال، ولا مهرب، فقد جارينا كل فريق وما يهوى، وسلخنا جميع الأحزاب، وجعلنا الوصول إلى السلطة الفرض المقدس فوق كل شئ. وأما الدول، فاتخذنا من منازعاتها حلبة صراع حيث يشتد التصادم والاختتال. ولن يمضى بعد هذا إلا القليل من الوقت حتى العالم أجمع يأخذ يتخبط فى الفوضى والإفلاس.

واتخذ طلاب الوصول، وهم أكثر من أن يُحصوا، من قاعات البرلمانات والمجالس الإدارية العالية، ساحات ومنابر للخطابة الرخيصة. وكثر الصحفيون المحترفون وأصحاب الأقلام الذين يعيشون على حرفة التحرش والوقية، ودأبهم أن يطرقوا كل يوم أبواب السلطة التنفيذية للأجر والمكافأة. واتسع شيوع المخازى من سوء استعمال صلاحيات الوظائف اتساعاً يدل على أن مؤسسات الدولة بأصولها وفروعها، قد تهيأت ونضجت لتعصف بها الرياح المقبلة، فيثور الشعب برعاعه ودهمائه، ويجعل على الأمور سافلها.

\* \* \*

وترى الشعب الآن قد نهشته أنياب الفقر، فصار فى عبوديته أسوأ من عبودية رق الرقبة ورق الأرض من قبل، وأمره مفلق. أما العبودية القديمة، فقد كان أمرها أهون، إذ يستطيع الشعب التحرر منها بوسيلة ما، أما من هذا الفقر المدقع المحيط به، فلا أمل له فى النجاة، وقد جعلنا الدساتير تنص على الحقوق نصاً صريحاً، وهى ما يسمّى بحقوق الشعب. وأما الشعب نفسه، فإنه لا يناله من هذا شئ، وهو لا يجد هذه الحقوق إلا خيالاً وسراباً، ويوقن العامل الكادح أن لا جدوى له من تلك المنصوص الفارغة والخطب الجوفاء فى القاعات، إذ يدور حول نفسه، فإذا به باق على الطوى يعانى الشدائد، ولا يصيبه أى خير من الدستور وتصوصه، إلا ما يتساقط عليه من فتات الموائد فى مواسم الانتخابات العامة، لينتخب المرشح الذى يُملى عليه اسمه من قبل عملائنا. والحقوق التى ينالها فى بلاد الحكم الجمهورى ليس له منها إلا المرارة، وهى لا تخفف من أعبائه شيئاً، بل تسلبه من الناحية الأخرى جميع الضمانات التى تكفل له بعض الأجور المنتظمة، وتجعله يلجأ إلى الإضرابات مع رفاقه، أو تراه موقوفاً محجوزاً عليه بأمر سادته.

والشعب بإرشادنا قد محا الطبقة الأرستقراطية التى كانت تدافع عنه وتحميه لمنفعتها منه إذ مصالحتها مشتركة. ونرى الشعب اليوم بعد نسفه الطبقة الأرستقراطية، قد أطيقت

على مخنّقه أهدى صفار المرابين يمتصونه امتصاص العلق، فاسترقوه وقتلوه.

فتأتى نحن الآن بدورنا، ونظهر على المسرح مدّعين حبّ انقاذ العامل الفقير مما هو فيه من بلاء. فنصدّره أن ينتظم في صفوف جنودنا المقاتل تحت لواء الاشتراكية والفضوية والشيوعية، وأما حملة هذه الألوية فمن دأبنا أن نساعدهم اتباعاً لقاعدة أخوية مزعومة وهي تضامن الإنسانية، وتلك من قواعد الماسونية عندنا. أما الطبقة الارستقراطية التي يؤلّوها القانون الوسيلة لتستثمر تعب العمال البائسين، فإنها أمست الآن مرتاحة فريرة العين، إذ ترى هؤلاء العمال قد اكتسوا، ووذت إليهم العافية في ابدانهم. هذا، بينما خطلتنا نحن، على النقيض من هذا تماماً: أن تسود الفاقة، ويتاقص كيان الفوييم. وألّقا تكون قوية، إذ استحكمت حلقات المجاعة وأزمنت، وحلّ الهزال بالعامل، فيكون معنى هذا كله أن العامل أصبح في الطريق إلى أن يمسي مستعبداً لإرادتنا، وهو يعلم أنه لن يجد في حكومته المكنة ولا الطاقة ولا الهمة ولا المزم، ليقف شئ من ذلك في طريقنا. والجوع يخلق لرأس المال الحق ليتحكم بالعامل تحكماً مارست مثله الطبقة الارستقراطية في أيامها، حتى ولو كان الملوك من وراثها يمدونها بسلطة القانون.

\* \* \*

وبالفاقة، وما تولده وتفرّخه من حسد ويفضاء، نستطيع أن نهيج الدهماء ونحوّل أيديهم إلى سلاح يدمرون به ما يكون في طريقنا من عقبات. ومتى ما دقت الساعة منذرةً بمجئ مولانا الملك، ملك العالم كله، ليعلو التاج مفريقيه، ستكون هذه الأيدي العمالية نفسها، هي الأيدي التي تزيل من الطريق كل عقبة.

\* \* \*

ونرى الفوييم قد فقدوا صحة التفكير كأنهم في ضلال، إلا إذا أيقظتهم مقترحات الاختصاصيين منا، فهم أقصر نظراً من أن يروا ما نرى نحن، من الضرورة التي تقضى بإحداث ما سنحدث يوم تقوم مملكتنا، وأول ذلك، وهو بالغ الخطورة، إدارة التعليم في المدارس الوطنية الأهلية، بحيث يقتصر على تعليم عنصر واحد بسيط من عناصر المعرفة، وهو أسن المعارف كلها: كيف يتركب كيان الحياة الإنسانية، والكيان الاجتماعى. وهذا يقضى بتقسيم العمال إلى فئات، وبالتالي تقسيم الناس إلى طبقات، ولكل طبقة أوضاعها، ويكون من الضروري أن يعلم الجميع أنه بسبب اختلاف الغايات من النشاط الإنسانى، لا يمكن أن تكون هناك مساواة. ولا مستوى اثنان في ميزان واحد: فإن الذى يعمل عملاً تتأثر بنتائجه طبقة بكاملها، ليس على استواء أمام القانون مع الذى يعمل عملاً لا يتأثر بنتائجه إلا هو نفسه، صانع العمل، وحده، وسيكون من شأن المعرفة الصحيحة لتركيب بنية المجتمع، وعلى أسرار

هذا لا نطلع الغوييم، أن تظهر لجميع الناس أن العمل وما يلزمه من وضع، كل ذلك يجب أن يضبط ضبطاً ضمن حدود معينة، حتى لا يبقى بعد ذلك سبب يجر الإنسانية إلى الشقاء، مما يؤدي إليه التعليم الحالي الذي لا يتفق مع العمل الذي يطلب من الأفراد القيام به. ويعد الإحاطة الوافية بهذه المعرفة، سيبادر الناس من تلقاء أنفسهم إلى طاعة السلطة وقبول الأوضاع التي تعينها لهم الدولة. أما قيمة المعارف في الوقت الحاضر، وما أعطيناه من إرشاد لتوجيهها، فظاهراً في أننا نرى الشعب الذي يصدق كل ما تقع عليه عينه في الصحف والكتب ييطن الكراهة العمياء لأيّ وضع يراه أعلى من وضعه الحالي، وسبب هذه الكراهة ناشئ عن عدم فهمه شيئاً من معنى الطبقة، ولا من معنى الوضع اللازم لها، وهو مخبول في أمره، بما تلقى إليه من تلقين يضلله، ويزيد من جهالته.

\* \* \*

وهذه الكراهية ستبلغ أمداً أبعد، إذا ما هبّت عليها رياح أزمة اقتصادية تجمّد التعامل في البورصات، وتشل دواليب الصناعة، وإننا بالوسائل السرية التي في أيدينا، سنخلق أزمة اقتصادية عالمية لا هَيْل لأحد باحتمالها، فتقذف بالجموع من رعاك العمال إلى الشوارع، ويقع هذا في كل بلدٍ أوروبي بوقتٍ واحد. وهذه الجموع ستطلق هازجة إلى الدماء تسفكها بنهمة وقرم، هي دماء الطبقة التي يكرهاها العمال من المهدي، وتتطلق الأيدي في نهب الأموال ويبلغ العبت أمدّه الأقصى.

أما أموالنا نحن، فلن يمسه العمال، لأننا نكون واقفين على مواقيت حركاتهم وسكناتهم، فإذا ما حاولوا أن يتوجهوا نحونا، عرفنا كيف نصدهم ونحمي جهتنا من عدوانهم. وقد بينّا من ناحيتنا أن التقدم المادي من شأنه أن يجعل الغوييم يثوب إلى حكم العقل ويستظل بظله. وهذا بعينه ما ستفعله سلطتنا المستبدة. فهي تعلم كيف إنها تستطيع بالقسوة الحكيمة العادلة أن تتأصل جذور الاضطراب وتسكن هائجها، وإن تتناول الليبرالية بالكى لتبراً من علتها، ولا تتناول بالكى غيرها من المؤسسات.

وإذا ما رأى سواد الشعب، بطبقته العامة، أن جميع الامتيازات التي كانت للطبقات الأخرى قد زالت، كما زال أيضاً ما كانت عليه تلك الطبقات من هوى وانغماس، فإنه يلج باب الاعتقاد أنه هو صائر سيداً مطاعاً، ولكنه يبقى سرا لا يعلم أنه هو، وقد نسف بيته بيده، أمسى كالأعمى الذي واجهه ركلٌ من حجارة فعثر، وكلما حاول أن ينهض عاد فعثر ثانية، فراح يستجد بمن يكشف له الطريق فازداد بلبلة، وغاب عنه أن الأولى به أن يعود إلى الوراء، إلى وضعه السابق. وفي النهاية يستسلم بجميع ما لديه تحت أقدامنا. تذكروا الثورة الفرنسية التي نحن أطلقنا عليها نعت الكبرى، فإن أسرار تدابيرها عندنا لأننا نحن صنعنا ذلك بأيدينا.



ولم نزل منذ الثورة الفرنسية نقود الشعوب وتحررها من طلاس الشعبذات، الاعتقاد أنها تستطيع أن تفعل ما تشاء. وشكرًا لهذه الحال: فالشعب يدمر كل شئ وطيد ثابت، ويخلق الاضطراب في كل خطوة يخطوها.

فكلمة حرية تجرّ الجماعات إلى مقاتلة كل قوة وسلطة، حتى إنها لتقاتل الله وتقاوم سننه في الطبيعة. ولهذا السبب نحن متى ما اقمنا ملكنا، سنمحو هذه الكلمة من معجم الحياة، لأنها توحى بمبدأ القوة الفاشمة التي تجعل الدهماء عطاشاً إلى الدماء كالحیوانات.

\* \* \*

ومن طبيعة هذه الحيوانات حقاً انها تأخذها سنة النوم إثر كل مرة تجرع فيها كأساً هائلاً من الدم، وبينما هي كذلك مستكنة، يسهل وضع القيد في أرجلها، ولكن اذا لم يتسن لها شراب الدم فلا تنام، وتبقى آخذة بالعراك.

\* \* \*

## البروتوكول الرابع

الأدوار التي تجتازها الجمهورية - الماسونية الأممية عند (الفويم) - الحرية والإيمان -  
المخافة الدولية الاقتصادية - دور المضاربات - عبادة الذهب.

كل جمهورية لا بد لها أن تجتاز عدة ادوار في حياتها . فالأول يتضمن إياها الأولى بعد قيامها، وهنا تبرز عناصر الهوج والجنون، وتسود يد الهمج والرماع، يتميلون بالمهد يمنة ويسرة تمايل الثمل. والثاني، تبرز فيه أوشاب الشعب، التي تتبع كل ناعق يقوم فيها دأماً معرضاً، وهنا المش الذي تخرج منه الفوضوية وتأخذ بالتلاييب. وهذا في مآله ظهور المستبد المتسلط - ولا شرعية يستند إليها ولا يميل في وضع النهار، ومع هذا فهو متسلط - يحمل نسمة، ومسؤول أيضاً، لكنه مسؤول الى قوة خفية غير منظورة. أو الى منظمة سرية، تديره من وراء حجاب، وهذه تخبط على ما يحلو لها بلا وازع ولا رادع، لأنها انما تعمل في الخفاء، مستترة وراء العملاء الذين يتبدلون، وتبدلكم ليس منه أذى، بل يساعد القوة الخفية من باب التوفير المالي فيرفع عنها نفقات جزيلة كانت تؤدي مكافآت على خدمات طويلة عريضة، ثم يتبدل هذا بغيره ويجرى الأمر دواليك شوطاً بعد شوط.

فمن ذا الذي يكون في وضع مؤات، أو ما هي الناحية التي تلابسها أوضاع مؤاتية، لنصف هذه القوة الخفية؟ هذا كله حاصل لنا نحن، ومن يستطيع نصف تلك القوة الخفية؟ هو نحن. والماسونية الأممية، (الفويم) تخدمنا خدمة عمياء، بأن تكون ستاراً نحتجب من ورائه نحن واغراضنا وصور خطلنا، لكن مخططنا المدد للعمل مع التنفيذ، يبقى هذا كله على طبيعته كما يبقى المكان الذي يوجد فيه، سرّاً عميقاً لا يطلع عليه أحد.

\* \* \*

والحرية في الموطن الذي ذكرناه الآن، لا تكون ضارّة، ويمكن أن تجد لها محلاً في اقتصاد الدولة، دون أن يسبب ذلك أى أذى للناس في رفاهيتهم، وذلك الموطن هو أن تقوم الحرية على أساس الإيمان بالله وأخوة الإنسانية، غير متعلقة بمقيدة المساواة، وهي العقيدة التي تنفيها نواميس الكون، وهذه النواميس أوجبت وقوع التباين في المخلوقات، بالخضوع والاتباع. فإذا ساد الإيمان بالله، فيمكن أن يحكم الشعب، بأن تقسم الأرض إلى أقاليم، وعلى كل إقليم راعيه الوصى، فيسير الشعب راضياً فتوعاً تحت إرشاد الراعي الروحي، إلى ما فيه

مشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب في أنه من المحتم علينا أن ننسف الدين كله، لنمزق من أذهان الفوييم المبدأ القائل بأن هناك آلهًا ربًا، وروحًا، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحلجات المادية. ولكي لا نعطي الفوييم وقتًا للتفكير والروية، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة. وبهذا، تُبْتَلَع جميع الأمم وهي مشغولة بالانسياق وراء الكسب والفنم، فتلهو بما في أيديها، ويصرفها ذلك عن الالتفات إلى من هو في نظرها العدو المشترك. ونقول مرة أخرى، إنه من أجل أن نرى الحرية قد سببت ملامشة الفوييم إلى آخر أثر، يجب أن نضع الصناعة على قواعد التفاضل والمزاحمة. ونتيجة ذلك أن ما يسحب من البلاد بالصناعة، ينزلق ويتسرب إلى الأيدي ويمضى إلى المضاربة، ونهايته بمد ذلك إلينا، فيستقر في حيز طبقاتنا نحن.

\* \* \*

والصراع العنيف في طلب التفوق والغلبة، والهزات التي تصيب الحياة الاقتصادية، كل ذلك سيخلق، كلا، بل خلق الآن، جماعات وطوائف من الناس ذاهلة، تمرها البرودة، وكان أفئدتها قد تهاوت وفرغت. وهذه الجماعات سيطرأ عليها ما ينمى في نفسها المقت للجو السيلسى الذي فوقها، وللدين. فلا يبقى لها من سلوى إلا أن تغتبط بجمع المال والكسب، أعنى الذهب الذي ستعبده، وتقنى في سبيله، من أجل أن تتال به ما تبتغيه من حاجات محسوسة. ثم تدق الساعة، فإذا بالطبقات السفلى من الفوييم تتضوى إلى قيادتنا في الزحف لتحطيم خصومنا المشرئبين الي السلطة، وهم أهل الفكر في الفوييم، فيرون في هذا الدور النهاية، والدافع لتلك الطبقات السفلى في الاستجابة لنا، لا إحراز المغانم، ولا جمع المال، بل للثار من تلك الطبقة الفكرية التي حانت الآن ساعتها لتلقى المصير الذي ينتظرها.

\* \* \*

## البروتوكول الخامس

إنشاء حكومة مركزية ضخمة . وسائل القبض على أزمة السلطة بواسطة الماسونية . الأسباب التي من أجلها يستجیل وقوع الاتفاق بين الدول . دولة اليهود التي تقوم عن سابق اختيار من الله . الذهب : هو من الدول كالمحرك من الأجهزة الآلية . ما للانتقاد والتجريح من بالغ التأثير في التهديم والتقويض . إقامة المعارض ، فتنة في مظاهرها . ما لصناعة ، غزل الكلام ، من تأثير في التفتيت . كيف يقبض على آمنة الرأي العام . أهمية نشاط الفرد . الحكومة العليا في العالم .

ما هو شكل الحكم الإداري الذي ينبغي أن يُعطى إلى جماعات قد استشرى فيها الفساد ، وتغلغل في كل جنباتها ؟ جماعات ، المال لا يدور فيها إلا بوسائل أشبه بالاحتيايل ، وهو أقرب إلى الاختلاس ، مجتمعها مسترخى الزمام ، منحل الضابط ، والآداب الملمة فيه لا تحفظ إلا بأن يكون قانون العقوبات مسلطاً فوق الرؤوس ، والتدابير الصارمة على طرف الثمام ، ولا رعاية للأخلاق طوعاً من وأزع النفوس ، إذ هنا الشعور نحو الدين ومنسقط الرأس قد محنة معتقدات مستبضعة من أسواق عالمية ، ورأى شكل من الحكم ينبغي أن يطبق على هذه الجماعات سوى الحكم المطلق الذي سأصنفه لكم ؟ القبض بأيدينا على جميع الأعنة . وسنضبط ضبطاً محكماً مسارب نشاط الحياة السياسية لرعايانا بقوانين جديدة لم يعرف مثلها من قبل . ومن شأن هذه القوانين أن تزيل كل الأباجيات والحريات المطلقة مما اجازه الفوييم لنفوسهم ، وبهذا ستميز مملكتنا بسلطة مطلقة فريدة رائحة الأوضاع والتقسيم . وعلى استعداد في أي زمان ومكان لأن تجرف أيما كان من جنس الفوييم ممن يعارضنا بفعل أو قول . وسيقال لنا أن هذه السلطة المطلقة لا تتمشى وتقدم هذا العصر الذي نعيش فيه ، ولكنى ابرهن لكم على أنها تتمشى ولا غبار عليها .

ففي الزمن الغابر ، لما كانت الشعوب تنظر إلى الملوك المتبوثة العروش ، كأنها تنظر إلى من تجلت فيه إرادة الله ، كانت تلك الشعوب وقتئذ خاضعة لشرب عقول الشعوب عقيدة أن لهم حقوقاً ، شرعوا يعتبرون الجالسين على الأرائك بشراً وقوماً عاديين يأتي عليهم الفناء كسائر الناس . والزيت المقدس الذي مسح به رأس الملك الذي هو ظل الله على الأرض ، زيت عادى غير مقدس في عيون الشعب ، ولما سلبناهم إيمانهم بالله ، فإذا بجبروت السلطة يرمى به إلى الشوارع حيث حق التملك هو حق الجمهور ، فاقتصناه نحن .

وفوق ذلك، فإن فن توجيه الجماهير والأفراد بوسائل تُتقن إلقاء النظريات وإشباعها بكثرة الكلام حولها، مما يرمى الى ضبط مدار الحياة المشتركة بهذا وغيره من الحيل التي لا يعرف الفوييم من اكتناء اسرارها شيئاً. ان هذا الفن، عندنا نحن أريابه الاختصاصيون الذين تلقوا أصوله من يناييع أدمفتا الادارية، فهؤلاء الاختصاصيون قد نشأوا على التمرس بالتعليل والملاحظة، ومماناة حصر الدقائق في القضايا الحساسة الرفيعة، وفي هذا المضمار ليس لنا ند ولا نظير في رسم المخططات للنشاط السياسي ومعالجة المسؤوليات. وفي هذا المجال لا يضاھينا أحدٌ إلا الجزوين، لكننا نحن قد ابتدعنا من الطرق ما يصلح لإسقاط هيبتهم عند الدهماء وسواد الناس الذين لا يفكرون إلا سطحيًا، وإنما تمكنا من الجزويت لأن مؤسستهم مكشوفة، بينما نحن استعلمنا أن نبقي أجهزتنا السرية مُغطاةً محجوبة كل الوقت. وعلى كل، فالعالم قد لا يبالي شيئاً بمن يتبوا عرشه، أهو رأس الكتلكة أم المتسلط الذي يظهر منا متعديراً بدمه من صهيون؛ هذا من جهة العالم، أما من جهتنا نحن فهذا الأمر يهمنا جداً، فأننا الشعب المختار، والمسألة تقتضى منا كل المبالاة.

وإذ قام في وجهنا غوييم العالم جميعاً، فيجوز أن تكون لهم الغلبة، لكن مؤقتاً. ولا خطر علينا من هذا، لأنهم في نزاع فيما بينهم، وجذور النزاع عميقة جداً إلى حد يمنع اجتماعهم علينا يداً واحدة، أضف الى هذا أننا قد فتنا بمضهم ببعض الأمور الشخصية والشئون القومية لكل منهم. وهذا ما عنيانا به بديمومته عليهم وتميته مع الأيام خلال العشرين قرناً الأخيرة، وهذا السبب الذي من أجله لا ترى دولة واحدة تستطيع أن تجد عوناً لهم إذا قامت في وجهنا بالسلاح، إذ كل واحدة من هذه الدول لا تتسى أن تعلم ان الاصطفاف ضدنا يجرها إلى الخسارة.. اننا جد أقوياء، ولا يتجاهلنا أحد، ولا تستطيع الأمم أن تبرم أى اتفاق مهما يكن غير ذى بال، إلا إذا كان لنا فيه يد خفية.

Per me reges regnant. "It is through me that Kings reign".

منى يستمد الملوك سلطتهم.

وجاء على لسان الأنبياء أننا نحن اختارنا الله لنحكم الأرض كلها، والله منحنا المبقرية لنضطلع بهذا العبه. ولو كانت المبقرية في المعسكر الآخر لبقيت حتى اليوم تهاضنا. وإذا جاءنا قادمٌ جديد فلن يكون لنا ندأ، على ما لم ير العالم له مثيلاً في عهد مضى. وإذا افترضنا ان فيهم موهبة المبقرية (الفوييم) فقد جاءتهم متأخرة جداً. وكل دواليب الأجهزة للحكومات ما تحتاج الى محرك، وهذا المحرك بأيدينا وهو «الذهب»، وقد كان من شأن علم الاقتصاد السياسي ان رفع من شأن رأس المال، ومعلوم ان وُضِع هذا العلم وتقريره يعود الفضل في ذلك اليينا.

ورأس المال، اذا كان يراد به ان يساهم بالتعاون وهو غير مقيد، فيجب ان يكون حراً طليقاً، ليتمكن من إنشاء الاحتكار فى الصناعة والتجارة. وهذا ما قد صنعته يد خفية فى جميع العالم. ومن شأن هذه الحرية لرأس المال ان تُمد الذين يعملون فى الصناعة بالطاقة السياسية، وهذا يؤول الى التمكن من أخذ الشعوب بالضبط والمقادة. وفى أيامنا هذه، يكون الأمر وأوزن لدينا، اذ عملنا على ان ننزع سلاح الشعوب لا أن نسوقها الى الحرب، بل وأعظم من ذلك لنا، أن نستغل لمصالحنا انفعالها العاطفى المشتعل، بدلاً من إطفائه، وان نستولى على تيار الأفكار والآراء، ونترجمه على ما يناسبنا بدلاً من مكافحته ومحاولة استئصاله. فالفرض الرئيسى لقيادتنا هذه قاعدته: أن نُخَمِلَ الذهن العام ونُضَيِّبَهُ بالنقد والتجريح، وان نُعيد به عن طريق التفكير الجدى الرصين، التفكير الذى يؤدى بالنهاية إلى مقاومتنا، وأن نصرف نشاط الأذهان عن تلك الوجهة ونأخذ بها حيث تقام معارك صورية، سلاحها الخطابة ومصطنع البيان.

وفى جميع المصور نرى شعوب العالم، من جماعات وأفراد، تمام على الكلمة التى تسمعها ثم لا يهتمها بعد ذلك من التنفيذ شيء. وعلّة هذا فى تلك الشعوب أنها تقنع من الشيء بمظهره، وتأخذها صورة العَرَض، وقلما تتوقف لتتأمل، وتلاحظ فى مجرى الحلبة العامة، هل تقترن الوعود بالتنفيذ. لذلك تروننا اننا سنمنى باقامة مؤسسات المعارض التى تقيدنا فى هذا الباب فوائد كبيرة.

وسنحتل لأنفسنا الصفة الليبرالية التى تجمع سمات جميع الاحزاب والجهات، ثم نجعل معانى ذلك كله تجرى على آسنه خطباء اذا تكلموا راحوا يُشَبِّعون الموضوع ويدورون من حوله حتى يمل السامعون ويضجروا، ويأخذوا بالضجيج.

ولكى يتسنى لنا الاستيلاء على الرأى العام يجب علينا ان نرميه بما يحيريه ويخرجه عن طوقه، وذلك عن طريق جعل إبداء الرأى العام حقاً شائعاً مفتوح الباب للجميع، ليلقى كل بدلوه فى الدلاء. فتتناقض الآراء ويشتد التشاحن، ويطول الحال والمقال، والناس فى كل ذلك متضاربو النزعة، ثم يُنادى مناد: إن أولى ما يُصنَع للخروج من هذا المأزق الحرج، ان يترك النقاش ويقطع عنه، ولا خوض فى القضايا السياسية لأن جمهور العامة لا يفقه من لباى هذا شيئاً ولا يحسن وعيه، فمن الصواب ان مثل هذه الشؤون تُردّ الى المسؤولين العارفين بها، يتدبرونها على ما يرون.

هذا هو السر الأول.

والسر الثانى المشترط لنجاح حكومتنا المقبلة هو أن نكثر من مصنوعات الأشياء، شتى متنوعة، ونجعلها تُردّ موارد عزيزة فياضة من كل جنس: الفشل فى المشروعات الوطنية، افشاء

العادات الجديدة، ايقاد العواطف، الاستثارة والاستفزاز، التبرم من شؤون الحياة، وذلك كله حتى يفدو من المستحيل على أى شخص أن يعلم اين هو من هذا المترك الذى خاص فيه كل حابل ونابل، وعمى الاختلاط. واذا بالناس قد استغفرتهم البلبلة، ولا يفهم بعضهم بعضاً. وهذه الطريقة تفيدنا ايضاً من ناحية اخرى: الإفساد بين الأحزاب، وتضيق القوى المجتمعة على غرض ولا تزال تأبى الانصياع لنا،

واخيراً عرقلة نشاط أى شخص يقف فى طريقنا. وليس هناك ما هو أضر من نشاط الافراد بصفتهم المستقلة الشخصية، فهؤلاء، اذا كان وراءهم مادة المبقرية، فيبلغ نشاطهم من الضرر بنا مبلغاً تقصر عنه الملايين من الناس الذين مزقنا كلمتهم. وعلينا أن نمنى بتوجيه التعليم فى مدارس جماعات الغويم توجيهاً دقيقاً، فيلقى فى الأذهان انه متى ما جىء على مسألة عويصة تحتاج الى كد الذهن تنقيباً واجتهاداً، فالاولى تركها واجتيازها الى ما هو أهون وأيسر، فيتولاها من هو أهل لها. والضمنى الفكرى الذى يحصل للفرد من كثرة العمل، ينسف ما فيه من القوى الذهنية عندما تصادم حريته حرية شخص آخر. وينشأ عن هذا الاصطدام رجاءات خلقية نفسية عنيفة، وذهول، وشعور بالفضل. وبهذه الذرائع كلها، سنفتت وجود الغويم، حتى يكرهوا على أن يسلّموا لنا ما به تقوم القوة الدولية فى العالم على أوضاع تمكننا بلا عنف، ورويداً رويداً من ان نبتلع طاقات الدول، ثم نخطو بمد ذلك الى الامام فننشئ الحكومة العالمية العليا، وسيكون لهذه الادارة عون واسع من الايادى التى تمتد الى البلدان كلها وتعلق بها كالكماشة. واما اجهزة هذه الادارة فستكون بالغة العظمة حتى تلقى ظلها على جميع أمم الأرض.

\*\*\*

## البروتوكول السادس

الاحتكارات، وعليها تتوقف ثروات الغوييم. انتزاع الثروة المقاربية من أيدي الطبقة الارستقراطية. التجارة والصناعة والمضاربات. الترف والبذخ. رفع مستوى الأجور العمالية وزيادة مستوى أسعار الحاجيات الضرورية. نشر أسباب الفوضوية وإدمان الخمرة. المعنى السرى للدعاية تبثها نظرياتنا الاقتصادية.

سنشرع دون تأخر في انشاء أجهزة احتكارية ضخمة، وحشد الثروات وتجميع الأموال، ليكون كل ذلك محصوراً بأيدينا، وقد أمسى قوة مرهوية، وفي الوقت نفسه تكون هذه القوة هي المسيطرة على الكبير الوافر من ثروات الغوييم، وهذه موقوفة حياتها على قوتنا الى حد أن تلك الثروات ستبهط إلى القاع جارة وراءها ارصدة الغوييم، في اليوم الذي يكون مضرورياً لإنزال ضريبتنا السياسية القاصمة.

وأنتم أيها السادة الحضور هنا، وكلكم رجال اقتصاد، بوسمكم ان تتصوروا بعين العقل ما يكون لهذه القوة الاحتكارية، التي مضاًؤها كمضاه السيف، من خطورة حاسمة. ويجب علينا أن نبذل جهدنا بكل طريقة ممكنة لتوسيع نطاق هيبة الحكومة العالمية العليا، والإعلاء من شأنها، وذلك بتصويرها أنها ما قامت إلا لحماية الدول التي تتضوى اليها وتستظل بظلها، وهي منبع الخير والعون لتلك الدول.

اما ارستقراطية الغوييم من جهة كونها قوة سياسية، فتكون قد أدرجت في أكفانها. فلا ينبغي لنا أن نأخذها بحساب. ولكن يبقى من أمرها خطراً واحداً علينا، من ناحية كونها تمثل طبقة أرياب الثروات المقاربية من أرض وبناء، ووجه هذا الخطر، ان تلك الطبقة تبقى في تدبير مفايشها معتمدة على الدخل الذي تجنيه من ريع املاكها هذه، وهذا الريع يكفيها مؤونة حاجاتها. فعلينا بكل حال أن نحرمها هذه الاملاك. وإنما يتم تحقيق هذه الغاية بأفضل وجه، بزيادة الضرائب والتكاليف المرتبة على العقار والارض زيادة تجررها الى الديون المفرقة المبهظة، ثم يكون من شأن هذه التدابير انها تحد من نشاط التملك وتجعله مَعْرِقاً فينصاع الغوييم لنا مستخدمين لتوجيهنا وأرائنا.

ولما كانت ارستقراطية الغوييم غير معتادة بحكم اساليبها القديمة الموروثة، ان تقنع بالقليل من الخير، ودأبها الطمع فيه والاستكثار منه، فسيضطرب امرها أى اضطراب يُخرجها عن طورها لعدم قدرتها على تحمل العوز والقلة، فتنادى بالويل والثبور. فيجب علينا في هذا



الوقت نفسه أن نكون أصحاب الهيمنة على أوسع نطاق ممكن، على التجارة والصناعة وبصورة خاصة على أسواق المضاريات، إذ المضاريات هي الأداة التي تهب في وجه الصناعة فتشلها، وعدم وجود الصناعات بلا مضاريات، من شأنه أن يحمل رؤوس الاموال التي في الأيدي الخاصة تنمو وتزدهر، فيفضي ذلك بالزراعة الى الانتعاش عن طريق تحرر الأرض والأمالك من ريقه الديون للمصارف المقارية. وما نحتاج اليه حقاً في هذا الموطن، هو أن تكون الصناعة سبب تجفيف الأرض من العمال ورأس المال. فإذا جرى الأمر على ما نخطط، وانتهى إلى غايته، انسأقت إلى أيدينا أموال العالم فحزناها نحن وحدنا، ثم نحول الفويم جميعاً إلى وضع الصعاليك الكادحين (البروليتارية). واذ بالفويم يجثو امامنا صاغراً، وإذا لم يكن من سبب لذلك إلا حق البقاء المجرد، لكفى

ولكى يتم لنا مخطط نسف الصناعات، فأننا سنأتى بما يعزز هذا الامر ثم ندعه ينطلق في سبيله يعمل عمله، فنُعنى بنشر الوسائل المفرية بالترف وعبادة الاناقة بين الفويم، ونشوقهم الى هذا الطور، ونزين لهم ملذاته وأطاييه، اذ نهمة هذا الاتجاه اذا استحسكت حلقاتها، فلا تبقى ولا تذر وسنعلى مستوى الأجور العمالية، ولكن لا خير من هذا يصيبه العمال، لأننا في الوقت نفسه سنعلى أيضاً مستوى الأسعار للحاجات الضرورية التي تعم بها البلوى، مدعين وزاعمين أن هذا كله ناشئ عن جمود الزراعة والتراخي في تربية الماشية. ثم بالاضافة إلى هذا كله، سنشلّ مصادر الإنتاج، ونعطلها بأساليب هي غاية الفن والبراعة، وبذلك يجعل العامل يمتاد المشاكسة والحُرون، واساليب الفوضوية، وركوب الرأس، فيمسى يتخبط في حاله كيفما اتفق له، وسنشيع وسائل الإدمان على الخمرة، وهذه التدابير مجتمعة تسير قافلة واحدة متساندة، موالية السير قُدماً نحو غاية كبيرة، وهي ملامشة العناصر المتعلقة من الفويم، من على وجه الأرض.

وخشية أن يدري الفويم بهذا فيجفل قبلي نفاذ الخطة بتمامها، وقبل حلول اليوم الموقوت، فإننا سنفرغ هذا كله في قالب المصلحة، الخادعة في المظهر، بدعوى الرغبة الحارة في خدمة الطبقات العاملة، والمبادئ الصحيحة للاقتصاد السياسى، مما تكون نظرياتنا الاقتصادية قد قامت بالتمهيد له على يد أجهزة دعاياتنا، على نطاق آخاذ واسع.

## البروتوكول السابع

الغاية من توسيع باب التسلح . الهزات المنيفة، والانشقاق، والأحقاد فى جميع أنحاء العالم كبح جماح الفوييم فى المعارضة التى يقوم بها . الحرب تُشَنُّ عليه حرب محصورة أو عالمية شاملة . الكتمان سبب نجاح السياسة . الصحف والرأى العام . مدافع اميركا والصين واليابان .

التسابق فى التسلح تسابقاً ضخماً، وزيادة القوات الدفاعية فى العالم، كل هذا ضرورى فانه يساعد فى تنجيز خططنا هذه. ولكن هدفاً كبيراً، من أهدافنا يجب أن نمنى بتحقيقه بصورة خاصة، وهو محو جميع الطبقات فى جميع دول العالم دون استثناء، إلا طبقة الصماليك لا غير، مع بضعة مليونيريات موجهن الى خدمة مصالحنا وشرطتنا ووجدنا .

وفى أوروبا كلها، كما فى غير بلاد أيضاً، علينا أن نخلق الهزات العنيفة، والانشقاقات، واثارة الضغائن والأحقاد، عن طريق شبكة الصلات المحبوكة فى أوروبا فننغم مقنمين، الأول: ابقاء البلدان مكبله مقيدة، لا تقوى على شىء تأتية كما تريد، اذ كل دولة تعلم حق العلم اننا نحن الذين بيدهم تصريف الامور، قبضاً وبسطاً، وبيدنا أسباب تارث نار الحرب أو اخمادها. ولا يغيب عن أى من الدول ان ترى بحكم العادة أن لنا القوة المبسوطة اليد فى إيقاع الإكراه الذى نريد، وانف الجميع راغم. والمفتم الآخر، اننا سنمد بسنانير المكاييد الخفية الى المجالس الوزارية فى كل بلد، فتعلق بها الخيوط متضاربة متعقدة، وما تلك السنانير الا المعاهدات الاقتصادية وهيود القروض المالية. ولكى نضمن لنا النجاح فى هذا، ففى اثناء المفاوضات التى يجب أن تكون جد حاذقين، وأهْلْ دهاءٍ وحيلة، حتى ننفذ الى صميم الأغراض المتوخاة، وأما فيما يتألف منه المظهر الخارجى الرسمى، فموقفنا ينبئ أن يكون على العكس من ذلك: كلاماً معسولاً، متقناً بقناع الأمانة، وشرف المعاملة، مع حسن المسايرة والملاطفة والاستجابة. وبهذه الأساليب ستظل شعوب الفوييم وحكوماتهم، وقد عودناهم الاكتفاء من الأشياء بمظاهرها الخارجية، راضية بنا ومسلمة باننا نحن ما جئنا إلا لخير الجنس البشرى وخلصه .

وعلينا أن نكون فى موضع يمكننا من تناول أى عمل من أعمال المعارضة وذلك بإبقاء الحرب بين البلاد المعارضة لنا وجاراتها. وفى حال قيامها جميعاً فى وجهنا يداً واحدة، فحينئذ لا سبيل إلا أن نستوقد حرباً عالمية كاسحة.

والعامل الرئيسى فى نجاح خططنا السياسية، هو كتمان المساعى والمشروعات، والقاعدة: ان السياسى ليس شرطاً فيه أن تتفق أقواله مع أفعاله. ويجب إرغام حكومات

الفويم على انتهاج الخطة التي نشير بها نحن، في برامجنا المدروسة على أوسع نطاق وأبعده، وهي البرامج التي أخذت الآن تقترب من الخاتمة. وطريقة حمل تلك الحكومات على ما نريد، هو التيار الذي يقال له الرأي العام وهي يدنا الخفية زمامه ومقادته نحركه بالقوة الكبرى. الصحف، والصحف، ماعدا قليلاً منها، مطواعة لنا مستجيبة لما نشير به.

وموجز الكلام، من ناحية صفة خططنا لإبقاء حكومات غويم أوروبا تحت كايح منا يأخذ على ايديهن، إننا نظهر مجالي قوتنا لفريق منهن، بوسائل الإرهاب الذي يتناولهن جميعاً، إذ رأينا احتمال وثبتهن علينا متفقات، فنجيبهن يومئذ بمدافع أميركا والصين واليابان.

## البروتوكول الثامن

استعمال الحقوق القانونية استمالةً غامضاً. الأعوان الذين يختارون من المركز الصهيوني. المدارس والتخرج العلمي الفائق المستوى. رجال الاقتصاد والمليونيرية. الى من سيمهد بالمناسب الكبيرة الحساسة في حكومتنا! مجازاة عملنا من الغوييم بالتقبل اذا خالفوا تعليماتنا.

السلح الذي يحتمل ان يستعمله اعداؤنا في وجهنا يجب ان نستعمله نحن، وعلينا ان نحاول بالطف مقال، وأنعم كلام، وأرفع طراز في تليفق الفتاوى القانونية، تسويخ أحكام القضايا التي تبدو خارقة العادة، جرئية، ظالمة، إذ من الخطورة بمكان أن نجعل هذه الأحكام تتشع أروع صور العدالة، ونطرحها أمام الناس نماذج من المثل الأخلاقية، كأنها أفضل ما يستطيع استمداده من مادة القضاء. وعلى جهازنا الإداري الموجّه، أن يعيط خبرة، بجميع القوى التي تدخل في نسيج المدنية، القوى التي يعمل هذا الجهاز في وسطها: قوى حملة الأعلام، والفقهاء المتمرسين، والإداريين من الرتبة العليا، والساسة، وأخيراً الأشخاص الذين كمل تخرجهم تخرجاً خاصاً، ودرّبوا تدريباً علمياً فائق المستوى في مدارسنا المعدة لهذه الغاية. هؤلاء الأشخاص لن يفوتهم بحال أن يلاحظوا الأسرار في تركيب المجتمع، وفقه لفة السياسة على اختلاف أساليبها، وكل ما يندرج تحت الأبجدية السياسية ويجرى من أفاظها. وهم بعد، قد ازدادوا اطلاعاً على الخفايا والغوامض من الطبيعة البشرية، ومواطن الأنسجة للحس المرهف المستتر، وهذه الأنسجة إنما هي القالب الذي أفرغ فيه ذهن الغوييم، وهي مجلّي نزعاته، ونواقصه، ورذائله وفضائله، وما تجد هنا مختزناً من صور مفصلة للطبقات والأوضاع. وإنى بفتنى عن القول، أن الأعوان من ذوى المواهب الذين يختارون ليقوموا بمناصب مساعدين في الإدارة، لن يؤخذوا من عناصر الغوييم، الذين أتاولهم هنا، واعتادوا أنهم إذا قاموا بعمل إداري وأنفذوه، فإنما يقومون به دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير فيما يراد به، أو ما عسى أن تكون الحاجة التي اقتضته. فالمختارون من الغوييم للإدارة، يكفيهم أن يوقموا الأوراق ولا حاجة بهم الى التمعن فيها، وهم في الخدمة لأحد غرضين: إما ابتغاء الأجرة أو المرتب، وإما اشتهاؤ لقضاء المطمح القاصر في نفوسهم.

ثم إننا سنمد أجهزة حكومتنا بعالم فياض من رجال الاقتصاد، ولنتذكر أنه من أجل هذه الغاية، جعل تدريس العلوم الاقتصادية في مدارسنا أهم مطلب يتمين على اليهود تحصيله بتمامه وكماله. وسنحيط دولتنا برهط إثر رهط من رجال المصارف، والصناعيين، والتموليين،

وواسطة عقد هؤلاء هم أصحاب الملايين، إذ في الواقع سيكون مرد كل شيء إلى صعيد الأرقام، وهذه في جميع الأحوال والقضايا هي الفيصل الأخير، فلا حكم بعد حكمها. والذين يُختارون للمناصب ذات المسؤولية في حكومتنا من إخواننا اليهود، ويحتاج أمرهم في البداية إلى فترة اطلاع على مجارى العمل قبل أن يعهد إليهم في ذلك، فإنهم سيوضعون في خلال هذه الفترة في عهدة أشخاص (من الفوييم) مؤقتاً، غير أن هؤلاء الأشخاص هم من الذين اشتدت شبهات الناس (الفوييم) بهم، حتى قام بينهم وبين جماعتهم برؤخ من الريب، فإذا ما تقاعسوا عن تنفيذ التعليمات التي تصدر إليهم، فهم إما سيلقون الجزاء والعقاب متهمين، وأما سيفييون عن الوجود بالمرّة. وإنما نضعهم هذا الوضع لكي نحملهم على خدمة مصالحنا، حتى النفس الأخير من حياتهم.

\* \* \*

## البروتوكول التاسع

تطبيق المبادئ الماسونية في مادة التعليم الذي تعلمه الشعوب. الشعارات الماسونية. معنى، اللاسامية. الدكتاتورية الماسونية. الإرهاب والرعب. من هم خدام الماسونية. معنى القوة المبصرة والقوة العمياء في دول الغويم. الاتصال المباشر بين السلطة والدهماء. إباحات الليبرالية. القبض على زمام التعليم والتدريب. النظريات الكاذبة. تفسير القوانين. الحركات السرية والأوكار الخفية.

في تطبيق مبادئنا، علينا أن ننتبه إلى الشعب الذي تقيمون بين ظهرانيه وتعملون في بلاده، وهذا الانتباه يتعلق بأخلاق ذلك الشعب، فإننا إذا أخذنا بتطبيق مبادئنا عليه، تطبيقاً ظاهرياً عاماً، وعلى نسق متماثل دون تمييز، وجريئاً على هذه الوتيرة إلى أن نكون قد عدلنا وأصلحنا مادة التعليم لذلك الشعب تعليماً ينطبق على أهدافنا ومنوالنا، فعلى هذا الوجه لا مطمع لنا في إدراك النجاح. لكن إذا أخذنا نرعى التطبيق بيقظة واحتراس، فلن يمضى على ذلك أكثر من عقد من السنين حتى يكون طور ذلك الشعب قد تغير حتى في أصلب ما يعرف عنه من خلق العناد والمشاركة، وبذلك نضيف شعباً جديداً إلى صفوف الذين قد تم لنا اقتيادهم وإخضاعهم لنا.

وإن كانت ليبرالية وما يشق من معانيها، الكلمات التي هي في الواقع من شعاراتنا الماسونية، كالحرية والعدالة والمساواة، سنبدلها عندما نقيم مملكتنا، إلى كلمات لا تحمل هذا المعنى الشعاري بعد ذلك، وإنما يفدو معناها الوحيد مجرد الدلالة على صور مثالية، فالأولى تصبح حق الحرية والثانية واجب العدالة، والثالثة كمال المساواة، ويقاس على هذا سائر التعديل وبهذا نمسك الثور من قرنيه.

ومن الوجهة الواقعية، فإننا قد وفقنا إلى الآن في محو كل نوع من أنواع العهود الحاكمة، إلا عهدنا، مع أن من الوجهة القانونية لا يزال هناك عهدٌ حكم قائمة بالصورة والشكل فقط، وهذا أمره بيدنا نتصرف به على ما نرى، ونصدر فيه تعاليمنا، وذلك لأن اللاسامية لا تراها إلا ضرورية لنا للاستفادة منها في رعاية إخواننا المستضعفين في هذه القضية أكثر من هذا الحد، لأن موضوعها قد أشبع بحثاً وكرر ذلك فيما بيننا على ما فيه الكفاية.

وأما نشاطنا، فلا شيء يحد من اتساع نطاقه. وأما حكومتنا العليا، فكائنة في أوضاع فوق الأوضاع القانونية الهائلة، وأوضاعنا هذه هي الموصوفة في المصطلحات الحارية بمعنى

الطاقة المنبمئة والقوة الماضية . أعنى الدكتاتورية . وبوسمى أن أعلمكم بكل نقاوة ضمير أننا، ونحن الذين يوحون بالتشريع ومنا مصادره، سنتولى بأيدينا، حينما يحين الوقت، تنفيذ الأفضية والأحكام، فنذبح من نذبح، ونعفو عن نعفو، ونحن ذو القيادة على سهوة جواد الأمير القائد . إننا سنحكم بالقوة . لأن بيدنا بقايا حزب من الأحزاب، كانت له الصولة والسطوة فيما مضى، فأيدناه فاندرج فى الماضيين . وأما الأسلحة التى فى أيدينا فهى مطامح لا حدود لها، وجشع أكث، كاو، وحب انتقام لا يعرف الرحمة، وضافائن وأحقاد .

ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذى دارت دوائره بالناس . وهى خدمتا أشخاص شتى ينتمون الى جميع المذاهب الفكرية، ومختلف التعاليم؛ منهم المطالبون بالمروش، واسترداد الملكيات، وزعماء السواد والعامه، والاشتراكيون، والشيوعيون، وحملة الأحلام الطوباوية من كل حزب . وقد قرنا هؤلاء جميعاً الى نير العمل فى سبيلنا . وجعلنا كلاً منهم، وحبلة على الغارب، يثقب ما بقى من جدران السلطات، ويجهد طاقته ليذك قوائم الأنظمة القائمة على اختلاف صورها . فامست جميع الدول بسبب هذا فى عذاب ووبال . تبذل النصيحة من أعماق نفسها طلبا للسلامة، وهى مستعدة لتضحى بكل عزيز من أجل الحصول على الأمان والسكينة، وإننا لن نعطيها ما تطلب من سلامة وأمان، قبل أن تعترف جهاراً، وفى وضع النهار، بحكومتنا العالمية العليا، وأن تفعل هذا مستسلمة صاغرة .

ولقد اشتد صياح الشعب بالولولة والإعوال، طالبا بحكم الضرورة تسوية المسألة الاشتراكية بطريق التفاهم والاتفاق الدولى . والعامل والمهماز فى هذا هو الانقسام والانشقاق الى أحزاب صغيرة مؤلفة من فئات ضئيلة، فدعت هذه الحالة بالشعوب إلينا، ففدا المضي بالمراك بمد ذلك، وكل يشد الحبل الى جهته، فى ميدان المكافحة، أمراً صعباً شاقاً بسبب الحاجة الى المال، والمال كله قد استقر فى أيدينا .

وقد يكون هناك من السبب، ما يحملنا على التخوف من اتحاد يقع بين القوة المبصرة التى للموك الفوييم، الجالسين على المروش، وبين القوة العمياء التى للدهماء، ولكننا قد اتخذنا من لازم التدايير ما يكفى لمواجهة مثل هذا الاحتمال إذا لاح: فإننا قد نصبنا بين هاتين القوتين متراساً حاجزاً يرى فيه كل فريق الرعب والهول يأتيانه من قبله . وبهذه الطريقة، تبقى القوة العمياء فى جانبنا، نمدّها، ونحن وحدنا القادرون على هذا، بزعيم يتولى أمرها، وهذا امره بيدنا؛ فترشده الى الطريق التى يجب أن تسلك نحو هدفنا .

ولكى لا تستطيع يد القوة العمياء الثقلت من سلطاناتنا عليها، فيجب من جهتنا بين وقت وآخر، أن نتصل بها اتصالاً مباشراً، وهذا إذا لم يكن على يد أشخاص (من الفوييم) فيكون على يد أحد إخواننا الذى هو عندنا ثقة خالصة . ومتى ما تم وانتهى الاعتراف بكوننا نحن السلطة الوحيدة، فحينئذ نتفاوض مع الشعب وجهاً لوجه، وباللسان علناً، وفى الساحة العامة،

فترشدهم فى المسائل السياسية بطريقة تجمل اتجاههم هو هذا الاتجاه المراد .

ولعمري ما هى السبل التى تتمكن بها من مراقبة التعليم فى مدارس القرى والأرياف ومعرفة ما يجرى هناك؟ لا يصعب علينا ذلك إذ لا يمكن أن تخفى خافية أو ليس أى قول ينطق به لسان الحكومة؟ أو حتى الملك نفسه جالساً على العرش، سرعان ما يذاع ويشاع فى جميع الدولة ثم فى الخارج لكثرة ما يلجج به الناس ويتناقلونه من مكان الى مكان؟

وحتى لا تتلاشى مؤسسات الغويم قبل حلول الوقت المضروب، فإننا قد أفرغنا عليها مسحة من الإخوة الماسونية، ومظهراً يعطى الهيبة والكياسة وقبضنا على نوابض الأجهزة كما يقبض على جهاز آلى متحرك، وهذه النوابض نغنى بضبطها، ووضع الموضوع المحكم، العناية كلها، وهى الآن تحل محلها الفوضى من الإباحيات المنطلقة من الحرية الليبرالية. وإننا قد تدخلنا أوغل تدخل فى ما يتعلق بإجراء القوانين وتطبيقها، كما تدخلنا فى إدارة الانتخابات العامة، وفى توجيه الصحف، وحرية الفرد، على أن تدخلنا الرئيسى وهو أصل من أصول خططنا، هو فى التعليم والتدريب، إذ هما حجر الزاوية فى الوجود الحر.

وأما شباب الغويم فقد فتاهم فى عقولهم، ودوخنا رؤوسهم، وأفسدناهم بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التى نعلم أنها فاسدة، مع أننا نحن الذين لقناهم ما تربوا عليه .

وفوق أجهزة القوانين الجارية، ودون حاجة إلى أن نغير مادتها من حيث الأساس، قد استملعنا أن نقيم شيئاً تتبعث منه مجالى العظمة والجلال، وذلك بأننا لوينا القوانين فالتوت، وعقدناها فتمقدت، فأمسست ركاماً من تفاسير متناقضة، فأدركنا المراد بالنتيجة: فنشأ عن ذلك أولاً أن تلك التفاسير والشروح لتناقضها قد ألبست معانى القوانين والغموض والابهام، فانسدت الطرق على الطالبين، ثم بعد ذلك زاد شيء آخر، وهو ان القوانين نفسها قد عُمى لبابها عن أفهام الحكومات لاستحالة التوفيق بين مختلف المقاصد، واستحكام حلقة العضلات، حتى أمست القوانين مشتبكاً كبيت المنكبوت.

وإنما هنا يكمن اصل نظرية التحكيم.

فقد تقولون ان الغويين سيهب فى وجهنا ويبيده السلاح، إذا ما اشم رائحة ما يجرى فى الخفاء إلى نهايته التى لم يحن وقتها بعد. وأجيب على هذا بأننا قد أعدنا فى الغرب (أوروبا) مناورة مذهلة تتزلزل منها أقوى الأفتدة وتصطك الركب: الحركات السرية المدمرة، والأوكار والأعشاش الخفية، والدهاليز السوداء، وكل هذا سيكون مهياً لينفجر معاً فى العواصم والحواضر فيذرو فى الريح كل شيء من مؤسسات وسجلات.



## البروتوكول العاشر

المظهر الخارجى للمسرح السياسى . عبقرية اولاد الحرام . ما هى وعود الانقلاب الماسونى . حق الانتخاب العام . الاعتداد بالنفس . زعماء الماسونية . العباقرة الذين هم قادة الماسونية . المؤسسات فى الدولة ووظائفها . سموم الليبيرالية . الدستور مدرسة الانشاقات الحزبية . عصر الجمهوريات الدستورية . رؤساء الجمهوريات مطايا الماسونية . مسؤوليات الرؤساء . استغلال الفضائح كفضيحة بناما . الدور الذى يمثله على المسرح كل من النواب والرئيس . الماسونية هى القوة الاشتراعية . دستور الجمهورية الجديد . دور الانتقال إلى الماسونية فى سلطتها المستبدة . حول اليوم الذى يعلن فيه ملك العالم . نشر جرائم الأمراض وغير ذلك من قبائح الماسونية .

ابتدىء كلامى اليوم بتكرار خاصة ما قلته سابقاً، وأرجو منكم أن تموا فى أذهانكم ان الحكومات والشعوب إنما تقفان فى تحليل المسائل السياسية عند الظواهر لا تتعدها . وكيف يقوى الفويم على النفاذ إلى بواطن الأمور، ولا هم لممثليهم إلا التسكع وراء المتع والم لذات؟ وهذا الايضاح الذى أبينه الآن، تقتضى مصلحتنا الانتباه له، لما فى ذلك من الفائدة لنا عندما نضع فى الميزان ما يتعلق بتوزيع السلطة، وحرية الرأى، وحرية الصحافة، والمعتقد الدينى، وقانون الجمعيات، والمساواة أمام القانون، وحرمة المال والمقتنيات، والمساكن، وما يتعلق بالضرائب (غير المباشرة)، وما تحدته القوانين من قوة رد فعل فى المجتمع . فهذه المسائل هى من الخطورة والدقة بحيث لا تطرح على بساط البحث علناً، وعلى مسمع ومرأى من الشعب . فاذا استدعت الضرورة شيئاً من هذا، ولا مناص، فيقتصر على ذلك الشيء مجملاً، ولا يسمى بالصراحة أو يعين تعييناً، ويجتنب التفصيل، ويكتفى بالقول المتعصب اننا نعترف بهذه القوانين الجارية . والسبب فى ما ينبغى أن نتخذه من مجانية وصمت، هو أننا بعدم تسميتنا المبدأ أو القاعدة على وجه التحديد الذى ينفى كل شبهة، تبقى لنا حرية التصرف والعمل، فتسقط هذا الأمر أو نعيده، نقره أو نثبته، تبعاً لما يترأى لنا، دون أن يكون من وراء ذلك ما يوقظ الانتباه . وعلى العكس من هذا، إذا ذهبنا إلى التعيين والتحديد، فكاننا قد طرحنا المسألة للنقاش، وهذا مانحاذر .

ومن عادة الدهماء، أن يستهويهم العباقرة الممثلون للقوة السياسية، وما يأتية هؤلاء من أفعال البأس، والإقدام والجرأة، فيقول الدهماء فى الشاء على تلك الافعال والإعجاب بها: هذا

عمل لا يعمله إلا الوغد ابن الحرام ولكنه حقاً عمل رائع مدهش! أجل، إنه حيلة وخديعة، ولكنه بفاية البراعة والدهاء!

ومما نعتمد عليه، ان نجتذب انتباه الأمم الى العمل الذى نقوم به من بنائنا الهيكل الأساسى للنظام الجديد، وهو ما وضعنا نحن خططه. وهذا هو السبب فى انه من الضرورى لنا قيل كل شيء، ان نسلح نفوسنا وندخر فى قلوبنا تلك الروح البطاشة التى لا تعرف الخوف ولا تهاب العواقب، وتكسح فى طريقها كل عقبة - روح الفاتك الغشوم، الروح التى تعتلج فى صدور العاملين الضعافين من رجائنا. ومتى ما أنجزنا الانقلاب، قلنا للشعوب المختلفة: «ان الزمان قد ساء بكم، فاختلت اموركم وانهارت، وعم الشقاء احوالكم وملاً آفاقكم، ففسد الذى بين أيديكم، وما نحن هنا إلا من أجل خيركم وملاشاة الأسباب التى جرت عليكم كل هذا العذاب - التمسك بزمو القوميات، وقضايا الحدود الاقليمية، وما لكل دولة من نقد مضروب لا يعدو حيزها، وانتم فى الخيار، والحالة هذه، ان تحكموا حكماً مؤبداً لنا، او جارحاً لما آتينا من انقلاب، لكن اىكون الحكم عادلا منصفاً، اذا اجريرتموه علينا قبل ان تفحصوا، وتصدقكم التجربة لما نحن مقدمون اليكم؟ فاذا ما فعلنا هذا وقلنا على هذه الصفة، فالدهماء يأخذهم الاغترار بنا، فتثنى علينا وترفعنا على الاكتاف بالإجماع رفع المنتصر الظافر، وكلهم أمل ورجاء. وبهذا تتجلى الفوائد المتوخاة من الحيلة التى أدخلناها عليهم وهى الاقتراع، التصويت، او حق الانتخاب، اذ نكون قد جعلنا من هذه الوسيلة الفاتكة ما يكفل لنا الوصول الى صولجان العالم، بعد ان تغلفت فتنة التصويت فى كل مكان، واصابت كل فئة من البشر، مهما تكن هذه الفئة ضئيلة الشأن، وسادت فى الاجتماعات والهيئات عند كل فريق، واعطت الآن ثمراتها للمرة الاخيرة، اذ يجمع الناس على ان يعرفونا قبل ان يحكموا علينا: ولكى تسلم هذه الثمرات كما نشتهى، علينا ان نعمم حق التصويت ونجعله شاملاً بلا فارق فى الطبقة أو الأهلية، ليكون لنا من ذلك الكثرة الكاسحة المطلقة، مما لا تناله من الطبقة المتعلمة من ارباب الأملاك. واننا بإشرابنا الجمهور كله نزعنا الاعتداد بالنفس، وتلقيحه بهذا اللقاح، نكون قد فككتنا رابطة الأسرة، واذبنا ما لها من قيم ثقافية، وازحنا من الطريق الأفراد الذين يحتمل لما لهم من عقل ان ينشقوا عن الجماعة المذعنة ويذهبوا طريقاً مخالفاً لنا، واذا ما عن لهم ان يفعلوا مثل هذا، فالدهماء حقاً اعتادوا ان يصفوا لنا وحدنا، لأننا نكافئهم على الطاعة والاصفاء. بهذه الطريقة نخلق قوة طائشة عمياء عنيفة، وهى على وضع لا نتمكن معه من اتيان أية حركة فى أى اتجاه دون إرشاد عملائنا الذين أقعدناهم مقعد الرياسة، وهم من الدهماء، وأمسى أمرهم بيدنا، ثم إن الشعب لن يتوانى فى الاستكانة إلى هذا العهد، لأنه يعلم أن تحصيل قوته والوصول إلى مطالبه ومنافسه، كل ذلك يكون موقوفاً على اتباع قادته هؤلاء المنصوبين عليه.

وأما مشروع إنشاء الحكومة، فينبغى أن ينفرد بوضعه دماغ واحد منا، لأن هذا الأمر إذا تولاها عدة نفر، اختلف الرأي ووقع التنازع، وجاءت الحكومة ولا نصيب لها من التماسك. فعلىنا أن ندقق فى هذا المشروع عن ناحيته العملية، لكن لا يجوز بحال علاجه بالمناقشة العلنية، كى لا يفسد ما فيه من مزايا الضبط والإحكام، وتسلب منه خاصية التماسك والترابط، وما تضمنته كل فقرة من المقاصد التى أرسلناها غامضة. فإذا أبغنا للدهماء نقاش المشروع، واقترحوا التغيير والتبديل، بطريق التصويت، فكأننا أبغنا لهم أن يذهبوا فى ذلك مذاهب متضاربة لا تقف عند حد، وتتصادم أقوالهم وآراؤهم إلى ما فيهم من سوء فهم، وهم بعد ذلك أقصر مدى فكراً من أن يكتبوها خفايا، فيجب علينا ألا نطرح بنتائج عبقرية رجالنا إلى أنياب من ينهشها، حتى ولا إلى النفر المتزعم من الدهماء. وهذه المشروعات الانقلابية لا تكون حتى الآن قادرة على قلب الأنظمة القائمة، رأساً على عقب. قصارى ما تستطيع أن تبلغه أنه تحدث تغييراً فى المجال الاقتصادى، وبحكم النتائج كلها جملة واحدة، يقع تبديل كذلك فى مجرى حركة التقدم والتطور، ينسجم واتجاهنا المخطط.

\* \* \*

وفى جميع البلدان نرى شيئاً واحداً، اختلفت أسماؤه واتحد معناه: التمثيل النيابى، مجلس النواب، والوزارة، مجلس الشيوخ، مجلس الشورى الأعلى، السلطة الاشتراعية، السلطة التنفيذية وأمثال ذلك. ولا حاجة بى أن أوضح لكم ما بين هذه المؤسسات من الصلة الآلية الرابطة، إذ تعلمون ذلك جيداً. وإنما ألفت نظركم إلى أن كلا من هذه المؤسسات، تقابله وظيفة مهمة من الوظائف التى تقع على عاتق الدولة. وأرجو منكم الملاحظة أن نمت الوظيفة بالمهمة فى العبارة السابقة هنا، لا أعنى به أن الأهمية المقصورة، عائدة إلى المؤسسة نفسها من حيث هى. كلا. بل أعنى أن الأهمية هى أهمية الوظيفة التى تقوم بها المؤسسة. وهذه المؤسسات قد اقتسمت فيما بينها وظائف الدولة، من إدارية واشتراعية وتنفيذية، وهى تقوم بها قيام أعضاء الجسم الإنسانى بوظائفه نحو مركب الجسم كله، فإذا اعتل عضو واحد من هذا المجموع اعتل سائرته بفعل تعدى الأثر، ثم يفسد الجسم كله.. فيدرکه الفناء.

ولما أدخلنا اسم الليبرالية على جهاز الدولة، تسمت الشرايين كلها، ويا له من مرض قاتل، فما علينا بعد ذلك إلا انتظار الحشرجة وسكرات الموت..

إن الليبرالية أنتجت الدول الدستورية التى حلت محل الشىء الوحيد الذى كان يقى الفويم - السلطة المستبدة. والدستور، كما تعلمون جيداً، ماهو إلا مدرسة لتعليم فنون الانشقاق، والشغب، وسوء الفهم، والمناظرة، وتنازع الرأي بالرد والمخالفة، والمشاكسة الحزبية العقيمة، والتباهى باظهار النزوات. وبكلمة واحدة: مدرسة لإعداد العناصر التى تفتك

بشخصية الدولة وتقتل نشاطها. ومنبر الثرثارين وهو ليس اقل من الصحف إفساداً في هذا الباب، راح ينمى على الحكام خمولهم وانحلال قواهم، فجعلهم كمن لا يرجى منه خير أو نفع. وهذا السبب كان حقاً، العامل الأول في القيام على كثيرين من الحكام فأسقطوا من على كراسيهم. فأطل عهد حكم الجمهورية، وتحقق، فجئنا نحن نبذل الحكم بمطية من قبلنا ونجمله على رأس الحكومة - وهو ما يمرق بالرئيس، نألى به من عداد مطايانا أو عبيدنا، وهذا ما كان منه المادة الأساسية المتفجرة من الألفام التي وضعناها تحت مقاعد شعب الفويم، بل على الأصح شعوب الفويم.

وفي المستقبل القريب، سننشئ نظام مسؤولية رؤساء الجمهوريات.

وحيثنذ نكون قد أصبحنا في وضع يمكننا من إغفال القيمة الشكلية في إجراء الأمور التي يكون الرئيس المطواع هو المسؤول عنها. ثم وماذا يهمنا إذا رأينا الذين يتهافتون على الكراسى والوصول إلى الحكم، يفنى بعضهم بعضاً، في حال ظهور أزمة مغلقة ناشئة عن استحالة العثور على رئيس جديد، ومثل هذه الأزمة يوقع البلاد في الداهية الدهياء.

وحتى نقتطف الثمرات من خططنا، سنشير بإجراء انتخابات لاختيار هذا الرئيس، ويكون اختياره من بين أولئك النفر الذين سبق لهم فتلخ ماضيهم بما يشين ويميب، ولم يكتشف أمرهم بمد، كالذي كان من فضيحة بناما، أو غيرها، والذي نختاره رئيساً من هذا الطراز، لا بد أن يكون عميلاً لنا موثقاً به، قادراً على اتباع ما توحيه خططنا. وما يدفعه إلى هذا، خشيته أن يفضح أمره، ويكشف الستر عنه، يضاف إلى هذا ما في نفسه من الرغبة الطبيعية، كما في غيره، للاحتفاظ بما انساق إليه من جاه وامتياز ومقام ومكانة ظاهرة، عن طريق السياسة. أما مجلس النواب فشأنه أن يكون بمثابة الوقاء للتغطية على الرؤساء، وحمائهم وانتخابهم، ولكننا سننزع من المجلس حق الاقتراع فيمن هو الرئيس الجديد، وحق تغيير القوانين القائمة، لأن هذا الحق نمحه الرئيس المسؤول، المطية الذلول، ثم من الطبيعي أن ما يتمتع به الرئيس من صلاحيات يجعله هدفاً يرمى بالنبال، من الحسد أو الضغينة، فيمطر بالنقد والتجريح من كل جهة، لكننا نمده بما يدافع به عن نفسه، وهو حق الاحتكام إلى الشعب، من فوق رؤوس النواب، والشعب أعمى، (أو كثرة الدهماء) اعتاد الانقياد والطاعة. وما عدا هذا، فإننا سنسلح الرئيس بحق آخر: هو إعلان الحرب. ونبرر هذا ونسوغه من ناحية أن الرئيس بصفة كونه القائد الأعلى للجيش وسيد البلاد، ينبغي أن يكون في متناوله هذا الحق لحاجته الضرورية إليه من أجل الدفاع عن سلامة البلاد وحماية الدستور الجمهوري الجديد، فهو المسؤول عن الدستور وهو يمثل الدستور.

وبمعزل عن هذا، فإننا سننزع من مجلس النواب حق توجيه السؤال إلى الحكومة، أو

استجوابها، فيما تتخذه من تدابير في نطاق صلاحيتها، وتتخذ حجة في هذا، الحفاظ على الأسرار السياسية للدولة. وأكثر من ذلك، فإننا سنخفض عدد النواب إلى الحد الأدنى، فيخف بذلك الشعب السياسي، ويتوارى في نفسه الشره للاشتغال بالسياسة. فإذا هو مع هذا، اندفع إلى الشعب وهذا لا يتوقع، فالمندفمون لا يكونون إلا قلة، فنجرهم ونمسحهم مسحاً، وذلك بأن يطلب رد الأمر إلى الأمة لاستفتاءها.. ويتوقف على الرئيس تعيين الرئيسين لمجلس النواب ومجلس الشيوخ وتعيين وكيليهما أيضاً. وبدلاً من أن تعقد المجالس النيابية جلسات عديدة، فيختصر ذلك إلى أقل عدد ممكن ولبضعة أشهر وكفى. والرئيس، بصفته رئيس المصلحة التنفيذية، يكون من صلاحيته أيضاً دعوة مجلس النواب إلى الانعقاد، وله تعطيله أو حله، وفي هذه الحالة الأخيرة تطول فترة الحل قبل العودة إلى انعقاد آخر. وحتى لا تقع نتائج هذه الأعمال كلها، وهي في مادتها غير قانونية، على كاهل الرئيس فتتهيز جناحه، قبل أن يكمل استواء مخططنا، ونحن جعلناه مسؤولاً تحمل أعبائه، فإننا سنحرض الوزراء وكبار الموظفين الإداريين على ألا يأخذوا إخذة، ولا يجاروه في أهوائه، ليروا في المسألة رأيهم مستقلين عنه، وبهذا يصبحون هم كبش النطاح بدلاً منه. وإننا نوصى الوصية الملحة، بأن هذا الأسلوب من أساليب عملنا، لا يسمح بتطبيقه إلا فيما يتعلق بمجلس الشيوخ ومجلس الشورى الأعلى أو مجلس الوزراء، لكن من المؤكد لن يسمح بذلك لموظفين بمفردهم.

ثم ينبى الرئيس، بايعاز منا، يبين أن منشأ هذه العقدة إنما هو تضارب التفسير القانونية المتعددة، ثم يلغى كل ذلك عندما نشير إليه بالإلغاء. ويكون له الحق بعد ذلك أن يقترح ويضع قوانين موقته، بل أكثر من هذا، أن يتخطى أحكام الدستور، وحجته في هذين الأمرين ما تقتضيه مصلحة الدولة العليا.

بهذه التدابير نتمكن من القبض على السلطة التي ندمر بها شيئاً فشيئاً، وخطوة خطوة، ما نريد إزالته من دساتير العالم تمهيداً للانتقال الكبير، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة وجعلها مقطورة إلى سلطتنا تابعة طائفة.

والاعتراف بصاحبنا، صاحب السلطة المستبدة المطلقة، قد يقع حتى قبل تدمير الدساتير. وإنما تقع هذه الحالة عندما تهب الشعوب. وقد سئمت من عجز الحكام ومخالفاتهم للقوانين - (وهذا ما سنعنى بتدبيره) صائحة: «أذهبوا بهؤلاء عنا، وأعطونا ملكاً واحداً يحكم الدنيا كلها، ويوحد أمرنا، ويجمع شملنا، ويلاشى أسباب فرقنا - ويخلصنا من مسائل الخلافات على الحدود الإقليمية، والتباهي بالقومية والعنصرية، والتزمت الديني، والديون التي ترزح تحتها الدولة - ويوردنا موارد الأمان والسلامة، ويحقق لنا ما فشل فيه حكامنا وممثلونا السابقون».

وانكم تعلمون تمام العلم، أننا من أجل أن نهيه لجميع الأمم إطلاق هذه الصيحة، لا بد من وسيلة إلى ذلك، وهى رمى البلدان المختلفة بما يشغل بالها، وقيمتها ويقعدها، فتسوء العلاقات بين الحكومات ورعاياها، وبظل هذا الانهيار فى طريقه حتى تستنزف قوى الإنسانية، وتهلكها الانقسامات، وتتفشى بينها الكراهات، والمكائدات والحسد، والاستغاثات طلباً للنجاة من تعذيب الأجساد، كما تتفشى المجاعات ونشر جراثيم الأمراض عمداً، فيستسلم الغويم فيرون أن لا مخرج لهم ولا سلامة إلا بأن يلوذوا بسلطنتنا الكاملة المجهزة بالمال وكل شيء آخر.

لكننا إذا أعطينا الأمم فترة تنفس واستراحة، فاليوم الذى نرهبه، يقل الأمل كثيراً فى الوصول إليه.

## البروتوكول الحادى عشر

برنامج الدستور الجديد . بعض التفاصيل المتعلقة بالثورة الجديدة . الفوييم قطع من الغم . الماسونية السرية ومحافلها التى هى ،مرض ، خارجى .

مجلس الدولة الأعلى أو مجلس الشورى الأعلى، كان ولا يزال أقوى تعبير عن سلطة الحكم، وسيبقى الواجهة الخارجية للسلطة الاشتراعية، أو بالأحرى ما يسمى بلجنة تحرير القوانين والأنظمة التابعة للحاكم .

وهذا هو برنامج الدستور الجديد . سننشئ الأوضاع اللازمة للقانون والحق والعدالة، حتى يبدو أن هذه العناصر الثلاثة قد تبوأ مكانها المعد لها، وتفعل ذلك بثلاث طرق: (١) فى قالب مشروعات قوانين تحال على السلطة الاشتراعية (٢) فى قالب مراسيم مجلس الوزراء (٣) وفى حالة سنوح الفرصة المواتية فى شكل ثورة تهب رياحها داخل الدولة .

وبعد أن نكون قد فرغنا من ترتيب هذه الأمور على مواقيت، فإننا نتحول إلى جهة أخرى، فنمضى بتفصيل ما يتعلق بالمناخى التى بها تتم مجارى الثورة عن طريق أجهزة الدولة فى الاتجاه المقرر . وأعنى بهذه المناخى حرية الصحافة، حق تأليف الجمعيات والأحزاب والهيئات، حرية الرأى والضمير، حق التصويت فى الانتخاب، وغير ذلك مما يجب أن يمضى ويفيب إلى الأبد من ذهن الإنسان، أو أن يُعدل تمديلاً ينسف حتى الأساس، شرط أن يقع هذا كله غداً إعلان الدستور الجديد بلا تراخ . وهذا مستطاع الآن فى هذه الفترة، فنصدر أوامرنا كلها دفعة واحدة، ولا نؤخر منها شيئاً، إذ لو أخرناها أقل تأخير وألحق بالدستور تعديل تال، فكل تعديل ذو بال يقع على هذا الوجه، لا بد أن يكون فيه خطر، للسبب التالى: اذا كانت مادة التعديل خشنه فظة، وكانت طريقة الاقتراح خشنه فظة كذلك، مع قصر نظر المقترح فى موضوعه، فقد يشمخ المقترح بأنفه ويعتمد أن هذا التعديل يفتح الباب لأمثاله ينسجون فى الاقتراح على منواله، وحينئذ يقال بأننا قد اعترفنا بأخطائنا، وهذا ينال من الهيبة المحيطة بسلطتنا المعصومة، أو يقال إنه قد دخلت علينا مخاوف فاضطررنا إلى المسايرة والمجاراة، وعلى هذا الموقف لا يشكرنا أحد، بل يظنون أننا نزلنا على الإكراه، وغلبننا على أمرنا . وكل وجه من هذه الوجوه ضار بسمعنا بين يدي الدستور الجديد . وأما ما نريد، فهو أن تعترف الشعوب فوراً، وحرارة الانقلاب لم تبرد بعد، بأننا أقوياء، ولا سبيل لأحد إلى زحزحتنا قيد

شعرة، وكلنا ناس رهيب مر فرسا إلى قدمنا، فلا نحسب حساب أحد، ولا نحاف الخوف الذي يضطرنا إلى الأخذ برأى أحد، ونحن على استعداد في كل وقت ومكان أن نسحق كل من ينبس بكلمة اعتراض، ونثبت أننا قد ملكنا الأمر كله على الفويم، وليس بودننا أن نتقاسم وإياهم ما ملكنا، وأنتا نعمل هذا والرؤوس لا تزال دائخة من هول ما وقع والناس مأخوذون، والخوف يملكهم حينئذ تراهم مما اعتراهم من الفرع قد أغمضوا عيونهم على ما رأوا وسكتت حالهم، وراحوا ينتظرون ما تكون العاقبة.

الفويم قطع من الفم، ونحن ذئابهم. وتعلمون ماذا يحل بالفم اذا جاءت الذئاب. وهناك سبب آخر يعملهم على إغماض العين: فإننا سنوالى إزجاء الوعود بأننا ساعة نفرغ من تحطيم أعداء السلام وترويض جميع الأحزاب، سنعيد إليهم الحريات التي أخذناها منهم، لكن سيطول بهم الزمن وهم ينتظرون. فلأى غاية، نسأل الآن، قمنا باختراع هذه السياسة، وتلقيح أذهان الفويم بها دون أن نعطيهم الفرصة للتفكير فيما وراءها؟ هل الغاية إلا أن نبلغ من هذا كله، بطريق المراوغة والدوران، ما لا نستطيع بلوغه بسلوكنا الطريق المستقيم؟ هذا لعمري هو الأساس الذي قامت عليه مؤسستنا الماسونية السرية التي لا تعرف حيوانات الفويم من أمرها شيئاً يذكر، ولا من أغراضها الخفية إلا ما يؤخذ بالظن والتقدير. فاجتذبتنا الفويم إلى القافلة الجرارة من معارض الأندية والمحافل الماسونية فقامت هذه المحافل بذر الرماد في عيون أعضائها. والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار، بنعمة السبي والجلاء، والتفريق والشتات في الأرض، وهذا الأمر الذي كان فيما مضى مجلى ضعفنا، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التي أفضت بنا الآن إلى أن تلج الباب الذي منه نيسط سيادتنا وسلطاتنا على العالم كله. هذا ما بلغناه. وأما ما بقي علينا أن نبنيه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بمسير.



## البروتوكول الثاني عشر

نوع الترجمة الماسونية لكلمة «حرية»، مستقبل الصحافة في المملكة الماسونية. التسلط على الصحافة. شركات الأنباء. ما هو التقدم في رأى الماسونية؟ الصحافة أيضاً من ناحية أخرى. التضامن الماسونى في صحف العصر. إثارة مطالب الرأى العام فى الأرياف. العهد الجديد معصوم.

كلمة الحرية التى تفسر تفسيرات مختلفة، إنما لها عندنا هذا التحديد: الحرية هى حقلك أن تفعل ما يبيحه لك القانون. وهذا التحديد يكون مفيداً لنا فى الوقت المناسب، لأن زمام الحريات كلها سيكون بيدنا، بعد أن تصبح القوانين هى صاحبة القول الفصل تأخذ ما تأخذ، وتعطى ما تعطى، على ما تتطلبه مصلحتنا، وعلى النهج الذى نريد.

وسنعامل الصحافة على هذا المنوال:

فما هو الدور الذى تمثله الصحافة اليوم؟ أهى دائبة العمل على الإثارة والتحريض، وإشغال العواطف التى تخدم غاياتنا، أم هى فى خدمة اغراض الأناية للأحزاب؟ ومن هنا هى على الغالب تافهة، تأخذ جانب الشطط، كاذبة مختلفة، وجمهور الشعب يجهل الاغراض التى تخبط وزاها الصحافة أما نحن نسرجها ونلجمها ونأخذها بعنان شديد، ومثل هذا نصنع إزاء جميع ما تخرجه دور الطباعة والنشر من انتاج مختلف الألوان، إذ لا يكون هناك من معنى لتخلصنا من حننات الصحف علينا، مع بقائنا هدفاً للنشرات والكتب. وسنعنى العناية الخاصة بما يتعلق بمادة النشر والطبع، مما تخرجه المطابع على اختلافه، فإخراج المطبوعات اليوم كثير التكاليف والنفقات بسبب الرقيب. وهذا الأمر الدائر كله حول المطبوعات، سنحوله الى مورد يدر على خزينة الدولة دخلاً غزيراً. وسنخضع الصحف لنوع من الضريبة البريدية، ودفع الوديعة المالية الاحتياطية مسبقاً قبل اصدار الرخصة، ويتناول هذا التدبير أى نوع من النشرات والصحف والمجلات. وهذا التدبير يكفل لحكومتنا الوقاية من أى حملة كتابية علينا من جانب الصحف. وحينئذ، فإى محاولة للحملة علينا، هذا إذا كانت محتملة الوقوع، بوسعنا ان نخمدها فى أى وقت عن طريق فرض الغرامة المالية بلا رحمة، وباقتطاع هذه الغرامة، واستيفائها من الوديعة، وهذا كله يأتى منه دخل كبير، صحيح إن صحف الأحزاب قد لا يكون لديها مال مرصد لينفق على النشر، فهذه الصحف إذا هاجمتنا فسنفلقها إذا كررت عملها، ولن يكون بوسع أحد، مهما ظن أنه فى حصانة من نفسه، أن يشوح بالنقد ولو بطرف إصبعه،

قاصداً أن ينال من هالة التقدّيس المحيطة بحكومتنا. وستكون حججتنا في وقف أى نشرة، أنها أسامت الى الرأى العام بما كتبت ونشرت دون مناسبة أو مبرر. وأرجو منكم أن تلاحظوا أن بين الصحف المهاجمة لنا، تكون هناك صحف أخرى حقيقتها مستترة، وكلهم في الحلبة شيء واحد، غير أن المستترة بقناع هي الصحف التي نحن أنشأناها سرّاً، فإذا حملت علينا وتقدّتنا فإنما هي تفعل ذلك في الموضوعات التي نكون نحن قد قررنا من قبل، ان يجرى تعديلها، ولا ضرر من اثاره النقد في مثل هذا الظرف.

ولن تصل إذاعة أى نبأ الى الجمهور عن طريق الصحف، قبل ان تكون مادة الخبر قد مرت علينا، وكاد هذا الأمر يكون واقعياً اليوم على هذا الوجه، وزمامه بيدنا، على ما نراه في شركات الأنباء والأخبار القليلة العدد، حيث تتوافد عليها الأنباء من مختلف أنحاء العالم، وفي اليوم القادم سيكون امر هذه الشركات لنا نصرهه كيف نشاء، ولن يُطلق نبأ واحد الى العالم إلا ما نعلمه نحن. فإذا كنا قد توصلنا حتى اليوم الى ما فيه رضانا. فلننظر فلا نرى دولة واحدة تقف بيننا وبينها حواجز تؤخرنا عن الوقوف على ما نسميه الفويم الأغبياء بأسرار الدولة، فكيف تكون الحال من جهتنا من وسع حيلة، ونفوذ كلمة، وتوغل في كل ناحية، بعد ان يُعترف بنا أننا سادة العالم في شخص ملكنا الذي سيطبق سلطانه الأرض كلها؟

ولنعمد إلى امر المطبوعات والنشر في المستقبل. فكل واحد من العاملين في هذا الحقل، يرغب في أن يكون ناشراً، او صاحب مكتبة، او متعاطياً من الطباعة، عليه ان يكون حاصلأ على دبلوم احد المعاهد، فاذا عثر او كبا، ضبطنا منه الدبلوم وسحبناه منه بلا تردد. وبهذه الوسيلة والتدابير، تقو اداة النشر الفكرى في آفاق الرأى العام، أداة تعليمية في يد حكومتنا، فلا تبقى الجماهير بعد ذلك عرضة للتضليل بالطرق الملتوية والنزوات، والتفنى الباطل ببركات مزعومة جاء بها عصر التقدم والنور. ومن هنا لا يعلم ان هذه البركات الخيالية الموهومة، ما هي إلا الطريق التي تؤدي توأ الى متاهات التفكير الجنونى، وهذا التفكير الجنونى يفضى بصاحبه إلى حيث تتولد بنور الفوضوية، تنتشر بين الناس أنفسهم ثم بينهم وبين السلطة، لأن التقدم، أو بالأحرى فكرة التقدم كان السبب في الانطلاق إلى التحرر من كل ضابط، وكل ذلك جمد بالتالى وتوقف عن عجز، وجميع من يسمون بالأحرار هم دعاة فوضوية، وإذا لم يكونوا هذا في الواقع فعلى الأقل هم هكذا في الفكرة. وكل واحد من هؤلاء راح يتخبط وراء خيالاته، ويزداد إفراطاً وجنوناً حتى يقع في حفرة الفوضى، فيصيح ويحتج، لا من أجل شيء بل لمجرد شقشقة الألسنة بالاحتجاج.

ونتاول الآن الصحف الدورية من مجلات ونشرات وأمثالها. وهذه أيضاً سنخضعها كغيرها من سائر المطبوعات للضريبة البريدية، على أن يكون مدار الاستيفاء موقوفاً على عدة صفحات النشرة، ولنلزمها باسم القانون دفع الوديعة المالية الاحتياطية، وأما الكتب التي تتألف

من أقل من ٣٠ ملزمة، فإننا نرتب عليها دفع الضريبة مضاعفة، وسنعتبر المجلات الدورية من نوع الكتب الصغيرة أو النشرات، والقصد من هذا على نوعين، أولاً: أن يتناقص عدد هذه المجلات، وهى فى الواقع أردأ أنواع المطبوعات وأسْمُها مادة، وثانياً: أن يُكرَه الكتاب على الإكثار من هذه المادة، إكثاراً مُملاً يحمل القراء على أن يُعْرِضُوا عن المطالعة، وهذا بالإضافة إلى غلاء الثمن. أما نحن ففى الوقت نفسه سنتولى إصدار مجلات من قِبَلِنَا لتشيط الحركة الذهنية فى اتجاهنا، وأثمان مجلاتنا هذه رخيصة، ومادتها يشفف القارئ بمطالعتها. والضريبة البريدية ستحد كثيراً من مطامع المنتمين إلى صناعة الكتابة، فيجدون أنفسهم محصورين فى نطاق ضيق، ولا مجال لهم للمبث، ثم تدركهم حين الاقتضاء الغرامات المالية، فينوثون تحتها فيجمدون ثم ينتهون إلينا. ومع هذا، فإذا اغتر واحد منهم بعد ذلك بالحملة علينا، فلن يجد المطبعة التى تقبل أن تطبع له ما يريد قبل أن تراجعنا للإذن بالطبع. وبهذه الطريقة نتمكن من الوقوف على المادة المراد نشرها قبل طبعها وتكشف لنا الحيلة، فتضرب بالمادة عرض الحائط، لكننا ننظر فى محتواها، فإذا وجدنا فيه شيئاً يقتضى الإيضاح للرأى العام، فعلنا ذلك من تلقاء أنفسنا.

صناعة الأدب والصحافة فى مضمارها، هما أشد عوامل التهذيب، ولهذا السبب ستكون حكومتنا مالكة مقود معظم الصحف، وهذا من شأنه أن يعقم العوامل الضارة فى هذا الباب، مما يملكه أرباب الصحف وبهذا التدبير نكون قد امتلنا القوة الأولى الموجهة للرأى العام. وإذا أعطينا، مثلاً، عشر رخص لإصدار صحف إلى مطلق الناس، فينبغى أن نعطى إلى جماعتنا ثلاثين رخصة، ويجرى الأمر فى أى صعيد آخر على هذه النسبة. ولا يشك الرأى العام فيما نصنع، إذ كل الصحف التى تنتمى إلينا ستكون من حيث المظهر جامعة لمختلف النزعات والآراء المعارضة، وهذا ما يوهم الجمهور، دون أن يدرى ما وراءه، ويستندنى إلينا الخصوم الذين لم يعمروا فى إساءة الظنون بنا، فنتلقاهم، ونستل منهم الأشواك، فيفدون ولا ضرر منهم.

فى الصف الأول تأتى الصحف ذات الصبغة الرسمية، الناطقة بلساننا. وهذه الصحف هى الحارس على مصالحنا دائماً، ولذلك لا يكون لها كبير تأثير فى مجرى حركة الرأى العام. وفى الصف الثانى تأتى الصحف التى صبغتها شبه رسمية، وهذه هدفها استمالة الفاترين الباردين، والذين هم على مفترق الطرق، وقليل ما يباليون.

وفى الصف الثالث الصحف التى نعهد إليها فى تعارضتنا فى الظاهر، وفى واحدة منها على الأقل ينبغى أن تكون المعارضة على أشد ما يمكن من المرارة، أما خصومنا الحقيقيون فإنهم فى سرهم سيرتضون هذه الحال بصمت، فلا يفتنون أن المسألة تمثيل خادع على المسرح، فتجوز عليهم الحيلة. وبهذه الحيلة التى انطلت عليهم، يكشفون لنا عن أوراقتهم.

وجميع صحفنا التي تشرب من مائنا ستحمل شتى الوجوه والسحنات والنزعات. من أرستقراطية، إلى جمهورية، إلى ثورية، وحتى فوضوية، إلى آخر ما تحمله قائمة الأسماء. وستكون هذه الصحف كصنم فشنو في الهند لها مئة ذراع وذراع، وكل عين من عيونها مفتوحة على ناحية من نواحي الرأي العام. فإذا ما اشتد نبض صحفى ما، وظهرت حُمى من الحميات، فتلك الأيدي ترشد الرأي العام إلى ما نريد، لأن المريض، الثائر النفسى، يفقد توازن الفكر ويميل إلى قبول نصيحة تعمل على تسكينه والتخفيف عنه.

وأولئك المجانين الذين يظنون أنهم على حق في ترديد ما قالته جريدتهم الناطقة بلسان معسكرهم، يكونون في الواقع يرددون مقالتنا نحن من حيث أصل الفكرة، أو ما يجرى مجراها من أمثالها. ويكون عبثاً ظنهم أنهم يتعلقون بما هو من بضاعتهم، بينما الراية التي يدافعون عنها، وتدفعون، هي رايتنا مرفوعة فوق رؤوسهم.

وحتى ينتظم أمر الصحف المتجندة لنا، على هذا الفرار المتقدم، فعلى العناية الدقيقة بكل ما يتعلق بها ويؤول إليها. وتحت ستار دائرة مركزية للمطبوعات، سننشئ خلايا أدبية نابغة يتلقن منها عمالؤنا ما يلقي إليهم من تعليمات وأوامر، وكلمات سر، كل يوم بيومه، دون أن يكون شيء من أمر هذا يلفت النظر. وتجرى في هذه الخلايا مناقشات على وجهى النفس والإثبات، والمناقضة والتأييد، وكل هذا إنما هو من التمثيل والمظهر المصنوع لا أكثر، دون تعمق إلى الجوهر الحساس. وستتولى الصحف السائرة في ركابنا شئ حملة عنيفة صارمة على الصحف الرسمية الناطقة باسم الدولة، وما الفرض من هذا سوى إعطائنا الفرصة لندلى في هذه المناسبة بتصريحات حول الموضوع أوسع وأشمل مما لو جئنا نعالجه ببيانات رسمية في أوقات أخرى وظاهر جلى وجه النفع لنا من هذا.

وهذه المهاجمة التي وُجّهت إلينا، يكون لنا منها فائدة أخرى، وهي أن تقنع رعايانا بأن الحريات التامة متوفرة لها، ومن هذه تلوح الفرصة لعملائنا فيثبتوا أن جميع المعارضة ما هي إلا ثرثرة فارغة، تخبط خبط عشواء، فالجمال أمامها فسيح لتقول وتثبت حجة ما تقول، فلم تقم شيئاً من ذلك، وعجزت عن إقامة الدليل الواقعى على دعواها. والأمر من طرفيه يكون محكماً على ما أصدرنا من تعليمات بشأنه إلى عملائنا.

إن الأسباب الإدارية التي من هذا الطراز، وهي جدّ دقيقة، وتخفى عن عيون الرأي العام، تغدو خير الوسائل لجعل الرأي العام يلتفت إلى حكومتنا بالثقة والاطمئنان. ومرحى لهذه الأسباب البارعة تمكنا من وقت إلى آخر، حسب الاقتضاء، من تهيج الرأي العام أو تسكينه، حول موضوع سياسى، أو من إقناعه به أو حمله على التشكيك، والتشويش عليه، فننشر اليوم ما هو الصدق والحق، وغداً ما هو الكذب والباطل، وتارة المسلم به، وطوراً ما هو نقيضه. وهكذا دواليك، ودائماً نحسس الأرض التي نمشى عليها قبل نقل الخطى، كي لا

نشر. والنصر مضمونٌ لنا على أعدائنا، إذ ليس بيدهم صحف رهن امرهم كما لنا نحن، تنشر آراءهم على نحو ما نفعل نحن. وعندما تعالج مسألة من مسائلهم ويؤول الأمر إلى إسكاتهم، نكتفى بعد ذلك بالتفويض السطحي، ولا نزيد.

وصفائر هذه المبارات النارية تطلقها عند الحاجة صحف الصف الثالث، فنظهر السخط عليها وندعى عدم الرضى عنها، بل تفندها صحفنا شبه الرسمية.

وحتى في أيامنا هذه، لنا مثال على اتجاهنا، وهذا المثال نأخذه مما هو مشاهد في صحف فرنسا، حيث تقع حالات وصور يظهر منها التساند الماسونى على يد الشعار أو كلمة السر: فإن رجال الصحف في فرنسا مقيدون برعاية سر المهنة الصحفية، وشأنهم إذا سألتهم عن مصدر خبر ما، شأن العرافين في الزمن القديم. يجيبون بإبهام ثم يصمتون، وهؤلاء الصحفيون لا يبوحون باسم المصدر الذى استقوا منه الخبر، إلا إذا أجمعوا على البوح به، فذلك شيء آخر. ولا تجد صحافيا واحداً يجترئ على فشو السر، كما لا تجد صحافياً آخر يمكن أن ينتمى إلى الأسرة القلمية الكتابية ما لم يكن في ماضيه قد ناله ما يُلطخ ويَصم... وهذه اللطخات والوصمات، لا تلبث ان ينكشف عنها الفطاء. وانكشافها ما دام محصوراً في فئة قليلة، فيبقى ذلك الصحافى على حسن السمعة في نظر الجمهور، يجتذبهم إليه وهم الدهماء يسرون وراءه بنخوة وحماسة.

وحساباتنا هذه تتناول الآن أهل الأرياف والقرى، فلا بد من أن نستشيرهم ونستفهمهم في ما له مساس بمسائل راحتهم وسلامتهم، ومطالبهم، واتجاهاتهم حتى إذا تحركوا وهاجوا، حَمَلْنَا قِصَّتَهُمْ وَنَقَلْنَاهَا إِلَى الْعَاصِمَةِ وَقَلْنَا لِأَهْلِهَا: هذا ما تتعلق به آمالهم. وطبعاً يكون مصدر ما يطلبه هؤلاء وهؤلاء، نحن. ثم إن ما نحتاجه من الآن إلى أن يحين وقت تسمننا ذروة السلطة العليا، أن نجعل العواصم والحواضر تصيبها الضربة في عراقيبها، وهذه الضربة هي الآتية من الأرياف. ثم يقال لأهل العواصم: هذا هو رأى الأم، أى رأى الاكثرية التى نظمها عملاؤنا ورتبواها ثم يجب علينا عند سنوح الفرصة النفسانية المواتية، أن نمنع أهل العواصم من مناقشة أى موضوع، تَمَّ وانتهى، بحجة أنه يصبح فى حُكْم الأمر الواقع، وأهل الأرياف، وهم الكثرة، قد قبلوا هذا وأقروه، وأقبل الباب.

وفى ذوى العهد الجديد، وهو انتقالى الى الدور الأعلى حيث نتقلد زمام العالم كله يجب منع الصحف من نشر الفضائح على الرأى العام، من أى نوع كان، والضرورة القصوى لهذا الوجه، ان يمتدد الجمهور ان العهد الذى طلع عليه قد جاء بالخير والبركة إلى كل انسان، فراقته الأحوال، وسكنت الطباع بعد القلق، وغابت الجرائم، وصنفت الهيئة الاجتماعية من هذا الوياء؛ وأما حوادث الجرائم من حيث وقائمه المادية، فتطوى طياً لا يعلم بها إلا ضحاياها، وقد ذهبوا، وشهودها، إن وحدوا غرضاً، ذهبوا كذلك.

## البروتوكول الثالث عشر

الحاجة اليومية إلى الرغيف . مسائل السياسة . المسائل الصناعية . فتن الملهييات المسيات  
قصور الشعب . الصحيح صحيح بذاته، القضايا الكبرى.

الحاجة إلى رغيف الخبز كل يوم، تُكْرَه الفويم على أن يخلعوا إلى السكنة، ويكونوا  
خدما لنا طائعين، والمملاء الذين نختارهم منهم لخدمتنا في الصحف، سيقومون، بايعاز منا،  
بمناقشة أى موضوع لا يناسبنا أن نعالجه نحن في بيانات رسمية نصدرها إلى الجمهور توأ،  
لكننا، والنقاش دائر، حامى الوطيس في أخذ ورد، ما علينا سوى أن نقوم، بهدوء تام،  
بالإجراءات التي نراها ضرورية حسب رغبتنا، وهي ما يتعلق بموضوع النقاش الدائر، ثم  
نعرض المسألة على الراى العام، كأنها أمر واقع قد فرغ منه. حينئذ لن يجرؤ أحد على أن  
يتقدم فيطلب إلغاء هذا الراى الواقع، وتضييق الحلقة به وبأمثاله، عندما نكون قدمنا ما  
قدمناه بمثابة إصلاح وتحسين. وفوراً تقوم الصحف بدعوة الراى العام واجتذابه إلى ما هو  
أشياء جديدة فاتنة، فتصرف إليها الأذهان (الم نكن قد عودناها اشتها الجديد المستحب  
فتنصرف إليها المصالح؟) ثم ينبرى لبحث الامور الجديدة أشخاص ما وهبوا من مقسم  
الحظوظ إلا فراغ العقول، وهم الذين يفيب عنهم أن يفهموا أنهم ليسوا على شيء، وأعجز من  
يدركوا اللباب. فأمور السياسة إنما نحن وحدنا نعدقها، وقد هيأنا الله لها بفعل الأجيال  
الجديدة، فمن مبدعها غيرنا؟

تلمون من كل هذا، أننا في طلبنا موافقة الراى العام على ما نكون بمسبيله، إنما نطلبه  
في الواقع لنسهل به عمل أجهزتنا، وقد تلاحظون أن ما نرغب في نيل الموافقة عليه، ليس  
عملاً من أعمالنا التي انتهى أمرها وفرغنا منها، بل ذلك هو مجرد كلمات رمينا بها وقول  
قلناه، يتعلق بهذا أو ذاك من الأمور التجارية. ومن دأبنا دائماً أن نصرح ونعلن، أننا في مسرناً  
نعتصم بالأمل، ووراء اليقين، إننا غير متوخين إلا خدمة المصلحة العامة.

ولكى نصرف أذهان الجمهور المزعج الشكس، عن مناقشة الأمور السياسية فإننا نجىء  
إليه بما ندعيه بأنه الجديد المختار، في باب الصناعات وما إليها. وندعه يخوض في هذا  
ويصبح ما شاء. واعتادت الجماهير الا تستسلم إلى الاسترخاء، وتفض يدها مما تمده من  
متاعب السياسة (مما دعوناها معاناته من قبل، لنستغل ذلك في مكافحة حكومت الفويم) إلا

إذا توافر لها من الأعمال المناسبة الأخرى ما تعترض به عما تتخلى عنه من شواغل السياسة، ولكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباحج، والمسليات، والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء لذاتها وشهواتها.. والإكثار من القصور المزوقة والمباني المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية ومن كل جنس. فنتوجه أذهانها إلى هذه الأمور وتتصرف عما هيأناه، فتمضى به إلى حيث نريد، فيسلكم موقفنا، وهو الموقف الذي لو أعلنه بارزاً مكشوفاً، توأ، بغير اصطناع هذه الوسائل الملهية، لوقفنا في التناقض أمام الجماهير. ثم إن الجماهير بحكم ما ألفته واعتادته من قلة التفكير داخل آفاقها النفسية، ولا قدرة لها على الاستنباط، تراها شرعت تقلدنا وتتسج على منوالنا في التفكير إذ نحن وحدنا من يقدم إليها المتاحى الفكرية.. وطبعاً لا يكون هذا إلا على يد أشخاص لا شك في إخلاصهم لنا.

والدور الذي يلعبه الليبراليون والطوباريون، حملة الأحلام الخيالية، يكون قد استفد غرضه عندما تقوم حكومتنا، وقد تم لها الأمر. وريثما تظهر حكومتنا ويبرز كيانها، فأعمال هؤلاء تبقى مفيدة لنا، ونحن نمدهم بما يوجه عقولهم إلى انتقال كل تافه من العقائد يرونها جديداً، مطلوباً ومقبولاً، أسنا نحن الذين نجحوا في توجيههم بعقولهم الرخيصة، توجيه التضليل والتعمية، حتى باتوا، ولا ترى فيهم واحداً قادراً على التمييز، ومعرفة أن معنى كلمة التقدم يتضمن المفارقة أو المناقضة في جميع الأحوال، حيث لا يكون الشيء كناية عن اختراع مادي، لأن الصحيح بذاته هو على وجه واحد ثابت، وليس فيه مكان لمعنى التقدم. والتقدم كفكرة، شيء فاسد، ومن شأنه أن يجعل الصحيح مبهماً غامضاً محجوب الرؤية، ورؤية الصحيح بجلاء ما خلقت إلا لنا، شعب الله المختار؛ حراس هذا كله.

وعندما ندخل مملكتنا، سيتولى خطابونا شرح هذه المسائل التي قلبت الإنسانية رأساً على عقب، وبالتالي جرّتها إلينا، أهنالك من يشك مقدار ذرة، أن جميع هذه الشعوب، نحن قد اقتدناها هذا الاقتياد المسرحى حسب مرادنا السياسي، ولن يستطيع أحدٌ أو خطر بياله أن يدرك كيف سارت به قافلته هذه القرون العديدة.

## البروتوكول الرابع عشر

دين المستقبل . العبودية في احوالها المستقبلية . دين المستقبل مكتوم لا تصل إليه المعرفة  
الأدب الإباحي والأدب المشترك العام في المستقبل .

متى ما وَلَجْنَا ابواب مملكتنا، لا يليق بنا أن يكون فيها دينٌ آخر غير ديننا، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا، من حيث كوننا الشعب المختار، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا . فيجب علينا أن نكس جميع الأديان الأخرى على اختلاف صورها . فإذا أدى هذا إلى ظهور الملحدين، والالحاد، على ما نرى اليوم، فذلك لن ينال من أرائنا شيئاً، والدور دور انتقال، بل يكون الإلحاد، بمثابة إنذار للأقوام التي تقبل على استماع تبشيرنا بدور موسى، وهو الدين الذي بوضعه الوطيد وكمال نظامه، وقد استمال جميع أمم العالم تخضع لنا وخينئذ نعلن أن ديننا هو الدين الذي يتوجه به الإنسان إلى الملأ الأعلى بلا واسطة . وفي هذه المرحلة من هذا الدور الانتقالي، سننشر على الناس من الفصول والمقالات والأبحاث ما يتبينه ن به الفوارق بين حكمنا الخير وأحكام العصور الغابرة، بالمقارنة . وبركات الاستقرار الذي هو حصيلة عراق قرون عديدة، ستعلى من قدر الخيرات التي تظهر من حكمنا . أما أخطاء حكومات الفويم، فسنعصمها عليها ونحاسبها بأشد ما يمكن من العنت . وسنديع على الملأ بشاعة تلك الأخطاء إلى حد يجعل الناس يؤثرون السكينة في دولة هم فيها عبيد مستخدمون، على ما رأوا من فارغ حقوق الحرية التي عذبت الإنسانية واستغدت قوة الوجود الإنساني، وهي القوى التي استغلتها عصابات دهماوية ضالة، مفامرة، لم تعرف من حقيقة أمرها شيئاً، وتغيير أشكال الحكومات فيما مضى، وهو أمر طالما دفعنا الفويم إليه وأغريناهم بإتيانه، لما كنا نعمل على ذلك كيان الدول، كان من نتيجته حتى الآن أن نَهَكَ طاقة الشعوب واستنزف عافيتها حتى أتت مذعنة لتحمل أي مشقة في ظل حكمنا، وهي ترى هذا خيراً لها من العودة إلى معاناة المهود السابقة في ظل حكومتها التي قد انطوت .

وهي الوقت نفسه، لن ننسى أن نندد بالأخطاء التاريخية التي ارتكبتها حكومات الفويم، الأخطاء التي تعذبت بها الإنسانية دهرأ طويلاً لعجز تلك الحكومات عن أن تفهم وتعنى معنى أي شيء من الخير المحض للإنسانية، فظلت (تلك الحكومات) راكبة رأسها وراء مطالبها القائمة على الشهوات، والمكراه، آملة أملأ فارغاً أنها ستحصل على البركات الاجتماعية، ولم تلاحظ قط تلك المطالب كان من شأنها أن تزيد الشر وبالاً وسوءاً، دون أن تحقق شيئاً من



تحسين وضع العلاقات بين البشر وهذه العلاقات هي أساس حياة الإنسان. وما تنطوي عليه مبادئنا من طاقة كامنة، وما في قواعد عملنا من قوة، كل هذا ستتجلى معاسنه بطريقة واحدة، وهي أن نمرض ذلك ونبيته للناس ونشرحه لهم، فيظهر خيره للعيان بالمقابلة والمقارنة، مع الأنظمة السابقة التي قُتِيتْ واضمحلّت.

وسيتولى فلاسفتنا بالشرح والتوضيح، الكشف عما تنطوي عليه معتقدات الفويم الدينية من عوار. غير أنه لن يسمح بأن يطرح ديننا للبحث ابتغاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة، إذ هذا علمه محصور بنا، مقصور علينا وحبنا، ونحن دائماً حريصون على ألا نبوح بأسراره لغيرنا.

وهي خلال القرون التي تمت بقرون النور والتقدم، وضَعْنَا في أيدي الناس ضرورياً من مادة الآداب المنشورة بالطباعة، هي غاية في التفاهة والقدارة والفتاثة. وبعد أن نقيم مملكتنا فهذه الأنماط من مادة الأدب ستظل على حالها سارية مسراها، تروّجها وتحثّ عليها، والغاية من ذلك أنه عندما نأتى نحن بأنفس طراز من محاضراتنا وخطبنا وأبحاثنا وبرامج أحزابنا، وكل ذلك رائع، يوزع من قبل مقاماتنا المالية، حينئذ يدرك الفويم إدراكاً مذهلاً مدى الفرق العظيم بين ما أعطيناهم، وما كانوا عليه، وسيقوم حكماؤنا، المهيأون لقيادة الفويم، بوضع المحاضرات ورسم الخطط والمشروعات، وكتب المذكرات وصنوف المقالات، مما نستعمله نحن لفائدتنا، فيسرى اثره الى عقول الفويم تتلقح به وتستضيء بنوره بالاقتباس منه، استدراكاً للمعارف، على ما قررت مناهجنا.

## البروتوكول الخامس عشر

الانقلاب او (الثورة) يعم العالم فى وقت واحد . الإعدام . حقد ماسون الفوييم فى المستقبل . أسرار السلطة . الإكثار من المحافل الماسونية . الهيئة المركزية الحاكمة من حكماء الماسونية الأساليب المتحايلة . الماسونية وقيادتها جميع الجمعيات السرية . استحسان ما يقوله المذرون . الجماعة المتضامنة . الضحايا . إعدام حتى من هم ماسون . سقوط هيئة القوانين والسلطة . مكاننا بصفتنا الشعب المختار . ميزة القوانين فى الإيجاز والوضوح فى حكومة المستقبل . طاعة الأوامر . العقوبة لمن يسىء استعمال القانون . صرامة العقوبة . تحديد سن صرف القضاة من الخدمة . الليبرالية عند القضاة والسلطة . احتشاد أموال العالم . السلطة المستبدة الماسونية . حق الاستئناف فى المستقبل . مظهر الأبوة فى حكم المستقبل . حق القوى هو الحق الوحيد ولا غيره . ملك إسرائيل هو الأبوة للعالم بأسره .

متى ما أنجزنا إقامة دولتنا بالانقلابات والثورات المعدة فى كل مكان، لتقع فى يوم واحد موقوت، بعد أن يكون أمر الحكومة قد بلغ غاية التدلى والتفاهة، واتضح ذلك ولا سبيل إلى إنكاره (وما ينقضى من الوقت من يومنا الحاضر حتى يوم تحقيق أهدافنا المقبل قد يمتد إلى قرن) فإننا سنُعنى بعد ذلك بمكافحة أى شىء من حياكة المؤامرات علينا، وسندبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح (بأيديهم) ليقاوموا الانضواء إلى مملكتنا . وكل نوع من المنظمات الجديدة يؤلف بعد ذلك ويكون من الجمعيات السرية، يعاقب القائمون بالموت . وأما الجمعيات القائمة اليوم، وهى معروفة لدينا، وتعمل فى خدمتنا كشأنها فى الأمس، سنجردها من سلاحها، ونطرح رجالها فى المنافى فى القارات البعيدة من أوروبا . ثم بعد ذلك نمضى، ومعنا ماسون الفوييم الذين تحنكوا بالعمل، فنالوا الخبرة والمعرفة، كما يكون معنا أيضاً أمثالهم، ممن نعضو عنهم، لسبب ما، عفواً بيقينهم دائماً خائفين، مترقبين المفاجآت، يتوقعون النفى . وسنس لهم قانوناً يجعل جميع الأعضاء فى الجمعيات السرية السابقة معرضين للنفى فى أوروبا، وأوروبا حينئذ مقرر حكمتنا .

وستكون مقررات حكومتنا باتة، لا استئناف لها .

وأما جمعيات الفوييم السابقة التى زرعنا فيها بذور التفرقة، والمخاصمة، والتابذ، والانشقاق، فنَمَتَت تلك البذور وامتدت جذورها، فالطريقة الوحيدة لإقامة النظام فى هذه الجمعيات هو اتخاذ تدابير صارمة تتجلى فيها سطوة السلطة بكل وضوح . ولا نبالى بالضحايا فى هذا السبيل، فإن توضيحتنا هنا بهؤلاء إنما هى لخير المستقبل، وتحقيق هذا الخير

للمستقبل، ولو سُرى بالضحايا، ينبغي أن يكون الواجب المطلوب من كل حكومة تعترف بأن تبرير وجودها، لا يتم بأن يكون لها حقوق وكفى، بل لا يتم إلا بأن يكون عليها أيضاً واجبات والتزامات. وأكبر ضمان لوثاقه الحكم الجديد فى أوضاعه، هو إظهار عزة الدولة وهيبتها، كأنها تمتص هالة من نور، وهذه الهالة مجلاها ومظهرها جبروت القوة، وبدل على ذلك الشعار الذى فى جبينها، وهو رمز عصمتها المستمدة من أسباب علوية. يوم اختارنا الله. والأوتوقراطية الروسية إنما كانت على هذه الصفة حتى وقت قريب، وهى العدو الوحيد الرهيب رأيناه فى العالم، ولا ندخل فى هذا الحساب الآن، البابوية. واحفظوا فى بالكم على سبيل المثال ما وقع فى إيطاليا، فإنها، وهى سابعة فى الدم، لم تستطع أن تمس ولو شعرة من رأس صولا وهو الذى أسال تلك الدماء. وتمتع صولا بصولة عارمة فعلاً وتآله، لما ملأ عيون الناس روعة السطوة، مع أن الشعب كان قد رزى منه الويل والعذاب، وانتشر من بين يديه مقطعاً إريباً إريباً. لكن لما عاد صولا إلى إيطاليا عودة المقحام الجرى أفرغت عليه عودته هذه بهاء العظمة، ووشاح القدرة التى لا تغلب. فأمسى الشعب أخوف من أن يومى إليه إيماء، وأصل ذلك عند صولا الإقدام وقوة العقل.

وفى خلال الوقت الذى ينقضى من الآن إلى أن نقيم مملكتنا، سنسلك الطريقة المخالفة لهذا: فإننا سنخلص ونكثر من المحافل الماسونية الحرة فى جميع بلدان العالم، لتمتص إلى جوفها الذين يمكن أن يفدوا من ذوى النباهة والشأن، أو هم هكذا فى حاضر حالهم، فى تعاطى الشؤون العامة. وفى هذه المحافل نجد طلبتنا من مكان التجسس الرئيسية وأسباب نشر نفوذها. وهذه المحافل سنضعها تحت إدارة مركزية معروفة لنا وحدنا، وأما غيرنا فلا يدرى من ذلك شيئاً مطلقاً. وهذه الإدارة المركزية إنما تؤلف من حكماننا. ويكون لها ممثلون ينطقون باسمها، وهم بمثابة ستار يغطى الإدارة المركزية الماسونية التى منها تصدر التعليمات، والشارة وكلمة السر. وفى هذه المحافل، نُحْكَم رِبْطُ المُقَدَّة التى تضم أنشطتها جميع العناصر الثورية والليبرالية. وهذه العناصر آتية من مختلف طبقات المجتمع. وعلى هذا الوجه، فإن أوغل المؤامرات السياسية فى دهاليز السرية وأوكارها، يكون عندنا خبره، ونحن المحركون لذلك بأيدينا المشيرة من وراء ستار من أول يوم توند. وينضوى الى عضوية المحافل، جميع العملاء للبوليس الدولى العام، والبوليس المحلى فى كل دولة، إذ خدمة هؤلاء لا يمتاض عنها بسواها، لأنهم يستطيعون استعمال تدابيرهم الخاصة إزاء المتمردين، وليس هذا وقفا على نشاطنا بما يضعون من تأويل وتفسير ومزاعم ومدعيات، فى حالات انتشار القلق والتذمر وما أشبه.

وأما أولئك الأفراد من طبقة الشعب، الذين يسارعون طوعاً من تلقاء أنفسهم للانتماء إلى الجمعيات السرية، فهم القوم الذين يعيشون بمتايس ضئيلة على قدر أفهامهم، مستدين على القليل الذى عرفوه واكتسبوه من تعاطيهم أعمالهم المختلفة، وكل واحد منهم هو ابن

صنعته، فهولاء على الجملة والغالب خفاف العقول، ولا نجد صعوبة في معاملتهم واستعمالهم عند الاقتضاء كأدوات تصلح لتعطيل سير الأجهزة التي هي من صنعنا. فإذا طرأ اضطراب على هذا العالم، فمعنى ذلك أننا نحن الذين رأوا إيقاع هذا الاضطراب لتقوم الأمم على بعضها بعضاً، وتهدم كياناتها المتضامن المنيع. ولكن إذا ظهرت في وسط العالم مؤامرة، فعلى رأس تلك المؤامرة لا يكون أحد سوى من هو في خدمتنا وأشهدهم إخلاصاً لنا. فطبيعي، إذن، ان نكون متولين توجيه النشاط الماسوني، لأننا نعلم أين هي الغاية من التوجيه، والهدف المقصود من كل نشاط، بينما الفوييم يجهلون من هذا كل شيء، ولا يتصورون النتائج حتى في أبسط أشكالها، وشأنهم المتماد أن يبادروا إلى إظهار الاعتداد بالنفس والتباهى والازدهاء بآرائهم الخاصة، إلى انغماسهم في مصالحهم الفردية، دون أن يلاحظوا على الأقل أن محض الفكرة التي يدورون حولها ليست من بضاعتهم في الأصل، وإنما وَرَدَتْ عليهم منا، ألقينا بها وهم لا يدرون.

والحافز لأفراد الفوييم في انتمائهم الى المحافل، عادة حب الاستطلاع ودافع الفضول، أو أملاً أن ينتشلوا من المجتمع لقيمات من حب الظهور وفيصل ثالث منهم، أمنيته أن يقف فيتكلم في الجمهور ليستمعوا إليه، وهذا ليس عنده إلا ترهات. فهؤلاء جميعاً متعطشون إلى أن يستمتعوا بلذة القول أنهم نجحوا، واستحسن الناس ما قالوا. ونحن في هذا على غاية الجود والكرم. والسبب الذي من أجله أننا نمن عليهم بهذا النجاح والاستحسان، هو أن نسخرهم ونستغلهم من ناحية غرورهم المطبق، وهذا كله مما يحملهم على ان يهضموا بلا شعور، آراءنا وأفكارنا، ويتبنوها دون ان ينتبهوا إلى أن ذلك هو منا. ومن شدة هذا الغرور فهم عديمو الاحتراز، وليس لهم صحة تقدير، فيتظاهرون عن ثقة تلابسهم، بأن هذا النجاح كله هو من بنات أفكارهم ومبتكراتهم، وهم أكبر من أن يقتبسوا، أو يقترضوا مثله من سواهم. ومن السهل جداً، من هذه الناحية، أن تجر، حتى أعقلهم، إلى موقف السذاجة، دون أن يشعر بأنه منساق مجرور، وهو متجاوب مع غروره، وسَهْلٌ كذلك أن تميل إليهم الذي تريد، منتزِعاً قلوبهم من بين حنايا صدورهم، وذلك لأقل فشل يلاقونه، حتى ولو كان هذا الفشل لا يزيد خيبتهم في أنهم لم يلاقوا مقدار الاستحسان الذي كانوا يتوقون، فيستذلون ذل العبيد من أجل أن يعود إليهم ما يأملون.. وجماعتنا ينبغي ألا يهمهم شيء من مقدار هذا النجاح الذي يشغل بال الفرد من الفوييم، إلا إذا رأت جماعتنا أن من المصلحة لها، المسابرة في تنفيذ المسألة المطروحة، مع العلم أن الفوييم في سبيل التلذذ بالنجاح، الذي إليه يتوقون، يضخون بكل مرتخص وغال. وهذه الحالة عند الفوييم تساعدنا كل المساعدة، ونحن نعالج تعيين مكانهم من الاتجاه المطلوب. فهم نَمِرَةٌ وأسود في الظاهر، أما نفوسهم فنفس خرفان، والرياح تلعب برؤوسهم دائماً تندفع بهم هذه الناحية أو تلك. وقد اشريناهم. عن طريق اركابهم حصاناً

من قصب كحصان الصبية اللاعبين فى الساحة، فكرة اندماج الفرد فى المجموع لتحصل من ذلك الوحدة الرمزية للجماعة.. ولم يفلتوا، إلى أن هذا الحصان الذى أركبوه فامتطوه بازدهاء وخيلاء، ما هو إلا ابتعاد واضح من مجرى النواميس الطبيعية، إذ الطبيعة قد أوجدت من أول يوم الكون، كل وحدة من وحداتها تختلف عن الأخرى، والغاية من ذلك إنشاء الفردية.

فإذا كنا قد استطعنا أن نورد الفويم من كل هذه الموارد من التضليل لبلاهم وانغلاق عقولهم، أهليس هذا برهاناً ساطعاً على ما انتهت إليه أذهانهم من ركود وتخلف، إذا قابلتم الحال بيننا وبينهم؟ وهذا ما يضمن لنا النجاح.

ولعمري، ما كان أحكم سلفنا فى الأزمنة الغابرة لما قالوا إن فى طلب كبار الغايات لا يقام وزن للوسائل والضحايا.. وما بنا من حاجة لنحسب ما تحمله الفويم من ضحايا لحفظ بذرة حيوانه والاحتفاظ بسلالته، مع أن ضحاياتنا نحن لم تكن بالقليلة. ولكن من أجل ما تحملوا هم، فنعطيهم اليوم من المكان والفسحة على وجه الأرض ما لم يتخيلوه حتى فى أحلامهم وأما عدد ضحاياتنا القليل من مجموعتنا، فقد حَقَّقَ لنا قوميتنا وحماها من الاندثار. الموت حق على كل حى. فيكون خيراً وأفضل أن نقرَّبَ الأجال على الذين يعترضون سبيلنا، من أن نقرَّبَ آجالنا، نحن الواضعين لهذه الخطة. وأنا مستعدون أن نعدم الماسونى إعداماً يخفى خبره عن الناس جميعاً، ما عدا الإخوة الماسونى، ولا يدري بهذا أحد حتى المحكوم عليه نفسه، فيظل على جهل من مصيره المدبَّر له حتى يلقاه، فيموت بالوقت الذى عيَّن له كأنه مات ميتة طبيعية من مرض عادى.. والإخوة الماسونى أنفسهم، اذا ما علموا بذلك فلن يقبوا على الاحتجاج. وبهذه الطريقة نكون قد اقتلنا من وسط الماسونى الجذور التى قامت تشغَب علينا. وبينما نعى بنشر الليبرالية فى آفاق الفويم، لينطلقوا يفعلون ما يريدون، ترانا جدَّ حريصين على جعل شعبنا وعملائنا فى حالة الخضوع لنا دون أى اعتراض.

ولا يغيب عنا أننا بفعل هيمنتنا على الفويم، استطعنا أن نجعل تنفيذ القوانين عندهم يلزم الحد الأدنى، ذلك لأن هيبة القوانين قد نسفتها نسفاً التفسيرات الليبرالية، فمعدتها، وتركتها كومة من الأوهام. وأهم القضايا وأعلاها شأنًا، يتولى القضاة فيها على ما نوحى به إليهم، وينظرون فى المسائل على هذا النحو أيضاً، فى ادارة شؤون الفويم وهذا طبعاً على يد أشخاص هم أدواتنا باطناً، لكنهم فى الخارج وعلى عيون الناس. لا صلة بيننا وبينهم، ويتم تبليغ ما يراد تبليغه بمقالات الصحف وما أشبه. وحتى أعضاء مجلس الشيوخ، وكبار رجال الإدارة، فإنهم يتقبلون نصائحنا بالرضى؛ وعقل الفويم لخشونته المطلقة، تراه عاجزاً عن التحليل والملاحظة، وهو بعد ذلك أعجز عن رؤية أقرب النتائج للحلول التى يضعها ولا يتصور ما تؤدى إليه.

ومن هذا الفرق في الخصب العقلي بيننا وبين الغوييم، يتضح ما اختصنا الله به منذ شاء اتخاذنا الشعب المختار، ويتجلى ايضاً ما اختصنا به من درجة عالية في سجية الإنسانية وأما الغوييم فلهم العقل الراكد. ولهم عيون ولكنهم لا يبصرون شيئاً مما أمامهم، وهم لا يخترعون، ولا يبدعون (إلا ما عسى ان يكون في باب الاختراعات المادية) ومن هذا يعلم أن الطبيعة نفسها هي التي خطت مصيرنا لقيادة العالم والسيادة عليه.

ومتى ما جاء الوقت لنمارس الحكم العالمى علناً، ونقبض على زمامه في وضع النهار، باسطين للناس بركاته، فإننا سنفرغ كل القوانين في قوالب جديدة، موجزة، واضحة، متينة التركيب، لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل، بحيث يكون بوسع أى فرد أن يفهمها بسهولة، والخصيصة الأولى الملازمة للنصوص، هي بيان وجوب الطاعة للقانون. وهذه القاعدة الأساسية تنزل المنزلة الكبرى من الخطورة، فتتلاشى النقائص والقباحات، ويمحى سوء الاستعمال، لما هناك من مسؤولية يحاسب عليها، وعين السلطان العليا رقيب على كل شيء والخارجون على القانون ينالهم العقاب الصارم، ولا مجال لأحد لكى يفرض تجربته الشخصية عن طريق القانون، وسنحيط سير الإدارة برقابة فاحصة يقظة، إذ على هذا يتوقف سير أجهزة الدولة كلها في مطلق شعبها ودوائرها، لأن الخلل إذا وقع هنا في الإدارة، تفشى في جسم الدولة بلا استثناء. لذلك لن تمر حادثة واحدة من حوادث المخالفات إلا ويتناول العقاب مرتكبها.

أما إخفاء الجريمة والذنب، والتواطؤ بين القائمين بالإدارة الحكومية، كل هذا الشر لن يكون له وجود، بعد أن يُنزل العقوبات الصارمة بمن يستجفها في البداية، فتكون من ذلك عبرة كافية. وهالة سلطتنا المشعة بالنور، تقتضى هذا، أى العقوبات العنيفة على أقل الذنوب، لتظل الهيئة القانونية على جلالها، لا تعلق بها شائبة. ومرتكب الذنب قديلقى من الجزاء فوق ما يستحق، ومثله مَثَلُ الجندى، لكن ميدانه العمل في الخدمة الإدارية لمصلحة الدولة، مبدأ وقانوناً، وقد يُولى أن يمسك بعنان المركبة العامة ويكون سائقها، فلا يجوز له أن ينحرف بها عن جادة الطريق، فتتزلق وتهوى بمن فيها، وما السبب في ذلك إلا ما في نفس السائق من عاية خاصة، ومثل ذلك يقال في القضاة: فقضاتنا سيعلمون أنهم إذا تجاوزوا بعامل الرحمة والشفقة، فيكونون بهذا قد خالفوا قانون العدالة، القانون الذى وضع لتقديس شخصية الفرد، عن طريق عقاب المجرم على ما ارتكبه من جرم، وليس موقف القاضى هنا أن يظهر ما في صدره من عاطفة حنان ورأفة، إذ هو هنا لإجراء حكم القانون فحسب، لا للميل إلى ما في نفسه. فإذا كان للقاضى عواطف وميول خاصة، فليمارس ذلك في شؤون حياته الخاصة، لا في ساحة القضاء، حيث القضية هنا هي تعليم وإرشاد لخير الحياة الإنسانية.

والقائمون بأعمال الجهاز القضائي يُصَرَّفون من الخدمة عند بلوغهم سن الخامسة والخمسين، وأسباب ذلك أولاً لأن الذين تقدموا في السن، يجمدون على آراء يخالطها تحيز ومحاباة، فيصعب عليهم التخلي عن طبيعتهم إلى ما هو أصلح. ثانياً، أن هذا الصرف من الخدمة يعطينا الفرصة لتحقيق المرونة في تغيير الموظفين وانتقاء عناصر جديدة أطوع، فالذي يريد أن يشغل عملاً ما، عليه أن يستحقه بالطاعة. وعلى الجملة، فإننا سنختار قضاتنا من الذين آمنوا كل الإيمان بأن الواجبات المطلوب منهم القيام بها هي العقاب على الجريمة، وتطبيق القانون، لا مجازاة الأهواء الليبرالية، على حساب الآلة التهذيبية في الدولة، على نحو ما يفعل الفوييم اليوم. ثم إن صرف الموظفين أو تغييرهم، من شأنه أن يذهب برباطة تكتل الموظفين الذين يجمعهم التضامن المسلكي وهم رفقة سعيد واحد. وفائدة أخرى أيضاً من الصرف:: وهي رَبط عمال الدولة جميعاً بوئاق مصالحها. وعلى هذه المصالح يتوقف مصير الموظفين. وأما عنصر الشباب من قضاتنا فيكمل استعدادهم لتولى القضاء بإخضاعهم لدورات تدريب يفهمون منها استحالة الميل مع المذنب، إذا يتجلى لهم ما يكون وراء هذا من إفساد لأوضاع الرعية فيما بين بعضها بعضاً.

وفي أيامنا هذه، نرى قضاة الفوييم ينحرفون عند النظر في كل نوع من أنواع الجرائم فلا يفهمون فهماً سليماً معنى ما عهد إليهم فيه، ذلك لأن حكامهم عند اختيار القضاة لا يهمهم أن يكون القاضي متشعبة نفسه بجب التجرد ليستطيع موازنة الأمور بحكمة وإصابة. وكما تطلق الحيوانات صفارها لترعى حيث تريد، كذلك يفعل الفوييم بتسليط الموظفين على المصالح والأعمال، ليعتصروا منها ما يشاؤون لأنفسهم، وهذا هو السبب في ما يحل بحكوماتهم من خراب، فهم في الواقع يخربونها بأيديهم، عن طريق عمالهم. ولا بأس أن نقتبس درساً آخر من نتائج هذه الأعمال لخير حكومتنا.

إننا سنطارد الليبرالية من جميع المناصب الحساسة الخطيرة، وعلى هذه المناصب يتوقف تدريب العمال الثانويين اللازمين لهيكل الدولة وهذه الوظائف لا يشغلها إلا من كَمَلَ تدريبهم ليعملوا في الإدارة، وإذا قيل من باب الاعتراض على هذا، إن صرف الموظفين من الخدمة على هذا الوجه، يحمل خزانة الدولة عبئاً مالياً، أجبت، أولاً بأن المصروفين من الخدمة سيهيا لهم من الأعمال في المصالح الخاصة خارج الحكومة ما يعتاضون به عما فقدوه من مرتب. وثانياً، على أن ألقت النظر إلى أن جميع أموال الدنيا ستكون محتشدة في أيدينا، فلا تكون حكومتنا في النهاية هي التي تخشى أن تتحمل هذه النفقات.

وسلطتنا المطلقة تكون في مجرى هذه الأمور كلها على منطلق أخذ بعضه برقاب بعض، اطراداً وانسجاماً، فيتلقى الشعب أوامرنا الباتة الصفة في كل قضية، بغاية الرضى والقبول، وينفذ إرادتنا إلى غايتها دون اعتراض، ولن نقيم وزناً لأى شكوى أو تملل، فإذا ظهر شيء من هذا فنسحقه توأ، ونستأصله بالمجازاة الصارمة.

وسنلفى حق الاستئناف لصاحبه. وإنما نجعله فى خيارنا . تحت نظر الحاكم، إذ لا ينبى أن ندع الاعتقاد يسرى فى الأذهان أن لا طريق لتصحيح الخطأ الذى يقع فيه القاضى، والقاضى هو من قبَلنا، ونحن أقمناه ليقضى فى الناس. فإذا ما وقع فى هفوة، فنحن نرفع القضية من تلقاء أنفسنا إلى مراجعها العالية، ولكننا نأخذ القاضى بعقاب عنيف، ليكون أمثولة وعبرة، وحتى لا يقع فى الخطأ مرةً أخرى.. وعلى أن أكرر لنا من العثرات، فيطمئن الشعب إلى حكمنا ويسكن، ومن حقه أن يطلب من الحكومة الفاضلة موظفاً فاضلاً.

وستكون حكومتنا متشحة بمظهر الوصاية الأبوية على الشعب، ويتمثل هذا فى شخص الحاكم الأعلى، وسيدرك شعبنا ورعيتنا هذا الحنان الأبوى فى كل مصالحهم وأعمالهم، وفى مجرى كل العلاقات الشعبية المتبادلة بين واحد وآخر، ومجرى العلاقات التى بين الشعب والحاكم. وهذا ما سيشرههم العقيدة أنهم لا غنى لهم عن استغلال ظل هذه الوصاية الأبوية، إذا شاءوا أن يعيشوا بسلام وهدوء، وسيترفون بفضائل الأوتوقراطية فى حاكمنا، بإجلال كاد يكون تأليهاً، ولا سيما عندما يقتنعون بأن الذين نصبناهم عمالاً عليهم من عمال الدولة، لن يتبعوا الهوى أو آراءهم الخاصة، بل دأبهم أن ينفذوا إرادة صاحب السلطة العليا كما تملى عليهم وكذلك سيسر الشعب ما أحدثاه له من تنظيم أمور حياته ورعاية مصالحه، فسنعنا له ما يصنع الأب الحكيم نحو أولاده من تربيتهم على حب الواجب والطاعة. فإن شعوب العالم من جهة وقوفها على أسرار دولتنا، كانت عبر التاريخ كله بمثابة القاصر الذى لم يبلغ الرشد، وكذلك كانت حكوماتها.

وكما تعلمون، فإنى ابنى سلطتنا الفردية المطلقة على قاعدتى الحق والواجب والحق هو الإجبار على تنفيذ الواجب كما رسمته الحكومة باعتبار الأبوة التى لها على الشعب. فلها حق القوى تستعمله فى توجيه الإنسانية نحو هذا النظام الذى حددته الطبيعة وعرفته بأنه الخضوع. وكل شىء فى العالم معناه الخضوع، وإذا لم يكن هذا الخضوع للإنسان فهو للأحوال والظروف، أو للقوة الذاتية فى الشىء نفسه، وعلى كل اعتبار يكون الخضوع للقوة التى تسيطر عليه. ولذلك نقول إننا سنكون نحن هذه القوة المسيطرة من أجل الخير.

ولا نتردد فى تضحية الأفراد الذين يخالفون النظام القائم، فى العقاب الصارم ينزل بالمخالف ما يعطى درس التعليم.

ومتى ما وضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى تقدمه إليه أوروبا، فإنه يصبح أبا العالم، والضحايا الذين تقضى المصلحة بتضحيتهم، ولا مهرب من هذا، لن يماثل عددهم عدد الضحايا الذين سقطوا فى خلال القرون الماضية بسبب تهالك حكومات الغوييم على الأباطيل والتبارى من أجل الأبهة الفارغة، وسيكون ملكنا على اتصال دائم بشعوبه، ملقياً عليهم من على منبره الخطب التى فى ساعة إلقائها يتردد صداها فى العالم كله.



## البروتوكول السادس عشر

تعميق برامج التعليم في الجامعات . ماذا يحل على الكلاسيكيات . التدريب والمهن .  
التبشير بسلطة الحكم الجديد في المدارس . إلغاء حرية التعليم . النظريات الجديدة . استقلال  
الفكر . التعليم على أسلوب «دروس الأشياء» .

إنه لكي يتم لنا تخريب جميع القوى التي تعمل على تحقيق الانسجام الفكري، والتضامن  
الاجتماعي، ماعدا قوانا نحن، علينا أن نبدأ بتفكيك حلقات المرحلة الأولى من هذا وهي  
الجامعات. والطريقة، ان ننقض وننقض أساليب التعليم من أساسها، ونُفَرِّغَهَا في أساليب  
جديدة وتوجيه حديث. والأساتذة والقائمون بالوظائف التعليمية، يهيئون تهيئة خاصة وفق  
برامج سرية عملية، ويُقيدون بها بشدة، حتى لا يسوغ لأحد منهم أن يحيد عنها قيد شعرة.  
ويدقق في اختيارهم وانتقائهم بكل عناية، فإذا ما شرعوا في أعمالهم باتوا ومستندهم  
الحكومة، ولا انفكك لهم بعد.

وسنُخْرِج من مادة التعليم الجامعي دستور الدولة وكل ما يمت إليه وإلى المسائل  
السياسية بصلة. غير أن هذه الموضوعات يقصر تعليمها على بضعة عشرات من الذين يُختارون  
من الطلاب اختياراً لتفوقهم في الذكاء، وبهذا تقف الجامعات عن أن تقذف إلى العالم كل  
سنة بطائفة بعد طائفة من المختثين الذين ينطلقون بخفة لتلفيق المخططات الدستورية ورسم  
المشروعات الهوائية، راقصين حول هذا كأنهم على مسرح في رواية مضحكة أو مأساة، يتلهون  
بمناقشة موضوعات هي فوق مداركهم، ولم يسبق لأبائهم أن حدقوا شيئاً من دقة الفكر.

وتعريف الجماهرة من الناس تعريفاً سيئاً ملتويّاً، بشؤون الدولة ومسائلها، وهم يأخذون  
هذا بعقول فجة، أمر لا ينتج عنه سوى ظهور العنصر الذي يركبه الهوس والخيال، يرافقه  
المواطن الرديئ السيرة، ويسهل عليكم ملاحظة المثال على هذا، في ما ترونه من نتائج التعليم  
الشائع اليوم في العالم بين الغوييم. فالواجب الذي علينا هو أن ننقلهم إلى حيز تعليم آخر،  
يتعلمون فيه جميع المبادئ والقواعد والأصول، مما كان رائئاً في نفس نظامهم. ولكن متى ما  
تسلمنا نحن زمام الحكم والسلطة، سنزيل من المناهج كل موضوع شائك مقلق، ونجعل من الشباب  
شباباً طائعين للسلطة، محبين للحاكم، يرون في حكمه العون والأمل في بيئة السلام والطمأنينة.

وأما تدريس الآداب والفنون الكلاسيكية (منذ عهد اليونان والرومان) وكذلك تدريس  
التاريخ القديم، مما امثلته تدل على أن ضرره أكثر من نفعه، فهذا كله سنذهب به، ونضع محله

تدريس برامج المستقبل. وسنمحو من أذهان الناس جميع ما وعته من وقائع القرون الحالية، مما لا نرى فيه الخير لنا، ولا نبقى إلا على ما يسجل المزالق على حكومات الفويسيم. وما يحتل المكان الأول في برامج التعليم الجديدة، تدريس أصول الحياة العملية، والواجب نحو النظام، ونحو علاقات الناس بين بعضهم بعضاً، وفي التدريس المقبل نجتب الأمثلة التي فيها صور الأنانية والانحراف، إذ في هذا تكمن بذور الشر وعدواه، ثم يُعنى بكل عنصر من عناصر التهذيب والتقويم. والمناهج التعليمية تتوزع على مناح مختلفة، بحيث يتعلق كل منهج بمنحى من مناحى الحياة على مراحل العمر كله، ولن نجعل التعليم يجرى على نمط متماثل وله طابع متسق. وهذه المسألة هي في غاية الخطورة ولها عندنا المقام الأول.

وكل مرحلة من مراحل العمر، تُضبط قواعدها على التحديد، ويُجعل مقابلها ما يناسبها من العمل في الحياة. وأما النبغاء الذين يظهرون منفردين في الذكاء، والآن وفي كل زمان، فلهم من المعيتهم ما يمكنهم من تخطى حدود المراحل في حلبة الحياة، ولكن من البلية على هؤلاء المشرقين اللامعين أن يزامنهم من رفقاتهم من حظة البلادة وفقر الموهبة، فيحاول هؤلاء المناكيد مزاحمة من هو أفضل منهم وامتاز عليهم بحكم الفطرة أو الجدارة في إتقان العمل. ولا يخفى عليكم ما أصاب الفويسيم من نكبة بسبب ضلالهم في هذا الأمر.

ومن تصدى للحكم، وابتغى أن يكون له في قلوب الرعية مكانة وطيدة، وفي أذهانها صورة جميلة، وجب عليه بالضرورة، مادام يمارس واجباته، أن يطلع الأمة جمعاء بكل وسيلة، في المدارس والساحات العامة، على ما هو بسبيله من مقاصد وأعمال، وما يهدف إليه من خير شامل في نشاطاته.

وسنلغى حرية التعليم في جميع الوجوه. فالمتعلمون، وكل فريق منهم يتبع مرحلة من المراحل، يكون لهم الحق أن يجتمعوا مع آبائهم وأهليهم في أماكن عامة كاجتماعهم في منتدى. وفي هذه الاجتماعات أيام الاستراحة، يقوم الأساتذة الموكول إليهم الأمر، بقراءة مواد تجرى مجرى الخطب والمحاضرات، مجانية، تتناول العلاقات الإنسانية والقوانين مع الشواهد والأمثلة؛ كما تتناول شرح القيود والنواهي المتولدة من الصلات اللاشعورية بين الناس، وأخيراً فلسفة النظريات الجديدة التي لم تعلن بعد إلى العالم. وهذه النظريات ستعلى من شأن قيمتها إلى حد أن ينيلها من جد الاعتبار ما للعقائد في الأديان، وهذا يقع في دور الانتقال نحو الوصول إلى ديننا في النهاية.

وإذ قد فرغت من عرض برامجنا العلمية للحاضر والمستقبل، فإنى أتلو عليكم الآن مجمل القواعد لتلك النظريات.

وبكلمة موجزة، إننا نعلم بالتجربة لعدة قرون، أن الشعب إنما يعيش على الآراء ويهتدى بها، ويرتض هذه الآراء عن طريق التعليم الذي يدارج مراحل الحياة. وهنا يختلف معنا الأمر

من جهة أساليب التعليم وطرقه. فنحن بهذا الاختلاف في الأساليب، سنلاشى القديم إلى آخر أثر من آثاره، ونحصر زمام التعليم بأيدينا، فلا يبقى خيط من خيوط الفكر المستقل إلا وطرفه بيدنا، وهو ما كنا نستعمله سابقاً لاستمالة الشعوب واجتذاب أفكارها.

وأسلوب التعليم المُلجَم للعقول، والطامس على الأذهان مُطبق اليوم في المنهج المعروف بدروس الأشياء Object Lessons وهذه الطريقة غايتها إخمال أذهان الفوييم ودفعها نحو البلادة والاسترخاء، تنتظر أن يؤثر إليها بالأمثلة من الأشياء المحسوسة، جاهزة الشكل لتعرف ماهيتها بالصورة المشاهدة (بدلاً من إعمال الفكرة).... وفي فرنسا نرى أن هذه الطريقة قد نجحت كل النجاح حيث نرى أفضل عملائنا من البورجوازية قد وضعوا لها المناهج العامة ومشوا عليها.

\* \* \*

## البروتوكول السابع عشر

المحاماة القضائية - نفوذ رجال الدين عند الفوييم - حرية الضمير - البلاط البابوي - ملك اليهود محل الأب البابوي، كيف تكافح الكنيسة الحالية - واجبات الصحف في هذا العصر - منظمة البوليس - البوليس المتطوع - التجسس على منوال التجسس عند منظمة القبالة - سوء استعمال السلطة.

إن ممارسة المحاماة تنتج رجالاً بردت طباعهم وقست قلوبهم، اعتادوا الإلحاح واللحاجة، ونزل اللؤم من أخلاقهم منزلة ملحة، ولا يهمهم في كل القضايا والدعاوى إلا أن يتلقوا بنقطة من نقاط القانون مطاطة غامضة، يدورون حولها دورانا طويلا. يحللون كل شيء من حق وباطل، ليسوغوا وجهة نظرهم في الدفاع عن موكلهم، لا ليخدموا المصلحة العامة التي تهم المجتمع. لا يترددون أبداً في اقتحام أى موقف منحرف من أجل غايتهم هذه، ويطلبون إخلاء سبيل المتهم والبراءة له، متهاكين متمأحين، حول كل جزء قليل من نص، عابثين بهيبة العدالة. وهذا ما يدعوننا إلى أن نجعل مهنتهم في نطاق ضيق، ضابطا لها، يحفظ كرامتها، ويدخلها في حيز السلطة الإجرائية التنفيذية، حرصا على المصلحة العامة. فالمحامون (على سوى القضاة)، سيمنعون من حق التعاطى مع فريقى الدعوى، وعليهم أن يقوموا بالعمل الذى تمينه لهم المحكمة، فيدرسون ذلك ويضعون عليه التقارير مسنودة بالوثائق المثبتة، ثم يدافعون عن موكلهم بعد أن يكون قد استجوبته المحكمة في الوقائع المادية في الدعوى، وتقدر المكافأة للمحامى على «أتعابه» دون نظر الى قيمة الدفاع الذى أدلى به، وهذه الطريقة تجعله مجرد واضح بيانات موضحة، تتعلق بالأعمال القضائية والمحاكم، لمصلحة العدالة، فيكون في هذه الكفة من الميزان كمساعد للنائب العام في الكفة الأخرى، وهذا كله من شأنه أيضا أن تختصر به المعاملات لدى المحكمة، وتقام قواعد شريفة لمهنة الدفاع على غير جنف ولا محاباة، والهادى في هذا ليس مافى نفس المحامى من مطمح لجر المغمم إلى جيبه، بل وحى الضمير النقى. وهذه الطريقة ستقضى على ما نرى اليوم من فساد مداره المساومة بين المحامين متواطئين تواطئا مؤداه الذهاب مع الفريق الذى يتالون منه مغمنا أوفر لجيوبهم.

\* \* \*

وقد سبق لنا فيما مضى من الوقت أن بذلنا جهدا لإسقاط هيبة رجال الدين عند الفوييم، وقصدنا بذلك أن نفسد عليهم رسالتهم في الأرض، وهى الرسالة التى يهتمل أنها لا تزال بنفوذها عقبة كؤودا في طريقنا. ولا نرى هذا النفوذ في الوقت الحاضر الا في تناقص

يوما بعد يوم. أما حرية الضمير فقد انتشرت وعمت في كل مكان، وبتنا الآن لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحي قد انهار انهيارا تاما، سوى بضعة سنين.

أما ما يتعلق بالأديان الأخرى، فالصعوبة التي سنلاقيها في تعاملنا معها، تكون أقل، ولكن من السابق لأوانه أن نتكلم على هذا الآن. وسنضيق الحلقة في الكهنوتية ورجال الكهنوت، لتجمل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقري بالقياس إلى ما كان لهم من فلاح في الماضي. ومتى حان الوقت لهدم البلاط البابوي، ستظهر أصبع يد خفية تشير إلى الأمام هينا نحو ذلك البلاط. فإذا ما انقضت الأمم عليه، سنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه، رغبة في حجب الدماء. وبهذه اللعبة، سنوغل أيدينا في أحشائه ولن نخرجها بعد، حتى تتبدد قواه ولا حراك به.

ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقي للمسكونة كلها، وبطربرك كنيسة دولية عالمية. وفي خلال هذا الوقت، ونحن نعلم الشباب وننهج بهم على تقاليد دينية جديدة، تمهيدا للوصول بعد ذلك إلى ديننا، لن نحرك ساكنا تحريكا مكشوفًا، ممكرا على الكنائس الحالية، بل نكتفي من قتالنا لها بشن حملات الانتقاد الهدام مما يؤدي إلى الانشقاق والفرقة.

وعلى الجملة، وما يصح قوله الآن، ينبغي أن تستمر صحافتنا المعاصرة في شن حملات النقد اللاذع على الدول في أعمالها، وعلى الأديان، وعلى ما يتردى فيه الغوييم من عجز وضعف، وينبغي أن تكون لهجة الحملات بالغة حد العنف، خارجة عن آداب الخطابة، حتى حتى تتواطأ الوسائل كلها في إضعاف الهيبة وتهشيمها، وهذا الأسلوب لا يتقنه إلا النابغون من رجال قبيلتنا المخصوص بالمواهب.

وستكون مملكتنا دفاعاً عن الوهية «فيشنو»<sup>(١)</sup> الذي فيه قد تجسمت صورة الألوهية. وستقبض بالئمة يد ويد من أيدينا على كل زمام من أزمة جهاز الحياة الاجتماعية، وسننفذ بأبصارنا إلى أن نرى كل الخفايا، بلا استماناة بالبوليس الرسمي، إذ لا حاجة بنا إليه، لأنه مع ما له من حق التدخل، وهذا ما أحكمنا نحن تهيئته له، وتجهيزه به من أجل العمل بين الغوييم، بات عمله لا يناسبنا لصيرورته عائقاً في طريق الحكومات. وتقضى برامجنا، بأن يعمل ثلث الشعب في التجسس على الثلثين الآخرين. ويكون التجسس منبعثاً عن الشعور بالواجب وعلى قاعدة التطوع بالخدمة في سبيل الدولة، ووقتئذ لا يكون من العار أن تكون جاسوساً ومخبراً، بل يكون ذلك مزية وفضلاً، فإذا انطلقت السنة بالتعمير، والقذف، نالت جزاءها وحفظت للتجسس كرامته.

(١) فيشنو Vishnu هو الإله الثاني من الآلهة الثلاثة المعبودة في الهند؛ فالأول «براهما» وهو «الخالق»؛ والثاني «فيشنو» وهو «الحافظ»؛ والثالث «سيوى» وهو «المهلك» ويمتاز فيشنو بأن له كثيراً من الأيدي المبسوطة. (المترجم)

وسننتقى جواسيسنا من مختلف الطبقات، العليا والسفلى، ومن رجال الإدارة الماكفين على اللهو والأطاييب، ومن محررى الصحف والكتاب، والناشرين، وباعة الكتب، وموظفى الدوائر والدواوين، ومن الذين كثر اختلاطهم بالجمهور عن طريق الأخذ والعطاء، والبيع والشراء، ومن العمال والسواقين والخدام والأتباع، وقس على هذا. وهؤلاء الأشخاص، ليس لهم حق اتخاذ أى إجراء يتعلق بموضوعات تقاريرهم، ولا صلاحية لهم فى هذا على الإطلاق، كأنهم بوليس بلا سلطة، فإن المطلوب منهم هو أن يشاهدوا بميونهم ويسمعوا بأذانهم، وينظموا التقارير بما شاهدوا وسمعوا. أما التأكد من صحة ذلك، وإلقاء القبض، فكل هذا معهود فيه إلى نقر مسؤول حاذق من ضباط البوليس. وأما تنفيذ أوامر إلقاء القبض فيقوم به رجال الدرك والشرطة البلدية.

وكل شخص رأى أو سمع مساساً بقضايا الحكومة ولا يبلغ الحكومة ذلك، يتهم بإخفاء المعلومات التى يجب عليه نقلها إلى الحكومة ويحكم عليه بالجزاء إذا ثبتت التهمة. وكما تجرى الأمور من هذه الناحية الإخبارية فى بيئتنا اليوم، كذلك تجرى فى المستقبل وتبقى على صفتها هذه. فإخواننا اليوم مكلفون تحت طائلة أخذهم بالمسؤولية والحساب العسير فى حالة الإهمال والتقصير، بأن يبلغوا هيئة القبالة (١) عما يقع لهم أن يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودى من أبناء أقربائهم، أو ما يرونه من شغب على هيئة القبالة أو قذفها بتهمة؛ كذلك سيكون الأمر فى مملكتنا علناً فى أرجاء العالم كله، ويمسى من الواجب على رعايانا، بلا استثناء، ملاحظة هذه الخدمة للدولة.

(١) القبالة، أو القبلة، أو القبالا، أو القبالا، لفظة عربية قديمة لها فى الوجود عند اليهود بمعناها السرى نحو ١٩ قرناً، وليس لها وجود فى الكتب العربية على اختلافها. إلا ما قد يكون عرضاً، وعلى الجملة لا يعرفها العرب إلا سماعاً نادراً.

ومدلولاتها اليوم كما يلى:

١ - هى بظاهر معناها عند اليهود «التصرف» اليهودى.

٢ - وأما فى الحقيقة والواقع، فهى لا تتخذ من «التصرف» إلا الستر لتغطية حقيقتها الرهيبة السرية، وللتضليل على ما سترى.

٣ - هى أوغل منظمة خفية، قديمة، سوداء الزوايا، مقنعة عند حكماء صهيون، فهى عشهم الأكبر، وهم أبناءهم القانون فى سبيلها فنقطة بيكار «اليهودية العالمية» هنا فى القبال.

٤ - لا يعرف لها مكان، وهى ماشية مع الزمان، و«الماسونية اليهودية العالمية» أداة من أدواتها، و«حكماء صهيون» هم منفذو مخططاتها اذ هى منهم وهم منها.

٥ - يعثر القارىء للروايات الأوروبية عادة على اسم «القبالا» «الكهال» فى معرض المؤامرات العميقة الحيك، فيبتدىء بالفموض وينتهى بالفموض.

٦ - القبال عند «حكماء صهيون» السلطة التى ليس فوقها سلطة، تتناول الإيمان بالقتل والاغتيال والتدمير، ومسرحها الأكبر كان فى روسيا القيصرية ثم نجم قرنهما فى فلسطين بعد ١٩١٨ على يد الصهيونيين أتباع عقيدة «التجمع والافتحام».

وإن إدارة من هذا النوع والصفة، بوسعها أن تكافح أعمال العبث بالسلطة، ومخالفة القانون، والرشوة، وكل شيء ادخلناه بموجب نصائح حكماننا على عادات الفوييم من مفسد، عن طريق نظريات حقوق الإنسان العليا. وعلينا الآن أن نسأل: بأى وسيلة استطعنا أن نكثر من خلق الأسباب المؤدية إلى الاختلال والانتقاض في حكومات الفوييم؟ من تلك الوسائل واحدة كانت الفعالة، وهى اتخاذ العملاء والجواسيس، فتأتى بهم بدعوى أن مهمتهم العمل على إعادة النظام، والحق إلى نصابه، ويفضل ما اخترنا لهم من مناصب مناسبة، فيفتنون الفرصة في بث أسباب الانتقاض وقدح الزناد، ويمارسون في هذا أسوأ ما ركز فيهم من خلق مخرب، وعناد، وغرور، واستعمال السلطة بغير مسؤولية، وأشنع من هذا كله - استقتالهم في حب المال.

- ٧ - كتاب العرب ومؤرخهم في الزمن الحديث، لم نلاحظ أن أحداً منهم خاض في موضوع «القبال» حتى إن المؤرخ الشهير المنقب، جرجى زيدان، لم نلاحظ أنه أتى على شيء يتعلق «بالقبالا» في كتبه، ولا سيما روايته «فتح الأندلس» حيث تكلم بإسهاب عن أعمال اليهود الخفية في إسبانيا، وتظاهروهم بالنصرانية.
- ٨ - كتيب «شيمة المسونيين» المطبوع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٥، في ١٢٢ صفحة، يكشف النقاب عن مخازى الماسونية اليهودية إلى حد بعيد مجمل، لكنه لم يذكر «القبالا» بشيء.
- ٩ - يبدو أن «القبال» أصل معناها الحرفى اللغوى: القبول، والتلقى، والأخذ، وهذا كله بمعنى التلقين والتلقن.
- ١٠ - قد تكون هناك صلة جذرية بين الكلمة العبرية، وفعل «قبل» يقبل قَبُولاً وقَبُولاً بالعربية، ومن مصادر هذا الفعل عندنا القبالة والقبالة. ومثاله للتوضيح: زيد يلتزم عملاً يقوم به أو ديناً يتعهد بوفائه، فالقيام بموجب الالتزام هو القبالة، والصلك أو السند المكتوب فيه الالتزام هو القبالة، وهناك «قبالة» بمعنى تجاه: جلست قبالتة، وهذا كله لا صلة بينه وبين «القبالا» العبرية. ومن فعل «قبل» ومزيداته نرى مصادر وأسماء عديدة لا حاجة بنا إلى ذكرها فهى فى المعاجم.
- ١١ - وفى المعجم الانكليزى - العريى - ترى العجب من معانى «القبالا». وتكتب على وجوه من حيث «الباء» بسيطة أو مشددة:

Cabal و Cabala و Cabbala واسم الفاعل Cabbaler ومصدرها الصناعى Cabbalism والنسبة إليها Cabbalist و Cabbalistic و Cabbalistical والمعنى الأول للكلمة الأولى Cabal: المصابة السرية من عدة أشخاص يهيكون مؤامرة لغاية خفية ويستعملون من هذه الكلمة فعلاً لازماً: تأمر فى الخفاء. وأما لفظة «القبلة» بمعنى التصوف اليهودى فباقية للتغطية.

١٢ هذا «التصوف» هو التعاليم السرية الممتصة من «التلمود»، وتعاليم التلمود عند اليهود هى كما يزعمون، ما أفضى به موسى إلى سبعين رجلاً من بنى إسرائيل، وإلى أخيه هرون ويشوع بن نون من أسرار شفوية لم تدخل فى أسفار موسى الخمسة. صارت هذه الأسرار تنتقل من رهط إلى رهط، فمن يشوع إلى «القضاة»، ومن «القضاة» إلى «الأنبياء» (بعد داود وسليمان) ومن الأنبياء إلى مجمع «السندرين» ثم إلى جامعى التلمود فى القرن الأول والثانى بعد الميلاد. ومن التلمود خرجت تعاليم «القبالا». وأتباع «القبالا» هم «حكماء صهيون» فى كل عصر حتى اليوم.

١٣ - لذلك رأينا أن نبذل ما نستطيع من جهد فى الكشف عن «القبالا» ونحن فى صدد توفية الكلام على «حكماء صهيون»، ويرى القارىء الفصل المتعلق بالقبالا فى هذا الكتاب فى عدة أبواب، وإنما أردنا بهذا المجمل هنا، على الحاشية، استرعاء انتباه القارىء إلى خطورة الموضوع، فالقارىء العريى إذا لم يطلع على كنه «القبالا» فكأنه بقى فى الغموض، كقارىء الروايات الغريبة. والبروتوكولات لم توضع لتوزع على اليهود خاصتهم، وإنما وضعت لتكون دستوراً عملياً لوضع مئات من «الحكماء» ولهذا صرح البروتوكول السابع عشر باسم «القبالا» دون حرج، إذا لم يدر يوم وضع البروتوكولات أنها ستخرج يوماً ما. إلى العالم لكنها خرجت ساعة ميلادها كما ترى تفصيله فى الفصل المخصوص.

## البروتوكول الثامن عشر

تدابير الدفاع السرية . مراقبة المؤامرات من داخل . تدابير الدفاع العلنية المؤدية إلى الاستيلاء على السلطة . الحرس المحيط بملك اليهود . زوال الصفة الدينية عن السلطة . إلقاء القبض والاعتقال على أقل شبهة .

عندما نرى ضرورياً لمصلحتنا أن نقوى دفاعنا السرى بالتدابير الصارمة (هذا أفتك سهم بهيبة السلطة) فإننا سنصطنع ما يوهم بوقوع الاختلال، أو ما يكون منه مظاهر النعمة العامة والتاملل، وذلك بالاستعانة بنفر من الخطباء اللسنين، فيلتف من حولهم كل من يخلبه القول فينساق الى غايتهم فنستمد من حالة الهياج العام العلة والسبب، فتداهم المنازل والمسكن وتقتحم بالتفتيش والمصادرة، وأخذ الناس بالاستجواب، ووضعهم تحت المراقبة وتقييد حرياتهم، فتنتشر المخاوف ويعم القلق، وإنما يقوم بهذا عملاؤنا الذين هم طوع أمرنا، يعملون فى شرطة حكومات الفويسم .

ولما كان معظم من يقوم بحبك المؤامرات هم الذين لهم استعداد بالفطرة لهذا العمل، وفى نفوسهم هوى لإتقانه، ويتولمون به، لمجرد أن يمارسوه ويخوضوا فيه، فيكون لهم شأن، فنحن ندعهم وما هم بسبيله، لا نتعرض لهم بشيء، كان لا صلة بيننا وبينهم، إلا أن ندس فيهم من العيون الخفية من قبلنا، إلى أن تقع على أيديهم حوادث مكشوفة، وعلينا أن نتذكر أن هيبة السلطة لا بد لها أن تتناقص وتهزل، إذا كثر اكتشاف المؤامرات عليها غيأخذ الناس من هذا أن قد عراها الوهن، ويرون مصداق هذا فى مواقفها وضعف الوسيلة فيما تصنع، بل يمتقدون ما هو أسوأ: وهو أنها أوغلت فى إيقاع الناس فى المظالم، وهذا فعل الأسباب فى خرابها . وتعلمون أننا قد همشنا هيبة الملوك، ملوك الفويسم، بما أوقعناه من محاولات اغتيالهم مرات متعددة، على يد عملائنا، وهم كالأغنام فى سهولة الانقياد، يتحركون بكل طواعية واستجابة، وشرطهم الوحيد أن يوماً إليهم بالثناء عليهم، ويشاد بذكورهم على مسمع من الجمهور أنهم أصحاب بطولة سياسية . بهذا نكون قد أكرهنا الحكام على الاعتراف بضعفهم لما امتدحناهم على ما اتخذوه علناً من تدابير الدفاع وهو من أسرار الدولة وهنا المفتاح لانقياد السلطة .

أما حكامنا فتتولى حراستهم فئة ضئيلة جداً من رجال الحرس، إذ لا نقر بحال، ونرفض حتى نظرياً، أن من الممكن أن يقع على أحد منهم مؤامرة خبيثة لا يستطيع هو كشفها



والتغلب عليها وتداركها.

ولا نسلم بفكرة احتمال أن يغلب الحاكم على أمره في مثل هذه الحال، إذ لو سلمنا بها، كما من عادة الفوييم أن يسلموا به، لكان معناه بحد ذاته، وفي نظرنا، الحكم بالإعدام إن لم يتناول حاكمنا عاجلاً تناول عائلته في يوم قريب، ولا مناص.

وتقتضى الأوضاع المصطنعة من المظاهر والصور الخارجية، بالألا يستعمل حاكمنا شيئاً من سلطته، إلا في سبيل نفع الأمة وخيرها، ولا يجوز له بحال، أن يجرم مغتماً ما لنفسه أو لأسرته. ومستواه السليم هذا، يعلى من مقامه ومكانته في عيون الناس، وقد بلغ درجة التقديس، فيتضح لهم أن رفاهيتهم الجماعية ورفاهية كل فرد في الدولة، كل ذلك موقوف على دقة هذا النظام المتماهي وإحكام تنفيذه.

وهذا النوع من التدابير العلنية للدفاع، مؤذن بالضعف الذي أخذ يسرى في داخل جهازه.

وعندما يخرج حاكمنا الى الناس، يكون دائماً محوطاً بجم غفير من مختلط رجال ونساء، كأنهم في ظاهر حالهم وما يبدو عليهم، من عامة الشعب وسواده ودهمائه، تسارعوا بالمجيء ليروا الحاكم عن كذب (ولكنهم في الحقيقة هم حرس) فيأخذون صفوفهم حلقات حلقات مترابطة تحيط به، ثم بعدها إلى الوراء حلقات أخرى على غرار الأولى، وكل هذا يوهم أنه عمل يأتيه الجمهور من تلقاء نفسه. ثم يكون الناس بعامتهم وجملتهم وراء هذه الحلقات، فإذا تدافعت الجماهير ردتها الحلقات إلى مكانها، رعاية للهيبة والنظام. وإذا برز واحد من الجمهور يحاول شق طريقه من خلال الصفوف يريد الوصول إلى الحاكم ويبيده رقعة، فيتناول هذه الرقعة منه من هم في صف الحلقة القريبة من الحاكم، وتقدم الرقعة إليه على مرأى منه وملاً من الناس كافة، فيتأكدوا أن رقاعهم تصل إلى مرجعها الأعلى، ويتولى الملك النظر فيها بنفسه، ولا يكل هذا إلى غيره، وهو حريص على هذا كل الحرص، ثم إن من مقتضى شعار القوة، ولكي تكون صورتها في أذهان الناس جلية بارزة دائماً، أن يتمكن الناس من قضاء لبيانات مثل هذه عندما يقولون «يا ليت الملك علم بهذا الأمر، أو يا ليته يسمع به!!»

ثم إنه عند إقامة نظام الدفاع السرى على صورته الرسمية، الظاهرة، تزول الهيبة الفامضة للسلطة، وعندما تجيش الصدور بالحماسة، وكل واحد يعد نفسه بطل الموقف، يكون القابض على زمام الشبكة للفتة عالماً بما هو عليه من أهبة وسبب كاف، فإذا ما حانت الساعة انقض على فريسته واستولى على ما يريد.. هذا، وأما الفوييم، فكنا نأخذهم من قبل بدعوة أخرى، ولكننا بتلك الدعوة نفسها قد تمكنا من أن نرى ما كان لاتخاذ تدابير الدفاع العلنية من نهاية ما وصلوا إليها الآن.

وأما الجناة والمجرمون في عهدنا، فلا هوادة في أمرهم، فإنهم يُعتقلون ساعة تقوم عليهم الشبهة المؤكدة، ولا يجوز بحال عند مخافة الوقوع في تفسير قانوني غامض، أن يستفيد المتهم بجرم سياسى أو جريرة صغيرة، من ذلك، فائدة إخلاء السبيل، فهنا لا هوادة ولا رحمة. ولكن مع هذا فإذا اقتضى الحال مرةً ما بسبب تأويل نقطة ما تأويلاً مطاطاً، أن يسمح بإعادة النظر في دوافع الجرم، وهذا أقصى ما يكون، فلا يمكن أبداً أن يقع مثل هذا في قضايا الأشخاص الذين تورطوا في مسائل لا أحد يكتفه أسرارها إلا الحكومة، وليست كل حكومة تتقن فهم أسرار السياسة الصحيحة.

## البروتوكول التاسع عشر

حق الشعب في رفض المرئيات والمقترحات . الشغب السياسي . التجريم في المسائل السياسية . الإعلان عن الجرائم السياسية .

إننا وإن كنا لا نسمح بأى عبث بالأمر السياسي يقوم به من يركب رأسه، غير أننا من الجهة الأخرى نشجع كل صنف من المذكرات والرقاع والمقترحات ترفع إلى الحكومة، فندرسها جمعاء وما تتضمنه من مختلف المشروعات الرامية إلى تحسين حالة الشعب. وبهذا لنا فائدة: فينكشف لنا ما يدور في ذهن الشعب من أفكار، ويظهر لنا ما عنده من نقائص ونزوات. وعلى كل، فإننا نتجاوب مع المطالب المقترحة، إما بتنفيذ ما هو صالح وفي محله، وإما برد المسألة، رداً بارعاً، يبدو معه خطل صاحب الاقتراح وقصر نظره في وزن الأمور.

أما تعاملى الشغب، فما هو إلا كنباح الكلب الصغير في وجه الفيل . فالحكومة الوطيدة النظام، لا يكون هذا النباح عليها، مع سهر الشرطة وهو آتٍ من جهة الرأي العام، إلا دليلاً على أن النابح أعجز من أن يدري نصيبه من المكنة والقوة، أو ما هو الفيل المنبوح عليه. وبإشارتنا إلى مثل واحد من الأمثلة الصحيحة، يظهر لكم وزن كل فريق منهما، فتدركوا كيف تكف الكلاب عن نباحها لتتقلب إلى التصبص بأذيالها حول الفيل ساعة تقع عليها عينه.

ولكى تتم لنا ملاحظة الشهوة إلى البطولة من وراء الجناية السياسية، سنحيل الشخص إلى المحاكمة، متهماً على مستوى اللصوص والمجرمين والقذلة ومرتكبى أقدار الجنائيات وأبشعها، فيبهم الأمر على الرأي العام، وتلتبس عليه حقيقة الرجل الذى كان بالأمس مسموعاً عنه طيب الأحوثة وحسن الميرة. فإذا به اليوم يروونه متهماً فيزدرونه ويتخلون عنه.

وإننا إلى الآن قد بذلنا غاية جهدنا، واعتقدنا أننا أفلحنا، حتى رأينا الفوييم لا مكنة لهم لتعاملى الشغب، وإنما من أجل هذه الغاية، رحنا نشيد بمزية الاستشهاد، فى الصحف، ومن على المنابر العامة، بأساليب ضمنية، لا مباشرة مكشوفة، ولا سيما فى الكتب المدرسية، ككتب التاريخ الموضوعة وضماً دقيقتاً، وكل ذلك مما يرفع فى الظاهر من شأن الاستشهاد المزعوم أنه فى سبيل مصلحة الشعب. فنتج عن عملنا هذا بهذه الوسائل، أن ازداد عدد أحرار الفوييم فانضوا إلينا، وهم آلاف، وانضموا إلى صفوف الحيوانات من ماشيتنا.

## البروتوكول العشرون

البرنامج المالى . الضريبة التصاعدية . الخزانة العامة وسندات الدين بفائدة . طريقة المحاسبات . إلغاء مراسيم الاحتفالات (التشريفات) ركود رأس المال . إصدار أوراق النقد . قاعدة الذهب . مستوى الأجور . اليد العاملة . قروض الدولة . إصدار سندات بفائدة نسبة مئوية . أسهم . إشرركات الصناعية . حكام الغويم ؛ البطانة والمحسوية والعملاء الماسون

نتاول فى نوبة اليوم البرنامج المالى الذى أرجأت بحثه إلى القسم الأخير من هذا التقرير، لأنه أعسر الأمور علاجاً، وهو الغاية والنهاية، وهو القول الفصل، الشامل تأثيره جميع ما لدينا من مخططات، وأول ما أذكركم به أنه سبق لى فى موضع تقدم أن أشرت إشارة عابرة إلى أن حاصل أعمالنا كلها تقرره الأرقام .

متى ما أقمنا مملكتنا، ستجتب حكومتنا الأوتوقراطية، تمشياً مع مبدأ المحافظة على النفس، إبهاذ جماهير الشعب بالضرائب إبهاذاً غيباً . وستبتمد من هذا إذ لا يغيب عنها أنها هى للشعب بمقام الأب والوصى . لكن لما كان نظام الإدارة فى الدولة يقتضى وافر التكاليف، فمن الضرورة، والحالة هذه، أن تحصل الدولة على المال اللازم لها . فتطلب هذا بأفضل الطرق وأيسرها، واضعة نصب عينها صحة التوازن فى هذه المسألة .

وفى حكمتنا المقبل، يكون الملك متمتماً بالصفة المعنوية الشرعية التى بموجبها يعتبر هو مالك كل شىء فى الدولة من كلى وجزئى (ويجوز أن يتحول هذا من الحيز النظرى المعنوى إلى الحيز الفعلى الحقيقى) وله أن يضع يده على جميع مقادير الأموال والأملك من جميع الأبواب كلها، حتى يستطيع تنظيم دورة المال فى الدولة ويبنى على هذا أن نظام الضرائب العامة يمكن أن يعتاض عنه بنظام الضريبة التصاعدية على العروض والأملك، وبموجب هذا تدفع الضريبة التصاعدية دون أن تسبب لدافعها إرهاقاً، أو إغراقاً، إذ هى على نسبة مئوية من قيمة العروض والأموال . وعلى الأغنياء أن يعلموا أن واجبهم أن يضعوا جزءاً من فضلة أموالهم تحت تصرف الدولة وحق الكسب الشريف، وأقول الشريف لأن نظام مراقبة الأموال سيقضى على التهريب المقنع عن طريق القانون قضاءً تاماً .

والإصلاح الاجتماعى يجب أن يبتدئ من فوق، وأعلى السلم، والوقت اليوم مواتٍ ناضجة وسائله . وهذا الإصلاح عربون عهد الأمان .

والضريبة على الفقير هى بذرة الثورة وسوس الخراب فى جسم الدولة التى تلهث وراء القليل من الفقير فلا يفيها، وتدع الكثير فى يد الموسر وهو فى متناولها . وفضلاً عن ذلك،

فإن الضريبة على أصحاب رؤوس المال من شأنها أن تخفض من احتشاد الثروة في أيدي قليلة محدودة، وهذا هو ما عنيناه وجربنا عليه في حكومات الفوييم لنجعله في كفة الأغنياء قوة تناهض القوة التي هي الكفة الأخرى . مالية الدولة .

والضريبة المتزايدة على نسبة مئوية من رأس المال، تأتي بدخل أكثر بكثير مما تأتي به الضريبة الحالية على المكلف . والسلع والعروض، وهذه الأخيرة إنما فائدتها مطلوبة في أمم الفوييم، لأنها معوان لنا في خلق القلق وتسبب الانتقاص .

والقوة التي يستند إليها ملكنا في حكمه المقبل، قائمة على شيئين: التوازن المالى، والأمن المستقر . ولكي تستقيم الأمور على هذا الوجه، لا بد أن يتخلى أصحاب رؤوس المال عن جزء من دخلهم من أجل أن يضمن حسن سير جهاز الدولة كما ينبغي . وحاجات الدولة يجب أن يقوم بتسديد تكاليفها أولئك الذين لا تنزل عليهم الضريبة التصاعديّة منزلة العيب، ولديهم من فضلة المال ما يسوغ الأخذ منه .

واستيفاء الضرائب لحاجات الدولة على هذه الطريقة، ينتزع من قلب الفقير على الموسر، إذ يراه أصبح عوناً مالياً للدولة، وعاملاً من عوامل الهدوء والرفاهية، يؤدي هذا كله بطيبة خاطر .

وأما الطبقات المتعلمة، فلكى لا تستثقل أمر التكاليف المترتبة عليها، بموجب النظام التصاعدي، ولكي تستبين الحقائق على علاتها، فيشرح هذا كله بموارده ومصادره، وأصله وفصله، وأرقامه، لكي تكون على بينة منه، ولا يستشى إلا مخصصات العرش وأجهزة الإدارة . ومن يجلس على كرسي الحكم، لا ينبغي أن يكون كالأفراد مالكاً لشيء من المقتنيات لنفسه خاصة، بعد أن يفدو رئيس الدولة، لأن كل شيء في الدولة يمسى وهو القيم عليه، فإذا خرج عن هذه الصفة، تفاقمت شخصيته الحاكمية مع شخصية الفرد الحائز للمال الخاص . والإحراز الفردي للحاكم معناه أن يهدم حقه في الحكم .

أما أقرباء الحاكم وذووه، ما عدا ورثته، الأقرباء الذين تعولهم الدولة، فيجب أن ينتظموا في سلك خدمة الدولة، أو أن يخرجوا لطلب الرزق بائعاً المستقل، لكي يحصلوا على حق التملك الفردي كسائر الناس، فإن امتيازات الدم الملكي لا يجوز أن تكون سبباً في استنزاف الخزانة .

وصفقات البيع والشراء، وقبض المال نقداً، وانتقال الإرث، كل هذا يخضع لضريبة تصاعديّة، وكذلك بيع العقار والمنقول، بصيغة نقد، أو غيره إذا كان خالياً من شهادة دفع الضريبة حيث ينبغي بيان الأسماء كاملة، يعرض المالك السابق لدفع فائدة على الضريبة من ساعة إتمام المعاملة، إلى يوم اكتشافها، إذ تعتبر مهريّة، لم تعلن حسب الأصول، وتقدم جداول الانتقالات إلى دوائر المالية المحلية أسبوعاً فأسبوعاً مع كشف بأسماء المالكين وعناوينهم، سابقاً وحاضراً . وهناك حدود معينة لابتداء الضريبة؛ وهذا أيضاً يتقاضى عنه ضريبة مكس

خفيفة على نسبة مئوية للوحدة.

ولكم أن تتصوروا أن مجموع هذه الضرائب لمرة واحدة كم يضاهاى من مجموع الدخل لدول الغوييم من مرات.

وتحتفظ الخزانة بمبالغ كاملة من الاحتياطي المقطوع، وما يزيد عليه ينبغي وضعه في التداول، وينفق هذا الاحتياطي على الأشغال العامة، فيكون زمام العمل في الأشغال العامة بيد الحكومة، ومنها المورد والمستقى، فيفدو العمال مرتبطين بها، مخلصين لها ولن بيدهم الحكم إذ في هذا مصلحتهم. ويجب قسم من الاحتياطي المقطوع لتخصيصه مكافآت على الاختراعات وتجويد الإنتاج وتحسينه.

ولا ينبغي أن يبقى شيء، مهما قل، من الاحتياطي ولا من المقادير المخصصة لأبواب الموازنة، في دوائر الخزانة، لأن المال إنما وجد لتداوله الأيدي، وكل ركود يطرأ عليه يخرب سير أجهزة الدولة التي هو لها بمثابة الزيت للآلات، وإذا لحق الركود هذا الزيت، فتقف آلات الدولة ودواليبها عن الدوران.

وإن وضع سند الفائدة، موضع سندات الخزانة، ولو بمقدار قليل، يسبب هذا الركود تماماً، وتكون نتيجته الرديئة واضحة.

وينشأ ديوان المحاسبة، وبموجبه يستطيع الحاكم أن يطلع على واردات الدولة ونفقاتها في أى ساعة، ماعدا الحسابات الشهرية الجارية التي لم تقطع بعد، وحسابات الشهر السابق الذي لم تصل جداوله بعد إلى مراجعها.

والشخص الوحيد بمفرده الذي لا مصلحة له في نهب خزانة الدولة صاحبها أو حاكمها، وهذا هو السبب الذي يجعل مراقبته لها كافلة لسلامتها فلا ينفق شيء من أموالها جزافاً.

وناحية المراسم و (التشريفات) في البلاط، من مقابلات وحفلات وما الى ذلك، مما يستغرق كثيراً من وقت الحاكم، كل هذا يلغى، ليتوفر له من الوقت ما يكفى لمراقبة سير الشؤون والأعمال، والنظر في القضايا والمهمات والمصالح. وعلى هذا، لا تكون سلطة الحاكم نهياً مقسماً بين رجال المحاسبة والبطانة والمقربين والمحيطين بالعرش للأبهة والفضخفة، وهؤلاء هم وراء منافعهم الخاصة ولا يهمهم من مصالح الدولة شيء.

والأزمات الاقتصادية التي خلقناها نحن للغوييم، ما خلقناها إلا بواسطة سحب المال من التداول. فإن مقادير عظيمة من رؤوس المال قد ركبت لدى سحب الأموال من الدولة. وهي الأموال التي كانت دائماً تستخدم لمنفعة المال المسحوب باتخاذها قروضاً؛ وهذه القروض أثقلت العبء المالى على الدولة من جهة الفائدة، فصارت مالية الدولة مستعبدة لتلك القروض أو رؤوس الأموال... ثم إن انحصار الصناعة بأيدي أصحاب رؤوس المال الكبار بدلاً من أن تكون

موزعة بين عدد المتوسطين، قد امتص عصير الشعب والحكومة معاً.

وإصدار النقد في الوقت الحاضر، يجرى على نمط لا يتناسب على الجملة مع حاجات الناس على حساب حاجة كل فرد منهم، فيعجز عن سد حاجات جميع العمال. فمقدار الإصدار ينبغي أن يضاهاى عدد السكان في نموه، ويدخل في هذا الاعتبار إحصاء المواليد، إذ هؤلاء يعدون من المستهلكين من ساعة ميلادهم. فتتيح نظام إصدار النقد مسألة تهم العالم كله. وتعلمون ان العمل بقاعدة الذهب قد خرب الدول التي سارت عليه لأنها لم تكن قادرة على تلبية المطالب للنقد، فازدادت الحالة حربياً، فاضطررنا إلى إخراج الذهب من التداول إلى الحد الممكن.

ويحل محل قاعدة الذهب عندنا، قيمة تكاليف اليد العاملة، سواء حسبت بالورق أم بغيره. وسنعمل إصدار النقد على قدر الحاجات العادية في كل باب، مع إضافة المواليد بين وقت وآخر وطرح الوفيات.

وحسابات الدولة، كل دائرة تكون مسئولة عما تقوم به من أعمال، على منهج استقلال الدوائر (كما هو الأمر في فرنسا . الدائرة الإدارية الفرنسية).

ولكى لا يقع تأخر في مدفوعات الدولة، اللازمة لسير أجهزتها، فكل هذا ينظم وتصدر به المراسيم بمبالغه وشروطه من قبل الحاكم. وهذه الطريقة تقضى على ما اعتادته الوزارات من المحاباة بحماية مؤسسة ما، تحت كنفها، ضد مؤسسة أخرى، وبهذه الطريقة نأمن الخلل. وأما موازنة الدخل وموازنة الخرج، فتمشيان معاً متوازيتين غير متباعدتين، حفظاً للانسجام بينهما .

وأما مشروعات الإصلاح والتحسين المخططة بموجب الأنظمة والقواعد عند الفويم، فنفرغها في قوالب لا يخشى منها أحد. وسنين وجه الضرورة في تلك المشروعات، وهى إنما جىء بها لتلافى الاختلال الذى انغمست فيه أمم الفويم، لما طرأ على ماليتها من فساد وعوج. وأول عناصر الفساد، كما سنعلم، بيتدى هكذا: توضع الموازنة السنوية كالعادة، ثم لا تلبث أن تعتل أوضاعها بالتقميع المتزايد المتكرر سنة بعد أخرى، فتتضخم، وتتهالك على نفسها وذلك للسبب التالى: يأخذون أطرافها وجرها إلى منتصف الطريق، ثم تختل دواليبها، فتضطرب وتتسكع في السير، فيطلبون موازنة تصفية فتأتى السنة الجديدة، ولا بد أن تبني على إرث السابقة ومنها موازنة التصفية، ناقلة جملة أرقامها، وذلك كله خبط وعوار وفساد، فالانحراف الذى يقع في مدار السنة الجديدة يبلغ الآن خمسين بالمئة، وعلى هذا ترى أن الموازنة قد بلغت ثلاثة أضعاف في عشر سنوات، والعلة في خراب خزانات دول الفويم حتى أمست فارغة، تعود إلى تلك الأساليب والطرق، مما صنعناه نحن لها. ثم يأتى دور القروض، فيمتص ويلتقم

ما بقى، وما بعد ذلك إلا الإفلاس.

ولا يخفى عليكم أن الأنظمة الاقتصادية التي من هذا النوع، ونحن اقترحناها وقدمناها إلى الفويم . للتخريب . لا يمكننا أن نجري عليها ونطبقها عندنا .

فان كل ضرب من القروض يدل على الاعتلال فى الدولة، وعلى النقص فى فهم حقوق الدولة . فالقروض تعلق فوق رؤوس الحكام كيف ديموقليس . وبدلاً من أن يأخذوا المال من رعاياهم عن طريق فرض ضريبة مؤقتة، فإنهم يمدون أيديهم يستجدون مصارفنا . والقروض الأجنبية ما هى إلا غلق لا ينفك يمتص حتى يشبع فيتساقط من نفسه، أو تتزعج الدولة نزاعاً وترمى به، ولكن دول الفويم أعجز من أن تتزعج العلق، فتلجأ إلى ما هو أيسر وأهون، فتداوى أمرها باستخدام المزيد من العلق أكثر فأكثر، حتى تجف عروقها بطبيعة الحال، وينتهى انسياب دمها كأنه من فساد اختياري (كلاحس المبرد).

وما هو القرض الداخلى الحقيقى؟ القرض هو إصدار الحكومات سندات على الخزانة تحتوى على التزام نسبة استهلاكية لمجموع رأس مال القرض . فإذا كان القرض مرتباً له فائدة بالمئة فى عشرين سنة تظل الدولة تدفع من هذه الفائدة ما حكمه حكم العيب، حتى يوازى مجموع ما يدفع . أصل القرض، وفى أريمين سنة تكون الدولة قد دفعت هذا مضاعفاً، وفى ستين سنة، يضاعف ثلاثاً، ومع هذا يبقى أصل القرض على حاله، ديناً على الخزانة .

يتضح من هذا، أن فرض الدولة ضريبة على رعاياها تصيب كل فرد، مهما يكن أسلوب الضريبة، معناه امتصاص آخر درهم من جيوب دافعى الضرائب الفقراء لتسديد ديون الأثرياء الأجانب الذين منهم أتت القروض، بينما بوسع الدولة أن تجمع من المكلفين من رعاياها ما يلزم لحاجاتها دون أن يكون له فائدة إضافية .

وما دامت القروض قروضاً داخلية تتعاطاها أمم الفويم، ففاية ما يحصل من المال انه ينتقل من جيوب الفقراء إلى الأغنياء . ولكن عندما يشتري الرجل الذى يعهد إليه فى تدبير القروض من الخارج، تسيل أموال الأمم الى صناديقنا وخزائنا، وتسرع أمم الفويم فتؤدى إلينا ضريبة الرعية .

وإذا اعتبرنا نوع الحياة التى يحيها ملوك الفويم وهم على عروشهم، حياة القشور والعيب، وما هناك من إهمال لشؤون الدولة، واستقتال الوزراء فى جمع المال لجيوبهم، وجهلهم المسائل المالية، وخذو باقى الحكام هذا الحدو بحيث أدى الأمر كله إلى جعل بلدان الفويم مدينة لخزائنا بمقادير من الديون هى أعجز من أن تقوى على تسديدها، ألا فلنعلم أن هذا لم يتم دون أن تكبدنا فى سبيله تكاليف ثقيلة من اضطراب ومال .

وركود المال لن يكون له محل فى عهدنا، ولذلك لن يكون أيضاً شئ من سندات بالفائدة



على الدولة، ماعدا الإصدار الذى بفائدة واحد بالمئة، ولن يكون هناك دفع فوائد للقلق الناهش لعصب الحياة فى دولتنا. وحق إصدار سندات بالفائدة سيحصر بالشركات الصناعية التى لا تجد صعوبة فى دفع الفائدة على السندات من أرباحها، بينما الدولة فى هذا الأمر لا تعطى فائدة على القروض التى هى كقروض الشركات، لأن الدولة تقتضى لتتفق لا لكى تستثمر المال فى المشروعات المربحة.

وسندات الشركات بوسع الحكومة أن تشتريها كما يشتريها جميع الناس بعد أن كانت الحكومة مقترضة تدفع جزية القرض، صارت مقبوضة (الشركات) بفائدة تجنبها. وهذا التدبير يمنع الركود والأرباح الطفيلية والاسترخاء، مما كان كله مفيداً لنا لما كانت دول الغوييم مستقلة ولنا مآرب من سوقها ذاك المساق، أما فى حكمتنا فهذا بعيد.

وما أوضح ما نرى من تخلف عقل الغوييم وغباوته الكثيفة وتخبطه فإنهم يقترضون منا بالفائدة دون أن يفكروا فى أن كل هذا المال مع فائدته كان يجب أن يأخذه من جيوب دولهم ليسدوا لنا الدين. وأى شئ أسهل من أن يأخذوا المال من جيوب شعوبهم.

ولكن هذا كله برهان على إشراق نبوغنا العقلى وإشعاعه، ونحن الشعب المختار. فإننا قد اخترعنا لهم هذه الحيلة بشكل تقديم القروض، مزينة منمقة، فصدقوها واعتقدوا أن فيها الخير لهم.

أما طريقتنا فى حساباتنا فستكون واضحة جلية فى بيان المصادر والموارد، والدخل والخرج، لا أثر للإبهام فى ذلك، منقاة على ضوء خبرتنا الاستفادة من القرون الماضية فى دول الغوييم، وستتميز بالدقة والبت والقطع. وبإلقاء نظرة عليها، يستطيع كل واحد أن يرى جوهر محتواها وهذا ثمرة ما ابتكرناه. وبذلك تنتهى مخازى الغوييم التى استعنا بها فى التسلط عليهم، وهذا كله منبوذ عندنا.

وسنضرب بسياج من الرقابة حول نظام الحسابات عندنا بحيث لا يكون من المستطاع بحال للحاكم أو لأى موظف فى الدولة، مهما علا مقامه، أن يحول درهماً واحداً عن بابه، دون أن يكشف أمره، أو أن يجرى نقل مرصد مالى من باب إلى آخر، إلا ضمن ما نصت عليه التعليمات وربط بضابطه.

وبغير هذه الطريقة الجازمة لا سبيل للحكم والسير فى طريق تحتها الغام، وبغير موارد على الصفة التى ذكرنا، مصيرها إلى البوار، حتى ولو كان القائمون بالحكم أبطالا أو شبه آلهة، وكل ما صنعناه لحكام الغوييم الذين طالما أمددناهم بالنصائح (المضلة) فصرقناهم عن العناية بشؤون الدولة وحراسة مهماتها بمصالحها، والهيئناهم بمراسم الظهور بأبهة المحافل والمهرجانات والانتفاخ بأداب السلوك الاجتماعى، والمآدب والولائم، كل هذا ما كان إلا حجاباً

لستر خططنا المؤدية إلى قيام حكمننا. وقد حشونا كل بلاط بالمحبوبين لديهم من عملائنا (وعميلاتنا) فوضعناهم في مناصب كلها مفاتيح، فعملوا، وأحسنوا القيام بما عملوا، وكانوا يستغلون قصر النظر، فيمنونهم بمواعيد عرقوبية أن الفرج وتحسن الحالة الاقتصادية، كل ذلك قادم في الطريق. ومما يأتي الفرج أتأتى بركات اقتصادية من ضرائب جديدة؟ كان ذلك ممكناً بنفسه ولكنهم لم يفهموه ليطلبوه. وكيف يفهمونه ويطلبونه وقد قرأوا ما كتبنا لهم ووضعنا أمامهم فاتبعوه.

وواضح ما كان لهم من نهاية، هي نتيجة الدرب الذي سلكوه، وما ارتطموا فيه من بلاء العسر المالي، وخمول الصناعات في بلادهم.

## البروتوكول الواحد والعشرون

القروض الداخلية. الديون والضرائب. تحويل الديون إلى أن تصبح ما يقال له الديون الموحدة. الإفلاس. بنوك التوفير. والدخل. إلغاء الأسواق المالية. تنظيم القيم الصناعية.

إتماماً للموضوع الذى شرحتة فى الاجتماع الأخير، وهو القروض الأجنبية أقدم الآن إيضاحاً وافيةً حول القروض الداخلية. ولا حاجة بى أن أزيد الكلام على القروض الخارجية، فهى التى ساقى إيلنا ثروات الغوييم، وأما فى دولتنا فلا وجود للأجانب، أى لا شىء خارجى. إننا قد اغتمنا فرصة ما عليه رجال الإدارة الكبار من التكالب على جمع المال، وما أصيب به الحكام من آفة الخمول، فاستعدنا أموالنا منهم ضعفين وثلاثة أضعاف، بل أكثر من هذا، فكنا نقرض حكومات الغوييم من المال ما يفوق حاجتها. أفيسطيع أحد أن يدور بنا مثل هذا المدار؟ لذلك أقصر كلامى على تفصيل القروض الداخلية. والقصة هكذا:

تعلن الحكومة أنها ترغب فى عقد قرض مالى صفته كذا وكذا. وتطرح سنداتها للاكتتاب، وهى من نوع سندات دين بفائدة، ولكى تبقى الحكومة، وفى متناولها الأمر كله من جهة متراوح الاسعار، فإنها تجعل سعر السند بين مئة وألف، ويخصم شىء من هذا للسابقين فى الشراء. وفى اليوم التالى، فإذا بالاسعار فى صعود نتيجة التحايل والتلاعب، والسبب المنتحل أن الإقبال على الشراء كان غزيراً جداً، وفى بضعة أيام تمتلئ صناديق الخزانة ويقبض المال عنها، حسب زعمهم، إذ تدفق عليها وزاد فيضه على ما تحتاج إليه بكثير (إذا كان هذا صحيحاً فلماذا تقبل الخزانة هذا الفائض الزائد؟) ثم يذاع ويشاع أن الاكتتابات فاقت مطلوب القرض أضعافاً، ومن هنا يكمن سر الرواية. فتسمع الناس يقولون: انظروا؛ ما أشد الثقة بسندات الحكومة؛

وعلى اثر تمثيل هذه المسرحية المضحكة، يطيل رأس الحقيقة سافراً، وهو أن الحكومة واقعة فى دين، لكنه دين يقصم الظهر. فتتخبط فى أمرها. ثم يعسر عليها دفع الفائدة، فتلجأ إلى قروض جديدة، وهذه لا يستفاد منها فى وفاء الدين بل تضيف إليه عبئاً جديداً. ومتى ما نفذ مال القروض الجديدة، صار من الضرورى فرض ضرائب جديدة لا لوفاء أصل القروض الأولى، بل لدفع فائدتها، فتغدو هذه الضرائب ديناً لتغطية دين.

ثم يأتى دور تحويل سندات الديون فيخفضون من الفائدة، ويقبضون الدين على حاله، غير

أن هذا العمل لا يستطيعونه إلا بموافقة المقرضين حملة السهام، فتعطل المسألة وعند إعلان التحويل، يسمع اقتراح من رواية ما، إن الذين لا يوافقون على تحويل سنداتهم تعاد إليهم قيمتها فإذا طلب حملة السهام جميعاً استعادة أموالهم، وقعت الحكومة في الورطة، وعلقت بها الكلايب، وتكون كمن طلب الزيادة فوق في النقص، وتمجز عن الدفع. ومن حسن الحظ أن الفويم، ولا فهم لهم في الأمور المالية، يؤثرون دائماً أن يخسروا من قيمة السندات ويقبلوا فائدة مخفضة، على أن يجروا فيحاولوا استثمار أموالهم في مشروع آخر. وفي خلال هذا كله، تتولد الفرصة للحكومة فتتفض عن كاهلها ديناً عليها قد يبلغ عدة ملايين.

وفي الوقت الحاضر، لا يبقى بوسع الفويم أن يلعبوا هذه اللعبة في القروض الخارجية، إذ هم يعلمون أننا إزاء هذه نطلب أن تعاد إلينا أموالنا كلها كاملة.

وبهذه الطريقة التي شرحتها لكم، يكفي أن تؤخذ العبرة من حادث إفلاس واحد لا ريب فيه، ليعلم ما هناك من مسافة بعيدة بين مصالح الشعب ومصالح الحكام.

وأرجو منكم أن تحصروا انتباهكم الخاص بما تقدم من الكلام، ربما أعقب عليه الآن توتاً: أن جميع القروض الداخلية أصبحت في وقتنا هذا ديوناً موحدة، أي ما يسمى بالديون السائرة، وخاصة شروطها تسديدها في آجال قصيرة. وهذه الديون هي أموال مدفوعة إلى بنوك التوفير وإلى الحساب الاحتياطي، فإذا بقيت تحت تصرف الحكومة مدة طويلة، تتبخر إذ تستعمل في دفع فوائد القروض الأجنبية، ويمتاز عنها بمبالغ تعادلها تؤخذ من أموال الدخل والإيراد، وهذه الأموال هي آخر ما في جعبة الخزانة من أدوات الترقيع ورقق الفتوق.

ومتى ما اعتلينا عرش العالم، فيجمع هذه الألاعيب المالية وأمثالها المنافية لمصالحنا، يقضى عليها بالمرّة، ويعفى أثرها، وكذلك نمحو الأسواق المالية من الوجود، لأن وجودها ضار بمكانتنا وهيبة سلطاتنا المالي، لما تسببه من التقلب في الأسعار، فيؤثر ذلك في قيم أموالنا تأثيراً سيئاً.. ووجه عملنا، احتفاظاً بمستوى قيم أموالنا وأسعارها، سنسن قانوناً يمنع التلاعب بين صعود وهبوط (فالصعود ينقلب بسبب الهبوط، وهذا ما كان يقع في دور ابتداء تدخلنا في أسواق الفويم).

وسنعتاض عن أسواق الأوراق المالية (البورصات) بمؤسسات حكومية للاقراض، بالغة حد العظمة والغاية من هذه المؤسسات أن تحدد أسعار القيم الصناعية على حساب ما ترى الحكومة، ويكون بوسع هذه المؤسسات أن تفرق السوق بخمس مئة مليون من سنداتنا الصناعية، وأن تشتري من السوق سندات ما يعادل هذه القيمة، كله في يوم واحد، وبهذه الطريقة تصبح المشروعات الصناعية متوقفة علينا. ويمكنكم أن تتصوروا ما يكون لنا من وراء هذا من نفوذ وسطوة.

## البروتوكول الثانى والعشرون

أسرار ما سيأتى به الغد . شرور القرون العديدة أساس المستقبل الخير . شعار القدرة والخشوع لها خشوع العبادة .

فى جميع ما أوردته عليكم حتى الآن، كان هدفى أن أصرر لكم بمنايا ما سيأتى به الغد، وما هو جار اليوم مندفعاً إلى سيل الحوادث الجسام الطالعة علينا عما قريب، وسر العلاقات بيننا وبين الغوييم، والأعمال المالية. ولم يبق لى ما أقوله إتماماً للموضوع إلا القليل وهو هذا : إن فى يدنا أذهب قوة فى هذا العصر: الذهب، ففى مقدورنا أن نخرج من خزائنا منه أى مقادير نريد فى بحر يومين .

ومن المسلم، أن لا حاجة بنا إلى مزيد برهان على أن حكمتنا المقبل هو من إرادة الله . ومن المسلم أيضاً أننا لن نفشل، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال، فى إقامة الحجة على أن الشر الذى عكفنا على ارتكابه عدة قرون، كان عوناً فى خاتمة المطاف لقضية الرفاهية والخير . يجعل الأمور كلها تحت أجنحة النظام، ولا ننكر أننا فى غضون هذا السير قد لجأنا إلى بعض العنف والجور، على أن النتيجة كانت تكون واحدة على كل حال فى النهاية . وما بقى علينا هو أن ندبج الفصول والمقالات برهاناً على أننا نحن الخيرون المحسنون، أعدنا إلى العالم الممزق المتآثر، نعمة الخير الفعلى، وحررنا الإنسان الفرد، وبهذا نمكن العالم من أن يحيا متمتماً بهاتين النعمتين (الخير والحرية) فى ظل السلام والطمأنينة، مع حسن العلاقات المرعية بين الناس، وذلك طبعاً شرط المحافظة الدقيقة على القوانين الدائمة، وسنبين للناس جميعاً أن الحرية ليست فى الاستباحة والهوى، وحق الانغماس فى المحظورات بلا قيد، بأكثر مما هى كرامة، وقوة إرادة فى الإنسان، وهذان ليس معناه إبلاء الفرد نفسه الحق أن يأخذ بالقواعد الهدامة تحت أسس حرية الضمير والمساواة وما أشبه . وحرية الإنسان ليس محتواها أن يهيج المرء نفسه ويهيج غيره إلى الشر بالخطب الرعناء فى الرعاع العابثين، وإنما المحتوى الصحيح هو الصمود والمناعة فى الشخص الذى يراعى جميع قوانين الحياة بأمانة ودقة، والكرامة الإنسانية عن طريق وعى الوحدات للحقوق، فى مشهد كل حق ومغيبه، وليس من معنى المحتوى أنه مطلق الاستسلام إلى الخيال، والنزوات الجامحة، مما يدور حول موضوع الذاتية أو الأناية الإنسانية .

وستكون سلطتنا رائعة، لتحليها بصفة القدرة الكاملة الشاملة، وتبسط كل حكمها وترشد الناس، ولا تشايح زعماء وخطباء يتراقصون على العبارات الفارغة وما به يتشدقون، مما كله في نظرهم المبادئ السامية، وما هو بالحقيقة الراهنة إلا الطوباوية الخيالية.. سلطتنا ستكون تاج النظام، وفي هذا تتدرج سعادة الإنسان كلها. والشعار الوهاج لهذه السلطة، تتبعث منه عوامل السجود الروحي له، وخشية الإجلال بين يديه، من الخلق أجمعين. إن القدرة الحقيقية لا تسالم حقاً من الحقوق حتى ولو كان حق الله. ولا يستطيع أحد أن يدنو منها بسوء ولو بمقدار شعرة.

## البروتوكول الثالث والعشرون

التقليل من الأدوات الكمالية . الصناعيون المتوسطون . التعطل عن العمل . منع الخمرة .  
محو المجتمعات السابقة ويمتها في شكل جديد . المختار من الله

إن الشُّعْبُ، حتى يمتاد الطاعة، من الضروري أن تتشرب أذهانه دروس الاتضاع والقناعة. وطريق ذلك، الإقلال من إنتاج الكماليات وأدوات الزينة الفارغة، والترف. فتترقى الأخلاق العامة التي ما جاءها الفساد إلا من شدة انغماسها في مباءة الترف المهلك. وسنعنى بإعادة إنشاء صناعات إنتاج متوسطة، وهذا معناه وضع الأنعام في طريق رؤوس الأموال الصناعية الخاصة. ومن فضائل هذا أيضاً، أن الصناعيين الكبار على النطاق الواسع، غالباً هم المحركون، ولو عن غير علم منهم دائماً، لأفكار الجماهير في اتجاه معاكس لا يعرف شيئاً من التعطل عن العمل (البطالة)، وهذا ما يدعو لشده إلى النظام القائم شداً وثيقاً، وبالتالي يقوده إلى احترام هيبة السلطة. ثم أن التعطل عن العمل يعتبر أشد ما يفتك بالحكومة من آفات، أما نحن، فسنداويه يوم ينتقل الزمام إلى أيدينا. والخمرة ستمنع بالقانون، وشاريها معرض للعقاب لارتكابه جرماً ضد إنسانية الإنسان، ولصيرورته بالشراب في صف العجماوات. والرعايا، وأكرر هذا القول، إنما تنقاد لليد القوية التي تحكم، وهي بمعزل عن الرعايا جميعاً، ومن هذه اليد تستشعر الشعوب رهبة السيف الذي ينتضى لمكافحة الأوبئة الاجتماعية واستئصالها، وما عساهم يريدون في ظل ملك ملائكي الروح، يرون فيه هذه القدرة والقوة مجسدتين. واجب السيد الأعلى الذي يحل محل جميع الحكام الحاليين، المتسكمين في طريقهم على حاشية الحياة، في مجتمعات نخرة، أوردناها موارد التدلى والفساد، مجتمعات جحدت كل شيء حتى سلطة الله، ومن وسطها تنجم قرون الشر بنار الفوضى من كل جهة واجب السيد الأعلى قبل كل شيء أن يخمد تلك النار الفاغرة فهاها، إخماداً تاماً. وهو في هذا الصدد يكون مضطراً إلى أن يمحو جميع تلك المجتمعات ولو صبغها بدمه، حتى يبعثها بعثاً جديداً على صورة جنود منتظمة الصفوف، تقايل بوعى كل الآفات التي تعترى جسم الدولة وتزرع فيه البثور.

وهذا الحاكم المختار من الله، إنما اختاره الله ليقتضى على قوى الشر، القوى التي تتبعت من الفريضة لا من العقل، ومن الوحشية لا من الإنسانية. وهذه القوى هي الآن في نشوة

انتصارها، متمثلة باللصوصيات وكل ضرب من الاغتصاب، تحت قناع مبادئ الحرية والحقوق. وقد عبثت بالنظام الاجتماعى ونقضته من كل جهة لتقيم على أنقاضه عرش ملك اليهود، ولكن دور محاسبة هذه القوى الشريرة يكون فى يوم ظهور مملكتنا، فتجرف من طريق ملكنا جرفاً حتى لا يبقى منها أثر، عالقة به بقايا عشرات، أو كسرات محطومة.

حينئذ نستطيع أن نقول لأمم العالم: اشكروا لله واسجدوا للذى فى جبينه خاتم مصير الإنسان، الإنسان الذى قاد الله نجمته إليه، مظهراً بذلك أنه هو وحده القادر على تحريرنا من جميع القوى والشرور التى ذكرنا.



## البروتوكول الرابع والعشرون

تثبيت نسل الملك داود . تخريج الملك وإعداده للعرش . تنحية الوارث ولو كان من النسل الداودي إذا كان لا يصلح للملك . الملك وأعوانه الثلاثة لا غير . الملك هو المصير . ملك اليهود في أخلاقه نحو الناس هو فوق المييب .

في الاختتام، أتاول من الكلام ما يتعلق بإثبات النسل الداودي في أصوله وجذوره إلى آخر الدهر .

سر هذا البقاء، في المقام الأول، كامن في ما يتضمنه ذلك الشيء الذي تمكن به حكماؤنا حتى اليوم، من جعل إدارة شؤون العالم مشرية روح المحافظة على القديم، وذلك عن طريق توجيه التنقيف الفكري للإنسانية جمعاء .

يأخذ بعض الأشخاص من نسل داود على عاتقهم إعداد من يصلح للملك ومن يصلح ليكون وارثاً للعرش، غير جاعلين الاختيار تابعاً لحق من حقوق الإرث، بل كل ما يراعى من مميزات هو الكفاية بصفاتهما من الجدارة والموهلات . فيطلعون المرشحين على أعمق الأسرار المتعلقة بالتدابير السياسية، وأساليب الحكومات وأطوارها، مع الحذر الشديد ألا يتسرب شيء من ذلك الى الخارج . والفاية من هذه الطريقة أن يعلم الناس جميعاً أن زمام الحكومة لا يمكن أن يلقى به إلى من لم يتخرج بالمعرفة والاطلاع على مواطن الأسرار في فن الحكومات .

وهؤلاء المرشحون هم بوجه الحصر الذين قد تم تخرجهم وإطلاعهم على كيفية تطبيق المخططات وتنفيذها، وإمعانهم النظر وتدقيق الاعتبار، والمقابلات بين صنوف التجارب الماضية لعدة قرون، والملاحظات المستفادة من السير السياسي والاقتصادي والعلوم الاجتماعية . وبكلمة موجزة: يلقن هؤلاء روح الشرائع التي هي من عمل الطبيعة نفسها، الهادية في إدارة العلاقات الإنسانية بين البشر .

وإذا وجد أن المرشحين للعرش على الخط العمودي الداودي قد بدا منهم في أثناء دراستهم وتخرجهم، طيش أو رخاوة أو ما يشبه هذا، مما يكون عاملاً في فساد الحكم والسلطة، ويجعل الحاكم غير قادر على الوفاء بحق واجباته، وخطراً بنفسه على المنصب الذي يتولاه، فأمثال هؤلاء، إذا بدا منهم هذا النقص، ينحون على تسنم العرش .

وإنما يتسلم زمام السلطة من أيدي حكماننا، من لا ريب في مقدرتهم التامة، ليحكموا

حكماً بلا هوادة، لا ينى ولا ينتهى، ولو تضمن القوة والصرامة.

وإذا مرض الملك الشرعى الجالس على العرش، مرضاً يورثه ضعف الإرادة والرأى، أو ما يثلم أى صفة من صفات الأهلية، فتكف يده ويسلم زمام الحكم إلى من يأتى بعده من ملك قدير جديد.

وما لدى الملك من مخطط عمل للحاضر والمستقبل، لا ينبغى أن يدرى به أحد إطلاقاً، حتى ولا الذين هم بمثابة مستشارى الملك المقربين.

والذين يحصر فيهم علم هذا كله دون سواهم، هم الملك نفسه وثلاثة أعوان معه لا غير. وفى شخص الملك الذى هو بإرادته الصامدة الصلبة سيد نفسه وسيد الإنسانية كلها، تستشف صورة القدر وخفاياه. ولن يكون بوسع أحد أن يعلم شيئاً من رأى الملك، ولا إلى ما يتوجه برغباته وميوله. ولذلك يكون من المستحيل أن يقف أحد عاثوراً فى طريقه وهى طريق غامضة مجهولة.

ومعلوم أن القوة المستوعبة الخازنة من عقل الملك ومداركه، ينبغى أن تتكافأ بسعة الأهلية والقدرة مع ما ينبغى أن يكون لدى الحكومة من خطط للعمل. وإنما من أجل هذه العلة فى التوازن بين الاثنين، وجب ألا يتسنى ملك العرش إلا بعد فحص قواه العقلية على يد الحكماء الثلاثة الأعوان.

وقد يتسنى للشعب أن يعرف الملك عن كثب، فيحبه، فلا بد له (الملك) أن يخرج إلى الساحات والمشاهد العامة فيحدثونه ويحدثهم، وهذا ما يجعل القوة فى الجانبين، الملك، والشعب، قوة متماسكة، وهى الآن غير موصولة، وهذا الانقطاع سببه نحن وما رأينا من أهوال. وهذه الأهوال لم يكن منها مهرب، وكان حتماً احتمالها، إلى أن يحين الوقت للقوة المذكورة فتلتمى من طرفها. وتمسى حلقة مفرغة تحت أجنحتنا.

وملك اليهود لا يجوز له أن يكون منقاداً لشهواته ولا سيما البدنية، ولا أن يسمح لجانب الفريضة الجامحة أن تسلط على جانب العقل. فإن الشهوات مهلكة، تعطل القوى المدركة العاقلة، وتطفئ البصيرة المبصرة، وتسف بالأفكار إلى الحضيض الذى ما بعده شيء.

والقائم بعيب الإنسانية، المتمثل بشخص السيد الأعلى، الباسط حكمه على جميع العالم من نسل داود المقدس، عليه أن يضحى فى سبيل شعبه بكل شهواته الشخصية، وسيدنا الأعلى حرى به أن يكون فوق العيب ويكون المثل الأعلى.

(الموقعون) ممثلو صهيون من الدرجة ٣٣

(انتهت البروتوكولات)

## الجرائم الخبيثة في مخطط البروتوكولات

- ١ - لا يسع القارىء بعد أن يطالع هذا المخطط، ويتأمل في محتواه ومداه، وروحه وعوامله، وأبعاده وغاياته، إلا أن يسأل: من هم اليهود من الجنس البشرى على صعيد هذا المخطط الرامى إلى إفساد البشر جميعاً، ومحو الحضارة والأديان السماوية، أو فما هو نوع هذا الجنون أو الشذوذ؟ ويتوجه المطالع إلى نفسه بهذا السؤال قبل أن يشفع هذا بسؤال آخر وهو: أيمن لهذا الجنون أن يتحقق منه شيء في النصف الثاني من هذا القرن؟ (القرن العشرين) .
- ٢ - ويسيرُ الجواب على السؤال الأول: اليهود كتلة بشرية ضئيلة من أول أمرها في الوجود. وأجمع المؤرخون المتجردون عن الهوى على أن اليهود لما كانوا يدورون على محورهم الصغير في فلسطين في الزمن القديم كانوا، حتى في أيام شاول وداود وسليمان، حفنة قابلة أبدأ لأن تذروها الرياح بين الامبراطوريات الكبرى في وادي النيل ووادي الفرات والعراق وسوريا. ولم يستطع بنو إسرائيل باسمهم الأقدم، ثم اليهود باسمهم بعد انقضاء عصر سليمان، أن يأخذوا من صفحات التاريخ الحقيقي شيئاً يذكر إلا تنفأ في زوايا الحواشى، ولم يتركوا في فلسطين أثراً من بناء أو عمران يدل على حضارة كانت لهم، أو فن نشأ في بيئاتهم، إلا التوراة التي هي نتاج ألف وخمسمئة سنة. ثم راحوا في أثناء السبى وبعده يتعلقون بالأساطير والملاحم، والإكثار من نسج الأخيلة فوق التوراة حتى ابتوا الى جانبها التلمود، مبتدئين به في القرن الميلادى الأول. والتلمود انقلب عندهم الواقى من العفاء، ومناطق الرجاء، وهو دنياهم من الألف إلى الياء.
- ٣ - والعبرية القديمة رطانة جافة، فأخذت تتأثر بالكلدانية حتى صارت لهجة تشبهها.
- ٤ - ولما كان الكنعانيون يسكنون المدن المسورة ولهم مستواهم الحضارى في بلادهم المسماة بأرض كنعان، وعندهم الحديد وما يصنع منه، وهم يقيمون في داخل البلاد الجبلية في السفوح والوسط والأعالى، ولما كان الفلسطينيون يقيمون في السهول الساحلية من الكرمل وبيسان إلى غزة. وهم لا يقلون حضارة عن جيرانهم الكنعانيين، كان الإسرائيلي الجاف لا حضارة له ولا فن، يهبط السهول إلى الكنعانى أو الفلسطينى، ليصنع له سكة الحراثة أو منجل الحصاد.
- ٥ - من الكنعانيين أخذ بنو اسرائيل ما أخذوا. ومعظم ما في التوراة من أخبار خلق العالم والتكوين والطوفان وتمجيد «ايل» الإله. إنما كل هذا اقتبسوه من الحضارة الكنعانية والحضارة العراقية. وبما: اكتشاف جوانب عظيمة من الحضارة الكنعانية الفينيقية في

- اوغاريت او رأس شمرة قرب اللاذقية آخر الثلث الأول، من هذا القرن، انكشف الغطاء عن كثير من يناييع التوراة.
٦. واضمحل بنو إسرائيل سببياً وتشتيتاً، لكن اعتصموا منذ عشرين قرناً بالتوراة والتلمود، وأسطورة لا محل لها في معقول البشر من أنهم شعب مختار.
٧. وانضردوا بهذا. وجعلوا يحركون حوله الخيال والأسطورة ويمجدون ماضيهم، وسليمان وعصره بصورة خاصة، تمجيداً لا يقره تاريخ ولا حقيقة.
٨. وإذا كانت لليهود حقيقة عرقية سامية في زمنهم القديم، فهذه الحقيقة فقدوها شيئاً فشيئاً، لا بحكم السبى وحده، بل أيضاً بحكم اختلاطهم المكروه بالأمم، وتفريقهم القسرى في الشعوب في مختلف البقاع، وجاء علم الأنثروبولوجيا - الأجناس البشرية - منذ القرن الماضي، يكشف عن هذه الحقيقة ويؤيدها بالبراهين والحجج، وكثير من أهل أواسط أوروبا وجنوبها وشرقها، تهودوا في القرون الأولى بعد المسيحية، كما تهود الخزر في جنوبي روسيا في القرن الثامن والتاسع، وهؤلاء من التتر ولهم خبر طويل في اليهودية. وأقوام كثيرة صقلبية تهودت كذلك. وعلى طول الزمن ضاعت حفنة العنصرية السامية في الجماعات اليهودية، ويفعل الزمن والاختلاط بالزواج ووفرة المتهودين من العنصر الآرى، تحول التيار اليهودي إلى استيطان كل بلد وجد فيه يهود، والبقاء على الاعتصام بالتوراة والتلمود، والانتفاء بالوجود اليهودي بعد أن شتتهم الرومان إلى كيان شعوري ديني منعزل غير قابل للانصهار بالمجموعات البشرية الأخرى. ولازمت هذه الحالة اليهود حتى اليوم.
٩. ومن هذا، يتضح لنا بطلان دعواهم التي يتعلقون بها اليوم، أو منذ الربع الأخير من القرن الماضي (التاسع عشر)، من أن الشعوب الأوروبية جعلت تناهضهم من أجل أنهم ساميون لا آريون. وهذه الكراهة لليهود، وقد عرفت باللاسامية وهو مصطلح حديث، إنما خلقه اليهود أنفسهم لكي يستغلوه في سبيل مخططهم، وبهذا هم يمترفون في هذه البروتوكولات.
١٠. فإذا استطعت اليوم أن تجمع يهودياً صقلبياً، وخزرياً، وهندياً وصينياً، ويمانياً، وحشياً، فبنظرة واحدة تعلم أن كل واحد من هؤلاء يدل بسحبته الموروثة على عرقيته غير السامية ماعدا الاثني الأخيرين.
١١. انتهى تاريخ اليهود في فلسطين بظهور المسيحية تقريباً، ولم يعد لهم من ذكر مستقل بعد ذلك في مجرى حوادث التاريخ العام، إلا وهم ملحقون إلحاقاً بأخبار كل بلد نزلوها طوعاً أو كرهاً. وبقوا هكذا إلى القرن التاسع عشر.
١٢. وخير أيامهم بعد أن شتتهم الرومان، مرتعهم الأمن في المملكة العربية الإسلامية، ولا سيما في حمى الدولة العباسية في العراق، والأيوبية في مصر، والأموية في الأندلس والمغرب.
١٣. فلما جعلوا يخرجون إلى العالم الحديث، بعد أن طوردوا في كل بلاد أوروبية تقريباً، وبعد

مئات السنين وهم يناوئون البابوية والكلثكة منذ العصور الصليبية، إنما خرجوا وعلى جباههم هذه الحقائق.

أولاً: اليهود عنصر مختلط، لا حقيقة عرقية له.

ثانياً: السامية برثت منهم منذ وقت طويل، ولم تضحل حقيقة عرقية فى جماعة بشرية فى التاريخ كله كما اضمحلت فى اليهود، إلا الجماعات والأقوام التى زالت من الوجود جملة وتفصيلاً وانطفأ ذكرها.

ثالثاً: منذ المسيحية وتفرق اليهود فحضى عليهم بأن يخالطوا جميع الأمم والشعوب، على اختلاف الأقاليم والحضارات والأسنة والأهوية، فلم يتيسر لهم أن يندمجوا بغيرهم كما حصل لأقوام أخرى، والسبب هو كيانهم القائم على الانطوائية المغلقة بالتقاليد، والمتلفة بتعاليم مستمدة من التلمود، فمن تهود من الأريين أصبح يهودياً بهذه الصفة.

رابعاً: هم يعترفون فى المخطط أو البروتوكولات بأن السبى البابلى تحول إلى نعمة نقلتهم إلى الطريق التى صيرتهم يهوداً انمزاليين ليلاحقوا عقيدة الشعب المختار، وفسروا هذه العقيدة بأن لهم أن يمحو الحضارة والأديان ليكونوا هم سادة العالم، وزادتهم حياة القهر، والحصر والذل فى القرون الوسطى الأوروبية انكماشاً غير قابل للدوبان، فتحجروا أى تحجر. خامساً: حتى إذا انطلقوا بعد الثورة الفرنسية يضمنون مخططاً قائماً على أساسين، كان هذان الاساسان وهما:

١ . عقيدة أن هذا الشعب المختار يستطيع أن يفسد العالم ويعطله ويخربه ليقيم على أنقاضه ملكاً يهودياً داوياً، يتفرد بحكم العالم بأسره، وما الأمم والشعوب إلا حيوانات متخلفة العقل والذهن والفهم.

سادساً: أما عقيدتهم أنهم شعب مختار فالإشارة إليها وإلى الماسونية شىء كثير فى البروتوكولات. وأما قدرتهم على أن يصلوا إلى نهاية مبتغاهم، فتحسب أن القطار قد فاتهم؛ ولكن قد يطول بالعالم الأمريكى والبريطانى الأمد وهو مخدر تخديراً يهودياً، وأهم عوامل هذا التخدير ليس الذهب والمرأة والجاسوسية، بل التصر ظاهرية والبقاء على اليهودية باطنياً. وقد أكثر اليهود من استعمال هذه الخدعة بعد طردهم من البرتغال وإسبانيا وقيام مجلس التفتيش عليهم بالعذاب المعلوم. وهكذا كان إسلام اليهود الذين جاؤوا المملكة العثمانية بعد القرن الخامس عشر فأسلموا وسموا بالدونمة أى المهتدين.

سابعاً: نظم اليهود أمرهم مراراً غير أن التنظيمين الكبيرين كانا حوالى الثورة الفرنسية وفى منتصف القرن قبل الماضى أيام كارل ماركس، حتى انتهوا سنة ١٨٩٧ إلى جمع أبعاد المخطط وإفراغ ذلك كله فى دستور خفى هو البروتوكولات.

## رؤوس الحراب فى المخطط

غاية الغايات، ونهاية النهايات فى المخطط، هى:

١ - القضاء على روسيا القيصرية

٢ - القضاء على العروش الأوروبية.

٣ - القضاء على البابوية

٤ - اتخاذ أوروبا قاعدة ملكهم (مؤقتاً).

٥ - اعتبار الشعوب والأمم حيوانات ما خلقت إلا ليسودها الشعب المختار.

٦ - إبادة الحضارة وتفكيك الأمم والشعوب وتخريب المجتمع قبل إقامة الملك الداودى.

٧ - بإقامة الملك الداودى الصهيونى يدخل العالم فى عهد بركات الدولة اليهودية. ويستريح البشر فى ظلها.

٨ - المدة اللازمة للوصول إلى هذه الغاية هى قرن ابتداء من سنة ١٨٩٧

٩ - بعد محو الأديان والحضارة وإقامة المملكة الداودية، يصبح دين موسى الدين الوحيد فى العالم، وملك اليهود يغدو بابا العالم أجمع.

١٠ - وسائل التنفيذ فى مراحل هذا المخطط، أهمها القبالة السرية والماسونية اليهودية بقسميها اليهودى السرى المقصور على اليهود، وماسونية الفويم - غير اليهود - وهؤلاء عملاء مسخرون، للماسونية السرية، والاعتقال والقتل الخفى، لكل من يخالف أمراً من أوامر الماسونية العليا.

١١ - لدين موسى أسرار عميقة فتبقى هذه الأسرار مقصورة على عدد قليل جداً من أركان الدولة اليهودية.

١٢ - أما تخريب المجتمع اقتصادياً واجتماعياً، وصحافياً وأخلاقياً، وتهذيبياً ونشر الجرائم الوبائية عمداً، فكل هذا مبسوط فى المخطط المؤلف من ٢٤ جزءاً وهو ما اطلع عليه القارىء، ويحسن القارىء إذا عاد فاطلع على ذلك ثانية وتمعن بكل عبارة ووسيلة، ومقصد، وغاية.

١٣ - وسكتوا عمداً فى البروتوكولات عن التصريح الواسع بنقطةتين، الأولى: «اللاسامية» إذ لأمر ما طووها من هذا المخطط، واكتفوا بالقول إنهم إنما يرونها ضرورية لمصلحتهم.

والنقطة الثانية «فلسطين» أو ما هو بتعبيرهم البائد «أرض إسرائيل»، والسبب في هذا السكون أنهم قالوا عند ذكر مخططهم لهدم البابوية واتخاذ أوروبا قاعدة حكمهم، إن تناول الأديان الأخرى - وقت وضع المخطط - أمر سابق لأوانه، وهم يعنون «الدولة العثمانية». وكانوا سنتئذٍ شرعوا في التوغل فيها عملياً على نحو ما رأى القارئ فالوصول إلى فلسطين كان عندهم مرتبطاً بمصير هذه الدولة، وهم كانوا منغمسين بإفساد هذا المصير. وبعد وضع المخطط بعشرين سنة نالوا وعد بلفور سنة ١٩١٧.

\*\*\*

## المخطط ونقاط معينة نضعها أمام القارئ مأخوذة من عبارات البروتوكولات

- المخطط والجزويت
- المخطط وروسيا القيصرية
- المخطط وانتهيار المسيحية
- المخطط والأديان الأخرى
- المخطط والبابوية
- المخطط وملك اليهود باب العالم
- المخطط والتاج على رأس ملك إسرائيل
- المخطط والشعار الصهيوني
- المخطط ولا دين غير دين موسى دين المستقبل وبه ارتبط مصير العالم
- المخطط وأسرار دين موسى لا يباح بها لغير اليهود
- المخطط والسياسة لا يحذقها إلا اليهود
- المخطط والويل والاغتيال لمن لا ينفذ التعليمات
- المخطط والقبالا وهى اكبر منظمة إرهابية سرية
- المخطط وأن ثلث الشعب يتجسس على الثلث
- المخطط وذبح من يتناول السلاح من المناوئين
- المخطط وحيوانات الفويم، المنة عليهم بالحياة
- المخطط والتشبه بالإمبراطور صولا الرومانى العاتى
- المخطط واللاسامية المستغلة لمصلحة اليهود
- المخطط وتيارات الرعب
- المخطط وشباب الفويم
- المخطط ونشر الجراثيم عمداً
- المخطط والتدمير العالمى



المخطط وأن حكماء صهيون هؤلاء هم رجال اقتصاد  
 المخطط وأسرار الدولة اليهودية لا يطلع عليها إلا أربعة اشخاص  
 المخطط وتخريج الملك وإعداده للعرش  
 المخطط وعمل اليهود فى سبيله منذ ٢٠ قرناً  
 المخطط واعترافه بالشر المرتكب عدة قرون  
 المخطط وكان يقرأ على المؤتمرين على نوبات لعدة ايام  
**المخطط والجزويت:**

«... وفى هذا المضممار ليس لنا ند ولا نظير فى رسم المخططات للنشاط السياسى  
 ومعالجة المسؤوليات. وفى هذا المجال لا يضاھينا أحد إلا الجزويت، ولكننا قد ابدعنا من  
 الطرق ما يصح لإسقاط هيبتهم عند الدهماء وسواد الناس الذين لا يفكرون إلا سطحياً، وإنما  
 تمكنا من الجزويت لأن مؤسستهم مكشوفة، بينما نحن استطعنا أن نبقى أجهزتنا السرية  
 مغطاة محجوبة كل الوقت. وعلى كل فالعالم قد لا يبالي شيئاً بمن يتبوأ عرشه (لأن الشعوب  
 والأمم حيوانات) أھو رأس الكتلكة أم المتسلط الذى يشھر منا منحدرأ بدمه من صهيون؛ هذا  
 من جهة العالم (أى القوييم) اما من جهتنا نحن، فهذا الأمر يھمنا جداً، فإننا الشعب المختار،  
 والمسألة تقتضى منا كل المبالاة،

(البروتوكول الخامس)

### المخطط وروسيا القيصرية

«... الأوتوقراطية الروسية إنما كانت على هذه الصفة حتى وقت قريب (الآرميون  
 اليهود داخل روسيا وخرجوا من أعشاش أودسا وأوكرانيا واغتالوا القيصر إسكندر الثانى سنة  
 ١٨٨١) وهى العدو الوحيد الرھيب رأيناه فى العالم، ولا ندخل فى هذا الحساب الآن البابوية  
 (أى وقت تلاوة هذا البروتوكول إذ ذكر البابوية آت فى موضع آخر)

(البروتوكول الخامس عشر)

### المخطط وانھيار المسيحية:

«.... وبتنا الآن، لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحى قد انھياراً تاماً سوى بضع سنين».

(البروتوكول السابع عشر)

### المخطط والأديان الأخرى:

«... أما ما يتعلق بالأديان الأخرى، فالصعوبة التى سنلاقيها فى تعاملنا معها ستكون  
 أقل، ولكن من السابق لأوانه ان نتكلم على هذا الآن، وسنضيق الحلقة على الكهنوتية ورجال

الكهنوت لنجعل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقري، بالقياس الى ما كان لهم من فلاح فى الماضى.  
(البروتوكول السابع عشر)

### المخطط والبابوية

«... ومتى ما حان الوقت لهدم البلاط البابوى، ستظهر اصبع يد خفية (كأصبع دانيال السرية فى قصر نبوخذ نصر وابنه بلشاصر الكلدانيين قبل نحو ٢٥ قرناً) نشير الى الامام بها نحو ذلك البلاط. فإذا ما انتقضت الأمم عليه، سنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه رغبة فى حجب الدماء. وبهذه اللعبة سنوغل أيدينا فى أحشائه ولن نخرجها بعد، حتى تتبدد قواه ولا حراك به».

### المخطط وملك اليهود بابا العالم

«... ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقى للمسكونة كلها، وبطريك كنيسة دولية عالمية».  
(البروتوكول السابع عشر - بعد الكلام المتعلق بالبابوية مباشرة)

### المخطط والعصابة الأبوية اليهودية على العالم

«... وستكون حكومتنا متشحة بمظهر الوصاية الأبوية على الشعب، ويتمثل هذا فى شخص الحاكم الأعلى».  
(البروتوكول السابع عشر)

### المخطط والتاج على رأس ملك إسرائيل

«... ومتى ما وضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى تقدمه إليه أوروبا، فإنه يصبح أبا العالم»  
(البروتوكول السابع عشر)

### المخطط والشعار الصهيونى

«... وأكبر ضمان لوثاقه الحكم الجديد فى أوضاعه، هو إظهار عزة الدولة وهيبته، كأنها تتعصب هالة من نور، وهذه الهالة مجلاها ومظهرها جبروت القوة، ويدل على ذلك الشعار الذى فى جبينها، وهو رمز عصمتها المستمدة من أسباب علوية - يوم اختارنا الله».  
(هذا الشعار هو الوصايا العشر التى يملقها اليهودى فى جبينه موضوعة فى لفاقة صغيرة ومربوطة بخيط حول رأسه ويملقها اليهودى خاصة وقت الصلاة).

### المخطط ولا دين غير دين موسى، دين المستقبل، وبه ارتبط مصير العالم

«.. متى ما ولجنا أبواب مملكتنا، لا يلىق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا من حيث كوننا الشعب المختار، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا».  
(البروتوكول الرابع عشر)

### المخطط واسرار دين موسى لا يباح بها لغير اليهود:

«... غير أنه لن يسمح بأن يطرح ديننا للبحث ابتغاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة، إذ هذا عمله محصور بنا مقصور علينا وحدنا، ونحن دائماً حريصون على ألا نبوح بأسراره لغيرنا» (والمراد بهذه الأسرار ما ورد في التلمود). (البروتوكول الرابع عشر)

### المخطط والسياسة لا يحدثها إلا اليهود:

«... (الفويم) وهم الذين يغيب عنهم أن يفهموا أنهم ليسوا على شيء وأعجز من أن يدركوا اللباب. فأمور السياسة إنما نحن وحدنا نحذقها، وقد هيأنا الله لها بفعل الأجيال العديدة، فمن مبدعها غيرنا؟». (البروتوكول الثالث عشر)

### المخطط ونعمة السبي والجلاء: تحول الضعف الى قوة تسود العالم:

«... والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار، بنعمة السبي والجلاء، والتفريق والشتات، في الأرض، وهذا الأمر الذي كان فيما مضى مجلى ضعفنا، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التي أفضت بنا الآن إلى أن نلج الباب الذي منه نيسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله. هذا ما بلغناه. وأما ما بقى علينا أن نبنيه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بمسير».

(البروتوكول الحادى عشر)

### المخطط والويل والاختيال لمن لا ينفذ التعليمات:

«... فإذا ما تقاعسوا (الفويم) عن تنفيذ التعليمات التي تصدر إليهم، فهم إما سيلقون الجزاء والمعاقب متهمين، وإما سيغيبون عن الوجود بالمرّة. وإنما نضعهم هذا الوضع لكي نحملهم على خدمة مصالحنا حتى النفس الأخير من حياتهم». (البروتوكول الثامن)

### المخطط والقبالا وهي أكبر منظمة إرهابية سرية:

«... فإنخواننا اليوم - اليهود - مكلفون تحت طائلة أخذهم بالمسؤولية والحساب العسير في حالة الإهمال والتقصير، بأن يبلغوا هيئة القبالا عما يقع لهم أن يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودى من أبناء أقربائهم. أو ما يرونه من شغب على هيئة القبالا أو قذفها بتهمة، كذلك سيكون الأمر في مملكتنا علناً في أرجاء العالم كله، ويمسى من الواجب على رعايانا (الفويم) بلا استثناء، ملاحظة هذه الخدمة للدولة» (البروتوكول السابع عشر)

### المخطط وذبح من يتناول السلاح من المناوئين:

«... فإننا سنعمى بعد ذلك بمكافحة أى شيء من حياكة المؤامرات علينا، وسندبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح بأيديهم ليقاوموا الانضواء الى مملكتنا... ونطرح رجالها (رجال الجمعيات المناوئة) في المنافى في القارات البعيدة من أوروبا...»

وسنسن قانوناً يجعل جميع الأعضاء فى الجمعيات السرية السابقة معرضين للنفى فى أوروبا، وأوروبا حينئذ مقر حكمتنا».

(البروتوكول الخامس عشر)

### المخطط وحيوانات الفويم، المنة عليهم بالحياة،

«... ولعمري، ما كان أحكم أسلافنا فى الأزمنة الغابرة، لما قالوا إن فى طلب كبار الغايات لا يقام وزن للوسائل والضحايا... وما بنا من حاجة لنحسب ما تحمله الفويم من ضحايا لحفظ بذرة حيوانه والاحتفاظ بسلالته، مع أن ضحاياتنا نحن لم تكن بالقليلة، ولكن من أجل ما تحملوا هم، فنعطيهم اليوم (فى ظل الدولة اليهودية) من المكان والفسحة على وجه الأرض ما لم يتخيلوه حتى فى أحلامهم. وأما عدد ضحاياتنا القليل من مجموعنا فقد حفظ لنا قوميتنا وحماها من الاندثار»

(البروتوكول الخامس عشر)

### المخطط والتشبه بالإمبراطور صولا العاتى،

«واحفظوا فى بالكم على سبيل المثال ما وقع فى إيطاليا، فانها، وهى سابحة فى الدم، لم تستطع أن تمس ولو شعرة من رأس صولا، وهو الذى أسال تلك الدماء، تمتع صولا بصورة عارمة، فعلاً وتآله، لما ملأ عيون الناس من روعة السطوة، مع أن الشعب كان قد رأى منه الويل والمذاب، وانتثر من بين يديه مقطعاً إرباً إرباً، لكن لما عاد صولا إلى إيطاليا عودة المقحام الجري، أفرغت عليه عودته هذه بهاء العظمة ووشاح القدرة التى لا تغلب، فأمسى الشعب أخوف من أن يومىء إليه إيماء، وأصل ذلك عند صولا الإقدام وقوة العقل، (صولا أحد أباطرة روما العتاة)

(البروتوكول الخامس عشر)

### المخطط واللاسامية المستغلة لمصلحة اليهود

«... وذلك لأن اللاسامية لا تراها إلا ضرورية لنا للاستفادة منها فى رعاية إخواننا المستضعفين. ولا حاجة بى أن أتوسع فى هذه القضية أكثر من هذا الحد، لأن موضوعها قد أشبع بحثاً، وكرر ذلك فيما بيننا بما فيه الكفاية».

(البروتوكول التاسع)

### المخطط وتيار الرعب

«ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذى دارت دوائره بالناس»

(البروتوكول التاسع)

### المخطط وشباب الفويم،

«وأما شباب الفويم فقد فتاهم فى عقولهم ودوخنا رؤوسهم، وأفسدناهم، بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التى نعلم أنها فاسدة، مع أننا نحن الذين لقنهم ما تربوا عليه».

(البروتوكول التاسع)

### المخطط ونشر الجرائم عمداً:

«... ويظل هذا الانهيار في طريقه حتى تستنزف قوى الإنسانية، وتهلكها الانقسامات، وتقشو بينها الكراهات، والمكائد والحسد، والاستغاثات طلباً للنجاة من تعذيب الأجساد، كما تقشو المجاعات ونشر جرائم الأمراض عمداً، فيستسلم الفويم...» (البروتوكول العاشر)

**المخطط والتدمير العالمي:**

«بهذه التدابير تمكن من القبض على السلطة التي تدمر بها شيئاً فشيئاً، وخطوة خطوة، ما نريد إزالته من دساتير العالم، تمهيداً للانتقال الكبير، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة وجعلها مقطورة إلى سلطتنا، تابعة طائفة.» (البروتوكول العاشر)

### المخطط وأن حكماء صهيون هؤلاء هم رجال الاقتصاد:

«... وأنتم أيها السادة الحضور هنا (في بازل ١٨٩٧) وكلكم رجال اقتصاد، بوسعكم ان تتصوروا بعين العقل ما يكون لهذه القوة الاحتكارية، التي مضأؤها كمضاء السيف، من خطورة حاسمة.» (البروتوكول السادس)

وهم ممثلو الماسونية بدرجة ٢٢، وتوقيعهم في نهاية المخطط هكذا: «ممثلو صهيون من الدرجة ٢٢، وهذا في نهاية البروتوكول الرابع والعشرين وهو الأخير.»

**المخطط وأسرار الدولة اليهودية لا يطلع عليها إلا أربعة أشخاص:**

«وما لدى الملك من مخطط للماضى والمستقبل، لا ينبغي أن يدري به أحد مطلقاً، حتى ولا الذين هم بمثابة مستشارين الملك المقربين. والذين يحصر فيهم علم هذا كله دون سواهم، هم الملك نفسه وثلاثة أعوان معه لا غير.» (البروتوكول الرابع والعشرون)

### المخطط وتخريج الملك وإعداده للعرش:

(راجع تفصيله في البروتوكول الرابع والعشرين).

### المخطط وعمل اليهود في سبيله منذ ٢٠ قرناً:

«... أضيف إلى هذا أننا قد فتنا بعضهم ببعض (الفويم) بالأمور الشخصية والشؤون القومية لكل منهم. وهذا ما عيننا بديمومته عليهم وتميته مع الأيام خلال العشرين قرناً الأخيرة.» (البروتوكول الخامس)

### المخطط واعترافه بالشر المرتكب عدة قرون:

«... من المسلم أيضاً أننا لن نفشل، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال، في إقامة الحجة على أن الشر الذي عكفنا على ارتكابه عدة قرون، كان عوناً في خاتمة المطاف لقضية الرفاهية

والخير، يجعل الأمور كلها تحت أجنحة النظام،

(البروتوكول الثاني والعشرون)

**المخطط وكان يقرأ على المؤتمرين على نوبات عدة أيام:**

وهذا هو رأى الملامة الروسى سرجى نيلوس. ولدينا أدلة على هذا من ثلاث عبارات صريحة:

فقد جاء فى أول البروتوكول العشرين: «نتناول فى نوبة اليوم البرنامج المالى الذى أرجأت بحثه إلى القسم الأخير من هذا التقرير، لأنه أعسر الأمور علاجاً وهو الغاية والنهائية».

ثم قال بعد هذا مباشرة: «وأول ما أذكركم به أنه سبق لى فى موضع متقدم أن أشرت إشارة عابرة الى أن حاصل أعمالنا كلها تقرره الأرقام».

وجاء فى أول البروتوكول الحادى والعشرين: «إتماماً للموضوع الذى شرحتة فى الاجتماع الأخير، وهو القروض الأجنبية، أقدم الآن إيضاحاً وافياً حول هذه».

وجاء فى أول البروتوكول الثانى والعشرين: «فى جميع ما أوردته عليكم حتى الآن، كان هدفى أن أصور لكم ما مياتى به الفد، وما هو جار اليوم مندفعاً إلى سيل الحوادث الجسمام الطالعة علينا عما قريب».

## ١ - التوراة وأسفار «العهد القديم»

### أسفار العهد القديم كما هي اليوم

١ - الأسفار التاريخية

٢ - الأسفار الشعرية

٣ - أسفار الانبياء

الأبحاث:

الأنبياء «الكبار»

الأنبياء «الصغار»

نصوص العهد القديم

اللفة الأرامية تحل محل العبرية بعد السبي

الترجوم

التلمود

المجمع الأكبر

السنهدين

الكنيس أو المجمع

الترجمة «السبعينية»

كتب (الأبوكريفا)

## التوراة

### وأسفار العهد القديم

كلمة «التوراة» معناها الحرفى «التعليم» ومدلولها الأول شريعة موسى أو أسفار موسى الخمسة، ثم اتسعت مع الزمن حتى صارت تشمل أسفاراً أخرى لأنبياء بنى إسرائيل، وأسفاراً تاريخية تتعلق بتاريخهم، وأسفاراً أدبية شعرية.

ومن أول أمر موسى، إلى السبى والعودة من السبى البابلى، واختتام أسفار التوراة، ما يقرب من ألف سنة، ثم جُمعت على يد عزرا الكاتب - عزير - بعد العودة من السبى. وفى القرن الأول المسيحى، فى زمن يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور، كانت ٢٢ سفرًا كما ذكر هذا يوسيفوس نفسه. هذا هو «العهد القديم». فلما أشرقت المسيحية وجاءت أنوار الاناجيل سُمى عهدها «بالعهد الجديد»، وبانضمامه إلى العهد القديم فى التوراة فى كتاب جامع واحد صار يقال «للتوراة»: «الكتاب المقدس».

\*\*\*

أما «العهد القديم» فيتألف من ٣٩ سفرًا<sup>(١)</sup>.  
«والعهد الجديد» من ٢٧ سفرًا.

وفى كتابنا هذا نحصر الكلام فى العهد القديم، على نطاق مجمل للغاية. وإنما نقوم بهذا، لأن جذور اليهود وينايبهم تعود إلى عهودهم السابقة، فإذا شئنا ان نفهم حقائق اليهود فى القرن العشرين، علينا أن نفهم حقائقهم منذ كانوا ومنذ كانت التوراة قبل عشرات القرون، لان «التوراة» مجالى ذلك كله، إلى اختتام نبواتهم المدونة، والتلمود، بعد «التوراة» وقد وضع نهائياً بعد انتهاء أسفار التوراة بعدة قرون. «والقبالة» من «التلمود» «وحكماء صهيون» وبيروتوكولاتهم، كل ذلك يعود بجذوره إلى التلمود. فلا بدّ إذن من معرفة ما تقضى الضرورة بمعرفته من «العهد القديم».

\*\*\*

(١) هذه هى أسفار التوراة «القانونية» المقررة عند اليهود وتتلذذ ولا يدخل فيها الكتب التى ليست من التوراة «المسماة» «أبوكريفا»، وهذه سنتناولها فى موضع تالٍ فى هذه المصفحات، وهى فى التوراة الكاثوليكية.



## أسفار العهد القديم

فى الكتاب المقدس عند البروتستانت

### الأسفار التاريخية

- ١ - سفر التكوين
- ٢ - سفر الخروج
- ٣ - سفر اللاويين
- ٤ - سفر العدد
- ٥ - سفر تثية الاشتراع
- ٦ - سفر يشوع
- ٧ - سفر القضاة
- ٨ - سفر راعوث
- ٩ - سفر صموئيل الأول
- ١٠ - سفر صموئيل الثانى
- ١١ - سفر الملوك الأول
- ١٢ - سفر الملوك الثانى
- ١٣ - سفر أخبار الأيام الأول
- ١٤ - سفر أخبار الأيام الثانى
- ١٥ - سفر عزرا (عزير)
- ١٦ - سفر نَحْمِيَا
- ١٧ - سفر استير

### الأسفار الشعرية

- ١٨ - سفر أيوب
- ١٩ - سفر المزامير
- ٢٠ - سفر الأمثال
- ٢١ - سفر الجامعة
- ٢٢ - سفر نشيد الانشاد

أسفار الأنبياء

- ٢٣ - سفر أشعيا
- ٢٤ - سفر أرميا
- ٢٥ - سفر مراثي أرميا
- ٢٦ - سفر حزقيال
- ٢٧ - سفر دانيال
- ٢٨ - سفر هوشع
- ٢٩ - سفر يوئيل
- ٣٠ - سفر عاموس
- ٣١ - سفر عوبديا
- ٣٢ - سفر يونان (يونس)
- ٣٣ - سفر ميخا
- ٣٤ - سفر ناحوم
- ٣٥ - سفر حبقوق
- ٣٦ - سفر صقنيا
- ٣٧ - سفر حجّي
- ٣٨ - سفر زكريا
- ٣٩ - سفر ملاخي

**أسفار العهد العتيق**  
(هى الكتاب المقدس عند الكاثوليك)  
فهرس المجلد الأول

- ١ - سفر التكوين
- ٢ - سفر الخروج
- ٣ - سفر الأخبار (١)
- ٤ - سفر العدد
- ٥ - سفر تثية الاشتراع
- ٦ - سفر يشوع
- ٧ - سفر القضاة
- ٨ - سفر راعوث
- ٩ - سفر الملوك الأول
- (٢) { ١٠ - سفر الملوك الثانى
- ١١ - سفر الملوك الثالث
- (٣) { ١٢ - سفر الملوك الرابع
- ١٣ - سفر أخبار اليوم الأول
- ١٤ - سفر أخبار اليوم الثانى
- ١٥ - سفر عزرا
- ١٦ - سفر نحميا
- ١٧ - سفر طوبيا
- ١٨ - سفر يهوديت
- ١٩ - سفر استير

(١) هو سفر اللاويين فى العهد القديم فى الكتاب المقدس عند البرتستانت.

(٢) هما سفر صموئيل الأول وسفر صموئيل الثانى عند البروتستانت.

(٣) هما سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثانى عند البروتستانت.

## اسفار العهد العتيق

(فى الكتاب المقدس عند الكاثوليك)

فهرس المجلد الثانى

- |                           |                       |
|---------------------------|-----------------------|
| ١٥ - نبوة يوثيل           | ١ - سفر أيوب          |
| ١٦ - نبوة عاموس           | ٢ - سفر المزامير      |
| ١٧ - نبوة عويديا          | ٣ - سفر الأمثال       |
| ١٨ - نبوة يونان           | ٤ - سفر الجامعة       |
| ١٩ - نبوة ميخا            | ٥ - سفر نشيد الانشاد  |
| ٢٠ - نبوة نحوم            | ٦ - سفر الحكمة        |
| ٢١ - نبوة حبقوق           | ٧ - سفر يشوع بن سيراخ |
| ٢٢ - نبوة صفنيا           | ٨ - نبوة اشعيا        |
| ٢٣ - نبوة حجاى            | ٩ - نبوة ارميا        |
| ٢٤ - نبوة زكريا           | ١٠ - نبوة مراثى ارميا |
| ٢٥ - نبوة ملاخى           | ١١ - نبوة باروك       |
| ٢٦ - سفر المكابيين الأول  | ١٢ - نبوة حزقيال      |
| ٢٧ - سفر المكابيين الثانى | ١٣ - نبوة دانيال      |
|                           | ١٤ - نبوة هوشع        |

## أسفار العهد القديم كما هي اليوم

وتقسم حسب موضوعاتها إلى ثلاثة أقسام:

١ - الأسفار التاريخية (من ١ - ٧).

٢ - الأسفار الشعرية (من ٨ - ٢٢).

٣ - أسفار الأنبياء (من ٢٣ - ٣٩).

أما الأسفار التاريخية فهي من سفر التكوين إلى سفر استير وهي ١٧ سفرًا.

وأما الأسفار الشعرية فهي من سفر أيوب إلى سفر نشيد الانشاد وهي خمسة أسفار.

وأما أسفار الأنبياء فهي من أشعيا إلى ملاخي وهي ١٧ سفرًا.

### أسماء أسفار العهد القديم

#### الأسفار التاريخية

كتب موسى وفيها قواعد الشريعة الموسوية

١ - سفر التكوين

٢ - سفر الخروج

٣ - سفر اللاويين

٤ - سفر العدد

٥ - سفر تثية الاشتراع

٦ - سفر يشوع

٧ - سفر القضاة

كان لبني إسرائيل بعد تسللهم إلى فلسطين، وعلى يد يشوع بعد موسى الذي لم يدخل فلسطين، نظام عشائري، والاسباط الاثنا عشر بمثابة قبائل، والحروب تكاد لا تقطع بينهم وبين أهل البلاد الأصليين من الكنعانيين أبناء عمومة العرب، والفلسطينيين الطارئين من شرقى البحر المتوسط، ثم الحروب الداخلية بين الأسباط، واستمرت هذه المدة (٤١٠) سنوات تقريباً وتعرف بعصر «القضاة». وقضى بنو إسرائيل (١١١) سنة من هذه المدة وهم تحت تسلط من يستولى عليهم ويذلهم من الشعوب المحيطة بهم كما سيأتى بيانه. وبعد عصر «القضاة» جاء دور ملكيتهم القصيرة الأجل.

وأما القضاة فكانوا لا يخلفون بعضهم بعضاً سلسلة مطردة، بل كانوا على فترات، ويظهر الواحد منهم لينقذ قومه من مستعبيدهم المتسلطين عليهم، ثم «تستريح الأرض» بلفة

التوراة مدة ما، فيغزو بني إسرائيل متسلط آخر أو أحد المتسلطين سابقاً عاد يغزوهم كرة أخرى طويلة السنين، فيظهر فيهم من يدعو لإنقاذهم وهكذا دواليك. وأول هؤلاء المنقذين عثيل، وآخرهم شمشون، وشمشون قصته معظمها أسطوري، ومن المنقذين دبورة وهي الرابعة في السلسلة.

٨ - راعوث امرأة مؤابية لا اسرائيلية وهي بطلة قصة. قالت التوراة اليسوعية في مقدمة هذا السفر تعريفاً له: «يعود سفر راعوث إلى ما قبل العهد الملكي، ولذلك غالباً ما يأتي بعد سفر القضاة، لكنه في التوراة العبرية، المألوفة عند اليهود، مفصول عنه تماماً، وموضوع مع عدة كتابات حديثة.. عقب نشيد الانشاد. لقد كان التقليد يعتبره مؤلفاً حديث الكتابة، وهذا صحيح. ولدينا أدلة مختلفة، منها اللغة ذاتها في النص العبري تشير إلى حداثة عهده الذي يعود إلى ما بعد السبي.

«إن راعوث بطلة هذه الرواية، داخلة في سلسلة أسلاف داود المجيدة وذلك بسبب ابنها عوييد أبي يسى. فما هو جوهر هذه القصة التاريخي؟ من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان في البدء بذكرات تقليدية غير واضحة الظروف تماماً، ثم أضاف عدداً من التفاصيل ليجعل الرواية أكثر حياة ويعطيها قيمة أدبية، ا هـ.

ويؤخذ من جملة أقوال النقاد أن هذا السفر حوادثه كانت في آخر عهد القضاة، وأما متى دون فغير معروف والمؤاييون، والعمونيون من نسل لوط ابن أخى إبراهيم، والأدوميون من نسل عيسو، وجميعهم كانوا كالعماقة، على عدا مَرَمَعُ بنى إسرائيل واليهود. والحجر المؤابى - مصطلح حديث عمره أكثر من قرن - هو حجر نارى عثر عليه أحد المنقبين الالمان سنة ١٨٦٨ فى خربة ذيبان - ديبون فى التوراة - كانت من مدن المؤايين شرقى البحر الميت - وفى هذا الحجر (٤ أقدام طولاً و ٢ عرضاً، و ٣٥ سنتيمتراً سمكاً) نقش كتابى أحدثه الملك ميشا ملك مؤاب لتخليد انتصاره على ملك إسرائيل لما ثار ميشا عليه وأخرجه من بلاده وتاريخ هذا النقص حوالى ٨٥٠ ق م.

٩ - سفر صموئيل الأول، ١٠ - سفر صموئيل الثانى صموئيل (١١٠٠ - ١٠٥٠ تقريباً) هو صلة الوصل بين عصر القضاة وعهد الملكية التى بدأت بشاول واستمرت بداود وانتهت بسليمان ثم انقسمت ثم انشطرت إلى إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة، وإلى يهوذا فى الجنوب وقاعدتها أورشليم ثم انتهت كل منهما على ميقاتها إلى السبي.

١١ - سفر الملوك الأول.

١٢ - سفر الملوك الثانى.

١٣ - سفر اخبار الأيام الأول.

١٤ - سفر اخبار الأيام الثاني.

١٥ - سفر هزرا عزرا: راجع ترجمته في هذا الجزء.

١٦ - سفر نحميا نحميا: راجع ترجمته في هذا الجزء.

١٧ - سفر استير استير: راجع ترجمتها في هذا الجزء.

### الاسفار الشعرية

١٨ - سفر أيوب يقول ثقات النقاد أنه عربي الأصل وموطنه أنحاء شرق الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية) ويرجع أنه وموسى كانا متعاصرين أو في وقتين متقاربين.

١٩ - سفر المزامير هو الزبور في القرآن الكريم: كتاب داود.

٢٠ - سفر الأمثال ينسب إلى سليمان معظمه لا كله. قالت التوراة اليسوعية في تعريفه:

«إن هذه المجموعة المركبة قد اكتملت دون شك بشكلها النهائي بعد السبي».

٢١ - سفر الجامعة قالت التوراة اليسوعية في تعريفه: «إن سفر الجامعة لهو في

الحقيقة أشد أسفار الكتاب المقدس غموضاً وأجدرها في تضليل القارئ». ثم تبين وجوه الغموض مما لا محل لإيراده هنا.

٢٢ - سفر نشيد الانشاد قالت التوراة اليسوعية في مقدمته أن أنبياء إسرائيل كهوشع

وازميا وحزقيال قد شبهوا علاقات الشعب مع آلهته بعلاقات الزوجة بزوجها، وأن دخول هذا السفر في الاسفار المقدسة إنما هو تجاوب مع هذه الصفات. أما في النصرانية فالكنيسة هي عروس النشيد. والسفر يعرد إلى عصر متأخر ولا ريب.

\*\*\*

### أسفار الأنبياء

٢٣ - سفر اشعيا في أيامه وقع سبي مملكة اسرائيل على يد سرجون الاشوري. قالت

التوراة اليسوعية في مقدمته: «دعى اشعيا إلى الرسالة النبوية سنة ٧٤٠». وقالت: «يعتبر اشعيا في العموم كأعظم الأنبياء». وقال «هالي»: «اشعيا يطلق عليه النبي المسيحاني من كثرة تشبع نبواته إن من شعبه سيظهر المسيح». سفره هذا هو من جملة ما اكتشف سنة ١٩٤٧ من رقوق وادراج في «كهف قمران» قرب البحر الميت وقالوا إن اشعيا عاش ٨٠ سنة منها ٦٠ في النبوة. وقال قاموس الكتاب المقدس: «يعتبر اشعيا مصلحاً اجتماعياً، ففي الاصحاحات من ١. ٥

نراه يلوم شعبه أشد اللوم ويوبخهم أقسى التوبيخ بسبب رشوتهم وتمويجهم القضاء وظلمهم للمسكين، ولأجل بذخهم وترفعهم. ولأجل طمعهم وجشعهم وسكرهم.. ولأجل انعدام الإحساس الخلقى عندهم. أما كسياسي، فقد أدرك اشعيا تمام الإدراك وإرشاد روح الله شؤون عصره والأحوال التي كانت سائدة فيه.

وأما الكتاب المسمى بكتاب «صعود اشعيا» فإنه من الابوكريفا.

٢٤ - سفر ارميا هو من قرية قرب بيت المقدس وفي أيامه وقع سبى يهوذا. وقالت التوراة اليسوعية في تعريفه: «فطوال السنين المفجعة التي تهيأ فيها، وحدث خراب مملكة يهوذا، لا يفتأ ارميا يندد بمغامرة الملوك السياسية وفساد الشعب الديني. ومأساة دعوته النبوية تكمن في الممركة الدائمة التي تمزق نفسه. لقد نذر ارميا نفسه لشعبه، لكنه يرى ذاته مجبرة على محاربة الملوك والكهنة والأنبياء الكذبة والأشراف والشعب بأسره». وبعد خراب بيت المقدس اختفى عن المسرح.

٢٥ - سفر مراثي ارميا بكى ارميا خراب المدينة. قالت التوراة اليسوعية «تشبه مواضع المراثي مواضع سفر ارميا ومواضيع حزقيال بعض الشبه. لقد اسندت الترجمة اليونانية القديمة هذا الكتاب إلى ارميا، ولكن هذا الاسناد لا يستطيع أن يعرض علينا بصورة جازمة، فالمرثي في العبرية لا تحمل اسم ارميا». لهذا دعى بالنبي البكاء.

٢٦ - سفر حزقيال راجع موجز ترجمتنا له في هذا الكتاب

٢٧ - سفر دانيال راجع موجز ترجمتنا له في هذا الكتاب

٢٨ - سفر هوشع (يوشع) كان في آخر مدة المملكة الشمالية، وشهد قبل ذلك المملكة وهي في القوة، ويقى حتى شهد انحدارها. وهو في شبابه كما يقول هالي (ص ٣١٦) كان معاصراً لعاموس وفي شيخوخته لأشعيا وميخا. ولما كلن فتى، فلعله لقي يونان.. قبل ظهور هوشع بنحو ٢٠٠ سنة كانت الاسباط العشرة قد انفصلت عن مملكة داود وأنشأت لها مملكة مستقلة واتخذت من العجل الذهبي معبوداً قومياً رسمياً. فأرسل الله أولاً ايليا (الياس) فاليشع (اليسع) فيونان (يونس) فعاموس ثم هوشع، وبقيت رقاب الشعب غليظة بأن تمسكوا بالوثنية فلم يرتدوا عنها.

٢٩ - سفر يوثيل قال هالي (ص ٣٢٠): «بعد يوثيل من أقدم أنبياء المملكة الجنوبية». وكانت مدته آخذة من القرنين التاسع والثامن. وفي أيامه المجاعة والجراد بكثرة عظيمة. قال هالي إن أعداء يهوذا في أيامه كانوا:



١ - الصيدونيين (فينيقيا المجاورة من الشمال).

٢ - والفلسطينيين (فى السهول الساحلية وشمال فلسطين الغربية).

٣ - والمصريين.

٤ - والأدوميين فى شرق الأردن.

٣٠ - سفر هاموس كان فى مملكة الجنوب ووجه كلامه إلى مملكة الشمال أيضاً. كان فى القرن الثامن. يقول هالى ان نبوة عاموس كانت حوالى ٧٥١، ولعله فى شبابه أدرك يونان وسمع عنه قصة رحلته (رحلة يونان) إلى نينوى. ولعله أيضاً لقى اليشع وسمع منه أخبار صحبته (صحبة اليشع) لايليا. ولما أقبلت نبوة عاموس، كانت أيام يونان واليشع قرب النهاية، وقد يكون يوثيل من معاصريه أو تقدمه بقليل. وهوشع كان يعمل معه. وهو يتنبأ بخراب إسرائيل والأمم المجاورة: سوريا والفلسطينيين وفينيقيا وادوم وعمون ومؤاب، ويهوذا وإسرائيل. ويصف لكل فريق من هؤلاء من المعاصى ثلاثاً أو أربعاً، ويشير إلى السبى، وبعد ٥٠ سنة وقع السبى. وهو من قرية جنوبي القدس. ولم يكن عاموس من الكهنة ولا محترفاً النبوة، فهو أقرب إلى أن يكون أحد أفراد العامة.

٣١ - عويديا عدو ادوم وانصبت نبوته عليها، وادوم عدو المملكتين الشمالية والجنوبية، ويرجع أنه كان فى عصر خراب أورشليم على يد بابل.

٣٢ - يونان (يونس) وقصته المشهورة: أرسل إلى نينوى، ومن يافا ركب سفينة إلى ترشيش وثار البحر وهاج فأشرفت السفينة على الفرق، فسألوه فقال أنا عبرانى وهارب من وجه الرب، فآلقوه فى البحر فالتقمه حوت، وبقي فى جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم قذفه الحوت إلى اليبس. ووصل إلى نينوى وأدى رسالته.

هذا فى التوراة. وأما فى القرآن الكريم، فقد ذكر يونس (يونان) فى عدة من الآى الكريمة: فى «سورة يونس» ٩٨ وفى (سورة النساء) ١٦٢ وفى (سورة الأنعام) ٨٦ وفى (سورة الصافات) ١٢٩ - ١٤٨) وهنا قصة أن الحوت التقمه.

٣٣ - سفر ميخا هو ميخا المورشتى. نبوته إلى المملكتين فى القرن الثامن. وهو من قرية قرب حدود الفلسطينيين وبيت جبرين الحالية فى قضاء خليل الرحمن. تنبأ بخراب المملكتين «كل ذلك من أجل معصية يعقوب وخطايا آل اسرائيل» (ميخا ٥٠١)

٣٤ - سفر ناحوم هو ناحوم الالقوشى ونبوته فى القرن السابع وهو تنبأ بخراب نينوى وهو بعد يونان (يونس) بنحو ١٥٠ سنة.

۳۵ - سفر حبقوق تبأ بسقوط بابل ونبوته بین ۶۲۵ و ۶۰۶.

۳۶ - سفر صغفها هو من نسل حزقیال، وكانت نبوته قبیل خراب اورشليم على يد بابل، ودعا على مدن الفلستینیین: غزة وعسقلان واشدود وعاقر (عقرون) حتى ساحل البحر كله، وعلى مؤاب وعمون والكوشیین (الحبشة) وأشور.

۳۷ - سفر حجى هو وزكريا وملاخى عملوا فى مشروع إعادة بناء الهيكل بعد العودة من السبى من سنة ۵۲۰ - ۵۱۶ وأخباره فى سفر نحميا وسفر عزرا.

۳۸ - سفر زكريا عمل زكريا مع حجى، وحجى فى الشيخوخة، وهو الحادى عشر من الأنبياء الصغار الاثنى عشر، وكان من الأنبياء الذين عملوا على شدّ عزائم اليهود، عند العودة من السبى ويقول النقاد أن سفره كتب فى العصر الفارسى.

۳۹ - سفر ملاخى مدته غير معلومة التاريخ، ويقول النقاد أنه عاش ۱۰۰ سنة بعد حجى وزكريا، وكانت له صلة بمزرا ونحميا (۴۵۰ - ۴۰۰) وكان من الداعين إلى انعزال اليهود عن جميع الشعوب المجاورة ولا زواج بين اليهود وغيرهم.

## الأنبياء الكبار - الأنبياء الصغار

والأنبياء الذين لهم أسفارهم في «العهد القديم» هم الذين حُفظت ودُوت نبوتهم في أوقاتهم أو في وقت لاحق. وأما الذين لم تجمع وتدون نبواته، فكانت شفوية، فلم يكن لها سبيل إلى مجموعة أسفار «العهد القديم». فإن «إيليا»، مثلاً، (الياس)<sup>(١)</sup> لم تدون نبوته، وهو عاش في المملكة الشمالية في القرن التاسع ق. م. في أيام آخاب الذي قالت فيه إنه شرّ ملوك إسرائيل، وزوجته ايزابل ابنة «ثيوبعل» بن حيرام ملك صور ومن كهان عشتروت، وايزابل هذه نشرت عبادة البعل في المملكة، وكان حولها وبين يديها جيش يعدّ بالمئات من «الأنبياء الكذبة» أو «أنبياء البعل». وعند اليهود الأنبياء «الكبار»، وهم أربعة «والصغار» وهم ١١ نبياً، هؤلاء هم الذين دونت وحفظت نبواتهم «الكبير» و«الصغر» معناه من نبوته المدونة أطول أو أقصر.

ولم تجمع أسفار التوراة إلا بعد الرجوع من السبي.

ويقول العلماء أن اكتسابها المنزلة المقدسة، وهذا ما يعبرون عنه «بالأسفار القانونية»، حصل تدرجاً، فكانت كتب موسى الخمسة، هي الأولى، ثم صار يضاف إليها كتب الأنبياء والشعر. وأسفار الأنبياء تختلف قصراً وطولاً، فسفر اشعيا هو أكبرها يشتمل على ٦٦ اصحاحاً، أو فصلاً<sup>(٢)</sup>، وليس في التوراة سفر أكبر منه إلا المزامير (الزبور)، بينما أسفار الأنبياء الاثني عشر الصغار، من هوشع إلى ملاخي، عدد فصولها أو اصحاحاتها جميعاً ٦٧ فصلاً، وعوبديا، أحد هؤلاء الاثني عشر، سفره كناية عن فصل واحد يشغل صفحة وبعض الصفحة. وعوبديا هذا، تتبؤه انطوى على دعاء حار ملح على ادوم بالخراب، وادوم كان عدو اسرائيل، كالعرب كما تقدم، وهذا الدعاء كان أثر تخريب اورشليم، وأورشليم خربت مراراً، والمرجح أن الخراب الذي شهده عوبديا هو خراب نبوخذ ناصر اواخر القرن السادس، وفي تتبؤ عوبديا شئ يسترعى الانتباه من القارئ العربي، فيقول القس سيكل سيل صاحب «المرشد إلى الكتاب

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» في تفسير قوله تعالى «واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين». وهي آية ٨٥ من سورة «الأنبياء»: - «قيل في ذي الكفل هو الياس، وقيل زكريا، وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله، والمجدود على الحقيقة. وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه، وضعف ثوابهم. وقيل خمسة من الأنبياء ذوو اسمين: اسرائيل ويعقوب، الياس وذا الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذا النون، محمد وأحمد».

(٢) الترجمة البروتستانتية استعملت لفظة «اصحاح» والترجمة اليسوعية استعملت لفظة «فصل».

المقدس، بالعربية (بيروت ١٩٥٨) فى باب موقف المسيحية من (العهد القديم) ص ١١ ما يلى :-  
«فإذا قلت أليست التوراة كتاباً خاصاً بإسرائيل؟ فما لنا ولاسرائيل وكتبها؟ فالجواب:  
نعم إن الله كلم شعب إسرائيل على يد فئة صالحة من أبناء هذا الشعب. وكان كل ما تكلم به  
هؤلاء الأنبياء من وحى الله وليس منهم. ثم إن الله لم يجعل وحيه وقفاً على أمة إسرائيل فقط.  
فقد كلم الله مثلاً أيوب فى سفر من أسفار العهد القديم، وأيوب، على ما يعتقد، عربى وليس  
من بنى إسرائيل. وفى مكان آخر من التوراة أن ملاك الرب يكلم هاجر عن إسماعيل، الذى  
صار فيما بعد أباً لقبائل عدنان ومعد ونزار وربيعة وهى قبائل عربية صميمية. وهناك يونان  
(يونس) فقد تتبأ عن مصير نينوى التى كانت عاصمة الأشوريين. وكذلك النبى عوبديا، فقد  
تتبأ عن ادوم وعمما يعتقد أن تكون نبوءته تشير إلى فتح العرب لبلادهم ا هـ. أى بلاد الأدميين.

وهنا نقطتان، الأولى: أن تتبؤ عوبديا، وهو اسرائيلى، بخراب ادوم عدو اسرائيل، رأينا  
معناه فى كيف جرت المقادير بعد ذلك: بعد تخريب نبوخذ ناصر لبيت المقدس والهيكل، وبعد  
وقوع السبى، اورث الله الادوميين ديار يهوذا الجنوبية، من الخليل إلى بئر السبع، فشرقاً إلى  
وادى عربة حيث يتصل هذا بتخوم ادوم، وبقي الادوميون هم الوارثين نحو أربعة قرون، ومن  
الادوميين هيرودس الكبير الذى اجملنا الاشارة إليه فى هذا الكتاب فخرج من الادوميين ملوك  
حكموا إسرائيل أو اليهود نحو مئة سنة. نعم إن المكابيين لما اعصوبوا مؤقتاً فى القرن الثانى  
والأول ق. م وهم بين أعداء يحيطون بهم، تغلبوا على ادوم وأذلوه وحملوهم على الختان، لكن  
المكابيين لم يلبثوا إلا قليلاً حتى دثروا وانهاروا، ولحقوا بالغابرين من بنى قومهم لما جاءهم  
الرومان بسياط المذاب، فتشتتوا ثم لم تقم لهم بعد ذلك قائمة. وكل ما نضعه فى هذا الكتاب  
المراد به الأدلة المشتقة من التواميس الكونية على أن «إسرائيل»، مهما صنعت من مظاهر  
الوجود، وتريد كيان دولية فى الخضم العربى الزاخر بالقوى المستيقظة من روحية ومادية.  
فنهايتها النهاية التى يصفها تاريخ اليهود.

والنقطة الثانية، قول صاحب «المرشد إلى الكتاب المقدس» من أن عوبديا قد تتبأ عن  
ادوم وعمما يعتقد بأن تكون نبوءته تشير إلى فتح العرب لبلادهم. فالأنباط العرب كانوا الأولين  
فى تحقيق نبوة عوبديا، إذا كانت نبوءته نبوة، فهم بدأوا فى احراز ميراث الادوميين منذ  
القرن الخامس ق. م. وظلوا يقوون حتى بلغوا الذروة فى القرن الثانى قبل الميلاد إلى الثانى  
بعد الميلاد وكان «الحارث» اسم أغلب ملوكهم حتى صار ذلك بمثابة لقب لهم كالأنواء فى  
اليمن وفى القرن السابع كانت موجة الفتح العربى الإسلامى فتحاً خالداً.

وأما العبارة التي في سفر عويديا، والتي تتضمن النبوءة بفتح العرب لادوم، فليست واردة الا بالرمز والتأويل، لا بالصراحة، ولعلها هي هذه: «ويرث الجنوب جبل عيسو» وجبل عيسو هو بلاد ادوم. وهنا لم يكن من تأويل معقول إلا أن تكون إشارة عويديا تعنى الأمة التي وراء ادوم وهي الأمة المربية ومنها الأنباط (عويديا ١: ١٩).

\*\*\*

ومنذ زمن السبى فما بعد، إلى قبيل العهد المسيحي، وُضِعَت كتب دينية عديدة، غير أنها لم تكن لتنتهى إلى مجموعة أسفار العهد القديم، وإنما اتخذت طريقها فيما بعد إلى التلموذ حتى تكون من كل ذلك الشئ العجيب الغريب، وقالوا إن هذا هو شريعة موسى الشفوية لقنها أخاه هارون، وهارون لقنها الكهنة. قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس، وقد عاش في القرن الأول المسيحي (٢٧ - ٩٥م): «إن ما عندنا من الأسفار لا يزيد على ٢٢ سفرًا، تشتمل على أخبار الزمان كله وعلى الكتب المعتقد أنها سماوية. ومن هذه الكتب خمسة هي أسفار موسى تتطوى على شرائعه والروايات المأثورة التي تحدثنا عن بداية الجنس البشرى والنتية، حتى وقت وفاة موسى. ومن وقته إلى زمن ارتحششتا (ملك فارس ٤٦٥ - ٤٢٤ ق. م) قام الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى بكتابة تاريخ الحوادث التي وقعت في أزمنتهم، وجاء ذلك في ١٣ سفرًا، فهذا مجموعه ١٨ كتابًا، أما الكتب الأربعة الباقية فهي كتب الترانيم والتسايب وقواعد السلوك للإنسان في الحياة. ومن زمن ارتحششتا إلى وقتنا هذا دونت الحوادث كلها، غير أن هذه المدونات الحديثة بقيت منزلتها منخفضة عن منزلة المدونات السابقة بمراحل، وذلك لانقطاع السند بين نبي سابق ونبي لاحق، فحدثت الفجوة وكان الفراغ. وواضح ما نحن عليه من تقديس شامل للتوراة. فلم يستطع أحد بعد ذلك على الإطلاق أن يضيف إليها حرفاً واحداً في سفر من أسفارها، أو أن يحذف منها حرفاً أو يبدل منها حرفاً، رغم تطاول الزمن بين انقطاع سند الأنبياء وزمننا هذا. حتى بات من المعتقد الغريزي عندنا أن اليهودى عندنا يولد ويولد معه الاعتقاد أن التوراة من الله، وعليه أن يرضى ويطيع أحكامها، بل لا يتردد في أن يبذل مهجته في سبيل الدفاع عنها إذا دعتة الحال<sup>(١)</sup> (هالي ص ٣٥٧).

\*\*\*

(١) ذكر «هالي» صفوة ترجمة يوسيفوس فقال: «ولد في بيت المقدس سنة ٢٧ ب. م في بيت من الطبقة الأرستقراطية. واستوعب حتى ارتوى من الثقافتين اليهودية واليونانية. وكان حاكم «الجيل» وقائدًا عسكرياً في حروب اليهود مع رومية، وشهد تخريب بيت المقدس سنة ٧٠ ب. م على يد الرومان. فأخذ إلى رومية، وهناك انقطع إلى الدراسة وألف أربعة كتب: «الحروب اليهودية» و«آثار يهود» و«الرد على ابيون» والكتاب الرابع ترجمة حياته، ومن كتابه الثالث «الرد على ابيون» نقل هذا المقتبس، والترجمة هي لنا، وهذا المقتبس مشهور، ذكره كثير من أهل التاريخ.

## نصوص العهد القديم

أجمل هالي صاحب التوراة المختصرة الكلام فى هذا الباب فقال:

«يمتد أن أسفار العهد القديم كُتبت بالأصل على رقاع من الأديم أو الجلد، وكُتبت كلها بالعبرية، ما عدا شيئاً قليلاً من سفرى عزرا ودانيال، فهذا القليل كتب بالأرامية، والكتابة خط يد. والحروف العبرية هي المعروفة بالمريضة، وتكتب من اليمين إلى اليسار، مع استعمال نقط أو علامات شكل لتيسير حروف العلة (إذ طريقة هذه الحروف نهائياً لم تكن لتستقر على أوضاعها الباتة قبل القرن السادس للميلاد) ومع أن الكتابة كان يفرغ فيها الجهد ابتغاء إتقانها وتجويدها فقد بقيت صورتها تحتل أن تقرأ قراءات على عدة وجوه، والظاهر فى بعض الحالات كانت تحشيات النساخ وتعليقاتهم وشروحهم، تلحم بالنص الأصلي وتدمج به على يد ناسخ بعد ناسخ. غير أن هذا الأمر، وقد قتله البحاثة المحدثون تمحيصاً، قد غالوا فى تصويره، ولما اخترعت الطباعة، انتفى خطر وقوع هذه الأخطاء. وبعد عمل طويل شاق قام به العلماء لمدة طويلة فى مقابلات العديد من النصوص المخطوطة بعضها على بعض، استقر النص العبرى على ما هو الأصح على ما بلغه الجهد، وهذا المعروف بالماسورة (هالي ص ٢٦١) قلنا: وقد تم هذا قبل القرن العاشر المسيحى. ويرى القارئ بحثاً وافياً حول هذا الأمر عند الكلام على «التلمود».

\*\*\*

## اللغة الأرامية تحل محل العبرية

«كانت الأرامية هي اللغة الشائعة فى فلسطين فى عصر المسيح، وهى فى سوريا أقدم منها فى فلسطين، والشبه شديد بينها وبين العبرية. وبعد الرجوع من السبى البابلى، أخذت الأرامية تحل محل العبرية شيئاً فشيئاً حتى صارت لغة التخاطب بين الناس» (هالي - المصدر السابق). قلنا، وبعد المسيح بسبعة قرون أو أقل، حلت العربية المضربة الخالدة محل الأرامية.

\*\*\*

## الترجوم

«الترجوم هو ترجمة العهد القديم من العبرى إلى الأرامى، ولما شاعت الأرامية وصارت هي اللسان الحى الجارى، بات من الضرورة وقت الصلاة وعند قراءة التوراة أن تفسر معانى الكلمات العبرية من الكلام القديم، وكان هذا التفسير يقع شفويماً فى الكنيس والناس يسمعون، وبعدئذ جمع هذا كله وأفرغ فى صيغة كتابية فقيل له الترجوم.» (المصدر السابق)

\*\*\*

### التلمود

«هو مجموعة تقاليد يهودية سماعية تتعلق بالعهد القديم، وقد جمع هذا كله في صيغة كتابية في القرن الثاني الميلادي، ثم أضيفت إليه شروح وزيادات.» (المصدر السابق).

قلنا: يحسن بالقارئ أن يرجع إلى الفصل الذي جمعناه في هذا الكتاب حول التلمود. فكلام «هالي» هذا يصف التلمود من ناحية جداً عامة مقتضبة لا تكشف شيئاً من الغطاء عنه، والكشف عن التلمود الغاية الكبرى من وضعنا هذا الكتاب

\*\*\*

### المجمع الأكبر

«وهو مؤلف من ١٢٠ عضواً، ويقال إن واضع أسسه نحمياً حوالي سنة ٤١٠ ق.م تحت رعاية عزرا، والقصد منه إعادة تنظيم أمور العبادة والحياة الدينية بعد السبي، مما كان عاملاً قوياً، كما تنفيذ التقاليد اليهودية، في جمع أسفار العهد القديم وترتيبها لتعود إلى منزلتها السابقة. واستمر المجمع الأكبر في عمله هذا وهو يهيمن على شؤون اليهود الذين عادوا من السبي، حتى سنة ٢٧٥ ق.م فتوقف وجاء بعده مجلس السنهدرين» «هالي ص ٣٦٢».

\*\*\*

### السنهدرين

«هو الهيئة العليا المسيطرة على الشعب، ولا من ينازع هذه الهيئة، والسنهدرين كان في عصر السيد المسيح وهو الهيئة اليهودية التي حاكمته وسلمته إلى بيلاص النبطي طالبة صلبه. ويظن أن أول ظهوره كان في القرن الثالث ق.م وكان مؤلفاً من ٧٠ عضواً معظمهم من الكهنة وأعيان الصدوقيين ومن بعض الفريسيين والكتبة وشيوخ يمثلون جهة الأسباط، وكان الكاهن الأكبر يرأس السنهدرين، ثم اضمحل بخراب القدس سنة ٧٠ ق.م على يد تيطس الروماني» (المصدر السابق).

قلنا: موضوع السنهدرين في كتابنا هذا خطير للغاية، وليست هذه الخطورة هي من جهة المعلومات التاريخية عنه فيما مضى، بقدر ما هي من جهة ما لكلمة «سنهدرين» اليوم، عند الكتاب المعنيين بدراسة نشاط اليهودية العالمية واجهزتها الخفية، من مدلول على هذه الاجهزة الخفية والمنظمات المحجوبة، فكلمة «سنهدرين» اليوم يتجه معناها إلى الهيئة الخفية. ولذلك يحسن بالقارئ إذا أحب، أن يعود إلى ما كتبناه حول هذا الموضوع في موضع آخر من هذا الكتاب. السنهدرين اليوم «كالقبالة».

\*\*\*

### الكنيس أو المجمع

اصطلح مترجمو التوراة على ترجمة معبد اليهود واسمه الكنيس أو الكنيست بلفظة المجمع. والكلمة الانكليزية هي Synagogue وأصلها يوناني. والبرلمان الإسرائيلي أو مجلس النواب عند يهود إسرائيل يطلقون عليه «الكنيست» قال هالي في صدد المجمع أو الكنيست وأصل منشأه:

«نبئت نبتة الكنيس في أيام السبي في بابل. إذ بعد أن أمسى الهيكل خراباً، والشعب مشتتاً، مست الحاجة إلى أمكنة للعبادة، وتلقى ارشادات الكهنة. في كل بقعة حلّ فيها اليهود. وبعد العودة من السبي، ظلت المجمع تسير سيرها في الرقعة اليهودية في فلسطين وفي أي مركز آخر احتشد فيه اليهود في الخارج حيث كانت منهم جماعات بقيت هناك فلم تشأ أن تعود إلى فلسطين. وفي كل مدينة من المدن الكبرى كان لليهود مجمع أو مجمعان أو أكثر، وأما في القدس، فمع أن فيها الهيكل، فقد أقيمت فيها عدة مجامع وكان يشرف على كل مجمع هيئة من الربيين أو الحكماء. وكان في حيازة كل واحد من هؤلاء نسخ من كتب التوراة، وكانت تقرأ في الصلوات قراءات منتظمة على مسمع من جمهور المصلين».

\*\*\*

### الترجمة السبعينية

«الترجمة السبعينية» - هكذا درج تلفظها في العربية على اختلاف محلها من الكلام - هي نقل «العهد القديم» من العبرية إلى اليونانية، وقد تمت هذه الترجمة في الاسكندرية حيث كان هناك عدد كبير من اليهود يتكلمون اليونانية. ومن التقاليد أن هذه الترجمة إنما وقعت تلبية لرغبة بطليموس فيلادلفوس<sup>(١)</sup> (٢٨٥ - ٢٤٧) فأرسل سبعين عالماً لغوياً يهودياً من أورشليم إلى مصر من أجل هذه الغاية. فترجم من العهد القديم كتب موسى الخمسة، أولاً، ثم صارت تضاف بقية الأسفار إلى الترجمة. وإنما سميت «السبعينية» لأن الذين أتموها هم سبعون رجلاً عالماً. وهناك روايات تقليدية عديدة غير صحيحة، تتعلق بهذه الترجمة. غير أنه من الثابت أن الترجمة قد بدئ بها في عصر بطليموس فيلادلفوس، وتمت الترجمة في خلال المئة السنة التالية للسنة الأولى من العمل. وكانت اليونانية اللغة العالمية في ذلك العصر. وهذه الترجمة هي التي كانت شائعة زمن المسيح، والعهد الجديد كتب باليونانية، والشواهد التي فيه مأخوذة من السبعينية» «المصدر السابق».

\*\*\*

(١) قالت «موسوعة تاريخ العالم»: «معناه (المحب اخته) لأخذه بمادة القراعنة إذ تزوج اخته «ارسينوى الثانية» وهو مؤسس متحف الاسكندرية وقام باستكشاف مجرى النيل الأعلى، وانتهى نفوذه إلى سواحل البحر الأحمر والأنحاء الشمالية من جزيرة العرب ترويحاً للتجارة.



## الكتب «الابوكريفا» (١)

أجمل هالي قصة الابوكريفا في ص ٢٥٧ من كتابه فقال:

«هذا الاسم يطلق عادة على أربعة عشر كتاباً - وهذه الكتب توجد في بعض نسخ التوراة في العهد القديم والعهد الجديد. وأول ما ظهرت هذه الكتب في القرون الثلاثة الأخيرة قبل المسيح، وعلى الغالب يشك في أسماء مؤلفيها، وقد أضيفت إلى «الترجمة السبعينية». والترجمة السبعينية تم بها نقل العهد القديم من العبري إلى اليوناني، والكتب التي عُدت من الابوكريفا إنما وضعت بعد انطواء عصر نبوات العهد القديم والوحي السماوي.

«ويوسيفوس المؤرخ الإسرائيلي رفض هذه الكتب جملةً وتفصيلاً، ولم يكن اليهود ليعترفوا بها من جهة أنها تُولف جانباً من التوراة، والمسيح لم يذكر منها شاهداً واحداً، وكتب العهد الجديد لم تخرج عليها بقليل أو كثير، والكنيسة الأولى لم تلتفت إلى هذه الكتب، إذ لا سند قانوني لها ولم تعتبرها من كتب الوحي.

«ولما ترجمت التوراة إلى اللاتينية في القرن الأول بعد المسيح، فقد ترجم العهد القديم لا من العهد القديم العبراني، بل من الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم. فنقلت هذه الكتب الابوكريفا من الترجمة السبعينية إلى النسخة اللاتينية (النسخة الشعبية) (٢) التي أمست شائعة، في أوروبا الغربية حتى حركة الإصلاح البروتستانتي، وحركة الإصلاح قامت على الاعتصام بكلمة الوحي السماوي دون غيره، فنبذت الابوكريفا إذ ليست هي جزءاً من كلمة الوحي، وعلى هذا كانت الكنيسة الأولى وقدماء العبرانيين.

«ثم كان مجمع «ترانت» سنة ١٥٤٦ ميلادية، وغايته مناهضة البروتستانتية، فأعلنت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قانونية الابوكريفا، ومنذ ذلك الحين وكتب الابوكريفا توجد في التوراة اللاتينية». ا هـ.

\*\*\*

(١) هي كتب دينية مشكوك في صحتها، لا توجد في التوراة البروتستانتية وإنما توجد في التوراة اللاتينية، وهنا يبين «هالي» صفتها بما فيه الكفاية. وكلمة ابوكريفا يونانية الأصل معناها المخفي، المستور.

(٢) Vulgate بالانكليزية. وقام بترجمتها القديس جيروم (٣٨٣ - ٤٠٥).

وانتقل معنى «ابوكريفا» إلى الأدب والعلم من حيث الاستعمال، فذلك تستعمل الكلمة في وصف الكتب المنحولة أو غير الصحيحة، وهي باقية على لفظها هذا.

وهذه هي كتب الابوكريفا

١ و ٢ - سفر ازدراس<sup>(١)</sup> الأول والثاني

٣ - سفر طوييت

٤ - سفر يهوديت

٥ - سفر استير<sup>(٢)</sup>

٦ - سفر حكمة سليمان

٧ - سفر حكمة يشوع بن سيراخ

٨ - سفر باروخ

٩ - سفر نشيد الفتيان الثلاثة المكرمين

١٠ - سفر تاريخ سوسنة

١١ - سفر بعل والتين

١٢ - سفر صلاة منسى

١٣ و ١٤ سفر المكابيين الأول والثاني

وهذه الكتب أو الأسفار «الابوكريفا» تجدها في «الكتاب المقدس»

- الترجمة اليسوعية -.

\*\*\*

---

(١) «ازدراس» هي «عزرا» باللغة اليونانية.

(٢) هي السبعة فصول المضافة إلى السفر.

## العمالقة

أو العرب الاولون أول من قاتل بنى إسرائيل زمن موسى - هامان الاجاجى العماليقى  
حاول تصفية اليهود قبل خمسة وعشرين قرناً - استير ومردخاى

### هؤلاء أبناء العمالقة هؤلاء أبناء العمالقة،

من قول بن غوريون فى البرلمان الاسرائيلى سنة ١٩٥٦ لما صار الضدائون العرب  
يباغتون اليهود فى المنطقة المحتلة، ويروعونهم فى الليالى المدلهمة، حتى صارت المدن اليهودية  
والمستعمرات تطفئ الانوار ليلاً وصار اليهود يلجأون إلى منازلهم عند الغروب ليقوا أنفسهم  
من الفتكات المذهلة المباغته فتكلم بن غوريون فى البرلمان (الكيس) وصاح هذه الصيحة مرتين.

ينبغى للقارئ العربى، أينما كان يسكن ويقيم فى العالم العربى، أن يجعل يقظته الذهنية  
الفكرية فى استيعاب صفوة الحقائق التاريخية التى لا بد من الإحاطة بها اليوم، يقظةً أشمل  
وأوسع ما يمكن، إذ فى ذلك زيادة اطلاع على أسرار خفايا اليهود المنسابة فى صدورهم،  
وتغذى بأرواحهم، طول مجرى تاريخهم. وأخص ما نعننى بالحقائق التاريخية ما يتعلق بالعرب  
واليهود منذ خروج بنى إسرائيل من مصر. ومن هذه الحقائق ما يتعلق بالعمالقة، وهم من  
العرب الأولين، وهامان الذى كان فى البلاط الفارسى فى القرن السادس ق. م. وجرت القصة  
الكبرى بينه وبين استير، هو من العمالقة، بل أمير عماليقى، قد يكون منحدرًا من بيوتات الملك.

أول عراق بين بنى إسرائيل والشعوب العربية، وأبناء عمومة العرب، فى فلسطين غربى  
الأردن، وفى الأنحاء المختلفة شرقى الأردن، وهو العراق الأشد قوة، والأطول أمداً، والذى  
أوصى موسى بالمضى فيه إلى الأبد هو العراق الذى كان بين بنى إسرائيل والعمالقة.

\*\*\*

ونوجز الكلام فى هذا المساق التالى:

١ - العمالقة هم أول شعب عربى قديم ذو عصبية قوية الشكيمة، شرقى سيناء وجنوب  
فلسطين، وقف بالسيف فى وجه بنى إسرائيل، لما خرج هؤلاء من مصر، فخرجوا بقيادة

موسى، للاستيلاء على الأرض، أو سعيًا وراء أول ما تجوز تسميته «بالوطن القومي الإسرائيلي». وموسى ويشوع شهدا هذا الحرب في سيناء، وسجل تراث بنى إسرائيل يوم كان يطلق عليهم «بنو إسرائيل»، ثم تراث اليهود، منذ صار يطلق عليه «اليهود»، أن أشد عداوة رآها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، هي التي ذاقوا مرارتها على يد العمالقة. واستمرت هذه العداوة لا أقل من تسعة قرون، حتى بعد رجوع بنى إسرائيل من السبي في القرن السادس والخامس قبل المسيح.

٢ - جميع الشعوب العربية، وبنيت عمومة العرب: وهم المديانيون، وبنو قيدار، والإسماعيلية، هذا في الجنوب والشرق من فلسطين، والمونثيون والمؤابيون والأدوميون، هذا في الشرق من الأردن، والكنعانيون في أواسط البلاد فشمالاً، المقيمون في المدن وعاصمتهم «حاصور» قرب الحولة، والفلسطينيون<sup>(١)</sup> الذين جاؤوا من كريت وشرقى البحر المتوسط في عصور «اوغاريت» (المكتشفة حضارتها الكنعانية وآثارها ولغتها ومقدار وافر من ثقافتها، في النصف الأول من هذا القرن، وبهرت هذه المكتشفات عيون العالم) ونزلوا سواحل فلسطين بين الكرمل وغزة، وكانوا هم والعرب والكنعانيون أعدى أعداء بنى إسرائيل؛ واليبوسيون الذين كانت عاصمتهم بيت المقدس حتى استيلاء داود عليها منتقلاً من حبرون (الخليل)، هؤلاء جميعاً، إلى نحو ٢٠ شعباً غيرهم لا نعلم حقيقة أصولهم ولم تصل إلينا أخبارهم المقتضبة إلا من التوراة وكانوا في البلاد وكان بعضهم معاصراً للأقوام والشعوب ممن ذكرنا، وبعضهم الآخر كان قديم الإقامة في البلاد قبل ظهور بنى إسرائيل - هؤلاء جميعاً بفعل السنن الطبيعية من حيث القوة والضعف، اندمجوا بمجاورهم أو استصفاهم المرق العري، أو انتقلوا ونزحوا إلى أماكن أخرى وانضافوا إلى الأقوام التي جاوروا.

٣ - نضيف إلى ما تقدم، الحقيقة الكبرى الباهرة، وهي القبائل العربية التي نقلها الملك سرجون الأشوري من أعالي الحجاز إلى السامرة لما سبى مملكة إسرائيل في الربيع الأول من القرن الثامن ق. م. فجميع هذه الشعوب لم تترك لنا قصة تصور الروح اليهودية، كما تركت قصة العمالقة، التي امتدت قرونًا ثم ما تفرع منها من قصة هامان الأمير العري العماليقي في بلاط الملك الفارسي في القرن السادس ق. م. فقصة هامان حرية بالدرس والاستيعاب لما تفتح أمامنا من نوافذ على نفسية اليهود التي ظلت نامية مستمرة حتى اليوم، وفي العصر الحديث، أو منذ الثورة الفرنسية، اتخذت شكل «حكماء صهيون». كما أن هامان العري

(١) يرى الكاتب نفيل باربر البريطانى المعاصر فى كتابه Nisi Dominus (١٩٤٦) أن بقايا الفلسطينيين لهم اندمجوا بالمرق العري والتحموا به.

العماليقي<sup>(١)</sup>، ترك لنا أثراً خالداً، بطولياً رائعاً، في مخططه الذي ذكرته التوراة، يقصد به كما تقول التوراة «إبادة اليهود» بعد السبي الثاني. والقصة مثيرة تأتي عليها في هذا المساق.

٤ - الروح اليهودية التي مثلها مردخاي، واستير قبل المسيح بخمسة قرون تقريباً، هي الروح التي تتجلى في «البروتوكولات» اليوم في القرن العشرين بعد المسيح. أما أحشويروش ملك فارس، ودولته قضت على دولة نبوخذ ناصر البابلية السامية العرق وسابية مملكة يهوذا اليهودية المؤلفة من سبطين ونصف السبط، فإنه يمثل بمملكته المترامية الأطراف وفيها نحو من ١٢٧ ولاية أو مرزبانية من الهند إلى الحبشة، مثل الامبراطورية البريطانية في القرن العشرين - دولة الفرس بعد زهاب دولة بابل هي التي أعادت أهل السبي إلى بيت المقدس بعد أن قضوا في السبي من ٥٠ إلى ٨٠ سنة. وقد تكون نهاية الامبراطورية البريطانية هي نهاية مملكة فارس.

\*\*\*

### هامان بن همداثا الأجاجي

٥ - هو على الراجح من نسل ملوك العمالقة. لقبته التوراة بالأجاجي، وأجاج إما أن يكون اسماً شخصياً، علمياً، وإما أن يكون وصفاً أو لقباً على العادة القديمة في بيوتات الملك. فملوك اليمن كان يقال لهم الأقيال والأذواء وملوك فارس الأكاسرة، والرومان أو الروم القياصرة، ومثل هذا يقال في بابين ملك الكنعانيين وعاصمتهم حاصور في شمال فلسطين، (والتقيب الأثري اكتشف من آثارها شيئاً ما في الزمن الحديث، أقل مما اكتشف في اوغاريت طبعاً)، والنجاشي في الحبشة والأخشيد في آسيا الوسطى؛ وآخر ما شاع في القرن الماضي الخديوي في مصر، وسواء أكانت لفظة أجاج اسماً علمياً أم لقباً، فهامان يمت إلى هذا العرق العماليقي بنسب<sup>(٢)</sup>. وورد في سفر استير عدة أسماء رجال في بلاط الملك الفارسي كالوزرا

(١) ذكر الدكتور جواد على صاحب «تاريخ العرب قبل الاسلام» (ص ١٧٦ ج ١) نقلاً عن (حتى) ص «تاريخ العرب» أن أقدم من ذكر العرب من مؤرخي اليونان هو اخيلس أو اسكليوس (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م) فقد ذكر هذا المؤرخ وأشار إلى ضابط عربي اشتهر في جيش احشويروش ملك فارس.

(٢) مع أن التوراة تصرح بأن هامان الاجاجي عماليقي، فقد ذكر في الاضافات الملحقه بسفر استير في الترجمة اليسوعية أن هامان «مكدوني» وليس لهذه الاضافة برهان معقول. وهذا من جنس (الابوكريفا) «والابوكريفا» رفضتها التوراة البروتستانتية جملة وتفصيلاً. وقول «الابوكريفي» أن هامان مكدوني، تتقضه البراهين التالية:

١ - تمت التوراة هامان بالاجاجي، وليس بعد هذا مجال لقول آخر.

٢ - جو الحوادث التي تتعلق باستير ومردخاي من جهة، وهامان من جهة أخرى، متشعب بروح العداء العماليقي الاسرائيلي كما قلنا في أوائل هذا الكلام.

والخصيان، ومنها ما هو أسماء نساء فزوجة احشويروش اسمها وشتى، وزوجة هامان اسمها زَرَشْ، وأسماء أولاده المشرة عماليقية فارسية.

٦ - الواقعة حصلت في القرن الخامس والرابع ق. م.، في أثناء مدة السبي. فالعمالقة كانوا لا يزالون على كيان ما في سيناء، مع اجتهاد فريق من الكتاب التوراتيين في الزمن الحديث، ولاسيما في القرن الماضي، أن يخفضوا من شأنهم ويسدلوا عليهم ستار النسيان والعفاء، ذهاباً مع روح التوراة اليهودية، ولو كان ذلك متافضاً لروح العلم في هذا العصر. وفي زمن هامان العماليقي في بلاد فارس، كانت دول سبأ وحمير في اليمن قائمة، وكان قد مضى على عصر بلقيس نحو قرون. وبعد قليل جاء عصر الاسكندر في الشرق الأدنى والأوسط. والمعقول أن هامان العماليقي قد استطاع أن يصل إلى ما كان يتحلى به من مزايا فريدة أهله لذلك. فينبغي أن يكون ذا كفايات مليئة. أضف إلى هذا تحدره من بيت كان له ملك وسلطان، وذكر شائع في البطولات ولاسيما في مقارعة بني إسرائيل.

٧ - ولا بد من القول أن الروح المنبثة في ثايا سفر استير، هي روح تشير بوضوح إلى العداء المستحکم، على ممر التاريخ، بين بني إسرائيل، (وأصبح يطلق عليهم في القرن السادس والخامس وما بعد، اسم «اليهود» فحل محل «بني إسرائيل») وبين العمالقة عن طريق هامان. ولا ريب أن مردخاي، لما هيا استير لتكون فاتنة القصر بالجمال والمكيدة خدمة لقومها اليهود، كانت تستعر في قلبه نار العداء لعمالق وكل من بقي منه. فلما جاءت استير إلى القصر وهامان هو الرجل الأول في القصر بعد احشويروش الملك، ووضَع مردخاي في مخططه أن يضرب هامان، العدو العماليقي التاريخي المزمّن. ذلك بعبارة أخرى: لما مثلت هذه الرواية في البلاط الفارسي، في قصر احشويروش في العاصمة شوشن<sup>(١)</sup> في أثناء السبي، كان اليهود على يد نحميا وعزرا ودانيال، وقد فقدوا الهيكل والقدس، يتجدّدون روحياً يهودياً، ويدورون على محورهم الموروث في الخلق والجبلة، مما نشأ عنه أخيراً بحكم الامتداد والانسياب

= ٢. بقايا عماليق عاشت إلى القرون الاسلامية الأولى، وقد اشتمل التاريخ العربي الاسلامي وكتب الأدب العربي، على كثير من طلي أخبارهم، ولاسيما مع عرب تدمر والزياء ملكة تدمر.

٤. القول الابوكريفي هذا لا يقوم له أي وزن تاريخي أو علمي إذ هو يناقض الصراحة الواردة في التوراة.

(١) شوشن أو شوشان، في اقليم خوزستان، وفي التاريخ العربي «الأهواز» وفي الزمن الحديث في العصر التركي العثماني «عريستان». وسكان هذا الاقليم قبائل عربية محض معظمها من «كُتب» ولما وقعت آخر ثسوية لمسائل الحدود بين إيران والدولة العثمانية بقيت الأهواز لجهة إيران، وكان عليها أمير عربي هو «الأمير خزعل» حتى ازالته إيران بعد الحرب العالمية الأولى، واطليم الأهواز شرقي البصرة يشبه اليوم بعرويته قضية اسكندرونة في شمال سوريا.

التلمود والقبالة»، ثم «حكماء صهيون»، وكل هذا واحد في الجوهر والمعنى.

٨ - لكن العنصر المهم في القضية كلها، أن اليهود حفظوا وصية موسى بحمل العداوة لعماليق إلى الأبد. وهذا ما نعنيه بقولنا أن مردخاي لما جمعه الزمن مع هامان العمالقي، هب بواسطة استير لتهديمه. ومع أن عماليق كان قد ضعف شأنه السياسي والحربي في شرق سيناء، في القرن الخامس، وذهب الملك عنهم إلا ما انكمش إلى إمارات محدودة، ومع تقلص مملكة يهوذا في القرن السادس والخامس حتى باتت لا تزيد على القدس وما والاها. من جهات، والكل رقعة ضيقة صغيرة، فقد ظلت تلك العداوة باقية. وعلينا أن نلاحظ جيداً كيف أن مردخاي سَنَر في أول الأمر «يهوديته» ويهودية استير، حتى إذا ما وصلت استير إلى القصر، راح ينشب مخالفه اليهودية معلناً يهوديته ويتباهى بذلك، مما كان يستره قبلاً ويوصى استير بكتمانه. وهذا ما يفث في عضد هامان، ويشعل منه الحقد المتبادل، لكن هذه الروح اليهودية لا تهم الملك الفارسي أول الأمر شيئاً. ولما ذهب هامان إلى بيته من الوليمة المدبرة لاصطياده، وقد صنعتها استير ودَعَتْ إليها الملك وهامان، وأخبر زوجته «زرش» ما رأى من لؤم هامان وتفطرسه عليه، اجابت «زرش» زوجها: «أبلغ بك الأمر أن ترى هذا السلوك من رجل مثل مردخاي «من نسل اليهود»، ويؤخذ عن عبارة «زرش» باستعمالها هذا التعبير، أن اليهود كانوا محقرين أدلة، وأن هذه الكراهة قد عمتهم في الشرق الأوسط كله، حتى في ذلك الوقت، فتأمل.

٩ - ويبدو أن هامان قد لاحت له الفرصة، قبل اليوم بأربعة وعشرين قرناً، ليصفى اليهود فحاول ذلك فضل، ومؤقتاً تغلب عليه مردخاي واستير، وتبقى قضية اليهود مستمرة، ظاهرها التوراة، وباطنها القبالة والتلمود، ووجهها الخارجي هرتزل، وماكس نورود، وويزمن، وروتشيلد ووجهها الداخلي «حكماء صهيون»: وهؤلاء هم على الحالين، حتى يتبته العالم كله إلى خطر اقلية خطيرة عاتية، تريد الاستيلاء على العالم بالمال والنساء والمكيدة والحيلة، فيعمل العالم كله كما يعمل العرب على استئصال هذه الجرائم من الجسم الانساني.

١٠ - وإلى زمن الفتح العربي الاسلامي في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي، والارث المتناقل عند عرب الجزيرة، أن العرب هم ورثة العمالقة في الشام. ذكر الواقدى<sup>(١)</sup> في

(١) الواقدى من اركان التراث العربي الاسلامي، ولاسيما الحديث الشريف والتاريخ، وكتبه التي وصلت لنا تشهد له بالامامة والامارة في هذه الفنون. غير أن بعض النقاد المعاصرين، من افرنج وعرب، يجنحون إلى الخفض من شأن كتابه «فتوح الشام» فائلين إن فيه عنصراً عاطفياً لا يقبله ميزان التاريخ. وليس هنا مقام التفصيل المبين أن هذا الزعم لا صحة له، وإنما نقول شيئاً يتعلق ب«فتوح الشام». فهذا الكتاب اريد به تنفيذ الروح الاسلامية فيما بعد، كما حصل مثل هذا في كتب عديدة فُبدل من بعض عباراته ما بدل، وزيد عليه اضافات ما خدمت غرضاً الا الحشو الذي لا يزيد على المعنى الأصلي شيئاً. فصار بعض كلام الواقدى في =

كتابه «فتوح الشام» أن عمرو بن العاص، لما جاء يقابل الأمير قسطنطين بن هرقل ملك الروم، قبل فتح قيسارة (جنوبى حيفا على ساحل فلسطين) جرى بينهما حوار لامع مقتضب. صفوته أن قسطنطين كان اميل إلى أن يزدرى أمر العرب الناهدين من الجزيرة بايمان وعقيدة للفتح، فاستخف بقدرتهم وهو لا يدري من أمر ما فى صدورهم شيئاً، وما كانت الحركة فى نظره إلا غارة البادية الجافة على الحاضرة الناعمة المترفة. فعرض على عمرو الرجوع إلى الجزيرة والرضى بشئ يعطاه العرب. كأن المسألة مسألة غزو للفتنة العابرة. ومما قاله قسطنطين «أن هذه البلاد - الشام - هى لنا، وما لكم أنتم العرب فيها شئ، ومواطنكم الجزيرة». فأجابه عمرو بمعنى «أنكم أنتم الغريباء، ونحن هنا ورثة العمالقة، الجبابرة الذين كانوا فى الشام». ثم اتنا نرى فى مواضع كثيرة من كتب الارث الأدبى العربى الذى انتهى الينا وهو فى أيدي الناس، القول فى نسبة هذا أو ذلك من الرجال أنه «العماليقى». فلما جاء الاسلام، وقبله قرون شهدت أياماً للعرب بين عصر العمالقة وعصر الرسالة: كالانباط فى جنوبى الأردن، وعرب الزباء أو زنوبيا فى تدمر، والضجاعة وسليح بين دمشق والأردن، والفساسنة فى غوطة الشام، والمناذرة فى العراق، كان ذكر العمالقة حياً، وبقاياهم متفرقة فى البلاد، والانتماء اليهم بالنسب انتماء إلى أرومة المجد والشرف. وهذا كله فى كتب التاريخ والأدب. والبقايا العماليقية انتقلت إلى الأرومة العربية بالاضافة والاندماج، سنة طبيعية فى العمران البشرى.

وفى «معجم ما استمعجم» للبكرى (طبعة القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦) أن قضاة لما سارت من تهامة إلى الشام، ومنها الضجاعة وسليح، كان ملك العرب يومئذ «ظرب بن حسان بن أذينة السميذع بن هوبر العمليقى» فرفع نسبه هكذا بقوله «العمليقى»، دلالة على أصل الأرومة، ويظهر أن بقايا العمالقة بعد الاندماج بالأرومة العربية، احتفظوا حسب عادة العرب بفخر النسب والأرومة، فاندمجوا بإخوانهم. ثم يتمم البكرى فيقول: «فانضموا إليه - أى إلى ظرب، وصاروا معه، فأنزلهم مناظر الشام من البلقاء إلى حوارين إلى الزيتون، فلم يزلوا مع ملوك العماليق يفزون معهم المغازى، ويصيبون معهم المغانم، حتى صاروا مع الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان المذكور، فكانوا فرسانها وولادة أمرها، فلما يزلوا ملوكاً حتى غلبتهم غسان على الملك، وسليح، وتلك القبائل فى منازلهم التى كانوا ينزلونها إلى اليوم». (البكرى طبعة

= بعض المواضع خليطاً من كلام هو أصل، ومضاف هو الحشو، غير أن البصير اللبيب، أو حتى القارئ العادى السليم الذوق، المتجرد عن الغاية، يوسعه أن يميز هذا عن هذا بكل يسر، أو بين الواقدى الأصلى، ومما حُمل من اضافات لا فائدة منها. أما اعتبار أنه عاطفى، فجنابة على العلم والتاريخ. وفى التاريخ اشتهر الواقدى بكتابه «فتوح الشام»، وهو من أقدم مؤرخى الفتح وكتبه الأخرى كلها شوامخ.

راجع ترجمته فى «معجم الأدباء، لياقوت الجزء الثامن عشر «محمد بن واقد».



القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦ و ١١٠ و ٢١٩).

١١ - هنا تتوجه القصة من جهة «العماليقي» في كتب التاريخ والأدب إلى زنوبيا أو الزباء ودولة تدمر الميرية التي قامت بعد تلاشى دولة الأنباط العرب في جنوبي الأردن. ولسنا معنيين من هذا إلا بالناحية «العماليقية» من حيث الأرومة، لا بالمساق السياسي التاريخي لقصة زنوبيا، وتدمر شرعت تتكون وتتمو ثم تزدهر بالعمران وترقى في معارجه منذ القرن السادس ق.م، أي منذ زمن هذه الحوادث لوقوعها على كتف بادية الشام واصله بين الشام والعراق. فقال زيدان في كتابه تاريخ «العرب قبل الاسلام» مستنداً إلى ابن خلدون ص ٨٥: «فإن بيوتات الشرق في تدمر عرب أصلهم من البادية من بقايا العمالقة، وأقاموا هناك للتجارة، فغلبوا على أفضل المدن بما كانوا فيه من خشونة البداوة وعلو الهمة وكبر النفس، وتدرجوا في مناصب الدولة حتى صاروا ملوكاً واتخذوا لغة الشام وهي حينئذ الآرامية للمخابرات الرسمية والتدوين كما اتخذها النبطيون» وبقى ذكر العمالقة في سيناء، على ما رأى بنو إسرائيل واليهود، خيلاً حياً في أذهان كل يهودى إلى اليوم حتى قال بن غوريون، وهو خائف متزلزل، قوله الذي ذكرنا في ترويسة هذا الفصل<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) إذا أحب القارئ أن يزداد اطلاعاً على الحقائق التاريخية في باب العمالقة، وما استكشف من أمرهم البحث الحديث، فما عدا أمهات الكتب التاريخية في تراثا المري، ولا سيما تاريخ ابن خلدون، فهناك ثلاثة أحواض مليئة من نتاج القرن الحالي، وهي:

١ - «تاريخ العرب قبل الاسلام» لزيدان، طبعته الأولى ١٩٠٨ بمصر.

٢ - «تاريخ سيناء القديم والحديث» لنعم شقير، وقد كان مدير دائرة التاريخ في وزارة الحربية في مصر خلال الحرب العالمية الأولى، ومع أن هذا الكتاب القيم قد وضع خلال الحرب والاستعمار البريطاني جاثم على صدر مصر، ويوجد في بعض المناحي من الكتاب رشاش من المعانى السياسية المشتقة من مصلحة الحلفاء في أبان الحرب، غير أن جهد المؤلف في عرض الحقائق التاريخية المجردة، جاء موفقاً جداً، ولا نعلم كتاباً آخر في تاريخ سيناء بمائته في الشمول والصحة.

وللمؤلف شقير مؤلف آخر في التاريخ هو «تاريخ السودان» طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٩١٦.

٣ - «تاريخ العرب قبل الاسلام» للدكتور جواد على (العراق). شرع المؤلف في وضع هذا الكتاب سنة ١٩٥١ في بغداد وجعله أجزاء يصدر كل جزء في فترة، ويقوم المجمع العلمي العراقي بطبعه فهو من مطبوعات المجمع. وقد صدر حتى هذه السنة من هذا الكتاب ١٠ أجزاء ضخمة. ويصح القول أن هذا الكتاب الفريد في بابه قد اشتمل على أوسع مقدار من مادة التاريخ المري، وما كشف عنه التحقيق الحديث وهو يؤلف مكتبة برأسها، وهو في احتشاد النصوص والنقوش مما اكتشف إلى اليوم على يد العرب والافرنج، مرجع المراجع.

## ما ذكره الطبري عن عمليق والعمالقة

«فعمليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم. ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وأهل عمان منهم أمة يسمون جاسم، وكان ساكنو المدينة منهم، منهم بنو هف وسعد بن هزّان وبنو مطر وبنو الأزرق، وأهل نجد، منهم بديل وراجل وغفار، وأهل تيماء منهم وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمه الأرقم وكانوا ساكني نجد مع ذلك، وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم حى من عيس الأول....»

حتى قال بعد هذا «فكانت طسم والعماليق واميم وجاسم قوماً عربياً، لسانهم الذى جبلوا عليه لسان عربى» ثم ذكر ثمود وجديس وغيرهما فقال: «... وكانوا قوماً عربياً يتكلمون بهذا اللسان المضرى، فكانت العرب تقول لهذه الأمم «العرب العارية» لأنه لسانهم الذى جبلوا عليه، ويقولون لبنى اسماعيل بن ابراهيم العرب المتعربة لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين اظهرهم، فعاد وثمرود والعماليق واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب» ثم يذكر الطبري مساكنهم بين حضرموت واليمن، والحجاز والشام مما لا حاجة إلى ذكره فوق ما تقدم. الطبرى ١ - ١٠٣»

## بنو إسرائيل زمن عهدهم المعروف «بالقضاة» قضوا (١١١) سنة في الذل تحت تسلط الشعوب المحيطة بهم ولاسيما العرب العمالة والمدانيين (المدنيين)

يمتاز «هالي» صاحب «مختصر التوراة» بإيراد الموضوعات التي في «العهد القديم»، إيراداً منخولاً حسب منهجه وهدفه البرتستانتي. وهذا واضح بين، وفيه تيسير كبير للمطالع المسيحي وغير المسلم. ويستند «هالي» في هذا كله إلى ناحيتين، الأولى: أرقام التوراة وهذه أحياناً فيها غلو ظاهر لا يتفق والمنطق العقلي اليوم، والثانية ما اكتشفه التقيب عن الآثار التوراتية في العراق وفلسطين والبادية وسيناء ومصر، من القرن الماضي إلى منتصف هذا القرن، من آثار قال العلماء أقوالهم فيها من حيث صحة انطباقها على نصوص «العهد القديم»، أو عدم انطباقها إلى حد ما.

ونحن نعتقد أن صاحب «مختصر التوراة»، قد أتى بعمل يشكر عليه، من حيث التيسير، والإحاطة، وتطبيقه المنهج الذي قرره بغاياته وأهدافه، على كل ما في «العهد القديم» فصلاً فصلاً، ويبقى للمطالع بعد ذلك رأيه في ما قالت التوراة، وفي ما قال «هالي» أيضاً. ونعتقد أن المطالع العربي له رأيه الذي لا يتفق ورأى «هالي» في كثير من المواضع.

\*\*\*

ينتهي هالي إلى القول أن بني إسرائيل في مدة «القضاة» - منذ خروجهم من مصر إلى انشاء الملكية - وهو يحسب هذه المدة (٤١٠) سنوات، قضوا منها (١١١) سنة في الذل للشعوب المحيطة بهم في فلسطين، وهم بعد موت يشوع ١٢ عشيرة متفرقة، كل عشيرة مستقلة عن الأخرى، وأمورهم مختبئة، والحرب لا تتقطع بينهم وبين الكنعانيين أهل البلاد، وبينهم وبين الفلسطينيين الذين قاموا حديثاً من جهة بحر ايجة، شرقى البحر المتوسط، ومنهم اتخذت البلاد اسمها، وأحياناً في وجه العدو المشترك الكنعانيون والفلسطينيون الذين لهم السهول وساحل البحر من الكرمل ومرج بن عامر والحولة وجنوباً إلى غزة، ثم كانت الحروب الأهلية بين هذه العشائر تجرف منهم جرفاً كبيراً. هذا من جهة أحوالهم في سكانهم ومعايشهم في المنطقة الجبلية الوسطى. وأما من جهة معتقداتهم فإنهم تأثروا بالوثنية عند جيرانهم فعبدوا الأصنام مثلهم.

وطول مدة القضاة تؤخذ بالتقدير، وهى غير معلومة على وجه اليقين، غير أن مجموع عدد سنى الذل هو (١١١) سنة، كما ذكرتها التوراة، وفى خلال مدد الذل، يندثر أمر هذه المشائر، حتى يقوم منهم من يسمونه قاضياً أو مخلصاً أو منقذاً، فيخلصهم من المتسلط عليهم. وأشد ذل أحاق ببني إسرائيل وأرهقهم، فهاموا على وجوههم فى كهوف الجبال، هو الذى انزله بهم المدينيون والعمالقة لمدة (٧) سنين متلاحقة كما سيجئ.

قالت التوراة: «فلما أقام الرب عليهم قضاة كان الرب مع القاضى، فكان يخلصهم من أيدي أعدائهم كل أيام القاضى لأن الرب رحم أنيهم من ظالمهم ومضايقيهم. وإذا مات القاضى كانوا يرجعون إلى الفساد أكثر من آبائهم باتباعهم آلهة آخر ليعبدوها ويسجدوا لها، لم يعيدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم»، (القضاة ٢: ١٨ و ١٩).

والشعوب التى تألبت على بني إسرائيل فى عهد القضاة هى، كما ذكرتهم التوراة: - «خمسة أقطاب الفلسطينيين، وجميع الكنعانيين، والصيدونيين، والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بلع حرمون إلى مدخل حماة»، (القضاة ٣: ٣) فهذه شعوب أربعة فى الشمال أما الحويون فهم فصيلة من الكنعانيين بعضهم بقى فى فلسطين إلى ما بعد أيام يشوع، وأما موطنهم الكبير فكان فى سفوح جبل حرمون (الشيخ اليوم).

ولم يستطع بنو إسرائيل فى وقت ما، أن يجعلوا فلسطين كلها خالصة لهم فى داخلها، فاليبوسيون (فصيلة كنعانية) بقوا حتى فى القدس، مدينتهم من أول الأمر حتى أخذها داود، إلى ما بعد السبى، أى أكثر من خمسة قرون بعد استيلاء داود عليها. والفلسطينيون بقوا فى السهول وعلى سواحل البحر، وبعد السبى أصبحت فلسطين الشمالية وهى السامرة، قائمة وحدها. ويخطئ الذين يظنون، وظنهم من قلة الدراسة وضعف الملاحظة، أن بني إسرائيل استطاعوا إخضاع البلاد كلها حتى فى زمن ملكيتهم، فكيف وهم عشائر تقيم فى كنف الفلسطينيين والكنعانيين وبين ظهرانيتهم. قالت التوراة: «فأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والحيبين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم زوجات لهم، وأعطوا بناتهم لبنيتهم وعبدوا آلهتهم. وفعل بنو إسرائيل الشر فى عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والمشتاروت». (القضاة ٣: ٥ - ٧).

\*\*\*

أما ذل بني إسرائيل للمدينيين والعمالقة، فقد وصفته التوراة بقولها: «وصنع بنو إسرائيل الشر فى عيني الرب، فدفعهم الرب إلى أيدي مدين سبع سنين، وقويت أيدي مدين على إسرائيل فاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم المغاور التى فى الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين. وكان إذا زرع إسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم، ويجيشون عليهم ويفسدون غلة الأرض إلى مدخل غزة، ولا يبقون ميرة فى إسرائيل ولا غنماً

ولا بقرأ ولا حميراً، لأنهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون في مثل كثرة الجراد، لا يمدون هم ولا جمالهم، ويأتون الأرض ويفسدونها، فذل إسرائيل جداً أمام مدين». (القضاة - اليسوعية) (الفصل ٧ و ٨).

وبين اذلال الكنعانيين واذلال العمالقة والمدينين فترة ٤٠ - ٥٠ سنة والذي قام اليوم لتخليص إسرائيل هم جدعون وبحسب رواية التوراة (القضاة ٧) جمع جدعون جيشاً ضخماً من ٢٢ ألفاً، رجع منهم ٢٢ ألفاً ثم اختار من العشرة آلاف ثلاث مئة وبهؤلاء تقول رواية السفر وهم حاملو أبواق ومشاعل، كسر جدعون جيش العمالقة والمدينين قرب بيسان الحالية على كنف الأردن الغربي وقتل أميرهم وهما عوريب وزيب (في الترجمة الأميركية «غراب وذئب») وعبر النهر مطارداً المنكسرين فمر بمحلة «سكوت» (قرب نهر الزرقا)، وأهلها من المدينين والعمالقة، «بقرقر» قضى عليه وأمسك بملكى مدين وهما «زاباح وصلمناع»، (في الترجمة الأميركية «زنج وصلمناع»). قالت رواية السفر أن الذين قتلوا في قرقر من جيش المشرق (المدينين وحلفائهم) خمسة عشر ألفاً وهم البقية وأما القتلى كلهم فمئة وعشرون ألف رجل.

قلنا: إن رواية التوراة لا يثق بها أهل العلم متى ما خرجت عن المعقول. فهنا تقول رواية السفر أن جدعون اقتحم الجيش المديني بثلاث مئة رجل حملة أبواق ومشاعل موضوعة في جرار وأما الباقي من جيشه فلم يدخل الحرب. فكيف ينهزم جيش المدينين وهو ١٢٠ ألف رجل أمام ثلاث مئة حملة أبواق ومشاعل!! ولما جعل جدعون يعود أدراجه، مر بيرج فتوثيل وسكوت ونفذ وعيده لهم بأبشع صورة من صور الوحشية التي اتقنها بنو إسرائيل، فانه جمع ٧٧ من شيوخ سكوت، برواية السفر، وألقاهم فوق حزم الشوك وجعل النوارج تجرى من فوقهم. وانتقل إلى فتوثيل فذبح أهلها. وأتينا بهذا التفصيل من سفر «القضاة» لعلتين، الأولى، أن أرقام التوراة أحياناً غير معقولة وما ذكرناه هنا هو من هذا الجنس، والأخرى، أن نظهر وحشية إسرائيل في الحرب من أيام موسى ويشوع بن نون وجدعون، قبل اليوم بنحو ٢٤ قرناً، إلى أيامنا هذه ومجازر اليهود في «دير ياسين»، ودير ياسين إنما هي على سبيل المثال. اقرأ البروتوكولات بامعان.

وقبل اذلال المدينين والعمالقة، وبنى المشرق (اسم عام للعرب في شمالي الحجاز ومشارف الشام) هذه السنوات السبع، ومثل هذا الذل لم ير إسرائيل من قبل ولا من بعد، كان الكنعانيون قد أذلوا إسرائيل، وكان الكنعانيون قد غلبهم يشوع أول الأمر، لكنهم بعد عهده عادوا إلى القوة شيئاً فشيئاً حتى صاروا بطاشين. وبعد إذلالهم لإسرائيل جاء اذلال العمالقة والمدينين وبنى المشرق. وملك الكنعانيين اسمه «يابين» وعاصمته «حاصور».

قال «قاموس الكتاب المقدس» تحت كلمة «حاصور»: «ولذلك يعتقد أن يابين كان لقباً للملك كنعان، كمرعون ملك مصر، وأبى مالك للملك الفلسطينيين، والحارث للملك شمالي بلاد العرب (الأنباط)». ويرجع أن موقع حاصور كان قرب الحولة غربى جسر بنات يعقوب على بعد نحو ستة أميال. وقام الأثرى «غارستغ» البريطانى بالتقيب عن آثار حاصور فى العقد الثالث من هذا القرن (العشرين) فعثر على قطع فخار أكلتها النار، ويظن أن احراق حاصور على يد يشوع بن نون كان حوالى ١٢٨٠ ق.م وكان احراق حاصور آخر نكبة احدثها يشوع فى فلسطين. وعثر فى «تل العمارنة» فى مصر على رسالة من ممثل فرعون فى شمالي فلسطين يذكر فيها حاصور ونهايتها، ولم تعد حاصور إلى الحياة بعدئذ، إلا قليلاً بعد نحو أربعة قرون زمن سليمان بن داود، وقبل الميلاد بنحو سبعة قرون كانت حاصور قد غابت تماماً. وسنة ١٩٢٤ عثرت دائرة الآثار الفلسطينية على قبرين كنعانيين فى يافا فيهما بقايا عظام وقطع فخار محطم ومقابض سيوف من نحاس. وكان قائد جيش الملك يابين الكنعانى اسمه «سيسرا» وقالت التوراة (القضاة ٤) أنه كان لديه ٩٠٠ مركبة حديد وأذل إسرائيل ٢٠ سنة. وكان قائد جيش دبورة اسمه «باراق»، وكانت المعركة عند نهر قيشون «المقطع» وهذا واقع قرب سهول عكا، أو بين حيفا وعكا.

## ذل إسرائيل من الشعوب المحيطة بهم

وهذا بيان واضح جمعه المؤلف هالى (ص ١٥٨) ينطوى على مدى الذل، ومدد الاستراحة، واسم المتسلط واسم المخلص وعدد السنين:

القضاة أو مدد الاستراحة

عدد السنين	المخلص	عدد السنين	المتسلط
٤٠	عثنيل بن يهوذا	٨	ملوك العراق
٨٠	اهود البنيامينى	١٨	حلفاء { المؤابيون العمونيون العمالة
٤٠	شمجر		
	دبورة		
	باراق		
٤٠	جدعون	٢٠	حلفاء { الفلسطينيون الكتعانيون
٣	اييمالك		
٢٣	تولع	٧	حلفاء { المدانيون العمالة
٢٢	ياثير الجلعمادى		
٦	يفتاح البيتلحمى	١٨	العمونيون
٧	ابصان البيتلحمى	٤٠	الفلسطينيون
١٠	ايلون الزيلونى	١١١	
٨	عبدون الفرعتونى		
٢٠	شمشون		
٢٩٩			

## (٤) هامان العربي العماليقي ومردخان واستير اليهوديان من القصة التي روتها التوراة في سفر استير

كلمة النقاد في سفر «استير»:

هو آخر الكتب التاريخية في «العهد القديم»، ويقال إن جمعه كان سنة ١٢٠ ق. م. في ابان شدائد اليهود في العصر المكابي، ويعلق على هذا الكتاب المحصون لتاريخ اليهود، بان اليهود كان من شأنهم في أيام بلواهم أن يلجأوا إلى وضع الملاحم وتزيينها، تشديداً للمزائم وبعثاً للحماسة. ومعلوم أن أسفار التوراة لم تجمع كلها في وقت واحد ولا في قرن أو قرنين أو ثلاثة، بل امتد ذلك وطال أكثر من ألف سنة، وابتدأها كان شيئاً قليلاً مقصوراً على الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى، ثم صار يضاف إلى ذلك أسفار جديدة. وإنما في أثناء السبى، وبعد عودتهم من السبى عكفوا على جمع التوراة، وكان أوسعهم يداً في ذلك، عزرا الكاتب، بل لعل الفضل في ذلك يعود كله إليه، وقد أجملنا في صفوة ترجمته الكلام على هذه الناحية في هذا الجزء. أما سفر استير فقد جمع بعد موت عزرا وبعد موت استير ومردخاي بقرون.

وجدير بالقارئ العربي أن يعلم هذه الحقيقة في سنة ١٩٤٧ - ٤٨ وفلسطين مضطربة وعلى وشك أن تكون منغمسة بالحوادث الكبرى، وقع اكتشاف خطير قرب البحر الميت، وذلك أن أحد الرعاة العرب من عشيرة «التعاسرة» المقيمة قرب بيت لحم، ويجول أفرادها في جميع المنطقة الجبلية الجرداء الواقعة بين بيت لحم والبحر الميت، عثر في أحد الكهوف على مجموعة من اللقائف الأسطوانية، وهو لا يدري ما هي، فنقل الراعى التعامرى ما عثر عليه إلى تجار الآثار القديمة في بيت لحم ومن التجار وصلت اللقائف إلى أهل الاختصاص من علماء الآثار المسيحيين، فوجد أن تلك اللقائف النحاسية ما هي إلا من أسفار «العهد القديم» ما عدا سفر استير فإنه ليس بينها. وهذا يدل على أن وضع هذا السفر كان في القرن الثاني ق. م. كما ذكرنا في أول هذا الكلام، وأسفار التوراة القديمة كان قد انتهى عمل جمعها قبل الآن بوقت طويل. أما العثور على هذه الرقوق، فقد صرح كبار العلماء المسيحيين ومنهم العلامة الدكتور اولبريت الأميركي بأنه أعظم حادث من حوادث العثور على مادة الأسفار القديمة، ومن الغريب المدهش من باب الاتفاق أن في زمن هرون الرشيد، عثر عربى في الغور قرب أريحا على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على أسفار العهد القديم أيضاً، ويظهر أن



المسيحية لم تستفد منها إذ انتهت تلك الطوامير إلى علماء اليهود<sup>(١)</sup>.  
ومما لاحظته النقاد أن سفر استير هذا يخلو كل الخلو من ذكر الله واسمه جلّ وعلا،  
ويتألف هذا السفر في التوراة الاميركية أو البروتستانتية من ١٠ اصحاحات في ١٤ صفحة،  
وفي التوراة اليسوعية مثل هذا وإنما اضيف إليه ٦ اصحاحات من جنس «الابوكريفا» غير  
القانونية والسفر لم يشر قط إلى أن هامان فارسي، وأما كونه أميراً عماليقيا، فقد سبق ايراد  
الأدلة على ذلك من التوراة.

\*\*\*

وخلاصة القصة الرائعة أو المأساة من جهة هامان، أو المخطط الهاماني لمحو اليهود،  
فانعكس هذا كله على يد مردخاي واستير إلى ضده، فضرب احشويروش الملك هامان وصلبه  
هو وأولاده، والقصة هي هكذا:

جرت الحوادث في عهد الملك احشويروش ابن الملك داريوس (عند العرب دارا)، وهذان  
من ملوك الدولة الاخمينية الفارسية، والفرس من العرق الآري من حيث أرومات الشعوب.  
ومدة داريوس نحو ٣٦ سنة (٥٢١ - ٤٨٥ ق. م.) ومدة ابنه احشويروش نحو ٢٠ سنة (٤٨٥ -  
٤٦٦) وعاصمته شوشن القصر في اقليم المحمرة والاهواز، أو خوزستان، أو عريستان، وسكان  
هذا الاقليم قبائل عربية خالصة فتحها العرب في عهد الخليفة عمر، وكان يحكم هذه الرقعة  
(١) من اللبذ المغيد بيان هذه الملاحظات:

١ - أن مكتشفات هذه الرقوق في الحادثين، الأول عصر هرون الرشيد، والآخر سنة ١٩٤٧ أكبر خدمة  
للمسيحية، وقد وقع هذا على يد عربيين.

٢ - أن المنطقة الغورية قرب البحر الميت تمد اقليمياً حاراً بسبب انخفاضها عن مستوى سطح البحر، ولما  
كانت تلك الرقوق مكوزة في المغاور الصخرية وقد ختم عليها، فلم يتطرق الفساد إليها كلها، فبقيت بحالة  
حسنة إلى أن عثر عليها أولاً منذ أكثر من ١١ قرناً وثانياً سنة ١٩٤٧.

٣ - وليس الموقع الجغرافي الحار هو كل السبب في اختيارها هذا المكان لاختزان هذه الرقوق في هذه  
المغاور الصخرية في المنطقة، واسمها (قمران) على البحر الميت من الجهة الغربية. بل هناك سبب آخر وهو  
أن فرقة من اليهود كانت تقيم في هذه المنطقة، وكان لهذه الفرقة طقوس دينية خاصة تميزها عن فرقتي  
اليهود الكبيرتين: الفريسيين والصدوقيين، وعلى هاتين الفرقتين حمل السيد المسيح في دعوته. وبعضهم يقول  
إن يوحنا المعمدان كان ينتمي إلى هذه الفرقة التي كانت تقيم حول البحر الميت في منطقة قمران، واسم هذه  
الفرقة هو «الاسينيون» أو «المفتسلون» وكان لهم نظام خاص اشبه بنظم الرهبان في المصور المسيحية اللاحقة  
على مبادئ اشتراكية جماعية.

٤ - يعود تاريخ هذه الرقوق في كتابتها إلى القرن الأول أو الثاني ق. م. وقد وضعت الكتب في شرح هذه  
الرقوق. وتقصيها مما لا محل له هنا غير أن العلماء الاختصاصيين في اميركا وأوروبا لا يزالون يبذلون  
العناية في التعليق على هذه الأسفار. (راجع كتاب «مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران»، للقس جيمس  
ولبي، وابراهيم مطر (١٩٥٧).

الأمير «خزعل خان» كما سبقت الإشارة إلى هذا، والأمير خزعل، خلعه شاه ايران سنة ١٩٤٤ خلعاً فظيماً. والدولة الاخمينية كانت مدتها نحواً من ٢٧٠ سنة وكان آخر ملوكها داريوس الثالث الذي غلب عليه الاسكندر المقدوني في موقعة اربيلا سنة ٣٣١ ق.م. واحشويروش له اسم آخر في التاريخ اليوناني وهو بالعربية سرخس. وفي القرنين الخامس والرابع كانت الحروب العظيمة بين فارس والاغريق مما هو مبسوط في التاريخ وكان احشويروش من الملوك الفرس الذين ابتلوا بنيران تلك الحروب حلاوة ومرارة، غلبة له وهزيمة عليه.

ومن سنة ٥٢٨ إلى فتح الاسكندر كانت دمشق تحت نفوذ ملوك فارس مدة أكثر من قرنين، وكذلك كانت فينيقيا تحت النفوذ الفارسي أيضاً، وكذلك العراق، وكذلك مصر، وإنما مدة وجود مصر تحت النفوذ الفارسي كانت اقصر (٥٢٥ - ٤٠٤) ثم قامت في مصر السلالات الفرعونية الثلاث الأخيرة، من الثامنة والعشرين إلى الثلاثين، وكانت مصر في خلال هذه المدة قد تخلصت من النفوذ الفارسي وعادت مستقلة حتى فتح الاسكندر. وفي جزيرة العرب كانت دولة سبأ، وعاشت ٧٣٥ سنة (٨٥٠ - ١١٥ ق.م) ودولة حمير وعاشت ٤١٠ سنوات (٥٢٥ - ١١٥) والدولة المعينية وهي قبل الدولة القحطانية (سبأ وحمير) واصلها من العراق وكانت قبل هذه القرون وإنما نشير إلى هذا للفائدة في استيعاب الصورة، هذا ماعدا الدول العربية الصفري في اليمن الذين يقال لهم الأذواء، والدولة الجبائية والقتابية وغيرها. هذا في الجنوب، وأما في الشمال فتعبير التوراة عنهم يشتمل على «الاسماعيلية» أو بني «المشرق» أو «قيدار».

\*\*\*

### حوادث القصة اقتضت ٩ سنوات حتى نضجت واكتملت

حقد الملك احشويروش على زوجته الملكة «وشتي» الجميلة الفاتنة، لأنها لم تستجب لطلبه بارتداء أثوابها الملكية والتاج، والبروز أمام المدعويين في وليمة ملكية يحضرها رجال الدولة وأعيان المملكة فيجتلوا فتنة محاسنها وسحر جمالها: وأقيمت هذه الوليمة في السنة الثانية من ملكه (٤٨٣). فاستاء الملك من أمر وشتي، فأشير عليه بأن في المملكة الواسعة الآفاق المشتملة على ١٢٧ ولاية من الهند إلى الحبشة، من الفتيات البراعات من تليق لأن تكون الملكة بدلا من «وشتي» العاصية عليه يوم الوليمة. فاتخذوا ترتيباً، وجمعوا له نجوم المملكة، ففازت بقلبه استير، وهذا اسمها بالفارسية وأما بالعبرية فاسمها «هداسا» وهذا معناه زهرة الآس أو الكوكب. ولم يعرف أنها يهودية لما تقدمت للمباراة. ولما تزوجها احشويروش انبسط ظلها على القصر. هذا ما يفيد سفر استير وقاله اليهود للعالم. لكن من أوقع الفساد والضعف بين الملك والملكة وشتي؟ ولماذا لم تخرج الملكة إلى المهرجان في الوليمة حسب رغبة زوجها الملك؟ وهل كان من عاداتها مخالفته؟ ومن كان المحرض للملك بالقول له أن وشتي بذلك

العصيان أعطت نموذجاً سيئاً لجميع نساء الامبراطورية حتى يتشبهن بها فى الخروج عن طاعة أزواجهن؟ ليس لدينا تفاصيل الا ما فى سفر استير. والمدقق فى هذا يستنتج أن حبك المؤامرة كلها تم على يد مردخاى.

\*\*\*

مردخاى بطل القصة، وهو ابن يائير بن شمعى، كان من جملة السبى النبوذناصرى، وكانت استير، كما يقول السفر، بنت عمه، يتيمة لكنها فريدة الجمال الطاغى، فتولى تربيتها قريبة يهودية خالصة، وهياها ليوم مقبل. ويظهر أن عدد الفتيات اللواتى جمعن من أرجاء المملكة لاختيار أفتهن، كان عدداً ضخماً، وجمل العدد يهبط بالفريلة والتتحية حتى رسا على سبع فتيات. ففازت استير.

وأوصى مردخاى استير بالأ تبوح باسمها العبرى ولا بيهوديتها. وهناك غاية من وراء هذا الكتمان، وقد بينا هذا فى ترجمة عزرا فى هذا الجزء. لما صارت استير الملكة، كان ذلك فى السنة السابعة من عهد احشوروش. أما المهرجان أو الوليمة فقد كان فى السنة الثالثة. ومضى ٢ سنوات حتى تم الاختيار. ثم بعد أن تفوز استير بانها النجم الأول، عليها أن تبقى سنة أخرى فى القصر، وهى تربية خاصة فى الطعام المختار والشراب، والتعطر والادهان، لتصلح أن تكون الداخلة على الملك.

ويقول السفر، وهو يجمل الوقائع أو ينسج الخيط، أن مردخاى كان جالساً فى باب الملك فاطلع على مؤامرة يراد بها العدوان على الملك، وانك لتدهش حقاً عندما تعلم أن اثنين، كانا حسب ما اكتشف مردخاى، هما المتآمرين: بفتان وترش حارسى الباب. فأخبر مردخاى استير بالمؤامرة، وهى أخبرت الملك بها بلسان «المخلص» مردخاى. ففحص الملك ودقق فوجد الأمر صحيحاً فصلب بفتان وترش. وسجلت هذه اليد لمردخاى فى القصر. وكانت استير بعد أن اصبحت فى القصر، تتقيد برغبات عمها أو ابن عمها كما لو كانت لاتزال فى كنفه فى البيت تحت ولايته. فانظر وتأمل! سنذكر بواطن هذه المكيدة عندما تقرأ البروتوكولات.

\*\*\*

ولنمعن النظر فى ما تقدم:

ولنستمع إلى مردخاى يحدثنا هو كما جاء فى السفر الذى جمع باسم استير، بعد تاريخ الوقائع بزمان طويل: كان هامان بن همدان الاجاجى (العماليقى) من رجال القصر؛ والآن حدث أن رقى فى منصبه حتى صار فى الرتبة فوق جميع الرؤساء، أو ما يعبر عنه فى زمننا هذا برئيس الوزراء والمبيد يسجدون له سجود التحية حسب وصية الملك والبروتوكول المراعى. ثم تنتقل القصة فى سفر استير فجأة لتخبرنا أن مردخاى ابى ان يؤدى هذه التحية لهامان،

وهامان رئيس الوزراء. فنبهه الحرس والعبيد فلم يرمعو، بل زاد على رفضه أداء التحية بأن أعطى السبب الذى رآه، وهو أنه لكونه يهودياً فإنه لا يؤدى التحية المرسومة لهامان. ونقول إذا كان يقصد التمويه أن السجود لا يكون إلا لإله إسرائيل حسب عقيدته، فسفر استير جاء كله خالياً من اسم الله على الإطلاق، ولو كان هذا هو المراد فما أحرأه أن يصرح به ويسند السبب إلى أن دينه يمنعه من ذلك، أما السبب الحقيقى فهو العداوة بين العمالقة واليهود. وبعد أن وصلت استير إلى الصولجان، ما عادت تكتم يهوديتها، وهذا مردخاى يقول إنه لم يؤد التحية لأنه يهودى، وقبلأ كان يخفى يهوديته هو واستير.

\*\*\*

فقام الحرس بإخبار هامان ما كان من مردخاى.

القصة كما هى فى السفر ليست متسلسلة الوقائع، وهى مشبعة بروح عدائية سافرة لهامان. فتنتقل بنا بعد هذا توأ إلى أن تقول أن هامان غضب على مردخاى، لكن لم يشأ أن يبطش به دون غيره، إذ استصفر ذلك واستقله، بل أراد أن يبطش بقوم مردخاى جميعاً، أى باليهود المنتشرين فى المملكة، والمملكة (١٢٧) ولاية.

وعلى هامان أن يبين للملك الأسباب. واجمل السفر هذا بأن قال هامان للملك: «أنه موجود شعب ما مشئت ومتفرق بين الشعوب فى كل بلاد مملكتك، وسنتهم مغايرة لجميع الشعوب، وهم لا يعلمون سنن الملك، فلا يليق بالملك تركهم». فوافق الملك على إبادتهم. فاتخذ هامان الوسائل للتنفيذ فى ١٢ آذار وهو الشهر الثانى عشر من السنة الفارسية، وانفذت الأوامر السلطانية إلى الآفاق على أن يمحى اليهود جميعاً فى يوم واحد، وفيهم الشيوخ والأطفال والنساء. وهذه خلاصة المروى فى سفر استير (الفصل ٣).

\*\*\*

ويعلم من السفر أن اليهود كانوا وقتها متفرقين فى أرجاء المملكة، «وفى كل كورة حيثما وصل إليها أمر الملك وسنته كانت مناحة عظيمة عند اليهود وصوم وبكاء ونحيب». فجاء مردخاى إلى القصر وهو لابس مسح المناحة وعليه الرماد، فدخلت الجوارى على استير وأخبرتها بحالة مردخاى، فأرسلت إليه خصياً مؤتمناً يسأله السبب فى أمره هذا، فأعلمه بما دبر هامان من خطة بموافقة الملك لإبادة اليهود الذين فى المملكة، وأن نفقات هذا العمل تؤدى من خزانة الملك، واطلمه على صورة المرسوم الملكى الذى أطلق إلى أرجاء المملكة لتتبع الإبادة فى وقت معين فى جميع الولايات. وطلب مردخاى بواسطة الخصى المؤتمن أن تدخل استير على الملك وتطلعه على هذا كله. فوقعت استير فى مأزق حرج، إذ لا يجوز الدخول على الملك إلا لمن يدعى من قبلكه ومن دخل غير مدعو ولم يرفع الملك له قضيب الذهب علامة الرضى عند دخوله، قتل. فأجابت استير مردخاى بهذا الاعتذار، فرد عليها «مردخاى» - أو عمها، أو

ابن عمها، أو أحد «حكماء صهيون»:

«لا تفكرى فى نفسك أنك تتجين فى بيت الملك دون جميع اليهود. لأنك إن سكت سكوتاً فى هذا الوقت، يكون الفرغ والنجاة لليهود من مكان آخر، وأما أنت وبيت أبيك فتبيدون. ومن يعلم أن كنت لوقت مثل هذا وصلت إلى الملك (الاصحاح الرابع).  
اقرأ البروتوكول السابع عشر وهو ينص على أن «لقبالا» أن تقتل اليهودى الذى لا يفى بواجباته نحوها من الإعلام والتجسس.

\*\*\*

هنا الروح اليهودية تتكلم وقت جمع هذا السفر فى الحروب المكايبة.

أنت إنما جئت القصر لتخدمى قومك اليهود!!

لا تظنى أنك إن لم تفعلى هذا، ونجا قومك بطريقة أخرى، تبقين أنت حية! نرجو من القارئ أن يقابل هذا الكلام الذى أنذر به مردخاى ربيبته استير، بما جاء فى البروتوكول السابع عشر. فمن القبالة اليوم فى القرن العشرين تتألف الهيئة الخفية التى بيدها الأوامر والنواهى السرية والمعبر عنها باليهودية العالمية. والأمر السرى بالقتل يصدر منها. وننقل هنا معنى فقرة واحدة من هذا البروتوكول، وهى تتعلق بأن من الواجب على كل يهودى أن يبلغ هيئة القبالة عن أى شئ يضر باليهودية، فإن لم يفعل يجازى ويحاسب حساباً عسيراً، والحساب العسير المقصود هو القتل، وإن لم تصرح به مادة البروتوكول بهذا اللفظ، وقد ورد ذكر استباحة الدماء فى البروتوكولات فى مواطن عديدة، وإنما هنا يقع القتل للشخص المقصود لا لأنه اقترف جرمًا ما، كلا، بل لأنه علم بأمر ضار لليهودية فلم يبلغ هيئة القبالة ما يعلم، فانظر وتأمل. وكان مردخاى يقول لاستير: ما أنت هنا فى القصر ملكة إلا لخدمة قومك اليهود، فإن لم تفعلى فستقتلين ولا يعصمك من القتل كونك الملكة زوجة احشويروش الممتد ملكه على ١٢٧ ولاية من الهند إلى الحبشة.

\*\*\*

فأذعن استير، وانصاعت إلى انذار مردخاى وأيقنت أنها ملاقية المصير الذى أنذرها به إن هى لم تفعل ما أمرها به. فأجابته: إنى أدخل إلى الملك خلاف العادة، فإذا هلكت هلكت، ولا بأس أن نجترى باللباب. وللقارئ أن يطلع على القضية بكاملها فى السفر، إذا شاء.

١ - ارتدت ثوباً ملكياً ودخلت، فلما وقع نظره عليها فجأة خلبته، وسبت عقله، فرفع لها قضيب الذهب علامة الرضى، فدننت ولمست رأس القضيب، فسألها ما طلبها فطلبت أن يأتى الملك ومعه هامان إلى وليمة خاصة. فلما حضرا، وعند شرب الخمر قال لها الملك ما هو سؤلك تعطينه ولو بلغ نصف المملكة. فقالت أن يأتى الملك وهامان إلى الوليمة التى أعملها غدا حسب أمر الملك.

٢ - خرج هامان طيب القلب فرحاً وسره أنه هو الوحيد المدعو مع الملك. لكنه وهو خارج، ابصر مردخاى فى باب القصر مصعراً خديه. فاغتاز هامان، فأخبر زوجته وأصدقائه عن تمرد مردخاى وأنه كلما رآه فى القصر اضطرب اضطراباً. فأشاروا عليه أن يصلبه فى الصباح على خشبة علوها خمسون ذراعاً.

٣ - فى تلك الليلة أرق الملك أرقاً جعله يقتل وقته بمراجعة اخبار الأيام وحوادثها نقرأ عليه، فوجد مكتوباً قصة تلك المؤامرة المزعومة وما لمردخاى من فضل عليه، فأمر بأن يكافأ بأن يلبس حلة ملكية ويمتلى جواداً ملكياً وعلى مفرقيه تاج الملك، ويمسك بزمام الجواد أحد الأشراف الذين حول الملك، ويطاق به هكذا فى ساحة المدينة. وإذا بهامان قادم صباحاً ليطلب من الملك الموافقة على صلب مردخاى، فيجد الملك يأمره بأن يكون هو الممسك بزمام الجواد، وقال له: «واقعل هكذا لمردخاى اليهودى الجالس فى باب الملك»، ففعل هامان ما أمر به. ورجع مردخاى إلى القصر، وأما هامان فذهب إلى بيته وأصحابه وزوجته، فقالوا له ولاسيما زوجته زرش: هل بلغ الأمر أن تسقط قدام مردخاى من نسل اليهود؟ وبينما هم كذلك جاءه الرسول يطلبه إلى الوليمة.

٤ - فلما جلس الملك وهامان عند استير الملكة، سألهما الملك وهو يتعاطى الشراب ما سألهما سابقاً ولو بلغت طلبتها نصف الملكة، فقالت: «إذا حسن عند الملك فلتعط لى نفسى بسؤلى وشعبى بطلبتى، لانتنا قد بعنا أنا وشعبى للهلاك والقتل والابادة»، فسألهما، «ومن هو الذى يتجاسر على أن يفعل هذا؟ فقالت هو رجل خصم وعدو، وهذا هامان الرديء».

٥ - فارتاع هامان وتزلزل. فانتقل الملك إلى الحديقة مغتاضاً، فوقف هامان يتوسل عن نفسه إلى استير. ولما رجع الملك من الحديقة إلى ردهة شرب الخمر وهامان متواقع على السرير الذى كانت استير عليه، قال: «هل أيضاً يكبس الملكة معى فى البيت؟»، ولما خرجت الكلمة من فم الملك، غطوا وجه هامان. فقال أحد الخصيان: «هو ذا الخشبة التى هياها هامان لمردخاى الذى تكلم بالخير نحو الملك قائمة فى بيت هامان ارتضاعها خمسون ذراعاً فقال الملك: اصلبوه عليها، فصلب».

٦ - «ونزع الملك خاتمه الذى أخذه من هامان وأعطاه إلى مردخاى، وصار مردخاى محل هامان فى القصر. وجئت استير وتضرعت، بأن يأمر الملك بإبطال تدابير هامان المطلقة إلى أرجاء الملكة. وقالت: «لأنتى كيف استطيع أن أرى الشر الذى يصيب شعبى وكيف استطيع أن أرى هلاك جنسى؟».

٧ - فكتب مردخاى إلى المرازية والولاية ورؤساء البلدان، وإلى اليهود جماعته «من الهند إلى كوش (الحبشة) ١٢٧ كورة»، وإلى كل شمش بلسانه وختم الرسائل بخاتم الملك، وأطلقت برد الخيل والبغال بنى الرملك. ومحتوى الرسائل أن يقف اليهود فى كل مدينة «ويهلكوا ويقتلوا

ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم، حتى الأطفال والنساء، وأن يسلبوا غنيمتهم في يوم واحد». وهذا يدلنا على شيئين خطيرين:

أولاً - أن اليهود كانوا منتشرين في جميع المملكة مع وجودهم في السبي، وثانياً - أن الكراهة لهم كانت عامة في جميع الشعوب التي أرسلت إليها تلك الرسائل.

٨ - وخرجت مدينة شوشن فرحة، ولليهود بهجة، مقرونة بالولائم الطنائة، وكثيرون من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم». هكذا يقول السفر.

٩ - «فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيتهم ما أرادوا، قتلوا في شوشن القصر خمس مئة رجل. أبناء هامان العشرة قتلوهم ثم صلبوهم في اليوم الثاني، وهم: فرشنداثا، ودلفون، واسفانا وفوراثا، وادليا، واريانا، وفرمشتا، وارياسا، واريادا، ويزاثة<sup>(١)</sup>.

١٠ - ثم قتلوا في شوشن القصر ثلاث مئة رجل. «واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيتهم خمسة وسبعين ألفاً... في اليوم الثالث عشر من شهر آذار واستراحوا في الرابع عشر منه وجعلوه يوم شراب وفرح».

إذا كان هذا صحيحاً كله أو بعضه من حيث عدد القتلى، فهنا باب للسؤال وهو: إذا كانت الشعوب التي في مملكة فارس المنبسطة من الهند إلى الحبشة في ١٢٧ ولاية، ويقطنها من الشعوب والأمم على اختلاف اللسان عدد ضخم كبير، وهذه الشعوب والأمم تكره اليهود كما يقول السفر، فهذه الكراهة ليست من صنع هامان بن همدانا الاجاجى العماليقى، وهو بمختلف وسائله أعجز على كل حال من أن يملأ قلوب الشعوب والأمم بمثل تلك الكراهة العميقة الجذور، فهامان إذا بسط للملك من أمر تلك الكراهة لليهود ما بسط، فهو في ذلك لم يعد الحقيقة شمرة، وأما الذى بذور تلك الكراهة لليهود هم اليهود أنفسهم لا غير<sup>(٢)</sup>. وكذلك في الزمن المعاصر، فمنذ قامت الحركة المسماة «باللاسامية» إلى بعض المسيحيين وجعلوا مستخدم في هذا الزعم «الدين اليهودى» وهذا كله باطل، فإن «اللاسامية» في عارى حقيقتها حركة يهودية مصطنعة خلقها حكماء صهيون للاستغلال، وإنما تمكنوا من نشر التضليل حول هذه الحركة بسبب ما وضعوا من الكتب حولها للخدعة وما لهم من أجهزة

(١) في الترجمة اليسوعية (الفصل التاسع) نرى هذه الاسماء على هذه الصورة بلا خلاف سوى، أن «الثاء» الأخيرة ويعد ألف في خمسة من هذه الأسماء وردت «تاء»، والاسم الأخير أوردته الترجمة اليسوعية «ايژنا». و «هامان بن همدانا «الاجاجى» أوردته اليسوعية «هامان ابن همدانا «الاجاجى» أى التاء تاء.

(٢) بعد ظهور المسيحية اشتد الويل على اليهود شيئاً فشيئاً في الامبراطورية انرومانية، الغربية والشرقية، وكان الملك قسطنطين الكبير يلقبهم في المنشور القيصرى «بالشعب المكروه»، وبين عصر احشوروش الفاريسى وعصر قسطنطين الكبير أكثر من ٨ قرون والكراهة لليهود تطرد وتزداد، وظلوا هكذا حتى جاء الإسلام في القرن السادس فتممها في مراتب حضارته، ولاسيما في الأندلس. (راجع تاريخ الإسرائيليين لإبكاربوس ص ٨٠ طبع ١٩٠٤).

دعائية خبيثة علنية وسرية، وهذا كله مبسوط مستوفى فى «البروتوكولات».

١١ - وكتب مردخاى إلى جميع اليهود فى المملكة أن يعيدوا فى اليوم الرابع عشر والخامس عشر... ودعى هذا العيد عيد «الفوريم» أى القرعة لأن هامان القى قرعة لإفنائهم.

\*\*\*

هذا العيد يحتفى به كل سنة على غير انقطاع وفى كل بلد فيها يهود، ويقال له «البوريم» - وفى التوراة «فوريم» - وله شأن كبير عند اليهود قاطبة حتى اليوم وغداً، وهو مجلى غرائزهم، ومظهر شراستهم، فإنهم فى كل سنة يخرج منهم إلى الأسواق فى المدن المختلفة أفراد وجماعات متكرين زياً ولباساً ويأخذون بالاعتداء على غير اليهود، أحياء لذكرى ما صنعوا وقت استير ومردخاى، قبل اليوم بخمسة وعشرين قرناً. ويهيجون وهم يعتدون على المخازن التجارية واتلاف السلع، هياج السائمة. ويحرضهم على هذا طبقة متزمتة من الحاخامين الذين يمارسون جنایات الدم - خطف الأشخاص من المسيحيين والمسلمين وقتلهم وتصفية دمائهم واستعمال الدم فى طقوس دينية - وعيد البوريم فى فلسطين أيام الانتداب البريطانى كان يشتمل كل سنة على عدة حوادث عدوانية يقوم بها اليهود الذين ذكرنا صفتهم انتقاماً من العرب. وروح الانتقام هذه فى صدور اليهود غير مقصورة على شعب بعينه من شعوب العالم، بل موجهة إلى جميع البشر، ومتى ما علمنا أن اليهود فى العالم هم جزء قليل لا يجاوز الواحد من المثتين والخمسين، أدركنا أن هذا الخلق فيهم هو أكثر من مجرد إحياء ذكرى، بل هو غريزة شاذة لأذى الإنسانية. وهذه الروح هى النقطة المركزية فى البروتوكولات، وبوسع القارئ أن يقابل بين هذه الروح وكثير من الوقائع المشابهة لحوادث عيد «البوريم» فى كل دور من أدوار تاريخهم.

وأما «سفر» استير فإنه يقرأ فى الجامعات اليهودية كل سنة، وقد ثابر اليهود على هذه العادة منذ ٢٥ قرناً. واسم استير عندهم هو «هداسا» وفى التوراة «هدسة» وفى فلسطين مؤسسة مستشفيات يهودية اسمها «مستشفيات هداسا» أكبرها المستشفى الذى فى جبل الزيتون المطل على القدس..

\*\*\*

### ما ذكره الطبرى حول استير

وحرى بالقارئ العربى، وهو يطلع على غرائب هذه «اليهوديات» فى النصف الثانى من القرن العشرين، ويعلم أن الكشف الحديث، والبحث العلمى، والتنقيب الأثرى، كل هذا من ثمراته أن يزيح شيئاً فشيئاً من الحجب والسجف التى تستر ما يريد اليهود ستره من خفاياهم - حرى بالقارئ أن يسأل: هل لاستير ومردخاى اليهوديين من ذكر فى التاريخ العربى الاسلامى؟



ونجيب على هذا بأن ما ذكره التاريخ العربى الاسلامى من أمر استير، ما هو إلا خلاصة مبهمه، ضائعة بين الاسطورة ورشاش من الحقيقة. ونأخذ مثالا على هذا الطبرى، شيخ المؤرخين (٨٣٩ - ٩٢٣ م) وقد عاصر جملة من خلفاء بنى العباس، الواثق بعد المعتصم إلى المقتدر وهؤلاء نحو عشرة، وكان اليهود فى هذا العصر يرتعون فى بحبوحة الخير فى ظل الدولة العباسية فى المشرق والدولة الأموية واماراتها فى الأندلس والمغرب، وكانت الأساطير والآراء النابعة من المصادر اليهودية، قد تسربت ودبت حتى وصلت إلى كثير من التفسير والحديث وكتب التاريخ والسّير مما عرف بالإسرائيليات، حتى رأينا بعد ذلك قوافل من الحقائق العربية الاسلامية بحاجة إلى أن ينفى عنها زيغ ما لصق بها من الإسرائيليات. وكانت الإسرائيليات من مفسدات التاريخ.

\*\*\*

ذكر الطبرى موجزاً سطحياً لقصة استير كما تهبأ له أن يأخذها من مصادره، وذكر مردخاى، غير أنه فى قصة استير لم يعرج على هامان بقليل أو كثير. أما الأسماء فان احشويروش فى الترجمة الاميريكية للتوراة هو عند الطبرى احشوارش ومردخاى هو مردخى واستير اشتر.

وبعد أن ذكر الطبرى اتساع رقعة المملكة بقوله «وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلى البحر» قال: «وتزوج من سبى بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشير ابنة أبى جاويل، كان رباها ابن عم لها يقال له مردخى، وكان اخاها من الرضاة، لأن أم مردخى ارضعت اشتر، وكان السبب فى تزوجه اياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة يقال لها وشتا، فأمرها بالبروز ليراها الناس ليعرفوا جلالها وجمالها فامتعت من ذلك، فقلتها، فلما قتلها جزع لقتلها جزعاً شديداً. فأشير عليه باعتراض نساء العالم ففعل ذلك وحببت إليه اشتر صنعاً لبنى اسرائيل.. وكان ملك احشوارش كان اربع عشرة سنة. وقد علمه مردخى التوراة ودخل فى دين بنى إسرائيل، وفهم عن دانيال النبى.. ومن كان معه حينئذ مثل حننيا وميشايل وعازريا فسألوه بأن يأذن لهم فى الخروج إلى بيت المقدس..» والمراد بقول الطبرى أنها تزوجته صنعاً لبنى اسرائيل أى خدمة لقومها (الطبرى ١: ٢٨٤). والمهم فى قول الطبرى أن احشوارش دخل فى اليهودية على يد مردخاى. راجع فى هذا الكتاب ترجمة دانيال.

\*\*\*

## ٥- البناة الأول « لحكماء صهيون » الأنبياء: حزقيال - عزرا (عزير) - نحemia - دانيال

من حزقيال ودانيال وعزرا (عزير) ونحemia واستير ومردخاي، وارميا، من هؤلاء الذين عرفناهم عن طريق التوراة، وترددت اسماؤهم وقت سبي نبوخذناصر لاورشليم، وتخريره الهيكل، وهدمه المدينة، وأخذ الكنوز التي استطاع العثور عليها في الهيكل - وهي رأس مال كل يهودى قديم وحديث - وبعد سببه الشعب اليهودى إلى بابل العراق بحيث لم يبق في المنطقة اليهودية والقرى المحيطة بها إلا الضعفة وقليل من الزراع والعملة، ولا شأن لهم جميعاً - من هؤلاء البناة الأولين لمنهج «حكماء صهيون» إلى دزرايملى، و«أحدها عام»، و«ويزمن، وجابوتسكى، وبن غوريون، ومسافة الزمن لا تقل عن ٢٤ قرناً - ترى انسياب الفرائز اليهودية مطرداً يتخلل الأجيال كلها، نابعاً من خلق له خفاياه وبواطنه، وفي هذه المواطن المبهمة العميقة، تكمن أسرار اليهودية فهي أبداً تلتون، لكنها في أصل عنصرها ومادتها لا تتغير.

وسواء علينا، ابدانا بحزقيال وانتهينا بهرتزل، أم بهرتزل وانتهينا بحزقيال، فالأربعة والعشرون قرناً، وهي قرون تفاعل بين أمم العالم على وجه الأرض، وتلاقح في الدم والفكر والفن والصناعة، بحيث شارك في هذا التفاعل والتلاقح كل جنس من الأجناس البشرية - على قدر طاقته، فهذه السلسلة من القرون - عجزت وستبقى عاجزة، عن أن تتقح شيئاً قل ما قل، من الفرائز اليهودية ولاسيما في جذورها وأصل جراثيمها. اليهود، من أول أمرهم في الوجود، يمثلون كتلة بشرية شاذة، قامت على الانفراد والأنانية، والابتلاع، وتأبى الانصهار الحضارى في أى بوتقة حضارية عاش فيها اليهود أو احتكوا بها. حزقيال ورفقته، هم أول من مثل الدور الأول في تهيئة النسيج الذى عرف نظامه فيما بعد «بحكماء صهيون»، فلنضع صورة مجملية أمام القارئ، لكل واحد من هؤلاء «الأنبياء» الذين وهم في السبى في القرن السادس قبل المسيح، كانوا الحلقة الأولى من «الحكماء» الذين هم يؤلفون بالامتداد والاطراد، القوة اليهودية العالمية السرية، وغايتهم الوصول إلى التسلط الموهوم على العالم بعد محاولة نفس المسيحية والإسلام.

أنبياء بنى إسرائيل، هم كما وصفهم الكاتب العالمى المؤرخ «ولز» فى كتابه «موجز تاريخ العالم»، على الغالب ساسة فى مسوح الأنبياء. وكانوا ثلاثة أصناف: الأنبياء الذين كانوا حول الملوك، ولهم مجاديفهم فى السفينة، فإذا كانوا مع الملك، والملك شرير، احترقوا، وإن كانوا مع الشعب فالسجون والنطوع مهياة. وقتل أى نبي من هؤلاء أهون من ذبح شاة. وأحياناً، لا بأس أن يكون القتل داخل الهيكل، عند قدس الأقداس.

ولذلك لما صرف ارميا ٤٠ سنة فى التنبؤ، آخرها لما جاء نبوخذناصر ليؤدب صدقيا آخر ملوك يهوذا، ويسوقه أسيراً مكبلاً إلى بابل، بعد أن سمل عينيه، وقتل أولاده بين يديه، فى أريحا، خاطب ارميا أورشليم بقوله: «لأنك منذ القدم كسرت نيرك، وقطعت قيودك، وقلت لا أتعبد. لأنك على كل أكمة عالية، وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية»<sup>(١)</sup>.

وكان ارميا ينصح صدقيا ألا ينقض عهد العبودية لنبوخذناصر فلم يستمع هذا إليه، ففتبأ ارميا وصدقت نبوءته: «فى ذلك اليوم،... يخرجون عظام ملوك يهوذا، وعظام رؤسائه، وعظام الكهنة، وعظام الأنبياء، وعظام سكان أورشليم من قبورهم، ويبسطونها للشمس والقمر ولكل جنود السموات التى أحبوها، والتى عبدوها والتى ساروا وراءها، والتى استشاروها، والتى سجدوا لها، لا تجمع ولا تدفع، بل تكون دمنة على وجه الأرض ويختار الموت على الحياة عند كل البقية الباقية من هذه العشيرة الشريرة الباقية فى كل الأماكن التى طردتهم إليها»<sup>(٢)</sup>. وكان ارميا يصور ما وقع لقومه من الفواجع جزاء تمردهم. وأتى نبوخذناصر على هذه «العشيرة الشريرة».

\*\*\*

والصنف الثانى من أنبيائهم كان يقال للواحد منهم «الرائى» من رأى، وهذا أدنى منزلة من «نبي» وأرفع من الرجل العادى، لكنه يسير فى اتجاه «الساسة»، و «الرائى» عدده وافر، إذ لا يحتاج من العدة إلا إلى شئ من بارع الفراسة وصحة الملاحظة<sup>(٣)</sup>.

والصنف الثالث هم الذين يقال لهم «الأنبياء الكذبة»، تجار، باعة، وحملة مجامر الملق والدهن، وعددهم بالمثات لا العشرات. لما اجتمع بهم النبي «إيليا» - إيلياس - على جبل الكرمل، فى القرن التاسع ق.م. كانوا ٤٥٠ من أنبياء البعل، و ٤٥٠ من أنبياء موائد

(١) سفر ارميا الاصحاح الثانى. (٢) سفر ارميا الاصحاح الثامن.

(٣) للاستزادة من العلم بهذا الموضوع راجع كتاب الدكتور حسن ظاظا وقد علقنا عليه سابقا.

الملكة ايزابل زوجة الملك آخاب (ابتداء مدته ٩١٨) (١).

فلنتكلم عن بعض أنبياء الطبقة العالية، والذين يطلق عليهم «الأنبياء الكبار»، الذين من أيديهم انتشرت بذور «حكماء صهيون»:

\*\*\*

## (١) حزقيال

هو حزقيال بن بوزي، ظهر في آخر مدة ملوك يهوذا، قبيل زحف جيش بابل من العراق. وكان من جملة السبى (في القرن السادس ق. م.) ورتبته الكهنوتية عالية، وهناك في العراق سكن في ناحية على نهر الخابور ومكان اسمه بالعبرية «تل أبيب»، وصار بيته نادياً يرتاده الشيوخ، فيعظهم حزقيال ويبيكهم، ويذكرهم باورشليم. وما مضى عليه أكثر من خمس سنين وهو دائم في عمله من التذكر والتوبيخ والاستهزاء، حتى شرع يتبأ، أو يستأنف عمله الذي كان قد بدأه في أورشليم، ومدة نبوته كلها في أورشليم وعلى الخابور أكثر من ٢٢ سنة. حزقيال كان مناصراً لارميا، وارميا بعد فتنة نبوخذناصر أثر البقاء في القدس، ولا ندري كيف استطاع ذلك، ثم انتقل إلى مصر لاجئاً وقضى هناك. وهو معاصر لدانيال أيضاً، ودانيال استأقاه السبى إلى العراق أيضاً، لكنه وقت السبى كان صغيراً في الرابعة أو الخامسة.

وحزقيال ماتت زوجته وهو في الخابور، فظل متابعاً سيره في نبوته، واشتهر أمره حتى لقب «بنبى السبى»، كما لقب زميله ارميا «بالنبى البكاء» من كثرة انتحابه على أورشليم. ويهمنا أن نعلم من أمر حزقيال ما صنعه وقت السبى:

١ - جعل منزله نادياً للشيوخ، فاستطاع بهذا أن يجمع الحلقات حوله وبيت فيهم من الآراء ما يريد، جارياً في هذا على أوتار حساسة جامعة بين التأنيب والإيقاظ والتحريض.

٢ - فاكتسب ثقة الشيوخ، حتى صار أمينهم ومشكى الجامعة في المسائل والمشكلات، وأمست أسرارهم عنده.

٣ - وصف الكتاب التوراتيون أسلوبه في الكلام والخطابة بأنه حماسى مثير، ملهب للشعور.

(١) سفر الملوك الأول - الاصحاح ١٨.

٤ - وعندما يرى شدة الاستماع إليه، كان ينتقل بهم إلى التوبيخ والتقريع، وبين لهم أن ما أصابهم من سبى وتشريد، سببه أنهم عصاة، لم يلوذوا «بتوبة»، فجاءت المصاقل تجازيهم على أعمالهم الباطلة، وتلك المجازاة قد حلت بهم وهي ستظل حالة بهم ماداموا في السبى تحت حكم الكلدان خارج أورشليم.

٥ - لكنهم يستطيعون أن يعودوا، إذا تابوا حقاً.

٦ - وكان همه في المقام الأول أن يعنى عناية خاصة باجتذاب الشباب الذين نشأوا نشأتهم الواعية في تل أبيب الخابور، ولم يشهدوا يوم نبوخذناصر في أورشليم.

\*\*\*

إن عمل حزقيال على هذا المنوال ونحو الغاية الكبرى، وهي إعداد الجيل الجديد في السبى للعودة إلى أورشليم، مع عمل عزرا الكاتب في هذا المضمار أيضاً من ناحية أخرى - هذان العملان معاً - كانا أكبر عامل في فتح أبواب الخيال الأسطوري مما أدى إلى نتائج كبيرة في الأجيال المقبلة. وأول النتائج الخطيرة، جعل اليهود في السبى يقبلون على المناخ الذهني الفكري إقبالاً مهد الطريق لظهور «التلمود» بعد عدة قرون وبعد أن خرب الرومان أورشليم سنة ٧٠ ب. م والتلمود هو المعجيب الغريب، فالتربة الأولى لنبتته هي هنا، وهو كنز وذخر لمختلف الأخيلة الجامعة من ناحية، وغير المعقولة من ناحية أخرى، ومن التلمود خرجت «القبالة» ومن القبالة خرج منهج «حكماء صهيون» الذين اتخذوا البروتوكولات دستوراً عملياً خفياً سرياً لهم وهذا يراه القارئ مبسوطاً في هذا الكتاب.

وحزقيال في آخر حياته، جهل أمره، وتوارت أخباره، لكن الأساطير التي تعلقته به جعلت تغلفه بهالة بعد هالة من التعظيم. وقبره على شاطئ الفرات عند أحد فروعه، ولا يعلم تاريخ بنائه وهو عند اليهود مزار مقدس حتى اليوم، غير أننا لا نعلم مصيره بعد سنة ١٩٤٨، ومع الزمن ولاسيما في عصور الدولة العربية الإسلامية، رجع اليهود في ظل وارف من الأمن والدعة، مما لم يتذوقوه في سالف أيامهم، فبنوا القباب على القبر، بعد ألف سنة من عصر حزقيال، وظلت الأساطير في أثره، ومن هذا أنه كان فوق القبر فتدليل يبقى مضاء ليل نهار وأن حزقيال أول من أضاءه فلم ينطفئ بعد. قلنا: ولكنه انطفأ ولا مرد. وجعلوا له المواسم والأعياد، والزيارات والنذور.

فحزقيال، بلفة الواقع المجرد، عارياً من الأساطير هو منظم حال الجالية اليهودية

فى السبى، المهئ للجيل الجديد العودة إلى أورشليم، وسنرى كيف أن الخيوط اليهودية التى غزلها هو وأنداده من الأنبياء فى أثناء السبى قد اثمرت التلمود، ومن التلمود انبثق «منهج حكماء صهيون» ويستطيع القارئ أن يدرك الآن ما أشبه مخطط حزقيال بمخطط «أحدها عام» المترجم فيما سبق.

وحزقيال أحد «الأنبياء الكبار» عند بنى إسرائيل، وغير حزقيال من «الكبار»، هوشع وعاموس وميخا، وارميا واشعيا ودانيال. وإيليا (الياس) من أول الكبار، وإنما المراد بالكبار لا جميع الأنبياء بل الذين دونت نبواتهم ثم جمعت فى «العهد القديم» أسفار معلومة. وإيليا، لا سفر له فى التوراة لأن نبوته لم تدون بل توقلت بالرواية التى غمرتها الأساطير.

\*\*\*

## ٢- عزرا الكاتب أو عزرا الكاهن (هو فى القرآن الكريم عزير)

هو أحد الذين مثلوا فى السبى ذلك الدور الخطير المتعلق بالعودة، ومما اجملناه فى إيجازنا الكلام على حزقيال. ونرى الآن أن الدور الذى أتقن عزرا القيام به، ارتفع بصاحبه إلى ذروة الذرى حتى قالوا فيه إن الله إذا كان لم يعط الألواح إلى موسى فما أحرى أن يعطيها إلى عزرا. بعبارة أخرى، أن اليهود وهم فى السبى كأنهم قد خلقوا مرة أخرى. وعزرا من أبطال «الرواية» ابتداء واختتاماً. وأما الحياة الخاصة لعزرا، فلا نعلم عنها شيئاً إلا ما نسجته الأساطير اللاحقة. وهو عاش حياة طويلة، وأما أين مات فأمر مجهول، لذلك ضاع قبره بين أن يكون فى العراق أو فى فلسطين.

صفوة عمله:

١ - أنه قد وصف فى التوراة (سفر عزرا ٧: ٣) بهذه العبارة: «عزرا هذا صعد من بابل (إلى أورشليم) وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى».

ويفسر اليهود الكتابة هنا بمعنى القدرة الكتابية، لا النسخ وتعاطيه صناعة. لذلك لقب عندهم بعزرا الكاتب أو عزرا الكاهن.

٢ - لما صنع دوره على ما نرى الآن، غالى فيه قومه غلواً عظيماً ومما قالوا فيه: «عزرا أوجد حل البقاء لإسرائيل فهو من إسرائيل عن طريق التلمود، كموسى عن طريق التوراة. وكما أن موسى خلق أمة من العبودية، كذلك خلق عزرا أمة من السبى، وكان

حرياً بأن يعطى الله التوراة على يد عزرا لو لم يعطها على يد موسى<sup>(١)</sup>. وهذا القول يمزى إلى مجلس «السندرين»<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء الفلاة من اليهود، والفلو عندهم صناعة تستغل ومنها فائدة لهم، هم الذين أحفادهم قالوا بعد اليوم بنحو ١١ قرناً في موسى بن ميمون: «من موسى إلى موسى لم يقم مثل موسى»<sup>(٣)</sup> وقال الفيلسوف القبالي اليهودى موسى مندلسون، وكان مقرباً من فردريك الكبهر على نحو موسى بن ميمون من صلاح الدين، يصف بقاء الروح اليهودية رغم صروف الزمن: «أيها الموت! إنك قطعت الشجرة وأبقيت ثمرها فلم تقض عليها كلها بل على بعضها. وحكمته منقوشة في الصحف والألواح، ولا يزال يناقش أحباءه في كلماتها ومعانيها وعلومها، لكنه لا يناقش بالشفاه واللحم والغبار والرماد، ولا بالكلمات والأموات، بل بالروح فقط».

٣ - وذهب فريق عظيم من اليهود في تعظيمه إلى حد تأليهه. ويسبب هذا، جاء ذكره

(١) المقدمة من كتاب «التلمود» بالانكليزية Everyman's Talmud مؤلفه ا. كوهين.

(٢) السندرين مجلس علماء اليهود الأعلى وظهر هذا المجلس بعد الرجوع من السبي، وهو راسخ من تعاليم حزقيال وعزرا ودانيال واستير ومردخاي، أو هو الروح اليهودية في السبي، ثم تجسدت وتجمست في أورشلهم بعد العودة. ظاهره هيئة علماء وباطنه مجهول حتى لعامة اليهود ولما جاء الرومان لم يمارضوا به بل أبقوه وجعلوا أمرهم منه على حذر وسلطته دينية في الظاهر وله سلطة جزائية قضائية إلى حد ما. كان مؤلفاً من ٧٠ عضواً. بعد خراب القدس انتقل إلى طبريا في القرن الأول. ثم كافتحه دولة الروم الشرقية بدورها. فصار يظهر ويختفى، ثم انقلب إلى مستودعات الأسرار اليهودية، وهو ينبوع جرت مياهه إلى التلمود. فالسندرين، وأصل الكلمة يوناني لا عبراني، من الروافد التي تصب في التلمود، وهو أسبق وجوداً من التلمود بقرون إلى ثلاثة. وقد مر ذكره في هذا الجزء في باب «التوراة وأسفار العهد القديم».

(٣) موسى بن ميمون وكنيته أبو عمران، طبيب في الصناعة وفي الفلسفة أحد تلامذة الفيلسوف العربي ابن رشد في الأندلس. وموسى بن ميمون معروف عند العرب من هذه الناحية، فهو من اليهود الذين ظهروا في حمى الدولة المربية الأندلسية. وكان مقامه قرطبة، فلما وقعت أحداث انتقال من دولة عربية إلى دولة عربية أخرى، فارق قرطبة وجاء أولاً المغرب ثم انتهت به الرحلة إلى مصر أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولقى موسى بن ميمون كل نعمة من صلاح الدين، فاتخذه طبيبه الخاص. والناحية الفكرية الأدبية الفلسفية الظاهرة، هي الناحية التي يعرف بها العرب موسى بن ميمون. غير أن موسى بن ميمون كان «قبالياً» تلمودياً مغالياً، فهو حلقة من السلسلة التي نتاولها في هذا الكتاب بيجاز لنصل بكل هذا إلى أن غاية الغايات في النهاية كان وضع «بروتوكولات حكماء صهيون» أواخر القرن قبل الماضي. ومدار هذا الكتاب الكشف عن الحقائق الرهيبة التي تتطوى عليها البروتوكولات. موسى بن ميمون هو صاحب كتاب «دلالة الحائرين» وضعه بالمعبرية وانتحى فيه منتحى قبالياً فاستخدم الحروف المعبرية ليخفى ما يود إخفاؤه، فيطلع على ذلك بنو قومه لا غيرهم من المسلمين والنصارى. ومرمى «دلالة الحائرين» من الناحية الفلسفية، أن لا تناقض بين العقل والوحي، أو بين أرسطو والتوراة. وقد يكون موسى بن ميمون، وهو قبالي من الفلاة، أنه سار في الكتابة المعبرية بحروف عبرية على منهج استطاع به أن يقول لقومه اليهود ما لم يشأ قوله للقارئ العربي. غير أن كل هذه الأمور من القبالة وحكماء صهيون لم يكن العرب يحفلون بها في الماضي.

فى القرآن الكريم بالاستكار: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١). وقال الزمخشري فى تفسيره فى «الكشاف» إن القول بتأليه عزيز هو قول ناس من اليهود كانوا بالمدينة وما هو بقول كلهم، وذكر بعضهم كلام ابن مشكم، ونعمان بن أوفى وشاش بن قيس ومالك بن الصيف. فهؤلاء اليهود فى المدينة المنورة فى أوائل القرن السابع كانوا قائمين بالتحاليم التى وضعها عزيز، وكان قد مضى على موته نحو من ألف سنة. فتأمل قوة الانسياب فى الخلق اليهودى عبر التاريخ.

٤ - لم يخف على اليهود، بعد أن حلت بهم الجائحة وأمساوا فى السبى فى بابل، وهم الآن البقية الباقية، سبطان ونصف السبب من الاثنى عشر سبطاً، أن يفنوا ويضمحلوا كما فنيت واضمحلت الأسباب السابقة قبل الآن بنحو ١٢٦ سنة وتلك التى ذهبت هى مملكة السامرة على يد سرجون الأشورى فى الشمال، وهذه التى محققها نبوخذناصر وسبا أهلها إلى العراق هى المسماة بمملكة يهوذا، وقاعدتها أورشليم. قلنا إن هذا الخطر المحتمل، لم يخف تصويره على قادة اليهود فى السبى البابلى، وفى سبى مملكة إسرائيل قبل ١٢٦ سنة كان عدد اليهود الذين استاقهم سرجون إلى آشور ثم ابتلعهم الدواهى ٢٩٠، ٢٧ نفساً كما تقول «موسوعة تاريخ العالم»، فما أهون أن يلحق بأثرهم المسييون الجدد وهم أقل من أوئلك، ومدة ١٢٦ سنة، المدة الفاصلة بين السبيين، ليست بالطويلة، بل هى مدى حياة أحد المعمرين فى كل عصر، على ما هو المشاهد. فجعل قادة اليهود يتفكرون، وكان عزرا أحد هؤلاء الذين رأوا وجوب المحافظة على «العشرة الشريفة» التى هكذا وصفها نبيهم الصادق أرميا. فمثل عزرا دوره وكان دوراً عظيماً.

٥ - كان سند اليهود فى أورشليم: الدين والهيكل، والأول يمارس بطقوسه المختلفة فى الثانى. أما الآن فهم فى سبى بابل، والهيكل حوله نبوخذناصر إلى خرائب عفتة. فلم يبق إلا إحياء التوراة والتمسك بها وهذا ما نهض به عزرا ووفق فيه ومن هنا رفعوه إلى مقام الألوهية وقالوا إن التوراة لو لم تنزل على موسى لنزلت عليه.

٦ - كانت لدى اليهود حتى يوم السبى النبوخذناصرى، بعض كتابات أنبيائهم وصحف الزبور، فجعل عزرا يجمع هذا ويحول التراث المتناقل عندهم بالروايات التى دائماً تقبل المزيد والنقص، إلى مجموعات مدونة، وينظم ذلك ويقول لهم: أن رمتم العودة إلى أورشليم فاعتصموا بالتوراة، وهذه هى توراتكم.

٧ - ينسب إلى عزرا إنشاء «الكليس»، وهذا بدأه فى بابل. وهذا ما صنعه عزرا.



٨ - صارت الدروس والعظات تعطى في الكتيب. ومن الكتيب انبثق السنهدين بعد العودة.

٩ - وعلى الجملة يصور هذا كله هكذا:

في اورشليم حتى السبي البابلي: الدين أو التوراة في الهيكل.

في بابل: ١ - جمع الأسفار ولم تكن مجموعة من قبل، وجمع التقاليد الشفوية.

٢ - تهيئة الجيل الجديد للعودة. في اورشليم:

٣ - العودة على نويتين الأولى بقيادة زريابل والثانية بقيادة عزرا.

٤ - بعد العودة، الكتيب إلى جانب الهيكل.

٥ - وسيطرت على الجماعة هيئة عليا أو مجلس أعلى اسمه السنهدين والمنهدين مستودع أسرار.

٦ - قبل المسيح بنحو قرن كان الجو قد تهيأ لدفق جديد فظهرت طلائع ما عرف بعدئذ بالتلمود وهو كما زعموا الشريعة الشفوية التي تركها موسى إلى جانب التوراة. ومن التلمود القبالة ومن القبالة حكماء صهيون.

١٠ - ورأى عزرا أن اختلاط اليهود بغيرهم من الأقوام في السبي مدعاة إلى توهين الروح اليهودية ورباطتها، وهذا التوهين يفل من العزم على العودة، فحرم عليهم الاختلاط بسواهم في زواج أو قرى أو مصاهرة، ودعاهم للتسمى بأسماء كلدانية مع الاحتفاظ بأسمائهم العبرية. على نحو ما رأينا في قصة استير، فهذا هو اسمها الفارسي أو الكلداني، أما اسمها في العبرية فهو «هدسة»، أي الكوكب أو النجم.

١١ - أما شريعة موسى، فبعد ظهور التلمود الممثل للشريعة الشفوية، أصبحت أثراً مقدساً لا أكثر، وسارت الفرائب والخيال القبالي بالتلمود إلى أقصى الحدود. فانهم إذا كانوا إلى أيام مؤرخهم يوسيفوس<sup>(١)</sup> لا يجراون على تغيير التوراة التي كانت بأيديهم، إلا ما نالوه بالتحريف، ففى التلمود وجدوا أوسع مجال وأخصب تربة، والسند هنا لا كتابى بل رواية معزوة عزواً، ولما شرعوا في هذا كان قد انقضى على وفاة موسى لا أقل من ١٢ قرناً، فتأمل وقال لهم عزرا: لا سبيل لكم إلى العودة إلا إذا تمسكتم بشريعتكم وتراثكم وتقاليديكم وكل ما يتألف منه ماضيكم، ولو تعرضتم للمهالك والنار والعذاب. وراحت هذه الروح تمتلج في صدورهم حتى اليوم. وانظر في قول كاتبهم الروائي «زنكويل» رفيق هرتزل ثم افترق عنه سنة ١٩٠٣:

(١) يوسيفوس المؤرخ كتب له أن يشهد تخريب الرومان لأورشليم والهيكل نحو سنة ٧٠ ب.م وهو أرخ هذا التخريب، وكتب تاريخه مشهور وهو يقول أن التوراة إلى زمنه كانت ٢٢ سفرأ لا أكثر، وفي عصر يوسيفوس من بدئ بوضع نسج التلمود ومات يوسيفوس سنة ١٠٠ ب.م وعاش نحو ٦٣ سنة وقد مر ذكره.

«إن التاريخ، وهو في معظمه ذوبان الاقليات في الأكتريات، لم يسجل بين دفتيه أن شعباً ما، كتب له البقاء بعد أن غمرته النكبات، إلا إذا كان طريق بقائه واحداً من اثنين: فإما التحصن بمكان حريز من الأرض وإما الاعتصام بدين في الصدور يستبرد في سبيل الحفاظ عليه لهب النار».

١٢ - وقال عزرا بضرورة الدين اليهودي لا لكي يتميزوا به دائماً عن الوثنيين وكفى، بل لكي يذكرهم بأنهم ينتمون إلى عرق يهودي ودين يهودي. فصارت حياة اليهودي في السبي تتطبع بالطابع اليهودية «العزراوية»، وكان عزرا دقيقاً في اتباع السنن اليهودية وتطبيقها في بيته ليكون قدوة للآخرين، أو ليجمع من مسلكه ونظام معيشتة مسمىاً يتسمى به كل يهودي في السبي.

١٣ - بهذه الطرائق صارت التوراة بعدئذ بنوعيها: المكتوب المدون والشفوي المتناقل، تتسلط على يهود السبي. والشفوي المتناقل تهيأ ليكون أساس المادة التلمودية.

١٤ - جاء في سفر عزرا (ص ٧: ١٠): «لأن عزرا هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء»، ولكي تمهد الطريق من الآن فصاعداً للرييين حتى يجمعوا مع الفلو وشارد الخيال فقد قالوا: تلقى موسى التوراة في سيناء، وأعطاهما إلى يشوع، ويشوع أعطاهما إلى الشيوخ (وهم الذين يطلق عليهم في التوراة اسم «القضاة»<sup>(١)</sup>) ومدتهم نحو ٤٠٠ سنة والشيوخ أعطوها إلى الأنبياء، والأنبياء أعطوها إلى رجال الكنيس ومن الكنيس جاء السنهدين وقد مر الكلام عليه.

١٥ - لما تغلبت دولة الفرس على دولة الكلدان البابلية التي منها نبوخذ ناصر، كان اليهود قد لاذو بكل مكيدة ليكونوا عيون الفرس على الكلدان، كشأنهم المعهود فيهم في كل دور يقع فيه انتقال الأمر والسلطان من دولة إلى دولة، فإذا كانوا من رعية الدولة التي ستزول، انبعضوا بطرائقهم ووسائل نسايمهم في التقرب من الدولة المتوقع لها الغلبة فيكونوا أعوانها وعيونها ومن آلتها في ضرب الدولة التي هم من رعاياها، وهكذا فعلوا مع الفرس، ثم بعد زهاء قرنين رأوا الإسكندر فراحوا يتقربون منه قبل وصوله إلى بيت المقدس، ثم رأوا خلفاء الإسكندر والرومان وجميع هؤلاء كانوا يقتلون اليهود قتل الأفاعي، ولما فتح العرب جوانب العالم ومراكز حضارته القديمة وأفريقيا والأندلس، كان اليهود يجرون في تقديم عون العيون إلى العرب الفاتحين ولا سيما عند فتح اسبانيا على نحو ما صنعوا مع الفرس لما غزا هؤلاء بابل. وآخر ما شهد العالم من هذه الجيلة اليهودية في العصر الحديث انبثايمهم في أجهزة الدولة العثمانية لما أنسوا أنها تتداعى للتفكك، وأمسكوا الخيوط مع رجال الدولة نفسها، ومع ألمانيا على يد الامبراطور غليوم، ومع بريطانيا، حتى إذا وجدوا رياحه تهب مع الغالب تعلقوا به. ولما توغلوا في أجهزة الدولة العثمانية كان حكماء صهيون، قد نظموا أوضاعهم الحديثة

(١) القضاة أو الشيوخ خمسة عشر عهدهم بعد عهد يشوع ويشوع بعد موسى منهم شمشون وآخرهم صموئيل النبي الذي على يده انشئت الملكة وبدأت بشاول ثم داود ثم سليمان ثم انقسمت المملكة إلى «يهودا» و«إسرائيل».

على دستور البروتوكولات، ليفزوا فلسطين عند أول ضربة قاصمة تحل بالدولة.  
١٦ - وفي اورشليم جمعهم عزرا في الهيكل الذي ما جدد بناؤه على يد الفرس إلا ليخرب بعد عدة قرون على يد الرومان، وقرأ عزرا على الجميع أسفار الشريعة التي جمعها في العراق، وأخذ عليهم العهد إلا يختلطوا بسواهم. قيل أنه عاش ١٢٠ سنة، واختلف في مكان مماته. وسفره في التوراة (مع سفر نحemia واستير) آخر الكتب التاريخية المتعلقة بالعهد القديم ومن الغلو فيه فقد نسبوا إليه إنه هو مجدد عسقلان في فلسطين، وعسقلان كانت تعرف أيام عزرا «بنى براق» وتجديد عسقلان على يد عزرا من الأسطورة والخيال.

\* \* \*

### (٣) نحemia

هو من الأنبياء الكبار كما تقدم. أبوه اسمه حلقيا ونحemia وعزرا فرسا رهان في حلبة العودة، وإعادة بناء الهيكل مع أسوار المدينة، وبوتقة اليهود في قالب انتهى إلى الصيغة التلمودية فيما بعد. ولا يعرف ما صنعه الواحد منهما إلا بمعرفة ما صنعه الآخر أيضاً، لأن أوضاع اليهود لا يصح الحكم عليها من ظواهرها، فهي ذات ناحية باطنية مستورة. كما أن حزقيال ودانيال ومردخاي واستير نراهم جميعاً يقومون بأدوارهم في بلاط ملوك الفرس بعد زهاب الدولة البابلية، كذلك نرى هذين الاثني، عزرا ونحemia، كتوأمين برأس واحد، في اورشليم، ثم التردد بين اورشليم والعراق لمتابعة المهمة، وهي أن يعود أهل السبي إلى اورشليم. وقد علمنا ما صنعه نحemia، وهما في سبيل واحد، وجميعهم في بابل وأورشليم أشبه بالجدوع تمتص من البذور، وإذا كانت الجدوع مرئية فوق الأرض، فالجدور الممددة بالفذاء مخفية تحت الأرض في طبقات التربة. وفي التوراة سفر نحemia يرد بعد سفر عزرا مباشرة، وقيل إن هذين السفرين كانا بالأصل واحداً، وبمدهما سفر استير.

وسفر نحemia أخباره بعد التمحيص ذات قيمة كبيرة إذ تمكننا من أن نقف على كيفية العودة، وهي الرواية ذات الحلقات المترابطة، فبوقوفنا على أخبار عزرا ونحemia، نستطيع أن نخرج بصورة مجملة لهذه المرحلة من تاريخ اليهود، وهذه المرحلة اشتملت على منابت التلمود وجرثومة القبالة. أما من وجهة النظر العربية فعلى قدر ما نحن به معنيون في هذا الكتاب المتعلق بكشف الستار عن مخطط حكماء صهيون فإننا نرى في سفر نحemia خبر المقاومة العنيفة التي قام بها سنبلاط الحوروني<sup>(١)</sup>، وطوبيا العبد العموني، وجشم العري، لمنع نحemia

(١) هو زعيم اليهود السامريين الذين انشقوا عن يهوذا وبنيامين ورفضوا كل ما زيد في التوراة على الكتب الخمسة لموسى أو المنسوبة إليه وقيمتهم في نابلس إلى هذا اليوم يوم تأليف الكتاب وهم حوالي ١٥٠ نفساً.

من إعادة بناء الهيكل والسور وسيأتي الكلام على ذلك في محله من هذا الكتاب.

١ - أول ما يعلمنا به نحميا أنه كان ساقياً للملك ارتحششتا الفارسي، وهذا منصب رفيع، وهو أحد المناصب العديدة التي وصل إليها اليهود في البلاط الفارسي في مدة قليلة، وهذا مما يسترعى الانتباه، ووثبات اليهود، وهم غرياء، إلى أعلى مناصب الدولة، لم يكن شيئاً عارضاً عابراً، ولا وليد المصادفات، بل نتيجة مخطط محكم: أن يحفظوا سلامتهم وكيانهم فلا ينقرضون كما انقرضت الأسباب السابقة في السبي الأول للمملكة الشمالية، إسرائيل. وبين السبيين ١٢٥ (١) سنة.

٢ - وبينما يقوم نحميا بعمله في بابل، جاءه جماعة من إخوانه قادمين من اورشليم فسألهم عن حالهم وحال إخوانهم فقالوا إنها غاية في البؤس والشقاء، وظاهر أن هؤلاء الجماعة هم من ضعفة اليهود الذين تخلفوا في المدينة وبعض القرى. فارتعض نحميا، وراح يبكي ويصلى ويصوم، وخاطب ربه «أذكر الكلام الذي أمرت به موسى عبدك قائلاً إن خنتم فإنني أفرقكم في الشعوب، وإن رجعتم إلى وحفظتم وصاياي وعملتوها، إن كان المنفيون منكم في أقصاء السموات فمن هناك أجمعهم وآتى بهم إلى المكان الذي اخترت لإسكان اسمي فيه، (سفر نحميا الإصحاح الأول).

٣ - وبعد مدة قليلة، أسابيع أو أشهر، كان نحميا يسقى الملك وهو أي نحميا مكمّد الوجه خلافاً لمادته، فسأله الملك فقال: «ليحمي الملك إلى الأبد، كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر آبائي خراب، ولبوابها قد أكلتها النار. فقال لي الملك وماذا طالب أنت؟ فصليت إلى إله السماء وقتلت للملك إذا سرّ الملك وإذا أحسن عبدك أمامك ترسلني إلى يهوذا إلى مدينة قبور آبائي فأبنيها، فقال لي الملك والملكة جالسة بجانبه - تماماً كما في قصة هامان واستير واحشويروش - إلى متى يكون سفرك ومتى ترجع، فحمن لدى الملك، وأرسلني، فعينت له زماناً. وقتلت للملك أن أحسن عند الملك فلتعط لي رسائل إلى ولاة عبر النهر لكي يجيزوني حتى أصل إلى يهوذا، ورسالة إلى آساف حارس فردوس الملك لكي يعطيني أخشاباً لسقف أبواب القصر الذي للبيت لسور المدينة وللبيت الذي أدخل إليه، فأعطاني الملك حسب يد إلهي الصالحة على (ارميا الإصحاح: ٢).

٤ - ليس عجباً أن نحميا ينال طلبته كلها عفواً؟ الإذن بالسفر وتسهيل أسباب السفر، والأخشاب ومواد البناء؟ من كان وراء نحميا؟ أنه قد نال أكثر من ذلك، فلنسمعه يتمم:

(١) يقول المؤلف «هالي، صاحب كتاب «التوراة المختصرة المشروحة».

في ٧٢١ ق. م كان سبي مملكة إسرائيل. في ٦٠٦ ق. م كان سبي مملكة يهوذا في ٥٢٦ العودة من السبي.

فأتيت إلى ولاية عبر النهر وأعطيتهم رسائل الملك وأرسل معي الملك رؤساء جيش وفرساناً «المصدر السابق».

٥ - ثم ينتقل نحميا فوراً بعد عبارته المتقدمة ليخبرنا بظهور المعارضة له بعيد وصوله إلى اورشليم. وهنا هو اكتفى، أو اكتفى جامع السفر، بمجرد الخبر عن هذه المعارضة. لكننا نسمع تفصيلاً فيما بعد. وجال في اورشليم الخرية ثلاثة أيام، ومعه حرسه، ويقول إنه لم يطلع أحداً على المخطط الذي في ذهنه وصدره. جال في المدينة البالية جولة متكررة ركباً بهيمته. لم يخبر الولاة عن جولاته هذه، ولا أحداً من اليهود. ثم لما فرغ من جولانه جمع وجوه الحكومة - المرزيان فارسي طبعاً، ووجوه اليهود، وبسط لهم غايته، وأبرز لهم الرسائل التي في جيبه. لكن سرعان ما هبت مقاومة سنبلاط، وطوبيا العبد العموني، وجشم العري، وهذه كلمات نحميا: -

«هزأوا بنا واحتقرونا، وقالوا ما هذا الأمر الذي أنتم عاملون؟ أعلى الملك تتمردون؟  
«المصدر السابق».

٦ - ثم يذكر لنا كيف اشترك اليهود في عمل البناء، فيذكر نوع العمل ومقداره وأسماء من قام بذلك. وتم ارتفاع السور إلى نصفه.

٧ - ثم يعود نحميا إلى ذكر المقاومة وقد بلغت أشدها، فتكلم سنبلاط أمام إخوته وجيش السامرة وقال: «ماذا يحمل اليهود الضعفاء؟ هل يتركونهم؟ هل يذبحون؟ هل يكملون في يوم؟ هل يخيون الحجارة من كوم التراب وهي محروقة؟ (نحميا الإصحاح ٤) وقال نحميا «وكان طوبيا العموني بجانبه فقال أن ما بينونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم  
«المصدر نفسه».

٨ - ثم استمر نحميا يخبرنا عن حركة المقاومة وقد انضم إليها آخرون فقال: «ولما سمع سنبلاط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشوديون أن أسوار اورشليم قد رفعت والثغر ابتدأت تسد، غضبوا جداً وتآمروا جميعهم معاً أن يأتوا ويحاربون اورشليم ويعملوا بها ضرراً». ولما علم نحميا بالاستنفار تهيأ هو واستعد. السحر والقوة في الرسائل التي حملها في جيبه من ارتحششتا. «كقصاصة» وعد بلفور. ثم قال نحميا إن الأعداء لما بلغهم استعدادنا توقعوا عن الهجوم.

٩ - وكانت المجاعة قد أيست عروق اليهود، وأكل بعضهم بعضاً بالريا. يتدانيون ليققاتوا بالضرورة. بناتهم عبادات. رجالهم عبيد. فحثهم نحمياً على إسقاط الريا ليمشوا. وأسعفهم بالقمح والزيت. وجمع الكهنة واستحلفهم أن يسهروا على هذا.

١٠ - وهنا السر: أن نحميا لما جاء من بلاط ارتحششتا ليبنى مدينة قبور أجداده، وهوى الضعفة، كانت له صفة الوالى الرسمى من قبل الملك، هو الآن يمثل الملك ارتحششتا، تماماً كما جاء هيربرت سموتيل اليهودى الصهيونى المندوب السامى الأول على فلسطين أول

تموز ١٩٢٠ إلى بيت المقدس، ممثلاً «لصاحب الجلالة البريطانية»، هذا في الظاهر، وفي الواقع كان من ورائه «حكماء صهيون» الذين بقوتهم الخفية نالوا وعد بلفور كما شاءوا وخططوا، وشاموا أيضاً في الوقت نفسه أن يختاروا هيرت صموئيل ليكون «أمير إسرائيل الأول».

١١ - إن السنة التي جاء فيها نحميا بهذه المهمة، كانت، كما يقول بعض الكتاب سنة ٤٤٥ ق.م. وبقي والياً على اليهودية ١٢ سنة، وعاد إلى بابل سنة ٤٢٢ ق.م. وبعد مئة سنة تقريباً ظهر الإسكندر فتغيرت الدواليب كلها في الشرق الأوسط كله.

١٢ - وكانت مائدة نحميا، كما يقول هو في سفره، أو كما يقال في سفره عن لسانه، يجلس إليها مئة وخمسون من الولاة وأفراد اليهود فضلاً عن الطائرتين: «وكان ما يعمل ليوم واحد، ثوراً وستة خراف مختارة، أما طعام نحميا خاصة: فقال: «وكان يعمل لى طيور، وفي كل عشرة أيام كل نوع من الخمر بكثرة».

١٣ - ثم عاد نحميا إلى ذكر المقاومة «سنبلاط وطوبيا وجشم العري وبقية أعدائنا». ولما لم يبق إلا مصاريع الأبواب أرسل إلى سنبلاط وجشم قائلين: «هلم نجتمع معاً في القرى في بقعة أونو<sup>(١)</sup>. وكانا يفكران أن يعملوا بي شراً، فأرسلت إليهما رسلاً قائلاً إنى أنا عامل عملاً عظيماً فلا أقدر أن أنزل... وأرسلنا إلى يمثل هذا الكلام أربع مرات، وجاوبتهما بمثل هذا الجواب. فأرسل إلى سنبلاط بمثل هذا الكلام مرة خامسة مع غلامه برسالة منشورة بيده مكتوب فيها: قد سمع بين الأمم، وجشم يقول، إنك أنت واليهود تفكرون أن تتمردوا، لذلك أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً حسب هذه الأمور. وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في اورشليم قائلين في يهوذا ملك. والآن يخبر الملك (ملك فارس) بهذا الكلام. فهل الآن نتشاور معاً فأرسلت إليه لا يكون مثل هذا الكلام الذي تقوله أنت، بل إنما أنت مختلقه من قلبك».

١٤ - أن قول سنبلاط زعيم السامريين من أن نحميا أقام أيضاً أنبياء لينادوا به في اورشليم، يفيد بوضوح نوع هؤلاء الأنبياء الذين هم أشبه بالأنصار الذين في مواسم الانتخابات النيابية في أيامنا هذه يروجون بالدعاية في الشعب أمر فلان، فهم أدوات للاستغلال السياسي.

١٥ - وبلغ نحميا عن لسان نوعديه «النبية» أنه سيقتل وقال أن شمعيان بن دلایا مستأجر من قبل سنبلاط وطوبيا وهذا حرك النبية. فانظر وظيفة هذه النبية ومهمتها (راجع الفقرة السابقة).

١٦ - ثم رأى نحميا أن يحصى المائدين من السبى، سبى نبوخذناصر، وعُادوا في القافلة الأولى مع زبابل وفي القافلة الثانية مع عزرا، فكانوا، حسب أرقام التوراة، أربع مئة ألف بل أكثر قليلاً. وعلى ذكر أرقام التوراة في التعداد والإحصاء نقول إن داود بوقته أراد إجراء إحصاء عام فكان في إسرائيل الشمال التسعة الأسباط ونصف السبط فكان عددهم

(١) اسم قرية لاتزال إلى اليوم في قضاء الرملة واسمها «كزمانة».

٨٠٠ ألف وفي يهوذا الجنوب السبطان ونصف السبط فكان عددهم ٥٠٠ ألف (٢ صموئيل ٢٤: ٩) وبقي في العراق عدد ضخم من أهل السبى لم يعودوا إلى اورشليم، وشأن هؤلاء في إيثارهم نعمة البقاء في العراق، كشأن يهود أميركا وغربي أوروبا اليوم، وموقفهم من الانتقال إلى إسرائيل، فهؤلاء وهم من حيث العدد الكثرة البالغة من اليهود جميعاً لا يتركون مواطنهم الأميركية الأوروبية ويأتون إلى إسرائيل، وإنهم لن يأتوا، ولن تستطيع إسرائيل بعد اليوم تحقيق أسطورة جلب الملايين.

١٧ - واجتمعوا في الساحة، نحemia الوالى (المنسوب السامى) ولقبه الرسمى الترشاتا، وعزرا الكاتب الكاهن، والكهنة، والشعب، وضع منبر لعزرا فارتقاها وقرأ عليهم ما قرأ، وأخذ عليهم العهد (كما جاء في الكلام على عزرا وقد تقدم).

١٨ - وطلب عزرا أن ينفصل اليهود عن الأمم، وإن تفسخ الزيجات، وخطب خطبة تاريخية من أول قصة إبراهيم ذلك اليوم. «وعصوا وتمردوا عليك، وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم، وقتلوا أنبياءك الذين شهدوا عليهم ليردوا إليك وعملوا اهانة عظيمة».

١٩ - وطلب عزرا ألا يعمل شئ في البيت، ورأى في السوق معاملات أخذ وعطاء فأبطلها.

٢٠ - وأسكن العشر من الجماعة في اورشليم والتسعة الأعشار الأخرى خارج المدينة في القرى والأرياف.

٢١ - وانتهى العمل في ترميم السور في ٥٢ يوماً آخرها ٢٥ أيلول. (نحميا ٦).

٢٢ - والتشديد في الانفصال عن سائر الأقوام المجاورة جاء في ختام ما صنعه نحemia، وتناول هذا التشديد العمونيين والمؤابيين في شرق الأردن، ومع فسخ الزيجات تمت حلقة الانفصال. ووجد أن نساء أشدوديات (أشدود من المدن الخمس التي أنشأها الفلسطينيون في جنوبى فلسطين، وعجز بنو إسرائيل عن أخذها، واليوم هي قرية بين يافا وغزة، والشين تحولت إلى سين فيقال أسدود أو سدود) وعمونيات ومؤابيات رجالهم يهود لا يتقنون العبرية، فخاصمهم نحemia ولعنهم وجلد بعضهم وبتف شعورهم، وقال لقومه: إن سليمان ما جره إلى الخطيئة إلا تزوجه النساء الأجنبية، فهل نسمح لكم ونسكت أن تعملوا هذا الشر العظيم؟ (سفر نحemia وعزرا).

٢٣ - إلى هنا انتهى الخبر المأخوذ من سفر نحemia لكننا نعلم من مواضع أخرى أن نحemia بعد أن قضى في المرزانية - الولاية - ١٢ سنة عاد إلى بابل، وفي غيابه عاد اليهود فانتكسوا وارتكسوا، فرجع نحemia إلى اورشليم ومكث هذه المرة ١٤ سنة. ويقال إنه عاد إلى بابل سنة ٤١٣، قبل ظهور الإسكندر بثمانين سنة.

٢٤ - ولما طلع الإسكندر، طلع على فارس أولاً فمزقها، ولما اتجه إلى فلسطين ودنا من

اورشليم، خرج اليهود بأفخر البستهم يحسنون استقباله، ولما تقاسم خلفاء الإسكندر ملكه، دخلت اورشليم في عراق رهيب مع السلوقيين في سوريا، وتالت الأيام السود على اليهود ٣٠ سنة فظهرت في اليهود الحركة «المكابية» (١٦٨ - ٦٣ ق.م) ثم جاءتهم روما المدرخة (١٦٣ ق.م - ٣٩٥ م) ثم دولة الروم الشرقية (٣٩٥ - ٦٣٨ م) ثم الفتح العربي ٦٣٨ م.

## (٤) دانيال

١ - لما سبى دانيال من جملة السبى النبيوخذناصري، كان طفلاً لم يبلغ الخامسة بعد. يقول السفر الذى جمع باسمه أنه هو مع ثلاثة آخرين من أبناء السبى، وقع عليهم الاختيار ليكونوا «الشباب الناضر، مع حكمة ومعرفة»، في قصر الملك نبوخذناصر الكلدانى. وأجريت عليهم الأرزاق من القصر «من طعام الملك ومن خمر شرابه»، على أن يربوا هذه التربية مدة ثلاث سنوات ثم بعدها يقفون أمام الملك، إذ يكونون قد تدربروا على كل أمر ورسم وعادة، ولاسيما تعلم اللغة الكلدانية وهى لغة القصر. وتفصيل هذا في الفصل الأول من السفر. وتمكن اليهود من الوصول إلى القصور صناعة دقيقة أتقنوها من أول الأمر في تاريخهم كله، ولا فرق بين الزمن القديم والحديث في اعتمادهم على الصلات الدقيقة التى ينسجون خيوطها في القصور، وحول القصور، ثم يترتب على هذه الخيوط فيما بعد نتائج كبيرة يرمى إليها اليهود، وعند ذلك تتغير مفترقات طرقهم، فإما أن يفوزوا ويحققوا المراد، وإما أن يخذلوا ولا يلقون إلا الفضل والبوار.

٢ - هؤلاء الأربعة من شباب السبى هم دانيال، وحننيا، وميشائيل وعزريا. ويقول السفر أن الملك الكلدانى أمر بهذا على أن يكون الشباب المختارون «من بنى إسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء» - الترجمة الأميركية - أو «من بنى إسرائيل ومن النسل الملكى ومن الأمراء» - الترجمة اليسوعية. ويستفاد من السفر أن هذا الاختيار لعدد من الشباب لم يكن مقصوراً على هؤلاء الأربعة من بنى السبى، بل كان هناك آخرون أيضاً غير يهود، يختارون ويخرجون ليكونوا في خدمة الملك.

٣ - ولعل هذا الأمر في اختيار عدد من الشباب للخدمة الملكية في القصر، كانت عادة توافق رغبات الملوك، وفي رعاياهم بضاعات مختلفة من الشبان والشابات. ومثل هذا نرى في قصة استير، لما أحب احشويروش الفارسى، عملاً بنصيحة الناصحين له، وكان فيهم يهود، أن يتخلى عن زوجته الملكة الجميلة «وشتى»، لأنها لم تنزل على أمره الذى أمرها به، وهو أن تبرز في أحلى زينتها في يوم الوليمة الكبرى ليسر الناس باجتلاء محاسنها والنظر إلى فتنة جمالها.



وقال الناصحون للملك إن في مملكتك التي تتنظم فيها ١٢٧ ولاية فتيات باهرات، فاجمع منهن عدداً ثم سمّن أجسامهن بأطايب الأطعمة مدة من الزمن ثم اختر منهن من تشاء. ومن هنا دخلت استير في المباراة، وفازت وأصبحت الملكة محل «وشتى» المسكينة.

٤ - وقصة دانيال ورفقته الثلاثة لا تعطينا أى تفصيل واف لكيفية وصول دانيال وإخوانه إلى القصر سوى أن اختيارهم كان بأمر الملك، ثم تجرى القصة بعد ذلك مجرى يشبه ما فى قصة استير ونحميا وعزرا. وكان السحر والتنجيم عند الكلدان من أهم وسيلة تفتقها الحيلة أو العقل، للنظر فى الخفايا، وكشف المحجوب، وتفسير الرؤى والأحلام، وكل ما يتصل بهؤاجس النفس. وما كان عند بنى إسرائيل قبل السبى من جنس هذه الوسيلة التي تشبه السحر والتنجيم، كان شيئاً آخر: الأنبياء على درجاتهم الثلاث - الكبار المتصلون بالملوك وتياراتهم، و «الأواسط» وهم الذين يقال للواحد منهم «الرائى»، وهو دون النبى المعترف به، ثم الطبقة الثالثة هم الكذبة وكانوا يعدون بالملئات. والأواسط كانوا آلات الترويج لمآرب أشخاص أو ملوك أو تنفيذ الاتجاهات السياسية أو المختصة بحركة ما يؤازرها نبى أو زعيم. وهؤلاء كما قلنا سابقاً أشبه الناس بالذين نراهم فى يومنا هذا يعملون فى ترويج المرشح للنيابة، فيدعون الناس إليه وإلى انتخابه ويقولون فيه من أقوال الثناء والإطنا ب ما جاوز الحد. وكل فريق من هؤلاء المروجين فى المضمار، يقابلهم فريق آخر متعلق بمرشح آخر هو ند الأول أو ضده، وكم تصور الحسنات سيئات، والسيئات حسنات فى بعض المنافسة للفوز بصوت «الناخب» يقابل هؤلاء جميعاً فى بلاط نبوخذناصر ما يطلق عليهم اسم السحرة والمنجمين، وهؤلاء كانوا فى كل قصر وصول ملك. وهم «أجهزة الاعلام» فى أيامنا هذه.

٥ - بدأ دانيال أول ما بدأ فى القصر هو ورفقته، أن يظهر «يهوديته» وذلك عن طريق رفض الأطعمة المجرأة عليه من القصر. قال السفر: «أما دانيال فجعل فى قلبه ألا يتجسس بأطايب الملك وخمر شرابه» فطلب من رئيس الخصيان أن يعفى هو ورفقته من طعام القصر وشرابه وأن يكون لهم بديل ذلك حبوب القطنى (كالعدس والحمص والماش والفل)، فأجاب رئيس الخصيان أنه يخشى إذا هو لبى هذا الطلب ألا تصح أجسامهم فتغدو «أنحل من الفتيات أترابكم» - (الترجمة اليسوعية) أو «أهزل من الفتيات الذين من جيلكم» - (الترجمة الأميركية). فيتمرض رئيس الخصيان لغضب الملك وقد يذهب رأسه. وهذه العبارة بالانكليزية هي:

For why should he (the King) see your faces liking than the children which are of your sort.

ويستفاد من هذا كله أن رئيس الخصيان بعبارته هذه يشير إلى «أترابكم» أو إلى «الذين من جيلكم» وهو يعنى آخرين فى القصر هم زملاء وأمثال لدانيال ورفقته قد اختيروا بأمر

الملك - واستطردنا إلى هذا لكي نخلص منه للترجيح أن دانيال مع كونه هو ورفقته من شباب بنى السبي قد اختيروا بأمر الملك، فبقي هناك - سر كبير من أسرار العمل اليهودي الخفى، وهو استطاعة دانيال ورفقته أن يصلوا إلى القصر. فبسبب هذا يبقى غامضاً علينا، وهذا «السِر» يبقى من أمضى الأسلحة التي يستخدمها اليهود في قضاء مآربهم وتنفيذ مخططاتهم التي لها مظاهر وخوافٍ كما هو المشاهد في كل عصر من عصور تاريخهم. وما الأوضاع الخفية «للقبالة»، في هذا العصر الذي نعيشه اليوم، سوى امتداد لهذا «السِر» الرهيب.

أما وجود شباب آخرين في القصر «يأكلون من طعام الملك» فهذا واضح من قول دانيال لرئيس الخصيان أن يسمح له بأكل القطناني عشرة أيام ثم ينظر إلى صحة أجسامهم بالمقابلة بينهم وبين «الفتيان يأكلون من طعام الملك» - الترجمة اليسوعية، أو «الفتيان الذين يأكلون من أطايب الملك» - الترجمة الأميركية. فنال دانيال طلبته، واستطاع أن يتميز هو ورفقته الثلاثة عن سواهم في القصر، وقد تحقق لهم هذا.

٦ - ومر بنا في الكلام على عزرا، في الفقرة (١٠) أن عزرا مما دعاهم إليه في السبي، أن يغيروا أسماءهم العبرية، ويحتفظوا بها، ويتخذوا أسماء كلدانية. ولهم مآرب في هذا. وهنا نرى تغيير أسماء دانيال ورفقته جرى هكذا، وكما يقول السفر، على يد رئيس الخصيان:

دانيال: صار اسمه بالكلدانية بلطشاصر

حننيا: صار اسمه بالكلدانية شدرخ

مشائيل: صار اسمه بالكلدانية ميشخ

عزريا: صار اسمه بالكلدانية عبد نفو(١)

٧ - ثم تبدأ فصول الرواية العملية من هنا: حلم نبوخذناصر حلماً مخيفاً، فاستدعى المجوس والسحرة والمرافون والكلدانيون ليفسروه له فعمجزوا، إذ أراد الملك أن يعرفوا الحلم بعبارته وتعبيره، دون أن يطلعهم على قصة الحلم. وهذا سر من أسرار القصة، إذ لا يعقل أن نبوخذناصر أراد من المنجمين والسحرة ومن في صفهم، أن يكشفوا له لا عن تأويل الحلم، بل عن صورة الحلم، فكانه بهذا يطلب منهم الاطلاع على الغيب، والغيب غيب، ماضياً كان أم مستقبلاً. ونرجح أن هذا من خيوط القصة السرية. وجاء دور دانيال فقال له الملك ما قاله

(١) هذا في الترجمة الأميركية، أما في الترجمة اليسوعية فهكذا:

دانيال = بلتصر

حننيا = شدرخ

ميشائيل = ميشخ

عزريا = عبد نجر

للآخرين، فطلب مهلة يمود بعدها بالتعبير الكافي: فذهب دانيال وأعلم رفقته، فقضوا ليلتهم يحتاجون كما يقول السفر، والتنافس بين دولتى اليونان وبابل على أشده، وقراءة ما فى الجو ليس بالأمر المغلق، وقلنا إن أنبياء إسرائيل بالأمس هم الذين يروجون «للسياسة» اليوم. وقد قامت القصور فزخرفتها أعشاش التجسس الخفى.

٨ - وجاء دانيال إلى نبوخذناصر وسرد له ما فى جعبته من تفسير مدروس متقن البداية والنهاية، والغاية والمرمى: لباب الحلم: تمثال ضخم رأسه من ذهب، ثم يكون سائر أجزائه من فضة ونحاس وحديد وخزف. ولا عبرة بما يقع للتمثال من مصير، فيتكسر. اختباط الأوضاع السياسية الدولية فى الشرق القريب، فارس واليونان ومصر وبابل، ما عدا الدول الصغرى، اختباط أترع قلب نبوخذناصر بالخواف والقلق، فتحرك عقله الباطن. فسر نبوخذناصر من دانيال، وقال السفر إنه سجد لدانيال، وأمر بإكرامه. لكن هناك ما هو أهم من كل هذا: وهو أن دانيال تمكن من أن يجعل نبوخذناصر يعتقد بصحة إله بنى إسرائيل. هنا بيت القصيد كله. وعبرة السفر هى هكذا: «حقاً إن إلهكم إله، ورب الملوك وكاشف الأسرار إذ استطعت على كشف هذا السر» (دانيال الفصل: ٢) وكان نبوخذناصر لما جمع المنجمين وطلب منهم أن يكشفوا له عن صورة الحلم فضلاً عن تأويله، هدهم بالإبادة إذا هم عجزوا عن ذلك. فقالوا له أما أن نستكشف صورة الحلم فهذا لا سبيل لنا إليه فالاطلاع على الغيب لا يكون إلا عند الآلهة، لا عند البشر. وهنا النقطة المركزية فى القصة: فلما علم دانيال بذلك كله، اتصل برئيس شرطة الملك، ارنوخ، وقال له لا يمضى الملك بالإبادة، وهذا الأمر لا يحله إلا رب السماء، فاذهب إلى الملك وقل له إنى أخبره صورة الحلم وتعبيره. فدعاه الملك ثم كانت الأجوبة من دانيال على ما أشبع نفس نبوخذناصر بالعقيدة أن دانيال إنما تلقى ذلك من ربه عن طريق الرؤيا.

٩ - صورة الحلم: رأى نبوخذناصر تمثالاً عظيماً هائلاً، رأسه من ذهب جيد، وصدوره وذرعه من فضة، ويطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد وخزف، وإذا بحجر ضخم يقطع من مكانه بغير يد قلمته، وينطلق هذا الحجر نحو التمثال فيصيبه فى قدميه فيسحقهما، وإذا بكل ما هو حديد ونحاس وفضة وخزف وذهب يمسى كعصافاة البيدر، وأما الحجر فينقلب جبلاً كبيراً وجعل يضخم حتى شغل الأرض كلها.

تعبيره: ١ - نبوخذناصر ملك ملوك، مؤيد من إله السموات.

٢ - رأس التمثال الذهب هو نبوخذناصر.

٢ - تقوم مملكة أخرى وثالثة من نحاس تتسلط على كل الأرض. ثم تكون مملكة رابعة

صلبة كالحديد، ثم مملكة من خزف وهذه تسحق وتقنى.

٤ - فى أيام الملوك هؤلاء، يقيم رب السماء مملكة لن تتقرض وتتسلط على الممالك كلها. وبعد أن وضع دانيال، صاحب الحلم على هذا الصعيد، تركه يهتدى بنفسه إلى المصير الذى يختاره.

١٠ - يقول السفر أن نبوخذناصر بعد أن سجد لدانيال، زاد فى إكرامه وسلطه على كل ولاية بابل وجعله رئيس الولاية على جميع حكماء بابل! وطلب دانيال من الملك أن يولى شدرخ وميشخ وعبد نفو على أعمال ولاية بابل، وكان دانيال فى باب الملك وبهذا أصبحت بابل فى قبضة دانيال! وبعد مدة أقيمت الدولة الفارسية فمحت الدولة الكلدانية، وهنا نرى عودة أهل السبى إلى أورشليم قد تمت على يد الدولة الفارسية، فتعلق اليهود بها، وكانت قصة استير.

١١ - ثم رأى بلشاصر، بن نبوخذناصر، حلماً غريباً على غرار حلم أبيه من قبل، وعجز العرافون عن تعبيره، فقالت الملكة للملك: عليك بدانيال. فلما حضر قال له الملك: «أنت هو دانيال من بنى سبى يهوذا الذى جلبه أبى الملك من يهوذا؟ قد سمعت عنك أن فىك روح الآلهة وأن فىك نيرة، وفطنة وحكمة فاضلة».

١٢ - غير أن هذا الحلم هذه المرة كان فى اليقظة، وأروع من سابقه: صنع الملك وليمة لعظماء المملكة، «وشرب خمرأ قدام الألف». ولما كان يحتسى كأسه، خطر له أن يحضر آنية الذهب والفضة التى أخرجها نبوخذناصر أبوه من الهيكل، ليشرب بها مع العظماء وزوجاته وسراريه. فأحضرت الآنية وشرب الخمر. وقد رأينا دانيال فى المرة الأولى لا يريد أن يتجسس بتناول طعام القصر الملكى، وكله حتماً أطايب، فأثر أن يعود إلى ما اعتاده من حبوب القطاني، فكيف يطبق الآن أن يرى آنية الذهب المخرجة نهياً من الهيكل، تستعمل فى بابل وتتجسس هذا التجسس؟

١٣ - ما أبرع هذه المفاجأة! فإذا بأصابع يد إنسان، تمتد وتكتب على الحائط، حائط القصر من داخل، والملك يباشصر ينظر طرف اليد الكاتبة. فأنحلّ وتموض، واصطكت ركبته، وصاح يستجد بالسحرة والمنجمين والعرافين، ولا يُستثنى الكلدانيون، ففشلوا جميعاً وعجزوا وخافوا مصير رؤوسهم. لكن لما جاء دور دانيال، وجاء على الوقت المناسب، «وعده الملك» أنه إن استطاع تفسير هذه الظاهرة الغريبة على الحائط، فما عدا لباس الأرجوان وقلادة الذهب، فإنه يصبح ثالث متسلط على المملكة.

وفى المرة الأولى جعل على مدينة بابل أم الدنيا فى عصرها، وجعل رئيس الحكماء جميعاً!

وفى المرة الثانية الآن، ثالث متسلط على المملكة! وأية مملكة هذه ليست هى بالأمس سبت يهوذا السبى المعلوم؟

١٤ - وهذا تفسير الكتابة الكلدانية التى ظهرت على الحائط:

١ - «أعطى الله أباك الملك والعظمة والجلال، يقتل من يشاء ويستحيى من يشاء، فلما قست روحه وتصلب قلبه انحط عن كرسي ملكه، وطُرد من بين الناس، وتساوى قلبه بالحيوان، وساكن الحُمُر الوحشية، حتى علم أن السلطان في مملكة الناس «الله العلى» (أى إله بنى إسرائيل) ٢ - وأنت يا بلشاصر ابنه فعلت مثله. بل تعظمت على رب السماء، فأحضرت قدامك آنية بيته وشريت بها أنت وعظماؤك وزوجاتك وسراريك.

٢ - «فاسمع» (ثم أورد السفر الكلام الكلدانى ثم تفسيره ونحن نكتفى بتفسيره) «أحصى الله ملكوتك وأنهاء. وُزنت بالموازين فوجدت ناقصاً قُسمت مملكتك وأُعطيتم لمدى وفارس». ١٥ - قال السفر إن فى تلك الليلة قتل بيلشاصر، فأخذ المملكة داريوس المادى (وهو ابن ٦٢ سنة).

١٦ - يقول بعض المؤرخين أنه يحتمل أن يكون اليهود قد أنشأوا العلاقة بينهم وبين داريوس، مظلمينه على أسرار قصر بيلشاصر قبل إخراج الأنية بوقت قليل. وفارس أرجعت اليهود إلى أورشليم بعد أن استولت على بابل.

١٧ - والقصة إلى مزيد: رأى داريوس كما يقول السفر، أن يولى على المملكة ١٢٠ مرزباناً أو والياً، إذ ملكه يمتد من الهند إلى الحبشة. وجعل على هؤلاء المرازبة ثلاثة وزراء مراقبين، وأحد الثلاثة دانيال. ومهمة الوزراء المراقبين ضبط المالية حتى لا يقع على خزانة الملك حيف. أصبح دانيال كأنه روتشيلد. وقال السفر أن دانيال فاق زميليه الوزيرين والمرازبة جميعاً فامسى الذروة، فنفسوا عليه زيادة الفضل فيه، فراحوا يطلبون علة للإيقاع به وزلزته فلم يجدوها فى مجال التبعات التى يمارسها فى الإدارة والتدبير وحسن الضبط للأمور. فقالوا نجدها من جهة شريعة إلهه. هنا مشهد يشبه نوعاً ما، ما كان بين هامان ومردخاى من حيث الصراع، فماذا فعلوا؟

١٨ - قالوا لداريوس: عش إلى الأبد أيها الملك! لقد أجمع الوزراء والمرازبة والمشيرون والولاة والشُحَن، بعد التشاور والمناقشة، على أن يصدر مرسوم ملكى يوجب على كل من يطلب طلبية حتى ٣٠ يوماً من إله وإنسان إلا منك يكون قد خالف شريعة مادى وفارس، فيجازى بأن يطرح فى جب الأسود. فصدر المرسوم.

١٩ - فلما علم دانيال بإمضاء المرسوم، كما علم مردخاى بتدبير هامان، ذهب إلى بيته، ونواذ عليته مفتوحة على جهة أورشليم، فصلى ثلاث مرات فى اليوم إلى إلهه، كما كان يفعل من قبل، فاجتمع من الرجال من شاهدوه يصلى صلاته اليهودية المعهودة، فتمنى الخبر إلى الملك، فطرح دانيال فى جب الأسود، ووضع حجر على فم الجب، وختم بخاتم الملك، وفى

الصباح ذهب الملك وناداه فوجده حياً، والأسود لم تقترب منه! وقال دانيال: إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود! ففرح الملك، وأمر بإخراجه، وأن يؤتى بالرجال الذين اشتكوا على دانيال، فطرحوا هم وأولادهم ونساؤهم في الجب، فما هووا حتى صاروا في أشداق الأسود. كمصرع هامان تماماً.

٢٠ - جاء الحصيد: ثم كتب داريوس إلى كل الشعوب والأمم في مملكته، بأن الإله الحي هو إله دانيال، صانع المعجائب، وهو الذي نجى دانيال من جب الأسود. قال السفر بعد هذا: «فنجح دانيال في ملك داريوس وفي ملك كورش الفارسي».

٢١ - وجاء الدور إلى دانيال نفسه، يحلم الأحلام، ويبلغ الملك معناها ومغزاها. وما معناها ومغزاها إلا علو دول وانخفاض دول، وكل حلم من أحلام دانيال يؤلف مسرحية برأسها، جميلة، دقيقة، محكمة. ثم تفنن في الأحلام وصار يكشف الستار عن معان للأرقام الحسابية، وهو الذي أتى بالمعاني «السبعية»، الأسبوع وسبعة أسابيع، وسبعين أسبوعاً. وبنيت على هذه النظرية فيما بعد أشياء ومعتقدات كثيرة عند كثير من الأمم وأصحاب المذاهب. ثم نراه في أحد مواقفه يستغنى عن الأحلام ويخاطب داريوس بلغة أخرى: خطبة سياسية مكشوفة تتناول إيران والاغريق، وقال إنه إنما فعل ذلك لكي يقوى داريوس ويشدده. ومن جهة أخرى صارت تفسيراته مكشوفة تشبه ما ينشره الفلكيون اليوم في مطلع العام الجديد، من تنبؤات في الصحف والمجلات الأسبوعية. والشئ الأخير نستفيده من أقوال دانيال هو أنه في الاصحاح الثاني عشر في السفر الذي يحمل اسمه، أطلق دانيال لخياله العنان ووردت عنده هذه العبارة: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض، يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدى». ثم بعد هذه عبارة أخرى هي عند «القبالة» أساس مذهبهم في رد مادتهم إلى ينبوع قديم: «الفاهمون» «بضيئون» كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين إلى السير كالكوكب إلى أبد الدهور» ومن هاتين الكلمتين «الفاهمون» و«بضيئون» خرجت بذرة «حكماء صهيون» كما خرجت البذرة الأخرى من عزرا. فيقول «القباليون» إنهم هم المقصودون هنا بالفهم والضياء، وعلى هذا يستقون من عزرا ودانيال «والقباليون» يقيمون بوزناً كبيراً للرموز والأحلام، وتفسير الأحلام.

أما قبر دانيال فيقال إن التقيب الأثرى الحديث عثر على مكانه في خوزستان أو مدينة

شوشان.

القس وليم هشار، كان مدة من الزمن قس السفارة البريطانية في هيينا، وهذا الحادث جرى هناك سنة ١٨٩٦:

كان القس هشار من معتنقى عقيدة ظهور المسيح على حساب اليهود وطريقتهم، وراح يتوسع في ذلك وينشر آراءه بمختلف الوسائل حتى صار يمرف معرفة لا بأس بها في مجتمع هيينا. وسنة ١٨٩١ ألقى محاضرة حول مصر القديمة، ومما ذكره في محاضرتة هذه قوله: «سألنى بعضهم هذا السؤال: هل الآباء الأولون في العهد القديم عاشوا تلك الأعمار الطويلة، ولكى أتوصل إلى هذا فقد بدأت الحساب منذ الطوفان».

وكان هشلر سنة ١٨٨٤ قبل المحاضرة بسبع سنوات، قد طبع كراساً عنوانه «عودة اليهود إلى فلسطين»، وفي ذلك الوقت كان هرتزل في الرابعة والعشرين، شاباً طويل القامة أنيق المظهر واللباس، صحافياً، قاصاً، في هيينا، وكانت عقيدته في حل معضلة اليهود هي «الاندماج»، لا الصهيونية.

وسنة ١٨٨٢ نقل هشلر رسالة خاصة من الملكة فكتوريا إلى السلطان عبد الحميد، ولم يذكر مؤلف كتاب «دراسة منقبتين» خريسوفر بن مارك سايكس، ومن كتابه أخذنا هذا، أى مزيد يفيد ماذا كان موضوع الرسالة الخاصة من فكتوريا الامبراطورة إلى عبد الحميد الخليفة وربما احتوت هذه الرسالة رجاءً خاصاً «انسانياً» يتعلّق بالسماح لمنظمة «عشاق صهيون» في روسيا بالإقامة في فلسطين، إذ هم في مثل هذا الوقت (١٨٨١) وكانوا صرعوا القيصر إسكندر الثانى، بدأوا يتوجهون إلى فلسطين.

ثم ننتقل إلى سنة ١٨٩٦ وفي هذه السنة ظهر كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» فاطلع عليه هشلر والتهمه التهاماً، إذ رأى فيه ما يبرد من لواعج أشواقه الروحية اليهودية. فجاء يزور هرتزل في هيينا فزاره ودار بين الاثنين حديث مسهب لخصه هرتزل بمباراته الموجزة على أسلوبه في تدوين مذكراته:

١٠ آذار ١٨٩٦

زرانى القس وليم هشلر قس السفارة الانكليزية.

وهو رجل جذاب رفيق العاطفة، يزدان وجهه بلحية خالطها البياض، ويبدو بجملة محياه كأنه أحد الآباء الأقدمين. وهو مهتم بمشروعى المتعلق بحل المعضلة اليهودية. وزيادة على هذا فإنه يرى في حركتى تحقيقاً للنبوءات، وهو قد سبق له أن أخبر بهذا منذ سنتين. قال إن هناك تنبؤاً وقع في أيام عمر بن الخطاب سنة ٦٢٧ تأويله إنه بعد انقضاء الثين واربعين اسبوعاً نبوياً (مجموعه ١٢٦٠ سنة) يتمكن اليهود من العودة إلى فلسطين. وبعد تعديل الحساب، على

الطريقة الخاصة. خرجت منه النتيجة وهي أن تكون سنة ١٨٩٥ - ١٨٩٨ سنة العودة. هذا ما قاله المؤلف كريستوفر سايكس من دراسته ومن نقله ما نقل من مذكرات هرتزل. على أنه في هذه السنة، عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في سويسرا، وكان هذا تحت هيمنة هرتزل. وفي هذا المؤتمر وضعت في الصيغة الحديثة «بروتوكولات حكماء صهيون».

\*\*\*

انتهى خبر دانيال. وحوادث هذا السفر، وإن كانت تعود بالزمن إلى القرن الخامس والسادس ق. م. غير أن التحقيق العلمى الحديث ردّ مسألة جمعها وتدوينها إلى سنة ١٩٠ ق م لما كان اليهود في فلسطين تحت ضربات السلوقيين خلفاء الإسكندر. وكثير من أسفار التوراة الملحمية المعنى، إنما وضع في خلال هذه الفترة، وفترة الحروب المكابية، إذ بعد عودتهم من السبى لم يجدوا راحة إلا نوبات قليلة ثم تنطفئ حتى يمودوا إلى الويل. وهذا السفر لا يخلو من غرابة في كثير من وقائمه وحوادثه.



## بعد السبي وهم تحت الحكم الفارسي حتى فتح الإسكندر ٥٣٦ - ٣٣١ ق.م.

نعيد في أول هذا الفصل ما قلناه في أكثر من موضع سابق، من أن اليهود (وقد صار يطلق عليهم اسم اليهود بعد سليمان وانقسام المملكة إلى شطرين: يهوذا ومقرها اورشليم، وإسرائيل ومقرها السامرة في الشمال على الغالب) لما حلّ بهم السبي الثاني، كان أهل السبي الأول أي سبي إسرائيل الشمالية، قد فنوا واضمحلوا في أرجاء مملكة آشور وعاصمتها نينوى في شمال العراق (الموصل). ولما وقع سبي يهوذا بعد قرن وثلاث قرن تقريباً، وانتهى أمر اليهود في فلسطين، إلا بقايا قليلة مؤلفة من المزارعين والضعفة والعجزة، انصرف يهود السبي الثاني بكل قواهم وأساليبهم لكي يتداركوا أمرهم فلا يدركهم من الأسباب ما يقضى بفنائهم، وهم يأخذون العبرة من مصير السبي الأول. أما السبي الأول فبطله سرجون الثاني ملك آشور، وأما السبي الثاني فبطله نبوخذناصر، ثاني ملك في المملكة البابلية الثانية التي قامت على يد نابوبولاصر فأسقطت دولة نينوى الآشورية وجددت كيان بابل للمرة الثانية.

وبابل مهد الجنس البشري، وبقيت نحو ألفى سنة وهي سيدة العالم، ثم بعد ذلك عصرٌ امتد نحو ألف سنة كان فيه تجاذب الحبال بين بابل وأشور جارتها الشمالية، ثم كانت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون عادت فيها إلى العظمة، وهذه الثلاثمائة سنة تنتهي ٦٠٧ ق.م. إذ قامت بابل في نهضتها الثانية فقضت على آشور وبدأت بابل تسيطر ظلها على معظم العالم حوالها.

هذا الدور الأخير لبابل لم يطل كثيراً، ومن عجيب الاتفاقات التاريخية أن دولة بابل الثانية هذه عاشت ٨٩ سنة تقريباً، ففي بداية أمرها سبت يهوذا، وفي السنة الأولى لاستيلاء فارس عليها، قامت فارس بالسماح لليهود فتقاربت مدة بقاء دولة بابل مع مدة السبي.

وبدأت بابل الثانية، وتسمى الجديدة، على يد نابوبولاصر (٦٢٥ - ٤٠٦ ق.م.) فقد ظهر سنة ٦٢٥ وحرر بابل من آشور، ثم قضى على آشور سنة ٦٠٧. وقبل سنتين من هذا الوقت كان ابنه نبوخذناصر قد أصبح القائد الأعلى لجيوش أبيه، وسنة ٦٠٦ أمسى مشاركاً لأبيه في الملك، وفي هذه السنة نفسها بدأ يدوِّخ يهوذا، واستمر يكرر ضرباته لها عشرين سنة، فسبأها أربع مرات والمرة الأخيرة كانت سنة ٥٨٦، ويقول المؤرخون أنه كان بوسعه أن يقضى على يهوذا

بصرية واحدة، وجحافلها تقتلع الممالك وتجرف جرفاً، غير أنه كان يود أخذ الجزية على أوسع نطاق ممكن قبل أن يخرب ما يريد.

والمرات الأربع هي هذه:

١ - سنة ٦٠٦ ضرب نبوخذناصر يهوياكين ملك يهوذا، وهذا ليس بعده من ملك إلا الأخير وهو صدقيا. فاستولى الملك البابلي على كنوز الهيكل واستاق عدداً كبيراً أسرى فيهم الكثير من العائلة الملكية والأشراف ومن هؤلاء دانيال وكان صغيراً.

٢ - سنة ٥٩٧ جاء نبوخذناصر ثانية واستولى على ما كان باقياً مخبئاً من كنوز الهيكل، وأخذ يهوياكين أسيراً واستاقه إلى بابل ومعه عشرة آلاف أسير فيهم معظم الشعب إلا من لا يقوى على السير.

٣ - سنة ٥٨٦ عاد نبوخذناصر فأحرق المدينة وهدم أسوارها وسمل عيني الملك صدقيا في أريحا واستاقه إلى بابل ومعه ٨٢٢ أسيراً. وهذه المرة بقى جيش نبوخذناصر لا أقل من ١٨ شهراً في محاصرة المدينة.

٤ - سنة ٥٨١ عاد الجيش الكلداني إلى اورشليم الخربة واستاق ٧٤٥ أسيراً واستطاع فريق من اليهود أن يفر إلى مصر لاجئاً ومع هؤلاء أرميا، وأرميا لم يعد من مصر بعد ذلك. وما بقى علينا أن نقوله عن بابل هو: أن نبوخذناصر (٦٠٦ - ٥٦١) هو أعظم ملوك هذه الدولة التي في عصرها السابق أنجبت المشترع العالمي الأول حمورابي العريى. بل كان نبوخذناصر أعظم ملوك الأرض بوقته. حكم ٤٥ سنة وهو الذي شاد مجد المملكة، وزين بابل بالعمران الباهر إلى حد يقضى بالدهش، وهذا كله تؤيده مكتشفات الآثار حديثاً منذ القرن الماضي، فهو موقع السبى. وجاء بعد نبوخذناصر خمسة ملوك آخرهم بلشاصر، وكان دانيال لا يزال حياً يسمى ويعمل، فاتصل ببلشاصر وكانت بينهما الفصول التمثيلية مما أجملناه في ترجمة دانيال.

وكما أن نبوخذناصر جعل يسبى يهوذا في السنة الأولى من ملكه كذلك كورش الفارسي ففي السنة الأولى من إزالته دولة بابل سمح لليهود بالعودة!

أما عدد السبى فهو على كل حال أقل بمجموعه كله من سبى إسرائيل قبل قرن وتلت تقريباً. لكن لما عاد اليهود من بابل، عادوا عشرات الألوف، وأثروا في بابل إثراء كبيراً، وبقى منهم هناك بقية كبيرة لم تقبل أن تعود إلى اورشليم، وأما ما ذكرناه في هذه الفقرات من تواريخ وأرقام، فماخوذ من «موسوعة تاريخ العالم» و«التوراة المختصرة» لهالي.

والمدة التي قضاها اليهود في منطقة بيت المقدس تحت الحكم الفارسي إلى مجئ الإسكندر تنقسم إلى دورين: الأول منذ ابتداء العودة من السبي إلى انتهاء مراحل العودة والفرار من إعادة بناء الهيكل وأسوار المدينة. وبدأت العودة في أول مراحلها سنة ٥٣٦ ق. م. بقيادة زريابل أحد رجالهم ويقال إنه من البيت الداودي وملك فارس وقتئذ هو كورش<sup>(١)</sup>. وكانت آخر مراحل العودة سنة ٤٣٢ على يد نحميا أحد أنبيائهم وقد مرت ترجمته، فمراحل العودة اقتضت قرناً وبعض سنين.

والقسم الثاني من المدة المذكورة هي بقاء اليهود تحت الحكم الفارسي نحو مئة سنة حتى فتح الإسكندر، ويبدو تاريخ اليهود في خلال هذه المدة كلها غامضاً خاملاً، يمارس السلطة العليا الوالي الفارسي - المرزبان - ويتولى أمور اليهود محلياً الكاهن الأكبر تحت رقابة الوالي، ومساحة المنطقة اليهودية لا تزيد على بيت المقدس وتمتد شمالاً إلى قرب رام الله، وشرقاً إلى نهر الشريعة وجنوباً قرب الخليل وغرباً السهول الساحلية.

\*\*\*

وقد أجمل صاحب كتاب «مختصر التوراة»، هنري هالي، هذا كله على هذا الوجه مع التواريخ والحوادث والمراحل والأدوار مما نقله لفائده للقارئ العربي (ص ٢١٢) من الطبعة العشرين ١٩٥٦ فقال:

\*\*\*

(١) هي الطبري أنه تهود على يد مردخاي واستنبر وينكره الطبري بلفظ كورش.

## عزرا - نحميا - استير العودة من السبي - إعادة بناء بيت المقدس

إن هذه الأسفار الثلاثة هي خاتمة الأسفار التاريخية في العهد القديم، وهي تخبرنا قصة عودة اليهود من بابل، وإعادة بناء الهيكل وبيت المقدس وتجديد الكيان اليهودي وحياتهم القومية في موطنهم الأول، والمدة التي تتناولها هذه الأسفار هي نحو من ١٠٠ سنة ٥٣٦ - ٤٣٢<sup>(١)</sup> ق. م. وفي هذه المدة كان الأنبياء الثلاثة: حجي وزكريا وملاخي، فعاشوا وعملوا في خلالها.

\*\*\*

### هناك دوران وكل منهما متميز عن الآخر

من ٥٣٦ - ٥١٦ ق. م. ٢٠ سنة، وفي هذه المدة كانت عودة اليهود بقيادة زريابل فكان هو الوالي ويشوع بن يوصادق الكاهن الأكبر، فأعيد بناء الهيكل، وهو محور حياة اليهود القومية. (عزرا اصحاح ٢ - ٦) وفي هذا الوقت كان من الأنبياء حجي وزكريا.

٤٥٧ - ٤٣٢ ٢٥ سنة، وفي هذه المدة كانت عودة نحميا، فكان هو الوالي، وعزرا الكاهن الأكبر. فأعيد بناء الأسوار، والمدينة بحصونها. وفي هذا الوقت كان من الأنبياء ملاخي.

أما سفر عزرا فيحدثنا عن المدتين أو الدورين.

أما نحميا فيحدثنا عن الدور الثاني.

أما استير، فتتوسط الدورين.

### العودة في ثلاث نوبات

٥٣٦ ق. م. عودة زريابل ومعه (٤٢٣٦٠) يهودياً و ٧٢٢٧ خادماً و ٢٠٠ من المغنين و ٤٣٥ جملاً، و ٦٧٢٠ أتاناً، و ٥٤٠٠ قطعة الذهب والفضة (مما أخذه نبوخذناصر).

(١) قلت: ويتلو هذه المدة، مدة أخرى هي مئة سنة إلى الإسكندر ثم تطوى صفحة الحكم الفارسي وينقل اليهود إلى حكم دول خلفاء الإسكندر.

٤٥٧ ق.م. عودة عزرا ومعه ١٧٥٤ من الرجال و ١٠٠ وزنة من الذهب و ٧٥٠ وزنة من الفضة، وهذا يثقل التقدّمات والهدايا من ملك فارس. ولا ذكر أن نساء كن مرافقات في هذه العودة ولا أطفالاً. قطعت المسافة في ٤ أشهر.

٤٤٤ ق.م. عودة نحميا وهو الوالى ومعه حرس عسكري فقام بتجديد بناء المدينة وحصونها وذلك على نفقة حكومة فارس.

تواريخ العودة ومراحل تجديد البناء

٥٣٦ ق.م. (٨٩٧، ٤٩) عادوا من بابل إلى بيت المقدس

٥٣٦ ق.م. في الشهر السابع تم بناء المذبح وقدمت القرابين

٥٣٥ ق.م. بديء في بناء الهيكل ثم لم يلبث أن توقف (١)

٥٢٠ ق.م. استئناف عمل البناء على يد حجي وزكريا

٥١٦ ق.م. إتمام بناء الهيكل

٤٧٨ ق.م. استير تصبح ملكة فارس

٤٥٧ ق.م. عودة عزرا من بابل إلى بيت المقدس

٤٤٤ ق.م. نحميا يجدد بناء الأسوار

٤٣٢ ق.م. نحميا يعود إلى بابل

\*\*\*

٧٢١ ق.م. سبى مملكة «إسرائيل» على يد سرجون إلى بلاد آشور

٦٠٦ ق.م. سبى مملكة «يهوذا» إلى بابل

٥٣٦ ق.م. فارس تسمح لليهود بالعودة

(١) هذا ما سنغنى بيانه عما قريب، وفيه قصة الأمير «جشم المريني» ومعارضة الأقوام المحيطة بمنطقة القدس لليهود في إعادة البناء.

## ٧- أعداء اليهود بعد العودة من السبي سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجشّم العربى والدور الذى قاموا به لمنع اليهود من تجديد بناء الهيكل وأورشليم

بعد أن أخطنا علماً بكل ما تقدم، علينا الآن أن ننقل فى الكلام إلى ناحية خطيرة فى تاريخ اليهود من حيث محاولتهم إعادة بناء الهيكل والمدينة مع أسوارها فى ظل الحكم الفارسى، وفارس وقتها تشبه فى العظمة واتساع الرقعة الامبراطورية البريطانية التى صنعت لليهود فى القرن العشرين ما صنعت فارس قبل ٢٥ قرناً، بل زادت على ذلك ما هو أسوأ بكثير من الناحية العربية، فكان الخمسة والعشرين قرناً هذه، وهى امتداد متواصل للحضارة، قد ردت الضمير البريطانى خمسين قرناً إلى الوراء.

\*\*\*

وكان هؤلاء الثلاثة، زعماء الحركة المقاومة ومعهم أحلاف آخرون، وأخبار هذه المقاومة وردت فى سفرى عزرا ونحميا بالتفصيل الذى أراداه واضعو الأسفار وجامعوها. لكن قبل الدخول فى الكلام على حركة المقاومة، علينا أن نعلم من هم هؤلاء الثلاثة، ومن يمثلون فى الحركة وسبب العداء بينهم وبين اليهود، ومن انضاف إلى الحركة من أقوام آخرين فى فلسطين الساحلية، وشرق الأردن، فضلاً عن فلسطين الشمالية حيث السامرة، وهناك كانت مملكة إسرائيل سابقاً، بحيث إن الحركة كانت مطوقة لليهود، وحدود المنطقة اليهودية، ضيقة تمتد من الشمال إلى قرب رام الله، نحو ١٥ ك. م.، ومن الشرق حتى نهر الشريعة، ومن الجنوب إلى قرب الخليل، ومن الغرب إلى السواحل أو سفوح الجبال المطلة عليها. ونتناول كل واحد من الثلاثة على حدة.

### (١) سنبلط الحورونى اليهودى زعيم السامريين أعداء اليهود

هو زعيم يهود السامرة المناوئين لسبى يهوذا وبنيامين اللذين منهما كانت تتألف مملكة «يهوذا» الجنوبية، وباقى الأسباط العشرة كانت تتألف منها مملكة «إسرائيل» فى الشمال. وكانت الحروب بين المملكتين تكاد لا تقطع وأحياناً تتعالف هذه أو تلك مع ملك سوريا أو

أشور لكي تتمكن من خضد شوكة ضررتها.

وكيف بقى عنصر من السامريين بعد سبى سرجون لمملكة السامرة؟

فلما سبى سرجون ملك أشور وممتلكاتها، فرّق المسيبين فى أنحاء مختلفة، ولاسيما فى الخابور وشمالى إيران، وأتى بأقوام وجماعات من بابل وسوريا وأسكنها مساكن المسيبين وهذه الجماعات وثنية. لكن بقيت فى السامرة بقايا قليلة من اليهود الأصليين، لم يسقها سرجون فى السبى كما ساق غيرها، والسبب ضعف تلك البقايا، وقلة شأنها وهى فى السامرة والأرياف، فلما جاءت الجماعات الجديدة واختلطت بتلك البقايا بطبيعة الحال، صارت تلك الجماعات الوثنية تنتقل إلى الدين اليهودى أو الموسوى ومع الوقت امتزج العنصران معاً حتى صارا شيئاً واحداً، ولهم نزعاتهم التى لا تماشى نزعات مملكة يهوذا التى عاشت نحواً من ١٤٠ سنة بعد سبى السامرة. بعد الرجوع من السبى جمعت أسفار التوراة، وصارت إلى وقت المؤرخ اليهودى يوسيفوس (القرن الأول للمسيح) ٢٢ سفيراً، منها كتب موسى الخمسة والباقي أنبياء وتواريخ وأخبار. فهؤلاء السامريون لم يقبلوا إلا أسفار موسى الخمسة، ورفضوا كل ما عداها، وتمسكوا بهذا حتى اليوم. فازدادت الشقة بين الفريقين، وبعد سبى يهوذا، انتعشت حال السامريين فنظموا أمورهم واستقلوا دينياً بكيانهم، وأراد اليهود أن يخرجوا السامريين من حظيرة «اليهودية» فلم يستطيعوا، وجعل السامريون كلما عيّرهم اليهود بأنهم من أصول غريبة يجيبون بأنهم هم من سبط يوسف، وأن التوراة هى الكتب الخمسة لموسى ولا كتب غيرها، فيرد هؤلاء بأنهم هم عترة اليهود وهم سبط يهوذا وبنيامين! والتوراة هى أكثر من كتب موسى!

\* \* \*

وهنا بيت القصيد: فلما عاد يهود «يهوذا» من السبى بقيادة زربابل، لإعادة بناء الهيكل والمدينة، هب زعيم السامريين يعترض على ذلك، وتحالف معه فى هذه الحركة زعماء آخرون، منهم طوبيا العبد العمونى، و«جشم العريى» والفلسطينيون الذين كانت بقاياهم فى السواحل ومركزهم أشدود، وعرب شرق الأردن، والعمونيون والموابيون، إلى عناصر أخرى، بحيث لا تذكر التوراة أحداً من أهل الجيرة كان راضياً عن حركة زربابل. وهذا طوق محكم حول المنطقة اليهودية أخذ بمخنفها، والدولة الفارسية - البريطانية فى القرن العشرين - حامية اليهود على ما سنرى فى هذا المساق من الكلام.

\* \* \*

والقارىء العريى اليوم على الجملة، ومن العادة أنه قليل الاطلاع على تاريخ اليهود، والتوراة، لابد إنه وهو يجتلى هذه الأسماء الثلاثة، يسترعى انتباهه ذكر «جُشَم العريى» بهذا اللفظ والوصف، وإنه أحد زعماء حركة المقاومة لليهود. وقد عنينا بكل هذا البحث، وغايتنا

منه أن نبين بأدلة التاريخ وبالتوراة، أن العرب في ذلك الوقت، كانوا:

١ - ببعض القبائل يقيمون في السامرة إذ أتى بهم سرجون الأشوري في خبر يختلف عن خبر إتيانه بالجماعات الأخرى ليحلوا محل المسيبين، وهذا سنأتى عليه عما قريب.

٢ - محيطين بفلسطين من الجنوب والشرق وبعض الشمال، فإذا كان الطوق الأول المحيط بالمنطقة اليهودية يتألف من مختلف الأقوام، الذين منهم بنو عمومة العرب في الدم كالأدوميين والمؤابيين والعمونيين، فالطوق الثاني الذي يليه هو طوق العنصر العربي الخالد المالىء للجزيرة وبادية الشام والعراق، وهذا العنصر ابتلع مع الأيام العناصر كلها التي كانت في سيناء وشرقى سيناء، وجنوب الأردن وشرق الأردن. ولا عبرة هنا بالأسماء التي تعيش زمناً، ثم تتغير، فيكون المسمون قد اندمجوا بمادة الأرومة الأصلية - وهنا الأرومة هي مادة العرب التي لا تفتنى.

٣ - وما فعلته سنن الكون قبل ٢٥ قرناً من تعريض المنطقة اليهودية تحت الظلال الفارسية للاختناق والجفاف، تقعله هذه السنن اليوم، وهي سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

ودجشم العربي، سنعلمه أنه من عرب شمال الحجاز وكان أمير قومه وله سيف وسلطان.

\* \* \*

## سنباط الحورونى

نعود إلى سنباط الحورونى والسامريين. وراح اليهود العائدون من السبى ينظرون شزراً إلى السامريين، ويكيدون لهم، وكان بين الفريقين صلات زواج، فحرم كهنة اليهود الزواج من السامريات وأوجبوا أن تطلق السامريات المتزوجات من اليهود وهذا ما قام به عزرا ونحميا خاصة. فلنسمع نحميا نفسه يقول في آخر سفره: «وفي تلك الأيام أيضاً رأيت يهوداً قد تزوجوا نساء أشدوديات (فلسطينيات) وعمونيات ومؤابيات وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود، ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية، بل بلسان شعب وشعب فخاصمتهم ولعنتمهم وضربت منهم رجالاً ومنتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم... وكان واحد يهوئاداع بن الياشيب الكاهن العظيم صهراً لسنباط الحورونى فطرده من عندى»، وهذا بعدئذ انضم إلى حلف سنباط في مقاومة نحميا. وذكر عزرا في آخر سفره أسماء أكثر من مائة عائلة نساؤها غير يهوديات. فالانشقاق بين اليهود والسامريين وقع في أيام نحميا. ويذكر بعض الكتاب أن هذا وقع سنة ٤٢٧ ق.م.



والى ذلك الوقت، لم يكن للسامريين هيكل. فقابلوا حركة الكيد من اليهود العائدين من السبى بإنشاء هيكل لهم على جبل جرزيم (نابلس) واعتبروه بمثابة «جبل الطور»، ويقوا على الأسفار الخمسة، وتحول هذا إلى عداة مرَّ استمر القرون مما لا حاجة لنا إلى متابعتة فى هذا الوطن، وعلى الجملة راح السامريون يعينون كل فاتح بعد ذلك يدوِّخ البلاد ويريد ضرب اليهود، من الإسكندر إلى الرومان وغيرهما، وكان السامريون يقيمون فى أنحاء مختلفة فى فلسطين بعد الفتح الإسلامى، ثم تقلصوا حتى باتوا اليوم لا يزيدون على عائلة وموطنهم نابلس.

وكان سنبلط زعيمهم الأكبر يوم عاد اليهود من السبى يريدون تجديد بناء الهيكل والمدينة وأسوارها. وذكر «قاموس الكتاب المقدس» (بيروت ١٩٦٤) فى موجز ترجمته (لسنبلط): «وقد جاء فى أوراق البردى التى اكتشفت فى الجزيرة فى أسوان أنه كان حاكماً للسامرة قبل عام ٤٠٧ ق.م.».

\* \* \*

## (٢) طوبيا العبد العمونى أحد الأركان الثلاثة فى مقاومة حركة نحميا

هو أحد الزعماء السامريين، مثل سنبلط، ومن وزنه، الذين اعتصموا حلفاً وقادوا حركة المقاومة لنحميا فى إعادة بناء أورشليم والهيكل. والثالث فى الحلف هو جشم العبرى - بهذا اللفظ فى السفر - وإذ أوجزنا خبر سنبلط، فلنعلم ما نستطيع عمله من أمر طوبيا، ثم نتناول جشم. كان أحد أبناء يوياداع بن الياشيب الكاهن الأكبر لليهود فى أورشليم صهراً لسنبلط السامرى، والعداء مستحکم بين السامريين فى السامرة، واليهود فى أورشليم، والمسافة بينهما نحو ٧٥ كيلومتراً.

فقام نحميا وطرده حفيد الياشيب من الجماعة جزاء له على مصاهرته لسنبلط. فانتقل هذا من القدس إلى السامرة، وانضم إلى سنبلط فى حركة المقاومة.

لكن كانت هناك علاقة قوية بين طوبيا والياشيب الكاهن أبى يوياداع، نمت واستحكمت عراها فى غيبة نحميا إلى مملكة فارس، فهى الياشيب مخدعاً خاصاً لطوبيا ينزل فيه عندما يكون هذا فى بيت المقدس، وهذا المخدع هو فى داخل بناء الهيكل وكان مستعملاً سابقاً لفرص آخر، وهو أن يحفظ فيه ما يتعلق بالهيكل من تقدمات وآنية ولبان، وأنصبه الكهنة اللاويين من العشور المفروضة لهم. وكان الياشيب هو متولى المحافظة على هذه الأشياء كلها بصفته الكاهن الأكبر، فأخرجها. كما يبدو من المخدع، ليجعله نزلاً لطوبيا عند الحاجة.

فلما عاد نحميا من فارس ساء ما صنع الياشيب فألقى بأتمته طوييا إلى خارج وأعلن سخطه، ويتضح من هذا أن الياشب لما صنع ما صنع، وهو الكاهن الأكبر، لم يكن مقتنعاً بتطرف نحميا في مقاطعته السامريين في الزواج، إلى الحد الذي يريده نحميا. وتطَرَّف نحميا أدى إلى الانفصال وترسيخه. فانظر إلى نوع العلاقة بين اليهود المعائدين من السبي، وقد وصفنا أطوارهم، وبين هؤلاء السامريين في الشمال، ورغم المناوأة بين الفريقين من حيث أصل الأرومة من جهة السامريين، ومن حيث اعتبار كل فريق لأسفار التوراة اعتباراً يختلف عن الآخر، فقد كان بين الفريقين مصاهرات، وعلى هذا نقم عزرا ونحميا.

هؤلاء الثلاثة: سنبلط، وطوييا، وجشم، يؤخذ من سرد أسمائهم على هذا الترتيب في سفر نحميا الذي فيه كل هذا الموضوع، أن نفوذ كل منهم كان مندمجاً بنفوذ زميله.

\* \* \*

### (٣) جَشَم العَرَبِي

#### نوجزه في هذا المساق:

١ - هو في الترجمة الأميركية «جَشَم»، بفتح أوله، وفي اليسوعية «جاشم» ونرى أن الصحيح الذي لا ريب فيه هو «جَشَم»، وهو عندنا في العربية اليوم من الأعلام الممنوعة من الصرف، ويذكر شاهداً في كتب النحو.

وهذا الممنوع من الصرف قال النحاة فيه إنه معدول عن صيغة أخرى كزُحَل عن زاحل، وزُمَر عن زامر، ولما كان للمنوع من الصرف علتان توجبان ذلك، وهي العَلَمِيَّة، وهذا هو الأصل، وعلّة أخرى فرعية، لما جاؤوا إلى جشم وزمر وعمر وقثم، قالوا العلة الفرعية هنا هي كونه محولاً عن صيغة أخرى، هي زامر وعامر وقائم وجاشم إلى آخر الأمثلة، وانتهوا في الاعتبار عند هذا الحد في العلة الفرعية، وهذا ما سموه «العدل» وهو مصدر فعل «عدل»، وعدل عن الأمر أو الطريق حاد عنه.

وقضية جشم تقتضينا زيادة التوضيح، فهي على جانب كبير من الدقة والطرافة، وأي شيء أدق، لعمري، وأطرف، من أن نجتلى قدر المستطاع حقيقة أمير عربي الأصل من شمالي الحجاز، أبأوه هنا في السامرة منذ نحو قرنين، فرسخ في السامرة وامتدت جذوره، وجشم اليوم نراه أحد أركان الحلف لمقاومة إعادة بناء الهيكل والأسوار.

٢ - ولنحلّ أولاً مسألة «المدل» و«الممدول»، والممنوع من الصرف، فالأسماء المعدولة عندنا في كتب الصرف والنحو محصورة معدودة وهي نحو ١٥ اسماً، وذكرنا بعضها في الفقرة المتقدمة، وهذه البقية: جُمَح، وقُرَح، ودُكف، وعُصَم، وتُعَل، وحُجى، وبُلَع، ومُضَر، وهُبَل.

وهُدِّل. كلها على وزن فُعَل.

وقالوا: «إن العدل قسمان: تحقيقي، وهو ما كان خروجه عن أصل محقق يدل عليه دليل غير منع الصرف، وذلك في الصفات كأحاد وأخْر، وتقديرى، وهو ما كان خروجه عن أصل مقدر مفروض يكون الداعى إلى تقديره وفرضه منع الصرف لا غير، ولا يكون هذا إلا في الأعلام الخمسة عشر التي جاءت ممنوعة ولم يوجد فيها سبب ظاهر إلا العلمية، فاعتبر فيها العدل تصحيحاً لمنعها، ولما توقف اعتبار العدل على وجود أصل، ولم يكن فيها دليل على وجوده، قدر لكل واحد أصل عدل عنه إلى الصورة الحاضرة (بحث المطالب ص ١٥٩)

\* \* \*

وقال ابن هشام الانصارى المصرى المتوفى سنة ٧٦١ هـ فى كتابه «شرح شذور الذهب»: «مثال العدل من العلمية: عَمَّرَ وَزَفَّرَ وَزَحَّلَ وَجَمَحَ وَدَلَّفَ، فإنها معدولة عن عامر وزاهر وزاحل وجامح ودالف، وطريق معرفة ذلك أن يتلقى من أفواههم (أفواه العرب) ممنوع الصرف، وليس فيه مع العلمية علة ظاهرة» (طبعة ١٩٥٣ ص ٤٥١)

\* \* \*

٣- ونرى أن هذا العدل إنما جرى على أسماء علم انتهت إلى العربية المضربة من لهجة عربية سابقة، وهنا قد يرجع الاسم إلى أصل فى لغة العمالقة أو مدين أو قيدار، أو أى شعب عربى بين العراق وسيناء وشمال الجزيرة. ولذلك جعل علماء اللغة السبيل إلى معرفته «السماع» كما قال ابن هشام الأنصارى. وإذا جئنا نفكر فى أن عمر معدولة عن عامر، فلا نجد منطقاً يسلم بأن «عامراً» اسم منصرف متمكن أمكن، كما يقول الصرفيون والنحاة، لما عدلنا به إلى «عمر» امتنع هذا عن الصرف، ولماذا؟

٤- والدليل على أن «السماع» هو السبيل الصحيح إلى معرفته، قلة عدد الاسماء العلمية المعدولة.

٥- أما أن يكون قد انتهى إلينا أسماء عربية أخرى من الشعوب العربية القديمة المذكورة فى التوراة، فشئى وافر، وهذا بعضه أو معظمه:

مِيسَام، مِيسَمَاع، تَسِيمَا، قُدْمَا، بَسْمَا. (سفر التكوين فصل ٢٥)

شَمَّة، مِرَّة (التكوين فصل ٢٦)

صَنَو، عَمَالِيق، عِلْوَان، عِلْوَة، حَمْدَان، تَيْمَان. (المصدر نفسه)

سَمَلَة (بنت مسريقة) مهطبيثيل بنت مَطْرِد بنت «ماء ذهب» (فى ملوك ادوم) والشاهد

هنا مطرد وماء ذهب (المصدر نفسه)

أوى، واقم، صور، حور، رابع، وهى أسماء ملوك مدين. (سفر العدد ٣٠)

زَيْح (في اليوسعية «زاباح»).. وصلمناع، ملكا مدين، غراب، ذئب، أميراً مدين (في اليوسعية عوريب وزيب).

٦ - قال الدكتور جواد على في كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» (ص ٢١٦ ج ٣): «ووصلت إلينا أسماء ثمودية كثيرة مثل أوس، وسعد، وعفير، ووائل، ويارح، وعياش، وإياس، وقيس ابن وائل وغيرها.»

وقال الدكتور جواد على أيضاً ص ٢١٤: «وقد عثر على كتابات ثمودية يرجع تاريخ عدد منها إلى القرن السابع قبل الميلاد، وهناك كتابات يظن أنها أقدم عهداً منها غير أن أكثر ما عثر عليه من كتابات ثمودية يعود تاريخه إلى ما بعد الميلاد.»

٧ - فنرى إن «جشم» العربي، وقد حفظته التوراة بهذا اللفظ، ولا عبرة بأن الترجمة الاميريكية جعلته «جَشَم»، إذ هو هكذا «جَشَم» منذ القرون الخوالي، وهو في السامرة في القرن الخامس قبل الميلاد، أحد الاسماء العربية الأصل التي عاشت إلى اليوم. وهذا هو خبره قدر ما استطعنا جمعه وترتيبه.

\* \* \*

## ٨- «جشم العريى»

### زعيم العرب فى السامرة فى أواسط القرن الخامس ق م

كيف وجد العنصر العريى فى السامرة فى تلك العصور؟ ومن أين جاء جُشم، ووصفته التوراة «بالعريى» فلم تقل العماليقى، كما قالت فى هامان، ولا المديانى، ولا الإسماعيلي، ولا القيدارى ولا من «بنى المشرق»، وهو تعبير آخر فى «العهد القديم» عن العرب الذين كانوا وراء ممالك أدوم وعمون ومؤاب (شرق الأردن) نعم، لما جمعت أسفار التوراة، وهذا بعد السبى لا قبله، كانت كلمة (عرب) قد رسخت فى معناها ومدلولها وشمولها، وغطت على التعابير السابقة، وصارت تستعمل فى التوراة بالمعنى الذى هو قريب من استعمالنا اليوم. وذكر العرب فى «العهد القديم» وارد مراراً، وأما فى التلمود فوارد أيضاً، غير أن التلمود بدى بوضعه بعد هذا الوقت بعد قرون. وأما نعت «جشم» «بالعريى» فى سفر «نحميا»، لم يكن من واضع السفر تبرعاً أو استحساناً، بل مجازة للواقع، إذ جشم كان يلقب بالعريى، إذ وجوده فى السامرة، أو شرق الأردن، ونحن نرجح فى السامرة للأسباب القريبة الورود، كان مع قبائل عربية هو فى ذلك العصر كان أميرها المطاع. وندخل فى القصة التاريخية:

جاء فى قرميدة من القرميد المكتشف فى العراق فى الزمن الحديث مما يتعلق بفتوحات الملك سرجون الثانى، ملك آشور، ما يلى: «إن قبائل ثمود وعباديد ومرسمان وخيايا من قبائل العرب سكان البادية الذين لم يصل خبرهم إلى حكيم ولم يدفعوا الجزية لأحد قبلى، كل هذه الأمم غلبتها باسم إلهى آشور، ونقلت بقاياها إلى سامرية»<sup>(١)</sup>.

والسبب فى وصول سرجون الثانى إلى أعالي الحجاز أو شمالي الجزيرة هو أن عرب هذه البلاد كانوا قد غزوا السامرة ونهبوها قبل ذلك وكانت السامرة فى حماية الأشوريين فعزم سرجون على الانتقام. على أن السامرة، ويهوذا، كانتا معرضتين لتفزوهما الشعوب المجاورة المختلفة مرة بعد أخرى، وما تاريخهما إلا هذا السبى الثانى منذ انقسام المملكة بعد سليمان فى القرن التاسع ق م إذ المملكة اليهودية الصغيرة هى، مجردة عن كل وصف من أوصاف الغلو الذى ينفخ فى أبواقه اليهود وفريق من الكتاب التوراتيين، كناية عن فخذ دويلة تتحكم فيها دولتا الواديين الكبيرين: وادى الفرات من الشرق، ووادى النيل من الغرب، كما كان يتحكم فيها فريق ثالث لكن إلى حد أقل، هو ملوك سوريا الأراميين. وبين هذه القوى الثلاث كانت «يهوذا» و«إسرائيل» تأخذان بالمداهنة والملق والرياء تارة، والعصيان والتمرد طوراً، لدى

(١) زيدان - تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٢، وغلاز ص ١١٢ و ٣١٧.

كل دولة من هذه القوى الثلاث ثم تحل بها الضربة. ولم يتسم تاريخ اليهود بغير هذا على طول المدى. وهذا واضح لا يحتاج إلى دليل. فالغزو الذي قامت به القبائل العربية القوية الشكيمة، في أعالي الحجاز، للسامرة اليهودية، في أثناء الثلث الأول من القرن الثامن ق م لم يكن غزو دولة كدولتي الفرات والنيل، لكنه عظيم الخطر إذ يدلنا على ما كانت عليه تلك القبائل من الصولة والمنعة حتى تقوم بذلك الغزو، والسامرة في حماية ملوك آشور.

وسرجون الثاني مدته من ٧٢٢ - ٧٠٥ ق م. وأما سبي مملكة إسرائيل الشمالية أو السامرة فقد كان في أول سني ملكه ٧٢١ ق م. ويعد هذا بنحو سبع سنين أو ٧١٥ ق م. قام سرجون باكتساح بلاد العرب مجتازاً البوادي حتى يصل إلى أماكن لم يصلها أحد قبله. قال زيدان: «وذكر في جملة القبائل التي أخضعها أو الملوك الذين ضرب عليهم الجزية: ثمود ويثعمر السبأى وشمسية ملكة العرب - هذا على حدود مصر وسينا - وهذا نص القرميدة كما قرأوها، فبعد أن ذكر فتوحه في الشام ومصر وبلاد العرب قال: «ووضعت الجزية على فرعون ملك مصر وشمسية ملكة العرب (عربي) ويثعمر السبأى (أو يثعمر السبأيين) واخذت حاصلات الذهب من جبالهم والخيول والجمال»<sup>(١)</sup>.

وليست هذه المرة الوحيدة لغزو الآشوريين بلاد العرب أو القبائل التي في أطراف الجزيرة فقد تكرر ذلك مراراً بين سنة ٩٠٠ - ٥٦٢ ق م. وقد قام بذلك تغلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧) ثم سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥) ثم سنحاريب (٧٠٥ - - ٦٨١) ثم اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٨) ثم آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٠٥) ثم نبوخذ ناصر (٦٠٥ - ٥٦٢) ق م. (عند العرب بختنصر) وعلى يديه كان سبي مملكة يهوذا، وبعد ذهاب دولتي آشور وبابل قامت دولة الفرس، ثم الإسكندر.

وكان نقل القبائل أو جانب من الشعب أو السكان من موطنهم إلى مهجر جديد عادة عند الدول القديمة الظاهرة في حرب أو الانتقام والقصاص. ونقل سرجون تلك القبائل العربية إلى السامرة كان من هذا النوع.

وأما أين كانت تقيم تلك القبائل العربية قبل نقلها إلى السامرة، فهناك رأيان فإمّا في أعالي الحجاز القريبة من منطقة العقبة، وهذا ما ذكره زيدان وذهب إليه، وإمّا قرب خليج العقبة وهذا يجعلها أقرب مكاناً إلى السامرة قال الدكتور جواد علي صاحب «تاريخ العرب قبل الإسلام»<sup>(٢)</sup>: «ويرى «موسل» أن هذه القبائل الأربع المذكورة في أخبار سرجون الثاني التي تعود

(١) المصدر نفسه. وتاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور علي الجزء الثاني ص ٢١٢ - ٢١٧.

(٢) «تاريخ العرب قبل الإسلام» لزيدان في جزء واحد، صدر في العقد الأول من هذا القرن، وكان أول مؤلف بحث في هذا الموضوع بحثاً علمياً منظماً مستنداً إلى أهوال ثقات المؤرخين، وما كشف عنه أعمال التنقيب والنقوش الكتابية في جزيرة العرب والشام والمراق، فله منزلته الكبيرة الباقية لا ريب في هذا ويتى =

إلى سنة ٧١٥ قبل الميلاد، وهى قبائل مَدِينِيَّة (مديانية) - بالترجمة الأميركية وأما الترجمة اليسوعية فذكرتها مَدِيمِيَّة نسبة إلى مَدِين كما جاءت فى القرآن الكريم - تدخل فى ضمن مديان المذكورة فى التوراة، وفى جملتها قبيلة ثمود. وإذا صح هذا الرأى تكون الحملة التى قام بها سرجون الثانى قد وجهت إلى قبائل كانت تقيم فى العربية الحجرية المقابلة لخليج العقبة، وربما وصلت إلى حدود تيماء، وبناء على ذلك اضطر «يثع أمر» السبئى إلى دفع الجزية إلى الأشوريين، ولم يكن «يثع أمر» هذا غير كبير على «ديدان» وقد أمر سرجون بنقل عدد من رجال القبائل إلى منطقة السامرة عقاباً لهم وقد كانت سياسة الترحيل الإجبارية من الخطط المتبعة عند الأشوريين وعند غيرهم من الحكومات<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وفى أى جانب من هذين الرأىين كانت الصحة أو معظمها، فى معرفة المجال الذى كانت تقيم فيه تلك القبائل، أهو أعالى الحجاز أم ما هو أقرب منه إلى السامرة قرب العقبة، فإن «جشم العريى»، على ما نستنتج هو سليل هؤلاء العرب فى السامرة وفى أيام نعميا كان جشم أميراً على عرب السامرة، أى بعد نقل قومه بنحو ٢٧٠ سنة.

وهذا ما يذهب إليه فريق من العلماء. قال الدكتور جواد على:-

«ويخبر سفر نعميا أن «سنبلط الحورونى» وطوبيا العبد العمونى «وجشم العريى» قد احتقروا اليهود حينما حاولوا بناء سور القدس واغتاظوا من ذلك، وأن سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيين والأشدوديين غضبوا جدا وقرروا أن يحاربوا أورشليم، وأن سنبلط وجشم خاصة حاولا إبطال بناء السور، لأنها خافا من تمرد اليهود ومن عودة ملكهم. فيظهر من سفر نعميا أن هؤلاء المذكورين كونوا جبهة حاولت منع نعميا من إعادة بناء سور القدس (أورشليم) وتحكيمه، وذلك لأنهم وجدوا فى إحكام المدينة خطراً يتهددهم وإحياء لمملكة يهوذا التى قضى عليها البابليون. وهذا مما يدل على أن العرب وحلفاءهم قد استعادوا نفوذهم فى فلسطين، وأنهم كانوا على أبواب القدس. ويظهر من هذا السفر أيضاً أن عدداً قليلاً من العبرانيين حاولوا الرجوع بعد السبى إلى أورشليم على الرغم من سماح الفرس لهم بالعودة ومن إلحاح الأنبياء عليهم فى طلب الرجوع». (جواد على ٣٦٢).

= نصف قرن وهو أوثق مرجع. أما كتاب الدكتور جواد على فيحمل العنوان نفسه «تاريخ العرب قبل الإسلام، إنما جاء فتحاً جديداً جامعاً، دافقاً مترعاً جعل كل وارد للحوض منه يستقى وله تابماً، وهذا المؤلف موسوعة فى نحو عشرة أجزاء ضخمة، زاخرة بمختلف النصوص والرسوم والنقوش والكتابات بحيث يمكن أن يقال إنه لم تبق مادة تتعلق بتاريخ العرب كله قبل الإسلام إلا جمعت ونقلت ووزنت فى نفسها، وقويت بنظائرها وما يشتمها أو يضمفها للجلاء والتصفية. وهذا الكتاب الفريد هو من مطبوعات المجمع العلمى العراقى، وصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٥١.

أما بشأن «جُشَم» العربي، فقد قال جواد على متمماً ما تقدم:

«واسم جُشَم من الأسماء المعروفة»<sup>(١)</sup>، ويرى بعض العلماء احتمال كونه من العرب الذين أجلاهم سرجون من ديارهم ونفاهم إلى السامرة، أو إنه من مشايخ الأعراب الذين كانوا يقطنون جنوب يهوذا، ولهذا اشترك في الحلف الذي عقد لمنع نعميا من بناء سور أورشليم.

\* \* \*

وأورد «قاموس» الكتاب المقدس<sup>(٢)</sup>، ترجمة «جُشَم» على ما في نعميا، وإنما جاء بكشف جديد يدل على أن «جشم» كان ملكاً على قبيلة قيذار: «وقد اكتشف مؤخراً نقوش في الجهة الشمالية الشرقية من مصر على وعاء فضي ويذكر أن جشم كان ملكاً على قبيلة قيذار»<sup>(٣)</sup>. وهذا كشف خطير في بابه، وليت ملخص ترجمة جشم في قاموس الكتاب المقدس اعطانا تفصيلاً أكثر، إذا كان لديه ذلك، مما يتعلق بهذا الوعاء.

ومن هذا يؤخذ على إيجازه أن جشم كان أكبر من شيخ قبيلة، وهذا الكشف يذكره بأنه كان ملك قبيلة قيذار، وقيذار لها خير فصله الدكتور جواد على في الجزء الثاني من كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام»، ونأخذ عنه بإيجاز واقتضاب:

«قيذار، الولد الثاني من أولاد إسماعيل بن إبراهيم.

«قيذار» التوراة هو في التاريخ العربي (الطبري والمسمودي وابن خلدون) «قيذار» و«قيذر» و«قيدر» و«قادر» قبيلة عربية ورد اسمها في النصوص الآشورية والمؤلفات الكلاسيكية (لمؤرخين رومان ويونان) فذكر بلينوس أنها كانت تقيم على مقربة من النبط، وقد حاربهم آشور بنبال (٧٦٨ - ٦٢٥ ق م) وكان ملك قيذار في ذلك العهد الملك «أو أيطع» ابن خزاعيل . وجاء ذكر قيذار في سفر حزقيال حيث جمع بينهم وبين العرب: «العرب وكل رؤساء قيذار». ويظهر من الكتابات الآشورية ومن التوراة والكتب الكلاسيكية أن القيداريين كانوا شعباً قوياً، تغلب عليهم البداوة، ويمشون في الخيام عيشة الأعراب. وقد وصفت خيامهم في التوراة بأنها خيام

(١) قال الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» في مادة «جشم» الاسم على وزن فُعل أن في العرب أحياء متعددة باسم «جشم» وهي من مضر ومن اليمن ومن تغلب، وهي تصيف وهي هوازن.

(٢) هذا الكتاب القيم حديث الوضع قام عليه «نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين» كما جاء في صفحة الومسة. وهيئة تحريره: الدكتور بطرس عبد الملك، والدكتور جون الكساندر طمسن، والأستاذ إبراهيم مطر. صدر الجزء الأول منه في بيروت سنة ١٩٦٤ يشتمل على المواد من حرف «الف» إلى «سين» وقدم له الدكتور فيليب حتى الأستاذ الشرقي في جامعة برنستون. وهو على غرار «قاموس الكتاب المقدس» للدكتور جورج بوست الذي ظهر في بيروت بين ١٨٩٤ - ١٩٠١.

(٣) قاموس الكتاب المقدس مادة «جشم» وأورد كاتب هذه الترجمة: القس إبراهيم عبد الله «جشم» بفتح الجيم، وقد سبق لنا إيداء الملاحظة على هذا. فهي «جُشَم» والأمر واضح.



سود... وكانوا يعتنون بتربية المواشى.. وكان من القيداريين حضر يسكنون المدن، ومنهم من يقيم في مناطق صخرية، وقد أطلقت التوراة على المخيمات والأماكن التي أقاموا فيها كلمة «حصور»، وتعنى هذه الكلمة ما تعنيه كلمة «حيرتا» في الآرامية و«الحيرة» في العربية... وقد يرجع تاريخهم إلى ما قبل حملة أشور بنبال، وقد يصل إلى الألف الثانية قبل الميلاد. ويظهر أنهم كانوا يهاجمون مع قبائل عربية أخرى حدود مملكة أشور والقوافل الأشورية لذلك جردت عليهم اشور تلك الحملة، وقد شهدوا نهاية حكومة إسرائيل وعاشوا إلى ما بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

ونحصر الاستنتاج أن «جشم العربي» كانت له قوة ومنزلة توزنان وزناً كبيراً، زمن نجميا اليهودى العائد من السبى يريد إعادة بناء أسوار اورشليم وزمن سنبلط الزعيم السامرى اليهودى خصم نحميا، بالوجوه التالية:

١ - أن يكون جشم وارثاً وارثاً سلالياً زعامة العرب في السامرة منذ نقل سرجون الأشورى تلك القبائل العربية إلى السامرة قبل الآن بنحو ٢٧٠ سنة.

٢ - أن يكون جدوده قد علوا إلى زعامة العرب في السامرة في أثناء هذه المدة حتى انتهت إليه الزعامة زمن نحميا وسنبلط.

٣ - أما أن نعتبره ملك قيدار، كما جاء في الأنبياء المكتشفة في مصر، فهذا مما يزيد معلوماتنا عنه على ما جاء في التوراة. فإذا صح هذا، فيكون لجشم زعامة عربية تشمل السامرة وشرق الأردن.

٤ - ونعت «بالعربي» لأن مجموعة القبائل التي نقلها سرجون إلى السامرة إنما صارت تتميز بصفاتها القومية الجنسية العربية العامة أكثر من امتدادها أن تعرف بأسماء قبائلية فرعية خاصة متفرقة. وإذا كان الاسم القبائلى لم يتغير لفظه بين عرب السامرة أنفسهم وهم على حال ليسوا بالكثرة الكاثرة، فهم في نظر نحميا، «عرب» وكان العرب خصومه.

٥ - ومهما يكن من أمر، فإننا نعتبر جشم زعيماً عربياً له وزنه وعلو شأنه، إزاء نحميا في أواسط القرن الخامس قبل المسيح. ولننتقل بعد هذا إلى خبر معارضة الحلف لنحميا.

(١) الدكتور جواد على الجزء الأول ص ٢٩٠ ملخصاً.

## ٩- مقاومة السامرة لليهود بعد العودة من السبي على يد حلف كبير

هذا الحلف، كما عرفنا، مؤلف من سنبلط الحوروني (الحوروني نسبة إلى قرية كانت تعرف «بيت حورون» في السامرة وهي اليوم «بيت عور التحتا» و «بيت عور الفوقا» وطوبيا العبد العموني، وجُشَم العري، قد مر ذكرهم جميعاً، والعمونيين في شرق الأردن، والأشدوديين في سهول فلسطين الساحلية الجنوبية، لتطويق اليهود في المنطقة التي كانوا يقيمون فيها، ويمنعهم من إعادة بناء الهيكل والأسوار، وكل هذا هدمه وخربه وأحرقه نبوخذناصر كما رأينا.

\*\*\*

بين عودة زيبابل، وهو أول قافلة عادت من السبي في زمن كورش (كيرش عند العرب) الفارسي سنة ٥٣٦ ق. م. وعودة نحميا، وهو ثالث قافلة وهي الأخيرة سنة ٤٤٤ ق. م. - ٩٢ سنة. في خلال هذه المدة اجتاز اليهود الخطر المذهل الذي كان يندهم بالمحو والفناء، جملة وتفصيلاً، وهو أن يفنوا في مملكة بابل الكلدانية بهذا السبي الثاني كما فنى بنو قومهم من قبل وهم يهود إسرائيل الشمالية، وكان ذلك السبي على يد الملك سرجون الأشوري الثاني.

فالسبي الأول سنة ٧٢١ ق. م. جرف الأسباط العشرة التي كانت تقيم في السامرة وبعض أجزاء شرق الأردن، وأما كيف تلاشت هذه الأسباط تلاشياً تاماً بالسبي الأول، وكيف وزعت في مملكة بابل، حتى انطفت أخبارها بالمرّة من الوجود، فذلك كله لم تحفظ لنا أخباره في تواريخ بابل وأشور وفارس، حتى لم يستطع اليهود أنفسهم أن يحفظوا شيئاً منه. والسبي الثاني ليهودا شمل السبطين، الباقيين من الاثني عشر سبطاً، وهما يهوذا وبنيامين.

وقصة اليهود بعد ذلك محصورة بهذين السبطين، ولولا يقظتهم العجيبة في السبي الثاني ومدته ٥٠ - ٧٠ سنة، على يد «أنبيائهم» واستير ومردخاي ولولا مساندة دولة فارس لهم، لاضمحلوا من سفر الوجود، ولما كان تاريخ العالم تعثر بهم مرة أخرى في عدة أدوار، وهم ينسجون، حتى الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر، خيوطها السرية المشتقة من روح «التلمود»، و «التلمود» مخطط الإفساد البشري، حتى انتظموا بالتالي «بالقبالة» السرية، ومن «القبالة» خرج المخطط الحديث بشكله القديم بروحه وغايته وهدفه، وهو «بروتوكولات حكماء صهيون».

\*\*\*

المقاومة لزيابيل وعزرا ونحميا، لكي لا يمكننا من تجديد الهيكل والمدينة وأسوارها. تقسم إلى قسمين.

فالأول، هو مقاومة زيابيل؛ فآدى ذلك إلى وقف العمل بأمر ملك فارس وبقي متوقفاً نحواً من ١٥ سنة حتى استؤنف سنة ٥٢٠ ق. م. بذهاب ملك ومجئ ملك فى فارس، وأكمل البناء فى مدى ٤ سنوات بعد ذلك، أى سنة ٥١٦ وهذا الهيكل ينسب إلى زيابيل بعد أن بقى خراباً نحو سبعين سنة. وبقي قائماً حتى جاء هيرودس الكبير، الادومى الأصل، والمعدود نصف عربى<sup>(١)</sup>، فجدده وزاد فيه استرضاء لليهود لدى الرومان، وبقي هيرودس يعمل فى تزيينه أكثر من ٤٠ سنة، حتى جاء الرومان بسخطهم ونارهم على اليهود فدمروه والمدينة كلها سنة ٧٠ ب. م. وهذا آخر خراب حلّ به. وبعد هذا الوقت بأكثر من ستة قرون بقليل بدأ عبدالمك بن مروان الخليفة الأموى يبنى مسجد الصخرة ثم المسجد الأقصى قائمين إلى ما شاء الله، وكل هذا حيث كان الهيكل وساحته. والقسم الآخر هو مقاومة عزرا ونحميا على يد «الحلف» واستغرقت المقاومة الثانية نحو ربع قرن.

\*\*\*

(١) أبوه ادومى جاء من ناحية بئر السبع. وأمه ابنة أحد أمراء العرب الأنباط. الأدميين، من نسل عيسو كما تقول التوراة، وهم أبناء عمومة العرب. قال الدكتور على جواد: «وقد ذهب مونتكومرى إلى أن الأدميين كانوا عربياً من حيث «الرس» وكانت عواطفه مع العرب كذلك» (تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٥٧ ج ٢). مواطنهم من وادى عربية فشرقاً، بين البحر الميت والمقبة، ومما هو اليوم الطفيلة. والشوبك، ومعان، ووادى موسى، فى المملكة الأردنية كان من أدوم سابقاً. وإلى شمال أدوم مباشرة بلاد مؤاب، وإلى الجنوب مباشرة مدين التى تمتد إلى تبوك وشمال الحجاز، وكان الأدميون أعداء بنى إسرائيل واليهود مدى الدهر كله كالعرب تماماً، وهم كالممالقة حاربوا موسى يمتنونه من اجتياز بلادهم. ولهم ذكر فى سجلات الفراعنة، وكانت أيام قوتهم من القرن ١٢ - ٦ ق. م. أى سبعة قرون متمادية. وكان لهم ملوك وبنو إسرائيل فى عبودية مصر. ومرة بعد قيام الملكية الإسرائيلية ذهب أحد أمراء أدوم واسمه «هدد» إلى فرعون، واستتصر به لكي يخاصم سليمان بن داود. ولما دمر نبوخذناصر بيت المقدس والهيكل أقام الأدميون مهرجان فرح. وفى القرن الخامس ق. م. بدأ الأنباط يزحمونهم ويزاحمونهم فى مواطنهم شرقى وادى عربية. وكان السبى الثانى قد وقع فانتقل بعضهم أو معظمهم إلى القسم الغربى المناوح لبلادهم ( ما هو جنوبى «الخليل» وشرقه حتى وادى عربية)، وهو أرض يهوذا الجنوبية، فورثوها وأقاموا فيها. لكن لما جاء المكابيون اليهود فى القرن الثانى ق. م. تناولهم بالقهر والمذلة وحملوهم على الختان وأرادوا تهويدهم. وبعد هذا بقليل كان منهم هيرودس الكبير، أقامه الرومان ملكاً على اليهود، فلا هو يهودى محض، ولا هو يبرى من اليهودية، أما جملة اليهود فقد بقوا ينظرون إليه وإلى خلفائه من بعده الأدميين بازدراء. فلما جعل ملكاً (٣٧ - ٤) ب. م. راح يتقرب من اليهود محاولاً حملهم على الإذعان للرومان، ومن هنا قام بتجديد الهيكل وبقي يعمل فى هذا أكثر من أربعين سنة حتى جملة مترفاً بالمحاسن كلها. وهو المذكور فى الإنجيل إذ فى عصره ولد السيد المسيح والقصة مبسطة هناك. وهو بانى قيصرية (قيسارية) جنوبى حيفا، وسبطية (قرب نابلس) واختل عقله آخر حياته والهرادسة كلهم ينسبون إليه حتى حاد الهبكا الأخير.

وأخبار المقاومة بأخذها بمعظمها من سفرى عزرا ونحميا. ومع أن كلاً من هذين السفرين ينسب إلى صاحبه، وعزرا متقدم قليلاً فى الوقت على نحميا، على أنه يؤخذ من سياق الكلام والحوادث فى كل منهما، أن بعض الكلام رتب وزيد بوقت لاحق، فعزرا يتكلم عن أيامه وأيام زريابل من قبل، ونحميا يتكلم عن أيامه فقط، وفى كلا السفرين يكون الكلام أحياناً بصيغة المتكلم وأحياناً بصيغة الغائب.

\*\*\*

البوادر الأولى للمقاومة قالها عزرا، فأول ما بنوه أيام زريابل هو المذبح، ولما اجتمع اليهود فى بيت المقدس من مختلف النواحي لتقديم الذبائح، كان «عليهم رعب من شعوب الأراضى» (الترجمة الأمريكية) أو «مع ما كان عليهم من الذعر من شعوب البلاد» (الترجمة اليسوعية). والمقصود بشعوب الأراضى أو شعوب البلاد جميع الأقوام المحيطة بالمنطقة اليهودية الصغيرة، وهذه لا تزيد بمساحتها بين رام الله شمالاً والخليل جنوباً على نحو ٤٥ ك. م. ويؤخذ من هذا أن رأى العام، ولاسيما فى السامرة، حيث تتمركز القوة المعادية ليهودا وبنيامين، أخذ يهتاج منذ عاد زريابل بمخططة السنود من ملك فارس. (عزرا . الفصل ٣).

ولم يزد عزرا على هذا فى إيراد هذه البادرة الأولى من بوادر المقاومة. ثم يعطينا تعبيراً آخر بعد قليل بقوله: «ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بنى السبى بينون هيكلاً للرب، تقدموا إلى زريابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم بنى معكم، ونعبد إلهكم مثلكم ونحن نذبح له من أيام اسرحدون ملك أشور الذى صيرنا إلى هنا» (عزرا الفصل ٤).

ومن هذا يؤخذ مباشرة، أن قائلى هذا القول هم أهل السامرة الذين نقلهم سرجون يوم السبى من مختلف الأقطار إلى هنا، وتروى التوراة فى أخبارهم وأخبار هذا السبى أن الذين أتى بهم إلى السامرة كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، فلما استقروا فى بيئتهم الجديدة، رأوا فوجدوا أن من الخير لهم أن يطلبوا من ملك أشور أن يرسل إليهم من يعلمهم عبادة إسرائيل فلبى طلبهم، ومن هنا دخلوا فى اليهودية. وقلنا فى الكلام على منشأ الفرقة السامرية أنها مؤلفة من عنصرين: الأول بقايا اليهود الضعفة الذين لم يحتملوا مشقة السفر وقت السبى، فهؤلاء رسبوا فى البلاد، ثم انضاف إليهم الذين يقولون اليوم لزريابل تعال نبني معك فإننا نعبد إلهكم منذ أيام اسرحدون، واسرحدون مدته ٦٨١ - ٦٦٨ وقبلة سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١) وقبلة سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥) الذى كان على يديه السبى. وهذا الكلام من السامريين لزريابل ينبغى أن يكون فى حدود ٥٢٥ ق. م.، وربما فى الشهر السابع من السنة اليهودية كما جاء فى عزرا (٣: ٨) فتوسلوا إلى زريابل بأنهم على دين واحد هو إله إسرائيل.

فلم يقبل زريابل هذا الكلام فأجاب: «ليس لكم ولنا أن نبني معاً بيتاً لإلهنا، ولكن نحن

بنى للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس». وينبغي أن تكون الحال قد تازمت بين الفريقين.

ويقول عزرا بعد هذا مباشرة «وكان شعب الأرض يرخون أيدي شعب يهوذا ويقلقونهم في البناء، واستأجروا مشيرين ضدهم لإبطال مشورتهم جميعهم أيام كورش ملك فارس إلى أن ملك داريوس ملك فارس».

وهذا معناه اشتداد حركة المقاومة حتى صار العمل في البناء معرضاً لخطر الهجوم عليه، فضلاً عن الدعاية المنتشرة من حول اليهود تقسد عليهم ما هم بسبيله.

أما داريوس الأول فمدته ٥٢١ - ٤٨٥ ق. م. وبعده جاء مباشرة احشوريروش صاحب استير (٤٨٥ - ٤٦٥) ويقول عزرا أن المقاومين كتبوا شكوى إلى احشوريروش في أول أيامه ولا يذكر عزرا شيئاً من النتيجة لذلك، وفي أول أيام احشوريروش لم تكن استير قد صارت ملكة بعد ويذكر عزرا (٤: ٩) لا أقل من تسعة اجناس من الأقوام والأمم الذين أجلاهم سرجون، اعصوبوا الآن معاً وأرسلوا احتجاجاً إلى ملك فارس، وكان هو اليوم ارتحششتا (٤٦٥ - ٤٢٤) الذي جاء بعد احشوريروش.

ويؤخذ من كلام عزرا (الفصل الرابع) أن الاحتجاج الذي رفع إلى ارتحششتا كان على

نويتين:

الأولى - من بسلام وميتردات، وطبثيل وسائر صحابتهم والكتابة بالأرامية (ثم مترجمة إلى الفارسية).

الثانية - من «رحوم» صاحب القضاء «وشمشاي» الكاتب، باسم تسعة أقوام وسائر الأمم التي أجليت إلى السامرة، أي قبل هذا التاريخ بأكثر من قرنين ونصف.

أما «بسلام» هذا يقول قاموس الكتاب المقدس أنه كان الحاكم على فلسطين من قبل الدولة الفارسية في مدة رجوع اليهود من السبي، ولما يبدأ الراجعون من السبي في ترميم هيكلهم، أرسل كتابة ضدهم إلى الملك ارتحششتا عما شرعوا فيه.

وقياساً على هذا، يحتمل أن يكون ماردات وطبثيل وسائر رهطهم المشتركين معهم في الاحتجاج، هم من كبار موظفي الحكومة. ويظهر أن هؤلاء الموظفين لما أيقنوا بصحة ما يقوله المقاومون لليهود، رأوا من واجبهم الرسمي أن يكتبوا إلى الملك ففعلوا ومما يلفت النظر في خطورة هذا الاحتجاج، قولهم «وسائر صحابتهم»، ولما كان هذا الاحتجاج «تقريباً» رسمياً، بلغة اليوم، فهو يدل على أن الحكومة الفارسية في فلسطين، كان رأيها كراى السامريين في أن لليهود مرامي بعيدة إذا تحققت فتحققها يضر بمصلحة فارس.

أما «رحوم صاحب القضاء»، فظاهرة منزلته العالية، ومعه الكاتب شمشاي، أو ما نعبر عنه اليوم بأمين الديوان أو رئيسه، إذ كلمة «كاتب» ليس معناها هنا الذي يكتب الرسائل بل معناها «السكرتير» الأمين.

والمهم في احتجاج رحوم وشمشاي أنه يمثل الأقوام التي في السامرة وهي تسع عدداً ولا فائدة من ذكرها هنا لأنها غريبة على ذهن القارئ، ما عدا قوله «والاركويين» نسبة إلى «آرك»، وهي اليوم «وركة» في العراق لاتزال تجرى فيها أعمال تققيب واسعة عن أقدم الآثار وبقية تلك الأقوام البابليون والعيلاميون.

ومن المفيد المعجب في هذا الموطن من عزرا أن جامع السفر أثبت صورة الاحتجاج الذي نظمته رحوم وشمشاي، ونجمل محتواه وهو (مخاطباً الملك):

١ - أن اليهود الذين خرجوا من عندك قد وفدوا إلينا إلى اورشليم المدينة المتمردة الشقية بينون ويرمون أسوارها وقد فرغوا من الأساس.

٢ - ليكن معلوماً لدى الملك أنه إن بنيت هذه المدينة وتمت أسوارها فإن أهلها (اليهود) لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الخفارة المعتادة فيكون الملك قد أضربخزانتته.

٣ - ولما كنا قد أكلنا ملح الملك، فلا يليق بنا أن نسكت عن هذه المساءة، ولذلك كتبنا هذه الشكوى.

٤ - وليبحث الملك في السجلات، فيجد أن هذه المدينة متمردة مسيئة إلى الملوك والأقاليم.

٥ - وهؤلاء اليهود قد أثاروا شغباً في الأيام السابقة ولذلك حلّ بهم بالتالي الخراب.

٦ - وإذا ما بنيت وأقيمت لها الأسوار فلا يكون للملك نصيب في عبر النهر (سوريا وفلسطين وفينيقيًا).

\*\*\*

وكان هذا الاحتجاج لو كُتب اليوم، لما كشف عن جديد من غرائز اليهود. وهذا الاحتجاج منذ خمسة وعشرين قرناً.

\*\*\*

قال عزرا: فلما تليت نسخة رسالة الملك ارتحششتا أمام رحوم وشمشاي الكاتب وصحابتها، بادروا في الذهاب إلى اورشليم إلى اليهود وكفّوهم كفّاً بال قوة (بأمر الملك). ثم أنهى عزرا هذا الفصل بقوله:

«فتمتع عمل بيت الله الذي في اورشليم وبقى منقطعاً إلى السنة الثانية من ملك داريوس». وهذه المدة نحو ١٥ سنة داريوس هو «دارا» في التاريخ العربي.

فلما جاء داريوس بعد الخمس عشرة سنة، وكانت استير قد بذرت بذورها فنمت وأثمرت، جدد زريابل مساعيه، والطرق الآن مفتوحة لديه، فشرع يبني كما فى النوبة الأولى، وإذا بلجنة تحقيق مؤلفة من:

تتاي - والى عبر النهر وهو فارسى.

شتر بوزناى ورفاقهما - (من كبار ممثلى الأقوام التسعة) يحضرون إلى اورشليم ويجرون تحقيقاً هذا إيجاز محتواه:

١ - ليكن معلوماً أننا ذهبنا إلى بلاد يهوذا... وإذا به يبني بحجارة عظيمة، ويوضع خشب فى المحيطان.

٢ - هذا العمل يعمل بسرعة.

٣ - سألنا الشيوخ: من أمركم ببناء هذا البيت وتكميل هذه الأسوار؟

٤ - فأجابوا: بناه ملك عظيم لإسرائيل، ثم وقع آباؤنا فى المعاصى فسلبت عليهم نبوخذناصر ملك بابل الكلدانى فهدم الهيكل وسبى الشعب إلى بابل.

٥ - فى السنة الأولى لكورش أصدر أمره ببناء البيت ورد إليه الآنية من ذهب وفضة مما أخذه نبوخذناصر.

٦ - كلف كورش شيشبصر بنقل الآنية إلى اورشليم وجعله والياً على الإقليم، ووضع حجر الأساس وشرع فى البناء ولما يكمل.

٧ - الرجاء أن يفتش فى السجلات هل هناك ما يثبت صدور الأمر من كورش ببناء البيت، وليرسل الملك إلينا مراده.

\*\*\*

لم يذكر زريابل شيئاً من السبب فى توقف العمل فى البناء وكان قد مضى على ذلك ١٥ سنة. ففتش فى السجلات فوجدوا الأمر من كورش بالبناء.

فصدر الأمر من داريوس:

«أنا داريوس قد أمرت فليفعل عاجلاً».

قال عزرا: «وكمل هذا البيت فى اليوم الثالث من شهر آذار فى السنة السادسة من ملك

داريوس (عزرا ٦ - ١٢) وهذا يوافق ٤١٦ ق. م.

\*\*\*

والاحتجاجات إلى ملكى الفرس صارت ثلاثة، واحداً إلى احشويروش صاحب استير، واثنين إلى ارتخششتا وينبغى أن يكون هذا فى خلال بضعة أشهر. وإلى الآن لا ذكر لسنبلط

- ولا لطوبيا ولا لجشم العريى. فأخبارهم عند نحميا عما قريب. وهذا جواب ارتحششتا: فإنه وجه جوابه إلى موقعى الاحتجاج وإلى الذين كتب باسمهم وبعد التحية والسلام، كما تفتح الرسائل فى عصرنا هذا، قال ما نجمله مع المحافظة على تركيب الكلام الأصيلى ما أمكن:
- ١ - أن الرسالة التى بعثتم بها إلينا قد قرئت بين يدينا جهراً.
  - ٢ - وقد أمرت فبحث فوجد أن هذه المدينة فى قديم الدهر قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة.
  - ٣ - وقد كان على أورشليم ملوك أقوياء تسلطوا على جميع عبر النهر، ورفع إليهم الخراج والجزية والخفارة.
  - ٤ - والآن أخرجوا أمراً بتوقيف أولئك الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر أمر منى.
  - ٥ - واحذروا أن تتهاونوا فى تنفيذ هذا لئلا يتفاقم الفساد لأذى الملوك (عزرا الفصل ٤).

\*\*\*

- ولما كمل البناء، جمع عزرا الشعب فى أورشليم، وأنذر بأن من يتخلف عن الحضور يخرج من جماعة «السبى». فقام فيهم عزرا وجعل يحضهم إلا يختلطوا «بالأجنبيات» فى الزواج، وتليت أسماء من زوجاتهم غير يهوديات، فكان عدد هؤلاء فوق المئة فحرم عليهم ذلك وطلب منهم القسّم، هذا هو القسم الأول من المقاومة ونستخلص من ذلك:
- ١ - إن الولاة الفرس فى فلسطين كانوا هم أنفسهم يرون رأى أهل السامرة فى وجوب إبطال ما يعمله أهل السبى العائدون، من إعادة بناء الهيكل والمدينة بأسوارها.
  - ٢ - كانت الجالية الفارسية على هذا الرأى أيضاً.
  - ٣ - كان مستند الاحتجاج، ما لليهود فى ماضى أيامهم من فتن ومكايد إزاء الدول والملوك، وما كان هذا المستند إلا ما هو مسجل فى التواريخ القديمة.
  - ٤ - لما أمر داريوس بما أمر، كانت دولة «حكماء صهيون» قد أرسلت قواربها فى النهر. وإنما إلى الكشف عن هذه الخفايا نرمى فى وضع هذه الصفحات.

\*\*\*

والآن، إلى المقاومة على يد «الحلف».

\*\*\*



## الحلف الذى قاوم نحميا وبرز فيه جشم العربى

لما جاء نحميا إلى بيت المقدس سنة ٤٤٤ عائداً من السبى، كان زميله عزرا قد سبقه إلى هناك ومضى عليه فى بيت المقدس ١٢ سنة. وكان نحميا هو ساقى الملك ارتحششتا، وهذا منصب عالٍ خطير فى بلاط الملك الفارسى يقوم به يهودى مثل نحميا. وقد استوفينا هذه الناحية فى ترجمة نحميا، قدر الإمكان، فلتراجع، ويقول «هالى» صاحب مختصر التوراة (٢١٦) أن المأثور عند اليهود أن عزرا هو واضع الأسفار الأربعة «أخبار الأيام» الأول والثانى وعزرا ونحميا. ولما جاء بيت المقدس، جاء وفى جيبه مرسوم الملك يجيز له بناء السور وتحصين المدينة. ومع هذا يقول «هالى» أن اليهود بقوا فى موطنهم بعد العودة مئة سنة تقريباً، وخلال هذه المدة لم يستطيعوا التقدم إلا قليلاً، وجل ما استطاعوه هو بناء الهيكل لكنه جاء هيكلاً ضئيلاً للغاية، والسبب أنهم كانوا كلما أقبلوا يعملون فى السور، داهمهم جيرانهم الذين هم أشد بأساً فمقرقلوهم بالقوة والقهر، أو استطاع هؤلاء الجيران إيصال صوتهم إلى البلاط فيحصلون من الملك على أمر بتوقيف العمل» (المصدر نفسه ٢١٦).

ويقول «هالى»: «لما كان ارتحششتا ملك فارس من ٤٦٥ - ٤٢٥ ق. م. هو ابن احشويروش، فأسمى بمثابة الابن الريب لاستير الملكة اليهودية واستير أصبحت الملكة بعد البدء بالعودة بنحو ٦٠ سنة أو بعد الفراغ من بناء الهيكل بنحو ٤٠ سنة. وهذا الوضع ينبغى أن ينيل اليهود النفوذ الواسع فى البلاد الفارسية، ويحتمل أن استير كانت لاتزال فى قيد الحياة، وشخصية واسعة النفوذ لما عاد عزرا ونحميا إلى بيت المقدس». ثم يقول هالى أخيراً: «ونعتقد أنه يجب علينا شكر استير على ما أبداه ارتحششتا من حسن الشعور نحو اليهود وعنايته بأن يرى سور المدينة قد تم بناؤه! هذا ما يقوله المؤلف هالى. ونقول إن القضية فى ما يجب من الشكر لاستير على ما صنع ارتحششتا، هى القضية عينها التى توجب الشكر لاستير على ما صنعت لارتحششتا.

\*\*\*

يقول نحميا فى السفر المنسوب إليه:

«ولما سمع سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى ساءهما مساءة عظيمة»، أى لما سمعا بمقدمه من فارس ومعه مرسوم الملك، إلى الولاة، ورسالة إلى آساف حارس غابة الملك أن يعطيه أخشاباً لسقف أبواب القصر لسور المدينة.

وهذه أول مرة يشير فيها نحميا إلى سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني في أوائل سفره في الفصل الثاني منه.

وفي هذا الفصل نفسه بعد أن يصف ثلاثة أيامه الأولى في بيت المقدس وتفقدته المدينة والسور والوادي، وقام بهذا البناء سراً دون أن يخبر الكهنة والولاة الفرسان المسؤولين، يقول أنه جمع قومه وأطلعهم على مخططه، وطلب منهم أن يكونوا متعاونين في العمل بدأ واحدة. وهو ولا شك يعلم جيداً الصعاب التي لاقاها زريابل من قبل، قبل اليوم ب ٩٢ سنة، وهذا زميله عزرا هو في بيت المقدس الآن منذ ١٢ سنة يلقي الصعاب، لكن المقاومة اليوم لها شكل جديد، وعناصرها هي أقوى عناصر في الإقليم كله (عبر النهر) بتعبير التوراة.

وإذا بنحميا في الفصل الثاني يعود فيقول: «ولما سمع سنبلط الحوروني، وطوبيا العبد العموني وجشم العري، هزأوا بنا واحتقرونا وقالوا ما هذا الأمر الذي أنتم عاملون؟ أعلى الملك تتمردون؟»

هنا يرد ذكر جشم العري لأول مرة مع زميله سنبلط وطوبيا.

ويمضى نحميا في وصف السير بالعمل حتى وصل إلى الفصل الرابع فإذا به يفتحه هكذا: «ولما سمع سنبلط أننا آخذون في بناء السور، غضب واغتاض كثيراً، وهزأ باليهود، وتكلم أمام إخوته وجيش السامرة وقال: ماذا يعمل اليهود الضعفاء، هل يُتركون؟ هل يذبحون؟ هل يكملون في يوم؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة؟».

وعلينا أن نلاحظ شدة النبوة الفضية في كل كلمة من كلمات سنبلط وهو يقول هذا الكلام أمام رفقته وجيش السامرة، وهذا يؤخذ إيداناً بأن جيش السامرة سيتحرك، ثم تراه يصور اليهود على حقيقتهم وهو الضعف. ثم عاد يستصرخ: هل يترك هؤلاء يمضون في عملهم؟ ثم وضعهم موضعهم من الجبن فقال: هل يذبحون؟ أي هل اليهود رجال حتى يذبحوا عدوهم، هم أجبن من ذلك. ثم استرعى انتباهه السرعة في العمل فقال: هل يكملون هذا العمل في يوم، فلن يكملوه. ثم وزن المسألة كلها، وبيت المقدس لاتزال خراباً، فقال: هل يحيون الحجارة من كوم التراب؟ وهي هنا من وقت نبوخذناصر تحدث بالويل.

\*\*\*

ولما كان سنبلط يلقي هذا الكلام المحرض، على مسمع من رفقته والجيش السامري، كان بجانبه طوبيا العموني فقال طوبيا:

«إن ما بينونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم». وكانت غاية نحميا ومن قبله، أن يحصنوا المدينة تحصيناً عسكرياً تحت ستار الهيكل والدفاع عنه.

هذا كله ورد في الأعداد الستة الأولى من الاصحاح الرابع. ثم نرى نحميا ينفجر فجأة ليقول بعد هذا مباشرة:

«ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والاشدوديون أن أسوار أورشليم قد رمت والثُّرُ بدأت تسدّ غضبوا جدا، وتآمروا جميعهم معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضرراً». هنا يذكر نحميا «الاعداء» فريقاً فريقاً، وكانت الحركة على ما يظهر قد اتسعت حتى انتهت إلى شرق الأردن، وإلى الفلسطينيين الذين في السهول الساحلية ومركزهم أشدود. ولعل نحميا يقصد «بالعرب» لا جيش وحده بل عرب السامرة وعرب الأردن من الشرق.

فاستعد نحميا وأقام الحراس، وأما سواد اليهود فأخذهم الرعب وقالوا «قد ضعفت قوة الحمالين، والتراب كثير، ونحن لا نقدر أن نبني السور».

وبلغ نحميا أن «الاعداء» سيقتونهم ويأخذون أورشليم على حين غرة، فازداد الخوف والهلع. وكان اليهود الساكنون في السامرة جيرة للسامريين، يقومون بأعمال التجسس ويأتون إلى نحميا بكل شئ يطلعون على صفة الحال في السامرة، والسامرة هي مركز الحركة، كما رأينا. فعاد نحميا إلى الاستعداد العسكري وهو يقول: «فأوقفتُ الشعب من أسفل الموضع وراء السور، وعلى القمم، أوقفهم حسب عشائرتهم بسيوفهم ورماحهم وقسيهم». وقال نحميا بعد ذلك محرضاً على الدفاع: «وحاربوا من أجل إخوتكم وبنيتكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم». وكان العمل على السور قد توقف كله استعداداً للدفاع المباغت. ويظهر أن أعمال التجسس التي كان يقوم بها اليهود الذين في السامرة، وهم جيران السامريين أو في قرى متشابكة الحدود، كانت أعمالاً فظيمة، شأن اليهود الممهود فيهم هذا على الدوام.

ولسبب ما، لم يقع الهجوم المباغت. فعاد نحميا فجعل عمل البناء يستأنف، وإنما ابقى حَمَلَةَ السلاح على سلاحهم وفي مراكزهم، وأمرهم بأنهم إذا سمعوا صوت البوق من ناحية فعليهم بالكرة إلى هناك وجعل الحراسة بالتناوب ليل نهار. وقال نحميا عن نفسه: «ولم أكن أنا ولا אחوتي ولا غلماي ولا الحراس الذين ورائي نخلع ثيابنا. كان كل واحد يذهب بسلاحه إلى الماء» (عزرا الاصحاح ٤).

\*\*\*

وأخذت الأزمة الميشبية بمخنق اليهود فصاحوا بوجه نحميا:

بنونا وبناتنا كثيرون فأين القمح لناكل ونحيا؟

حقولنا وكرومنا وبيوتنا هي في الرهن مقابل القمح لندراً المجاعة.

خراج الملك (الفارسي) استقرضناه ورهنا حقولنا وكرومنا.

وها نحن نجعل بنينا وبناتنا عبيداً.

ليس لنا شئ فحقولنا أمست لغيرنا.

وفي إبان هذه الأزمة، كان الربا هو العلق اليهودي يستترف ويمتص الدم اليهودي،

فدعاهم نحميا وقال لهم:

«نحن افتدينا إخواننا اليهود الذين بيعوا للأمم، وافتديناهم قدر طاقتنا، وأما أنتم فتبيعون إخوانكم فيباعون لنا». وطلب منهم إسقاط الريا والدين، وردّ رهون الحقول والزيتون والبيوت إلى أهلها. وأعطاهم القمح والقروض من الفضة، والخمر والزيت (نحميا الفصل ٥). ثم قال نحميا أنه صار الآن والياً، ومكث في الولاية ١٢ سنة فما هي تلك السلطة الخفية التي جلبت إليه منصب الولاية؟ وهنا يحدثنا نحميا ما ذكرناه في ترجمته، من أن مائدته كان عليها ١٥٠ من اليهود وموظفي الحكومة الفارسية، فضلاً عن القادمين طوارئ.

\*\*\*

ولعل القارئ لاحظ أن نحمياً يفتح عبارته عند ذكر «الأعداء» بقوله «ولما سمع...» وها هو يفتح الفصل السادس بقوله:-

«ولما سمع سنبلط وطوبيا وجشم العري وبقيّة أعدائنا أني قد بنيت السور، ولم تبق فيه ثفرة - على أني لم أكن إلى ذلك الوقت قد أقيمت مصاريع الأبواب، أرسل سنبلط وجشم إلى قائلين: هلمّ نجتمع معاً في القرى في بقعة «أونو» وكانا يفكران أن يعملوا بي شراً».

فلم يستجب نحميا لهذا الطلب.

وكرراه عليه خمس مرات، فظل يرفض الاستجابة.

والمرّة الخامسة أنفذ إليه سنبلط رسالة خاصة نقلها غلام سنبلط بيده. وفي هذه الرسالة يقول سنبلط لنحميا: «إن الأمم تقول إنك وقومك اليهود تفكرون أن تتمرّدوا، وتحصين المدينة بسورها القصد منه أن تصنعوا منكم ملكاً، والدليل على هذا انطلاق الأنبياء بهذه الدعاية وقد أقيمت أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك، فتعال نبحت ونتشاور».

هذا هو محتوى الرسالة الخاصة من سنبلط إلى نحميا. فلم يستجب نحميا. غير أن الرسالة فيها شئ آخر، فقد ذكر نحميا في أولها أن الأمم تقول هذا، وهذا يقوله أيضاً جشم، وظاهر أن قصد سنبلط من هذا، أن يستند بالإضافة إلى جيش السامرة، إلى قوة جشم، ولذلك قال له: «قد سمع بين الأمم وجشم يقول إنك أنت واليهود» إلى آخر الرسالة.

وعليّنا أن نلاحظ هنا عدة نقاط:

١ - هذا دليل على ما لجشم من القوة، فنذكره هنا سنبلط بهذا المعنى دون أن يذكر طوبيا. وسواء أكانت قوة جشم في السامرة، منفردة أم مندمجة بجيش السامرة، أم هي في شرق الأردن فمن الناحية العسكرية كان جشم قوة عربية يعتد بها. وهذا واضح.

٢ - أما «أونو» التي عينها سنبلط مكاناً للاجتماع، فهي اليوم قرية للشرق من يافا على نحو مسافة ١٠ كلم. واسمها الحالي (كفرعانة)، ونأخذ من هذا أن هذه المنطقة كانت في ذلك الحين خارج المنطقة اليهودية في الحكم الفارسي.

٢ - والمهم في قول جشم أن نحيميا أطلق «أنبياء» ييثون في سواد اليهود الدعاية أن أورشليم ستري ملكاً جديداً في يهوذا بعد السبي، أما نوع هؤلاء «الأنبياء» فهم، كما قلنا عند الكلام عليهم، طبقة تستأجر للدعاية السياسية، أو ما هو بمعنى بعض الصحف في أيامنا هذه. فهؤلاء هم «عملاء» لمن يستأجرهم، والمستأجر هنا هو نحيميا. وأما استناد هذه الدعاية إلى أن اليهود سيرون ملكاً جديداً، ففيه غرضان: أولاً هو هذا الذي يقوله جشم، والآخر، تحريك مطامع اليهود، وهم في شدة الأزمة الخانقة، وإشغال نوازعهم. ومن هنا نبتت الملاحم اليهودية الأسطورية، وزادت وضخمت في عصر المكابيين بعد قرنين من الزمن ومن هذا نبت التلمود.

\*\*\*

وكثرت المخاوف على نحيميا، وقد أبى الاجتماع في «أونو» والآن يحدثنا عن أمر آخر يتعلق بهذا. فيقول إنه ذهب إلى بيت شمعي بن دلایا بن مهطبئيل أحد الأنبياء، فوجد الباب مقفلاً، فأجاب شمعي بأن يجتمعا معاً داخل الهيكل وتطلق الأبواب لأن القوم آتون لقتله في تلك الليلة، فلم يقبل نحيميا الالتجاء إلى الهيكل، ثم هو يقول إنه تحقق بعدئذ أن شمعي لما تتبأ بما تتبأ به من مقتله، إنما فعل ذلك إذ كان مستأجراً من قبل طوبيا وسنبلط. ولا يذكر نحيميا هنا أن جشم من مستأجرى شمعي. وهناك «نبية» اسمها «نوعادية» فعلت مثل شمعي أيضاً، وقال نحيميا إنها مستأجرة، كشمعي. وهنا في هذا الموطن، لا نرى شمعي ونوعادية إلا ناصحين لنحيميا. فالمدّة التي قضاها نحيميا في الترميم والبناء هي ٥٢ يوماً، كانت كلها رعباً على اليهود في أورشليم. ويصف نحيميا نفسه كيف اشتدت به الأزمة بين الضيق الاقتصادي، وعلق الریا، والمخاوف من السامرة وغيرها، حتى اضطر إلى جعل فريق بينون وفريق على السلاح والحراس في كل مكان.

\*\*\*

وبقوة خفية مناسبة من البلاط الفارسي، كالقوة التي كانت تتساب إلى فلسطين من لندن أيام الانتداب، تمّ بناء السور في وسط هذه المخاوف المستمرة. يقول نحيميا أنه فرغ من بناء السور في ٢٥ أيلول وفي ٥٢ يوماً وقد مرّ هذا في ترجمته (نحيميا الفصل ٦).

وكانت صفة نحيميا الأخرى أنه «الوالى» وهو بالفارسية «الترشاتا»، وهذا يشبه «المنسوب السامى» بمصطلح الانتداب.

وذكرنا في ترجمة نحيميا أموراً أخرى، تفنينا عن تكرارها هنا.

\*\*\*

ومرة أخرى عاد الهيكل والسور، فخربا إلى ما شاء الله.

## ١٠ - الفرق اليهودية

- ١ - الصدوقيون
- ٢ - الفريسيون
- ٣ - الأسينيون أو المفتسلون
- ٤ - الهيروديون
- ٥ - الجليليون

### قبيل العهد المسيحي وبعده

مر بنا في الكلام على عزرا ما يتعلق بالشرعة الشفوية إلى جانب الشرعة المكتوبة من موسى، وصورة ذلك: تلقى موسى التوراة في سيناء فأعطاهها إلى يشوع، ويشوع أعطاها إلى «الشيوخ» (هم المعروفون «بالقضاة» وعصرهم بعد يشوع إلى قيام الملكية في القرن الحادي عشر ق. م.، وهم خمسة عشر قاضياً آخرهم صموئيل الذي هو أسس الملكية مبتدئاً بشاول) والشيوخ أعطوها إلى «الأنبياء».

الأنبياء بدأوا يظهرين في أيام الملكية ولعلّ إيليا (إلياس) وعاموس، ثم راحوا يتلون بعضهم بعضاً، أو يتعاصر اثنان أو ثلاثة منهم في وقت واحد، من كبارهم وصفارهم، وتقع فترات، لا نبي فيها ولا نبوة ويمتد عهد الأنبياء إلى أيام السبى البابلي، وهذه مدة نحو خمسة قرون، فعهد «القضاة» غير عهد الأنبياء، الأول قبل الملكية، والآخر بعد الملكية، والأنبياء أعطوا التوراة الشفوية إلى رجال الكنيس بعد خراب الهيكل الأول في القرن السادس ق. م. وأصل منشأ الكنيس وواضع أسسه عزرا، وقد سبق الكلام الوافي على عزرا.

وبذور التلمود كانت، كما رأينا على يد عزرا ورفقائه في مدة السبى الثاني أو السبى البابلي. والمشكلة في تاريخ اليهود أن هناك بعد عزرا مدة حوالى قرنين ونصف قرن، غامضة، مغلقة بالضباب، وحقائقها المحسوسة تبدو هنا على شئ من الظهور، وتبدو هناك مستخفية، مبعثرة في دهاليز من العمد. وعلى الجملة فإن مدة الغموض هذه تكاد تنتقل بدارس تاريخ اليهود من عهد عزرا ونحميا، إلى عهد المكابيين توّاً، القرن الثاني والأول قبل الميلاد.

وبعد عزرا نرى ما يسمونه «السوفريم»، وهذه اللفظة هي في ترجمة التوراة العربية «الكتبة» وأول من لُقّب بالكتاب هو عزرا، فليل عزرا الكاتب كما قيل عزرا الكاهن. وصار هؤلاء المعروفون بالكتبة، طبقة متميزة، يضمون «العلماء» المفسرين للشريعة، وهم يزعمون عن طريق وصفهم والإشارة إلى غايتهم، أنهم يطلبون «الرؤية في الحكم، وتكثير عدد التلامذة والتابعين، وإقامة السياج حول التوراة». وقالوا: أما الرؤية في الحكم، فلكى يؤمن الأخذ من ينبوع التوراة، وأما تكثير سواد التلاميذ فلكى يكون منهم خَلْفٌ بعد سلف يتابعون حَمَلُ التوراة، وأما إقامة السياج حول التوراة، فمعناه العمل بأحكامها.

وبعبارة موجزة: أن من هذه الهيئة التي قالت بلسانها هذا القول، انبثق التلمود الذي طار فوق التوراة في الغلو كل مطار.

ويختلف كتاب اليهود اليوم في تعيين آخر عهد هذه الهيئة، لكن آخر عهدها كان على كل حال بعد أيام عزرا بعدة قرون، وفي خلال العهد المكابي، ويظهر أنهم امتدوا إلى ما بعد العهد المسيحي. فالكتبة كانوا في أيام المسيح، وأخبارهم في الإنجيل مستفيضة، ويقوا إلى ما بعد ذلك. ويقال لهم في الإنجيل «الناموسيون» أو «أصحاب الناموس» أي الشريعة، وكلمة «ناموس» يونانية لا عبرية. وكان هؤلاء الكتبة يحاجون المسيح بالباطل، ويدعون أن لهم وحدهم تفسير الناموس أي الشريعة. وإذا كانت كلمة «كاتب» زمن عزرا تعنى المفكر غير الناسخ، فمع الأيام صار معناها ما هو طبيعي أن يكون مفادها: نسخ الكتب المقدسة.

وليس المراد هنا الكلام على ما نشأ من فرق يهودية بعد العودة من السبى إلى وقت ظهور المسيح، فذلك خارج عن المقصود من هذا الباب، إنما نريد من القول شيئاً مجملاً يفي بحاجتنا المطلوبة إلى مساق الموضوع.

وهذه الفرق هي التي كان لها النفوذ، وتردد ذكرها في الإنجيل، وكانت بتأثيرها جسراً عبرت من فوقه أشياء إلى ما بعد أيام المسيح بزمن طويل.

\*\*\*

١ - الصدوقيون: ولعل نسبتهم هذه هي إلى رائدهم الأول «صدوق» أو «صادق». وأرجح الأقوال في تعيين وقت ظهور هذه الفرقة، هو عهد خلفاء الإسكندر، وكان اليهود قد أمسوا تحت حكم بطالسة مصر تارة، والسلوقيين في سوريا طوراً، وذاق اليهود من هؤلاء جميعاً العذاب الذي يستحقون. ومما يلفت النظر من أمر هذه الفرقة، اتجاهاتها وعقائدها، وهي مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة ومن العنصر اليهودي الذي يميل إلى مسالمة الرومان:

١ - الصدوقيون يرفضون كل ما يأتي به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحي المدون في أسفار التوراة. ولهم في مجلس السنهدين ممثلون أقل من عشرين عضواً (من أصل ٧٠ عضواً).

٢ - هم يقتصرون من التوراة على أسفار موسى الخمسة. وهم فى هذه الناحية يقفون مع «السامريين» على صعيد واحد، إذ كلاهما لا يقبل من التوراة إلا الأسفار الموسوية الخمسة، لا غير.

٣ - هم ينكرون البعث والنشور والقيامة. وقالوا إنما هى الحياة الدنيا وكفى. وخلود النفس أمسى عندهم باطلاً. ولا يعقدون بالملائكة. وقالوا إن الإنسان خالق لعمله باختياره. وفى تحليل معتقداتهم هذه، يتضح أنهم بنوا شيئاً كثيراً من ذلك على فلسفة ابيقور اليونانى الذى جعل اللذة رأس النعيم للإنسان وقاعدة الأخلاق، ثم تطوحت هذه الفلسفة حتى دخلت الشهوات البدنية فى المسألة. والصدوقيون أدركهم يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور فى القرن الأول بعد المسيح. وهم كانوا قلة فى العدد، لكن كانت لهم الثروة المادية واليسر، والبروز فى المجتمع. ومن الصدوقيين بعد تسعة قرون تقريباً، نبتت فرقة القرائين فى بغداد العباسية، والقرائون لا يقولون بالتلمود. ومنهم فى «إسرائيل» اليوم - الجزء المحتل من فلسطين - جماعة اشتهرت بالتزمت حول الطقوس والسبت، ومن وقت إلى آخر تنقل الصحف من أخبارهم ما به زيادة كشف عن أمورهم السياسية والاعتقادية.

(٢) الفريسيون: هم يناقضون الصدوقيين، ولهم الكثرة فى العدد وفى مقاعد السنهدين، وجمهرة العلماء من سوادهم، ومعظم «الكتبة» ينتمون إليهم. يقبلون بالإضافة إلى التوراة، الأشياء الخارجة عن الوحي، ولذلك غزرت عندهم الأساطير. يتباهون بأنهم حفظة شريعة موسى، وغالوا فى ذلك تقيداً وتزمتاً، حتى انغمسوا فى المظاهر الكاذبة فى السلوك اليومى وقيامهم وقعودهم وكل ما يصنعون. فالقشور استفرقتهم حتى أعمت بصائرهم. وهؤلاء هم الذين عانى من أمرهم السيد المسيح ما عانى، وخبره معهم مفصل فى الأناجيل، فوصفهم بالمرائين وكرر ذلك فيهم. وشبههم بالقبور المكلسة من خارج. لكن معاناته من الصدوقيين لم تكن أقل مما عانى من هؤلاء.

واسم «الفريسيين» يدل على طبيعة أمرهم وعقائدهم، فهم لمفالاتهم فى كواذب المظاهر، جعلوا أنفسهم كأنهم جماعة مفروزة عن عامة الجمهور اليهودى أو الشعب. وجذر الكلمة «فرز» بالعربية ومن شاء الاستزادة من أخبار هاتين الفرقتين، ثم جماعة «المشأرين» فى حياة السيد المسيح، فليقرأ الانجيل. فان بولس الرسول كان من فرقة الفريسيين قبل أن يشرق عليه الإيمان المسيحى.

\*\*\*

وهناك فرق أخرى أتت فى المنزلة والشأن بعد الفرقتين المذكورتين.

٢ - الأسينيون أو «المفتسلون»، وقد أجملتنا خبرهم فى موضع آخر من هذا الكتاب، هم



فرقة يهودية لا تصطف مع الفرقتين المذكورتين، امتزجت المدن وأقام أتباعها رجالاً لا نساء بينهم، قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور، ومحاجي الصخور، واتخذوا لهم نظاماً نسكياً خاصاً دقيقاً، قائماً على الصرامة والطاعة. كانوا بضعة آلاف وانقرضوا في القرن الأول المسيحي، وقت تدمير الرومان للقدس. ومن الخصائص في نظامهم أنهم يرفضون القسّم وتقديم الذبائح والقربان. وقد ذكرهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاصرهم. ويقال إنه أقام بينهم وعاشرهم ثم فارقهم وكان لهم صبغة اشتراكية.

٤ - الهيروديون: نسبة إلى هيرودوس ملك اليهود، أدومى الأصل لا يهودى وقد أجملنا ما يتعلق بأمره في موضوع سابق ما به الكفاية. وكانت روما هي التي تعين الحاكم، ولذلك نقم عليه اليهود رغم ما صنعه لمرضاتهم من بناء الهيكل بناءً فخماً جاوز فيه الغاية وهو يتقنه ويحسنه مدة أكثر من أربعين سنة. وهيرودوس «نصف عربى» بدمه من جهة العرق الادومى، وامه سيدة من عرب الأنباط. والهيروديون كانوا فرقة سياسية لا دينية تمثل الاتجاه الرومانى وتيار «الاندماج»، أى على النقيض مما دعا إليه عزرا ونحميا بعُيد الرجوع من السبى. وفي عهد هيرودوس ظهر السيد المسيح. والفريسيون كانوا على خصومة مع الهيروديين. و«الهيروديون» لو التقوا اليوم «بحكماء صهيون» لنابذوهم.

٥ - الجليليون: هم أتباع رجل اسمه يهوذا الجليلى (نسبة إلى منطقة الجليل) أحدث فتنة في أيام اجراء الاحصاء للمواليد المسمى في الانجيل «بالاكتتاب» وتبعه قوم وصار ينادى أن ليس لليهود ملك إلا الله.

## ١ - مجمع السنهدرين ينبوع التلمود

«السنهدرين»<sup>(١)</sup> بمعناه العام، هو «السينودس» أو المجمع الدينى الأعلى عند اليهود، أو هو ما يشبه السينودس فى المجمع المسيحية. والكلام عليه يحتاج إلى زيادة تبصرة ووعى من القارئ العربى اليوم، لِمَا للسنهدرين من بالغ الخطورة الخفية فى أمر «حكماء صهيون» فى إيماننا هذه، بل يصح أن تكون لفظة «حكماء صهيون» و«السنهدرين» مترادفتين لمدلول واحد. أصل الفكرة وظلالها، وأشواقها، ينبضها الروحى الأول كل هذا يعود إلى عزرا ونحميا. لكن ظهور السنهدرين باسم أصله يونانى، كان فى أثناء الحروب المكابية، أو قبيلها، واليهود كما قلنا بين شقى الرحى: البطالسة فى مصر والسلوقيين فى سوريا. ومرّبنا أن من عادة اليهود أنهم عندما تشتد بهم النكبات والجوائح، وتعمل على محوهم أو استئصالهم، يجنحون بكل قواهم إلى الاعتضاد بروح الملاحم لتقوية الروح المعنوية فى سوادهم ورجالهم، فتتبع عندهم الأساطير والفرائب وتحشى بالأقاصيص، ويخلقون لها الصور والأشباح. وبعد رجوعهم من السبى اشتدت فيهم هذه النزعة دوراً بعد دور، ولاسيما فى أثناء الحروب المكابية. كما اشتدت أمورهم بين أن تدور على ظاهر وباطن، وبادٍ وخفى، ومعلن ومستور، لكى يتقوا عدوهم المحيط بهم، وعدوهم لا ينتهى، إذ هم بشكاستهم لا ينتهون.

وإنما نشير إلى هذه الحقيقة فى هذا الموضوع، لأن السنهدرين. كان من أول أمره مطويّاً على هذه الصفة الخادعة. وأمره حير الرومان، وهذا «السنهدرين» هو الذى حاكم السيد المسيح، المحاكمة المبسوطة فى الإنجيل. والمعلوم أن السنهدرين فى بيت المقدس ألقى سنة ٥٧ ق. م. كما ذكر هذا المجمع تمكن بعد ذلك من أن يستمر بكيانه ووجوده استمراراً خفياً، وإذا كان له رسم ظاهر للعيان، فذلك مما يجوز احتمالاه فى نظر الرومان لتجرد الهيئة فى الظاهر من المعانى السياسية، بينما المعانى السياسية هى لب اللباب فى السنهدرين بقيت قابضة مستترة. ومن السنهدرين انطلقت التيارات العجيبة، وبذور المنظمات السرية التى تطلع على أوصافها فى «بروتوكولات حكماء صهيون».

\*\*\*

(١) وتلفظ «السنهدرين» وأصل الكلمة يونانى بمعنى المقعد أو المجلس ولما كان هذا «السنود» أو المجمع الأعلى قد ظهر فى أيام خلفاء الاسكندر، البطالسة فى مصر والسلوقيين فى سوريا، فقد هود اليهود التلفظ بهذا الاسم حتى بات يلوح كأن أصل الكلمة عبرى وليس الأمر كذلك.

هذا هو معنى السنهدين أمس واليوم. بالأمس هو المجمع الدينى الأكبر، والسياسة فى باطنه تدب فى أوكارها وأعشاشها، دبا خفياً، واليوم هو نفسه لم يتغير منه شئ، فأما الناحية الدينية فليس يهنا هنا أمرها سوى كونها آلة السياسة، وأما الناحية الخطيرة فهى الحقيقة السياسية: هو مقعد الرابطة اليهودية فى العالم أجمع، هو الرابط الخفى الذى يسيطر على «البروتوكولات» وتنفيذها. «السنهدين» معناه اليوم امتداداً من القرون الماضية، ولاسيما من القرن السابع عشر، عند الكتاب والمعلقين السياسيين الباحثين فى شؤون اليهود، الهيئة اليهودية السرية العليا، لا يعلم أين مكانها، ولا من هم رجالها، ونوجز أمره اليوم بما يلى:

١ - انكتاب اليهود، يحاولون أن يجعلوا بداية وجود السنهدين الأقل بعد الرجوع من السبى، ومنهم من يعين البداية فى خلال السبى. وهناك هيئتان باتتا بارزتين بعد الرجوع من السبى: نظام الهيئة العليا عند اليهود - أى السنهدين - ونظام الكنيس، وهذا يعزى أساسه كله إلى عزرا ونحميا. أما الكنيس فبرزوه ظاهر، وأما السنهدين، فيظهر ويتوارى، يضعف ثم يقوى، ومن السنهدين خرجت بذور التلمود، ثم «القبالة».

٢ - يقول أ. كوهين صاحب كتاب «التلمود لكل مريد»، أن بعد السبى ظهر الكتبة، وقد مرّ وصفهم، ثم السنهدين، وكوهين هذا يعرف السنهدين، بقوله: «هو هيئة أخرى عهد إليها فى رعاية شؤون اليهود فى بلاد «اليهودية»<sup>(١)</sup>. ويقول كوهين أيضاً أنه قد تعاقب على رئاسة هذا المجمع خمسة أزواج من الرؤساء، إذ كانت الرئاسة تعطى لاثنتين اثنتين، لا لواحد واحد، والاثنتان يعملان معاً، وآخر رئاسة لهليل وشماى، وهذان كانا فى عصر السيد المسيح، ومن هذا يستنتج أن السنهدين لم يعيش فى بيت المقدس أكثر من قرن. ونقول إن مراد المؤلف كوهين بهذا هو الكيان المعترف به من الرومان، ثم بعد ذلك اتشح بالخفاء.

٣ - وكان يقال لأحد الاثنتين فى الرئاسة «ناسى» بمعنى «رئيس» ويقال لنده الآخر «أب بيت دين»، أى رئيس المحكمة، والأول له حق التقدم والصدارة. وأما إطلاق هذا اللقب «ناسى» على كبراء آخرين من اليهود بعد انقضاء أمر السنهدين فى بيت المقدس، فقد حصر ذلك فى عدد قليل<sup>(٢)</sup>. ثم يقول كوهين فى أمر السنهدين: «لكن الدراسة التاريخية الحديثة تقول: إن

(١) اليهودية هنا معناها جغرافى، المنطقة المحيطة بالقدس وهذا هو اسمها زمن السيد المسيح.

(٢) من هؤلاء العظماء عند اليهود الذين نالوا لقب «ناسى» أى الرئيس، «يوسف منده» وقد برز فى السياسة العثمانية فى القرن السادس عشر وكان عنصراً مهماً فى النزاع الدموى على العرش بين سليم ويازيد ابنى سليمان، ويوسف هذا أصله من يهود البرتغال، ولما طُرد اليهود من إسبانيا جاء إلى السلطان وتقرّب منه ونال حظوته، ومثل يوسف أدواره تمثيلاً عجبياً ظاهره النصح للسلطان، وباطنه تأريث نار الحرب بينه وبين من يريد يوسف الانتقام منهم بسبب الطرد من إسبانيا. وقصة «يوسف ناسى» هذا تعطينا أوضح نموذج من التصلب الحفى بالروح اليهودية، وهو كان يرمى فى كل خدماته للسلطان وأحد أولاده، أن تعطى له =

السنهدرين هيئة مؤلفة من الكهنة والعلمانيين، ثم انقسم المجمع على نفسه في الرأي فصار قائماً على حزيين. أما الكهنة فذهبوا مذهباً فيه مسايرة الفكر الهليني، ولو كان ذلك على حساب الإخلاص التام للتوراة. وأما العلمانيون فذهبوا مذهباً يناقض مذهب الكتبة، وهؤلاء من نسل عزرا الكاتب، وتمسكوا بالتوراة أي تمسك، وكان زعماءهم الرييون هم الذين عرفوا «بالاحماس» (المغالين المتعصبين) غير أن هذا الانقسام ارتفع من بينهم لما وقعت الثورة المكابية، ولما انتهت الثورة عادوا إلى الانقسام انقساماً أشدّ وأحد، ولا سيما لما جلس يوحنا هركانوس<sup>(١)</sup> المكابي (١٣٥ - ١٠٥ ق م) ملكاً.

٤ - هذا الانقسام ظل يطرد ويتسع حتى أدى بالتالي إلى ظهور الحزبين اليهوديين الكبيرين وهما الصدوقيون والفريسيون. والفريسيون مع العشارين هم الذين قاوموا المسيح وورد ذكرهم في الأناجيل. ثم يقول كوهين في صدد هذين الحزبين: «ومن جملة الفروق بينهما فرق كان له شأن خطير في تاريخ اليهودية: قدم الفريسيون إلى الشعب أوامر وأحكاماً ونواهي توارثوها عن أسلافهم، لكنها ليست مكتوبة ولا مدونة في شريعة موسى. فرفض الصدوقيون ذلك وقالوا: ما واجب علينا أن نراعى إلا ما ورد في النص المدون، ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة من الآباء والأجداد. فكان هذا منار خلاف شديد بين الفريقيين. (راجع ما تقدم حيث تناولنا الكلام بإيجاز على الفرق اليهودية).

٥ - وتابع كوهين كلامه فقال: «وهذا النزاع حول صحة التوراة الشفوية، حمل المدافعين عن ذلك على أن يدرسوها ثانية دراسة مدققة. فوجدوا أن التوراة السماعية الشفوية كانت جزءاً متمماً للتوراة المكتوبة، فهما من مخرج واحد. ومن هذا الصراع الآن فتح الباب على مصراعيه أمام التلمود ليظهر وينمو».

٦ - هذا الكلام الذي يقوله أ. كوهين في الفقرة السابقة جد واضح في بابه. فالفريسيون الذين لم يعجبهم إلا غلوهم في أخيلتهم، لم يذعنوا حتى للمسيح وهو يحاجهم بالحسنى، لما جاء المسيح بعد مدة. وهنا مسألة: إذا كان هذا كله قد وقع قبل ظهور المسيح، فلماذا لم يرد ذكر التلمود في الأناجيل وفي كتب العهد الجديد؟ إن التلمود إذا كانت بذوره الأولى كانت هنا، ومناخه الروحي من أيام السبي، فتكامله المبني على شريعة شفوية متناقلة

= فلسطين لينقل إليها اليهود المطرودين من إسبانيا. ومن أجل كشف الغطاء عن هذا النموذج، فقد جمعنا ليوسف منده ترجمة وافية هي الفصل الحادي عشر.

(١) توالى على الحركة المكابية ١٢ رجلاً، خمسة زعماء غير «ملوك»، لقبهم اليهود «بالأحبار»، وسبعة لقبوا أنفسهم بالملوك، وهركانوس هذا هو آخر الزعماء، ثم بعده الملوك الذين انتهى أمرهم سنة ٣٧ ق.م. وأولهم جميعاً متاتياس والباقون أولاده وأحفاده. والمدة كلها للعهد المكابي (١٦٧ - ٣٧ ق.م. أي ١٣٠ سنة). ويقال للمكابين «آل حشموناي».

من عهد موسى، كما زعم الفريسيون، لم يتم فى نوبة واحدة أو قرن واحد، بل اقتضى ذلك خمسة قرون أو ستة كما سنرى. وبعد خراب بيت المقدس سنة ٧٠ ب. م. انتقل علماء اليهود الأبحار من الفريسيين إلى «يبنة» أو «يبنا» (قرية قرب يافا) ثم إلى طبرية ثم إلى العراق. كل هذا وهم يتابعون العمل ويتوسمون - سيأتى تفصيل ذلك عما قريب فى البحث التالى - وبينون على الروايات الشفوية. فلما كانوا لم يزالوا فى الطريق فى أول عهد المسيحية، لم تكن كلمة تلمود قد أخذت استقرارها بعد، لذلك لم يرد ذكره لا فى الحوار بين المسيح والفريسيين ولا فى الأناجيل فيما بعد. وفضلاً عن هذا، فقد كان شأنه يتعلق بفرق من اليهود لا بهم جميعاً، وكان الحوار يُدور حول «الناموس» و«الأنبياء»، أو ما يعبر عنه كله بالشرعة «الموسوية».

ويسأل أيضاً: إذاً، ينتظر أن يكون قد ورد ذكر التلمود فى القرآن الكريم أو الحديث الشريف، والرسالة الإسلامية متأخرة عن اختها المسيحية بضعة قرون. وهنا أيضاً لا ذكر للتلمود فى الأناجيل ولا فى القرآن الكريم ولا الأحاديث النبوية، فنقول إن اليهود اعتبروا التلمود كتابهم الجامع للتوراة الشفوية، والتوراة الشفوية كانوا حريصين على الاستئثار بها لأنفسهم، لا يطلعون منها إلى غيرهم إلا ما يرون فيه مؤيداً لخيالهم أو نزعتهم. ولعلمهم كانوا إذا تعاطوا التلمود تعلماً وتعليماً، لم ينشروه فى الأيدى نشر التوراة، ومنشأ التلمود ومنشأ الكتب الدينية «الابوكريفا» متقارب ومعنى الابوكريفا الكتب المخفية أو المستورة، وهى لا شئ فيها يوجب الستر والتخفية وإن كانت غير مصدقة كلها من حيث محتواها، وغير مأخوذ بها عند جميع المسيحيين فى ذلك الوقت واليوم. إذاً، لم يكن التلمود وقت الرسالة الإسلامية فى أوائل القرن السابع الميلادى، شيئاً يريد اليهود نشره وهم ما كانوا يطلعون أحداً من غير اليهود على التلمود إلا ما يتناقلون من أقاصيصه وأساطيره شفويةً وأما تكامله بالجمع والوضع والشرح والتبويب فذلك لم ينجز حقاً إلا قبيل العهد الإسلامى.

وكلمة «تلمود» معناها «التعليم» وهذه الكلمة لم تقرر إلا بعد أن سبقها كلمتان كانتا الأساس لكلمة «تلمود» وهاتان الكلمتان هما «المشنا» و«الجمأرا» شرح للمشنا. فكان يقال أولاً «تعليم مشنا»، أى تعليم التوراة الشفوية، هذا هو العمل الأول، فلما احتاجوا بعد هذا إلى شرح المشنا كانت الجمأرا، أو التكملة فكان هذا العمل الثانى، وبعدئذٍ أطلقوا على مجموع الاثنين، المشنا، والجمأرا، من جهة التعليم، كلمة «تلمود توراة» أى تعليم التوراة، ثم اجتزأوا بكلمة تلمود، فاستقر هذا الاسم ولم يتغير بعد. هذا ما استطعنا جمعه من التفصيل من مصادره، فى الكشف عن أصل منشأ الكلمة، ولعل القارئ العربى لهذا الكتاب يتلقى هذا التفصيل بالوعى إذ لهذا الأمر التلمودى من النتائج الخطيرة، شئ كثير.

واليك أموراً أخرى لنتمم الكلام على أن السنهدرين منبع التلمود، وإن بذور التلمود الأولى ومناخه الروحي الأول، كل ذلك يعود إلى زمن عزرا ونحميا، كما تقدم القول غير مرة. قال كوهين المؤلف لكتاب «التلمود لكل مريد»، أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور، ذكر أن الوالى الرومانى على سوريا غابينوس، الفى أوضاع اليهود سنة ٥٧ ق. م. ثم قسم البلاد إلى خمس مناطق، وأقام فى كل منطقة هيئة سنهدرنية محلية صغيرة، وأورشليم كانت العاصمة لولايتها، وهنا الهيئة السنهدرنية تعتبر الأولى. وفى التلمود «السنهدرين الأعلى» وهذا تمييزاً للأعلى عن الهيئات المحلية.

ويستفاد من كلام كوهين أن هيئة السنهدرين «لتزمتها الشديد» كانت تجلس فى بهو بناؤه من حجر، والحجارة أتى بها من مقالع لم يعمل فيها أزميل حديد. ويذكر كوهين وهو يزيد إضفاء هالة من الإشراق على الأوضاع اليهودية، أن كان هناك أيضاً سنهدرين سياسى وكانوا يجتمعون فى مبنى الهيكل، ثم يقول: «وجميع المراجع التى تشير إلى السنهدرين تعطينا تفصيلاً كافياً عن صلاحياته والمكانة التى كانت له، وصلاحياته كانت تضيق وتتسع من وقت إلى آخر حسب مراد الرومان. من جملة ذلك ما صنعه غابينوس من قسمة البلاد إلى خمس مناطق، وهذه الصلاحيات كانت تافهة فى عهد هيرودوس وارخيلوس، لكنها اتسعت بعد موتهما، وصار مقود الحكومة بأيدى السنهدرين، تقريباً.

\*\*\*

ونقول: القارئ العربى يجد هنا نقطتين مهمتين، الأولى أن المؤلف كوهين، وكتابه محيط بموضوعه، يصرح بأن كان هناك سنهدرين سياسى، وهذا ما عنينا بأن نؤكد للقارئ، والناحية السياسية هذه فى السنهدرين هى الخفية لا الظاهرة، ولم تكن لتعمل جهاراً قط، إذ لو عملت لضرىها الرومان لأن غاية السنهدرين، كما يطلب اليهود، المحافظة على الشريعة الموسوية، والرومان وسعوا عليهم فى هذا ولم يبخلوا عليهم بشئ، لكن أن يعمل السنهدرين فى السياسة خفية، فهذا هو التنزى الصريح على السلطة الرومانية، وإذا كان السنهدرين هذه صفته أيام الرومان فى بيت المقدس، فما أحرى أن تظل هذه الصفة ملازمة له، بعد أن تشتت اليهود فى العالم بعد تخريب القدس سنة ٧٠ ب. م. وهم يرون أن لا حياة لهم وهم شتات فى الشعوب والأمم، إلا بالتمسك باليهودية، والتمسك باليهودية هو التمسك بالسنهدرين. والسنهدرين معناه اليوم، كما قلنا، عند الكتاب المعنيين بشؤون اليهود، الهيئة السرية السياسية الخفية، لكن غلب تعبير «حکماء صهيون» بعد ظهور البروتوكولات منذ ما يقرب من سبعين سنة. عند تأليف هذا الكتاب

والنقطة الأخرى الجديدة بالملاحظة من قول كوهين هى أن صلاحيات السنهدرين كانت

ضعيفة أو ضيقة في عهد هيرودوس وارخيلوس، ثم اتسعت بعد موتهما، والمراد قوله من ناحيتنا في هذا الموضع أن أوضاع اليهود من الآن إلى تخريب بيت المقدس، لم تبرح كماوية لليهود وهي مدة تقرب من سبعين سنة. ومعنى أن نطاق صلاحيات السنهدرين قد ضاق، أن بطشات الرومان باليهود أخذت تزداد، وهذا معناه من الناحية الأخرى اليهودية، ازدياد النشاط السياسي الخفى داخل أجهزة السنهدرين. وبالتالي طفح الكيل فدمر الرومان أورشليم تدميراً شراً من تدمير نبوخذناصر قبل نحو ستة قرون. ولما حاكم السنهدرين المسيح كان نفوذه عاتياً. وهيرودوس الكبير مات في السنة الأولى للميلاد.

\*\*\*

وتناول كوهين ما كان للسنهدرين من صلاحيات في الأمور الجزائية أو العقوبات، فقال: «كان المجمع - السنهدرين - يطبق قانون الجزاء والعقوبات وله سلطة نافذة على الشرطة، ومن هنا سلطته في إلقاء القبض والسجن. وكان ينظر في القضايا التي عقابها دون الإعدام» إذ بقيت السلطة التي تقضى بالموت أو الإعدام بيد الرومان». ثم يقول كوهين: «أما سيسيل جون كادو، مؤلف «حياة المسيح»، ١٩٤٨ فقال في ص ٢٣ «كان السنهدرين يتألف من نحو ٧٠ عضواً - من الكهنة والكتبة، وفي الحكم الرومانى لم يكن للسنهدرين سلطة الحكم بالإعدام. ومعلوماتنا قليلة عن كيفية تاليفه وتعيين أعضائه. ومع أنه قد وضعت له في الأزمنة اللاحقة أنظمة مفصلة، تبين وتحدد عمله، ونطاق إدارته، ففي زمن المسيح كان كل هذا غامضاً، وكان الأحامس هم الجناح الأيسر اليسارى من الفريسيين، وهؤلاء الأحامس دائماً مستعدون للثورة ضد روما، متهيئون لسفك الدماء».

وقلنا إن وقت صلب السيد المسيح كان السنهدرين موجوداً، واسمه في الإنجيل «المجمع»، أو مجمع الكهنة والكتبة، ورئيساه بالازدواج هما قيافا وحنانيا، وهما أثارا الجمهور بواسطة أولئك «الأحامس» - الفوغاء - وهؤلاء أشبه بعصابات في المدينة. ولم يكن من صلاحيات السنهدرين الحكم بالقتل كما سبق إيضاحه، لذلك كانوا يلحون على الوالى بيلاطس النبطى بأن يسلمهم المسيح ليقتلوه، فالتسليم هو الموافقة على القتل، وكأنه حكم بالقتل وهم تولوا التنفيذ. والتفاصيل المتعلقة بصلب السيد المسيح تعطينا صورة مصغرة للخلق اليهودى السنهدرى، هو الخلق الذى تراه في كل قضية على المحك، خلقاً يهودياً أنانياً يدور على محوره، لا يتغير بجوهره، وإن تغير بأرضه. وهذا كله اجتمع بالتلمود، وأخذ التلمود يسير في الخفاء، وام يلقى عصا التسيار بعد، وإنما تهيأ للوثوب «بالبروتوكولات».

\*\*\*

حسب التقليد اليهودى، إن أول سنهدرين كان في عهد موسى، وهم السبعون رجلاً الذين

دعاهم موسى ليعملوا معه لتسكين بنى إسرائيل لما قاموا يذمرون ويطلبون العودة إلى مصر حيث «قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ والكراث والثوم والبصل» - (سفر العدد ١١ : ٤ - ٢٩) وبنى التلمود و«القبايون» عقائد دينية على الأرقام منها عدد (٧٠) هذا. فالذين ترجموا التوراة من علماء اليهود في الإسكندرية «الترجمة السبعينية» كانوا ٧٠ عالماً، ولا عبرة بأن زاد العدد اثنين، إذ الزيادة لها معناها في التأويل عند اليهود. ولما جاء السنهدين، ومجيئه كان بعد إنجاز ترجمة السبعينية، جعلوا عدد أعضائه (٧٠) والحادى والسبعين جعلوه الرئيس. ومن قبل، لما فرق الله الأمم والشعوب في بابل جعلهم ٧٠ شعباً ولغة، إلى غير هذا من دروب التأويل المصطنع وهذا الفن المتعلق بالأرقام إنما أتقنه دانيال في العراق وقت السبى، ومنه هذه البذور كلها، وهى شىء واسع جداً، ويكفيها هنا الإشارة إلى هذا لتعلقه بفرائب التلمود، والتلمود نتاج المناخ السنهدينى.

\*\*\*

إن التشيت الذى فرق اليهود أوسع تفرقة فى العالم، هو الذى أنزله بهم الرومان سنة ٧٠ ب.م، وأما تخريب بنوخذناصر قبل ستة قرون لم تكن نتيجته سوى بعث الروح اليهودية وقت السبى والاستيقاظ العجيب على يد «أنبيائهم» الذين أوجزنا ترجماتهم، كى لا يفنى اليهود، وهم سبطان ونصف السبط فى بابل العراق، كما فنى إخوانهم الأسباط التسعة ونصف السبط قبل أكثر من قرن بقليل. ومنذ تشيت الرومان، والسنهدين الخفى يتبع جماعة اليهود فى كل بلاد، ومنذ الثورة الفرنسية صار لهم سنهدين عالمى له السلطة العليا على الحركة اليهودية فى العالم كله. هم «حكماء صهيون» ودستورهم هو «البروتوكولات».



## (٢) التلمود

«المشنا»: هي تفسير شريعة شفوية معزوة إلى موسى

«الجمار»: هي شرح المشنا

«التلمود»: هو الاسم الجامع للمشنا والجمار معاً

\*

قال أ. كوهين في مقدمة كتابه «التلمود لكل مريد»: «ولما جاءت وسائل جديدة لتفسير التوراة، واممت دراساتها وتفسيرها امرأ مختصاً بالعلماء، سمي هؤلاء «بالتائيم»، أى المعلمين، وسمى عملهم «بالمشنا». والذي ترك أكبر أثر في هذا الباب هو هليل. مولده في بابل، وحسب الرواية السماعية هو من نسل داود عن طريق أمه. هاجر إلى فلسطين وبقي ٤٠ سنة وهو الحبر الذي لا ينازع. ويمثل هليل وجهة نظر الفريسيين. وقال كوهين إن تفسيرات هليل كانت بحيث تتناسب والحاجات المستجدة مع الأيام. ونحن نقول وهذا معناه الاسترسال في التأويل توسعة للتوراة الشفوية. وبقي الصدوقيون في حيزهم منابذين. وقال كوهين: «كان هليل مؤسس مدرسة التائيم، يعاصره نذء شمأى، وهذا أنشأ أيضاً مدرسة أخرى، وخلال العقود السبعة الأولى من القرن الأول المسيحي، كانت هاتان المدرستان هما السائدتين بتياراتهما على عقول عامة الجمهور اليهودى تحت الظلّ الفريسي. ولكن كانت مدرسة هليل متسامحة في التفسير، ومدرسة شمأى متزمتة. وسجل التلمود لا أقل من (٣٠٠) نقطة خلاف بينهما، وفي النهاية انتصر مذهب هليل. وكان هليل واسع الحفظ عن ظهر قلب على طريقة علماء الشرق، وهو يعد الجامع الأول لمادة المشنا، وحفظت أقواله الشفوية وهذا كله اصبح النسخة الأولى للمشنا. ونقول: من كلمات هليل، ما كان ينادى به اليهود خارج فلسطين في عصره وهو هذا الشعار: «من لم يساعد نفسه فلا نصير له». وفي سنة ١٨٨٢ لما أنشئت الجمعية اليهودية السرية في روسيا أثر اغتيال الارهابيين اليهود، للقيصر، واسمها المجتزأ «بيلو» (مقتطعة من عبارة معناها: هيا يا بيت يعقوب أقبل علينا فنقبل عليك) اذاعت هذه الجمعية منشوراً سرياً خطيراً على يهود العالم تدعوهم فيه للالتفاف حول فروع الجمعية التى مركزها الظاهر الآستانة، وافتتحت المنشور بعبارة هليل هذه. وفحوى المنشور «نريد وطناً في بلادنا» أما مركز الجمعية الأكبر فهو القدس كما يذكر المنشور<sup>(١)</sup>.

(١) هذا المنشور خطير في بابه، إذ هو قبل ظهور كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» بأربع عشرة سنة. وأما أن بيت المقدس كانت هى المركز الأكبر للجمعية، فهذا فى الخفاء لا فى العلن، إلا أن تكون الجمعية قد تمكنت واصطنعت الذل وادعت خيرية لاسعاف الفقراء، وهذا هو أسلوب حكماء صهيون فى منظماتهم فى البلاد التى لا يملون فيها إلا خفية، وهذا المنشور ذكره سوكلوف فى كتابه «تاريخ الصهيونية».

يقول كوهين: «إن الشخصية التي تلى هليل وشمائ هي يوحنا بن زكاي، أصغر تلاميذ هليل. كان أكبر وعاء علم عند الفريسيين لما دمر تيطس الهيكل. ولما أيقن بن زكاي بالهلكة مطبقة على بني قومه، نصحهم بالتسليم، فأبوا، وهو كان يرى إن بقاء الدين اليهودي أهم من الاستقلال القومي. فلجأ إلى وسيلة تحفظ الشعب من الدمار إذا ما انهارت قوة اليهود وهُدم الهيكل. وتقول القصة أن بن زكاي رام أن يصطنع طريقة تحمل اليهود على الخروج من المدينة، فإذا خرجوا منها وهي محاصرة صعب عليهم أن يرجعوا، وعليها الحرس الشرس من اليهود المعبر عنهم «بالاحامس» (وهم الجناح الأيسر من الفريسيين)، فذاع في أورشليم أن بن زكاي قد مات. فحُمِل في نعش ومشوا به إلى المقبرة، وكان عليهم أن يجتازوا بالنعش المزيف، الأبواب التي عليها حرس، والرجل ليس بميت، وإنما أراد بهذه الطريقة الخدعة. لكن حيلته اكتشفت على الأبواب. قال كوهين: «ولولا ما له من حرمة لعاجله الحرس بطعنة تخترقه وتتركه هامداً، لما اكتشفوا أنه حي متماوت في التابوت، وعرفوا قصده. فذهب إلى القائد فسباسيان وطلب منه أن ينتقل هو وقومه اليهود إلى قرية «بينة أو بينا» قرب يافا، فسمح له، فأقام في «بينا» وأنشأ مدرسة صغيرة لم تلبث أن نمت وصارت مركز التعليم اليهودي الفريسي بعد خراب القدس». وحلت محل القدس من هذه الناحية، وأنشئ في «بينا» سنهدين صغير وأمسست بينا عاصمة علمية لليهود لفترة من الزمن. وبعد بينا انتقل السنهدين إلى طبريا، وبقي هنالك إلى القرن الرابع والخامس، ثم تفرق علماءه فذهب فريق كبير منهم إلى العراق، حيث استأنفوا العمل في إكمال التلمود فانتتهى ذلك في القرن السادس ب.م.

هذا ما قاله كوهين في بن زكاي. أما قصة ذهاب بن زكاي إلى القائد الروماني فذهب وطلب منه أن يسمح له ولقومه بالخروج من المدينة المحاصرة، فلهدف القصة تكملة حسنة ذكرها «نفييل باربر» الإنجليزي في كتابه: «Nisi Dominus» ص ٢١، وصفوتها أن بن زكاي لما ذهب إلى القائد فسباسيان وهو يمثل الفريسيين، والقائمون بالثورة على الحكم الروماني هم الفريسيون، وجندهم هم (الأحامس Zealots) من جناحهم الأيسر، ويخه القائد بعبارات حادة، ومما قال له: «إن ثواركم أشبه بالأفاعى التي تختبئ في جحورها، ولا بد أن تستخرج هذه الأفاعى لتسحق وتداس». وهذا على ما يبدو زاد بن زكاي اعتقاداً أن اليهود مأخوذون، إذ كل محاصر مأخوذ، مهما يطل ليله. وفي هذا الموضوع بين نفييل باربر أن ثورة الفريسيين على الحكم الروماني كانت بلا مبرر، وإنما تنزى اليهود على الرومان بالثورة لأن السلطة الرومانية ما كانت تطلق للفريسيين الحبل على الغارب ليصنعوا ما يشاءون من تضليل الناس وهم وقتئذ كانوا، وقد مضى نحو ٦٨ سنة على المسيحية، يعملون على نشر أساطير التوراة الشفوية المزعوم تلقيها من موسى، لما رأوا أن تعاليم المسيح قد كشفت عن زيفهم في تمسكهم بالمشور

من التوراة المكتوبة - الناموس والأنبياء - وتلك الأساطير التي كانوا يزعمون أنها توراة شفوية، هي المادة التي نسج منها التلمود بعد قليل. فكأنهم جاءوا بالتلمود وأساطيره مقابل التعاليم التي جاء بها السيد المسيح. فتأمل.

\* \* \*

هذا موجز الكلام على هؤلاء الثلاثة، بن هليل، وشماي، وبين زكاي، حوگوا الأشواق «الأساطيرية» إلى «المشنا». وإليهم يعزى وضع هذا الأساس، امتداداً بالروح اليهودية من أيام عزرا ونحميا ودانيال.

ونتابع الاجمال: ففي القرن الثاني ب.م ظهر اثنان استأنفا العمل الذي وضع أساسه الثلاثة الأولون. هذان الاثنان هما إسماعيل بن اليشع الذي قتل في أيام الإمبراطور هدریان (١١٧ - ١٣٨) وإسماعيل هذا مؤسس مدرسة، وقد توسع في قواعد هليل في التأويل حتى صارت هذه القواعد (١٣) بعد أن كانت (٧) وعدت كتب إسماعيل بن اليشع من أساس المشنا، والثاني هو عقيبة بن يوسف مات في قتال الرومان سنة ١٣٢ وكانت مهمة عقيبة أنه أرسى أول التأويل والتفسير التلمودي على قواعد. وقال إن ليس هناك حرف واحد من التوراة يعدّ من الحشو أو مما لا معنى له. وجعل يعلم على هذه الطريقة. وقيل إنه استطاع أن يردّ التوراة إلى ينابيع في حلقات دورية، ونظم احكامها حتى انتهى إلى زمنه هو. ويقال فيه إنه مهندس أوضاع المشنا، التي برزت إلى الوجود بعد قرن، ولولا عمل عقيبة هذا - قالوا - لما كان هناك تلمود.

وكان لعقيبة تلاميذ اقتفوا أثره أهمهم ماثير، وماثير هذا كان عمله إنه اعدّ نسخة من المشنا، وهذه النسخة ارتضاها يهودا ناسي أساساً لما تمّ بعد، وذكر عزرا حداد اليهودي العراقي، وصاحب كتاب «رحلة بنيامين» ص ١١٠ أن يهودا هذا كان يقال له «الرباني الأكبر» وهو سابع رؤساء السنهدرين، والسنهدرين انتقل من بينا إلى طبرية، وكان في القدس قبل بينا كما مر بنا في الكلام عن بن زكاي. عاش يهودا (١٣٥ - ٢٢٠ ب.م)

\* \* \*

وقد جاء في التلمود المحدث بالإضافة بعد الإضافة إلى المشنا، إنه لما مات عقيبة، ولد يهودا. ويقول كوهين في ترقيع هذا القول إن هذا من قبيل التضخم المصادم للتاريخ الواضح، إذ بين موت عقيبة ومولد يهودا ٢ سنوات ومولد يهودا سنة ١٣٥ ومات عقيبة سنة ١٣٢. وما بدأه عقيبة أتمه يهودا، فإذا كان الأول المهندس فالثاني هو الباني. يهودا هو ابن معلم مشهور، سيمون بن غملائيل الثاني، من عائلة غنية ولها جاه طويل. درس اليونانية وكان صديق الرومان، ولقب أيضاً «بالناسي» وبقي على هذه المنزلة ٥٠ سنة. وهو الذي قام بجمع أشتات المجموعات السابقة، وانتهت إليه نسخة عقيبة، فتم الآن «المشروع الكبير» وهو تدوين التوراة الشفوية فصارت المشنا مقابل التوراة المكتوبة.

وعلى هذه الصورة، باتت المشنا أساس ما سمي بعدئذ بالتمود.

\* \* \*

وانك لتدهش حقاً إذ تعلم إن أساس المباحث في التلمود كله، قائم على ستة أبواب فطرية، بدائية، تدل على مجتمع في أبسط اطواره الأولى، وهذه الأبواب هي:

(١) الفلاحة (٢) الأعياد والمواسم (٣) النساء وما يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وارث ووصية (٤) النواهي والعقوبات (٥) الذبائح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسم الهيكل في ذلك (٦) الطهارة. ثم اخذت الفروع تمتد من هذه الأبواب الستة وتزداد الآراء والشروح جيلاً فجيلاً حتى رست مواد التلمود في (١٢) مجلداً ضخماً. وهذه الأبواب فرّعت على ٦٧ مبحثاً في ٥٢٤ فصلاً أو حكماً.

هذا هو التلمود، لكن لم يجاوز بعد دوره الأول، وكيف جاءت الزيادات بعد ذلك؟ إذ عاد يتضخم وينمو ويزيد، وذلك أنهم وجدوا أن المشنا على تفصيلها في الأصل الذي وضعوه، تحتاج إلى الشرح هي نفسها، وسمو شرح المشنا «الجمار» وهو بمعنى التكملة. وكما أن العلماء أو الأخبار الذين وضعوا أصول المشنا سمو «بالتائيم» وهذا في فلسطين، فعلماء «التجمير» سمو «بالامورائيم»، وهذا في العراق على نحو ما كان في فلسطين. وكل هذا العمل من وضع المشنا والجمار، مما تم في فلسطين والعراق، كان منه بالتالي تلمودان، الفلسطيني، واليهود يسمونه «بالاورشليمي»، والعراقي، ويسمونه «بالبابلي». والشرح المشنا لم يتناول التلمودين حتى ولا أحدهما بشرح كامل يأتي على كل ابوابه. فالفلسطيني أو الأورشليمي مجمّر منه ٣٩ باباً، والعراقي أو البابلي ٣٧ باباً. والمعتمد اليوم عند اليهود بالأكثر هو العراقي، وذلك بسبب لغته في الدرجة الأولى. ولما اشتد ضغط الرومان على «السنهدين» في طبرية، هاجر العلماء المسمون بالامورائيم إلى العراق، واستأنفوا هناك عملهم في التجمير أو شرح المشنا، وحسنت حال اليهود في العراق كأيام سبى نبوخذ ناصر فجعلوا يعاونون بقية زملائهم في طبرية بالمال، وتمت مرحلة شرح الامورائيم العراقيين أواخر القرن الثالث الميلادي. ولم يقضوا عند هذا الحد، فإنهم أنشأوا المدارس أيضاً، واهتموا بتعليم التلمود فيها. وذكر عزرا حداد صاحب «رحلة بنيامين» أن من مشاهير العلماء العراقيين الذين عملوا في هاتين الناحيتين، التجمير وإنشاء المدارس، الحبر أبو اريخا (مات ٢٤٧) والحبر مار صموئيل الفلكي (١٦٥ - ٢٥٧) وكان ختام التلمود البابلي سنة ٤٩٩ م على يد حبرين آشي، وهذا مات ٤٢٧ م وربينة بن هفاء وهذا مات ٤٩٠ م وبهما انتهى دور الامورائيم في العراق، كما يقول عزرا حداد.

ولم يقف العمل بعد، فخلف الامورائيم، طبقة جديدة من العلماء عرفوا «بالسبورائيم» أي الشارحين، وراحوا يعلقون على شرح الامورائيم من سنة ٥٠٠ - ٥٥٠ م. وبهذا اختتمت

صورة التلمود البابلي، وما بعد هذا إلا إضافات مما يشبه الفتاوى. وما جاءت أواخر الدولة الساسانية الفارسية إلا والعذاب يحيط بيهود العراق، واليوم لا مردخاي ولا استير. فلما جاء الفتح الإسلامي، رتموا في نعمه واجتروا في ظله، حتى إذا مالت الدولة العباسية إلى الضعف انتقلوا إلى مصر والأندلس، وهنا ما لقوا إلا النعمة والمقام الطيب. وفي أيام بغداد والقاهرة والأندلس لم يكن لليهود مراكز علمية في أوروبا قط، وإنما بدأ ذلك يكون لهم بعد ضعف العرب في الأندلس. وفي الدولتين الفاطمية والأيوبية في مصر شملت اليهود نعمة إضافية: أبو الفرج يعقوب بن كلّس كان وزير المعز لدين الله الفاطمي، ومنشا بن إبراهيم وزير العزيز، وأبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحى، وأبو سعد التستري، وموسى بن العازار طبيب المعز، والرئيس صموئيل بن حنّية، والرئيس يحيى شالوم وأبو المعالي وصهره أبو عمران بن ميمون وثنائيل بن صموئيل وكلا هذين الآخرين كانا طبيبي صلاح الدين.

\* \* \*

وقع هذا الأصل في نطاق محدود، لكن الزيادات جعلته ينمو حتى بلغ ١٢ مجلداً. وانتهى العمل التلمودى في القرن السادس الميلادى قبل ظهور الإسلام بقليل. لكن بعد القرن السادس لم تتقطع الزيادات والإضافات، وقد أمسى اليهود متفرقين في العالم، وكل فريق من علمائهم في صقع يضيفون ويلقون ويشرحون، وبسبب هذه الكثرة تراكمت أحكامه، وأبهمت كلماته، وقتله النساخ قبل اختراع الطباعة بالتحشية ثم إدخال التحشية في متن الكلام فاضطرت حاله وأمسى كناية عن دهاليز ودياميس، وزوايا ملئت بالخفايا، والغرائب، وما يجاوز حدود العقل، في كثير من المواضيع، وصارت مفاآقه والأقوال المختلفة فيه تحول دون الوصول إلى جميع نصوصه ومحتوياته ببسر وسهولة إلا طبقة رجال الدين، وصار يطلق عليهم في الزمن الحديث اسم «الحاخام» للواحد منهم، وهى بالمبرية «الحكيم»، فهؤلاء هم حملة التلمود، واقفون على مكنوناته، كما يقال.

ولما ثقلت هذه الحال، وجدوا أن التراكم في نصوصه وشروحه كل هذا قد بلغ حداً جعله مغلقاً، فعادوا على يد علمائهم فحاولوا تهذيب محتوياته وتنظيم موارده ومسارده، وهو خضم واسع، فجعلوا منه نسخة سميت «بالماسورا» وعلى رأيهم أن ما صنعوه هو خير ما يمكن من الفريلة والتنظيم، وقد تمّ هذا قبل القرن العاشر الميلادى، واليهود في المشرق لا يزالون ينعمون بحالهم في ظل الدولة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة والأندلس.

على أن موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودى القرطبى الأندلسى الأصل، وتلميذ ابن رشد، لما انتقل إلى مصر، واستقر فيها، قام بعمل كبير في أمر التلمود، فإنه اختصره وشرح المشنا شرحاً تلمودياً على مذهبه، وسمى هذا المختصر «مشنا تورا»، إحياءً للاسم الأول الذى

مر بنا ونحن نورد الكلام على منشأ الاسم وعُدَّ اختصار موسى بن ميمون هذا، آخر ما صنع في سبيل تسهيل التلمود. وكانت العربية هي لسان اليهود في التخاطب وشؤون الحياة العملية، والعبرية لا تجاوز حد الاعتبارات الدينية، وأمرها مقصور على طبقة من اليهود هم «العلماء» أو «الحاخامون». فوضع ابن ميمون اختصاره وشروحه بالعربية لفظاً وتعبيراً وباللغة الدارجة في مصر، وجعل الكتابة بالحرف العبرى. وعلى هذا جرى أيضاً في كتابه المشهور «دلالة الحائرين» فهو بالعربية أما الحروف فعبرية.

والتلمود اليوم في اللغة الإنجليزية، بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته، يبلغ ٣٦ مجلداً من القطع الوسط. وكل ما يمكن معرفته حتى اليوم من أمر التلمود، عند العرب، بعد مرور ١٤ قرناً على تكامل وضعه في العراق، كناية عن أوصاف سماعية، وشذرات خطية قليلة. ولا احسب أن عربياً ما، مسلماً كان أم مسيحياً، في العالم العربى كله، قرأ مجلداً واحداً من التلمود، إلا أن يكون ذلك الواحد دارساً مختصاً في معهد أو جامعة. ولعل السبب الأول هو اللغة، والثاني محاولة اليهود دائماً أبعاده عن أذهان غير اليهود، والثالث اعتقاد الجمهرة من مفكرى العرب أن التلمود بضاعة قديمة بالية، وإذا ما ذكروا، ذكروا التوراة، وحتى التوراة قليل من العرب من عُنَى ويُعنى بالاطلاع عليها ليعلم ما فيها من صور اخلاق اليهود. ومن الغريب أن من العادة عند طلاب العلم في الجامعات أن يضع الواحد منهم ما يسمى بالاطروحة يطويها على بحث كامل يشهد له بالكفاية في موضوعه فينال الشهادة الجامعية وتكون هذه الاطروحة بمثابة زكاة علمه وصحة بحثه. وإلى الآن لم نر بعد عربياً في العالم خطر له أن يتصدى للتلمود فيضع فيه اطروحة ما. فإذا قيل أن هذا مستصعب في الجامعات الأوروبية والأميركية، وقد يكون هذا صحيحاً إلى حد ما، فالأمر ليس بمسير في الجامعات الشرقية والعربية. وقد حان الوقت في سنة ١٩٦٦ أن يعلم العربى أن التلمود هو مباءة «حكماء صهيون»، إليه يرجعون وعنه يصدرن، ومن روحه اشتقت (البروتوكولات) وصيغت في مقررات.

ثم جاء عصر الطباعة الآلية بعد عهود النسخ والمسح، فكانت أول طبعة كاملة للتلمودين، الفلسطينى والعراقى، سنة ١٥٢٠ - ١٥٢٤ في البندقية وصددت طبعات قيل إنها طبعت في الخفاء تحتوى مجلداتها العبرية على ابدأ كلام ينال من كرامة السيد المسيح، والبابوية، فلما قامت القيامة على اليهود من أجل ذلك، واحرقت كتبهم، وفيها التلمود، بالأحمال تجرّها خيول المركبات، طبعت كتب التلمود طبعة أخرى خالية بعض الشيء من الكلام البذى، وبقيت الطبعة الأولى الكاملة في حيازة اليهود سراً، وهذا ما يؤكد المطلقون على خفايا اليهود.

ولفتنا التلمودين، الفلسطينى والعراقى، مختلفتان، تمثلان لهجتين آراميتين أما «الجمارا» الفلسطينية فلهجتها آرامية غربية (شامية) وتشبه آرامية عزرا أو دانيال، وأما الجمارا العراقية فلهجتها آرامية شرقية أقرب إلى المنوية (عراقية) هذا ما يقوله العارفون.

## (٢) «حتى بناء الهيكل المقدس فى بيت المقدس لا يبرر إهمال قراءة التوراة والتلمود»

(الرئى الدكتور إسرائيل برود فى مقدمته للتلمود)

\*

وضع الحاخام الدكتور برود مقدمة للتلمود فى طبعة جديدة منه صدرت سنة ١٩٦٠. بالإنجليزية، وهى مقدمة تتجلى فيها روح التلمود خير تجلٍ، وفى هذا صورة مدهشة لعمل الفرائز اليهودية، ونقول «الفرائز»، لا كلمة أخرى غيرها، لأننا نعنى بالفرائز ما لا يتبدل بحال من العنصر اليهودى الذى يستمد غذاءه من التلمود. والعنوان الذى يراه القارئ فى أعلى هذه الصفحة هو ليس لنا، بل للحاخام برود واضح المقدمة. وانظر كيف تجرى التوراة والتلمود عند الدكتور برود فى ركب واحد لخدمة «إسرائيل» و«إسرائيل» هى مناط الأمل للإحياء اليهودى. هذه الطبعة الجديدة من التلمود بالإنجليزية يشرف على إخراجها عدد من كبار الرئانيين، بحيث يختص كل ربيانى بمجلد، والمجلد الذى نحن بصدده الآن هو الذى يتضمن باب «الذبايح والمقدس» واشرف على ترجمته من العبرية إلى الإنجليزية الرئى دكتور أ. ابشتين. وهذه مقاطع من كلام الدكتور برود فى المقدمة.

«إن تيسير الوصول إلى دراسة التوراة، حق لكل يهودى من أقدم الأزمنة، وهى دراسة متصلة السير مدى الحياة وإهمالها لا تقبل فيه العاذير والعلل، من فقر مدقع، أو غنى مشبع، ولا يبرر هذا الإهمال شىء حتى بناء الهيكل المقدس فى أورشليم. «فالتوراة والمشنا والتلمود، ثلاثة أسس لبناء واحد. وبينما نرى معظم الدارسين، يأخذون بالتوراة والمشنا، فالذين يدرسون - التلمود<sup>(١)</sup> هم قلة لا يذكرهم - قد لا يزيدون على واحد فى الالف يتحملون ضنى المطالعة ليل نهار. هذا هو الشأن طول القرون الخالية والحال باقية على هذا وستبقى على هذه الوتيرة، لن تتغير. وعدة العقود الأخيرة شهدت انقراض مراكز العلوم الدينية فى شرق أوروبا. وكم من علماء أحبار مشهورين بالتقوى ذهبوا ضحايا الجزائر، معهم مئات من تلاميذهم الأبرياء المجتهدين».

\* \* \*

(١) لعل القارئ العربى اصبح الآن ملماً بالإمام الكافى بمعنى التلمود والمشنا، على حد ما يذكره هنا الدكتور برود حتى يعلم الفرق بين تناول معظم الدارسين المشنا، وبين القلة التى تطالع التلمود، فالمشنا، عبارتها فقرات، فبوسع الدارس أن يدرس منها على قدر طاقته. وأما التلمود فمعناه المشنا والجمارا معاً، ونسبة المشنا إلى الجمارا كسبية الجزء القليل إلى المقدار الكبير ومن هنا صعب على المطالع أن يقرأ التلمود أو المشنا والجمارا معاً، قراءة كاملة.

ثم يدخل صاحب المقدمة فى ناحية أخرى، وهى أن يشير إلى خسارة العلماء اليهود الذين ذهبوا فى الحرب الثانية على يد هتلر فى المانيا والنمسا، ثم هو يشكر ما عمل يهود أمريكا وبريطانيا فى سبيل إنقاذ المشردين.  
ثم ينوّه بإسرائيل مباشرة:-

«ولكننا اليوم، وعلى قدر ما نستطيع أن نرى من خلال الحوادث وتفسير تياراتها، نقول إنه يتعين على إسرائيل فى المقام الأول - هى ومن وراءها الناطقون بالإنجليزية من اليهود فى العالم - أن تكفل لنا التربة الصالحة والمجال الوافى لامتداد جذور «شجرة الحياة» ورسوخها فى التربة بقوة. ذلك بعبارة أخرى، أن الأقدار قد قضت بأن أمر الاحتفاظ بالقيم الروحية اليهودية، وإطراد نموها، على غرار ما عرف فى تراثنا وكتبنا، ومنهج حياتنا، تقع تبعته على عاتق «إسرائيل»، ومن فى صفها من اليهود الناطقين بالإنجليزية، وها إننا نرى أن إسرائيل قد أصبحت اليوم كهفاً أميناً للتوراة. ويتحتم على «البقية» التى فى خارج «الأرض المقدسة»، من قبيل الواجب الذى لا مرد له، أن تأخذ بكل مستطاع لترويج دراسة التوراة، والتشويق إلى هذا وبت الوسائل التى يكون منها التيسير والتسهيل. وإنما يعتبر هذا واجباً لا مناص منه، احتراماً للتوراة ووفاءً بمنزلتها، ولما فيه من العامل المؤثر فى توجيه حياتنا».

\* \* \*

ثم يقول: «إن الكتب المقدسة وآثار الريانيين، والتلمود والمشنا، كل ذلك هو مجالى حضارة لها بالغ التأثير فى أنفسنا تأثيراً شمل مظاهر وجودنا اليهودى، وفسر معانى حياتنا. فالمصادر والينابيع التى كان منها كل هذا، يجب علينا أن نستوعبها استيعاباً صحيحاً. وهذا ما ينبغى أن يكون المهمة الأولى لدينا لا تعلموها مهمة أخرى، عند المعلمين والطلاب والدارسين فى كل مكان. وفى هذا الصدد، وسيراً نحو هذه الغاية، لا نرى فى هذه الترجمة الإنجليزية للتلمود إلا كل سبب من أسباب التيسير المراد، والإنجليزية اليوم هى لسان نصف مجموع اليهود، إن لم يكن أكثر من نصفهم، فى العالم».

ثم يقول بشأن دراسة التلمود:

ومن الناحية الأخرى، فإن طالب دراسة التلمود يجد فى هذه الترجمة المعتمدة المتميزة بالصحة والدقة، خير معوان له فى تحقيق ما يصبو إليه ويرغب فيه، وذلك بما اشتملت عليه هذه الترجمة من حواش شارحة وتعليقات تجلو الفوامض، إلى إيضاح ما ينبغى إيضاحه من الأسماء والمصطلحات، ثم ختم بقوله: «والتلمود»، رغم ما لحقه من التشويه والتحقير عمداً من أصحاب الغرض والقصد، هو هو، أحد الكتب التى تحمل ثقافة عالمية، وله من السعة ما يجعله أشبه بدائرة معارف هى الآن فى متناول الدارس اليهودى».

ولكى يقف القارئ العربى على شئ من روح التلمود، نقدم إليه بعض نماذج من محتوياته.



## ٤- نماذج من محتويات التلمود ما قاله في العرب، وأمثلة من أحكام المشنا والجمارا

- المخلوقات نوعان، علوى وسفلى. العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة. إسرائيل صفوة المخلوقات، واختاره الله لى تكون له السيادة العليا على بنى البشر جميعاً، سيادة الإنسان على الحيوان المدجن.

\*

### ما للعرب من ذكر ووصف فى التلمود

- \* العرب، الأمة المحترقة.
- \* لم يتاجروا إلا بالجلود وبعض الزيوت النباتية للتداوى بها.
- \* من العار الزواج بعربية.
- \* العرب يعبدون الأصنام.
- \* العرب هم مرتكبو تسعة اعشار الجرائم فى العالم.
- \* (يقول اليهودى): أهون على أن يحكمنى إسماعيلى (عربى) من أن يحكمنى رومانى، وأهون على أن يحكمنى رومانى من أن يحكمنى فارسى.
- \* شاهد يهودى عربياً فى القرن الثالث الميلادى يذبح شاة فنزع كبدها ليتبأ عليه.
- \* العربى يعبد الفبار الذى يعلق بصنذه.
- \* فى العبرية ١٢ كلمة عربية ممتزجة بمناصر آرامية ونبطية.

(دائرة المعارف اليهودية مادة Arabia)

\* فى التقاليد اليهودية المتناقلة من القرون الأولى فى المسيحية أن العرب هم كالرومان أعداء اليهود، ويذكر التلمود خلافاً بين وفدين من «الإسماعيلية» واليهود فى مجلس الإسكندر. فقال العرب إن أرض كنعان هى ميراثنا نحن. قال «نقيل باربر» معلقاً على هذا، وقد أوردها فى كتابه، إن هذه الرواية تدل حتى فى العصر التلمودى، أى قبل القرن الخامس والسادس ميلادياً، على أن اليهود يفصون بوجود العرب فى فلسطين. (والميراث المقصود هنا العمالة والكنمانيون).

\* تقول التقاليد اليهودية أن نبوخذ ناصر لما استاق اليهود إلى بابل سبياً تعرض لهم الإسماعيليون (العرب) في الصحراء والبادية. فقدم الإسماعيليون لقوافل المسيبين الطعام لكنه مالح، فطلب الأسرى الماء فاعطوهم ظروفاً من جلود الماعز، منتفخة، وتبدو كأنها مملوءة ماء. فلما وضع الأسرى أفواههم عليها ليشرىوا، والعطش يحرقهم، فإذا بريح ساخن تخرج من الظروف، فدخل الهواء أمعاء الأسرى فقضوا مكانهم.

\* لما كان تيطس يهدم الهيكل الثانى الذى بناه هيرودس، كان أحد قواده العسكريين الأربعة عربياً، وكان هذا القائد العربى مَرَّ العداوة لليهود. فراح يحضّ الجيش على الهدم حتى لا يبقى من الهيكل حجر على حجر. ولما رآه اليهود يفعل هذا نقموا عليه، فأجابهم بأنه إنما يفعل ذلك من أجل خيرهم ومصالحتهم، إذ ما دام الهيكل قائماً فالإمبراطورية الرومانية «لا تبرح عدواً لكم، لكن إذا زال الهيكل زالت تلك العداوة». فقال له اليهود: أنت عربى لا تؤمن بنصيحتك.

\* فى قصة تتعلق بالرَّبِّى يوحنا بن زكّاي (حوالى ٧٥ ب م) وقد مرّ ذكره فى صفحات قريبة، إن العرب فى ذلك الوقت كانوا يقيمون فى عكاء ولهم الخيول لكنه نعمتهم نعتاً جد قبيح.

\* أورد «بارير» بالإضافة إلى ما تقدم القصة التالية: أخبر عربى يهودياً أن المسيح قد ولد يوم تدمير الهيكل وكان اليهودى يحرق حقله، فمرّ به العربى، ولما اقترب منه، فإذا ببقرة اليهودى وهى تحت النير تبرك على الأرض من تلقاء نفسها. فسأله العربى من أنت؟ يهودى أنا، أجاب اليهودى. فقال العربى: فكّ البقرة من النير والمحراث. ولماذا؟ لأن الهيكل قد هدم. وكيف عرفت هذا؟ عرفته من بروك البقرة. وإذا بالبقرة تبرك ثانية. ثم قال العربى: يا يهودى يا يهودى فكّ البقرة فقد ولد المسيح مخلص اليهود.

ولما علم هذا اليهودى بأن الطفل هو فى بيت لحم، باع البقرة والنير والمحراث، واشترى بالثمن البسة أطفال، وأتى بيت لحم وجعل ينادى مناداة البائع المتجول: وأتى أم الطفل وألح عليها بأن تشتري منه ما تحتاج إلى طفلها من البسة. ولما اعتذرت إليه بأن لا نقود بيدها، عرض عليها أن يبيعها ديناً ثم يأتى بعد مدة فيأخذ الثمن. فاشتريت. ولما عاد، قالت له إن ولدها قد مات. ولما سألها وكيف كان ذلك، اجابت: بعد أن فارقت بيتى هبت عاصفة أخذت الولد من بين يدي وطارت به! انتهت الأسطورة. قال بارير: وبعد هذه القصة لا ذكر للعرب فى التلمود.

\* \* \*

وأما ما للعرب من ذكر فى الكتب اليهودية، ففى ثلاثة أنواع:

١ - أسفار «المهد القديم»، ففىها شذرات متفرقة عن العرب باسمهم هذا، أو باسم العمالقة، والإسماعيليين، وهيدار، وبنى المشرق، والمدنيين.

٢ - سفر المكابيين الأول والثانى ففىهم أخبار الأنباط خاصة.

## نماذج من أحكام التلمود

التلمود منظمة أبوابه وفصوله هكذا: فاسم الباب أولاً، ثم الفصل الأول منه، وهذا كله بحروف بارزة. ثم أول سطر من أول فقرة كلمة «مشنا» بحروف سوداء، ثم عبارات الفقرة التي تتضمن الحكم. وبعد هذا فاصل، وبعد الفاصل يرد شرح المشنا، المسمى «جمارا» فترد كلمة «جمارا» في أول السطر بحروف سوداء كما وردت كلمة «مشنا» ثم الشرح، لمختلف العلماء. وقد يكون الشرح في عشرين إلى ثلاثين صفحة أو أكثر أو أقل، لحكم واحد هو في عبارة المشنا في أسطر. ومن هنا تضخمت مجلدات التلمود مع الزمن.

\* \* \*

## أمثلة

(مشنا: إذا قال رجل إنى أتعهد بأن أقدم قرباناً من طعام مطبوخ بالفرن فليس له أن يأتي به مطبوخاً في غير الفرن، كموقد الحجارة أو «تور» العرب. وإذا قال: إنى أتعهد بأن آتى بتقدمة مخبوزة، فليس له أن يأتي ببعضها مخبوزاً وبعضها الآخر فطيراً. ربي سيمون يجوز هذا، لأن كلا النوعين يعودان إلى أصل التقديمة).

(جمارا: شرح مسهب لمختلف الربيين تفسيراً لما تقدم، وتعليقاً عليه، وذهاباً به مناحي مختلفة. وهذا الشرح لهذه المسألة المتعلقة بالتقدمة استغرق ٣ صفحات).

(مشنا: الإسرائيلي الذي يشتري هلو أتان من وثنى<sup>(١)</sup>، أو يبيع فلواً من وثنى، أو الإسرائيلي الذي يتشارك مع وثنى<sup>(٢)</sup> (في حيوان)، أو يتفق مع الوثنى على تربية الحيوان<sup>(٣)</sup>، أو الذي يقبل الحيوان لتربيته<sup>(٤)</sup>، فهذا لا تنطبق عليه شريعة الحيوان إذا جاء «لأن كل بكر هو لي يوم اهلكت كل بكر في أرض مصر قدّست لي كل بكر في إسرائيل من الناس والبهائم إنهم لي يكونون أنا الرب<sup>(٥)</sup>» ولكن ليس في الأمم).

(جمارا: ما الحاجة إلى كل هذه الأمثلة في المشنا؟ وهل من الضروري إيراد هذه الوجوه كلها ما دام النص يتناول الذي يشتري؟ ولعل السبب هو اعتبار الحيوان طاهراً، ولكن الذي

(١) هذه الشروح هنا في حاشية الصفحة ليست من متن المشنا، وإنما هي شرح وتعليق لأنه ممنوع على الإسرائيلي أن يبيع حيواناً كبيراً من وثنى، لأن الوثنى «يشغل» الحيوان في السبت.

(٢) كان يشتركان في شراء حيوان ويكون لكل منهما حصة فيه.

(٣) مقابل تربية الحيوان يأخذ نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثنى.

(٤) كان يأخذ الإسرائيلي نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثنى. (٥) سفر العدد ٣ : ١٢.

يبيع من وثى، وقد رفع يده عن الحيوان سبب في أن تتعرض الطهارة للزوال فيجب قصاص الإسرائيلى لفعله ذلك).

ثم يطرد الشرح على هذا الحكم حتى يشغل ١٥ صفحة.

\* \* \*

وجاء فى أحد الفصول هذا الكلام فى أوله:

(هذا الفصل كله نصوص من المشنا، يشتمل على وصف الهيكل الثانى المقدس وما حوالبه، وذلك دقيق للغاية تفصيله. ولا ريب أن هذا الوصف قد وضع لما كان الهيكل المقدس لا يزال قائماً، وكُتب ودون باليونانية، وضم إلى المشنا حتى يكون دليلاً ومرشداً عند إعادة بناء الهيكل). ثم يأتى شرح الجمارا فى ٢٧ صفحة (مجلد ٢ ص ٢٤٠ فصاعداً).

\* \* \*

(مشنا: انقضاء السبب يكون على هذه الوجوه:

- ١ - يقف الفقير خارج الباب، ورب البيت داخل الباب، فإذا مدّ الفقير يده إلى داخل الباب ووضع قطعة متاع فى يد رب البيت، أو إذا تناول قطعة متاع من داخل البيت ومضى بها، فالفقير آثم<sup>(١)</sup>، ورب البيت لا إثم عليه.
- ٢ - إذا مدّ رب البيت يده خارج الباب ووضع قطعة متاع فى يد الفقير أو إذا تناول قطعة متاع من يد الفقير ومضى بها، فرب البيت آثم، والفقير لا إثم عليه.
- ٣ - إذا مدّ الفقير يده إلى داخل الباب وتناول رب البيت منه قطعة متاع أو إذا وضع الفقير قطعة متاع داخل الباب وتناول قطعة متاع أخرى ومضى بها، فلا إثم على كليهما.
- ٤ - إذا مدّ رب البيت يده إلى خارج الباب وتناول الفقير قطعة متاع منه، أو إذا وضع الفقير قطعة متاع فنقلها رب البيت إلى داخل، فلا إثم على أحد منهما.

ثم يتلو شرح الجمارا فى ٢١ صفحة

\* \* \*

(مشنا: لا يخرج الخياط (من بيته أو محل عمله) وبيده ابرة الخياطة قبيل الغروب (مساء الجمعة) ولا يخرج الكاتب ومعه الدواة، ولا يبسط الواحد رداءه، ولا يقرأ على ضوء قنديل).

وفى الشرح قال فيما يتعلق بالقنديل أن السبب هو خشية أن يتضاءل الضوء فيعالج الفتيل ليصحّ انسياب الزيت أو امتصاصه، وهذا يدخل فى العمل الممنوع فى السبت.

(١) (الحاشية فى الأصل) إنه دنس السبت.

## محتويات التلمود صفتان «هلاكا» و«هجادا» أو «العقل» و«القلب»

من عجائب التلمود فى الحوادث المتخيلة، والارقام، والصور البعيدة من التصور، ما يخرج عن حدود العقل الإنسانى، دع عنك ضروب التطوح فى كل ناحية، إذ الرواية السماعية من عهد موسى قد وسعت كل هذا. أما صفة «الهلاكا» فيعنى بها الأمور التى تتعلق بجهة الشريعة ومذاهب الرأى والفقهاء فيها. أما «الهجادا» فمعناها القصة أو الرواية أو الحكاية، فهى ما هبَّ ودبَّ من أقاصيص القصص، منفلتين من التقيد بأحكام شريعة موسى، ويحصر استقادهم فى ذلك بأن هذه الأمور والأقوال مروية منقولة بالسمع من عهد موسى. ولكن تُضفى هالة عامة على كل هذا، نوعى «الهلاكا» و«الهجادا» قالوا إن «الهلاكا» طريق العقل، و«الهجادا» طريق القلب. وهذا معناه عندهم أن الأولى رأى وتدبر ونظر، والثانية عاطفة وميل وهوى، وفى النهاية وضعوا الصفتين هكذا:

هلاكا = نابغة من العقل

هجادا = نابغة من القلب

\* \* \*

## ٥- التلمود وجهاً لوجه مع العرب والأمم وهذه هي أقواله:

ومع المسيحية والإسلام، أما الأخلاق الإنسانية فتشيع بوجهها عن كلماته

\*

ما قاله التلمود في (٨٠) نموذجاً

«لا يعدّ المرء ناضجاً في السياسة أو الكتابة ما لم يدرس القضية الصهيونية».

هذه الكلمات للعلامة بولس حنا مسعد، صاحب كتاب «همجية التعاليم الصهيونية»، وقد وضعه سنة ١٩٢٨ ومما قاله في مقدمته: «للمسيحي انجيله يبشر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب. أما الإسرائيلي فله كتابان: كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل به، وآخر مجهول عند العالم يدعى التلمود، يفضله على الأول، ويدرسه خفية، وهو أساس كل مصيبة. إن النصراني يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع. والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين. أما الصهيونيون فلا يريدون أن يكون الإله إلا لهم وحدهم. زد على ذلك أن التلمود ينص على أن جميع خيرات الأرض ملك لبنى إسرائيل، وأن النصراني والمسلمين وعبدة الأوثان، خلقوا عبيداً لهم. هم (اليهود) متحدرون من الله كما يتحدر الابن من أبيه، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة، ولم يعطوا صورة الإنسانية إلا إكراماً لبنى إسرائيل. على هذا المنوال تعاليم هذا الكتاب الموبوء، وقد اتخذ له مبدأ: الغاية تبرر الوسيلة، فلا عجب إذا قامت عليه قيامة المخلصين لبلادهم، وطهروا حكوماتهم من اتباعه الصهيونيين..»

«والآن بعد أن أخفق إسرائيل في سائر أنحاء العالم وعاد بصفقة المغبون، رجع يفكر في احتلال فلسطين، البلد المقدس، مدعياً أن الله وهبها له. فلا غرو بذلك، فالذين يدعون ملكية المعمورة، ألا يجراون على المنادة بامتلاك بقعة صغيرة كفلسطين!»

وقال المؤلف في نهاية المقدمة:

«تلك صورة مصفرة أو جزء من ألفٍ منها حواه كتابنا هذا ونحن لم نرجم بالغيث، ولم نقل كلمة واحدة إلا أسندناها إلى مرجعها الأصلي. وبما أن العثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية، نظراً لما حذفه المتأخرون من الأقوال، واستماضوا عنها بدوائر هندسية أو بصفحات بيضاء منقطة، فإننا اعتمدنا في إدراج النصوص، وترجمتها، على كتاب الاستاذ اغوست روهلنج».

\*\*\*

واختتم العلامة بولس حنا مسعد مقدمة كتابه بقوله :-

«إلى القارئ المرعى العزيز، هذا الكتاب عن عقيدة إسرائيل كما هي في التلمود بلا زيادة ولا نقصان، والموضحة التعاليم الركيكة التي يتناقلها الأبناء عن الآباء، والشارح الخرافات المضحكة التي يقدسها ذلك الشعب المبعوض، ولا غاية لنا من وراء ذلك إلا نشر العلم الحقيقي الذي آلبنا على نفسنا خدمته بكل ما في صدرنا من قوة وعزم وحماسة ونشاط».

\* \* \*

واطلعت مجلة «المقتطف» - شيخة المجالات العربية - على هذا الكتاب بعد طبعه باثنتي عشرة سنة، فكتبت، بعد أن أوردت بعض محتوياته تقول: «لكي تطلع على سائر أمثال هذا التجديف الذي لا تحتمله نفس بشرية، يجب أن تطلع على هذا الكتاب - كتاب الخورى بولس حنا مسعد - الذي نحن بصددده، فترى أقوالاً لا تخطر في بال المجانين والمخرفين والسكارى والأراذل، والذين فقدوا الصواب والعقل والأدب والحياء بتاتاً». انتهى قول مجلة «المقتطف» في عدد فبراير ١٩٥٠.

وهذا ما نشرته «المقتطف» من أقوال التلمود، غير ناقلة الكلام بعينه لشدة كفره وبذامته، بل تسوق الكلام بالوصف مكتفية بذلك:

«اليهود يصفون التلمود فوق التوراة، والحاخام فوق الله (استغفر الله) والله يقرأ وهو واقف على قدميه. وما يقوله الحاخام يفعله الله. إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لها أطيب من كلام الشريعة والخطايا المقترفة ضد التلمود لها أعظم من المقترفة ضد التوراة».

«يقسم (الله) النهار إلى ١٢ ساعة، ففي الساعات الثلاث الأولى، يجلس الله ويدرس الشريعة، وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعوب، وفي الساعات الثلاث الثالثة يفدى العالم، وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع ملك الاسماك، وملك الاسماك هذا طوله ثلاثماية قدم يدخل في فمه فلا يتضايق».

\* \* \*

كتاب «همجية التعاليم الصهيونية»، صفير الحجم واقع في (١١٥) صفحة يقرأ في ساعتين من الوقت. غير أن القارئ لا يلبث أن يشعر بالحاجة في نفسه إلى قراءة الكتاب مرة ثانية وثالثة لعله يبتدىء يتأمل مطرقةً وقد تتفاعل عدة أمور في نفسه. فإذا أفضل الكتيب وطرحه أمامه على سريريه أو منضدته، أو مكتبته، ليعود إليه مرة أخرى، وقع نظره على العبارة التي أحب المؤلف أن يوجز بها الباب مقاصده فقال تحت وسمه الكتاب:

## « لا يعد ناضجاً في السياسة أو الكتابة ما لم يدرس القضية الصهيونية »

وإذا كان القارئ العربي حياً، فيعلم أن المراد بالصهيونية التلمود، إذ هي منه، ومن التلمود خرج ويخرج كل شيء يدخل في مخطط اليهود الذي يريدون به تحقيق أحلامهم من إقامة دولة دينية داودية سليمانية اوتوقراطية، عاتية مستبدة، تحكم العالم. من روح التلمود خرجت البروتوكولات.

\* \* \*

وكان العلامة بولس حنا مسعد حريصاً على أن يذكر المرجع لكل عبارة نقلها، فأثبت في نهاية كل فصل من فصول الكتاب جدول المراجع بذكر الكتاب المقتبس منه مع رقم الصفحة باللغات الأجنبية، ولا نرى أهل البحث العلماء يدققون أكثر من هذا. وفصول كتاب «همجية التعاليم الصهيونية»، ١٩ فصلاً مختصراً، وعدد المقتبسات المثبتة المراجع بلغ (٢٦٢) مقتبساً. وعناوين الفصول المذكورة هي: المذهب التلمودي - كلمة التلمود - ألوهية التلمود - إله التلمود - الملائكة - قصة الشياطين - الأسرار التلمودية - النفوس - النعيم والجحيم - قريب اليهودي - التملك - الخداع - الأشياء الملتقطة - الريا - الأشخاص - المرأة - اليمين - الحرم - الخلاصة.

\* \* \*

ونكتفى هنا بنقل عبارات وقتر من كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» بعد أن وضعنا بين يدي القارئ هذا التفصيل، لنزيده علماً بمحتويات العقائد التلمودية، دون حاجة إلى ذكر المصادر والمراجع في الكتب الأجنبية التي يستغرق ذكرها مجالاً فسيحاً، فهي في كتاب العلامة بولس حنا مسعد لمن يريد الرجوع إليها.

### المقتبسات:

(١) «أما تهذيب الريانيين (الحاخامين) الذين هم رؤساء اسرائيل فأساسه ومرجعه التلمود. لذلك قد افتتحت مدارس كثيرة لقراءة التلمود في جميع أنحاء اوربوا تحت ادارة الريانيين، لتتيح لجميع أبناء اسرائيل الالمام بتعاليمه. حتى ان في برلين نفسها كانت توجد منذ خمس وثلاثين سنة جمعية من هذا النوع تجمع أعضاءها كل مساء لقراءة الكتب المقدسة. وبهذه الوسيلة يجد، مثلاً، التجار اليهود الذين لا يعرفون شيئاً عن التلمود، اخواناً لهم اسرائيليين يفقهونهم بمعلوماتهم التلمودية. وهنا نتساءل: لم هذه الدروس؟ ألم تكن الغاية منها وضعها موضع العمل في الحياة اليومية.. حتى إن منهم من يقول: نعترف جهاراً بسمو التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسوية» (ص ١١).



- (٢) «ان الدكتور كورنر يلصق بالشرعية القديمة حوادث تجعلها أحط من التلمود، فضلاً عن اننا نجد الوفاً من الأدلة التلمودية التي تناقض على طول الخط أحكام التوراة. فاليهودى الذى يسرق المسيحى، او يفضح امرأة اجنبية، لا يعاقبه المجمع، لأن التلمود يسمح له بذلك. ومع هذا فان اليهود يتبجحون بأنهم يحافظون على التوراة بحفظهم التلمود». (ص ١١ و ١٢). قلت: المجمع اليهودى هنا هو السنهدين السرى.
- (٣) «ان الريانى «راشى» يثبت هذه التعاليم بمثل ما أورده التلمود. رأى الريانى كرمه متهدلة بالعناقيد الناضجة فقال لخادمه: اذا كانت هذه الكرمة لغريب فاقطف منها، واذا كانت ليهودى فلا تمسها» (ص ٦٣).
- (٤) «إن الوصية القائلة «لا تسرق» معناها عند النسر بن ميمون: لا تسرق اليهودى. اما غير اليهودى فيسمح دون ما وجل بسرقة» (ص ٦٣).
- (٥) قال العالم «بفافركن» فى هذا الصدد: ان ممتلكات النصرانى بالنظر الى اليهودى، هى ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار. وأول يهودى يستولى عليها عنوة يكون هو مالكاها الأصيل» (ص ٦٥).
- (٦) «يقول التلمود بشدة: «كما ان ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء اسرائيل يجب ان يعيشوا من خيرات امم الأرض دون ان يحتملوا عناء العمل» (ص ٦٥)
- (٧) «وفى المجمع اليهودى المنعقد فى بولونيا سنة ١٦٣١ قرروا بالإجماع أن العبارات التى تهين الاغيار يجب حذفها، والاستعاضة عنها اما بدوائر هندسية، واما بتركها بيضاء، وان التعاليم القائلة مثلاً بان المسيحيين هم سافلو الاخلاق لا يستحقون المحبة او العدل... لا يصح نشرها الا شفوية فى مدارسهم (اليهود)». (ص ١٤ و ١٥).
- (٨) «فى كل عصر عدّ اليهود عموماً، ما عدا بعض المشايقن (كالقرائين)، التلمود إلهيا، كالتوراة. ولكن اذا فحصنا الحقائق بمنظار الروية وجدناهم يضعونه فوق التوراة نفسها» (ص ١٦).
- (٩) «ان التوراة كالمياه، والميشنا كالخمر. والجيمارا كالخمر المعطر. فالعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر، وخمر معطر. والفنى لا يدع واحدة منها تقوته. ولهذا السبب فان العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة والميشنا والجيمارا. فالشرعية كالمح، والميشنا كالبهار، والجيمارا كالتوابل. اما العالم فانه لن يعيش بدون الملح والبهار والتوابل» (ص ١٦).
- (١٠) «ان الذين يدرسون التوراة يحتمل ان يكون عملهم فضيلة. اما الذين يدرسون الميشنا فانهم يمارسون الفضيلة ويثابون عليها، الا ان الذين يدرسون الجيمار فانهم يكتسبون اعظم فضيلة وأسماء» (ص ١٦ و ١٧)

- (١١) «يقول التلمود: من يحتقر كلمات الريانيين يستحق الموت» (ص ١٧)
- (١٢) «إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لها أطيب كلام الشريعة» (ص ١٧).
- (١٣) «إذا كان احدكم يملك نسخة من التوراة والمشنا ولا يملك نسخة كاملة من التلمود فلا يجوز لكم ان تعاملوا معه» (ص ١٧)
- (١٤) «ويعلم التلمود بهذه الالفاظ: ان الله قد انزل الشريعة على جبل سيناء كما وردت في التوراة. أما في الميشنا والجيمارا فقد جاءت بصورة القصص والأمثال، وذلك لأن الله أراد أن يعطى التلمود متجسداً بصوته الحي. حتى إذا خضعت الشعوب لأبناء إسرائيل تبقى الفوارق قائمة بين إسرائيل وعبدة الأوثان» (ص ١٨).
- (١٥) «لو أراد الله أن يكتب التلمود برمته على الورق، لما وسعته الأرض صحفاً مكتوبة» (الصفحة ١٨).
- (١٦) إن الرياني منا حين يطلعنا بالاتفاق مع كثير من العلماء على أن الله يأخذ رأى الريانيين العائشين على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء» (ص ١٩).
- (١٧) «جاء في كتاب يهودى سنة ١٥٩٠: أن كلمات الريانيين لأشد عذوبةً من كلمات الأنبياء... وذلك لأن كلمات الريانيين هي كلمات الله الحية.. إذا قال لك الرياني أن يدك اليمنى هي اليسرى وأن اليسرى هي اليمنى، فلا يجوز لك أن تتبذ كلامه. فكما يلزمك أن تحترمه إذا قال لك أن اليمنى هي اليمنى، واليسرى هي اليسرى» (ص ١٩).
- (١٨) «إذا أتى صوت من السماء يبقى بغير قيمة حتى يحققه الرياني، وإن الله إذا عضد ريانياً في مجادلة، فإنه يعضد خصمه في المجادلة نفسها لتكون الغلبة الكبرى للرياني» (ص ٢١).
- (١٩) «إن الله تعالى قد تاب عن تركه بنى إسرائيل يرتطمون في الشقاء، كمن يتوب عن اسم شخصى، فلذلك إنه يهمر كل يوم دمعتين سخينتين في البحر، تسببان قرقرة شديدة تسمع من أقصى العالم إلى أقصاه، وفي كثير من الأحيان تنزل قواتها الهزات العنيفة بالمسكونة» (ص ٢٧).
- (٢٠) «والتلمود يقول في غير محل إن الله عندما يقسم في كل مرة بدون مبرر معقول، فمن اللازم أن يحل قسمه بقسم آخر نظيره، وهذا يثبت أن أحد الحكماء في إسرائيل قد سمع يوماً الله يصرخ: يا لشقائي! من ينقذنى من قسمى هذا؟» (ص ٢٧).
- (٢١) إن الله قد أقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة الكذب لكي يلقي السلام والوثام بين إبراهيم وسارة. وهذا هو الموسوخ الذى يخول بنى إسرائيل الكذب لإعادة السلام إلى نصابه» (ص ٢٨).
- (٢٢) «إن واحداً وعشرين الفأ (من الملائكة) يحرسون الأعشاب لأن على الأرض واحداً وعشرين

الف نوع من العشب» (ص ٢٠).

(٢٣) «إن عمل الملائكة الرئيسي سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم في الليل. أما في النهار فإنهم يصلون عن البشر، ولذلك يجب أن نلتجئ إليهم. إلا أن الملائكة لا يفهمون السريانية والكلدانية وهذا هو السبب الذي يمنهم من سماع طلبات وصلوات أبناء هاتين اللغتين» (ص ٣١).

(٢٤) «إن الشياطين مركبون من الماء والنار ومنهم من خلقوا وفيهم شيء من الهواء وغيرهم من التراب. أما نفوسهم فقد صنعت من مادة محفوظة حول القمر، ولا يجوز استعمالها لغير ذلك. إن بعض الشياطين تحدروا من صلب آدم الذي بعد أن لعنه الرب رفض الدنو من حواء لكيلا يلد نسلأ شقيأ، وفي ذلك الوقت بانث أمامه شيطانتان فعرفهما، وولدتا منه شياطين جديدين» (ص ٢٣).

(٢٥) «قال ساحر فرنسي كبير يدعى «اليفاس ليفي»: «إن التلمود هو الكتاب الأساسي لكل أنواع السحر» (ص ٢٦).

(٢٦) «إن الرياني العازار كان يحول حقله المزروع قرعأ وبطيخأ إلى ظباء وجداء» (ص ٣٦).

(٢٧) «يمتد أصحاب التلمود أن إبراهيم ابا الآباء كان يستعمل السحر وعلمه لغيره حتى كان يريط في عنق كل مريض حجراً، يرد له صحته... ويخبرنا التلمود أن ريانياً قطع رأس أفعى بسننه ولسها ثانية بحجره فعادت إليها الحياة. بل إنه كان يلمس بهذا الحجر الطيور التي ماتت فتعود إليها الحياة وتطير ثانية» (ص ٣٧).

(٢٨) «إن الرياني فاييوس من ليون اوضح في خطابه يوم عيد رأس السنة العبرية (١٨٤٣م.) أن الديانة اليهودية تلو على المسيحية وغيرها من الأديان، وذلك لعدم وجود أسرار فيها، فإن كل شيء في الديانة اليهودية هو نور وعقل، بعكس المسيحية التي تكبل العقل وتسترسل وراء الأفكار الجنونية» (ص ٣٩).

(٢٩) «كان آدم كبيراً جداً حتى لامس برأسه قبة السماء. ولما كان ينام كان رأسه يبلغ آخر العالم من الجهة الشرقية، ورجلاه تصلان إلى الغرب من الجهة الثانية. وصنع الله له كوة كان يرى من خلالها العالم بأسره. لكن لما اخطأ آدم صفره الله ومسخه بالهيئة البشرية الحاضرة» (ص ٣٩).

(٣٠) «إبراهيم أكل أربعة وسبعين رجلاً وشرب دماءهم دفعة واحدة، ولذلك كانت له قوة أربعة وسبعين رجلاً» (ص ٤١).

(٣١) «إن نفوس جميع البشر التي وجدت والتي ستوجد حتى انتهاء العالم قد خلقها البارى في أيام التكوين الستة، ثم خزن هذه النفوس في مخازن السماء وأمرها بالآ تقادر مسكنها

- إلا عندما تكون الأمهات على وشك وضع مولود جديد في العالم» (ص ٤٢).
- (٣٢) «أوجد الله في البدء ست مئة ألف نفس يهودية، لأن كل آية في التوراة تحتل ست مئة ألف تفسير، وكل تفسير جدير بنفس واحدة» (ص ٤٢).
- (٣٣) «إن نفوس اليهود منعمٌ عليها بأن تكون جزءاً من الله فهي تتبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه» (ص ٤٢).
- (٣٤) «هذا السبب يجعل نفس اليهودى أكثر قبولاً وأعظم شأناً عند الله من نفوس سائر شعوب الأرض، لأن هؤلاء تشق نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد. ولهذا يقول التلمود: إن زرع الرجل غير اليهودى هو زرع حيوانى» (ص ٤٢).
- (٣٥) «تنتقل نفس اليهودى بعد موته إلى جسد آخر، وعندما يلفظ المتقدم في السن أنفاسه، تسرع نفسه إلى جنين في بطن أمه» (ص ٤٣).
- (٣٦) «كان لقاين ثلاث نفوس: الأولى انتقلت إلى يثرو والثانية إلى قورح، والثالثة إلى المصرى الذى قتله موسى» (ص ٤٣).
- (٣٧) «أما نفس يافت فقد انتقلت إلى شمشون، ونفس تارح إلى أيوب، ونفس حواء إلى إسحق، ونفس خادم الزانية إلى حبرو، ونفس جايل إلى إلياس، ونفس عيسو إلى المسيح..» (ص ٤٣).

\* \* \*

في هذا الموضع أجاب مؤلف «همجية التعاليم الصهيونية» على قول التلمود هذا بقوله:-  
«نحن نجلّ قلمنا عن ايراد هذه النتيجة السمجة. إنا نحيل أبناء إسرائيل إلى إنجيل المسيح لكي يروا بأعينهم آية حياة طاهرة عاشها مؤسس الديانة المسيحية، وأى حياة طاهرة يطلبها من أتباعه. أما اليهود الذين يمرقون من دينهم، أو يقتلون أحد أبناء ملتهم، فإن نفوسهم بعد الموت تسير توأ إلى الحيوانات والنباتات وتقطن بها، ثم بعد حياة شقية يرسلون إلى الجحيم ليحتملوا ألوان العذاب اثني عشر شهراً، وعند انتهاء المدة يبعثون أحياء وينتقلون متجسدين في الحيوان وعبد الأوثان وعندما يطهرون يمددون إلى اليهودية» (ص ٤٣).

\* \* \*

- (٣٨) «يقول التلمود إن النعيم عبارة عن مكان تعيش فيه اذكى الروائح والطيوب، فإن ايليا قد ضمخ في ذات يوم ثوب كاهن بأوراق شجر الفردوس فظل المبير منتشراً من الثوب حتى تهرأ وأخيراً باعه بثلاثماية قطعة من الفضة» (ص ٤٤).
- (٣٩) «وجهنم هي أرض موحلة فاسدة لا فرح فيها ولا سرور، بل بكاء وظلام. وكل مسكن في الجحيم يشتمل على ستة آلاف صندوق وكل صندوق فيه ستة آلاف برميل من الحنظل

والاسفنتين» (ص ٤٥).

٤٠ «المشروبات السماوية هي الخمر الفاخرة الممتعة المحفوظة من يوم الخليقة السادس، وهذه الجنة اللذيذة لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، أما الباقون فيزوجون في جهنم النار» (ص ٤٥).

٤١ «إن جهنم هي أكبر من السماء بستين مرة، وهي سجن القلف (من لا ختان لهم) وفي مقدمتهم أتباع المسيح ابن مريم لأن هؤلاء يحركون أيديهم كثيراً برسم إشارة الصليب على ذواتهم. ويأتي بعد النصارى المسلمون لأنهم لا يفسلون سوى أيديهم وأرجلهم وأقفاذهم وعوراتهم. كل هؤلاء يحشرون حشراً في جهنم ولا يفادرونها إلى الأبد» (ص ٤٦).

٤٢ «يقول التلمود إن المسيح عندما يأتي تنتج الأرض حلوى وأثواباً من الصوف وحنطة خصبة الحبة الواحدة منها تزن ثقل كلية ثور فحل» (ص ٤٧).

٤٣ «إن المسيح يعيد قضيب الملك إلى إسرائيل فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك». «وعندئذ يمتلك كل يهودى ألفين وثمانماية عبد وثلاثماية وعشرة أبطال يكونون تحت إمرته. المسيح لا يأتي ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية. ذلك لأن إسرائيل إذا كان صالحاً يجب عليه أن يعمل بغير هوادة في أن ينبذ المتسلطين، وطالما هم بعيدون عن تحقيق هذه الفكرة فيعتبرون نفوسهم غرباء ومنفيين» (ص ٤٧).

\* \* \*

نود أن نستوقف القارئ العربى لحظات في هذا الموضوع لنلفت نظره إلى الحقائق الرهيبة التالية:

- ١ - كل ما يتعلق بمخطط اليهود للاستيلاء على العالم، وتعمل له اليهودية العالمية الخفية بأجهزتها السياسية والاقتصادية، العلنية والخفية، خطوطه في التلمود.
- ٢ - لا نرى بنا حاجة إلى أن ننقل إلى هذه الصفحات هنا متن البروتوكولات التي نصت على هذا كله بالتفصيل الكافى الوافى. وإن كان مذهلاً أمر هذا المخطط. فإننا عندما نقرأه في التلمود، نقرأه اساطير وأوهاماً وتخاليط وما اشبهه، ولكن عندما تنتقل إلى متن البروتوكولات ونعمن النظر فيها بروية، نجد أن اساطير اليهود صارت تتحول إلى برامج محكمة. ونقول: أن ما بلغته اليهودية المالية حتى اليوم من تحقيق جزء من مخططها هذا، يرفضه العربى، وكل مسلم ومسيحى من ابناء الأمة العربية ولا يقبله دليلاً على أن اليهودية العالمية قادرة على أن تمضى طويلاً بعد اليوم في اجتياز المراحل نحو تحقيق الغاية الكبرى وهي احراز السلطة العالمية وصولاً إلى الملك الداودى السليمانى، ومحو أنظمة الدول، والأديان، وجعل اليهودية المادية هي الدين السائد على جميع الأمم في

العالم. فيعود الأمر إلى ما يشبه الأساطير. فمع الاعتقاد الراسخ من أن «إسرائيل» هي - القفاز الخارجى الموقت لليهودية العالمية - يجب أن يؤخذ بخناقها حتى تهمد، علينا أن ننتبه بقوة جبارة إلى الأجزاء المقبلة من المخطط اليهودى.

٢ - لذلك نلقت نظر القارىء إلى أن يقابل بين ما يقوله التلمود هنا، وما هو مبسوط من هذا المخطط فى البروتوكولات وهى:

السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرون، والحادى والعشرون، والرابع والعشرون، وهذا كله بين يدى القارىء.

\* \* \*

(٤٤) «قبل أن تضمحل شعوب العالم وتستعبد، وقبل أن يصير اليهود أسياد مدنهم، وقبل بدء الملكوت المسيحى، ستنشب حرب طويلة تشيب لهولها الأطفال، فتزهق ثلثى العالم. ويمكث اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة المكتسبة، وعندئذ تتضخم أسنان أعداء إسرائيل القدماء وتبتعد عن أفواههم بعرض اثنين وعشرين قدماً، وفى انتظار ذلك يعيش اليهود فى حرب مستمرة مع الشعوب الغربية» (ص ٤٨).

(٤٥) «عندما يعقد لواء الظفر النهائى يرتضى المسيح بكل الشعوب إلا أنه يرفض المسيحيين منهم، وفى ذلك الوقت يصبح أبناء إسرائيل أغنياء كباراً لأن كنوز الشعوب تسقط بين أيديهم. إن هذه الكنوز تملأ قصوراً وسيمة، حتى أن ثلاثماية دابة لا تكفى لحمل مفاتيح الأبواب والخزائن» (ص ٤٨).

(٤٦) «فى ذاك الوقت يعتقد الجميع الإيمان اليهودى، إلا أن المسيحيين لا شركة لهم فى هذه النعمة، بل إنهم يستأصلون عن وجه الأرض، لأنهم متحدرين من الشيطان، وعندئذ تشبع رغائب اليهود، لأن المسيح الذى ينتظرونه ويستعدون للقائه هو إسرائيل نفسه، أى أن الشعب اليهودى يملك على باقى الشعوب وقت مجيء المسيح» (ص ٤٨).

\* \* \*

وعلق المؤلف على هذا الكلام الهمجى الصهيونى بقوله:

«والعجب الغرب أن الحكومات المسيحية والإسلامية تسمح لليهود بأن ينشروا هذه السفاسف والخزعبلات وأن يلصقوا أمثال هذه السماجات بالسيد المسيح، واضعينة بين عبدة الأصنام وقائلين عنه إنه ابن....» (ص ٤٩). والكلمة التى أشرنا إليها بنقاط نابى أن نوردها هنا وإن أثبتها المؤلف فى كتابه.

(٤٧) «أن اليهود أحب إلى الله من الملائكة فالذى يصفغ اليهودى كمن يصفغ العناية الإلهية سواء بسواء. وهذا يفسر لنا استحقاق الوثنى وغير اليهودى الموت إذا ضرب يهودياً» (ص ٥٢).

- (٤٨) «يعلمنا التلمود إنه لولا اليهود لامتمت البركة من الأرض، وانقطع المطر وانحجبت الشمس، لذلك لا تستطيع شعوب الأرض الحياة بدون الإسرائيليين» (ص ٥٢).
- (٤٩) «إن المفاضلة الموجودة بين جميع الأشياء فكلما أن الإنسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم ارفع من شعوب الأرض، لأن زرع الأغراب كزرع الحصان» (ص ٥٢).
- (٥٠) «إن مدافن غير اليهود تتلج صدور أبناء إسرائيل لأن اليهود وحدهم هم بشر. أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع متخلفة من الحيوانات» (ص ٥٢).
- (٥١) «إن غير اليهود كلاب عند اليهود بحسب تعليم التلمود المستند إلى الآية السادسة عشرة من الفصل ١٢ من سفر الخروج وقد جاء فيه أن الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب والكلاب» (ص ٥٢ و ٥٣).
- (٥٢) «قال الرياني موسى بن نعمان لكم وليس للنجسين، لكم وليس للكلاب وضعت أعياد مقدسة» (ص ٥٣). (قلت: اقرأ الفصل السابع في هذا الجزء ففيه ترجمة بن نعمان).
- (٥٣) «لا يسمح باعطاء اللحم لغير اليهودي بل للكلب لأنه أفضل من غير اليهودي» (ص ٥٣).
- (٥٤) «إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات» (ص ٥٣).
- (٥٥) «رأى الرياني ايدل: أن غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري. فالمرأة اليهودية التي تخرج من الحمام عليها أن تستحم ثانية إذا وقع نظرها لأول مرة على نجس كالكلب والحمار والمجنون وغير اليهودي والجمال والخنزير والحصان والابرص» (ص ٥٤).
- (٥٦) «من القطننة الانقطاع عن المراقص لأن في ذلك خصلتين: اثواب الراقصات تثير كوامن الشهوات القبيحة، وجمالهن الذي يسترق منا عبارات الشاء، وهذان الأمران ممنوعان بتاتا إذا كانت الراقصات غير يهوديات» (ص ٥٥ و ٥٦).
- (٥٧) «إن عبدة الأوثان الذين لا يعتقدون الدين اليهودي، والمسيحيين المؤمنين بيسوع المسيح والمسلمين التابعين للنبي محمد، هم في نظر اليهود اعداء الله وأعداء اليهود» (ص ٥٦).
- (٥٨) «يسمح التلمود لاصدقاء الله وأقاربه في أن يضلوا الأشرار لأنه مكتوب: كن تقياً مع الأتقياء وشريراً مع الأشرار» (ص ٥٧).
- (٥٩) «ممنوع السلام على الكفار. يجب على الإنسان أن يوارب أبداً في خوف الله. إذا سلم اليهودي على غير اليهودي فحباً للسلام والوثام ودفعاً للمشاحنات والمشاجرات» (ص ٥٧).
- (٦٠) «يقول الرياني بيشاي: إن الرياء مسموح به» (ص ٥٧).
- (٦١) «إن هؤلاء الأشرار هم شعوب الأرض قاطبة وكل الذين ليسوا على شيء من اليهودية يقول التلمود: كل خير يصنعه إسرائيل، وجميع الاحسانات التي يوزعونها على الاغيار، والمحبة التي يستعملونها نحوهم، هذه كلها خطايا على اليهود لأنهم يعملونها تباهاً وتبجحاً،

- فضلاً عن أهل الفرلة (الذين ليس عندهم ختان) وثيون لا ذمة لهم ولا ذمام، وكذلك أهل الختان من المسلمين لا يشذون عن هذه القاعدة لأنهم ليسوا اختياراً» (ص ۵۸).
- ۶۲) «يقول التلمود: «يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن إذا بعث أو اشترت لقريبك (اليهودي) فلا يجوز لك أن تراوغه وتساومه» (ص ۶۷).
- ۶۳) يقول التلمود: «عندما يقيم يهودي قضية على غير يهودي، عليك أن تعضده وتقول للغريب: هذا ما تريده شريعتنا منا. وإذا كانت شريعة الغريب تشدُّ أزر اليهودي، فيجب عليك أن تساعد أخاك ليكون له الحكم في الدعوى، وتقول للغريب: هذا ما تريده شريعتك منك. إذا لم يكن الأمر كذلك (أي إذا لم يكن لليهود قضاة في البلاد ولم يكن لهم شرائع خاصة بهم) فعندئذ يتحتم عليك أن تحوك حول الغريب أحابيل الخداع وتوقه بها حتى يظهر اليهودي عليه» (ص ۶۷).
- ۶۴) «يقول التلمود أن الرياني إسماعيل كان يحلل سرقة غير اليهودي. وهو نفسه، الرياني إسماعيل، أخذ أنية ذهبية بسعر طفيف لأن صاحبها غير اليهودي كان يظنها نحاساً، ومع ذلك فإن الرياني إسماعيل لم يدفع له ثمنها بالبخس كاملاً» (ص ۶۸).
- ۶۵) «اشترى الرياني كاهانا مئة وعشرين برميلاً نبيذاً من رجل غير يهودي. لكنه لم يدفع له من الثمن سوى ثمن مئة برميل.
- ۶۶) «رياني آخر، بعد أن باع لرجل غريب جذوع شجرة، أمر خادمه قائلاً: «اذهب واحفظ شيئاً من كل جذع لأن سرقة غير اليهودي جائزة» (ص ۶۸).
- ۶۷) «قال الرياني موسى: «إذا غلط غير اليهودي في عملية حسابية وكان الغلط على الغريب، ولليهودي لا عليه، فعلى اليهودي أن يقول ولو اكتشف الغلط: أنا لا أعرف شيئاً لكن لا يليق أن يغلط الغريب، إذا كان هذا يحاول تجربته اختياراً، وذلك لئلا يفتضح الأمر» (ص ۶۹).
- ۶۸) «كتب الشيخ برناتز» في مؤلف يقول: عندما يركض اليهودي، ويبحث في كل مكان طول الأسبوع عن نصراني ليغشه فإن عمله يماثل يوم السبت المقدس، ويحق له أن يفاخر بعمله ويقول: يجب انتزاع قلب النصراني من جسده واهلاك عليّة القوم منهم» (ص ۶۹).
- ۶۹) «جاء في التلمود: إذا ردَّ أحد إلى غريب ما اضاعه فالرب لا يفقر له أبداً. ممنوع عليك ردُّ ما فقده الغريب ولو وجدته. الرياني موسى يعلم تلاميذه: لا يجوز رد الأشياء الضائعة إلى الهراطقة وعبدة الأصنام ومن يدنس يوم السبت جهاراً» (ص ۷۰).
- ۷۰) «إذا أعطى يهودي معلومات عن يهودي هارب من وجه غريب له عليه دين مستحق، فالهارب لا يستوجب الادانة أكثر من أخيه الذي سعى به، وعلى هذا الذي سبب الوشاية أن يعرض على أخيه ما خسره بسبب الوشاية» (ص ۷۰).



- (٧١) «قد كتب على شعوب الأرض: لحومكم من لحوم الحمير، وزرعكم من زرع الحيوانات. ولهذا السبب فالمباركون أولاد الحق هم اليهود ورومتهم التي تضمخت على جبل سيناء تبعد عنهم كل قذارة» (ص ٧٩).
- (٧٢) «يقول التلمود: اقتل عبدة الأوثان ولو كانوا من أكثر الناس كمالاً. من يرفع وثياً من حفرة وقع فيها فإنه يبقى على رجل من عبّاد الأوثان» (ص ٨٠).
- (٧٣) «إذا وقع وثى في حفرة فاسدها عليه بحجر كبير. قال النسر بن ميمون: محرّم عليك أن تأخذ الشفقة على وثى بل عندما تراه قد تدهور في نهر أو زلت به قدمه فكاد يموت، أجهز عليه ولا تخلصه» (ص ٨٠).
- (٧٤) «يقول التلمود: اقتل الجاحد بيدك إن استطعت. من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً لله. قال الرياني عازرا: هذا يعنى يسوع وأتباعه. ويقول الرياني يوشافاط: هذا يعنى كل الأجانب أيضاً بغير استثناء، إن الوصية القائلة (لا تقتل) معناها: لا يجوز لك أن تقتل إسرائيلياً. وقال ابن ميمون: إن من ينكر التعليم اليهودي، وخصوصاً النصراني، تتحتم ابادتهم عن بكرة أبيهم واهراق دمهم يكون دائماً من الأعمال المحمودة. وإذا كان التكيل بهم غير مستطاع فالوشاية بهم واجبة» (ص ٨٢).
- (٧٥) «إذا ولد أجنبي شتّام وعابد للأصنام، قتل أجنبياً آخر وضاجع امرأته، يتبرّر إذا اعتنق الدين اليهودي. لكن إذا قتل يهودياً واعتنق الدين اليهودي بعد ذلك فإنه يظل دائماً مجرماً يستحق القتل» (ص ٨٣).
- (٧٦) «إذا أضلّ يهودي رجلاً أجنبياً غير يهودي وجعله يصدقه إنه غير يهودي، فهذا جائز. أما اليهودي الذي يقبل العمادة (التصير) ولو رياء، ويتزوج مسيحية، ويمارس عبادة الأصنام مثل زوجته، فهذا يناله ما ينال النصراني من العذاب المخلد في حفرة لا يصعد منها إلى الأبد» (ص ٨٣).
- (٧٧) «قال موسى (لا تشته امرأة قريبك) ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت. التلمود يعلم أن الله يحرم على اليهودي ارتكاب الفحشاء مع امرأة قريبه اليهودي فقط. أما نساء الأجانب فمباحة له» (ص ٨٧).
- إن للريانيين راشي ولاوي وجرسون وغيرهم، رأياً واحداً في هذا: إن اليهودي لا يؤمن بأنه يرتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فتاة مسيحية ويصرح ابن ميمون في مؤلفاته ان لليهودي حقاً في ان يتمتع بامرأة غير مؤمنة أي أجنبية» (ص ٨٧ و ٨٨).
- (٧٨) في كتاب شرح لرياني عاش في فرنسا في القرن ١٣ هذا الكلام: «ان الرياني» «تام» يعلم بان تجارة البغاء بالاجنبي او الاجنبية ليست إثماً، لأن الشريعة هي براء منهما، كما قيل زرعهم من زرع البغال، ولهذا السبب يسمح في بعض ظروف لليهودية ان تتزوج نصرانياً

حتى تسلبه دينه بمساكنتها له مساكنة غير شرعية ومع أن الشريعة تأمر أمراً محتملاً بزواج المومسات، إلا أنها تسمح بهذا العار في هذا الظرف لأن مساكنة المسيحي هي مساكنة حيوانية، وهكذا تعد علاقتها الزوجية به، (ص ٨٨)

(٧٩) «يقول التلمود: من يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمه يمكنه ان يصير حكيماً لأنه جاء في سفر الامثال «دعوت الحكمة أمّا». ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع خطيبته، له أمل كبير في الحصول على صداقة الشريعة. ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له أمل كبير بانارة نفسه. ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يحصل على السعادة الخالدة، (ص ٨٨). (٨٠) «يقول التلمود ان البنت التي لها من العمر ٣ سنوات ويوم واحد تكون خطبتها بالمضاجعة، ولكن إذا كان عمرها اقل من ٣ سنوات يلتزم خطيبها بازالة بكارتها» (ص ٨٩) ويشرح التلمود في محل آخر ان جمهوراً من الحكماء الاولين كالرياني راب ونشمال وغيرهما كانوا ينادون جهاراً في كل مدينة ينزلون فيها ولا يجدون لهم امرأة: مَنْ من النساء تريد أن تكون امرأة لهم بضعة ايام (ص ٨٩).

\*\*\*

قلنا ان النصوص الواردة في التلمود، تتعلق بالفحشاء على هذه الوجوه ووجوه غيرها، وهي اكثر من أن تحصى، ونجعل القلم يتعطف عن ذكر مزيد اكثر من نماذج هذه الأخلاق، وإن كانت صفحات كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» قد أحسنت كثيراً باستيفاء ما استوفته من النصوص التلمودية، حتى يتأمل في هذا كل قارئ يريد الوقوف على نماذج من محتويات التلمود يمثل هذه التعاليم التي لم يكشف عنها الغطاء للعالم العربي قبل عدة عقود. والنصوص التلمودية التي أثبتت في كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» شغلت منه ٩ صفحات، والكتاب كله مع المقدمة وفهارس المراجع الأجنبية باللغات الأجنبية (١١٦) صفحة، لا أكثر.

\*\*\*

وهذا ما نضيف إلى ما تقدم من هذه النماذج:

وهذه واقعة نموذجية من الخلق اليهودي في كل عصر ومصر، وشرق وغرب، وقديم وحديث، ذكرها أبو حيان التوحيدى (من أعلام رجال الأدب والفقه والفلسفة في القرن الرابع الهجرى ٩٢٢ - ١٠٢٢ ميلادى في بغداد وكتبه اليوم نفائس، وهو طراز معلم في أخبار الخلفاء والوزراء وأهل العلم وسائر الناس وله نظرات واعية في مجتمع عصره) في كتابه «الإمتاع والمؤانسة، ج ٢ ص ١٥٧ طبعة مصر ١٩٣٩، قال:

«حدثني ابو الحسن على بن هارون الزنجاني القاضى صاحب المذهب قال: اصططحب رجلا في بعض الطرق مسافرين: مجوسى من أهل الرى، والآخر يهودى من ارض جى -

تسمى الآن شهرستان في ناحية أصبهان - وكان المجوسى راكباً بقلعة له عليها سفرة من الزاد والنفقة وغير ذلك، وهو يسير مرقها وادعاً، واليهودى يمشى بلا زاد ولا نفقة. فبينما هما يتحدثان، إذ قال المجوسى لليهودى: ما مذهبك وعقيدتك يا فلان؟ قال اليهودى:

«أعتقد ان في هذه السماء إلهاً هو إله بنى اسرائيل. وأنا أعبده وأقدسده وأضرع إليه، وأطلب فضل ما عنده من الرزق الواسع، والعمر الطويل، مع صحة البدن والسلامة من كل آفة، والنصرة على عدوى، وأسأله الخير لنفسى ولن يوافقنى فى دينى ومذهبى، فلا أعبأ بمن يخالفنى، بل أعتقد أن من يخالفنى دمه لى يحل، وحرام على نصرته ونصيحته، والرحمة به.

ثم قال للمجوسى: قد اخبرتك بمذهبى وعقيدتى وما اشتمل عليه ضميرى، فخبيرنى انت ايضاً عن شأنك وعقيدتك وماتدين به ريك؟ فقال المجوسى:

«أما عقيدتى ورأى، فهو أنى اريد الخير لنفسى وابناء جنسى، ولا أريد لأحد من عباد الله سوءاً، ولا أتمنى له ضرراً. لا لموافقى ولا لمخالفى. فقال اليهودى: وان ظلمك وتعدى عليك؟ قال: نعم، لأنى أعلم أن فى هذه السماء إلهاً خبيراً عالماً حكيماً لا تخفى عليه خافية من شيء، وهو يجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. فقال اليهودى: يا فلان، لست أراك تتصر مذهبك وتحقق رأيك. قال المجوسى: كيف ذلك؟ قال: لأنى من أبناء جنسك، ويشر مثلك، وترانى امشى جائعاً نصباً مجهوداً، وانت راكب وادع مرفه شبعان. فقال صدقت، وماذا تبنى؟ قال: أطمعنى من زادك، واحملنى ساعة، فقد كلت وضعفت. قال: نعم وكرامة. فنزل ومدّ من سفرته وأطعمه وأشبعه، ثم أركبه، ومشى ساعة يحدثه. فلما ملك اليهودى البقلة وعلم أن المجوسى قد اعيأ، حرك البقلة وسبقه، وجعل المجوسى يمشى ولا يلحقه، فتأداه: يا فلان، قف لى وانزل، فقد انحسرت وانبهرت. فقال اليهودى: ألم أخبرك عن مذهبى وخبرتى عن مذهبك، ونصرته وحققته؟ فأنا أريد ايضاً أن أحقق مذهبى وأنصر رأى واعتقادى. وجعل يحرك البقلة، والمجوسى يقفوه على ظلع وينادى: قف يا هذا واحملنى، ولا تتركنى فى هذا الموضع فيأكلنى السبع وأموت ضياعاً، وارحمنى كما رحمتك. واليهودى لا يلوى على ندائه واستغاثته، حتى غاب عن بصره. فلما يش المجوسى منه وأشفى على الهلكة، ذكر اعتقاده وما وصف به ربه، فرفع طرفه إلى السماء وقال: الهى قد علمت أنى اعتقدت مذهباً ونصرته، ووصفتك بما أنت أهله، وقد سمعت وعلمت فحقق عند هذا الباغى على ما مجدتك به، ليعلم حقيقة ما قلت. فما مشى المجوسى إلا قليلاً حتى رأى اليهودى وقد رمت به البقلة، وانددت عنقه وهى واقفة ناحية منه تنتظر صاحبها. فلما أدرك المجوسى بقلته ركبها، ومضى لسبيله، وترك اليهودى معالجاً لكرب الموت. فتأداه اليهودى: يا فلان، ارحمنى احملنى ولا تتركنى فى هذه البرية اهلك جوعاً وعطشاً، وانصر مذهبك، وحقق اعتقادك.. قال المجوسى: قد فعلت

ذلك مرتين، ولكنك لم تفهم ماقلت لك، ولم تعقل ما وصفت. فقال اليهودى. وكيف ذلك؟ قال: لأنى وصفت لك مذهبي فلم تصدقنى فى قولى، حتى حققته بفعلى، وذلك أنى قلت: «ان فى هذا السماء إلهاً خبيراً عادلاً لا يخفى عليه شئ، وهو ولىّ جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. قال اليهودى. قد فهمت ما قلت، وعلمتُ ما وصفت. قال المجوسى: فما الذى منعك من أن تتعظ بما سمعت؟ قال اليهودى: اعتقاد نشأت عليه، ومذهب تربيته به، وصار مألوفاً معتاداً كالجبله بطول الدأب فيه، واستعمال أبنيته، اقتداء بالآباء والأجداد والمعلمين من أهل دينى ومن أهل مذهبي، وقد صار ذلك كالأس الثابت، والأصل النابت، ويصعب ما هذا وصفه أن يترك ويرفض ويزال.

«فرحمه المجوسى وحمله معه حتى وافى المدينة، وسلمه الى أوليائه محطماً موجعاً، وحدث الناس بحديثه وقصته، فكانوا يتعجبون من شأنهما زماناً طويلاً.

«وقال بعض الناس للمجوسى بعد: كيف رحمته بعد خيانتك لك وبعد إحسانك إليه؟ قال المجوسى: اعتذر بحاله التى نشأ فيها، ودأب عمره فى اعتقاده، وسعى لها واعتادها، وعلمت أن هذا شديد الزوال عنه، وصدقته ورحمته، وهذا منى شكر على صنع الله بى حين دعوته عندما دهانى منه، وبالرحمة الأولى أعانتى ربي، وبالرحمة الثانية شكرته على ما صنع بى». انتهت الواقعة.

\*\*\*

ونقول:

١ - إن أمثال هذه النماذج لما يملأ مجلدات، حقاً.

٢ - غير أننا نرى اليهودى لما تركه المجوسى بعد الخيانة، وصف للمجوسى السبب الذى لا يساعده على أن يكون انساناً، وذلك ما نشأ عليه نشأة خالطت دمه اباً عن جد، جيلاً بعد جيل، وكان اليهودى بهذا الكشف عن حقيقة نفسه فى المأزق الحرج، إنما يكشف عن شئ وإن كان عاراً بنفسه، غير أنه هو الحقيقة التى لاريب فيها، واعتقد اليهودى أن الكشف عن هذه الحقيقة لا بد أن تقنع المجوسى وقد كان ذلك.

٣ - أما المهم فى وجهة نظرنا اليوم فهو هذا: إن ما وصف به اليهودى نفسه، هذا الوصف المعرّى للإنسان من إنسانيته، هو من روح التلمود، والقبالا، وهذا ما يدأب الحاخامون يلقنونه فى المدارس اليهودية، والكنيس، ويحاذرون أن يكشفوه لغير اليهود.

٤ - وهذا قبل اليوم بألف سنة! وهذا الخلق لا يضى بالموت، بل ينتقل بالوراثة كما قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس قبل ألفى سنة. كل هذا تجلت روحه فى البروتوكولات.

## (٦) القبالا أو القبالة

### روح التلمود أو عصيره

هذا بحث غريب في جدته العربية، وعويص في استلال خيوطه من العنكبوتيات التلمودية، ظاهره انه يروح ويجيء في نطاق الخرافات ويفرّب ويشرقّ في أفق الأوهام، واليهود حتى يفرغوا عليه مسحة من التغطية والتضليل قالوا إنه «التصوف اليهودي» المفرق في الروحانيات، وجاراهم في هذا كثير من كتبة الفرنج، والعرب عن هذا غافلون؛ وياطنه الذي لا ريب فيه أنه هو جسّد روح التلمود وعصيره، وسترى الآن مصداق هذا وتحليله وتعليقه. والعرب قد خلت كتبهم وتواريخهم، وصحفهم ومجلاتهم، ومجالات أبحاثهم، في القديم والحديث من الزمن، من ذكر القبالا التي هي هذا التجسيد لغايات التلمود في «بروتوكولات حكماء صهيون» وقد ذكرتها البروتوكولات صريحاً وأشارت إليها في آخر البروتوكول السابع عشر<sup>(١)</sup>.

ففي هذا البروتوكول «السابع عشر» تناول الحكماء مسألة التجسس ونظامه في الدولة الداودية (الموهومة) المقبلة، بعد استئصال المسيحية والإسلام، وتعقيم العقول الكثيرة عند الأمم والشعوب غير اليهودية، وقد زالت دولها وحكوماتها ومختلف منظماتها في المجتمع. ومما قرره الحكماء في تعيين العقاب والجزاء لمن لا يبلغ الحكومة ما يطلع عليه من أمور ضارة بالدولة اليهودية، أن يكون ذلك الجزاء على غرار ما هو جار اليوم عند «القبالا»<sup>(٢)</sup>. ومن المفيد ان ننقل الفقرة المعنية في البروتوكول ١٧ وهي:-

«وكما تجرى الأمور من هذه الناحية الإخبارية في بيئتنا اليوم (أي بيئة القبالا) كذلك تجرى في المستقبل وتبقى على صفتها هذه. فإخواننا اليوم (أي اليهود) مكلفون، تحت طائلة أخذهم بالمسؤولية والحساب العسير في حالة الإهمال والتقصير، بأن يبلغوا هيئة «القبالا» عما يقع لهم أن يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودي من أقربائهم، أو ما يروونه من شغب على هيئة القبالا أو قذفها بتهمة، كذلك سيكون الأمر في مملكتنا علناً في أرجاء العالم كله، ويمسى من الواجب على رعايانا، بلا استثناء، ملاحظة هذه الخدمة للدولة، انتهى. أي أن ما يجب على اليهودي في هذا الأمر من التطوع بالتجسس، يجب أيضاً على كل مسيحي ومسلم عندما تقوم الدولة الداودية (الموهومة).

(١) تقاط هذا البروتوكول تشمل: المحاماة ونظامها في الدولة الداودية - القضاء على نفوذ رجال الدين عند الفريسيين (غير اليهود) - البلاط البابوي - ملك اليهود محل الأب البابوي - كيف تكافح الكنسية - واجبات الصحف في الدولة الداودية - منظمة البوليس - التجسس على منوال التجسس المعمول به في منظمات القبالا.

(٢) هو القتل «الإعدام» وهذا مصرح به في مواطن عديدة في البروتوكولات.

القبالا نابعة من التلمود، ولذلك جاء دورها الضعيف في العصور التالية لمصر ظهور التلمود، لا في عصر ظهور التلمود، وكل هذا تمود بذوره الأولى إلى عزرا وحزقيال ونحميا ودانيال واستير ومردخاي، في القرن الخامس قبل المسيح، أيام السبي الثاني النبوخذناصري، يوم خشي اليهود المسييون من أورشليم، وقد خربت أورشليم، وخرّب الهيكل، ونقلت كتوزه إلى بابل، أن يحلّ بهم في هذا السبي الجارف وهم سبطان ونصف السبط، ما قد حلّ قبل قرن، وبعض القرن، بإخوانهم يهود السامرة الذين سباهم سرجون الثاني الأشوري إلى العراق، وهم تسعة أسباط ونصف السبط، فاضمحلوا وبادوا، وخفيت حتى عن بقية اليهود في فلسطين أخبارهم، وانقلبت قصتهم في النهاية إلى أسطورة، تتعلق بكيفية اضمحلال أهل السبي الأول. هذا ما أقام أهل السبي الثاني وأقدمهم، فراحوا بمختلف قواهم الشريرة يختلقون أسباب البقاء، مما أوجزنا أخباره في تراجم أولئك الزعماء اليهود الكبار المسمين بالأنبياء<sup>(١)</sup>. فصنع عزرا ونحميا في بيت المقدس ما صنعنا، وقد سبق إيجازه في فصول تراجم الأنبياء، وكان بعد ذلك نشوء الفرق اليهودية بعد فتح الإسكندر، وظهور فرقة الفريسيين التي منها ومن غيرها كان يؤلف المجمع الأكبر المسمى «بالسنهدين»، والسنهدين ظل ينتقل من مكان إلى مكان، فبعد خراب القدس سنة ٧٠ ب.م. انتقل إلى بلدة بينا «قرب يافا» ومن بينا إلى طبرية، وفي طبرية بدأ الحكماء يضعون أساس التلمود، زاعمين أنه هو شريعة موسى الشفوية، والشريعة الشفوية هي في القوة كالشريعة المكتوبة، وذكرنا قصة نشوء التلمود، فلما ظهرت القبالا، أعطت موجة جديدة رهيبة من موجات الروح اليهودية الخفية، وبقيت القبالا إلى اليوم، قائمة، مستترة، محجوبة، هي المنظمات التي يعيش في بيئتها حكماء صهيون فلما بحثنا قصة التلمود وما إليه، فقد جئنا الآن نبحث قدر ما نستطيع قصة القبالا.

ومن دهاليز القبالا خرجت الأفاعي الجديدة في الثورة الفرنسية، ومنذ الثورة الفرنسية، وفي أواخر القرن التاسع عشر، انتظم القباليون التلموديون في مؤتمر ١٨٩٧ تحت رئاسة هرتزل، وفي هذا المؤتمر اتخذت المقررات المسماة «بالبروتوكولات».

\*\*\*

ونرى أنه من التيسير على القارئ العربي، أن نضغ الكلام في فقرات، كل فقرة تشتمل على معنى مفرد، أو ناحية، ليسهل تحصيل الصورة العامة في الذهن، ثم لا يكون من الصعب بعد ذلك أن يعلم القارئ من مجموع ما يطلع عليه في هذه الكتب، ما هي اليهودية العالمية اليوم وراء المظاهر المضللة.

\*\*\*

(١) يلاحظ القارئ العربي أننا كثيراً ما كررنا الإشارة إلى هذه الناحية في هذه الأجزاء، لأنها في نظرها نقطة اعتبار خطيرة في متابعة هذه الروح اليهودية إلى بنايها ومصادرها الأولى.

(١) منشئو القبالة يردون اصلهم «المعنوى» الروحي، إلى كلمات في سفر دانيال، ودانيال كما نعلم، كان من رجال السبى (القرن ٥ و ٤ ق. م.) اشتهر بتفسير الهواجس النفسية، والأحلام والرؤى وقراءة المستقبل السياسى، مطلاً من وراء كبريات الحوادث الواقعة في دول الشرق الأوسط وقتئذ، من الفرس أو دولة مادى وفارس، والكلدان، أو الدولة البابلية الثانية، والأغريق، والفراعنة.

وسفر دانيال لذيدة مطالعته لما فيه من ذكر التنبؤات الفلكية، والكلدان زها عندهم علم التنجيم ومراقبة الحركات الفلكية زهواً رفيعاً، واشتقوا من هذا علوماً؛ فالسحر كله أو معظمه من هنا، وعمّ السحر العالم القديم، حتى استقر في الأذهان كأنه قوة ضرورية في الأرض. ولم يكن دانيال بعد أن أخذ في السبى، إلا بارعاً في هذه العلوم كلها. وما جرى عليه اليهود من أمر العمل لحفظ كيانهم بالتوراتين: المكتوبة والشفوية، وكتاتهما من موسى كما يقولون.

(٢) دانيال كان في مسوح عالم، منجم فلكى، سياسى، طموح، يعمل في سبيل العودة الى اورشليم هو وقومه. سفره مؤلف من ١٢ فصلاً في نحو من ٣٥ صفحة لا أكثر. وفي الفصلين الأخيرين تكلم عن ملك الشمال وملك الجنوب، وعن المركبات والسفن والفرسان، والحرب وذهاب دولة، وقيام أخرى، وهو يريد من خلال هذا كله أن يرمز إلى عودة اليهود، لكن من خلال ماذا؟ من خلال الحروب الكبرى بين تلك الدول. وهذا ما رآه العالم المعاصر من امر اليهود في الحربين العالميتين في خلال الثلاثين الأولين من القرن العشرين، بعد دانيال بخمسة وعشرين قرناً، فتأمل.

دانيال يرمز أيضاً الى نوع من الرجال اليهود، هم الذين سيقومون بالعبء، ووصف هؤلاء وصفاً مبهجاً. وبعد أن قال دانيال عبارته التي حشاها ما شاء من رموز، نطق مباشرة: «أما أنت يا دانيال فاحفظ الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية، كثيرون يتصفحون والمعرفة تزداد». ولما ودّع دانيال «الرجل اللابس الكتان» كانت آخر كلماته: «اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخيفة ومختومة إلى وقت النهاية». (راجع الفصلين الأخيرين من سفر دانيال).

(٣) أما كلمات دانيال التي اتخذها القباليون دستورهم وقالوا: إنما نحن المعنيون بهذا، لا غيرنا، فهي هذه: «والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (فصل ١٢: ٣ الترجمة الأميركية) أما في الترجمة اليسوعية فالكلام هو هذا: «ويضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا أبراراً كالكواكب إلى الدهر والأبد».

عندنا الآن لفظتا «الفاهمون» في الترجمة البروتستنتية، و«العقلاء» في الترجمة اليسوعية. وليست لدينا نسخة من ترجمة احمد فارس الشدياق لنعلم بماذا كانت ترجمته هو. أما هذه الكلمة «بالانكليزية فهي Wise وبالعبرية «مسكليم». ونعتقد أنه كان أصح لو ترجمت

هذه اللفظة «بحكماء». فإذا كانت ملاحظتنا هذه فى محلها، فتصبح عبارة الترجمة هكذا: «والحكماء يضيئون»، او «ويضىء الحكماء».

\*\*\*

٤) وقال القباليون إنما نحن «الحكماء» الذين أشار إليهم دانيال. وتطرد قافلة «الحكماء» بعد ذلك، تلموديين وقباليين، حتى نصل إلى 'الحكماء المحدثين، آخر حلقة: «حكماء صهيون» فى هذا العصر.

٥) معنى «القبالة» فى العربية، نقلاً لمعناها عند اليهود، القبول أو التلقى للرواية الشفوية. قال لويس غنزيرغ L. Ginsberg أستاذ التلمود فى المدرسة اللاهوتية فى نيويورك (سنة ١٩٠٢): القبالة مصطلح يراد به التعليم الباطنى المتعلق بالله والكائنات، ونزل هذا وحياً على أكرم القديسين فى الزمن القديم الأقدم، واحتفظ به عدد قليل من الأخيار». وقال غنزيرغ أيضاً: «كانت القبالة فى مراحلها الأولى تدعى «الحكمة المستورة» The Hidden Wisdom.

وأطلق على دارسيها «طلاب النعمة». وقال صاحب كتاب «تاريخ اليهود من أقدم الأزمنة إلى العصر الحديث»، ه. ه. فلمان: «القبالة سر فوق الأسرار. ادعت القدم، والوحى والرواية عن الأوائل. والقبالة كانت قائمة على علم التجيم السحرى، تعاطاه كثيرون قسموا «الحكماء»، وجعلوا هذا الاسم يتضمن المعنى الباطنى لتفسير «الناموس والأنبياء». درسوا التلمود ثم اجتازوه إلى تعاليم هى أعلى وأبعد. كان كتابهم «الإشراق» (١) (الزهر) دستورهم المقدس. والقبالة السرية تبدو على طول المدى أنها كشفت عن أسرارها للعالم الخارجى (٢). وقال فلمان فى موضع آخر وهو يشرح معنى القبالة: «يعنى بكلمة قبالة عادة تلك الطريقة الفلسفية الشرقية وبعبارة أوضح، تحتوى القبالة على جميع آراء الريانيين فى الشؤون الدينية والمدنية. وأما معناها الخاص بوجه الحصر فهى تعنى تلك المعرفة التى رشحت تقاليدها من الأسرار الخفية الموجودة فى حروف الشريعة وكلماتها، وعدد المرات التى وردت فيها، ومواضع ذلك. وحتى موسى بن ميمون كان يستعمل كلمة القبالة كمرادف للتفسير الشفوى (المنقول بالرواية عن موسى). والقبالة تعلم جميع المعانى الرمزية «لتجسيم الله» تعليماً مفصلاً (ص ٤٢٤).

٦) وقال البروفسور فرانك صاحب كتاب «القبالة والفلسفة الدينية عند العبرانيين» (٣)، مانورده بايجاز:

\* ربما عادت القبالة بأوليتها إلى أيام السبى، وإذا لم ينطبق هذا على كلها فإنه ينطبق على بعضها.

(١) سيأتى بعد قليل الكلام على هذا الكتاب الذى هو مستودع أسرار القبالة.

(٢) ص (٤٢٧) من كتاب تاريخ اليهود - المصدر السابق.

(٣) طبع فى باريس سنة ١٨٤٢.



\* أما القبالة في شكلها الذي انتهى إلينا، وبمعناها الحاصل اليوم، فهي تعود الى القرن الاول (الميلادى).  
\* القباليون يدعون أن كتاب «التكوين» عندهم مستمد من موسى وموسى استمده من إبراهيم،  
إذا لم يكن من آدم، أو ممن هو أعلى من آدم وأقدم. وأما كتاب «الإشراق» - «الزهر» -  
عندهم ومعناه الضياء أو النور فيرجع إلى عصر احدث.

\* اصل منشأ القبالة يعود إلى ذلك الزمن الذي كان فيه العقل اليهودى في خلال السبى،  
منغمساً في الآراء الشرقية ودين الفرس وزردشت.

\* من أوليات مبادئ القبالة وتعاليمها وعقائدها، ولا سيما ما اخذوه من أساطير التلمود، ما  
يتفق تماماً مع «زانداهستا» (١) اتفاقاً مقنعاً.

\* أسست القبالا أول موطن لها في فلسطين بعد العودة من السبى. ومن فلسطين انتقلت إلى  
الإسكندرية حيث ترى آثار هذا في الترجمة السبعينية للتوراة، وفي كتب فيلو (٢).

\* تعاليم القبالة لما مر بها فيلو عجنها ومزج بعضها ببعض، مستعيناً بالفلسفة اليونانية، مما  
تحول بالتالى وتطور إلى مذهب صوفى باطنى. ومع هذا فلا يصح أن يقال إن الإسكندرية  
هى مصدر القبالة.

(١) زند (Zend) أصل معناها التفسير أو الشرح، وهى لغة الفرس القديمة، وينابيعها الجذرية تلتقى  
كثيراً واللغة السنسكريتية، وهى لغة الزند كتبت تعاليم زردشت الذى صار يعرف أتباعه «بعبدة النار» وبقاياهم  
إلى اليوم طائفة في الهند ولا سيما بومبى. وهى العربية فارس مقابل Parsi أو Parsees .

أما زردشت فكان في زمن (٦٠٠ ق م - ٥٢٨ ق م) وعلى قول علماء آخرين (٧٥٠ ق م - ٥٠٠ ق م، تقريباً)  
وهو بأول أمره مصلح دينى لما كان عليه الفرس من عبادة الطبيعة. وعنده أن «اهورا مزدا» Ahura Mazda  
أو هرمز، هو رئيس آلهة الخير، كما أن اهريمان Ahriman هو رئيس آلهة الشر، أو هو الشيطان. والتنازع  
المستمر بين هذين الاثنين هو مصدر قوى الكائنات، وفي النهاية ينتصر هرمز. وازدهر هذا الدين في عهد  
الدولة الأخمينية الدولة الساسانية (٢٢٦ - ٦٥١ ب. م. التى ذهبت بالفتح الإسلامى) وتقول بقية الفرس من  
عبدة النار الذين في الهند إنهم هم لا يعبدون النار، وإنما يقدسونها تقديساً، والفموض يكتف عقائد عبدة  
النار حتى اليوم.

(٢) Philo أو Philon فيلو على الغالب وفيلون على الأقل، فيلسوف يهودى عاش في الإسكندرية، تقريباً  
من سنة ٢٠ ق. م - ٥٠ ب. م. ولعله أول يهودى قيل له فيلسوف. اتخذ الشريعة الموسوية أساساً لأرائه مستعيناً  
بمصطلحات الفلسفة اليونانية للتعبير عن أفكاره وللتوفيق بين الفلسفة والتوراة، وكان عنده للرموز شأن كبير،  
وربما كان من هذه الناحية متأثراً بدانيال، وعنه تأثرت الكنيسة الأولى، وبعض فلاسفة العرب بعد قرون لما  
درسوا الفلسفة اليونانية. وكان فيلو يرى أن اليهود في زمنه يصعب عليهم بسبب ضخامة عددهم أن يجتمعوا  
ويعيشوا معاً في بلد واحد. فمواطنهم المختلفة التى كانوا وقتئذ يقيمون فيها ينبغي أن تكون مواطنهم المعاشية،  
وأما القدس حيث الهيكل المقدس فهى عاصمتهم الروحية، ولا ينبغي أن تكون العاصمة الزمنية المادية. وفي ذلك  
الوقت كانت المطامع اليهودية ترمى إلى ترسيخ أقدامهم في شمال أفريقيا وقبرص وشرقى البحر المتوسط،  
لكي يحلوا محل قرطاجنة ويخلفوا الرومان في الشرق. ونستعرض انتباه القارىء المربى إلى هذا. أما هرتزل  
فكان مخطئه على التقيض من رأى فيلو، ومثل هرتزل جميع حكماء صهيون واضعى البروتوكولات.

\* القبالة نتاج يهودى من حيث العنصر الأساسى فيها، وما عدا فيلو فالقباليون يجهلون اليونانية وفلسفتها.

\* رغم ما أخذت القبالة من الزردشتية من جموح وخيال وتطوح، مما أعطاهها صفة ميثولوجية، فقد بقيت فى جوهرها موسوية يهودية.

\* القبالة ترفض المشوية أو الشرك، مما وصلت إليه عقائد فارس.  
\* من غرائب القبالة:

اللانهاية تمثلها الكثرة فى الزمان والمكان. كان الواحد من القدماء الأولين طول وجهه أكبر من عشرة آلاف عالم بثلاث مئة وسبعين مرة، ولون وجهه يضىء أربع مئة ألف عالم. وكل يوم ينبثق من عقله أربع مئة ألف عالم، وهذا هو ميراث الفائزين فى الآخرة (ص ٢٧١ المصدر السابق).

\* للإنسان عند القبالة منزلة عالية، فهو صورة الله وهو أدنى من الملائكة. والشياطين والعمالقة ما هى إلا أسماء أخرى لشهواته واستكباره وقسوته، وهنا تختلف القبالة عن الزردشتية.  
\* الزردشتية هى ميثولوجيا، والقبالة فلسفة.

\* فى القبالة شرر من علم الطبيعة، وفيها كما فى التلمود، أن الأرض كروية، وتدور على محور، ولها قطب.

\* ثم انحطت القبالة كما انحطت الأفلاطونية الجديدة، حتى أمست أخيراً، سحراً وشعوذة، وطلاسم وتدجيلاً من كل ضرب. فأولوا التوراة، ووضعوا للأعداد ٧ - ١٠ - ١٢ - ٣٢ - معانى رمزية خاصة.

\* تمزى القبالة فى كثير من أوضاعها الى الرى عقيبة وسمعان بن يوشاى، وهما قد صنعا الأعاجيب من كلمات التوراة واستخراج الرموز منها.

\* لكن حملة التلمود، لما رأوا القباليين، يصلون ويجولون، حتى فاقوهم فى التطوح، أخذوا ينظرون إليهم بعين الحسد، وقالوا إن القباليين يتلاعبون بالأشياء المنهى عنها، ويودون معرفة المغلفات والمغيبات، ويمارسون فنوناً محرمة (قلنا: التلمود، على نحو ما رأينا، يعرف المحرمات<sup>(١)</sup>) واستترقت القبالة فى السحر والشعوذة والتجيم. راجع ماقلنا فى دانيال.

\* تأثرت أوروبا بالقبالة فى القرون الوسطى، فإلى جانب القبالة اليهودية صار هناك قبالة مختلطة بظواهر العلوم.

\* وفى الأندلس اختلطت بالفلسفة العربية. (ص ٤٤٣ و ٤٤٤ المصدر السابق).

قلنا، ومعنى «القبالا» فى المعاجم الأوروبية. لا شىء من المعانى الصوفية. الا كأحد المعانى الجملة الأخرى. أما البارز من معانيها المعجمية فهو الطفمة التى تتشع بالظلام وتعمل بالمؤامرات الخفية، وحبك الدسائس، حتى إذا قلت: هذا «قبالى» فكأنك قلت هو ذا الرجل الغامض لا يؤمن له ويجب أن يتقى شره. وكيف لا يكون هذا والقباليون جعلوا لكل حرف وكلمة من التوراة معنى باطنياً رمزياً. فانظر وتأمل. وظلوا فى سيرهم حتى انتظموا فى الزمن الحديث وهم ورفقتهم فى الحظيرة الكبرى للقباليين: «حكماء صهيون» وهذه البروتوكولات من ثمارهم.

## (٧) النحمانية والميمونية في القبالا (موسى بن نحمان وموسى بن ميمون)

جاء في كتاب «دراسات في اليهودية» (١).

«وهذه سجايا المعلمين الكبارين في اليهودية: ابن ميمون ونحمان. فان كليهما انبثقا من جيبين آدم، وأخذ القباليون ينسجون حول هذه الفكرة الهالات المتلاثلة: ابن ميمون كان جوهرة في خصلة الشعر للجهة اليسرى من آدم، وهذه يوم القيامة الحساب والعذاب، ونحمان كان جوهرة في خصلة الشعر للجهة اليمنى، وهذه تمثل اللطف والرحمة (ص ٩٩).

وقال المؤلف: «وقد اخترت هذه الفاتحة، ومن هنا ابتدئ، حتى لا اخطيء الهدف: نحمان كان تلمودياً عظيماً، وعالمًا محيطاً بالتوراة، وفيلسوفاً مجادلاً، وربما كان أيضاً طبيباً، وبكلمة موجزة: انه كان رأساً في كل شيء.

«ولد في جيرونة (اسبانيا) حوالي ١١٩٥ ميلادية. وجيرونة بليدة في اقليم قشتالة، ومع انها في اسبانيا، فانها لم تشتهر بفلاسفتها وشعرائها كما اشتهرت غرناطة وبرشلونة وطليلطة. ولوقوعها في الشمال من اسبانيا، فقد كانت تتأثر بميول وعواطف من النفوذ الفرنسى اليهودى. اما افتخارها فهو بما انجبت من علماء التلمود مثل زراحيا اللاوى، وعزرا ابن بكار. واطلع نحمان على كتاب «حكمة سليمان»، وهذا الكتاب موضوع منتحل (ابوكريفا) وقد جاء فيه:

«فصليت وأعطيت الحكمة. وسألت الله فنزل على روح الحكمة، اذ اعطاني معرفة لا تخطئه أخذت منها كيف خلق الله العالم، ووقفت على حركة الأفلاك، وسير الزمن في ازليته وأبديته وما بينهما، ودوران الشمس وانتقالها في أبراجها، واختلاف الفصول، وطبائع المخلوقات الحية من إنسان وحيوان، وقوة الأرواح والقوة العقلية في الإنسان، واختلاف أنواع النبات، وفضائل الجذور في التربة، وكل ماهو ظاهر وباطن من العلوم قد أصبته، (ص ١٢٦).

«والملك الحكيم الذى يستمد منه كل هذا، هو برأى نحمان «التوراة» والتوراة هي هذه الحكمة بعينها، والحكمة هذه كائنة قبل الخليقة، وبها خطط الله العالم والكائنات، ولذلك تحوى التوراة علوم الدنيا بأسرها. واذا قال: «اطلغنى الملك على المكنون عنده» فهو يعنى بالملك

(١) Studies in Jadaism لمؤلفه ص. شختر «جمعية النشر اليهودية» في بنسلفانيا. الطبعة الأولى سنة ١٨٩٦ والثانية ١٩١٥ وقال المؤلف ان هذه الابحاث سبق نشرها في مجلتى «جويش كرونكل» (التاريخ اليهودى) و«جويش كوارتلى» المجلة المورية الربيع سنوية.

التوراة والأسرار العظيمة، (١٢٧).

ثم قال المؤلف شختر: «وعلينا ان نكتفى بهذه القبسات القليلة او الشرارات الضئيلة من النار المتقدمة من هذه الاسرار، لكي ندل بهذا على شخصية نعمان. ولا اود مرافقة هذا الصوفى الى المخادع العظيمة، «مخادع الملك»، حتى لا نصل بالتالى الى دياميس كلها مصطلحات غامضة ومستعصية على الافهام، فترى امامنا «الابواب الخمسين» للمعرفة، «والمائتين والواحد والثلاثين لرموز الحروف الهجائية»، وهذا كله له مفاتيح لا افقه منها شيئاً. وهذه امور اشك في انها تستحق بذل العناء في سبيلها، ولا سيما عندما يرى الواحد منا عند القبلا مثل هذه الاسماء المتراكمة المقفلة الغامضة.

«الأرض؟ الحياة؟ ارض الموعد؟ رب العالم؟ حجر الاساس؟ صهيون؟ الأم؟ - البنت؟ - الاخت؟ جماعة اسرائيل؟ الوردتان التوأمين؟ العروس؟ الازرق؟ النهاية؟ الشريعة الشفوية؟ البحر؟ الحكمة؟ وهذا كله يدل على موصوف واحد، شئ واحد بعينه، فلا بد للباحث ان يشك ويرتاب، وهو امام جرف من الكلمات المعماة، ويعترف بانه عاجز عن فهمها».

\*\*\*

«عند الرييين ان من لاعقب له فهو في حكم الميت. وعند القبلا ان من يموت بلا عقب فيعد محروم الرزق في الدنيا، وسيولد ثانية على الارض حتى يولد له ولده، وهذه غاية الانسان، (ص ٢٨٣).

و يقول الرييون انه لما جعل الرجال يعطون الذهب والحلى ليصنع منه العجل الذهبى، امتعت النساء عن العطاء، فكوفئن على عملهن هذا بأن أعطين يوم راحة. ويقول بعض القباليين، زيادة على ما تقدم، ان الذين عبدوا العجل الذهبى لم يزلوا على الأرض، وأرواحهم تنتقل من جسد إلى جسد، ومع هذا الجزاء فقد جعلت النساء مسيطرات عليهم» (ص ٣١٥).

انتهى ما نقلناه من «شختر».

### موسى بن ميمون

موسى بن ميمون كما ذكرته مصادر يهودية جمة، فيلسوف تلمودى فلكى طيب. ولد فى قرطبة ١١٣٥ ميلادية ومات فى القاهرة ١٢٠٤ وهو فى الكتب العربية للتراجم: ابو عمران موسى بن ميمون بن عبدالله «وأما كتاب «تاريخ موسى الثانى» الموضوع فى وصفه فاكثره أساطير. كان عمر موسى بن ميمون ١٣ سنة لما استولى «الموحّدون» على قرطبة، والموحّدون مفرطون فى عصبيتهم الإسلامية، فتعين على موسى وقومه إما الإسلام وإما الجلاء، فاخاروا

الجلاء، وبقي ١٣ سنة يعيش في حل وترحال في اسبانيا هائماً لا يسقر له قرار.

وفي سنة ١١٦٠ جاء فاس والقي عصاه فيها، وفي وهمه أنه يستطيع الاجتياز والمرور اذا تظاهر بالاسلام تظاهراً، فعرضه هذا الى مزيد من ملاقاته الاخطار، لكن لما صار اسم الميمونية يشيع، انتبهت له السلطات الرسمية وما عسى ان تكون حقيقته، وما شأنه وشأن طريقته، لكان مصير موسى الهلكة، وكذلك مصير يهوذا بن شاشان، بضرب عنقيهما. وهذا ما دعاه للهجرة من فاس سنة ١١٦٥ بعد ان اقام فيها حوالي خمس سنين. فجاء عكاء وبيت المقدس، ثم استقر في الفسطاط (القاهرة).

هذا ما ورد في مجمل ترجمته في دائرة المعارف اليهودية. وبعد هذا الكلام وصف مطول لفلسفته مع نماذج من خطه باللفظ العربي والحرف العبرى في كتابه «دلالة الحائرين». وأما صاحب كتاب «دراسات يهودية» فقد ذكر أن أهم اعتراضات المعترضين على موسى بن ميمون غلوه في التفسيرات العقلية عما يتعلق بالوحي، وتأويلاته للتوراة، حتى كاد يبلغ به الأمر أن ينكر الوحي. واتهم بإنكار البعث بالأجساد.

لكن واضع الترجمة لموسى بن ميمون في دائرة المعارف اليهودية، تجاهل ناحية مهمة في حياة بن ميمون في مصر، كما هو شأن كتاب اليهود أن يفعلوا مثله، وهو ان يتجاهلوا نعمة العرب عليهم، فقد عطف السلطان صلاح الدين على بن ميمون وقرّبه واتخذه طبيباً الخاص، وأما عمل موسى بن ميمون في العقائد القبالية فقد كان قبالياً فعلاً كبيراً، وامتد بقباليته الى حدود جعلته يؤلف كتابه «دلالة الحائرين»، فأما اللفظ فعربى وأما الكتابة فبمحروف عبرية، لكي يخفى عن المسلمين المقيم في كنفهم وحمى سلطانهم ما يريد أن يبثه في كتابه من عقائد قبالية لو كشف عنها الغطاء، لطاحت بعنقه.

هذا قبالي ينبغى أن يعد قبل اليوم بأكثر من ٨٠٠ سنة أحد «الحكماء» الذين نتكلم عنهم في هذا الكتاب. وقد ورد ذكر موسى بن ميمون في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

\*\*\*

## (٨) كتاب «الإشراق» هو دستور «القبالا» اسمه في العبرية «الزوهر»

وشبتاي لاوى المسيح الكذاب فى القرن السابع عشر

فى القرن الثالث عشر للميلاد، ظهر فى اسبانيا كتاب «الإشراق» وهو كتاب غريب النوع، والمحتويات غرابة القبالا نفسها وما لها من مذاهب. رأينا ان نورد صفوتها فى هذا الكتاب: «الإشراق» متخم بأخبار خلق العالم، وطبيعة الله، والمعانى الباطنية فى التوراة، والرموز الخفية فى كل حرف وكلمة، مما يظهر أسرار الوجود وعلل الكون. يعتقد ان واضعه الربى سمعان بن يوشاى فى القرن الثانى للميلاد. وأما أعداء سمعان والمخالفون له فيقولون إن هذا الكتاب موضوع ومزور، وكان تزويره فى القرن ١٣.

ومضت عدة قرون بعد ظهوره فلم يكن له عند اليهود شأن يذكر، لكن بعد طردهم من اسبانيا أواخر القرن الخامس عشر، بدت أمور جديدة، فقبل ان هذه النكبة تشير لليهود بقرب مجيء المسيح، «مسياء»، المخلص المنقذ، وما بعد الظلام الدامس إلا الفجر. وقام واحد بعد آخر من الأدعياء الكذبة المدجلين ادعى كل منهم انه المسيح، واستثاروا الشعور اليهودى نحو فلسطين ثم كانت حركاتهم تنتهى بالشعوذة والفسل. فى هذه الأوقات علا كتاب «الإشراق»، وأقبل عليه اليهود لغرائبه واستبداده بالشعور «الصوفى»، فوجدوا فيه متفصلاً لآمالهم، وتعزية لهم عما كانوا فيه من ويل وانحلال ونكبة. وغبّر «الإشراق» فى وجه التلمود، كما ان التلمود غبّر فى وجه التوراة. ويقول بعض كتاب اليهود ان حركته الروحية كانت اقوى حركة ظهرت بعد خراب الهيكل. ونسترعى انتباه القارىء ان كلمة «صوفى» و «تصوف» ما يراد بهما إلا التستر والتضليل، ابتغاء التدجيل.

### شبتاي بن لاوى

والحركة وقتئذ سارت مسيراً واسعاً فى اوربوا ودهش لها العالم، وهب إعصارها على يهودى اسمه شبتاي لاوى من ازمير، وبعد ذكر هذا الرجل تصبح القصة قصته، لا قصة كتاب «الإشراق». او كأن كتاب «الإشراق» ظل يهيج من شعور اليهود حتى ظهر مسيح كذاب بشخص شبتاي لاوى، وهذا الحادث يظهر لنا أشياء حرية بالنظر الدقيق فى امر اليهود الذين فى

تركيا اليوم، وهم فيها منذ خرجوا من اسبانيا مطرودين في آخر القرن السادس عشر، ويسمون «بالدونمة» وهم مسلمون في الظاهر.

٧ - ولد شبتاي لاوى في ازمير سنة ١٦٢٦ في بيئة تلمودية متمتة. وكان ابوه مردخاي وكيل شركة انكليزية. فشبَّ شبتاي، وقد استهواه تعلق اليهود بالمسيح الموعود، ويكتب «الاشراق». ودخل في عقائد القبالة فاستغرقته، وتوغَّل في متاهاتها، حتى صار يحب التعرض للشدائد، وجعل يعذب جسده، وأولع بالسباحة في البحر صيفاً وشتاء ليغالب الصعاب. وكان كثيراً ما يقضى الليل ساهراً منشداً أشعاراً عالية بالعبرية والآرامية. وأضيف إلى مجموع صفاته هذه، أنه اكتسب هيبة في هيئته الشخصية واتقن الآلة كلها حتى بات مرموقاً في جملة حاله ومنظره.

٢ - سنة ١٦٦٣ قام بسياسة الى فلسطين ومكث في القدس مدة وصرف في هذه السياحة سنتين. وكان في القدس الرجل الذي خضع شبتاي لتوجيهه. وما ذاك الرجل الا «ناثان» وهو من غزّة، واشتبكت الامور كثيراً بين «ناثان» وشبتاي. وبعد قليل نرى فتاة بولونية اسمها «سارة» فقدت اهلها في بعض المذابح، فأخذت الى أحد الأديرة ونصّرت، لكنها فرّت وجاءت الى فلسطين، وكانت زوجة شبتاي لاوى الذي هو في الطريق ليكون المسيح الكذاب.

٣ - هذه المعلومات المتعلقة بسارة وناثان وشبتاي، ليست موجودة في مصادر عربية إطلاقاً، على ما نعلم. وإنما نقلها من كتاب «موجز تاريخ الشعب اليهودي من ١٦٠٠ - ١٩٣٥»، لمؤلفه سيسل روث (١) اليهودي.

٤ - سياسة شبتاي لاوى الى فلسطين، واتصاله بناثان الفزاوى، وزواجه من سارة البولونية اليهودية المتحصرة كذباً، وطيران أخباره الى البيئات اليهودية، جعل التلفت إليه يزيد ويتضخم. أينما حل تلقاه اليهود بالترحيب والمناصرة. آمنوا به وصاروا يعتبرونه على مستوى النبوة، وهو متقن عمله في التضليل والتدجيل إلى ما وراء الغاية.

٥ - من هذه الناحية: ناحية تلقى اليهود له بالتعظيم، والاتجاه إليه بالأمال المنقذة، لم يمهّد ان يهودياً آخر لقي مثل ما لقي شبتاي، حتى تيودر هرتزل لما امتطى ذروة النفوذ بعد مؤتمر بازل الصهيوني العالمي الاول سنة ١٨٩٧ لم ينل من الالتفاف حوله مثل ما نال شبتاي في القرن السابع عشر.

(١) اسمه بالانكليزية:

A Short History of the Jewish People,

1600 - 1935

by Cecil Ruth, Macmillan, London, 1936



٦ - فانتشرت التوبة بين اليهود، وكان منهم أناس انقطعوا عن الدنيا. منشورات شبتاي جابت كل بلد فيها يهود. توقفت الاعمال التجارية في بعض الاماكن. تجار تبرعوا بالذخيرة والاطعمة لتشحن الى فلسطين في البحر. تجار كبار في امستردام توقيعاتهم المالية انفذ من القوانين، قدموا الى شبتاي الكذاب عريضة يؤكدون له فيها انهم مستعدون لعونه. في هامبورغ في المانيا صار اليهود يرقصون في الكنيس.

٧ - اشتد هوس شبتاي. فقسّم فلسطين، وقسم العالم الى ٢٨ مملكة، وعين ملكاً من قبله على كل منها. وصارت صلوات اليهود في الكنيس تفتتح «بيا سيدنا ومولانا» و«ياملكنا - المقدس التقى شبتاي لاوى مسيح رب اسرائيل» وأغفل الدعاء لسلطان بنى عثمان.

٨ - سئل بندكت دى سبينوزا، الفيلسوف اليهودى في هولندا، عن رأيه في المسيح شبتاي لاوى فقال انه لا يرى سبباً عقلياً يمنع إمكان إعادة الحكم الزمنى الى اليهود. وسبينوزا أصله من يهود اسبانيا، وجرته فلسفته الى أن حرمة الكنيس اليهودى قصاصاً له على بعض آرائه، فلم يبال بل بقى على مذهبه. وانظر في جوابه هذا وتأمل. ثم تدرك من جواب سبينوزا مبلغ ما وصل اليه شبتاي من الاستثثار بمواطن اليهود. (سبينوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧).

٩ - السلطان العثماني في ذلك الوقت كان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) وكانت له الادعية في المعابد عند جميع الطوائف في المملكة، فصار اليهود يسكتون في الكنيس عن الدعاء للسلطان وبدلاً من ذلك راحوا يدعون للمسيح شبتاي بن لاوى. وصار شبتاي يوقع منشوراته السرية: «شبتاي بن داود وسليمان».

١٠ - الا يهودياً واحداً في لندن. كما روت أخبار هذه الحركة، قام وجهر بصوته باسم جماعته اليهود في لندن قائلاً: إنى أراهن على أن الشخص الذى في ازمير، شبتاي لاوى، ما هو الا دجال! صدق هذا اليهودى، ولا تروى الأخبار أن احداً غير يهودى لندن من يهود العالم وقف مثل هذا الموقف في الجهر بأن شبتاي دجال منافق.

١١ - وهذه التفاصيل الى هنا تنتهى بنا الى أن نرى شبتاي قد وصل استنبول، ايام السلطان محمد الرابع، ثم تختصر المصادر اليهودية القصة بعد ذلك بعبارة ان شبتاي ما كاد يصل البوسفور في طريقه الى فلسطين، حتى دخل السجن او قتل بأمر السلطة. وليست هذه النهاية التى تقولها المصادر اليهودية إلا كذباً، لا تقلّ ضخامة عن ضخامة تدجيل شبتاي نفسه. الى هنا تنتهى رواية المصادر اليهودية، آخذين منها ما يقتضيه المساق.

١٢ - إن لشبتاي لاوى من باقى القصة في استنبول، بعد وصوله إليها، ومعه قافلة من أتباعه، ولعله كان ينوى التوجه بهم الى فلسطين لإعلان ملكيته العالمية المدجلة، ما هو في الواقع الذى لا ريب فيه، أروع بكثير من كل ما علمنا من أمره حتى الآن.

وقصة شبتاي هذا، في استبول، وهنا الخاتمة، في القرن السابع عشر، ما كان لنا لو لغيرنا ان يتسنى له الاطلاع عليها على هذه الصورة، في النصف الثاني من القرن العشرين، أو بعد ثلاثة قرون من حادثة شبتاي لو لم يظهر منذ عشر سنوات في التركية كتاب «الخطر المحيط بالإسلام أو الصهيونية وبروتوكولاتها» للجنرال جواد رفعت. وهذا الكتاب متخم بالمعلومات الكاشفة عن حقائق اليهود وتاريخهم وعن الماسونية في تركيا خاصة، والماسونية أداة يهودية عالمية (١).

١٢ - اتضح للسلطة العثمانية في استبول ان شبتاي ما هو الا كذاب متلاعب باسم الدين فصدر الأمر باعدامه. ولكن لاسباب ما، لم يبسطها المؤلف الجنرال جواد رفعت إلا ليست متمسرة له كما نعتقد، لم يعدم شبتاي. وعندنا إن عدم اعدامه سر من أسرار القوة اليهودية الخفية. والقوة اليهودية الخفية هذه لا حد لوسائلها، وكلها وسائل شيطانية. والسر في عدم إعدام شبتاي الكذاب مستتر لكه غير مستعص على القارىء، كالسر الذى جعل

(١) ترجم هذا الكتاب الى العربية في بغداد الاستاذ وهبي عز الدين السنة الماضية (١٩٥٥)، واطلنا عليه فوجدناه حرياً بان يقرأه كل عربى، من مسلم ومسيحى، لجزالة محتوياته من المعلومات التى لا تجددها في مواطن اخرى، وما يزيد فصول الكتاب قيمة ان المؤلف، جرت على يديه حوادث جمة منذ الحرب العالمية الاولى، اذ كان ضابط الاستخبارات، في جبهة فلسطين وسمع كثيراً من الروايات المهمة من أفواه أصحابها الذين هم المصادر الأولى لها. فتوجز نقاط الباب من هذا الكتاب.

أما الجنرال جواد فهذه صفة ترجمته كما هي «في سطور» على الغلاف الخارجى من الكتاب وفي بعض المواضع نجتزى الكلام اجزاء.

\* الجنرال جواد رفعت ضابط تركى مسلم، كان ضابط الاستخبارات في جبهة فلسطين في الحرب العالمية الأولى، وله كتاب عن جبهة جواسيس فلسطين مترجم إلى عدة لغات.

\* ساهم في حرب الاستقلال التركى، فقاد قوات الحركة الشعبية في جبهة ياردين وغيرها.

\* أسس جمعية الشرق الأكبر للدفاع عن القيم الإسلامية والتراث التركى الإسلامى.

\* كان رئيساً للحزب الديمقراطى الإسلامى في تركيا.

\* له مؤلفات عديدة حول الحركات الهدامة عبر التاريخ والتى استهدفت الأديان عامة والدين الإسلامى خاصة، ومن موضوعات هذه الكتب الماسونية، واليهودية العالمية والصهيونية واطار إسرائيل. وكتاب «أسرار الماسونية» ترجم إلى العربية. (لم نطلع على هذا الكتاب).

\* زار مصر والتقى في الاندية الكبرى محاضرات في اخطار اليهودية العالمية

\* كان نائب رئيس جمعية معاربية الصهيونية في المانيا قبل الحرب العالمية الثانية.

اما من حيث الترجمة العربية لهذه الكتاب، فمع الشكر للمترجم الفاضل، فان القارىء العربي يود لو ان هذه الترجمة جاءت خالية مما علق بها من الشواهد، التى لا يسع القارىء الا ان يلاحظها وعسى ان يتدارك هذا في الطبعة الثانية ان شاء الله.

محمد على باشا فى مصر سنة ١٨٤٠ يعفو عن اليهود المجرمين من يهود دمشق الذين ذبحوا الراهب الاب توما الكبوشى فحوكموا على مشهد من قناصل الدول الأجنبية، وبعضهم اعترف بالجناية، وقام العالم اليهودى وقعد، فجاء «مونتفيورى» الى محمد على وكان السحرا قلنا: لاحظ هذا فى ترجمتنا لمونتفيورى.

١٤ - وحوكم شبتاى فى «سراى ادرنة»، وكان المترجم للقاضى الطبيب مصطفى حياتى، وهذا مسلم فى الظاهر وحقيقته المستورة انه من «الدونمة» او اليهود الذين استجاروا بحمى السلطان لما طردوا من اسبانيا، فأجارهم السلطان، واقاموا فى كنفه، وأخذوا يسلمون اسلاماً خادعاً دون ان ينتبه اليهم، فأمسوا يهوداً متلبسين الاسلام للتضليل. والطبيب مصطفى حياتى كان أحد هؤلاء الدونمة. ونراه الآن يترجم لشبتاى.

١٥ - لما بدأت المحاكمة تزلزل شبتاى. فقال له رئيس المحكمة إنك تدعى أنك المسيح المنتظر وتدعو الناس إلى تصديقك واتباعك، فأرنا معجزة منك وهى ان تتعرض بيدك عارياً لثمانية من رماة النبل، فاذا لم يؤثر النشاب فى جسمك قامت لك الحجة. وكان اليهود يشيعون هذا عنه بأمر منه، فطلبت منه المحكمة ان يثبت صحة ما يدعيه هو وجماعته. فأجاب وهو متهاو منهار، ينكر صحة صدور هذا القول منه، ويعزوه الى وشاية من بعض اليهود الذين لا يحبونه، فقيل له أعلن إسلامك. ويقول المؤلف جواد رفعت إن المراد بهذا أنه إذا أسلم قام عليه اليهود وأسقطوه، ثم يستخف المؤلف هذه العقلية فى الدولة العثمانية فى ذلك الوقت. والحق مع المؤلف جواد رفعت.

١٦ - وهنا سر آخر: لما كان شبتاى لا يتقن التركية، وكان الذى يترجم له الى الاسبانية - اذ عائلة شبتاى من اسبانيا - هو الضابط الطبيب مصطفى حياتى، اليهودى بثوب مسلم، فقد كلفت المحكمة المترجم بان يبين لشبتاى ان الامر جد، فتمكن مصطفى حياتى من ان يأخذ ويعطى مع شبتاى بالاسبانية حتى اقنعه بان اعلان اسلامه لا يحول دون المضى بدعوته الى انه المسيح المنتظر، بل سيتسنى له من الفرصة للعمل فى سبيل ذلك وهو بثوب مسلم خادع، اكثر مما يتسنى له وهو بثوب المدعى انه المسيح المنتظر. لقد تم هذا فى المحكمة والمحكمة لم تشعر بشيء، واسلم شبتاى، واطلق عليه «محمد أفندى»، ولبس الجبة والعمامة البيضاء، وعين له مرتب مالى شهرى من السراى السلطانية. غير ان العقلاء من الاتراك وهم أعزة الإسلام أدركوا أن فى الأمر لعبة.

١٧ - فى اثناء هذه الحوادث، كان اتباع شبتاى فى بيت المقدس وصفد قد أشاعوا «ان شخصية شبتاى قد عرجت إلى السماء، وحل محلها بأمر الله مسيح يرتدى ثوب مسلم».

١٨ - فى الوقت نفسه ظهر فى الشام نبى كاذب لليهود اسمه ناثان (أهو ناثان غزوة

متكرراً، أم ناثان جديد، من يدري، وكلاهما محتمل) ووزع بياناً على اليهود يطلب منهم فيه أن يظلوا على إيمانهم، وألا تأخذهم الحيرة من أمر شبتاي، فشبتاي شبتاي!!

١٩ - فطلب شبتاي من الحكومة مساعدة مالية، إذ يريد أن يطوف كنائس اليهود ويدعوهم إلى الاسلام! فلبى طلبه! يا للفضلة، امس، كما يا للفضلة حتى إلى هذا اليوم!

٢٠ - وجعل ينبه إخوانه اليهود إلى أنه ما أسلم إلا خدعة، وراح يقنعهم بان يفعلوا فعلته فيرتدوا هذا الثوب، وتبقى يهوديتهم في قلوبهم. وجعلوا يلبون رغبته. فأسلموا. هؤلاء هم الذين يقال لهم «الدونمة» وهم إلى اليوم في تركيا، إسلامهم رياء، ومكايدهم لا تنقطع، وهم أوتاد يهودية تحت الجبة والعمامة والقبعة. كانوا المعول الأول في الهدم، ونقل الترك المغرورين من العثمانية الإسلامية إلى الفكرة الطورانية في اول القرن ١٩. ومن هنا بدأ انحلال الدولة العثمانية. وفي حرب البلقان سنة ١٩١٢ كان الدونمة مسببى هزيمة الدولة. ويرى الجنرال جواد رفعت في هذا الباب وقائع مذهلة وما هو اشد اذهاً لالفضلة المتمادية لا في تركيا وبلاد العرب فقط، بل في معظم العالم، عن فتح العيون على حقائق اليهودية العالمية والبروتوكولات.

٢١ - فتح الباب امام شبتاي. فاذا به يبعث رسائله ومناشيره بالعبرية الى الجماعات اليهودية، يحضهم على الثبات معه والى جانبه في كونه هو المسيح المنتظر، ولما سأله الصدر الاعظم - رئيس الوزراء - ما هذا يا شبتاي؟ اجاب شبتاي: إنما ادعو بقية اليهود لكي يسلموا إسلامي!.

٢٢ - وهنا ينطلق المؤلف ينتقد عقلية الدولة في تحليل حركة شبتاي في ذلك الوقت. وكل ما قاله المؤلف في محله.

٢٣ - حتى أمسكوا شبتاي في إحدى الكنائس، يعظ بالعبرية، عظة اليهودى الماكر، ويخون الإسلام، ولم يستطع ان ينكر هذا التلبيس. فرؤى ان يقطع رأسه. واذا بشيخ الاسلام يتشفع له، ووجه الشفاعة ان شبتاي، اذا قطع رأسه طارت الاشاعات انه صعد الى السماء، فنفتق من حيث نريد ان نرتق. ومرة ثانية نجا شبتاي، وبقي رأسه بين كتفيه.

٢٤ - نفى شبتاي الى البانيا، فاستقر في سلانيك وتزوج من امرأة يهودية، وعدنا لا نعلم شيئاً عن سارة، ولا عيون عليه وهو في سلانيك، فباض وأفرخ، وانقلب يحرض اليهود على التوغل في المجتمع التركي الإسلامي لتوهين عراه، وفك روابطه، وغزوه باليهودية اللابسة العمامة والجبة. وهكذا كان.

٢٥ - لم يقتل شبتاي، ولم يقطع رأسه، ولا قلامة ظفر منه، وبقي على خطته، والفضلة عنه نائمة تغط في نومها لا تستيقظ، حتى اذا تلفتتا بعد قليل، نرى من ثمار اعمال شبتاي ان كل كنيس يهودى في المدن، واليهود لا يسكنون الا المدن، يصطنع صلوات هي مزيج من

الاسبانية والتركية ينشدها اليهود والدموع تهمر من عيونهم تعلقاً بشبتاي. ويقدم المؤلف وصف هذا في عدة صفحات. ثم يختفى شبتاي في الافق. كيف اختفى؟ لا ندرى. واما الطقوس المبطنة التي يمارسها اليهود في كل كنيس في تركيا حتى اليوم فمجب اي عجب! المواعظ السرية! الصلوات! ينقلها اليك المؤلف حرفاً حرفاً بالفاظها الاسبانية والعبرية بحروف عربية.

\* \* \*

هؤلاء «الدونمة» في تركيا لا يزالون على جميع خصائصهم اليهودية. من ذلك انهم لا يتزاوجون مع غير جماعتهم حتى اليوم. راجع الفصل ٢٤ و ٢٥ من الجزء الاول حيث تفصيل اخبار هؤلاء الدونمة.

يروى المؤلف هذه الواقعة في خلال الحرب العالمية الاولى في دمشق: كان لمصطفى الشامي في الشام، ومصطفى هذا يهودي من «الدونمة»، ابنتان احبت احدهما ضابطاً تركياً وفرت معه. فقامت القيامة حتى انتهت المسألة الى مجلس الوزراء ووقعت من اجل الفتاة «سويم» مناقشة حادة بين أنور باشا وزير الحربية، المسلم التركي، وجاويد بك المسلم اليهودي (الدونمي) وظهرت روح جاويد اليهودية بكل قرونها. والفتاة الأخرى احبت شاباً من أهالي قونية اسمه «فهم»، وهو اليوم في ادارة كهرياء الأستانة، وبعد اربعين سنة تماماً، راجعت المرأة هذه المحاكم طالبة الطلاق من زوجها، وكانت قضيتها هذه لم يفصل فيها بعد حتى تاريخ وضع المؤلف كتابه سنة ١٩٥٤. أما مصطفى الشامي ابو الفتاتين فظل يأكله الكمد، حتى ذاب وقضى. قلنا: راجع النماذج التلمودية وقد مررت بها.

\* \* \*

## (٩) الفرقة البعلشامية فى ألمانيا نشأت فى القرن السادس عشر وهى تستمد من كتاب «الإشراق» و«القبالا» الغيب والتدجيل

مؤسس هذه الفرقة هو اسرائيل بملشام، ومعنى البعلشامية القدرة على اتيان المعجزات باسم الله. وأول ما ظهر هذا الاسم كان ظهوره فى يهود المانيا ويولونيا عن طريق القباليين، وذلك فى القرن السادس عشر، والقبالة وقتئذ فى ازدهارها، وكان البعلشاميون يمارسون الطب التدجيلي، مفرغين عليه ما استطاعوا وشاءوا من «الشعوذات» التى قالوا انها مستمدة من كتاب «الإشراق». واليهودى التى يأتى بالمعجزات على الطريقة البعلشامية ينظر اليه كأنه متصل بروح الربى سمعان بن يوشاى فى القرن الثانى الميلادى. والربى سمعان هذا هو أحد جامعى التلمود الأوائل، وهو أحد الذين عرفوا بالقدرة على اتيان المعجزات البعلشامية، ويقولون إن عدد هؤلاء المختصين بلغ أحد عشر رجلاً، كما جاء فى دائرة المعارف اليهودية فى ترجمة بملشام.

كتب البعلشامية تبحث فى كل شىء غامض، فى الكائنات، والنفس البشرية، والخير والشر. ومن يريد الدخول فى البعلشامية عليه ان يكون فى مجلسه ساكناً صامتاً، مريعاً، مستغرقاً فى التأمل، قارئاً صلواته. وعليه أن يجتاز سبع حالات، وبعد اجتياز كل حالة يصل المرید أو الطالب إلى منزلة سماوية عليا تسمى «الهيكل»، وكل هيكل لاحق يختلف عن سابقه حتى يدرك السابع الأخير، وهذا لا لون له، وهنا يفقد المتأمل شعوره ويضربون مثلاً على هذا كما فى كتاب «الإشراق».

«قال الربى سمعان بن يوشاى: استفرقت يوماً فى التأمل حتى أبصرت بالتالى انبثاقاً نورانياً شديداً الوهج، فى كل وهجة ٢٢٥ دائرة نورانية صفرى، ثم بدا لبصرى ان فى وسط هذا النور بقعة سوداء تسبح فى بحر النور هذا، ثم أخذت هذه البقعة السوداء تتحول الى بيضاء، وتعم وتطوف على سطح الماء النورانى حيث احتشدت صور العظمة على ما يأخذ العقل. فسألت عن معنى هذه الرؤيا فقيل لى ان هذا يمثل غفران الخطايا والذنوب».

\* \* \*

وكتاب «الإشراق» هو مصدر كل هذا، لجميع القباليين والبعلشاميين، فما كاد ينقضى خمسون سنة على ظهوره فى اسبانيا حتى تلقفه القباليون التلموديون والتهموه. وقال القباليون

ان كتابًا مثل هذا لا يمكن ان يضعه انسان ان لم يكن مؤيداً من الله، ولذلك جعلوه فى القداسة كالتوراة، كان له أثره فى تطور الشعائر الدينية. ولما قال الميمونية أن الإنسان جزء صغير من الكائنات، وخلوده موقوف على درجة ترقى عقله الفعال، قال اصحاب «الإشراق» إن الإنسان سيد الكائنات وخلوده موقوف على فئائه، فجعلوا الفناء سبب الخلود.

ثم إن هؤلاء جميعاً ينحدرون من التلمود.

وترسب هذه البعلشامية فيما وراء الستار هيئة سرية قبالية ملثمة.

## ١٠ - القهال

منظمة سرية امها القبالا وابوها التلمود  
ومظهرها الخارجى أنها صلة بين الحكومات وجماعات اليهود

القَهَال لفظة عبرية معناها الهيئة أو المجلس أو الجماعة، كانت حتى القرن التاسع عشر تستعمل للتعبير عن الهيئات اليهودية المحلية، في لتوانيا وبولونيا وروسيا. ومبدأ كيانها في أوربا، وربما قبل الحروب الصليبية، كما تقول المصادر اليهودية.

وأما معناها اليوم في الكتابات العالمية السائرة، فينصرف إلى ما هو هيئة سرية غامضة، كالقبالة، والبعلشامية، ويقول النقاد أن معظم الناس لا يفرقون بين القبالة والقهال.

ومن وجهة النظر الخارجية في هذه المسألة، أى التمييز بين يهودى قبالى، ويهودى بعلشامى، ويهودى قهالى، فهذا كله في الواقع مترادفات تنصب على شيء واحد، هو منظمة «حكماء صهيون» التى هي القطب والمدار، وما باقى المنظمات الا روافدتنتهى اليها. وتكاد تلمح أن البعلشامية التى تكلمنا عنها في الفصل السابق تشبه في صورة تركيبها طريقة من الطرق الدينية في الشرق، هذا في مظهرها الخارجى، وأما في داخل جهازها فهي شيء آخر، وما اتخذ الشكل الظاهر الا ليكون سترأ لما في الداخل. هذه هي الحقيقة الكبرى تتجلى لكل دارس لبواطن الحركة اليهودية العالمية. وتأتى الماسونية العالمية ونراها لا تعدو هذه القاعدة أيضاً من حيث اختلاف ما بين الظاهر منها والخفى. ثم تتقلب بالتالى الاداة الفعالة الأولى بيد اليهودية العالمية، وفي البروتوكولات تفصيل هذا كله.

وكثيراً ما يقع المطالع للرويات والقصص الغريبة على كلمة «القهال» في مساق الرواية، فلا يحصل من معناها الا الاشباح الغامضة وما تسوقه اليه القرينة، ومعنى القهال على الجملة هيئة مربية تعيش في الزوايا والسراديب، ومثل هذا ما يحصله من معنى «القبالا» ولفظة «كاباليسست» في اللغات الاوربية. لكن هذه الحجب كلها تتمزق عندما تتسلط عليها حقيقة واحدة رهيبه: ان عادة الحصول على الذبائح البشرية أو خطف اليهود للمسيحيين والمسلمين لاستنزاف دماهم واستعمال الدماء في طقوس يهودية منذ القدم، ونقل أجزاء من الدم المعجون بمادة أخرى الى اقطار اخرى حيث لا يستطيع يهود تلك الجهة ممارسة الخطف والاستنزاف في بلادهم، ان هذه العادة تفرض على كل يهودى تلمودى ان يمارسها عندما يطلب منه ذلك. ومن يطلب منه؟ طبقة «الحاخامين» في المجتمع اليهودى، وعلى الغالب انما يقع على «الحاخامين» العبء الاكبر من جرم ارتكاب هذه الجنایات الوحشية، بل نعت الوحشية



اقل من ان يدل على فظاعتها، اذ لو استعملناها لوصف الخلق اليهودى المجرم الجانى، فماذا ابقينا من الوصف للوحش البرى الذى هو اقل وحشية من طالبى القرايين البشرية ومرتكبى جرائم الدم والاستنزاف؟ وطبقة الحاخامين موجودة فى كل منظمة يهودية ظاهرة ومستترة، فعلى ان ننظر الى القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً، على اختلاف اسمائهم، فنجد ان الطبقة الحاخامية هى السلسلة الفقارية فى الجهاز كله. ومعظم الرجال اليهود فى فلسطين، منذ اخذ اليهود يحاولون الاقامة فى فلسطين واستيطانها، من ايام السلطان عبد الحميد، - معظم هؤلاء اليهود، ونفى البارزين المسؤولين منهم، عندما نقرأ تراجمهم، نرى كل واحد منهم ابوه «حاخام» ونرى تخرجه كان أولاً من مدرسة «دينية» او حاخامية، وقلما ذهب احد هؤلاء الى مدرسة عامة ولو يهودية، قبل ان يمر فى نشأته على المدرسة «الحاخامية» التى تغذى الناشئين بالتعاليم والاسرار التى لا تداع للناس. وما اختلاف المنظمات عندهم بالاسماء، الا من نوع اختلاف العناوين لما هو وراء العناوين شىء واحد. وانما نقول هذا هنا، اذ مررنا بذكر التلمود، بعد التوراة، ومررنا بالقبالا، ثم اتينا الى النحمانية والميمونية، ورأينا كتاب «الزهر» او كتاب «الاشراق»، والبعلشامية مدعية اتيان المعجزات، وحططنا رحالنا فى هذا الفصل فى ساحة «القهال». وحتى لا يدخل شىء من الابهام على ذهن القارى، فقد رأينا من المفيد ان نستردى انتباهه الى ما قلناه هنا. وما كل قارىء من العرب يحتاج الى هذا. وبعد الاطلاع على كل هذه المناحى المشتتة عليها هذه الكتب التى بيد القارىء، وبعد الوقوف على «البروتوكولات» والتعمق فيها، لا يبقى بالعربى حاجة على ما نعتقد، الى ان يرجى عنايته بدراسة اليهودية العالمية عن طريق التوراة والتلمود، ليدرك اى واجب عليه نحو نفسه وولده وذريته، ونحو وطنه وتاريخه، من العمل فى سبيل المكافحة لكل ما هو بمعنى «يهودى» او اسرائيلى فى فلسطين.

\* \* \*

نعود الى تكملة الكلام على القهال. فيقول النقاد فى هذه الحركة انه ان لم يمكن ردها فى قدم المنشأ الى ما هو ابعد من القرن العاشر الميلادى، فاستعدادها من التلمود هى والبعلشامية شىء واحد. تتحدان من التلمود ثم تتخذ كل واحدة طريقها. وهناك شىء آخر وهو ان تظهر منظمة القهال مظهر جهاز «تلمودى» لمن يراها من الخارج، ثم هى فى الحقيقة ستار للقبالة الكبرى، والقبالة ما لها الا تاريخ اسود فى أوروبا كلها، فاحتاجت فى القرون الاربعة او الخمسة الاخيرة الى ما يستر امرها قدر الامكان، فكانت منظمة القهال القفاز الخارجى، وتقوم مقام الصلة الظاهرة بين الحكومات فى أوروبا الوسطى، وأوروبا الشرقية خاصة، وبين الجماعات اليهودية الملتفة على نفسها، وعليها ان تدفع الضرائب الرسمية الحكومية، وتقضى معاملات المدنية، فقامت المنظمة القهالية بكل هذا حتى اخذت تنفطم وتنتهى فى القرن الماضى، اذ جاءت التنظيمات اليهودية الجديدة، بعد حركة كارل ماركس فى منتصف القرن

التاسع عشر، فدخلت الحركة اليهودية العالمية فى دور جديد، وهذا حتى قبل ان يولد هرتزل.

\* \* \*

ويبدو للدارس لقضية اليهودية العالمية ان المجال الواسع لنشاط منظمة القهال كان فى روسيا وبولونيا ولتوانيا، وسائر بلدان شرق أوروبا. ومسألة تأدية الضرائب المدنية للحكومات كانت اهم وظائف القهالة، ولا يغيب عنا أن انكماش اليهود على انفسهم فى احياء خاصة بهم فى المدن تدعى عادة Chetto باللغات الاوروبية، انكماشاً هم فيه مختارون لا مكرهون، انسياقاً مع غريزتهم فى الانفراد والعزلة عن المجتمع غير اليهودى، ساعد اجهزة القهال فى الانسياب فى عملها، واستفادت اليهودية العالمية السرية من هذا، اذ هذا الوضع سترً للمنظمات اليهودية وتخفية وحجب، وهذا رأس مال النشاط اليهودى. ويقول بعض النقاد ان وظائف منظمة القهال كانت اشبه بنظام البلديات فى المدن، هذا فى الظاهر. ونحن الآن ليس بوسعنا الاستطراد الى ما يزيد المساق فروعاً وشعباً، والغاية الكبرى لنا فى هذا الفصل استيفاء الكلام على صفة القهال كما فعلنا فى زميلاتنا من البعثات السامية والقبالة. ولا ندخل هنا فى الكلام على ناحيتين مهمتين: «الحى اليهودى» الاوروبى، واللاسامية وكلاهما فى نظرنا شيء واحد، رغم ما يحاول كتاب اليهود القول فى اللاسامية انها حركة مخلوقة على يد «الفويم» غير اليهود، لنأهضة اليهود. لكن مسألة الحى «اليهودى» فى شرقى أوروبا وهو عش الفرائز اليهودية، فلا بأس ان نوجز فيه الكلام ايجازاً.

هذه الكلمة غيتو أو جيتو. يقول المعجم الانكليزى على الراجح انها من اصل ايطالى (Borghetto) تصغير Borgo أى «الحى» من المدينة أو البلدة. وهذا فى الانكليزية Borough وتطور الاستعمال حتى اقتصت هذه الكلمة بالحى الذى يسكنه اليهود دون سواهم فى اى بلد اوروبى. وكما قلنا ان اليهود انكماشوا الى هذا انكماشاً ولم يساقوا اليه بالاكراه، ويستفاد ان اول ما نشأ هذا فى ايطاليا، فى القرن الحادى عشر، والقرن الحادى عشر كانت فيه الحروب الصليبية فى مطالعها، وكانت ايطاليا مباءة النشاط فى تلك الحروب من جهة البابا، واليهود يكيدون فى الخفاء للكلكة، ولعل هنا فى ايطاليا صار اليهود اول من ينكمشون الى احياء خاصة بهم. ثم شاع هذا فى أوروبا، فى المانيا وبافاريا واوستريا وبلاد الانكليز حتى القرن التاسع عشر. ومع بقاء كلمة «غيتو» تعنى الحى اليهودى خاصة، فقد توسع هذا المعنى وامتد حتى صار يستعمل اليوم للتعبير عن كل جماعة سرية أو علنية تعزل فى ناحية خاصة بها وقد يكون العدد ضخماً، وقد يكون الانعزال انعزال «اقلية» يهوداً كانوا ام غير يهود. اما فى البلاد العربية والاسلامية، فاليهود هنا ايضاً جروا على الطريقة نفسها، وهذا دليل آخر على ان السبب فى انكماشهم ليس السبب فى المضايقة من الدولة أو من مخالفيتهم، بل هم فى هذا مستجيبيون لفرائزهم اليهودية. ويقال عندنا «الحى اليهودى» أو «حارة اليهود» تبعاً للمصطلح

الدارج في العاصمة أو المدينة، غير إقامة اليهود في البلاد العربية الاسلامية والشرقية كانت نعمة عليهم لم يروا شياً لها في بلد أروبي.

ونعود الى القهال ومنظماتهم: واذا كان خيراً لليهود، أن يتولى أمرهم ومعاملاتهم المدنية مع حكومات البلدان التي يقيمون فيها، جماعة مسؤولة منهم، فهذا كان خيراً أيضاً للحكومات فتجد أمامها هيئة يهودية مسؤولة، تحصر امر التعامل معها. واذا كان هذا بات لا يصلح اليوم مع مستوى حكومات العصر ففي الماضي كان تدييراً عملياً هو أصلح ما يمكن للسير عليه في معاملة اليهود.

ويقول النقاد: إن هيئات القهال مرت بأدوار مختلفة من فوضى وفساد وانحلال، وكانت هيئاتها تتخب مرة كل سنة. ومنذ القرن الثامن عشر أخذت تنحل وتفكك شيئاً فشيئاً، ويضيق نطاق صلاحياتها، واليهود لا يهنأ لمنظماتهم من عيش إلا اذا كانت الجهة الأخرى من أجهزتهم هي الظلام والخفاء.

فصارت أجهزة القهال تتحول شيئاً فشيئاً الى منظمات سرية، يتولى أمرها ويسيطر عليها الحاخامون، حملة التلمود، وسيفه الخفى وصلت فوق الرقاب، فمن ارتكب جرماً بحق القبالة، والقبالة هي الفك الأعلى، قتل بلا هوادة. وما كانت حكومات شرق أوربا يهمها هذا داخل الاجهزة اليهودية ويقول النقاد أيضاً إن هيئات القهال كانت لها جهة داخلية سرية أيام كانت القهالة في الازدهار، فكيف الآن وقد ضُوِّقت وشد من حول عنقها الخناق. وبالتالي استغرقت هيئات القبالة هيئات القهال في الظاهر، فما عاد للقهال من وجود ظاهر. أما في الخفاء فالقهال بوسعه أن يعمل ما يشاء، إذ انقلب الى قوة مندمجة اندماجاً تاماً في أجهزة القبالة.

## ١١ - كتاب جاكوب «برافمان» من نوع البروتوكولات ظهر سنة ١٨٦٩

فى سنة ١٨٦٩ وضع جاكوب برافمان Gacob Brefman كتاباً شرح فيه اسرار هذه الهيئات، وما تمارسه من وسائل لابقاء الجو التلمودى مسيطراً على أذهان اليهودسيطرة مخيفة، فكان كتاب برافمان هذا، أشبه بظهور البروتوكولات بعد هذا الوقت بنحو ٣٩ سنة، تقضح «حكماء صهيون» فى مؤامراتهم على الاديان، المسيحية والاسلام، والممالك الاوروبية، والبابوية، ثم المملكة العثمانية.

ثم اختفى كتاب برافمان اختفاءً عجبياً، ولا وجود له اليوم، إلا فى مواضع الله أعلم بها. وبقيت الصحافة الروسية مدة طويلة، تنشر اشياء غريبة من كتاب برافمان، حتى اختفى وغاب.

ولكى يقلل اليهود من امر هذا الكتاب الفاضح لهم، اخترعوا قولاً وراحوا يذيعونه بمختلف وسائل النشر، من ان برافمان اعتنق اليهودية اعتناقاً مصطنعاً ثم ارتد عنها وما كتب هذا الكتاب الا طلباً للشهرة لنفسه والنقاد يرفضون هذا القول، ويعتقد فريق منهم ان كتاب برافمان تناول اسرار الذبائح البشرية. غير ان هذه المحاولة لاطفاء نار الفضيحة لم تجد القهاليين شيئاً، ذلك لأن ما يشاهده الناس من أمور القهالة لا يمكن اخفاؤه، وجل ما أتى به كتاب برافمان انه كشف الغطاء، كجريمة فضيحة وقعت وظلت تفاصيلها مبهمه، والتهم تدور حول زيد وعمرو، حتى صاح التحقيق هذه هى الجريمة وتصويرها، وهؤلاء هم المجرمون. وايضاً ما وقع لبرافمان وقع مثله فى امر البروتوكولات. فكتاب أوروبا المعنيون بالقضية اليهودية يعطون أول دليل على صحة البروتوكولات هو أن المخطط الذى تستند اليه اليهودية العالمية، وتطبيقه مرحلة بعد أخرى، لىتم لها المراد بعد نهاية قرن من الزمان (آخره القرن العشرين) هو ظاهر بارز فى الحروب الدولية، والانقلابات والازمات الاقتصادية المفتعلة، وافساد الضمائر التى تستطيع اليهودية العالمية الاستيلاء عليها، أو أخذها تحت جناحها بواسطة الماسونية العالمية. وما يحتاجه العرب اليوم أشد احتياج ليس ليس البراهين على صحة البروتوكولات ولا على صفة المخطط اليهودى، بل هم محتاجون الى فهم هذا ووعيه، وتوعية الاجيال العربية الجديدة على حقائق اليهودية والاحاطة بهذا بطريقة مجدبة، لا مجرد تسلية، أو عبث عابر.

## ١٢- الحاخام نافيطوس المنتصر وكتابه المطبوع سنة ١٨٦٩ في بيروت

ان قصة كتاب براهمان لها شقيقة يهودية، حدوك النمل بالنمل. وهذه صفوتها:

في سنة ١٨٦٩ أى سنة ظهور كتاب براهمان في أوروبا الشرقية، ظهر كراس صغير الحجم بقدر الكف أو ما هو أصغر، في العربية، في سوريا ولبنان، مطبوع بحرف «جسم ٢٤»، يشبه كل الشبه حرف المطبعة الاميركية في بيروت في ذلك الوقت. عنوان هذا الكراس: «الصحيفة الرضية للماعية في انهدام الديانة العبرانية»، وهذا العنوان لا يدل على حقيقة المحتوى، لا تغطية وبعداً من التصريح، بل اعتقاداً من مؤلفه الذي بسطه في الكراس يقع تحت تلك الديانة اليهودية. فاضاف الموضوع الى الدين العبراني، وهذا صحيح، واقعاً وشكلاً. اما الموضوع نفسه ومن حيث هو، فأخطر واكبر واعظم. وهو ما عبّر عنه المؤلف في أول عبارته بعد صفحة الوسمه فقال ان الكراس يبحث في:

«السر المكتوم من اليهود عن الدم الذى يسفكونه من المسيحيين واسبابه الثلاثة».

ثم يمضى المؤلف في شرح هذا واسبابه والغاية منه، ومن يمارس هذه الجناية من اليهود.

ويكاد شعر الرأس يقفّ من فظاعة ما هو مبسوط في هذا الكراس الواقع في (٥٥) صفحة من ممارسة هذه الجناية الوحشية. ويظهر ان هذا الكراس، لما طبع سنة ١٨٦٩ كانت الاذهان في بيروت أخذت تتفكك من قيود الجمود، تطلب الخروج الى النور، وكانت حركة المعلم بطرس البستاني في التوير قد قامت على سوقها، والجامعة الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) في سنواتها الاولى، وحركة نقل الكتاب المقدس الى العربية تنمو وتلتهم. فلا نعتقد ان هذا الكتيب طبع سراً، ومطبعة الجامعة الاميركية اذا صدق الظن ان هذا الحرف الطباعي هو حرفها - لا ترى سبباً لكي تتولى طباعة أى شيء بطريقة خفية، ولا سيما في الكشف عن فضائح لها صلة بالدين الموسوى. زد على هذا ان في آخر صفحة هذه العبارة: «وكان الفراغ من طبعتها سنة ١٨٦٩. ثمنها ثلاث غروش ٣، فهذا يدل على ان هذا الكراس كان يباع في الأسواق. لكن يجب الا يغيب عنا أن قبل ظهور هذا الكراس بنحو ٣٠ سنة، كانت قد وقعت في دمشق الحادثة المروعة التي حتى اليوم كلما ذكرت جمد الدم في العروق وهي خطف الاب توما الكبوشى<sup>(١)</sup>

(١) الأب توما جاء دمشق من ابطالها سنة ١٨٠٧ واقام في البلاد ٢٣ سنة يخدم المساكين والفقراء والقرضى بخلق رضى، حتى اشتهر امره في الشام واحبه الناس، ثم ذهب دمه على سفار السكاكين بطريقة =

هو وخادمه وذبحهما واستزاف دمهما، في طسوت خاصة، ورمى العظام في نهر دمشق ثم ثبوت هذه الجناية على نحو ١٠ رجال من أعيان يهود دمشق منهم الحاخامون طبعاً. وكان لهذه الحادثة الوحشية صدى واسع في العالم، والتحقيق الرسمي أثبت كل التفاصيل المروعة، وحكم على الجناة بالاعدام. فتحركت اليهودية العالمية في أوروبا، وكان وقتئذ موسى مونتيوري، اليهودي الانكليزي، المثري الكبير من صدور «حكماء صهيون»، وكان هذا الرجل قد اتصل بمحمد علي في مصر وفاوضه بشأن استئجار معظم فلسطين، وفلسطين وبقية يده وقبل محمد علي أن يقطع مونتيوري ما أراد. وفي غضون ذلك وقعت حادثة الأب توما والحكم على الجناة، فندب مونتيوري ليأتي من لندن، ومعه جيب مترع، ليطلب من محمد علي إصدار العفو عن الجناة، فنجح مونتيوري. أما المضي بعد ذلك في «استئجار» فلسطين لمدة ٩٩ سنة فقد قضى عليه انسحاب إبراهيم بن محمد علي من بلاد الشام. وتجد ذكر هذا في ترجمتنا لمونتيوري في الفصل ١٢ من هذا الكتاب.

\* \* \*

إن مؤلف هذا الكراس ليس مسيحياً ولا مسلماً، ولا بوذياً ولا ملحداً ولا برهيمياً ولا وثياً. بل هو «من الحاخام نافيطوس الذي رفض المعتقد العبراني واعتق الايمان المسيحي في السنة الثامنة والثلاثين من عمره ودخل في عيشة النساك راهباً قانونياً». وما هذه العبارة الا عبارته. هذه هي عبارته، عبارة الحاخام نافيطوس، نقلناها بالحرف. ثم هو يقول بعد ذلك مباشرة ما نقله مبين على اغلاطه الاملائية:

«قد طبعت باللغة المذكورة (المدافية سنة ١٨٠٢ ثم استخرجت الى اليوناني، ثم الى الايطالياني سنة ١٨٢٤ في مدينة نابولي من اقليم برومانيافي مطبعة يوحنا جاورجيوس تحت تسمية انهزام العبرانية. وأخيراً استخرجت في هذه السنين الى العربية». ثم يبتدى في شرح ما يريد وهو يسمى موضوعاته «بالاسباب» أي أسباب سفك الحاخامين لدم المسيحيين.

= خاصة للذبح. فهو بلا ريب اكبر ضحية انسانية. عالجت مجلة «اسرار العالم» في بيروت هذا الموضوع بعد الحرب العالمية الثانية. فكتب المؤرخ الاستاذ يوسف يزك بحثاً في العدد الثاني (غير مؤرخ) طواه على حقائق الجناية مما اثبتته التحقيق، واوراق التحقيق واردة في كتاب «الأصول العربية لتاريخ سورية» ونقل هنا العبارات التي قدمت بها المجلة هذا البحث إلى القراء، فقالت:

«كانت امهاتنا يحذرنا في طفولتنا من الاعتماد عن منازلنا والدنو من احياء اليهود، لأن هؤلاء في زعمهم يخطفون الأولاد الصغار ويضعونهم في «سرير الشوك» لينزف دمهم، فيمجنون منه خبزهم المسمى «خبز الفطير» عملاً بطقوس مذهبهم. وكثيراً ما كنا نضحك لهذه الرواية ونسميها خرافة. غير ان وقائع القضية المجيبة التي يمرضها الكاتب الكبير من الأسئلة المحيرة والشكوك المثيرة قلنا وكراس الحاخام نافيطوس لا يحتاج الشاك والمرتاب بعد الاطلاع عليه، إلى أي برهان آخر.

وهذا الحاخام نافيطوس، ولا ندري ما كان اسمه قبل ذلك، هو ابن حاخام، ويظهر أنه الابن الأكبر لأبيه، اذ يقول أن الحاخامين من شدة حرصهم على كتمان مسألة الدم، يختارون من أولادهم من يتوسمون فيه القدرة على كتم السر ليتسلم هذه «الصناعة» الانسانية الراقية! ويبين نافيطوس ان سائر أفراد البيت، بيت الحاخام، لا يطلعون على الأسرار المتعلقة بكيفية ممارسة الجناية، وينقل هذا من والد الى ولده المختار، لا الى أى من ابنائه.

وهذا الكراس لعله حتى اليوم موجودة نسخ منه فى بعض البيوت فى سوريا ولبنان وغير مكان. أما نحن، فقد اطلعنا على نسخة منه فى دمشق سنة ١٩٥٥ وسمح لنا أن ندرسها، وقد قمنا بهذا، وقيدنا ما رأينا تقييده من ملاحظات حول محتوياته. غير أننا هنا لسنا بصدد ذلك إلى أبعد مما قلنا، وكان كتاب برافمن هو الموضوع الذى نسوق الكلام عليه. غير أنه من المحتمل أن نعالج مسألة الرب توما، الراهب الطبيب المحسن الانسانى، معالجة مفردة قائمة براسها فى كراس على حدة. ونعتقد أن كل ما كتب فى الصحف من تفاصيل حول «الجناية» فى العشرين سنة الاخيرة، وهو فى محله. لكن القضية، من جهة الكشف عن وحشية الغرائز اليهودية، تتجلى انجلاء اوسع والمع، اذا طبقنا تفاصيل الجناية على ما ذكره نافيطوس.

\* \* \*

ومع محاولة اليهود تعمية اخبار الخطف واستنزاف الدم، كلما وقعت حادثة بريرية وحشية من هذا النوع، فى ناحية من أنحاء العالم، ومع أن فى دائرة المعارف اليهودية (المطبوعة ١٩٠٤ - ١٩٠٥) ذكراً لأكثر من أربعين حادثة فى أوروبا والشرق، فالتصل الكاذب لا يغير من الوقائع، شيئاً، ونعتقد أن حادثة الاب توما الكبوشى على بشاعتها فليست هى من حيث الفضاعة أفضع حادثة من نوعها، والتحقيق الرسمى واستقصاء حتى أصغر أجزاء الحادث، واكتشاف الهياكل البشرية الملقاة فى نهر دمشق، والاعترافات التى أدلى بها الجناة، وشهادات الشهود والاطباء الرسميين، وكل هذا تحت مراقبة قناصل الدول فى دمشق، كل هذا بلغ حده وانتهى الى ما لا نهاية بعده من الاثبات. وهناك حوادث عديدة يستطيع اليهود ان يطمسوا آثارها، ويطنفثوا أخبارها، فتتدرج فى الدهاليز، والعالم غافل عنها. الا اذا سبق للحادث ان انتشرت انبأؤه الى الآفاق قبل أن يتمكن اليهود من خنق ذلك، فحينئذ يعمدون الى التصل، والانكار والتضليل.

وفى سنة ١٩٦٢، وهذا قريب جداً، نشرت جريدة «هارتس» اليهودية فى الجزء المحتل من فلسطين شيئاً من المفيد ان يطلع عليه القارىء العربى. و«هارتس» هذه هى كبرى الصحف اليهودية فيما يسمى «اسرائيل»، وهى تمثل الجناح اليمينى من المخطط الصهيونى. قالت: «إن اليهود فى منطقة طشقند فى روسيا متهمون باختطاف اطفال المسلمين لعجن فطائر عيد الفصح اليهودى بدمائهم وقد طالبت سيدة، هى عضو فى مجلس الاتحاد الاعلى

في طشقند، بطرد جميع اليهود الموجودين في هذه المدينة. وعددهم يزيد على خمسين الفاً، بعد أن كانت ابنتها ضحية لليهود الذين استنزفوا الدم من إذنيها ليعجنوا به فطائر عيد الفصح<sup>(١)</sup>.

ثم لا أخبار بعد ذلك عما جرى في طلب السيدة أم الطفلة، هل حقق أم لا، وإلى أين ذهب الخمسون الفاً من اليهود، ونعتقد أنهم بقوا حيث هم الى هذه الساعة. وكنا نود لو أن مكاتب الجامعة العربية تتبّه الى هذه الحوادث وتستقصى انباءها حادثة حادثة.

\* \* \*

وقد أتينا بهذه التفاصيل البشعة للموضوع، لتعلق حوادثها بالشيء الذي من واجبنا استرعاء انتباه القارئ اليه، وهو الروح الجنائية في الفطرة اليهودية من التلمود فنانزلاً، فالقبالة، فالكهال، فحكماء صهيون، فالبروتوكولات. تبرز رؤوس هذه الجنائيات متفرقة هنا وهناك في مختلف الاقطار والبقاع، في الشرق والغرب، أوروبا وآسيا، غير انها في الجوهر منحدرّة عن نبع واحد، كما ترى، وتتجلى صور الوحشية الصهيونية في المذابح التي ينزلها اليهود بعرب فلسطين تجلياً يتفق وكل هذه الفرائز اليهودية.

(١) راجع جريدة «الشرق» التي تصدر في بيروت عددها ٦٣/٢/٢.



## ١٢- اليهودى يوسف منده الملقب بالناسى<sup>(١)</sup> نموذج من «الحكماء» فى القرن السادس عشر

هو، كما يقول مترجموه اليهود «سياسى عثمانى» ومن ارباب الثروة والجاه والحقيقة انه سياسى يهودى من «حكماء صهيون»، وسنرى فى سيرته الموجزة هنا انه حاول ان يكون علقاً ممتصاً لدماء الدولة العثمانية فاستطاع هذا، وحاول الاستيلاء على فلسطين، وفى سيرته عبرة للقارىء العربى. واما غرضه الاول والاخير، فرمى الدولة بالحروب بينها وبين دول اخرى، لكى يجد يوسف منده الفرصة من خلال ذلك ليتوجه بقومه المطرودين من اسبانيا والبرتغال، الى فلسطين أو قبرص. هو يقضم العروش كما يقضم الفأر السنابل. وفى هذه الترجمة يوسف منده او يوسف ناسى واحد.

\* \* \*

ولد فى البرتغال فى بداية القرن السادس عشر، ومات فى استنبول سنة ١٥٧٩. وهو الاخ الاكبر لفرنسيسكو، و«دياغو - منده» من اسرة مارانو التى فرت من اسبانيا الى البرتغال، آخر القرن الخامس عشر، ولكى ينجو من الاضطهاد فى البرتغال، هاجر فوراً الى «انقرس» مع عمه دياغو. وهناك انشأ مع قريب لهما، شركة صرافة على نطاق واسع، واتسعت شهرة يوسف، نه قريبته الملكة ماري الوصية على عرش «الارض الواطئة». ثم جاءت عمته «غراسيا» الى انقرس سنة ١٥٢٦ وكانا يتظاهران بالنصرانية، فانكر عليهما الناس هذا، اذ علموا بانهما يهوديان من يهود البرتغال فهبطا فى عيون الجمهور فانقلبا بالتالى الى تركيا. وفى سنة ١٥٤٩ وصلا الى البندقية بعد مشقة شديدة. ويبدو انهما كانا مطاردين، ومن الصعب استخلاص قصتهما استخلاصاً جلياً من تضاعيف الكتابات المختلفة. وهناك دلائل وقرائن على انهما كانا كالخائف المترقب يفران من بلد الى بلد.

\* \* \*

وفى البندقية كان يقيم فريق من بيت مارانو، فاضطربت امورهم من كثرة دسائسهم، فلم يكن بد من تقيهم، فنقلوا تانى سنة وصول غراسيا ويوسف ابن اخيها، هذا اذا كان يوسف

(١) لقب تمظيم عند اليهود ينادى به عدد من الذين يمدونهم عظاما كرؤساء مجمع «السندرين» وكبراء الاحبار، ولعل الذين نعتوا «بالناسى» لا يجاوز عددهم العشرة أحدهم يوسف منده هذا. ولم يسمع بهذا اللقب الا زمن المكابيين وما بعد، وبعد منده لم يسمع بيهودى آخر نال هذا اللقب. وقد شرحنا معنى هذا اللقب فى مواضع اخرى من هذا الكتاب.

حقاً ابن أخيها، لان الغموض يعطى مجالاً لهذا الاحتمال وهو ان القرابة بينهما على هذا الوجه قد لا تكون صحيحة.

وابرز سبب في هذا الاحتمال تضارب الاقوال في تعيين درجة القرى بين «غراسيا» و«يوسف». ثم ان القارىء يلمح بغاية السهولة الحلقات المتقطعة في سليلته وسيرته، بين ان يكون نافذ الكلمة في مكان تارة، وان يتوارى فجأة ويترك المسرح، طوراً. فهو بين بروز وهروب، وعلو وانخفاض، يوماً عند الملوك، ويوماً آخر يلاحقه منهم الغضب، ويلمح القارىء هذا الغموض في اكثر من دور من ادواره. وتقول سيرته في المراجع اليهودية انه وهو في البندقية طلب من رئيس جمهوريتها ان يقطعه احدى الجزر القريبة، لتكون ملجأ لليهود الفارين من البرتغال فرفض طلبه. ثم اتنا نرى غراسيا قد سجنّت بسبب سوء سلوك ابن اختها، ونراها هنا ارتدت الى اليهودية فصودرت املاكها، ثم تنتقل القصة بنا الى ان ترينا يوسف يستنجد بالسلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦) والغموض يجعلنا حقاً نتساءل عما كان ليوسف وقتها من مكانة، وهو يهودى تنصّر ثم صبأ عن النصرانية، هو وعمته او خالته، ترفع به الى حد مخاطبة سليمان القانونى، السلطان الذى كانت هيئته وقتئذٍ ملء اوروبا والشرق، ويستنجد به، وهو اليهودى الفار من البرتغال، المتصّر، المرتد الى اليهودية فى البندقية المصادرة املاكه هناك، الخائف المذمور. سليمان القانونى سنة ١٥٢٩ ضرب اول حصار على فينا، فمن هو هذا اليهودى الذى يستنجد به فرد ضعيف؟ الجواب: هو يوسف، نعم، وهو على هذه الصفة التى ذكرنا، اما السر فى امره فظاهر فى البروتوكولات، اذ هذه البروتوكولات ليست آراه مرتجلة فى اواخر القرن الماضى، ارتجلها نحو ٢٠٠ قطب من اقطاب اليهود فى العالم. وانما هى الدستور الدائم لليهود من ايام نحميا وعزرا واستير ومردخاى. هذا الدستور هو هو فى كل دور، وعصر، لا يتغير وروحه واحدة لا تتبدل ما اهون على اليهود الذين فى رتبة «الحكماء» ان يصلوا الى كل بلاط فى العالم، فى الشرق والغرب، فى بلاط الفرس كما فى بلاد بنى عثمان. «الحكماء» قد أوتوا من الوسيلة الخادعة والطريقة المصنوعة الكاذبة، ما يمكنهم من ان يدقوا فى أى بلاط يريدون، وتبدأ بعد وتد، حتى ييلفوا القربى والزلفى من الجالس على العرش، ثم تبتدىء الحجارة تنهار حجراً بعد حجر.

ويبقى اليهودى على مكذوب الولاء، حتى اذا وقع قومه فى ضنك، أو يريدون تقريج ازمة آخذة منهم بالمخنق، أو يريدون الوصول الى غرض، طلبوا من صاحب العرش ان يقضى لهم مطالبهم، ويستعطفون فى البداية، ويتوسلون، ويكون، فاذا لم ينزل صاحب العرش على مبتغاهم، تدحرج الى قعر الوادى. واذا لم يستمع الملك اليهم فى اثناء الحوار أو الضراعة، رموه بالمرأة والذهب، فان لم يفد هذا شيئاً، انقطعوا الى التدمير. وهذا مكرّر فى تاريخهم،

ويارز محسوس. وأسرار القصور عند اليهود أبجديات سهلة، والمفاتيح تارة من حديد وطوراً من ذهب.

\* \* \*

ثم لا نستطيع ان نعلم كيف تمهدت السبل لفراسيا ويوسف حتى نراهما ينتقلان الى تركيا.

جل ما نعلم، ان سليمان القانوني كان عنده وتد يهودي لما كان يوسف وغراسيا يستجدان به. هذا التود هو طبيب السلطان، يهودي اسمه موسى هامون. ولا نسمع بهذا التود الا الآن. ومن اتى به الى السلطان، وكيف كان اختياره ليكون الطبيب لابن عثمان؟ وكيف صدق السلطان ولامه؟ وموسى هذا، حادث السلطان بشأن يوسف وغراسيا. غير ان موسى هامون، «الحكيم» بزي طبيب، ينبغي ان يكون مزوداً بالاشياء المهمة التي عليه ان يبسطها للسلطان ويقنعه بها. عليه ان يعلم من هم اصدقاء السلطان ومن هم اعداؤه. ماذا يحب السلطان وماذا يكره. وما يسره في مباحجه الخاصة وما لا يود رؤيته او سماعه. ويظهر ان موسى بسط للسلطان ما في جمبته بسطاً مستهويماً اخذاً، وجذاباً:

١ - آل ناسي وجه اليهود في العالم.

٢ - يوسف وغراسيا ليس لحكمتهما مثل.

٣ - اذا انتقلا الى كنف السلطان فما وراء هذا إلا الخير.

٤ - المنافع التجارية والمالية.

٥ - يضعان كل كفايتهما تحت تصرف السلطان.

٦ - ممالك السلطان لا تغيب عنها الشمس، فلا تضيق بحفنة من اليهود، وفلسطين

مقاطعة نائية كادت تكون مهجورة من قلة السكان فما أوجها الى الإعمار ومضاعفة الأعشار.

٧ - لكن غراسيا ويوسف هما الآن في السجن او الاعتقال في البندقية، وليسا حرين

واقفين على الحدود ليدخلا اذا سمح السلطان لهما بالدخول.

٨ - وهنا في جمبة موسى هامون «تعليمات» الحكماء: فما زال هذا الموسى يفتل من

سليمان في الذروة والفارب حتى حمله على أن يرسل سفيراً من قبله الى البندقية فيطلب

اطلاق سراح «المعتقلين» ورد املكهما اليهما.

٩ - امام البندقية طريقان لا ثالث لهما: إما التلبية والاستجابة، وإما التعرض للحرب

بعد قليل مع السلطان.

\* \* \*

معلوماتنا هذه كلها من مصادر يهودية مما يتعلق بالوقائع، ولا مصادر غيرها حتى الآن. فعلياً ان نلاحظ ونعتبر. وأهم ما نلاحظه انه انقضت سنتان اثنتان قبل أن تتجج المفاوضات. فتمطت وكان لتمطيتها سبب، ولا ندره وبعد سنتين جاءت غراسيا وحدها الى السلطان، وكيف تم ذلك؟ لا ندرى. وبعد سنة أتى يوسف، سنة ١٥٥٣، وكان قد انقضى على سليمان ٢٣ سنة خاقان الخواقين، وسيد المشرقين والمغربين؛ ويتضح من الحوادث ان غراسيا ويوسف كانا باقيين في الظاهر على النصرانية ما دام في البندقية. فلما استقرًا في حوى السلطان، ارتدا الى اليهودية وكان يوسف متخذاً اسماً آخر، فعاد الآن الى اسمه الحقيقى يوسف هاناسى (الهاء ال التعريف) وتغلى عن اسمه المسيحى، وتزوج الفتاة الفاتحة الحسناء «رينا» التى كان أمرها بيد غراسيا. ومن هى هذه الخلافة رينا؟ لا ندرى. ولما جاء يوسف من البندقية كان يحمل فى جيبه وصاة، ممن؟ لا ندرى! أمن البندقية؟ ليس هذا معقولاً. فقرّ به السلطان ووثق به. ثم نلاحظ ان الستار اخذ يسدل شيئاً فشيئاً على غراسيا. والقارىء اعقل من أن يظن ان غراسيا فى هذا التوارى، والاحتجاب، قد ضعفت سلطتها. كلا. «الحكمة» تقضى عليها بذلك، لكى تستطيع تمثيل الادوار كلها من وراء الستار.

\* \* \*

هنا درس وعبرة:

لا بد أن القارىء قد لاحظ موسى هامون وهو يحسنّ للسلطان أمر يوسف وغراسيا، وهما سجينان فى البندقية، من جهة المنافع التى تحصل عليها الدولة العثمانية من وجودهما فى حوى السلطان، إذا أذنَ لهما بالمجئ والاقامة فى دولة بنى عثمان، بعد ان طوّفا فى أوروبا، وعرفا ما عرفا من دخائل امورها، فى جيوشها وقصورها ومحاصيلها، واساطيلها وما بين الملوك من سرّاء وضراء ومطامع ومطامح، وظلّ السلطان هو المرهوب!

\* \* \*

لما قام هرتزل سنة ١٨٩٧ بمخططة الجديد بعد المؤتمر الصهيونى العالمى الاول، يطلب ان يعطى فلسطين ليكون لبني قومه فيها دولة، بعد شتات ١٩ قرناً، أخذ هرتزل يتقرب من ثلاث دول، الواحدة بعد الاخرى:

فأولاً، تقرب من عبد الحميد، وعرض عليه المغريات كلها، والتى هى من المفروض ان تجعل عبد الحميد يرقص بها طرباً:

١ - انشاء جامعة علمية فى القدس تغنى الشباب التركى عن الذهاب الى أوروبا للتحصيل العالى، فيكون التحصيل هنا فى جامعة القدس «عثمانيا» لحمته وسداه الولاء للسلطان. وبهذا تجف مادة «الأحرار» الشاربيين والذين يشربون من مياه «مدحت» وتخفق شعارات «الحرية».

- ٢ - الصهيونية تجعل سياستها الخارجية تسير على المخطط الذى يرتضيه السلطان بوجه عام.
  - ٣ - تساعد الصهيونية الخزانة العثمانية فى بناء اسطول وتجديد اسطول وتموية السلاح الحربى.
  - ٤ - تكون الصهيونية فى فلسطين درعاً للسلطان، اذا ناواه يوماً العرب وطلبوا منه ما فيه ازعاج له.
  - ٥ - تقوم الصهيونية بمساعدة السلطان فى قضاياها الدولية، مع الدول الكبار.
- هذا ما تناقلته المصادر من ضروب مغريات هرتزل المعروضة على عبد الحميد قبل اليوم (يوم تأليف هذا الكتاب) بسبعين سنة.

\* \* \*

- فلما فشل هرتزل فى هذا انقلب الى بريطانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:
- ١ - تكون «الصهيونية» شرقى ترعة السويس، فى فلسطين، قاعدة لحماية الترعة فى أى وقت.
  - ٢ - نشر التجارة البريطانية فى الشرق.
  - ٣ - والثقافة الانكليزية أيضاً.
- فلما فشل هرتزل فى هذا انقلب الى المانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:
- ١ - مصالح المانيا والمصالح الصهيونية يمكن أن تكون فى اتجاه واحد.
  - ٢ - اذا كانت المانيا بحاجة الى قاعدة مقابل ترعة السويس، ففلسطين بيد الصهيونية هى هذه القاعدة.
  - ٣ - نشر التجارة الالمانية على أوسع نطاق ممكن.
  - ٤ - اما الثقافة الالمانية، افليس ان الالمانية وقد كانت اللغة المعتمدة فى المؤتمرات الصهيونية، هى الدليل على ان الصهيونية تنشر هذا فى العالم الشرقى نشراً تقصر عنه ثقافات أخرى؟
  - ٥ - وهذه المساعدة من المانيا للصهيونية تجعل المانيا نائلة قصب السبق فى الانسانية الراقية.
- ولما جاء نابليون مصر قبل اليوم بنحو ١٦٩ سنة، وخال اليهود انه قاطع على الانكليز طريق الهند، ولاح لهم ان الرجل سيقبل تاريخ الشرق، عرضوا عليه، اذا اعطاهم فلسطين، فهم يقدمون:
- ١ - أى تمويض مالى يريده نابليون.
  - ٢ - اليهود يحصرون التجارة التى بينهم وبين الهند، بينهم وبين التجار الفرنسيين فقط.

فلم يتم وقتها شيء من تحقيق احلام نابليون ولا احلام اليهود.  
فانظر كيف يدورون مع كل دولة المدار الذي يماشى مصالحها ولو كان ذلك على النقيض  
مما عرضوه على الأخرى في الوقت نفسه.

\* \* \*

نعود الى غراسيا ويوسف.

وما كاد يوسف يحط رحاله على ضفاف البوسفور، «اسلامبول» حتى اعلن ارتداده الى  
اليهودية، وهنا «اليهودية» انفع لسليمان من «المسيحية»، ولا حاجة بيوسف الى ان «يسلم». لكن  
هرتزل لما كان يفاوض عبد الحميد، قال له مما قال: «ان اليهود حلفاء طبييعيون للمسلمين ضد  
النصارى». ويقال ان هرتزل جعل هذه «العاطفة» تقدم الى السلطان في آخر سلاسل الحوار.

بين قصة يوسف منده مع سليمان، وقصة هرتزل مع عبد الحميد ١٨٤٤ سنة.

\* \* \*

وما نوجزه الآن بعضه من المصادر اليهودية وبعضه الآخر من دائرة المعارف البريطانية:

لما وقع النزاع على العرش العثماني بين ابني سليمان، سليم وبايزيد، وسليم في ولاية  
كوتاهية، وبايزيد اصغر من اخيه والمع، تبنى يوسف منده قضية السلطان من البداية، ونجح  
في ان اكتسب عطف السلطان وثقته في دفقات غزيرة، لا رشفات. وجنح الى سليم. ولما  
وقعت المعركة العنيفة الحاسمة في قونيه، هزم بايزيد وفرّ الى بلاد المعجم (ايران) وهناك  
اغتيل مع ابنائه الاربعة، فكافأ سليم، مستشاره الحكيم يوسف بأن جعله في الحرس السلطاني،  
هذا ماتموله المصادر اليهودية، في اخطر «لعبة» يهودية في بلاد سليمان القانوني، والقاريه  
مهما يكن يقظاً قد تخدعه الروايات اليهودية، وهذا الذي ذكرناه من امر مكافأة يوسف وارد  
في دائرة المعارف اليهودية وكتب يهودية اخرى. وقد يحسب القاريه ان هذه المكافأة ليس  
وراءها شيء، فعادة الملوك والسلاطين والامراء ان يمنحوا الجوائز والمكافآت، وقد علا يوسف  
منده في اخلاصه وولائه لسليمان وسليم، افلا يكافأ بلى، ولماذا لا، لكن علينا ان نتظر ما في  
الغيب، فقد يكون هناك ما هو ادهش مالا يزال تحت الغطاء، لان الحوادث المخططة انما العبرة  
بنتائجها، والنتائج، لا تقع إلا باوقاتها، ولا عبرة إن طال الوقت بين مرحلة واخرى، او حلقه  
واخرى من حلقات السلسلة. وكم من مكاييد يهودية في القصور دقت ولم تزل حيث هي لم  
يفتح تابوتها بعد، ولم يعلم الناس عنها شيئاً، فعلينا الآن ان نسال: اممكن ان نعلم شيئاً من  
صحة قول نابليون الذي قاله بعد هذا التاريخ باكثر من قرنين من الزمن: «فتش عن المرأة»،  
ولو كانت البروتوكولات ظهرت في حياته لقال «فتش عن المرأة اليهودية» أو اقرا البروتوكولات  
اذ نابليون نفسه انقلب عليه اليهود بالتالي وكانوا اكبر عامل خفي في هزيمته النهائية في

معركة «واترلو» في بلجيكا سنة ١٨١٥، وفي البروتوكولات تبجح يهودى بأن مهندسى الثورة هم يهود، والثورة الفرنسية كانت عواملها الخفية بيد الجمعيات اليهودية السرية، وكان مركز هذه الجمعيات في ألمانيا.

\* \* \*

توفى سليمان القانونى فى ٥ سبتمبر (ايلول) ١٥٦٦ فكانت مدته ٤٦ سنة، وهذه من المدد الطوال لبعض سلاطين بنى عثمان. ويكون يوسف منده قد عاش لا أقل من ١٢ سنة الى جانب سليمان القانونى، وما هذه المدة بالقليلة حقاً!

قلنا انه بعد ان ظفر سليم باخيه بايزيد فى كوتاهية، قام سليمان وسليم بان جعلنا يوسف فى الحرس السلطانى، وهذه هى الرواية اليهودية، لكن المكافأة كانت اعظم من هذا واضخم: كانت كاشفة عن مآرب يوسف منده فى فلسطين وتكمل الرواية اليهودية خبر المكافأة فتقول بعد ذلك مباشرة ان السلطان سليمان اعطى يوسف طبريا مع سبع قرى مجاورة، وملكه كل هذا الاقليم ليستغله يوسف ويستثمره ويستثمره لمصلحة اليهود. ثم تقف الرواية اليهودية عند هذا الحد، وتنتقل فوراً لتخبرنا ماذا صنع يوسف فى طبريا، فى مشروعه لنقل اليهود المطرودين من اسبانيا الى فلسطين عن طريق ايطاليا، واين افلح واين فشل، واسباب ذلك، ثم تظل الرواية اليهودية ماضية باخبارها عنه حتى نهاية حياته، مسدلة الستار عما تريد ستره او تخفيته.

أما استيفاء بقية اخبار يوسف من الرواية اليهودية فضرورى، لكننا قبل ذلك نوجز من المصادر غير اليهودية ما نستطيع العثور عليه ومعظمه من حوادث سليمان وابنه سليم.

ذكرت دائرة المعارف البريطانية ان السلطان سليمان لانه كان وحيداً كان فى عافية من فتن التنافس على العرش، وبدأ عهده باطلاق سراح الاسرى، واعادة الاموال المصادرة الى اربابها التجار الذين كانوا يتاجرون مع ايران ايام ابيه. لكن سليمان لطخ سيرته بقتله ولديه. اما ما يتعلق بمقتل الاكبر، مصطفى، فالسبب استقواء نفوذ السلطانة «خرم» زوجة سليمان المشهورة وهى المعروفة فى التاريخ الاوروبى باسم «روكسلانة»، حتى لاتدفع لولديها منافساً، وفى عهد روكسلانة بدأ ان يكون للنساء تدخل ونفوذ فى شؤون الدولة. ويقال انه كان لروكسلانة يد فى مقتل الصدر ابراهيم باشا حتى ينتقل النفوذ الى صهرها رستم باشا.

وذكرت «موسوعة تاريخ العالم» ان السنوات الاخيرة من حياة سليمان كانت مرّة بسبب المشاحنات العائلية ونصب المكاييد، فقامت زوجته روكسلانة<sup>(١)</sup> وصهرها الصدر الاعظم

(١) دائرة المعارف البريطانية تقول ان روكسلانة من سبى روسى، ويحتمل ان تكون ابنة قسيس، وتقول الموسوعة لعلها من سبى روسى ايضاً. لكن الصحيح انها ابنة قسيس روسى ام انها من اصل يهودى؟ وهى تشبه استير فى بلاد احشويروش الفارسية فى تمثيل ادوارها فى البلاط العثمانى، ويوسف ناسى هو مردخاى، لكن هنا لا هامان المرعى العمالتقى، الذى دير مجر اليهود فلقى الفشل.

(رئيس الوزراء) رستم باشا، بتسميم افكاره من جهة ولده مصطفى فقتله سنة ١٥٥٣ ثم شجر الخلاف بين ابني روكسلانة، سليم وبايزيد، فقام بايزيد بالسلاح سنة ١٥٥٩ وطلب الامر لنفسه، لكنه هزم في قونية وفر إلى ايران فاغتيل هناك كما سبق ذكر هذا في الصفحات القريبة، والذي قام بالاغتيال اعطاه سليمان جائزة مالية، ثم اخذت الازمات تستشرى في السلطنة، وهي أعظم امبراطورية في اوروپا، وبلغت الذروة فلاحاً وتقدماً، فلما مات سليمان كانت مملكته قد اصبحت معرضة للهجوم عليها من الدول الاوروبية واستلابها املكها، وما حال دون هذا إلا انغماس تلك الدول في النزاع السلالي والخلاف الدينى المسيحى.

هذا ما تقوله «موسوعة تاريخ العالم». ثم تمضى فنقول ايضا:

«اما السلطان سليم الثانى (١٥٦٦ - ١٥٧٤) فكان ذكياً ألعيا لكنه مفرط فى تماطى الخمرة. وانتاشه نفوذان يتجاذبان: الاول الصدر الاعظم محمد صوقوللى (١٥٦٠ - ١٥٧٩) واتجاهه استمرار توطيد السلم مع البندقية، واستمرار الحرب مع اسبانيا (وكان انعقد صلح بين سليم ومكسيميليان سنة ١٥٦٨) والجاذب الآخر هو يوسف ناسى (وصار يقال له فى الموسوعة «الدوق» ويظهر ان لقب ناسى لعبيرته اندمج بالاسم يوسف اندماجاً لا يتبين معه ان «ناسى» لقب لا اسم علم) زعيم اليهود المطرودين من اسبانيا وايطاليا والمقيمين اليوم فى الآستانة وسلانيك وأدرنة وغيرها من المدن العثمانية ويمدون بعشرات الألوف<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وتمضى الموسوعة فتقول: «اما دوق نكسوس (نكسوس اسم احدى الجزر) فقد جاء الآستانة سنة ١٥٥٣ ومولّ سليماً فى حروبه مع اخيه بايزيد، ومقابل هذا، فان سليماً اغرى سليمان اباه بأن يهبه الاقليم المحيط ببحيرة طبريا، حيث كان يوسف يدير هناك مشروعاً لاسكان اليهود المطرودين من ايطاليا فى تلك النواحي، وفى سنة ١٥٦٦ منحه سليم لقب حاكم نكسوس والجزائر الاخرى فى بحر ايجيه، وكان ناسى يحمل عداوة شديدة لفرنسا والبندقية لاسباب شخصية. (لا نعتقد ان الاسباب شخصية بل تتعلق بمصالح اليهود) «فالموسوعة التاريخية» تصرح بأن يوسف قد مولّ سليماً، فهذا سكنت عنه المصادر اليهودية.

وسنة ١٥٧٠ حرّض يوسف، او دوق نكسوس، السلطان على ان يحارب البندقية اثر رفضها ان يتخلى عن قبرص، وقبرص كان ناسى يريدتها لنفسه، فبعد ان تهزم البندقية وتتخذ منها قبرص، يضع يده هو على الجزيرة، ويتخذها ملاذاً وملجأ لآخوانه المطرودين من اسبانيا، واجّجت نار الحرب، فعلا، وحالفت اسبانيا البندقية فى غزواتها البحرية ولكن التحالف لم يكن

(١) راجع «رحلة بنيامين» لعزرا الحداد: مادة سلانيك، والقسطنطينية، حيث تجد تفصيلاً لوجود اليهود الواسع فى هذه الاماكن بعد الطرد من اسبانيا.



محصف العقدة، فكانت حركته جد بطيئة، وما وصلت الأساطيل الى قبرص الا متأخرة، وفي السنة التالية ١٥٧٨ نجح البابا بيوس الخامس من شن حرب صليبية على الاتراك بقيادة دون جوان النمسا، ولم يستطع الاتراك أخذ «فماغوستا» الا بعد حصار استمر ١١ شهراً وهجوم عنيف تكرر ست مرات، وبعد نحو شهرين، احتشد الاساطيل المتحدة، مقابل اساطيل الاتراك بقيادة عالي باشا، فدارت الدائرة على الاتراك وكانت هذه الموقعة البحرية اشد موقعة بعد موقعة «اكتيوم» (قبل الآن بنحو ١٦ قرناً) فترنحت أوروبا طرباً لكنه كان طرباً عابراً، اذ سرعان ما عاد التنافس بين الاسيان والبنادقة اشد منه سابقاً، غير ان الاتراك استطاعوا بسرعة فائقة ان يبنوا اسطولاً جديداً، وبقيت قبرص بيد الترك حتى ١٨٧٨ اى نحو ٢٠٠ سنة حتى قدمها عبدالحميد شبه هدية الى بريطانيا فى يونيو من تلك السنة. ألا ترى يوسف ناسى يروح ويفدو وراء كل هذا لكى يصل إلى قبرص، ثم فلسطين؟

بعد هذه المدة بقليل اختفى يوسف ناسى فى الظاهر، لكن بقيت شباكه تلقى واصابعه تلعب، وتوفى السلطان سليم سنة ١٥٧٤ ثم جاء السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) فانعقد الصلح بين تركيا واسبانيا، وفى ايام السلطان مراد دخلت المملكة فى دور التقص والجزر. وصار السلاطين وراء مشتهياتهم، وفسدت الاحكام، والامر بيد وزراء ينهش بعضهم بعضاً، ثم ظهر دور الطفمات المتحكمة ولاسيما من اليهود واليونان، واستقرت الانكشارية، والنساء بطانة كل مكيدة، وكان صوقلى حصيماً مصلحاً، ووقف فى وجه يوسف ناسى، غير ان السلطان مراداً اعرض عن نصائح صوقلى، فدبّت الفوضى، وبعد قليل اغتيل صوقلى، واتهم السلطان بمقتله، لكن اصابع طفمة ويوسف ناسى بارزة مرئية، وآخر ما نذكره من اعمال اليهود قبل العودة الى تكملة سيرة يوسف ناسى، هو هذا: بينما الفوضى عامة والفساد ضارب اطنابه، والناس فى مخاوف، ظهر بطريقة مريبة نقد سُمى «بالنقد اليهودى» أو «العملة اليهودية» فاشتبه الناس بذلك فرفضوا التعامل بذلك النقد، وكان الانكشارية اول من رفض ذلك، وكانت بعد ذلك فتن صماء، واستمرت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٥٩٢ وكان يوسف ناسى وراء اخبولة ذلك النقد. ولنعد الى مساق الكلام على هذا الرجل «الحكيم» من «حكماء صهيون».

\* \* \*

وقفنا فى الاخذ من المصادر اليهودية عند منحه طبريا وجوارها من السلطان ونعلم بعد ذلك من هذه المصادر ان يوسف اوفد الى طبريا رجلاً اسمه يوسف اضرات يثق به ويعتمد عليه، مزوداً بفرمان سلطانى، ومحملاً المقادير الكبيرة من المال، ومعظم هذا المال من ثروة غراسيا - (غراسيا) من قبل عدة مراحل، ما عدنا سمعنا بها الا الآن فاين كانت؟ كانت وراء

الستار) - ومهمة ابن اضرات أن يحدد سور المدينة، طبرية<sup>(١)</sup> ولما شرع فى ذلك، انبرى لمقاومته - وهنا نقل الكلام حرفياً: «العمال العرب الذين حركهم الحسد من ناحية، والتحريض من احد المشايخ الكبار من ناحية اخرى، لكن ابن اضرات تمكن بالتالى من اتمام العمل بمساعدة والى دمشق. وفى اثناء الحفر عثر على سلالم درج من حجر، يؤدى إلى كنيسة بناؤها من عقود، وفى الكنيسة مقادير كبيرة من تماثيل رخام وثلاثة اجراس يرجع تاريخها الى الملوك الصليبيين فى القدس، فسبكت هذه الأجراس مدافع. ولكى يرقى يوسف الصناعات فى فلسطين فقد قام بادخال زراعة التوت لجنى الحرير واستجلب النسيج والقماش من البندقية. واصدر منشوراً الى اليهود يخبرهم ان كل مضطهد منهم بيده صنعة او له ميل لتعطأنى الزراعة، بوسعه الآن ان ينتقل الى فلسطين ويقيم فيها. فانتقل اليهود الذين كانوا قد لاقوا العذاب فى عهد البابا بولس الرابع (١٥٥٥ - ٥٩) فى البندقية وجاءوا طبرية فى سفن يملكها يوسف ناسى.

ثم تمضى هذه المصادر بوصف التدابير المتعلقة بنقل المطرودين الى طبريا حتى تقول ان البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ - ١٥٧٢) اصدر مرسوماً هو المرسوم المشهور (١٥٦٩/٢/٢٦) يقضى بطرد اليهود من الممالك البابوية، وحتى تقول ايضاً ان السفينة كانت تقل اكثر من مطرود اصطادها قراصنة مالطة وباعوا من فيها من اليهود بيع الرقيق.

\* \* \*

ولما تسلم سليم العرش ١٥٦٦ بعد وفاة ابيه، وكان سليم يحب اللهو، ولتلاحظ هذا، وصل نفوذ يوسف ناسى الذروة، ولما عاد سليم من بلفراد، منح يوسف الولاية على جزيرة تكسوس مع عدة جزر اخرى فى بحر ايجيه، فتولى يوسف الحكم على هذه المجموعة بواسطة وكيل له مسيحي اسباني اسمه فرنسيسكو كورونواو، وانما اختار وكيله مسيحياً لكى يخول هذا المسيحي دون وقوع النزاع بين يوسف واهل الجزر<sup>(٢)</sup> اليونان. وراح يتحجب إلى السكان اليونان بتخفيف الضرائب عنهم، فما رتب عليهم للخزانة السلطانية اكثر من ١٤ الف دوكة سنوياً

(١) طبرية يقدسها اليهود لا لعلة دينية فى الاصل، بل لانها أصبحت بعد خراب القدس والهيكل مقر السنهدرين من القرن الثانى إلى الرابع وقرب الخامس بعد الميلاد. وطبرية احدى المدن الاربع فى فلسطين يقدسها اليهود وهى القدس والخليل وطبرية وصفد، باني طبرية الملك هيروودس انتيبيا سليل هيروودس الادومى النصف عربى سنة ١٦ ميلادية تكريماً لليقصر طيباريوس وفى «حطين» قرب طبرية، انتصر صلاح الدين على الصليبيين انتصاره الكبير المدهش.

(٢) قلنا: هذا كلام للتغطية، والامر ظاهر، فان كراهة اهل الجزر ليوسف، وليس من الغرابة هذه الكراهة، اخافته مع ما هو عليه من اللياذ بكف السلطان، فحرصاً منه على حياته ومصالحه ومصالح قومه اليهود، جعل الحكم عن طريق وكيله المسيحي. اذ متى كان اليهودى ويهودى مثل يوسف ناسى يؤثر مسيحياً على يهودى؟

(الدوكة عملة كانت شائعة في معظم اوريا فاذا كانت من ذهب ساوت نصف جنيه وان كانت من فضة ساوت ثلث الذهب تقريباً) ومنحه السلطان ما يجبي من رسوم الخمر المستوردة من البحر الاسود.

وتقول الرواية اليهودية، انه مع الحسد والمكايد من الصدر الاعظم محمد صوقللي، فقد كان نفوذ يوسف عند السلطان سليم من الضخامة بحيث كانت اليه المراجعات من ممثلي الدول الاوربية، فيرون احياناً ان يوسطوه في قضاء مصالحهم لدى السلطان. ولما رغب مكسيميليان امبراطور المانيا في عقد الصلح مع السلطان (١٥٦٧) لم يفض عن اصدار الامر الى سفيره بأن يقدم هدايا إلى يوسف كما يقدم إلى غيره من اركان الدولة. لكن السفير لم يفعل هذا بل اقترض من يوسف مالا وفي سنة ١٥٧١ أرسل إليه الامبراطور كتاب شكر بخط يده.

\* \* \*

وفي سنة ١٥٦٦ شجع يوسف مجلس البروتستنت في انفرس ليقاوموا الملك الكاثوليكي في اسبانيا، وظهر لهم عداوة السلطان سليم له. فأرسل وليم اورانج (١٥٦٩) رسولاً سرياً الى يوسف يعلمه ان قيام اهل البلاد الواطئة بالثورة على ملك اسبانيا ينبغى ان يقرب بحرب من السلطان يشنها على اسبانيا، حتى تضطر اسبانيا الى سحب جيوشها من البلاد، وجرت بين يوسف و«سجسموند اوغست» الثاني ملك بولونيا مراسلات ودية حارة، واقترض الملك منه مبالغ كبيرة سنة ١٥٧٠ فكافاه على ذلك بمنحه امتيازات تجارية واسعة، رغم أن مجلس مدينة لمبرغ احتج على منح تلك الامتيازات.

\* \* \*

وفي أول ايلول ١٥٦٩ شبت حرائق شديدة في البندقية، فآلح يوسف على السلطان باحتلال قبرص وفتحها. ودخل سليم في حرب مع البنادقة وسلبهم قبرص سنة ١٥٧١. وهناك رواية ان سليم وهو يوماً غارق في سكره وملذاته، وعد يوسف بلقب ملك قبرص، فعلق يوسف شعار السلاح الملكي في بيته ونقش اسمه فيه. ومهما يكن من أمر فان سليماً لم ينفذ وعده.

\* \* \*

وفي سنة ١٥٦٩ ايضاً منح السلطان يوسف حق مصادرة جميع السفن الفرنسية الماخرة في المياه العثمانية، وحق ارتهانها، حتى يستوفى (يوسف) ما له من دين على فرنسا وهو ١٥٠ الف سكودي (السكودي عملة ايطالية قديمة تساوي نحو اربعة شلنات) وكانت فرنسا تماطل في الوفاء، فضبط يوسف السفن في الاسكندرية وباع وسقها بسداد دينه، هذا رغم احتجاج السفير الفرنسي الى السلطان، وحاولت فرنسا الانتقام استرداداً لشرفها فَرَشَتْ رجلاً يهودياً حقيراً اسمه داود لكي يتهم يوسف بالخيانة العظمى، ولما اطلع ناسي على هذه المكيدة أقنع

السلطان بصحة ولائه له، فنفى داود ومن يناصره الى رودس وطلب يوسف من الحاخامين أن يرموا داود ورفقته بالحرم الدينى فحرموه.

\* \* \*

ولما توفى السلطان سليم (١٢ كانون الاول ١٥١٤) فقد يوسف نفوذه السياسى مع انه قد استبقى فى ديوانه وهو باق على مرتباته، وقضى بقية حياته فى عزلة فى قصره فى بلفردى، ومات بلا عقب، فاستولى السلطان مراد على تركته باغراء محمد صوقالى. ورثاه الشاعر سعديا «اليهودى التلمودى» وألف أحدهم كتاباً فى ذكره.

وكان يوسف ناسى سنداً وعضداً لعلماء التلمود الذين فى الاستانة وهم تابعون لمعهد اسمه «يوسف بن لب» نزولاً عند رغبة غراسيا. وكان ليوسف مكتبة فى بيته، وأباح للجمهور الاستفادة من كتبها المخطوطة، وأسس مطبعة يهودية فى الاستانة فعاشت زمناً قصيراً. ويقال انه نتيجة لما كان يقع فى قصره من المناقشات والمحاورات، فقد حماه ذلك على أن يضع كتاباً منظوياً على علم الكلام اليهودى أثبت فيه ان التوراة أصح من الفلسفة اليونانية. وكأنه أراد بهذا السير فى ظلال فلسفة فيلو اليهودى الفيلسوف الذى كان فى الاسكندرية وكانت له آراء فى أن اليهود الموزعين فى شرقى البحر المتوسط (المملكة الرومانية) اوطانهم انما هى البلدان التى يقيمون فيها ويعتاشون، وأما بيت المقدس فهو مركزهم الروحى لا أكثر. أما يوسف منده وحكماء صهيون فيريدون تطبيق مخطط يهودى عالمى مركزه فلسطين، وانما أراد ابن منده بتزييف هذا الكتاب الاعلاء من شأن التوراة

\* \* \*

ولا نحسب ان القارىء يحتاج الى مزيد اكثر مما تقدم ليستخرج من سيرة يوسف منده هذه نموذجاً واسعاً من العقل الاحتياالى اليهودى الجبار، وفى كل جزء من هذه التفاصيل الغزيرة، موضع عبرة ودرس. هذه قوافل «حكماء صهيون» لا عنصر المكيدة، والأناية، واحداً من عهد استير الى عهد غراسيا وما بعد زهو اللعب بالسلطين، وشهوات النفوس فن احتكره اليهود. وفى النهاية بوسعنا ان نضع يوسف منده فى هذا الاطار:

١ - هو صورة من روح التلمود، وتعاليمه الخفية.

٢ - يرينا انه يعمل بدأب وراء غاية ولا يتراجع عنها، ويظل مرصداً لها الحيلة، والعقل، والمال، والجمال والمرأة، حتى يظفر بمراده.

٣ - انظر ا فان رئيس الوزراء محمد صوقالى كان يتعب بسببه.

٤ - «السنهدرين» الذى تكلمنا عنه، لم ينقطع وجوده فى الخفاء، فيوسف منده لا ريب

ينبغي أن يكون هو رأس السنهدين في زمنه. ولقب ناسى لم يعط إلا لرؤساء السنهدين وبعض كبار الاحبار كما قلنا، لا غير.

٥ - انظر كيف كان يتلاعب بالسلطان ومشتهياته، وقد موّل السلطان في حربه مع اخيه. ومن اغتال بايزيد في إيران؟

٦ - «حكماء صهيون» اليوم هم في العالم السنهدين المتسلط على الاجهزة الخفية نعلمهم من أعمالهم ومخططهم.

٧ - قوة «اسرائيل» في الجزء المحتل في فلسطين مستمدة من نبعين: الأول الكيان الدولى الباطل الظاهر، مستوية فيه مع سائر الدول مثيلاتها في الحجم والوزن. والثانى الاجهزة اليهودية العالمية الخفية وهذا هو السر الأول والاكبر. وفي الأمة العربية كامن القوة في آسيا وافريقيا، ما هو كليل بأن يجعل العالم يشهد على ايدى العرب تعطيل الآلة اليهودية، المجرمة المخربة، ظاهرها وخفيّتها، في المستقبل المطل على العرب بآيات جديدة. يتحرك التاريخ، ولا يحركه في الشرق إلا العرب.

## ١٤ - موسى مونتفيورى

١٧٨٤ - ١٨٨٤

فى سطور قليلة اولاً:

\* بين سور المدينة، بيت القدس، ومحطة سكة الحديد للجنوب من المدينة تسير الطريق العامة الى بلدة خليل الرحمن.

\* هنا عند السور ساحة من ساحات المدينة تسمى «باب الخليل».

\* فى الطريق الى محطة سكة الحديد، وتبتدىء من ساحة باب الخليل، بناية قديمة مستطيلة ساذجة لا يواء فقراء اليهود. هذه البناية انشأها موسى مونتفيورى فى الربيع الاخير من القرن قبل الماضى.

\* عاش هذا الرجل من «حكماء صهيون» مئة سنة.

\* كان غنياً كبيراً، وبعد الاربعين من عمره، انتقطع عن جمع المال وعكف على احياء اليهودية فى فلسطين.

\* لاحت له الفرصة ان يحقق مشروعه، لما كان ابراهيم بن محمد على فى الشام مدة نحو ٩ سنوات آخرها ١٨٤٠ وقصته تشبه قصة يوسف منده.

\* كان مشروع مونتفيورى ان يستأجر من محمد على ١٠٠ - ٢٠٠ قرية فى شمالى فلسطين، صنف وطبرية وما اليهما، لمدة ٩٠ سنة على أن يدفع الاعشار المقررة كل سنة سلفاً دفعة واحدة وبزيادة ١٠ - ٢٠ بالمئة على معدل تخمين الاعشار وقتئذ. فوافق محمد على. وما منع تنفيذ المشروع سوى: حادث اليهود فى الشام من خطف الاب توما الكبوشى وخطف خادمه واستزاف دمهما وهو حادث هز العالم، وانسحاب ابراهيم من الشام.

\* لمونتفيورى قصة مع «دوق كنت» والد الملكة فكتوريا تتعلق بوراثة العرش البريطانى وهى قصة مكر يهودى عظيم.

\* لما حكم على اليهود الجناة فى قضية الاب توما، وهم نحو (١٠) والحكم بالاعدام، استغل مونتفيورى الصلة التى له مع القصر، وحصل سنة ١٨٤٠ على رسالة شفاعة من الملكة فكتوريا الى محمد على. هذه الرسالة مع المال، اطلقا سراح الجناة. وهذه التوصية من فكتوريا مكافأة له على ما سبق له صنمه مع والدها على ما نرى الآن.

\* سيرة مونتفيورى سيرة احد «حكماء صهيون».

ولد مونتفيورى فى ايطاليا سنة ١٧٨٤ وعاش مئة سنة ومات فى لندن سنة ١٨٨٤. ويؤخذ من سيرته ان عمه كفله ورياه، كما كفل مردخاى استير والقصة بين ما صنع مردخاى واستير، وما صنع مونتفيورى متشابهة، لكن هنا لا يدخل مخطط محو اليهود على يد هامان العماليقى العربى، بل اليهود أراد مونتفيورى ان يجمعهم فى فلسطين.

لما شب عن الطوق، نقله عمه الى لندن، ووضع فى اعمال مصرفية على غرار ما صنع يوسف منده وعمته الفاتة غراسيا، او استير المسترة فى بلاط سليمان القانونى، وابنه سليم. وضعه عمه فى اعمال مصرفية، وهذه الاعمال من ادق الاساليب عند «حكماء صهيون» للتخريج والتدريب، وانما جعل عليه رقابته الدقيقة، ويمده بالارشاد والملاحظات. وتولى مناصب مالية دقيقة فى خزانة البلاط البريطانى، وكانت مهنة الصيرفة العالمية الطراز فى لندن محصورة فى عدد قليل قد لا يزيد عددهم على اثنى عشر صرّافاً كبيراً، وهذه المهنة تحتاج الى رخصة عالية، فحصل مونتفيورى على هذا كله. وهذه الرخصة تمهد الطريق للاتصال بالقصر.

ولما بلغ موسى مونتفيورى حدود الاربعمين، اى حوالى ١٨٢٤ كان قد استطاع ان يجمع ثروة طائلة. وهنا، فانه بدلاً من اطراده فى العمل المصرفى، استزادةً للمال، كما هو المألوف المتوقع فى الطبع اليهودى، انقطع عن ذلك وفطم جشعه فى الظاهر، وختم على اكياسه، لكن لا عن تحوّل فى الغريزة، بل استجابة لواجب اليهودية.

وقصته تبتدىء وتنتهى رائعة. جبروتها فى قوتها الخفية. فكان مونتفيورى صياد ملوك كيوسف منده وامثاله، ممن تقدم نماذج من تراجمهم الموجزة فى هذا الكتاب. ونقطة البيكار اصطياد الملوك، وهم او عروشهم فى المآزق الحرجة. والعقدة فى جمع ما يمكن جمعه من اخبار «حكماء صهيون» فى تراجمهم، انهم، عمداً منهم فى القديم والحديث من الزمن، يخفون مخططهم، فتخفى على العالم الخارجى اخبارهم، ولا يذيعون منها الا ما يريدون هم، وعلى الصورة التى يؤثرون، فتدخل الزيادة ويدخل التشويه، والاختلاق، والتخفية. هذا يوسف منده، المثل الذى مررنا به، وهذا مونتفيورى وسيأتى دزرائيلى وامثالهما العشرات، بل كل «حكماء صهيون». غير ان المقدر الذى يحصل عليه العالم الخارجى من اخبار «الحكماء»، فى أى بلد كان، كاف للدلالة على القضايا المبحوث فيها. والامور الباطنية المستورة عند اليهود لا استقصاء لها ولا نهاية، على كل حال، والوصول اليها من الالف الى الياء، مستحيل فى نظرنا.

\* \* \*

وهذا مصدر يهودى فيه قبصة من المعلومات تتعلق بمونتفيورى، فنقرأ، ونزن، ونأمل. ومن هو هذا المصدر، الى جانب ما عندنا من اخبار مونتفيورى، واسم مونتفيورى فى القدس

معروف؟ هو كتاب «يقظة العالم اليهودي» ليهودي من مصر اسمه «ايلي ليفى ابو عسل» وايلي هو «ايليا» وليفى هو «لاوى» وابو عسل برهن علي انه زقوم وغسلين. كما سترى الآن هذا الكتاب ظهر فى مصر سنة ١٩٢٤ فى طبعته الاولى (وطبع بمطبعة «النظام» واطلع عليه كثير من العرب) ومما قال مؤلفه فى المقدمة: «وانى أشعر بشيء فيه كثير من الغبطة لبلوغى هذه الامنية، أى لكشفى النقاب عن حقائق كانت فى ظلمات التاريخ، فظهرت فى وضوح الضحى سافرة الوجه يراها ويتمناها كل من له إلمام باللغة العربية اية كانت عقيدته».

والكتاب فى نحو ٢١٥ صفحة، مرماء وغايته الاشادة بذكر اليهودية والصهيونية والاشادة بسير الوطن القومى فى فلسطين وايجاز تراجم عدد كبير من الشخصيات اليهودية الصهيونية، والنقطة الكبرى فى الكتاب كله هى نسج هالة لماعة حول الصهيونية وهى تبنى «الوطن القومى اليهودى» فى فلسطين، وممن تناولهم هذا الكتاب موسى مونتفيورى.

١ - تبتدىء القصة بالملك جورج الثالث (١٧٦٠ - ١٨٢٠) فقد انتابته شدائد جعلته ينحلّ فخولط فى عقله، وفى سنة ١٨١١ نحى عن الملك، وجرى «بالبرنس اوف وايلس» وصياً على العرش ومات الملك جورج الثالث سنة ١٨٢٠.

٢ - تولى العرش بعد جورج الثالث، ابنه جورج الرابع سنة ١٨٢٠، وهذا كان قد تزوج من «كارولين اوف برنسويك» سنة ١٧٩٥ زواجاً لم يرض عنه الشعب وبعد زواجه انفصل عن ابيه، ولما ارتقى العرش سنة ١٨٢٠ كانت زوجته تقيم فى القارة، فجاءت لتكون الملكة، فتلقاها الشعب بالنقمة والسخط فطلقها الملك. وبقي جورج الرابع على العرش الى ١٨٢٠.

٣ - بعد جورج الرابع تولى العرش اخوه وليم الرابع (١٧٦٥ - ١٨٣٧) ولما مات ١٨٣٧ جرى بفكتوريا (١٨١٩ - ١٩٠١) وهى ابنة «امير كنت (او دوق كنت) جدها جورج الثالث وكل من جورج الرابع ووليم الرابع عمها. وتولت العرش من (١٨٣٧ - ١٩٠١) اربعاً وستين سنة، وبها انطبع عصر بكامله فى بلاد الانكليز وموسى مونتفيورى انما كانت «حكمته» «ويهوديته» يدوران حول فكتوريا، وأخبار كهذه تكمن فى زوايا القصور لا تجد سبيلها الى التاريخ الا بعد مدة، وبعد التمحيص والفريضة، لترابط الحوادث بأسبابها الطبيعية الصحيحة.

٤ - من المفيد ان نجلو مسألة فكتوريا، وكيف انتهت الى العرش، وهذا الجلاء يلقى ضوءاً ليس بالقليل على استعداد العقل اليهودى العَلقى المتمص، للانسياب الى الزوايا فى القصور، وعرض الولاء والخدمة. وهذا كله بذور، لكى تجنى من ذلك الثمرات فى يوم مقبل.

٥ - فكتوريا اسمها الكامل «الكسندرينا فكتوريا» بنت دوق كنت، ابن الملك جورج الثالث. جورج الثالث هو حفيد جورج الثانى ابن جورج الاول الالمانى الاصل، اذ كان امير هانوفر فى المانيا. والدة فكتوريا، لويزا فكتوريا بنت دوق المانى، واخت ليوبولد الاول ملك البلجيك،



فكتوريا، وقد ولدت في ٢٤ مارس ١٨١٩، مات والدها وهي في الثانية، فقامت والدتها على تربيتهما احسن تربية، واختارت لتربيتهما البارونة لهزن، وهذه المانية من أعقل المربيات في المالم. لما بلغت فكتوريا الحادية عشرة تعلمت عدة لغات من المانية وفرنسية وإيطالية حتى اللاتينية، وأتقنت آداب اللغة الانكليزية. وبرعت في الفنون الجميلة، واعتنت بالدين خاصة. فتكامل لها من حسن الشمائل النسوى ما أهلها للملك، خير تكامل.

٦ - وما نقوله هنا في هذه الفقرة، على غاية الاهمية. ولنتذكره عندما نأتى إلى مونتفيورى وقلبيته. فان والدة فكتوريا ادركت ان العرش سيؤول الى ابنتها: فمما جورج الرابع مات لا عقب.

وخلفه عمها الآخر ولهم الرابع، وهذا كان له بنتان ماتتا في حياته.

فجمعت امها، والبارونة المربية، تذكران على مسمع منها في المناسبات الجميلة، انها ستكون الملكة يوماً ما. ويوماً ما، وقع نظر فكتوريا على «شجرة» الملك، في ورقة وضعت في كتاب كانت تحب المطالمة فيه، فلاحظت من «الشجرة» انها هي المطلة على العرش. فقالت: اننى اقرب مما كنت اظن. ثم قالت: ان الملك شيء عظيم ومجده كبير، لكن اعباءه أكبر وأعظم. ثم قالت للبارونة المربية: «الآن علمت سبب الحاحك على ان أتعلم اللاتينية».

٧ - مات عمها في منتصف الليل (٢٠ يونيو ١٨٢٧) فحضر اليها رئيس الاساقفة، ومركز، وأحد الاطباء، وكانوا قد حضروا موت عمها. ولما اوقظت، وعلمت بالخبر طلبت من الاسقف ان يصلى. وأول آية من آدابها، انها تناولت ورقاً وكتبت رسالة تمزية الى امراة عمها، خاطبتها فيها بلقب «صاحبة الجلالة»، حتى لا تكون هي أول من خاطب امراة عمها بغير هذا اللقب بعد وفاة زوجها الملك. ونودي بها الملكة في اليوم الثانى، واحتفل بالتويج بعد سنة.

٨ - من حسن الفأل يوم تتويجها، بأبهة فائقة، وأن ذلك اليوم كان مطيراً، والقيوم متلبدة، والقوم في الكنيسة، وهي في كرسيها، وبعد قليل سيوضع التاج المرصع بالجواهر على رأسها، واذا بالقيوم تتمشع لحظات ويسطع نور الشمس من النوافذ، ويقع الشعاع على التاج وهو يوضع على رأسها فتألمت الجواهر، فمجب الناس من هذا، وعدوه بشائر خير.

٩ - زوجها هو ابن خالها، ليوبولد ملك البلجيك، والزواج كان سنة ١٨٤٠. ولما كانت حفلة مراسم الزواج تقام في الكنيسة، وتهاى الاسقف ليقرأ من الكتاب المقدس الفصل الذى تؤمر فيه المرأة بطاعة الزوج، سألها هل تبيح له ان يقرأ ذلك الفصل فأجابته برزامة: «اننى اقدرن امراة لا ملكة فلا تتخطى شيئاً من كلام الكتاب، وكانت تعامل زوجها معاملة الزوجة الفاضلة، وعاشت معه ٢١ سنة.

١٠ - وما يرى: ان شيئاً من الاغبرار وقع بينهما - الزوج والزوجة - وهذا قلما يخلو منه

بيت، وبينما هو في مكتبة احبت ازالة الاغبرار، فجاءته وقرعت الباب فسأل: من؟ فأجابت: الملكة. فاستمهلها ومضى يعمل الى منضدته. وانتظرت ثم عادت فقرعت الباب ثانية، فسأل: من؟ فأجابت الملكة وامبراطورة الهند، فاستمهلها ثانية. ثم عادت فقرعت الباب لثالث مرة فسأل: من؟ فأجابت فكتوريا زوجتك! فهبّ لاستقبالها بحفاوة قائلاً: اهلاً بسيدتى وزوجتى العزيزة!

١١ - من كلامها المأثور عنها: «السر في عظمة بريطانيا هو الكتاب المقدس». «التجارة وحدها لا تجعل الامة عظيمة وسعيدة، وانكلترا انما بلغت من العظمة بمعرفة الإله الحقيقي». ١٢ - من عظماء الانكليز الذين كانوا من وزراءها: لورد ملبورن. سير روبرت بيل. جد لورد بيل رئيس لجنة التحقيق الملكية في فلسطين (١٩٢٦ - ٢٧). لورد جون رسل. لورد بالمرستون. لورد بيكنسفيلد - (هو دزرائيلي او «بن اسرائيل» اليهودي المتصّر، الآتية ترجمته بعد هذا) ارل اوف دربي. غلادستون. لورد روزبري لورد سالسبري.

١٣ - جاءها رئيس الوزراء يوماً بمشروع خطير للتوقيع عليه بالموافقة وكانت هي غير مقتنعة به، وراح رئيس الوزراء يحاول اقناعها وان المشروع عظيم الخطورة للأمة، وهي تستمع اليه، فلما فرغ من الكلام قالت له: ان اخطر المسائل لدى واهمها ان اوقع على مشروع لم اقتنع به.

١٤ - وفي عصرها تضخم الممران الامبراطوري الاستعماري، وازدادت مساحة الاملاك نحو ٣ ملايين ميل مربع، والرعايا من ١٦٨ مليون الى ٤٠٠ مليون، وكان دخل الخزانة من بلادها ٥٠ مليوناً ومن الهند ٢٥ مليوناً فصارا من بلادها ١٢٠ مليوناً و٧٠ مليوناً من الهند و٣٠ مليوناً من استراليا و٢٠ مليوناً من باقى المستعمرات ومجموع هذا الدخل (٢٤٠) مليوناً بعد ان كان ٧٥ مليوناً.

١٥ - وعند الانكليز يقولون «عصر فكتوريا» وكان لها صداقات مع كثير من الملوك والرؤساء والسلاطين. وكانت رسائلها تحل من عويص المشكلات ما لا يحله الوزراء والسفراء. ومرة أرسلت رسالة خاصة الى عبد الحميد لما كان هرتزل يراجعه بشأن فلسطين، ولم يعرف فحوى تلك الرسالة.

١٦ - جعلت زواج بنيتها، سبب رابطة تقارب بين البيت المالك في بريطانيا والبيوت المالكة الاخرى في كل من روسيا والمانيا والدانيمرك واليونان ورومانيا. ومدة حكمها، اطول مدة، على كل حال، في التاريخ الانكليزي.

١٧ - لما قضت نجبها سنة ١٩٠١ نشرت صحف العالم ترجمتها ونوّهت بفضائلها، وهذا في العالم العربي خاصة. ورثاها الشعراء العرب، وممن رثاها حافظ ابراهيم شاعر البيل وجرى في رثائه على نمط حكيم، وفي سيرتها وضعت الكتب عند الانكليز، وترجمت خلاصة بعضها الى العربية.

- وطراز فكتوريا شاع في بلاد الانكليز في افق العادات، والألبسة والفكر، ومظاهر الفنون: وكان القرن قبل الماضى قرن اهتمام افريقيا، والتوسع الاستعمارى، فسميت اشياء كثيرة باسم فكتوريا، من مستعمرات وبحيرات ومعارض، واستحدثت الاوسمة، واطلق اسمها على الشلالات، والسفن الفخمة، والاندية الى آخر ما يظهر من شارات الاستعمار، والعمران الممتص من شرايين آسيا وافريقيا.

- وسنرى الآن في ترجمة مونتفيورى ان هذا «الحكيم» من «حكماء صهيون» لما جاء الى محمد على «يلعب» به اللعبة الذهبية ويطلب منه العفو عن اليهود المجرمين قتلة الراهب الاب توما الكبوشى في دمشق، ونال مونتفيورى، ما اراد، كان في جيبه كتاب وصاة من فكتوريا الى محمد على.

١٨ - نعود الى مونتفيورى، ولعبته هذه هي: جاء في ترجمة «يقظة العالم اليهودى»، ما يشبه هالة من العاب العنكبوت حول اسم مونتفيورى، وقال «ابو عسل»، وهو يصنف ما يلقي اليه من المراجع الصهيونية في مصر وفلسطين وقتئذ، إنه لما اشتدت وطأة المرض بالملك جورج الثالث سنة ١٨٢٦ (كان مرضه متمادياً نحو ٩ سنين) كان «دوق كنتوت» قد غادر البلاد بعد ان بدد ثروة ضخمة، وحرم من الاقامة في القصر الملكى، فاقام في بروكسل، وبعد سنتين تزوج «البرنس فان لنجن» وهو في الحادية والاربعين. وليس غريباً أن تحلّ به ازمات مالية.

١٩ - فينهض اليهودى الثرى الفنى، الواسع النفوذ على اليهود، وهو رأس من رؤوسهم، أو مقدم «حكماهم» موسى مونتفيورى، ويحشو حقيبته مالاً، ويأتى دوق كنتوت في بروكسل، ويشير لديه أهم قضية تقيم وتقدم، قضية العرش البريطانى، ويبين له الوضع: الملك ينتظر موته بين يوم وآخر (جورج الثالث)، وابنه جورج في مرض شديد وليس لجورج من ولد، واما البرنس وليم فلسبب ما فلا ينتظر ان يكون له ولد. فاذا حصل هذا كله، وهو شديد الاحتمال، فالعرش البريطانى سيؤول الى دوق كنتوت. هذه هي الصفوة التى كانت في جعبة مونتفيورى، ولا ريب انها نتاج تفكير طويل، وتحليل وتعليل، وحسابات، ودراسة عميقة، وقد قلبها ظهراً لبطن، وطحنها وزناً وتقديراً، لينفذ من كل هذا الى غايته اليهودية التى يحملها في صدره، حملة المال في جيبه.

\* \* \*

٢٠- ولماذا هذا الامر يتصدى للنظر فيه ويبحثه يهودى، ولو كان غنياً، ويأتى من لندن الى بروكسل بهذه الفكرة الى دوق كنتوت؟ ايخفى هذا كله على دوق كنتوت؟ كلاً. أمن غيرة مونتفيورى على العرش البريطانى؟ وهناك الوزراء ومجلس النواب، وأهل الحل والعقد من رجال الاتكليز، وهم أولى ان يكونوا مباشرى هذه الفكرة مع دوق كنتوت. أتبقى هذه المسألة

هاجعة، حتى ينهد لها مونتيغوري؟ فما يقوله كتاب «يقظة العالم اليهودي»، من ولاء مونتيغوري للعرش؟ موضعه سلة المهملات! فلنتناول ناحية أخرى، قد تكون صحيحة: فان دوق كنت ربما كان في ازمة مالية خاصة، وعلى فرض ان الدوق كان من تلقاء نفسه يريد الانتقال إلى لندن بعد زواجه، حتى إذا رزق ولداً، كان هذا الولد، بحكم قانون العرش، يحق له تولى العرش، فإذا كان هذا مفعولاً، فالدوق لا مال له، فما يفيدته الفكر الفنى مع الجيب الفارغ؟ ثم أن مونتيغوري لما كان يتماطى الصيرفة العالمية الطراز في لندن، مكتبته الصيرفة من الاطلاع على خفايا القصر.

٢١ - انكشفت الحقيقة، وزالت عنها الظلمات! فإن اليهودي مونتيغوري جاء يستغل الازمة المالية لدوق كنت، ويشوقه الى العرش الذى سيؤول إلى ولده، لكن هذا الولد لا يحق له ان يتولى العرش اذا لم يكن قد ولد في بلاد الانكليز لا في بلد اجنبى. فلما اقتنع دوق كنت بوجود انتقاله إلى لندن، قدم اليه مونتيغوري المال. هذا هو السحر كله.

٢٢ - وانتقل الدوق، وولدت فكتوريا، وربيت التربية المؤهلة لها لتولى الملك، وتوجت، وتزوجت، وهذا لا يمنع ان تكون واقفة على الحقيقة: لما انتقل ابوها من بروكسل إلى لندن، اعانه مونتيغوري بالمال. وتبقى هذه القصة في زاوية القصر. اما مقدار المال، وكيف استوفاه مونتيغوري وما إلى ذلك، كل هذا لا ندرى منه شيئاً.

٢٣ - تزوجت الملكة فكتوريا سنة ١٨٤٠.

في هذه السنة وقعت حادثة خطف الاب توما الكباشى واستنزاف دمه في دمشق، هو وخدامه، وفي هذه السنة جعل ابراهيم بن محمد على ينسحب من سوريا كرهاً.

وكان مونتيغوري في شغل شاغل من امر فلسطين!

فى ايام احتلال ابراهيم للشام، سنة ١٨٣٧ زار مونتيغوري فلسطين ودرس احوالها وزراعتها وتربيتها ومستقبلها، فى جهات صنف وطبرية، فرأى أن يحقق فكرة له: وهو أن يستأجر من محمد على ١٠٠ - ٢٠٠ قرية لمدة ٩٩ سنة وهو يدفع اعشارها لمحمد على ان تكون الاراضى خلال مدة الاجارة لا يد للاحد عليها، واليهود احرار فى التصرف فى الانتاج داخل فلسطين وخارجها<sup>(١)</sup>.

وفى السنة التالية ١٨٣٨ قام برحلة ثانية إلى فلسطين، وسجل كل هذا فى مذكراته الخاصة وما اوردها فى الفقرة السابقة منقول من مذكراته المكتوبة ١٨٣٩. ثم جاء مرة ثالثة سنة ١٨٣٩.

(١) يقول كتاب «يقظة العالم اليهودي» ان مونتيغوري زار فلسطين مراراً وطافها دارساً سبع مرات. واحب مونتيغوري اغتنام الفرصة ايام محمد على وحاجة هذا الى المال. فعمد الصفقة معه لا مع السلطان. واما معدل الاعشار وضرائبها فمع زيادة ٢٠ بالمئة يبقى هذا المعدل قليلاً عندما تحسن الاراضى بمد قليل ولا اشارة إلى مصير الارض بمد ٩٩ سنة.

٢٤ - ولما رأى مونتفيورى و «حكماء صهيون» ان الحكم بالموت على نحو (١٠) رجال من يهود دمشق، فيهم وجوه واعيان وحاخام، فى حادثة الاب توما، سيكشف الغطاء عن شيء كثير، زَمَ حقايبه وحشاها بالمال، كما حشاها لما أتى دوق كنوت فى بروكسل، وتناول من الملكة فكتوريا «الصُّبِيَّة بنت الصُّدِيْق»، رسالة خاصة الى محمد على فى الاسكندرية، وفى الرسالة ان يعفو محمد على عن الجناة!

٢٥ - وكان محمد على وابنه ابراهيم يجتازان شرَّ ازمةٍ سياسية واقتصادية، وبريطانيا هى الملحة على محمد على بوجود الانسحاب من الشام. وليس يهتم محمد على وقتها كثيراً، ان يعدم الجناة او يعفى عنهم، وانما يختار احد الوجهين الذى فيه مرضاة خاطر الملكة فكتوريا. فالرسالة شخصية، وهو بحاجة الى ما فى حقيبة مونتفيورى، فأمر بالعمو. واطلق سراح الجناة، الا من مات منهم فى السجن.

٢٦ - اما التقدم بمشروع استئجار المئتى قرية من شمالى فلسطين لـ ٩٩ سنة، فتوقف اذ جعل ابراهيم ينسحب بعد قليل وقبل عقد الصفقة، فانسحب.

٢٧ - لكن بعد ١٨٧٠ بقليل، انشأ مونتفيورى بناءً لايواء فقراء اليهود، فى ضاحية خارج سور القدس، وقيل لهذا البناء «حارة مونتفيورى» وكانت لا تزال قائمة الى ١٩٤٨. وهى التى اشرنا اليها فى اول هذا الفصل.

٢٨ - ثم مضى مونتفيورى يعيش ويلتفت الى الوراء عاداً ايامه، حتى صار يعد من عمره مئة سنة! وفى هذه السنة المثوية احبت فكتوريا الزيادة فى اكرامه، فاذا بالبريد الملكى يحمل اليه من أميركا مئة رسالة تهنئة بالقرن الكامل وهذه الرسائل من الاقطاب والعظماء من مئة صديق وهم «الحكماء» وظلت الملكة فكتوريا تذكر تفريجه ازمة ايها.

وقلنا أن فكتوريا زودت مونتفيورى برسالة شفاعة الى محمد على، وهذه الرسالة مع الذى فى الحقيبة نتجت الجناة. ومرة اخرى ارسلت فكتوريا رسالة خاصة إلى عبد الحميد، وهذه بشأن هرتزل وفلسطين وبين الرسائلتين نحو من ستين سنة، فتأمل.

٢٩ - لما قضى مونتفيورى نحبه ١٨٨٤، كان هرتزل لم يطل بعد، وانما اطل بعد هذا الوقت بأربع عشرة سنة. وكان السير فرنسيس مونتفيورى، وارث عمه موسى فى المال والحال والجاه، والقفاز الابيض، هو رئيس «الجمعية الانجلو - يهودية» فى لندن وقت اعطاء وعد بلفور ١٩١٧.

٣٠ - وكان فرنسيس على صلة بهرتزل، بل معاونه فى كبار الامور، وربما كان يقدم اليه مالاً. وكان هرتزل يرشحه فى احد المؤتمرات الصهيونية لنيابة الرئاسة، ائى نائب هرتزل وكان الفريق اليهودى الروسى لا يفتأ ينتقد هرتزل ويفند مخططه بعد أن مال الى قبول عرض

بريطانيا في «كينيا» شرق افريقيا. واليهود الصهيونيون الروس كانوا يرفضون هذا العرض، وهرتزل يعتبره صالحاً وتعتبر كينيا بعدئذ مستعمرة لفلسطين بعد ان ينزل اليهود فلسطين. وكان ويزمن على رأس المناهضين لهرتزل في مشروع كينيا. ولما راح هرتزل يبدى لياقة فرنسيس مونتفيورى لنيابة الرئاسة، اجابه ويزمن: «دكتور هرتزل! لكن هذا الرجل شبه معتوه»، فأجابه هرتزل بعد اطراقة عميقة وبلهجة غير مستعجلة: «لكنه هو الذي يفتح لى ابواب القصور».

٣١ - وهناك كلود مونتفيورى، فانه كان يعارض انشاء وطن قومي في فلسطين على اساس «السياسة» و «الدولة اليهودية»، وهناك جمعية اخرى ايضاً كانت تقول بقول الاولى، رئيسها السير دافيد اسكندر ومن رأى الجمعيتين أن اليهود لا ينبغي ان يطلبوا في فلسطين الا صورة مركز ثقافى روحى، وفق ما اعلنته الصهيونية سنتى ١٩١١ و ١٩١٣ من انها لا تبتغى غير هذا من حركتها، ومن يقول بأن الفرض هو انشاء دولة سياسية فذاك القائل جاهل او حاقد.

\* \* \*

وهذا الاختلاف كله يتناول الاساليب والطرق مع اتحاد جميع اليهود في الهدف والغاية. اما رأينا أن الصهيونيين يعلنون هم انفسهم في مؤتمراتهم العامة وعلى مسمع من العالم انهم لا يريدون دولة سياسية في فلسطين؟ والخداع لا يزال عندهم سلاحاً من امضى الاسلحة.

## ١٥- دزرائيلي (بن إسرائيل)

١٨٠٤ - ١٨٨١

يهودى تنصرويقى يهودياً ليخدم الصهيونية  
على طريقة «حكماء صهيون»

(١) «اليهودى، هو القوة وراء كل عرش فى بلاد أوروبية».

لمن هذا القول؟

هو لدزرائيلي الذى اسمه الحقيقى «بن إسرائيل».

«كتاب الحكومة الخفية ص ٥٦».

## Hidden Government

(٢) «انما يحكم العالم ويسيره اشخاص هم وراء الستار يختلفون كل الاختلاف عن

الأشخاص الذين على المسرح أمام الستار».

«دزرائيلي - المصدر السابق».

(٣) قال بلزاك (١٧٩٩ - ١٨٥٠) :- «المعركة الأخيرة لظفرالمسيحية هى معركة المال،ومن

الآن إلى ان تحل مشكلة المال فالمسيحية اعجز من ان ترى احكامها العملية نافذة مطبقة تطبيقاً عالمياً».

(٤) قال قطب من اقطاب روتشيلد قبل ١٠٠ سنة: «اعطنى سلطة اصدار النقد

ومراقبته، ولا ابالى بعد ذلك بمن يسن الشرائع والقوانين».

راجع البروتوكولات

قال هيلر بلوك Hilaire Belloc فى كتابه «اليهود» يصف اليهود فى بلاد الانكليز، وما

كانوا عليه وما صاروا إليه:-

«وتلفت اليهودى، فوجد ان جميع ما يطلبه شعبه من «الفوييم» موجود فى الدولة

البريطانية. وهنا يمكنه أن يكون على حال لم يحلم بها أو يمثلها فى أى بلد آخر فى العالم.

فالكرهية التى كان يلاقيها من قبل، قد زالت وفتحت امامه مناصب الدولة، وصار عدد كبير

من اليهود من اصحاب السلطة التنفيذية فى الدولة، ويرسوخ هذا الوضع وامتداده ونموه، صار

المجتمع ممتزجاً بهم بتبادل الزواج بين الاسر الانكليزية التى كانت سابقاً ارستقراطية اباً عن

جد، وبين الأسر اليهودية الغنية، بحيث لم يبق من الاسر البريطانية المحافظة على نقاوة دمها

القديم، دون ان يخالطها الدم اليهودى، الا القليل، وصارت كل حكومة تعطى اليهود نصيبهم من كراسيها فانتظموا فى السلك الدبلوماسى، واحتلوا مقاعدهم فى مجلس اللوردات، ومجلس النواب، والجامعات والمعاهد. واستولوا على الصحافة ثم على المراكز التجارية المهمة. وفى رأى هايمسنون فى كتاب «تاريخ اليهود» ان هذا كله قد تم فى خلال المئة سنة الأخيرة، وفى «موسوعة تاريخ العالم» ان آخر القيود التى كانت على اليهود فى بلاد الانكليز ازيلت سنة ١٨٥٨ وفى هذا الوقت كان دزرائيلى رئيس وزراء.

\* \* \*



## أهم البنود في «قانون اليهود» في بلاد الاتكليز سنة ١٢٧٥

- ١- ان يحصروا سكانهم في أماكن معينة.
  - ٢- ان يمنعوا من تعاطى الربا.
  - ٣- ان يمنعوا من شراء الأراضى.
  - ٤- ان يمنعوا من الاختلاط بأهل البلاد (المسيحيين).
  - ٥- ان يجبروا على تعليق الشرائط الصفرى على اكمامهم ليعرفوا انهم يهود.
- بعد صدور هذا القانون بـ ١٥ سنة امر الملك ادوار الاول بطردهم من البلاد وطردوا ويقوا خارج البلاد ٢٦٧ سنة حتى اعادهم اليفركرمويل، وكرمويل مؤكّه منسى بن اسرائيل وموسى قراجا، دون ان يلقى قانون الطرد.

\* \* \*

## دزرائيلى

سياسى بريطانى مسيحي فى الظاهر، تولى رئاسة الوزراء غير مرة ومن اخطر «حكماء صهيون» فى الحقيقة والباطن، ووصل إلى ذروة الشهرة اثر مؤتمر برلين ١٨٧٨ وهو المؤتمر الدولى الذى انعقد بعد الحرب الروسية العثمانية، ووقعت فيه الدولة العثمانية بين ايدي الجزارين من ساسة أوروبا<sup>(١)</sup> فقطعوا أوصالها فى أوروبا، ومابقى لها من املاك فى الناحية الاوروبية الا رقاع صغيرة لا تذكر، وأخذت الشعوب البلقانية طريق الاستقلال من هذا المؤتمر، وكان دزرائيلى ويسمرك بطليه الأولين.

١ - ولد بنيامين بن اسرائيل (تحول الى دزرائيلى) فى لندن ١٨٠٤ أيام بداية عراك محمد على فى مصر. وختن ختانا يهودياً فى اليوم السابع من ميلاده ويقول ايلى لىضى ابو عسل مؤلف كتاب «يقظة العالم اليهودى» ان بنيامين لما ولد حوَّطه ابوه، اسحق بن اسرائيل، بكتب مقدسة وهى بالعبرية ومن جملة تلك الكتب كتاب «العبرية اليهودية» وأمّ بنيامين من ايطاليا، وفى سنة ١٨١٧ بعد ميلاد بنيامين بنحو ١٢ سنة، اعتنق ابوه المسيحية وتبعه ابنه،

(١) وهم فى مؤتمر برلين هكذا:

عن بريطانيا: دزرائيلى وسالسيورى.  
«روسيا: غورناكوف وشوفالوف.  
«ايطاليا: كونت كورتى.  
«المانيا: بسمرك، ولقب «بالمسار الشريف»  
«النمسا: اندراسى.  
«فرنسا: ودنتون  
«تركيا: كاراديبوتورى اليونانى.

وكان عبد الحميد قد ارتكب جنابة بابعاد مدحت باشا «ابى الاحرار» وكان مدحت يساوى عشرات الرجال فى العقل والحكمة والاخلاص فتتمت سفينة عبد الحميد وصارت تهوى إلى القاع.

وقال ابو عسل: «لأسباب ما برحت منضوية تحت اجنحة الخفاء الى يومنا هذا، قلت: هذا يهودى يحاول ان يتكلم بمكر ومراوغة، فغاية التصبر واضحة، وهى شبكة للاصطياد.

٢ - اصل بيت دزرائيل (بن اسرائيل) من يهود اسبانيا، وبعد الطرد من اسبانيا لجأت الأسرة الى ايطاليا وأقامت فيها الزمن الطويل حتى قام جد دزرائيلي صاحب الترجمة، واسمه بنيامين ايضاً، فانتقل الى لندن بأعماله المصرفية، وهذا القرن الثامن عشر. لاحظ الشبه بين قصة دزرائيلي وقصة مونتفيورى.

٣ - ولما برز دزرائيلي بروزه المعلوم فى منتصف القرن قبل الماضى فصاعداً، رقى الى رتبة اللوردية ومنح لقب «ارل بيكسفليد»، وهى أثناء توليه الوزارة وقعت الحرب الروسية العثمانية، وحرب الانكليز والافغان، وحرب الزولو فى جنوب افريقيا.

٤ - وفى حقيقة انتحاله المسيحية هو وأبوه، قال ابو عسل: «وبالرغم من اعتناق المسيحية... كان بادلأً روحه ومهجته فى سبيل تمزيق قوة انكلترا، وترسيخ قدمها فى تلك الاصقاع (فلسطين)، لتحقيق مطامع اليهود ومراميمهم عندما تسنح له الفرصة بذلك. ومن الغريب ان هذا الرجل كان جامعاً شعائر الانكليز الخاصة الى شعائر اليهود وتقاليدهم جمعاً وثيقاً. وقد صرح سوكولوف<sup>(١)</sup> غير مرة ان دزرائيلي هو الرجل الذى يمثل الحركة الصهيونية تمثيلاً حقيقياً».

٥ - وقال ابو عسل ايضاً ليؤكد ان دزرائيلي هذا، او ارل اوف بيكسفيلد، بقى يهودياً على الحقيقة: «فاذا اراد الانسان سبر غور عواطف بيكسفيلد، وجس نبضه فى نزعاته وميوله، لمعرفة ما اذا كان هذا الرجل بقى يتغذى خفية بلبان عقيدته الاولى، او اذا كان اتخذ المسيحية ذريعة، توصلأً لاكتساب المعالى... وتحقيق المطامع الكبرى التى كان يصبو اليها وهو فى ريعان شبابه، فعليه بمطالعة تاريخ حياته، فهو المرجع الوحيد الذى لا يوارب ولا يداجى... فالحوادث التى تخللت حياته، ابانت لنا ان روح هذا الرجل كانت تحوم حول اليهود، وتفيض بالعطف عليهم، وكانت الأوتار الحساسة الكامنة ابدأً فى مزاجه وطبيعته تهتز اهتزازاً شديداً. وكان يرقب حركاتهم وسكناتهم فى غدوه ورواحه، الا ان ذلك ما كن ليمنعه من تأدية فرائضه الدينية المسيحية».

٦ - حدثنا «موسوعة تاريخ العالم» بقصة اليهودى باسيفيكو وهو تحت اجنحة دزرائيلي، حديثاً ممتعاً وفى بضعة اسطر: الدون باسيفيكو يهودى من (مراكش) المغرب العربى، ولكنه يحمل الجنسية الانكليزية. وتتركه الموسوعة هنا رجلاً غامضاً، ومن جاءه هذا الاسم باسيفيكو؟ للتخفية طبعاً وكان هذا اليهودى المراكشى فى خدمة اليهود، وكانت له صلات تجارية مع الحكومة اليونانية افضت الى خلاف بينه وبينها وصار له دين عليها، ولما

(١) وردت ترجمته الواهية سابق.

جاء يطالب بدينه استعمل الفظاظة والتتمر، الامر الذى دعا الفريق اليونانى، للحملة عليه ليهوديته «الشيلوخية» وشرهه. وراءه دزرائيلى. فقررت الوزارة البريطانية انفاذ عمارة بحرية من الاسطول البريطانى الى «بيروس» لتكرهه حكومة اليونان على تلبية مطالب باسيفيكو حامل الجنسية البريطانية، فاستعظمت حكومة اليونان ان تفعل الحكومة البريطانية هذه الفعلة من اجل هذا اليهودى الجائر المكابر، فازدادت رفضاً لمطالبه وابدت العناد، والصمود على وجهة نظرها، فاذا بالاسطول البريطانى يتقدم ويصادر القطع البحرية اليونانية فى حوض بيروس سنة ١٨٥٠، وبعد فشل وساطة فرنسية، لم يكن لليونان بد من تأدية ما طلب منهم تأديته. واثيرت ضجة واسعة فى بلاد الانكليز احتجاجاً على ما عمله الاسطول الانكليزى، فاضطر بالمرستون ان يلقى فى البرلمان خطبة عاطفية ضرب فيها على نفمة المحافظة على الكبرياء البريطانية، فما اعجب الملكة فيكتوريا عمل الاسطول ولا خطبة بالمرستون، من اجل اليهودى المراكشى، فوقع أخذ ورد بينها وبين بالمرستون من اجل هذا، فاصدرت اوامر ملكية بانه لا يحق للوزارة، بعد ان توافق الملكة على شكل ما، لحل معضلة ما، ان تعود الوزارة هتغير من ذلك وتبدله، متجاهلة نصائح الملكة.

ولكن علينا الا ننسى ان اليهودى المراكشى، ما كان الا الرجل الذى يقف امام الستار، كما يقول دزرائيلى، وما الرجل الذى وراء الستار الا دزرائيلى نفسه. وعلينا ان نتذكر ايضا ان فى تلك الفضون الغيت بقايا القيود التى كانت على اليهود فى بريطانيا. والعامل على ذلك دزرائيلى نفسه. وتبقى القصة بعد هذا كله غامضة لان نواحيها الاخرى الحقيقية خافية علينا.

٧ - صدق دزرائيلى لما قال، وقد ذكرنا قوله فى أول هذا الكلام، من أن العالم يديره رجال هم وراء الستار، وكأنه يعنى بهذا نفسه باعتباره أحد «حكام اسرائيل». وما هى اتجاهاته فى السياسة البريطانية الخارجية المستوحاة من وراء الستار، الجامعة بين مصلحة بريطانيا ومصلحة الصهيونية؟ ليس من المغلق علينا ان نعلم هذا بغاية اليقين. فان دزرائيلى هو احد رجال لا اكثر من ثمانية تناوبوا على توجيه السياسة البريطانية، فيما يتعلق بالدولة العثمانية ومسائلها الشرقية المزمنة، وذلك خلال المدة التى كان يعمل فيها دزرائيلى فى الوزارة والسياسة الخارجية، ولنسحب هذا من ١٨٤٦ الى نهاية حياته وهذا نحو ٢٥ سنة مطردة. فالذين تولوا الوزارة فى خلال هذه المدة هم ملبورن، وبيل (جد لورد بيل الذى كان رئيس اللجنة الملكية لدراسة ثورة فلسطين ١٩٢٦) ورسل، ودرى، وابردين، وبالمرستون، وغلادستون، وكل واحد من هؤلاء تولى رئاسة الوزارة مرتين وبعضهم ثلاث مرات.

٨ - حاول اليهود ان يخذعوا نابليون ويتمكنوا بواسطته وعدائه لبريطانيا ان يصلوا الى فلسطين ففشلوا. بعد هذا بنحو ٢٥ سنة حاول اليهود بمساعى زعيمهم مونتفيورى الوصول الى فلسطين على يد محمد على وولده ابراهيم فلم يفلحوا. ولكن حوادث الشام فى النصف الاول من القرن قبل الماضى، جعلت اليهود يتقنون استغلال الشيعة البرتستانتية المتهودة،

وعلمنا ان الحكومة البريطانية انشأت قنصلية لها في القدس في ايام ابراهيم بن محمد على، وبعد انسحابه بقيت القنصلية ماشية، والفرص منها حماية المصالح اليهودية في فلسطين، وكان انشاء هذه القنصلية من عمل العناصر البروتستانتية. ونرى السياسة البريطانية بعد ذلك تتشبه لها تقاليد مضحكة، وهي بقاء السلطنة العثمانية قائمة، دفعاً لاطماع الطامعين فيها من الدول الاخرى، حتى لا تذهب فلسطين، فيما اذا انحلت الدولة، الى دولة لا يميل اليهود اليها. وهنا اجتمعت مصلحة بريطانيا التي اخذت منذ انسحاب ابراهيم من الشام وفلسطين ١٨٤٠ تم تمد لنفسها بحبل الاطماع في احتلال مصر، ومصلحة اليهود فهذا قبل قصة السويس بزمان. وفي هذا المعنى قال نفييل باربر في كتابه Nisi Domiuus (ص ٤٩): «وكانت كتابات اليهودى المنتصر دزرائيلى رئيس الوزارة البريطانية ذات تأثير عظيم في اجتذاب العطف على اليهود، وكان توجيهه للسياسة البريطانية في شرق البحر المتوسط يهدف فيه الى غاية معينة. فقد برز دزرائيلى يقاوم روسيا في محاولة نشر الادارة التركية المتخلفة الى ان تحين الفرصة لليهود لاقتناصها، هو الواقى لها من الانتقال الى يد دولة اخرى، غير بريطانيا». وهذا ما صنعه دزرائيلى. وقد عرفت الصهيونية له فضل هذا العمل. وقلنا في موضع آخر مما يتعلق بعرض هرتزل على الامبراطور غليوم اواخر القرن الماضى، ان تتبنى المانيا الصهيونية في فلسطين وتضعها تحت حمايتها - وقد فشل هذا العرض - فلم يؤثر أى تأثير سىء في الصلة الوثقى بين الصهيونية وبريطانيا، وخاصة الشيعة البروتستنت.

\* \* \*

٩ - انشاء ترعة السويس كبد مصر الشدائد. اوليات هذا المشروع كانت بعيد انسحاب ابراهيم من الشام ١٨٤٠، وكان اسماعيل الخديوى، المبذر المتلاف ينادى بأنه يريد «ان يجعل مصر قطعة من اوربا» وكانت هناك صداقة وثيقة بين محمد على ونابليون الثالث، وهذا ما سهل على دى لسبس الحصول على الامتياز. ولما بدأ المشروع، اقتضى انجازه ١٠ سنوات، وافتتحت الترعة رسمياً في ١٦ نوفمبر ١٨٦٩، فاختصرت الطرق البحرية بين اوربا والشرق، واما بريطانيا فقد رأت في مشروع ترعة السويس من الخطورة ما جعلها ترمى باطماعها نحو مصر على مستوى اعلى من المستوى الذى قيّم عليه مصالحها قبل الآن بثلاثين سنة. ولم يكن للانكليز يد في المشروع، بل كانوا يعارضونه، لكن بعد ان تم تحقيقه وتجلت خطورته، تغيرت اوضاع سياستهم تجاهه، بحيث صاروا يشتهون الى السيطرة عليه من طريق الشركة، او على الاقل ان يكون لهم فيها يد نافذة<sup>(١)</sup> وبعد ان مضى ٥ سنوات على افتتاح ترعة السويس حصل شيء آخر.

(١) بعد ان نال المهندس دى لسبس الامتياز من الخديوى سعيد باشا ابن محمد على (١٨٥٤ - ١٨٦٢) تالفت شركة عامة سنة ١٨٥٨ باسم وافرة المدد، ومن هنا كان لفرنسا النصيب الاكبر فيها.

١٠ - سنة ١٨٧٥ كان هنرى اوينهام صاحب جريدة «الديلى نيوز» يقوم بسياسة فى فرنسا، وجاء مصر بعد ذلك، فبلغه سراً ان الخديوى اسماعيل فى ضنك مالى، وهو يريد ان يستدين برهن اسهمه المالية التى له فى شركة القناة، وكان له ٤٤ بالمئة من اسهمها، ويريد ان يكون رهن الاسهم فى باريز. فادرك اوينهام ما لهذا الامر من خطورة. فاسرع الى لندن، وأطلع صديقه فردريك جرينوود صاحب جريدة «بال مال غازيت» على ما فى جعبته، فخف هذا إلى وزير الخارجية لورد دري، وقص عليه النبأ، فجاء دري إلى دزرائيلى رئيس الوزراء وهذه وزارته الثالثة. فشمرد دزرائيلى عن ساعديه وجعل اجهزة الاعلام البريطانية تتطلق بكل وسيلة تتسم له الاخبار وتوافيه بها. فعلم ان اربعة ملايين جنيه كافية لصفقة اسماعيل على ان تُشترى السهام منه شراء ويدفع المبلغ كله نقداً. ومما قيل ان شركة فرنسية كادت هى ان تظفر باسهم اسماعيل، لكن الابرة الخفية غيرت هذا. فان بيت روتشيلد فى باريز، ومنهم «الحكماء» فاوهد دزرائيلى لورد روتن، امينه الخاص، الى البارون دى روتشيلد. وفى ثمانية ايام تم عقد الصفقة، وشرع دزرائيلى يعرض عليها، متخذاً على عاتقه المسؤولية امام البرلمان، وابرز الاسباب فى تبرير ما عمل انه لم يكن هناك وقت لطرح المسألة امام البرلمان، والقضية يجب الاتضيق فرصة اغتنامها. ولما اطلع البرلمان على الصفقة، وما معناها ومفزاها فى سياسة بريطانيا فى البحر المتوسط، شكر عاقدتها، وبعد سنة رقى دزرائيلى إلى اللوردية، ودعى «ارل بيكونسفيلد» وبقي فى دست الحكم إلى ١٨٨٠ ومات ١٨٨١.

ويعقب ايلي ابو عسل صاحب «يقظة العالم اليهودى»، ويبدو ان المعلومات التى استعملها هذا اليهودى فى كتابه هذا، ملقاة اليه من المراجع اليهودية - يعقب على ما تقدم بقوله ان ظفر بريطانيا على يد دزرائيلى اليهودى المتصر، باسهم اسماعيل<sup>(١)</sup>، ظفر له خطورته، اذ كان من شأنه ان قوى جذور المصالح البريطانية، ومن هذا الوضع البريطانى فى شركة القناة، ثم ما تبعه من احتلال مصر بعد قليل، انفتح الباب الآن لفكرة الوطن القومى فى فلسطين تمهيداً للاستيلاء عليها بالتالى. هذا هو دزرائيلى.

\* \* \*

١١ - وعقد مؤتمر سرى، بين يدى مؤتمر برلين، بين بريطانيا وتركيا، وتركيا اصبحت الآن مهيضة الجناح، وبوسع روسيا ان تهددها فى الاناضول أو آسيا الصغرى، ومفاد ذلك الاتفاق السرى ان بريطانيا تساند تركيا فى وجه روسيا اذا ما توجهت هذه الى الاناضول العثمانى. ولا بد لهذا من ثمن لا ريب فيه. فوافق عبد الحميد على السماح لبريطانيا باحتلال قبرص فاحتلتها بعد قليل. فتجهم وجه فرنسا، فوعدت بتونس، فاحتلتها بعد ثلاث سنين،

(١) ان الاريمة ملايين جنيه هذه، لم تصل إلى اسماعيل الا ناقصة بعد ان اخذ منها ما انتاشه السماسرة، واعاصير اسماعيل لا تهب الا على رياح السماسرة.

ويحلقت إيطاليا بعينيتها، فوعدت بالتوسع في ألبانيا، وسنة ١٩١٢ - ١٩١٣ غزت إيطاليا طرابلس وبرقة (ليبيا).

\* \* \*

أرأيت كيف يعمل «حكماء صهيون»؟

خذ امثلة من يوسف منده مع السلطان سليم والسلطان سليمان، ومن مونثفيوري مع محمد على، ومن هرتزل مع عبد الحميد، ومن دزرائيلي مع عدة جهات.

\* \* \*

والجولات الأخيرة، وقد عاصرها المعمرون من ابناء هذا الجيل، هي التي كانت بين هذا المثلث:

«عبد الحميد بين غليوم وهرتزل» وليس لهذه الناحية الدقيقة موضع في هذا الكتاب، وعسى ان تستوفى في مناسبة مقبلة، والله من وراء القصد.

## ١٦- الكتاب المقدس

## الترجمات الثلاث:

- بيروت { ١- البروتستانتية - الاميركية (١٨٦٠ - ١٨٦٤)  
٢- اللاتينية - اليسوعية (١٨٧٨ - ١٨٨٠)

٢- الترجمة التي قام بها احمد فارس الشدياق في لندن في منتصف القرن التاسع عشر بطلب من «جمعية ترقية المعارف المسيحية» (١٨٥١).

\* \* \*

عالي سمث

- كرنيليوس هانديك }  
الشيخ ناصيف اليازجي } - ١  
المعلم بطرس البستاني }  
الشيخ يوسف الاسير }

\* \* \*

- الاب روديت اليسوعي }  
الشيخ ابراهيم اليازجي } - ٢

\* \* \*

٢- أحمد فارس الشدياق

\* \* \*

## الكتاب المقدس فى العربية لماذا نضع هذا المجلد؟

لا نحسب القارئ العربى الا وفى نفسه نزعة طيبة الى ان يعلم ولو علماً مجملاً، متى نُقل الكتاب المقدس الى العربية النقل الكامل الذى هو بأيدي الناس اليوم فى ترجمته البروتستانتية المعروفة بالأميرية، واللاتينية المعروفة بالسوسوية. وهذه الناحية عالية المنزلة فى نظرنا لعدة اسباب.

**الأول:** ان الكتاب المقدس فى العربية فى هذا العصر يفسح المجال للمطالع العربى فيطلع منه على اخبار بنى اسرائيل فى جميع ادوارهم حتى بداية العهد المسيحى، وبعد ذلك انقطع تاريخ اليهود، فبات اقله فى بقاياهم التى بقيت فى فلسطين ولا شأن لها، ومعظمه فى جماعاتهم التى تفرقت فى العالم والامم فيطلب فى تاريخ كل أمة نزلوا بلادها واقاموا فى حماها.

**والثانى:** ان كل شعب فى العالم انتظم فى سلك الحضارة الانسانية فى دور من الادوار، يمكنك ان تقرأ ما يتعلق بتاريخه ودينه، وخلقه، ولون نفسيته، وروح تطوره، وضموده وهبوطه، فى كتب مصدرها ابناء ذلك الشعب، كما يصح لك ان تقرأ ذلك، ولو بتفصيل اقل، فى كتب وضعها مؤلفون من غير ذلك الشعب. اما الشعب الإسرائيلى أو اليهودى فلا ينطبق عليه هذا، وهو شاذ منفرد فى تاريخه، فلا سبيل لك الى اكتناه اللباب من الجبله الإسرائيلىه منذ القدم إلى اليوم، وإلى كشف الستار عن خفايا نفسية اليهودى، ونفسيته خاضعة لعاملين: عامل ظاهر وعامل باطن، إلا إذا قرأت أولاً ما كتبه انبياؤهم، الكبار وهم اربعة انبياء، والصفار وهم اثنا عشر نبياً، وهؤلاء اسفارهم فى العهد القديم. ومعظم انبياء بنى إسرائيل كانوا إلى جانب ملوكهم، ويقفون فى وجه ملوكهم ولذلك تجد فى أسفار نبواتهم الاتجاهات السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الدينية، مما نراه اليوم يعالج فى كتب مفردة، كل كتاب وموضوعه، مستقلاً عن الدين تمام الاستقلال.

**والثالث:** ان الاطلاع على هذا لا تكون الفائدة منه ذات جدوى، و«إسرائيل» تصطنع الحياة اصطناعاً منذ ١٩٤٨، إلا إذا كان اطلاعاً كاملاً، حتى تستبين الحقائق الكبرى كلها فى قافلة واحدة، ويمكن ملاحظة عامل «الانفرادية» اليهودية فى مجرى تاريخهم كله. وهذا على غاية الخطورة. والعهد القديم فى «الكتاب المقدس» حوى هذا من ألفه الى يائه. فالخلق اليهودى وحدة لا تتجزأ، لا يفعل فيها زمن ولا اقليم ولا مكان، وانما تستخفى وتتلون مع بقائها على عنصرها الاصلى لا تتبدل. وهذا لعمري من اهم الأسباب فى التماسك اليهودى



المشهود في العالم كله، على اختلاف القارات والبقاع. وهذا التماسك فيهم هو سر بقاء «اليهودية» في افرادهم وجماعاتهم، وهذا هو المسيطر على هيئاتهم ومنظماتهم واتجاهاتهم، وما يبطنون من مخططهم وما يعلنون.

والرابع: هو ان نقل الكتاب المقدس إلى العربية في بيروت (لبنان) في القرن قبل الماضي، لا بد انه يتخذ نصيبه الوافر من البيان العربي الناصع. ومن هذه الناحية الجديرة بالاعتبار، نرى ان نقل الكتاب المقدس إلى العربية، ماعدا ماله بنفسه من منزلة دينية عالية، اضافة ضياء جديد من البيان الضادى الى اللغة المضرية<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وليس لدينا في العربية، على ما نعلم، كتاب افرد الكلام فيه على هذا الموضوع بوجه الاستقلال، الا اذا كان هناك مثل هذا الكتاب لم يقع لنا ان نطلع عليه، وانما هناك شذرات، ومقالات متفرقة كتبت في مناسبات قليلة، والقس سيكل سيل صاحب «المرشد الى الكتاب المقدس». وقد اشرنا إليه في غير موضع سابق من كتابنا هذا، عقد الفصل الثاني عشر من كتابه على «الترجمة العربية للكتاب المقدس» غير ان هذا لم يشغل من كتابه الا صفحات معدودات. فتأخذ منه ما نحتاج إليه من اللباب ونعرضه على القارئ مع ما يبدو لنا من ملاحظات على نقاط البحث، وما لدينا من مزيد وتكملة.

\* \* \*

يقول القس سيكل سيل: «ولا نسمع عن ترجمة عربية قبل الترجمة التي ترجمها يوحنا اسقف اشبيلية من اعمال إسبانيا سنة ٧٥٠ ب.م. والتي نقلها عن ترجمة ايرونيموس اللاتينية التي شاعت في اسبانيا في القرن السابع فما بعد. وقد قام يوحنا المذكور بترجمة كل الكتاب المقدس، و«مارينا» اليسوعى وجد جملة نسخ من تلك الترجمة في ايامه، والظاهر أنها لم تطبع قط ولم تعرف في سورية». (المرشد ص ٦٢).

ونقول: هذا المراد منه الترجمة الكاملة للكتاب المقدس، اما الترجمة لبعض اجزاء من المهديين، فلا يعقل ان العرب النصارى في العراق والشام كانوا الى القرن الثامن، لا يقرأون الانجيل، في العربية وهذا، مثلاً، القديس يوحنا الدمشقى (٦٧٦ - ٧٤٩) فهو من اساتذة المسيحية زمن بنى امية، وهو له فضل، ونضال في سبيلها، وابوه كان من الذين تولوا الاعمال المالية للدولة الأموية، وللقديس يوحنا عدة مؤلفات في العربية منها الإيمان المستقيم، فبأى لفة

(١) واضيف الى التراث العربي في المقد الأول من القرن الماضي ثروة اخرى من البيان عن طريق الترجمة، وهي ترجمة سليمان البستاني لالباذة هومير او هوميروس، وإذا كان نقل الكتاب المقدس تعاون فيه جماعة هنا وجماعة هناك، فان نقل الالباذة، وهو عمل له نصيبه أيضاً من قوة أهل المزامن، قد اضطلع به البستاني وحده.

كان يقرأ الانجيل هو وقومه؟

وقد كانت وفاته في مطلع الدولة العباسية.

ثم يقول هذا المؤلف أيضاً: «والحاخام سعديا المعلم المشهور في مدرسة بابل، ترجم من العبرانية كل العهد القديم او اكثره في القرن التاسع (الميلادى) لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية، فطبع جزء من هذه الترجمة، وهو الاسفار الخمسة في القسطنطينية سنة ١٥٤٦ بالاحرف العبرانية، ثم طبع في باريس سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧ بالحروف العربية» (المصدر السابق).

ونقول: ان سعديا هذا هو سعيد بن يوسف الفيومى ولد في مصر في العقد الاخير من القرن التاسع الميلادى ومات في بغداد سنة ٩٤٢ أو ٩٤٤. ويقول صاحب «رحلة بنيامين» عزرا حداد - وكلاهما يهودى: فان بنيامين صاحب الرحلة يهودى من اسبانيا في القرون الوسطى، وحداد يهودى عراقى معاصر - ان سعديا كان معدوداً بين كبراء العلماء اليهود وفلاسفتهم ومن مؤلفاته معجم عبرى وترجمة عربية للتوراة وله كتاب فلسفة عنوانه (الامانات والاعتقادات) فهو من اهل القرن العاشر. (رحلة بنيامين ص ١٤٧).

وقال القس سيكل سيل: «وقد تُرجم الزبور (المزامير) ترجمات عديدة. فالترجمة التى فى ايدى الكاثوليك الملكيين الآن ترجمها عبدالله بن الفضل من اليونانية قبل القرن الثانى عشر، ثم طبعت فى حلب سنة ١٧٠٦ وفى لندن سنة ١٧٢٥ وطبعت ترجمة اخرى فى جنوى سنة ١٥١٦ وفى رومية سنة ١٦١٤ وطبعت أيضاً ترجمة ثالثة مطابقة للسريانية فى الشوير فى جبل لبنان سنة ١٦١٠» (المصدر السابق) وقال هذا المؤلف ايضاً انه فى أوائل القرن السابع عشر استأذن سركييس الرزى مطران حلب، من البابا فى اخراج نسخة مضبوطة من الكتاب المقدس وقام المطران بذلك مع فريق من العلماء، وبعد وفاته طبعت الترجمة سنة ١٦٧١ فى ثلاثة مجلدات مع الترجمة اللاتينية، وهذه الترجمة كانت تطبع فى لندن بكثرة، لكنها مجردة عن كتب الابوكريفا، هذه لمحة تاريخية لكنها جد مقتضية.

\* \* \*

## الترجمتان الكاملتان للكتاب المقدس في القرن التاسع عشر في بيروت

١- الترجمة الامريكية - البروتستانتية ١٨٦٠ - ١٨٦٤.

٢- الترجمة اليسوعية - اللاتينية ١٨٧٨ - ١٨٨٠.

### الترجمة الاميريكية:

قام بها المرسلون الاميركان في بيروت فنسبت بالاسم الشائع اليهم، وهي من عمل خمسة علماء اعلام، اثنان اميركان وهما عالي سمث وكرنيليوس فانديك، وثلاثة لبنانيون هم الشيخ ناصيف اليازجي، والمعلم بطرس البستاني، وإلى حد ما الشيخ يوسف الاسير الحسيني.

\*\*\*

عالي سمث (٩ - ١٨٥٧)

كرنيليوس فانديك (١٨١٨ - ١٨٩٥)

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١)

المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)

الشيخ يوسف الاسير (١٨١٧ - ١٨٨٩)

اما عالي سمث، فكان متقناً للعربية وواقفاً تمام الوقوف على اللاتينية واليونانية، وكان يعمل عمله التبشيري في مالطة، فنقل إلى بيروت سنة ١٨٢٧ أو قبل هذا التاريخ بقليل، وبعد سنوات شرع في انشاء المطبعة التي سميت بالمطبعة الاميريكية المشهورة. واما فانديك فاستاذ في الطب والعلوم الطبيعية والرياضيات وبلغ من تضلعه من العربية انه الف كتاباً في علم العروض واخذ العربية عن بطرس البستاني والشيخ يوسف الاسير، وهو هولندي الاصل، اميركي المنشأ، لبناني الدار منذ هبط بيروت سنة ١٨٤٠ إلى آخر حياته ١٨٩٥ فيكون قد صرف في لبنان لا اقل من ٥٥ سنة، وهذه المدة كانت فترة التفاعل الذهني العميق في لبنان، وانتقاله من عهد الاقطاع الى العهد الحديث ولما جاء فانديك بيروت كان عالي سمث قد مضى عليه هنا لا اقل من ١٣ سنة.

\*\*\*

ولدينا من أخبار فانديك الشيء الوافر. ولا نعلم مستعرباً، لا في لبنان وحده، بل في العالم العربي، اندمج في الحياة العربية اللبنانية اندماجه وانسجم مع طبيعتها انسجامه، لا في العادات واساليب المعيشة وأعراف المجتمع وكفى، بل ايضاً في استطياب الوان الاطعمة

اللبنانية واستحسان اللباس الشرقي، واطلاق اللحية وطرق المعاشرة الراقية، وحب المستملحات من نادر النكات البارعة، ولا يزال الناس حتى اليوم يتحدثون عنه، وله ذكر في المنازل والبيوت. وكان في الطب طبيباً انسانياً ممتازاً، وهو يدرس الطب في الجامعة الاميركية، وله عدة مؤلفات قيمة في العربية. وسكن في القرية الجميلة «عيناب» المطلة على البحر، والمنزل الذي كان يقيم فيه لا يزال شاخصاً بمجمل هيكله حتى اليوم. وقد مرت به سنة ١٩٤٩ لأشاهد المائل من بقاياه. وفي المرحلة الاخيرة من حياته، انفصل فانديك عن الجامعة الاميركية لان الجامعة بدلاً من المضي في التعليم بالعربية، وهذا هو رأيه، عدلت عن ذلك إلى الانكليزية، وقد كان هذا من الجامعة بعيد ان احتلت بريطانيا مصر ١٨٨٢:

\* \* \*

وأما الشيخ ناصيف اليازجي فامام العربية وشهاب من شهب الفكر الثاقب، والعصامية القليلة النظير، وهو وعاء الادب العالي في القرن قبل الماضي، وانتشرت مراسلاته مع اقطاب الادب في الشام والعراق ومصر وغير اقطار، وهو لم يتخرج من مدرسة، بل لجأ الى مكتبات الاديرة، وجمل يمتصر منها، وحفظ القرآن الكريم، واوغل عن طريق الكتب في مصاحبة رجال التراث العربي من المتقدمين ايضاً موقفاً زاهياً غزيراً. ووجد مدة في ديوان الامير بشير الثاني، مع زميله بطرس كرامي وتقولا الترك، من عيون شعراء القرن قبل الماضي. وبعد انصراف اليازجي من قصر بشير، اقام في بيروت حوالي ٢٠ سنة حتى آخر حياته سنة ١٨٧١. ولا تزال كتبه في الصرف والنحو والبيان والشعر تدرس في المدارس حتى اليوم. وجمع لباب لغة العرب في مؤلفات عديدة، طبع بعضها في حياته، وبعضها الآخر بعد وفاته، وقد تولى ذلك ابنه الشيخ ابراهيم، والتوفيق الذي ادركه الشيخ ناصيف لا في نفسه فقط، بل ايضاً في اسرته وبنيه وبناته جميعاً، توفيق واسع الافق، فقد رزق ١٢ ولداً من بنين وبنات، وبعض هؤلاء جميعاً ان لم يكن كلهم من بنين وبنات - اتوا من وراء الفاية في النجاة والاشراق والالمية. وفي البنين لعل ابنه الشيخ ابراهيم كان العَلَم المفسرد وفي بناته «وردة» (١٨٢٨ - ١٩٢٤) الشاعرة المتوهجة برقة العاطفة وشجي الحنين، كانت ند أخيها ابراهيم، وديوانها «حديقة الورد» لا ينفد عطره.

\* \* \*

وأما المعلم بطرس البستاني فعلم شامخ في توطيد الحركة الثقافية العلمية، ونشر المعارف، وغرس الروح الوطنية عن طريق المجلات والصحف ومدرسته المشهورة - المدرسة الوطنية - في بيروت. وأما في الدراسة وطرق التحصيل فقد تيسر للبستاني ما لم يتيسر مثله لليازجي، فقد درس البستاني في مدرسة «عين ورقة» ورحها إلى بيروت سنة ١٨٤٠.

وفى هذا الوقت هبط اليازجى من قصر الأمير بشير كما تقدم، فكان هذين القطبين، اليازجى والبستاني، على موعد عن طريق القدر، ليلتقيا معاً فى بيروت ويكونا العمادين الكبيرين للنهضة الأدبية العلمية، متعاونين متساندين، الأول فى الأدب واللغة والبيان مع التأليف والتدريس، والأخر فى العلوم الطبيعية والرياضيات والصحافة، مع التدريس والتأليف أيضاً. وسارا على خطين شبه متوازيين إلى نهاية الشوط غير ان لقاء القدر جمع ثلاثة لا اثنين، اذ فى هذا الوقت أيضاً، كان قد حل فاندريك بيرون، كما رأينا، وتيسر للبستاني ان يحصل الانكليزية من اختلاطه بالانكليز والاميركان، وكان فى «عين ورقة» قد حصل نصيباً جيداً من السريانية واللاتينية والاطالية الحديثة. ولم يلبث فى بيروت ان انعقدت الصعبة المؤكدة بينه وبين فاندريك العالم الانسانى الفعال، وعمل معه اولاً فى انشاء مدرسة «عبيه» - فى مقاطعة الغرب - سنة ١٨٤٦ ثم فى بيروت والآن شقّ البستاني طريقه، وإلى جانبه ابنه سليم، وكان منه لايه ما كان من ابراهيم لايه الشيخ ناصيف. واتسعت حلقة البستاني مع عالى سمث أيضاً، وجعل يعلم فاندريك العربية، ويستفيد منه فى الانكليزية. وفى هذه الفترة يظهر ان لاحت له الفرصة، وطالب العلم نهم، فدرس ما استطاع من اللغات القديمة، الآرامية والعبرية واليونانية، فامتلاً حوضه من الوقوف على اللغات، وهذا بالاضافة الى ما كان قد حصله فى عين ورقة. وما نريد ان نعنى به الآن من نواحي البستاني هو ناحية صلته بزملائه الذين قاموا بترجمة الكتاب المقدس، اما جملة خبره بعد هذا، فإنه مع اشتغاله بترجمة التوراة ظل يسير سيره الجبار، فانشأ (نصير سوريا) الصحيفة الوطنية بعد ١٨٦٠ ثم المدرسة الوطنية، الاولى من نوعها فى لبنان سنة ١٨٦٣ ثم بعد ذلك عكف على وضع المعجمين «محيط المحيط»، و«قطر المحيط»، ثم ولج باب «دائرة المعارف» العربية، وهو اول مشروع من نوعه فى العربية، لكنه عظيم ضخم، ولاسيما قبل اليوم بتسعين سنة (وقت تأليف هذا الكتاب) والنهضة فى مدارجها الأولى، وجملة ما صدر من «الدائرة» ١١ جزءاً بالغة كلمة «عثمانية» وصدر اول جزء سنة ١٨٨٢ والحادى عشر سنة ١٩٠٠، وتعاون فى هذا العمل مع المعلم بطرس، ابناؤه سليم ونجيب ونسيب، وابن عمهما سليمان البستاني «مغرب الياذة» فستة اجزاء اصدرها المعلم بطرس وولده سليم فى سنتى ١٨٨٣ و١٨٨٤ والباقي صدر فى خلال الست عشرة السنة التالية<sup>(١)</sup>.

قال القس سيكل سيل، وهو يعتمد فى هذا على مقالات الدكتور جون طمسون، وفى وصف طريقة النقل: ان المعلم بطرس كان يقوم بترجمة النصوص ثم يدقق هذه الترجمة عالى سمث من حيث مطابقة معانيها على الاصل، ثم يتولى الشيخ ناصيف الصياغة العربية. بعد هذا يقوم سمث بطبع المادة المترجمة فى كراريس، ويوزع هذه الكراريس على المختصين من

(١) كتاب «المعلم بطرس البستاني»، فى نحو ١٢٥ صفحة للاستاذ ميخائيل صوايا (بيروت ١٩٦٣) كتاب

«حيز حوى ليات سيرة المعلم بطرس، مطالعته مفيدة لذندة».

المرسلين البروتستانت في بلاد العرب، وأيضاً على عدد من العلماء الالمان في المانيا، لابداء  
 الراى والملاحظة. ثم يعود الشيء كله الى سمث فيعيد فيه النظر لاقرار الصيغة النهائية،  
 وبهذا تصبح الترجمة مهياة ومعدة للطبع. وقد قام هذا الرهط: البستانى - سمث - اليازجى  
 بترجمة اسفار موسى الخمسة واجزاء مختلفة من «الانبياء» والعهد الجديد على هذا المنوال.  
 وبعد ان شرع فى طبع العهد القديم ادركت المنية عالى سمث سنة ١٨٥٧ فانقل العمل  
 إلى فانديك.

فاستعان استاذة، فنقحا ترجمة العهد الجديد التى تركها سميث. ثم طبع ذلك سنة  
 ١٨٦٠ واما العهد القديم فتمت ترجمته سنة ١٨٦٤ وطبعه ١٨٦٥.  
 وقال صاحب «المرشد» ان سمث كان مذهبه فى البيان «الميل الى ايثار الاسلوب الفصيح،  
 مع اختيار المفردات القريبة المنال. اما فانديك فمذهبه ان طبقة الفصاحة تتبع اسلوب الكلام  
 وروحه وتتوع بتتوع الاسلوب، وفى التوراة اساليب مختلفة شتى، وكنا نود لو ان تفصيلات  
 اوسع من هذه، قد حفظت لنا عن هذا العمل الخطير.

\* \* \*

## الشيخ يوسف الأسير

الشيخ يوسف بن عبدالقادر الأسير<sup>(١)</sup> الحسيني، من رجالات العلم والادب والفكر والتحرير، طبقة اولى، في لبنان وديار الشام في القرن الماضي. ولد في صيدا، وكان والده يتعاطى التجارة أما المترجم فعزف عن ذلك وجارى ميله إلى العلم والادب، وفي صدره نوازع نبيل وطموح. درس في بلده اول نشأته ثم انتقل الى دمشق ودرس في «المدرسة المرادية» مدة قليلة، فتوفي والده فانقطع عن الدرس وجاء بلده ليرعى امور اخوته وشؤون عائلته، ولما أسففته الاسباب عاد الى تحقيق مطمحه فرحل إلى مصر فاقام في «الازهر» سبع سنين حتى ارتوى وكان من النبغاء في العلوم النقلية والعقلية ولم يلبث ان امسى في كل هذا اماماً وهو في مطلع حياته العملية، ولبنان يجتاز ادواراً كلها تطور وانتقال. ثم اننا نرى الشيخ الاسير بعد ذلك، الى نهاية حياته التي امتدت إلى اول العقد الاخير من القرن قبل الماضي، على ثلاث دروب، ويدخل بعضها في بعض، وهي:

١- تولى المناصب الرسمية، والشرعية، في بيروت وطرابلس وعكا والأستانة. وكانت حالته الصحية تحمله احياناً على النقلة من مكان إلى آخر انتجاعاً للعافية.

٢- عمله في نشر كل ما يؤول الى اليقظة الذهنية العامة، وبث روح العلم، والتأخي الوطني وتغذية النهضة ولاسيما بعد سنة ١٨٦٠.

٣- عمله في الصحافة العربية وهي في ادوارها الاولى. تولى رئاسة تحرير مجلة «ثمرات الفنون» الشهيرة، وعمل في «لسان الحال»<sup>(٢)</sup>. وتولى التدريس في عدة معاهد كبيرة منها «مدرسة الحكمة» و«الجامعة الاميركية» التي كانت تعرف وقتئذ «بالكلية السورية الانجيلية». هذا الى التأليف فوضع عدة كتب في الأدب، والعلوم الشرعية.

ومن مميزات الاسير رقة الشمائل وزكاوة الخلق، ولما ظهرت حركة نقل الكتاب المقدس الى العربية في بيروت، كان من الاعلام، كما قلنا، في لبنان وديار الشام، وهو وقتئذ في الكهولة الريانة. وقبل ان يأخذ يسهم في تنقيح الترجمة العربية مع فاندريك، كان فاندريك يدرس عليه اللغة العربية.

(١) قال الزركلي في «الاعلام» ان «الاسير» لقب لأحد جدود المترجم وقع في اسر الافرنج في مالطة فلما عاد الى وطنه صار يلقب بالاسير.

(٢) «الاعلام» للزركلي في ترجمة «الاسير».

## الترجمة اليسوعية

الترجمة اليسوعية ليس لدينا الا القليل من التفصيل حولها . وصفوة هذا القليل، ما ذكره الاب شيخو اليسوعي، وهو يترجم لرهط الأسرة اليازجية في كتابه «الآداب العربية في القرن التاسع عشر» فقال:

«ولما عمد الآباء اليسوعيون إلى تعريب الاسفار المقدسة من اصلها العبرانى واليونانى، رأوا ان امانة التعريب لا تقى بالمرام ان لم يُعْطَ المعرّب حقه من الفصاحة والبلاغة، بتقحيح العبارة، وسبك الكلام، وكان اذ ذاك الشيخ ابراهيم (اليازجى) نال بعض الشهرة، فدعوا به إلى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وياشروا معه في العمل، وكان الاب اوغستين زوده الذى درس العربية في الجزائر وعلم الكتابة في فرنسا، ينقل الكتب المقدسة فصلاً فصلاً وآية آية، بعد مراجعة تفاسير الآباء والمعلمين، والترجمات الشرقية العديدة منها ثلاث ترجمات عربية، فاذا اتم عمله نظر فيه الشيخ نظراً مدققاً فعرض على المعرب ملحوظاته، ثم تفاوض كلاهما إلى ان يتفقا على رأى واحد، فيدونانه بالكتابة، ثم يعرضان شغلها على أربعة اساتذة من الآباء المتضلعين بالعلوم العربية والمعرفة باللغات الشرقية، فلا يطبع شيء إلا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة.

«واشتغل الشيخ ابراهيم في تقحيح التوراة العربية نحو ٩ سنوات في غزير وبيروت، وقد علم سنين طويلة في المدرسة البطريركية، فتخرج عليه كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف، ثم يمضى الاب شيخو بايجاز ترجمة الشيخ ابراهيم. (الآداب العربية في القرن التاسع عشر ص ٢٥ و٢٦ الجزء الأول).

ولا نعلم متى بدأ المترجمون اليسوعيون عملهم ولعله سنة ١٨٧٢. غير ان صاحب «المرشد» يقول (ص ٦٠) ان المهد الجديد طبع سنة ١٨٧٨ و«العهد العتيق» سنة ١٨٨٠. وفاة الشيخ ناصيف كانت سنة ١٨٧١.

ونلفت النظر الى «معجم اعلام الشرق والغرب» في «المنجد» فنجد شيئين حريين بالذكر، أولاً كلمة موجزة تتعلق بالترجمة اليسوعية تحت مطلب «الكتاب المقدس»: «هو كتاب الوحي المسيحى. اشهر ترجماته العربية - المعروفة بترجمة اليسوعيين - تعتبر طرفة في الادب العربى. وضع نصوصها نخبة من علماء الكتاب المقدس، ثم نقح عبارتها الشيخ إبراهيم اليازجى، وأصدرتها المطبعة الكاثوليكية، وسجل طبعها تقدماً جريئاً في الفن الطباعى العربى».

وقال المعجم في ذكر الشيخ إبراهيم: - (.. من ائمة النهضة الادبية والعلمية لاسيما



بأبحاثه اللغوية. اخذ علوم العربية عن ابيه الشيخ ناصيف. حفظ القرآن. وتوسط حلقات التعليم في المدرسة البطريركية. اتقن اللغات الغربية وألم بالعبرية والسريانية. صنع بيده امهات الاحرف العربية للمطابع نقح نصوص العهد القديم التي ترجمها اليسوعيون. أسس مجلة «الضياء» وحرر القسم الاكبر منها. «والضياء» كانت بين ١٨٩٧ و١٩٠٦ وكانت مجلة عبقرية الشيخ ابراهيم في نصوص البيان العربي والابحاث اللغوية).

ومما ذكره المعجم حول ترجمة الكتاب المقدس، نعلم ان الذين تعاونوا فيه «نخبة من علماء الكتاب المقدس، ولا زيادة من العلم على هذا، وهذا يدل على ان الاب روديث لم يكن منفرداً. والبيت اليازجي، ويا للفرابة، بدأ يضىء ويشرق بالشيخ ناصيف وجعل يخبو بوفيات اولاده وبناته من بعده واحداً بعد آخر، فما جاء آخر الربيع الاول من القرن العشرين، الا واليازجيون خالدون في الكتب الى ما شاء الله. وليس منهم احد اليوم يدب في الدنيا والخلود دانما هو هذا: في الكتب، وآخر ما نذكر من سلالتهم ان احد احفاد الشيخ ناصيف، وهو حبيب، عاش إلى ما بعد الحرب العالمية الاولى بقليل، وكان قد هالته الكثرة في النسل اليازجي فأحب ان يترهب فينقطع النسل بالمرّة، وكان في مصر الصحافي الاجتماعي النقريس، سليم سركيس، صاحب «مجلة سركيس» فناداه: «إلا أنت يا حبيب!» أي: كل غيرك يدخل الدير الا انت. ثم انطفاة القناديل كلها. «ووردة» الشاعرة ابنة الشيخ ناصيف توفيت في مصر سنة ١٩٢٤.

\* \* \*

وقد يسأل قارئ: وأين هذا الذي اوردناه بايجاز عن البستاني واليازجيين ورهط المستعربين الاميركان، ومن قافلة الكلام على ترجمة «الكتاب المقدس»؟ والجواب: ان الشوامخ البناء في التراث العربي، في أي عصر كانوا، علينا ان نلم بكل ما يمكن من اخبارهم. والذين اضطلموا بترجمة الكتاب المقدس، هم اولى الناس بان نعرف من اخبارهم على الأقل هذا الموجز. جزاهم الله خيراً.

## أمثلة من عبارة الترجمتين: الأميركية البروتستانتية واليسوعية اللاتينية

### اليسوعية - اللاتينية

(١) وضع بنو إسرائيل الشر في  
عيني الرب فدفعهم الرب إلى ايدي مدين  
سبع سنين (٢) وقويت ايدي مدين على  
إسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لانفسهم  
المفاور التي في الجبال والكهوف  
والحصون من وجه مدين. (٣) وكان اذا  
زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة  
وبنو المشرق ويخرجون عليهم (٤)  
ويجيئون عليهم ويفسدون غلة الأرض الى  
مدخل غزة ولا يبقون ميرة في إسرائيل  
ولا غنماً ولا بقرأ ولا حميراً (٥) لانهم  
كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون  
في مثل كثرة الجراد بحيث لا يعدون هم  
ولا جمالهم ويأتون الأرض ويفسدونها (٦)  
فذل اسرائيل جداً امام مدين وصرخ بنو  
اسرائيل إلى الرب.

(سفرة القضاة ٦ : ١ - ٦)

(١) وعرف آدم حواء امراته  
فحملت وولدت قاين فقالت قد رزقت  
رجلاً من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت  
اخاه هايل راعي غنم واقين كان يحرث  
الأرض (٣) وكان بعد ايام ان قاين قدم  
من ثمر الأرض تقدمت للرب (٤) وقدم  
هايل ايضاً شيئاً من ابيكار غنمه ومن  
سمانها فنظر الرب إلى هايل وتقدمته.

(سفر التكوين ٤ : ١ - ٤)

### الأميركية - البروتستانتية

(١) وعمل بنو إسرائيل الشر في  
عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع  
سنين (٢) فاعتزت يد مديان على  
إسرائيل. بسبب المديانيين عمل بنو  
إسرائيل لانفسهم الكهوف التي في  
الجبال والمفاير والحصون (٣) وإذا زرع  
إسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة  
وبنو المشرق يصعدون عليهم. (٤) وينزلون  
عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك  
إلى غزة ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة  
ولا غنماً ولا بقرأ ولا حميراً. (٥) لانهم  
كانوا يصعدون بماواشيهم وخيامهم  
ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم  
ولجمالهم عدد. ودخلوا الأرض لكي  
يخربوها. (٦) فذل اسرائيل جداً من قبل  
المديانيين. وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب.

(سفرة القضاة ٦ : ١ - ٦)

(١) وعرف آدم حواء امراته فحملت  
وولدت قاين وقالت اقتتيت رجلاً من عند  
الرب (٢) ثم عادت فولدت اخاه هايل.  
وكان هايل راعياً للغنم وكان قاين عاملاً  
في الأرض (٣) وحدث من بعد ايام ان  
قاين قدم من اثمار الأرض قرباناً للرب  
(٤) وقدم هايل ايضاً من ابيكار غنمه ومن  
سمانها فنظر الرب إلى هايل وقربانه.

(سفر التكوين ٤ : ١ - ٤)

(١) المرأة الحكيمة تبنى بيتها  
والسفيهة تهدمه بيديها (٢) السائر  
باستقامته يتقى الرب والذى طرقه ملتوية  
يستهن به (٣) فى فم السفیه قضيب  
الكبرياء. اما شفاه الحكماء تحفظهم.

(الامثال ١٤ : ١-٣)

(١) للانسان إعداد القلب ومن  
الرب جواب اللسان (٢) جميع طرق  
الانسان زكية فى عينيه والرب وازن  
الارواح (٣) فوض الى الرب اعمالك  
فتثبت مقاصدك (٤) الرب صنع الجميع  
لاجله والمنافق أيضاً ليوم السوء.

(الامثال ١٦ : ١-٤)

(٨) هلمى معى من لبنان ايتها  
العروس معى من لبنان. انظرى من رأس  
امانة<sup>(١)</sup> من رأس سنير<sup>(٢)</sup> وحرمون من  
مرايض الاسود من جبال النمر (٩) قد  
خلبت قلبى يا أختى العروس قد خلبت  
قلبى باحدى عينيك وقلادة من عنقك  
(١٠) ما ألطف حبك يا أختى العروس ان  
حبك الذ من الخمر وعَرَّق ادهانك فوق  
جميع الأطياب.

(نشيد الانشاد ٤ : ٨-١٠)

(١) حبيبي ابيض واشقر عَلم بين  
ريوة (١١) رأسه نُضَارُّ ابريز وغدائره

(٢) سنير أو شنهز واحد. قال قاموس  
الكتاب المقدس: «اسم امورى ربما كان معناه  
جبل السنا او النور وهو الاسم الذى اطلقه  
الاموريون على جبل حرمون.

(١) حكمة المرأة تبنى بيتها  
والحماقة تهدمه بيدها (٢) السالك  
باستقامته يتقى الرب والموج طرقه  
يحتقره (٣) فى فم الجاهل قضيب  
لكبريائه. اما شفاه الحكماء فتحفظهم.

(الامثال ١٤ : ١-٣)

(١) للانسان تدابير القلب ومن  
الرب جواب اللسان (٢) كل طرق الانسان  
نقية فى عينى نفسه والرب وازن الارواح  
(٣) الق على الرب اعمالك فتثبت أفكارك  
(٤) الرب صنع الكل لفرضه والشيرير  
ايضاً ليوم الشر.

(الامثال ١٦ : ١-٤)

(٨) هلمى معى من لبنان يا عروس  
معى من لبنان. انظرى من رأس امانة<sup>(١)</sup>  
من رأس سنير<sup>(٢)</sup> وحرْمون من خدور  
الاسود من جبل النمر (٩) قد سبيت  
قلبى يا أختى العروس قد سبيت قلبى  
ياحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك  
(١٠) ما احسن حبك يا أختى العروس كم  
محبتك اطيب من الخمر وكم رائحة  
ادهانك اطيب من كل الأطياب.

(نشيد الانشاد ٤ : ٨-١٠)

(١٠) حبيبي ابيض واحمر مُعَلَّم  
بين ريوة (١١) رأسه ذهب ابريز. قصصه

(١) قال قاموس الكتاب المقدس: «امانة،  
كلمة عبرية معناها «الثبات» وهى اسم لجبل  
لبنان الصغير. وربما يقع نبع نهر ابانة، الذى  
يسمى ايضاً امانة، فى هذا الجبل.

کسفف النخل حالکة کالفراب (۱۲) عیناہ  
 کحمام علی مجاری المیاء مفسولتان  
 باللبن جالستان فی وَقَبَّيْهُمَا (۱۳) خدّاه  
 کروضة اطياب وخضيلة رياحين وشفته  
 سوسن تقطران مرأ ذکياً (۱۴) یداه  
 حلقتان من ذهب مرصعتان بالزیرجد  
 وجسمه عاج یفشیه اللازورد (۱۵) ساقاه  
 عمودا رخام موضوعتان علی قاعدتین من  
 ابریز وطلعتہ کلبنان. هو مختار کالارز.  
 (نشید الانشاد: ۵: ۱۰ - ۱۵)

(۳۰) فان بنی اسرائیل وبنی یهوذا  
 انما هم صانعوا شر فی عینی منذ  
 صَبَّأْتَهُمْ اذ أسخطنی بنو اسرائیل بعمل  
 ایدیهم یقول الرب (۳۱) لان هذه المدينة  
 كانت عرضة لفضبی وحنقی من یوم  
 بنوها الی هذا الیوم حتی أمحقها من  
 امام وجهی (۳۲) لأجل جمیع شر بنی  
 اسرائیل وبنی یهوذا الذی صنعوه  
 لیسخطونی هم وملوکهم ورؤساؤهم  
 وکهنّتهم وانبیائهم ورجال یهوذا وسکان  
 اورشليم.

مسترسلة حالکة کالفراب (۱۲) عیناه  
 کالحمام علی مجاری المیاء مفسولتان  
 باللبن جالستان فی وَقَبَّيْهُمَا (۱۳) خدّاه  
 کخميلة الطیب وأتلام رياحين ذکية.  
 شفته سوسن تقطران مرأ مائماً (۱۴)  
 یداه حلقتان من ذهب مرصعتان  
 بالزیرجد، بطنه عاج ابيض مغلف  
 بالیاقوت الازرق (۱۵) ساقاه عمودا رخام  
 مؤسستان علی قاعدتین من ابریز. طلعتہ  
 کلبنان. فتی کالارز.

(نشید الانشاد: ۵: ۱۰ - ۱۵)

(۳) لان بنی اسرائیل وبنی یهوذا  
 انما صنعوا الشر فی عینی منذ صباہم.  
 لأن بنی اسرائیل انما اغاظونی بعمل  
 ایدیهم یقول الرب (۳۱) لأن هذه المدينة  
 قد صارت لی لفضبی ولفیظی من الیوم  
 الذی فیہ بنوها الی هذا الیوم لانزعها من  
 امام وجهی (۳۲) من اجل کل شر بنی  
 اسرائیل وبنی یهوذا الذی عملوه لیفیظونی  
 به هم وملوکهم ورؤساؤهم وکهنّتهم  
 وانبیائهم ورجال یهوذا وسکان اورشليم.  
 (ارمیا ۳۲: ۳۰ - ۳۲)

## ١٧- احمد فارس الشدياق

١٨٨٧ - ١٨٠٤

- ترجمته الكتاب المقدس في لندن ١٨٥١.
- «صقر لبنان» لمارون عبود في الشدياق.
- صفوة ترجمة احمد فارس الشدياق ووصف آثاره.
- لماذا طويت هذه الطبعة ولم تعرف في العالم العربي؟
- مناجاة مارون للشدياق في يوبيل الذكرى الخمسين.

## احمد فارس الشدياق

١٨٠٤ - ١٨٨٧

ترجمته الكاملة للكتاب المقدس سنة ١٨٥١

قد يدهش القارىء اذ يعلم، وهو يتابع هذه الصفحات، ان هناك ترجمة عربية ثالثة «للكتاب المقدس»، قام بها امام العربية احمد فارس الشدياق فى لندن وطبعت فى لندن فى منتصف القرن التاسع عشر. واين هى اليوم هذه الترجمة، ولماذا لم تظهر للناس فى اى رقعة من العالم العربى، وما صفوة خبرها؟

\* \* \*

اما الامام احمد فارس الشدياق، فهو فى «النهضة الادبية الحديثة» «رجلها الاول»، كما وصفه بهذا مترجمه ومؤرخه مارون عبود فى كتابه «صقر لبنان»<sup>(١)</sup> (بيروت ١٩٥٠).

مجمل سيرته واعماله الكبرى

سيرته تختلف عن سيرة ائمه فى لبنان الذين قاموا بعبء الترجمة، الاميركية واليسوعية. وهو لبنانى، ومن اسرة الشدياق المشهورة بانجاب العباقرة من رجال الدين والدنيا، وولد فى عشقوت (كسروان - لبنان).

ونحن هنا لسنا فى صدد ترجمته الا مجملًا. وخير ما يفعل القارىء العربى، اذا شاء الامام الحسن بحقائق حياته، ان يقرأ «صقر لبنان».

وعلى من يريد ايجاز صورته فليعلم اين بيتدىء، فالرجل لا يسترعى انتباه القارىء اذا سلط عليه المقاييس المادية فى وزن الرجال الذين يعلون حتى يصبحوا فى فلك العباقرة. فالشذائذ التى ذاقها فى حياته ذاقها غيره. والحياة لا تصفو لأحد. لكن تتجلى قيم احمد فارس الشدياق فى النهاية. بعد ان انتهى الشوط كله، وخلف وراءه دنيا مترعة بالفكر المتلائيء، والنقد، وفن الكتابة الحرة، والمباراة السلسلة، حتى امست العربية فى ذهنه وصدره وعلى

(١) «صقر لبنان» كتاب صغير الحجم فى اقل من ٢٢٥ صفحة، وهو على ايجازه، الكتاب الكافى الوافى فى ترجمة احمد فارس الشدياق، وذلك لان المترجم والمؤرخ هو مارون عبود الدائر فى فلك وحده. واما تسمية هذا الكتاب «بصقر لبنان» فسببها تسمعه من مارون عبود نفسه، فقال فى صفحة مفردة بعد صفحة الوسمة: «اخى القارىء! ربما ذكرت قولنا «صقر لبنان» بقولهم «صقر قريش»، وهو كذلك. فكما فى السياسة كذلك فى الادب. فرَّ عبد الرحمن من الشام فشيد مملكة طريفه نسميها اليوم «الفردوس المفقود». وفر احمد فارس الشدياق من لبنان فاحيا دولة ادبية ما زال رأسها سالمًا. ليس للبنان فرد صقر. قد اهتدى بهذا العلم صقور ونسور، وكان ما كان».

لسانه، كأنها اشياء طبيعية ولدت معه بالفطرة، تخالط انفاسه، وتمتزج بروحه، وهو كيفما دار وتحرك وسكن، وتحول واتجه، اعطاك فيضاً من عبقريته الدائمة الاشعاع والتضوع. رجل عجيب حقاً.

هو نيزك لبنان في القرن التاسع عشر. في مستوى نبوغه كأنه هبط من فوق. توفي في استنبول، ونقل جثمانه الى بيروت، ودفن «في مقبرة عائلته» ثم نقل الى مقبرة خاصة بجوار مداخن «المتصرفين»<sup>(١)</sup>، في «الحازمية» وحدث أخيراً ١٩٣٧ انه بينما كان العمال يحضرون «في اصلاح الطريق العام في الحازمية حيث مدفن الشدياق) عثروا على نعش من الرصاص، ففتحوه فإذا به يضم احمد فارس الشدياق.

«الجثمان على حاله - ولشد ما كانت دهشة العمال عندما وجدوا الجثمان لا يزال على حاله، كأن العلامة الشدياق ميت منذ يومين فقط. فلحيتته باقية، وحاجباه باقيان ايضاً، ولم يطرأ على شعره وعلى وجهه اى تبدل او تغير، وليس هذا فقط. بل ان الكفن الذى لف به، وهو من الحرير المعروف «بالتفتا» لا يزال على حاله ايضاً، كما ان ختم دائرة الصحة في استنبول مابرج موجوداً على التابوت». (صقر لبنان ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٥ و ٢١٦)

\* \* \*

وأعيد الى مثواه، وأقيم له مهرجان يوبيل خمسينى، قام ببعثه عصابة في طليعتها اثنان مارون عبود وهؤاد حبيش، ومارون كان اوفى لبنانى في تخليد ذكرى الفارياق.

\* \* \*

قالوا: اذا نظرت اليه عبقرياً، فيؤخذ عليه في بعض المواطنين، النقد اللاذع الممزوج بالمجون: اجاب مارون عبود على هذا الاعتراض، فارجع اليه في «صقر لبنان» ان شئت.

وصفته جريدة (البورص اجبسيان) في ٢٦ تموز ١٩٣٧ وجعلت منه ومن «فكتور هيغو» كفتى ميزان، وفرسى رهان، فقالت: «ما بين ١٨٠٢ و ١٨٨٧ نشأ رجلان، ان اختلفا موطناً ولغةً، فقد اتفقا في الاتجاه والمثل الأعلى. من المفيد جدا ان نعلم ان هذين الرجلين اللذين لم يتعارفا ابداً، قد جريا لغاية واحدة طول حياتهما. فهذان الرجلان هما المعلمان المطلقان للفتها، قد تصرفا بها كما شاءا بسهولة عجيبة. اسخطهما محيطهما فعاشا يهجون شعراً ونثراً المتسلطين في عصرهما، مقبحين الاساءة والجور: فيكتور هيغو وأحمد فارس الشدياق». ولد احمد فارس الشدياق (١٨٠٤) في ايام الامير بشير الثانى الكبير.

وخرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو فى الحادية والعشرين، وما فى صدره هوما

(١) حكام لبنان زهاء ٥٤ سنة، بعيد سنة ١٨٦٠ الى أوائل الحرب العظمى الاولى سنة ١٩١٤ وهذا تعبير تركى «والمتصرف» دون «الوالى»، وربما كان «المحافظ» اليوم دون المتصرف.

حصله من المعارف في مدرسة «عين ورقة»، وما اخذه عن اخيه اسعد. قال الشعر قبل ان يبلغ العاشرة. ومن فطرتة كان مولعاً بالتمط الجيد الصحيح الفصيح من العربية. وفي مصر، ازداد وتبحر، واوعب واستوعب، فعينته الحكومة المصرية محرراً أو مصححاً للجريدة الرسمية التي كانت تسمى «الوقائع المصرية» فبرز في عمله وأخذ اسمه وذكره يلتمعان. وفي مصر تزوج بنت «الصولي»، وهي من أسرة سورية وجيهة. وفي مصر أيضاً اتصل به المرسلون الاميركان للاستفادة من لغته وبيانه. ثم نقل الى مالطة لعمل مع الاميركان اوسع مسؤولية من عمله في مصر، بعد ان قضى في وادي النيل ٢ سنوات، ومالطة كانت مركزاً تبشيراً للاميركان، فعمل معهم في مالطة مدة لا تقل عن ١٤ سنة مطردة.

\* \* \*

قال مؤرخه وواضع سيرته الجبار مارون عبود، ان الشدياق لما كان في مالطة، استدعته وزارة خارجية انكلترا ليعاون «الدكتور لي» في ترجمة التوراة وتنقيحها، فاقام في لندن وضواحيها سنوات، فوصفها لنا اطرف وصف في «كشف المخبأ» وقد جاءت ترجمته للتوراة اصح الترجمات بشهادة علامة زمانه المطران يوسف الدبس الشهير. اما شيخنا الشدياق، فلم يكن راضياً كل الرضى عنها، وقد وصف لنا ما كان يعترض طريقه عند الدكتور لي، (صقر لبنان ص ٩٤) وسنعود الى هذه المسألة التي هي من غاية المراد في كلامنا على ترجمة الكتاب المقدس.

وتوفى ابن له في لندن اسمه «فايز»، فتجمل في فقدته بصبر جميل. ومن لندن انتقل الى باريس، وواتاه الحظ بأن لقي فيها احمد باشا باي تونس، فدعاه (الباي) الى بلاده فقبل الدعوة شاكراً، وبعد عودة الباي الى تونس ارسل باخرة خاصة تقل الشدياق وعائلته من مرسلها الى تونس الخضراء. وهنا نقطة مهمة، فان الشدياق احمد فارس، لما هاجر من لبنان سنة ١٨٢٥ الى مصر انما كان السبب في هجرته هذه، ما خشى على حياته في لبنان من مصير غامض يفاجئه بعد النازلة التي حاقت باخيه اسعد وأودت به سنة ١٨٢٠. وقصة اخيه اسعد مأساة بدأت سنة ١٨٢٢ وفي هذه السنة بدأ المرسلون الاميركان يفدون على بيرت من مالطة، فاتصلوا باسعد للاستفادة من علمه وادبه وكفايته في الترجمة وما اليها، وأدى هذا به الى اعتناقه البروتستانتية، فلم ترض عنه الكنيسة لمارونية فطالت قصته وكانت مأساة في النهاية وبعد سنتين من بدء هذه القصة هاجر أخوه احمد فارس الى مصر شبه فار، وفي مصر محمد علي، وفي لبنان الامير بشير، ولما وضع الشيخ هقوس الشدياق، اخو احمد فارس واسعد، تاريخه «اخبار الاعيان في جبل لبنان» وبلغ به ما يقرب من سنة ١٨٥٩ لم يذكر شيئاً من مأساة اخيه اسعد، وانما مر به بعبارة موجزة. ولما طبع الكتاب واطلع عليه احمد فارس،



عاتب اخاه الشيخ طنوس على اغفاله قصة اسعد. والقصة حقاً شائكة لمن يريد ان يؤرخها وييسط تفاصيلها أمس واليوم.

\* \* \*

هذا هو الوجه الاول للنقطة المهمة، ولها وجه آخر وهو: ان حياة احمد فارس في لبنان كانت بين الاضطراعات الاقطاعية والامير بشير، واسرته منذ القرن ١٧ في المضمار، مليئة بالمخاوف والبؤس والشقاء، وهو، احمد فارس، وصف كل هذا في كتابه المشهور، واخذ ينتقل بين مصر ومالطة ولندن وتونس والاسنانة، جعل الدهر يبسم له أفقا بعد افق، وهو يزداد علوا واشراقاً، الى آخر حياته.

\* \* \*

ولهذا. قال واصف عبقريته وسادن كعبته، مارون عبود مشيراً الى تعالى استاذه (احمد فارس) في الرتب والنعم، بين باى تونس، والخليفة: «وجاء تونس» ففرق في نعمة الباي. قلده اسمى المراتب، وعهد اليه برئاسة تحرير جريدة «الرائد التونسي» و«مديرية المعارف». ثم اسلم وتسمى احمد، وتكنى «بابى العباس»، وطار صيته في الشرق والغرب، فطمعت الأستانة به، فطلبه جلالة السلطان من سمو الباي، فجاء الأستانة مكرماً مبجلاً، بعد سير وراء ذلك الحمار بين «بسوس» و«بشامون» و«عين عنوب»<sup>(١)</sup> وغيرها، فما هو في قصور اسطمبول ينعم غارقاً بين الزهور والمطور بعد ما كان يسير وراء حمار وصفه بقوله... «صقر لبنان ص ٩٧».

\* \* \*

بلغ احمد فارس ذروة مجده في الاسنانة، مقرباً من السلطان الخليفة، مرموقاً بالتجلة من كل ناحية، فآكرمه السلاطين ولا سيما عبد الحميد، فأحاطه بالرعاية والالوسمة والرتب، فضخم اسم احمد فارس ويعد صيته، وانطلقت مواهبه فوق كل انطلاق سابق، وأصدر جريدة «الجوائب» التي كانت تصدر من ضفاف البسفور وتجوب العالم الاسلامي، وعواصم العالم الغربي، وهناك ثلاث صحف اسلامية بلغن السنام الاعلى في الذبوع والانتشار في الربع الاخير من القرن قبل الماضي: «الجوائب» لأحمد فارس في الأستانة، «المؤيد» للشيخ على يوسف في القاهرة، و«ثمرات الفنون» للسيد عبد القادر القباني في بيروت، وتعاشرت هذه الصحف مدة ما. وتولى بالاضافة الى اصدار «الجوائب» ادق عمل ثقافي في ذلك الوقت، وهو تصحيح «الطباعة الشاهانية» وهذه تحتاج الى كفاية علمية نادرة. وطبع من كتب التراث العربي شيئاً كثيراً، واتسمت مطبوعات «الجوائب» بالرونق والاتقان الى ما وراء الفاية، ويمثل هذا ايضاً امتازت مطبوعات اليسوعية في الوقت نفسه. وظلت «الجوائب» تصدر نحواً من ٢٣

(١) قرى في قضاء عالية من لبنان.

سنة حتى احتجبت سنة ١٨٨٤ قبل وفاة صاحبها بنحو ٢ سنين.

\* \* \*

انطلقاً فذلك لبنان بعد قتل تاركاً وراءه من الكوز ما لم يستطع ان يتركه احد غيره.

## ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس

نعود الى ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس .

وأول ما ينبغي الاشارة اليه، هو ان احمد فارس قام بهذه الترجمة قبل ان يسلم ويتسمى احمد، ويكنى بأبيه العباس.

ونستطيع الآن ان نعلم جملة مراحل حياته بعد خروجه من لبنان<sup>(١)</sup>؛

١ - خرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو في الحادية والمشرين لهجتب مصبراً شيئاً بسبب اخيه اسعد.

٢ - أقام في مصر نحواً من ٢ سنين ثم انتقل الى مالطة سنة ١٨٢٧ - ١٨٢٨.

٣ - في مالطة أقام ١٤ سنة. في مصر جعل يتمتع وفي مالطة يزداد التماماً.

٤ - حوالي ١٨٤٢ طلبته وزارة الخارجية لهماون «الدكتور لي» بترجمة الكتاب المقدس.

فذهب الى لندن وأقام فيها سنوات وقام بهذا العمل الخطير، خير قيام.

٥ - بعد اقامته في لندن، تحول الى باريس، وليس لدينا تاريخ ذلك، ولا ندرى ايضاً كم

بقي في باريس حتى لقي باي تونس، وبعد اقامته في تونس السني التي كتبت له هناك، وبعد

اسلامه، لم يدمر السلطان قتره سنة ١٨٦١ في الأستانة وهو يرتقى الى أعلى أوج من هز

بلفه وتصنر «الجوائب» في الأستانة ١٨٦١ وامتد به الشوط الى نهاية حياته في الأستانة.

\* \* \*

ولكر مارون عبود من أسماء مؤلفات الفارياق (أكثر من ٢٠) مؤلفا أهمها «سر اللهايا في

القلب والابدال»، و«الجاسوس على القاموس»، و«منتهى العجب في خصائص لغة العرب»

وهذه في اسرار العربية علا فيها علواً ضاهى به الأئمة المتقدمين وله «غنية الطالب» في

(١) يقول مارون عبود ان الفارياق عاد الى لبنان خلسة سنة ١٨٢٧ (اي ايام مقامه في مالطة، ووجود

ابراهيم بن محمد على في الشام) ولم يطل مكثه في لبنان وفي احد المجالس قال لجلسائه: «ان رأس الفقيه

ليس باضيق ولا اصغر من رأس الامهر. وان يكن هذا اكبر عمامة واغلف قدالاً. ارفعوا فرق اللذاهب من

بينكم، فذلك ادعى لكم الى الحظ والسرور. اعلموا، هداكم الله، ان فرق الآراء في الاديان لا يمنع من الاقعة

والمخالسة (الفارياق طبع باريس ص ٤٦٣).

الإعراب والقواعد والصرف والنحو.

هذه قافلة. واما «الساق على الساق فيما هو الفارياق» في عدة اجزاء فدنيا وحدها. وهذا الكتاب طار كل مطار، وغيثه مدرار وهو صفحة الرجل من ألفه الى يائه في طبعه وعلمه وملاحظته ومجونه. طبع في باريز، ثم في مصر بعد الحرب العالمية الاولى، وعلم انه يطبع في بيروت اليوم طبعة انيقة. هذا الكتاب قافلة ثانية ويجرى وحده.

القافلة الثالثة هي كتبه التي طواها على وصف الحضارة وعاداتها ومجتمعها في رجالها ونسائها. «كشفت المخبا عن هتون اوروها» و«الواسطة في معرفة احوال مالطة».

والرابعة بقية كتبه في الادب والشعر والنوادر والمقالة الصحفية اللامعة، وجمع من مقالاته وطبع سبعة اجزاء تؤلف ثروة فكرية سياسة ادبية ليس لها نظير.

والقافلة الخامسة كتاب خطير حول التوراة، لم ينشر قط، ويقول مؤرخه ابو محمد مارون عبود ان هذا الكتاب مفقود.

وقافلته الكبرى، ترجمة الكتاب المقدس، وهذا ما انتهى بنا الكلام اليه بعد ان استوفينا من الفارياق جملة مناحيه المتقدمة.

\* \* \*

هذا الموضوع المتعلق بترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس، يهمننا من ناحية الادب العربي، او التراث، او تعدد العبارة المترجمة للتوراة. ونكرر، انه حري بالقارىء العربي ان يحيط بمجمل هذا الامر كله، قدر المستطاع.

ونوزع الكلام فقرة وكل فقرة تتطوى على معنى أو ناحية:

١ - لترجمة الكتاب المقدس اليوم عبارتان في العربية، عبارة الترجمة الاميركية، وعبارة الترجمة اليسوعية، وقد تقدم الكلام على كل منهما.

٢ - ترجمة احمد فارس الشدياق لم تنف عليها، ولا هي في الوجود المحرز، ولا في اي متناول، على ما هو ظاهر، ولا نعلم احداً من المرب الماصرين في لبنان قد وقف عليها، ولا نعلم شيئاً من السبب في احتجابها بعد ان طبعت، الا ما يجوز تقديره، والقارىء رآيه في ما نقوله في هذا الصدد. ولو كانت هذه الترجمة في المتناول اليوم، لكان للترجمة ثلاث عبارات، واذا جاز لنا ان نضيف كل عبارة الي صاحبتها من حيث البيان، كانت هذه العبارات الثلاث تتصرف هذا المنصرف:

١ - عبارة الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير الحسيني في الترجمة

الاميركية.

٢ - عبارة الشيخ ابراهيم اليازجى فى الترجمة اليسوعية.

٣ - عبارة الشيخ احمد فارس الشدياق فى الترجمة التى تولتها وجمعته ترقية المعارف

المسيحية، البروتستانتية فى لندن.

٤ - ترجمة احمد فارس الشدياق فى اسبق الجميع فى الظهور، لكن فى بلاد الانكليز

لا فى بلاد العرب.

٥ - مصادر علمنا عن ترجمة احمد فارس الشدياق، التواتر المتواصل منذ منتصف

القرن الماضى وقليل من المصادر المطبوعة.

٦ - اسباب انطواء ترجمة الفارياق، تدخل طبيعاً فى بحث هذا الموضوع بحثاً علمياً

مجرداً. غير اننا هنا لسنا فى هذا الصدد بشيء، ولا سبله ميسورة اذا ابتغيناه، وهذه الاسباب نقدرها تقديراً وهى، على ما يظهر، ان الجمعية التى كان يمثلها «الدكتور لى» فى لندن لترجمة الكتاب المقص، لما رأت ان المترجم قد «أسلم» فى تالى حياته، وهو وحده كان مضطماً بمبه المعمل، مع الدكتور لى، فترأت انه اولى بالترجمة ان تطوى، بمد ان طبعت، ولا توضع فى التداول. يرد على هذا: وهذا الشيخ الاسير، قد اشترك مع فاندريك فى تنقيح ما تركه الشيخ ناصيف، فكيف يحلل الأمر فى بيروت ويحرم فى لندن والجواب ان هناك فرقاً بارزاً لا ينكر بين شركة الاسير الجزئية فى بيروت والمقدم بمد كل حساب هو فاندريك، وبين استقلال الفارياق بالمعمل وحده وهو لا شريك له، ولا رأى ينسخ رأيه، او يمدله، او يأبى قبوله الا الدكتور لى ومباشر الترجمة هو احمد فارس. ثم هناك فرقاً بين البيئة الفكرية فى لبنان وبينه الدكتور لى فى لندن.

٧ - وضع الفارياق كتاباً ضخماً طواه على آرائه فى قضايا كثيرة وردت فى التوراة.

وهذا الكتاب لم يطبع قط، واختفت نسخته المخطوطة. وقد تكون آراء الفارياق فى بعض المسائل الواردة فى التوراة لا تتفق ورأى غيره من الناس. فاذا اضفنا هذا الى ما قلناه فى الفقرة السابقة كان من الاثني وجهة نظر لها وزنها عند فريق الدكتور لى.

٨ - كان الفارياق يذهب فى تفسير القضايا الدينية، فى المسيحية والاسلام مذهباً

عقلياً، او «ممتازياً»، اذا جاز التعبير. وهناك نقاد فى كل عصر للمسائل الدينية، على هذا الفرر. اما فى الاسلام، فقد قال مؤرخه مارون عبود ابو محمد انه لا يؤمن بالوحي ويخطئ ما لا يسلم به العقل، (مقرر لبنان ص ١٠٧).

٩ - عبارته الناقدة، اللاذعة، الحرفية، شائعة فى ادبه، وهو لو جرد من هذا الطبع

لهبطت قيمه الأدبية الى ما فوق القعر بقليل. وعند ناقديه من رجال الدين، هذه هى علة، وعند قارئيه من العلمانيين هذه هى ميزته فى ادبه، وشارته فى تصاويره، الا ما بلغ القلو فهذا

على الجملة غير مستلمح ولا مستحب كما يقول فريق. أما مؤرخه الصيرفي الجيهدي الخبير، الحار المتحرر، مارون عبود، فمع استاذة الفارياق، اشراقاً باشراق، ومشتاقاً بالمقل الى مشتاق. هذه هي الحقيقة ودع عنك سجمة «الساق على الساق»، فالشرر المتطاير من مطرقة الحداد على السندان، غير الوميض من البرق في الابراق.

٩ - هذا التقدير الذي نعرضه في هذا المعرض للأسباب التي حالت دون السماح لترجمة الفارياق في الانطلاق، ودعت الى استردادها وجمعها وطبها بمد ان بلغت الاسواق، مدة محدودة، اذا جمعنا بعضه الى بعض لعله يفسر لنا ما يسأل عنه القارئ العربي. وقد نرى عما قريب بحثاً مستفيضاً في هذه المسألة لغيرنا، يكشف فيه من الستار ما تظهر معه خواهي الاسرار.

\* \* \*

١٠ - وما قلناه حول ترجمة الفارياق للكتاب المقدس، انما يتعلق بالناحية الادبية البيانية في التراث العربي، لا اكثر. واما انكماش ترجمة الفارياق فخسارة لا في بلاد الانكليز بل في بلاد العرب.

قال القس سيكل سبيل صاحب «المرشد الى الكتاب المقدس» في نهاية الفصل الذي عقده على الترجمات العربية الحديثة. وجعل هذا ختام كلامه: «وقد ترجم الكتاب كله المعلم هارس الشدياق بعناية ونفقة الجمعية الانكليزية المروفة بجمعية ترقية المعارف المسيحية، وطبع المعهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١، ثم طبع المعهدان ايضاً سنة ١٨٥٧ في مدينة لندن، (المرشد ص ٦٤).

ونرى ان القس سيكل سبيل، مع ايجازه القصص هذا الايجاز، لم يتطرق بشيء الى ناحية المصير الذي لاقت ترجمته الفارياق.

وقد ذكر مارون عبود في «صقر لبنان» نماذج مستطابة، لذيدة، فكهة، من مذهب «الدكتور لي»، في اختيار العبارة بحيث لا تكون موشاة بشيء مما يشبه القرآن الكريم او الحديث الشريف فارجع الى هذا اذا شئت (ص ٩٤ - ٩٦) واضحك!

\* \* \*

اما اجمال الكلام، لا اشباعه، في عبقريات الفارياق فيحتاج الى كرايس قد تبلغ الكرايس، ويظل الرجل كلما اقبلت على افق منه انجلي لك منه افق آخر، وآفاقه لا تنتهي. من شاء ان يزوره، فضريعه بجانب الطريق العام في الحازمية.

\* \* \*

قال المبقرى ابو محمد مارون عبود فى نهاية (صقر لبنان): -

«وشاع عند العوام ان الشدياق قديس (هذا لما فتح التابوت فاذا بالفارياق بعد خمسين سنة كانه ما هارق: صورته كاملة، لكنها صامتة، وشعر لحيته وحواجبه هو هوا) لان جسده لم يهل. فخطر لى ان اكتب كلمة حول الموضوع، فتخيلت اننى اخطب الناس على قبر الشدياق يوم يوبيله، فكتبت:

قلت: وهذا الذى كتبه ابو محمد يقع فى نحو من صفتين من كتابه «صقر لبنان»، طواه على عتبة ابي المباس ومناجاته، فى عبارات يتضوع منها ارج الوفاء. وليس هذا هو الميزان. بل لا اعتقد ان احداً يقوى على مثل هذه المناجاة، غير ابي محمد، وهو بالغ اعلى درجات السلم، فى العالم قاطبة، لا فى لبنان وحده، فى معرفة قدر المناجى العظيم. وأول تحية جميلة رقيقة، اسديت الى الفارياق بعد خمسين سنة من وفاته، هى هذه العبارات فى الصفتين ونصف الصفحة من «صقر لبنان». رحم الله ابا المباس، وابا محمد مارون

ومارون عبود فى جماع ما كتب وتقد، قلمة من الفارياق، وما اشبه الممدن بالممدن، وبعد خمسين سنة قد يمدو الناس يتكلمون فى موضوع رصانة الفكر والادب، من جهة ابي محمد، كما تكلموا ولا يزالون يتكلمون من جهة ابي المباس.

انتهى الكتاب

## الفهرس

- ٢ \_\_\_\_\_ المقدمة
- ٢٢ \_\_\_\_\_ ما معنى بروتوكولات حكماء صهيون؟
- ٢٦ \_\_\_\_\_ النكبات الأربع أسباب غفلة العرب عن البروتوكولات
- ٢٨ \_\_\_\_\_ ظهور البروتوكولات
- ٣٦ \_\_\_\_\_ الفضائح الثلاث الكبرى في العقد الأخير من القرن الماضي
- ٤٢ \_\_\_\_\_ رواية أخرى لظهور البروتوكولات وفضل المالم نيلوس
- ٤٥ \_\_\_\_\_ الرواية الثانية التي اعتمدها «سكوت»
- ٤٧ \_\_\_\_\_ للمتهم بوضع البروتوكولات
- ٤٧ \_\_\_\_\_ أشر هنز برغ المشهور باسمه القلمى «أحدها عام»
- ٤٨ \_\_\_\_\_ من هو «أحدها عام»؟ أستاذ ويزمن الروحى
- ٥٢ \_\_\_\_\_ دفاع ويزمن عنه
- ٥٤ \_\_\_\_\_ اعتراف ويزمن بأن البروتوكولات هي: «المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم»
- ٦٤ \_\_\_\_\_ الحاكم العسكري الجنرال بولز ١٩١٩
- ٦٦ \_\_\_\_\_ الدماء الأولى في القدس ١٩٢٠
- ٧٠ \_\_\_\_\_ ويزمن في مذكراته يشوه رواية الواقع
- ١٠٥ \_\_\_\_\_ مخطط التوسع الصهيونى من المتوسط إلى الفرات
- ١٠٧ \_\_\_\_\_ موقف فرنسا من الوطن القومى
- ١١٢ \_\_\_\_\_ ويزمن يعرض فلسطين قاعدة حربية ١٩٢٨
- ١٤٥ \_\_\_\_\_ نصوص بروتوكولات حكماء صهيون
- ٢٢٦ \_\_\_\_\_ الجرائم الخبيثة في مخطط البروتوكولات

٤٥٥	حكماء صهيون
٢٣٨	١. التوراة وأسفار «المهد القديم»
٢٤٢	أسفار العهد العتيق (فى الكتاب المقدس عند الكاثوليك)
٢٤٤	أسفار العهد القديم كما هى اليوم
٢٦٥	ما ذكره الطبرى عن عمليق والمماقة
٢٦٦	بنو إسرائيل زمن عهدهم للمروف «بالقضاة»
٢٧٠	ذل إسرائيل من الشعوب المحيطة بهم
٢٨١	البناة الأولى «لحكماء صهيون»
٢٠٩	أعداء اليهود بعد العودة من المنفى
٢٢٢	الفروق اليهودية
٢٤٤	التمود
٢٥٧	التمود وجهاً لوجه مع العرب والأمم وهذه هى أقواله
٢٥٩	دلا يمد ناضجاً فى السياسة أو الكتابة ما لم يدرس القضية المـ يونية»
٢٧٢	القبالا أو القبالة
٢٧٢	روح التمود أو عصيره
٢٧٩	النحمانية والميمونية فى القبالا
٢٨٢	كتاب «الإشراق» : هو دستور القبالة إسمه فى العبرية «الزوهرة»
٢٨٩	الفرقة البعلشامية فى المانيا
٢٩١	التهال
٢٩٥	كتاب جاكوب «برافمان»
٢٩٦	الحاخام نافيطوس المنتصر
٤٠٠	اليهودى يوسف منده الملقب بالنامى



٤٥٦	بيروتوكولات
٤١٣	موسى مونتفيورى
٤٢٢	دزرائيلى (بنى إسرائيل)
٤٢٢	أهم البنود فى «قانون اليهود» فى بلاد الإنكليز ١٢٧٥
٤٣٠	الكتاب المقدس
٤٣١	الكتاب المقدس فى العربية
٤٣١	لماذا نضع هذا المجلد؟
٤٣٤	الترجمتان الكاملتان للكتاب المقدس فى القرن التاسع عشر فى بيروت
٤٣٩	الشيخ يوسف الأسير
٤٣٩	الترجمة اليسوعية
٤٤١	أمثلة من عبارة الترجمتين
٤٤١	الأمريكية والبروتستانتية واليسوعية اللاتينية
٤٤٤	أحمد فارس الشدياق
٤٥٤	الفهرس



فكتور مارسدن

بروتوكولات

حكماء صهيون

النص الكامل مترجم باللغة العربية

